

في الرد على ابن تيمية

تأليف

آية الله المجاهد الكبير

العلامة السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني قدس سره

(١٢٨٢هـ - ١٣٥٨هـ)

تحقيق

السيد مرتضى مير سجادي

الجزء السادس

منهاج الشريعة
في الردّ على ابن تيمية

تأليف

آية الله المجاهد الكبير

العلاّمة السيّد محمد مهدي الكاظمي القزويني قدس سره

(١٢٨٢ ـ ١٣٥٨ هـ)

الجزء السادس

تحقيق

السيد مرتضى ميرسجّادي

سرشناسه	كاظمى قزوينى، محمد مهدى، ۱۸۶۵ ـ ۱۹۳۹م.
عنوان قراردادى	منهاج‌السنة‌النبويه فى نقض كلام‌الشيعة‌القدريه. شرح
عنوان و نام پديدآور	منهاج الشريعة فى‌الرد على‌ابن‌تيميه/ تاليف محمدمهدى الكاظمى‌القزوينى؛ تحقيق سيدمرتضى ميرسجادى.
مشخصات نشر	قم: محلاتى، ۱۳۸۸ـ
مشخصات ظاهرى	ج.
شابک	دوره ۸-۷۱-۷٤٥٥-۹٦٤-۹۷۸ : ج۱. ۱-۷۰-۷٤٥٥-۹٦٤-۹۷۸. ج۳. ٥-۸٥-۷٤٥٥-۹٦٤-۹۷۸ . ج٤. ٥-۲۸-٥٦٥۹-٦۲۲-۹۷۸ . ج٥ ۷-۳۷-٥٦٥۹-٦۲۲-۹۷۸ ج٦ ۷-٥۳-٥٦٥۹-٦۲۲-۹۷۸
وضعيت فهرست نويسى	فيپا
يادداشت	عربى.
يادداشت	كتاب حاضر رديه‌اى است بر كتاب ((منهاج السنه النبويه فى‌نقض كلام الشيعه والقدريه)) ابن تيميه كه آن خود رديه‌اى است كه ابن تيميه بر كتاب ((منهاج الكرامه فى‌معرفه الامامه)) علامه حلى نوشته است.
يادداشت	ج.۳ (چاپ اول: ۱۳۹۶) (فيپا).
يادداشت	ج.۴ (چاپ اول: ۱۴۰۰).
يادداشت	جلد چهارم و پنجم و ششم اين كتاب توسط انتشارات العطار منتشر شده است.
موضوع	علامه‌حلى، حسن‌بن‌يوسف، ۷۲۶-۶۴۸ق. منهاج‌الكرامة فى معرفة‌الامامه -- نقد و تفسير
موضوع	ابن‌تيميه، احمدبن عبدالحليم، ۶۶۱- ۷۲۸ ق . منهاج‌السنة‌النبويه فى نقض‌الشيعة‌القدريه -- نقد و تفسير
موضوع	امامت -- دفاعيه‌ها
	Imamate -- Apologetic works انمه اثناعشر Imams (Shiites) شيعه -- دفاعيه‌ها
	Shi'ah -- Apologetic works
شناسه افزوده	ميرسجادى، مرتضى
شناسه افزوده	علامه‌حلى، حسن‌بن‌يوسف، ۷۲۶-۶۴۸ق. منهاج‌الكرامة فى معرفة‌الامامه. شرح
شناسه افزوده	ابن‌تيميه، احمدبن عبدالحليم، ۶۶۱- ۷۲۸ ق . منهاج‌السنة‌النبويه فى نقض‌الشيعة‌القدريه. شرح
رده بندى كنگره	۱۳۸۸ ع۷۵م BP۲۲۳/۸۰۲۸
رده بندى ديويى	۲۹۷/۴۵
شماره كتابشناسى ملى	۲۱۰۲۳۳۶
اطلاعات ركورد كتابشناسى	فيپا



هوية الكتاب:

الكتاب: منهاج الشريعة في الردّ على ابن تيمية ج٦

تأليف: العلاّمة السيّد محمّد مهدي الكاظمي القزويني

تحقيق: السيّد مرتضى ميرسجادي

الناشر: العطار

المطبعة: احسان

الاخراج الفني: كمبيوتر المجتبى عليه السلام

الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ ش ـ ١٤٤٥ هـ ق

العدد: ٢٠٠ نسخة / عدد الصفحات: ٩٦٩ صفحة وزيري

الترقيم الدولي (ISBN): ٧ ـ ٥٣ ـ ٥٦٥٩ ـ ٦٢٢ ـ ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطاهرين سيّما بقيّة الله في الأرضين واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

اللَّهُمَّ كُنْ لوَلِّيِكَ الحجّة بن الحسن
صلواتك عَلَيه وَعَلى آبائه فِي هَذه
السَّاعَة وَفي كُلِّ سَاعَة وَليّاً وَحَافظاً
وَقَائداً وَنَاصراً وَدَليلاً وَعَيْناً
حَتَّى تُسْكنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً
وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلاً

قال الشيعي:

ما حاصله وإنّما وجب متابعة مذهب اثنى عشرية الشيعة، فإنّه لما عمّت البليّة في موت النبي صلّى الله عليه وآله اختلف الناس من بعده بحسب أنظارهم، فبعضهم طلب سلطانه لنفسه بالباطل وتابعه الغالب طلباً للدنيا مثل اختيار ابن سعد قتل الحسين عليه السلام طلباً لها وشعره معروف في ذلك، وبعضهم اشتبه عليه الحقّ ووجد لطالب الدنيا متابعاً فبايعه وتابعه ولم يفحص عن الحقّ، وبعضهم قلّد ألجم الغفير لقصور فطنته فتابعه، وبعضهم طلب ذلك لنفسه بحقّ وتابعه قليل منهم، قال سبحانه: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾، فوجب على كلّ عاقل الفحص عن الحقّ بعد إنصافه من نفسه حتّى يجعل الحقّ في مقرّه[1].

(١) منهاج الكرامة للعلاّمة الحلّي: ص٣٥

قال السنّي:

فيقال: ونحن نبيّن ما في هذه الحكاية من الكذب من وجوه كثيرة، أحدها: ما ذكره الشيعي المفتري من تعدّد أنظارهم إلى آخره.... كذب بيّن، فإنّه قد وصفهم الله ورسوله بضدّ ما نسبه إليهم الشيعي، فإنّهم هم الذين أثنى الله عليهم ورضي عنهم بآية: ﴿**وَالسَّابِقُونَ...**﴾ إلى ﴿**ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾، وبآية: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ...**﴾ إلى آخرها وإلى غير ذلك من آيات ثنائه سبحانه على أنصار الرسول صلى الله عليه وآله وتابعيهم، فإنّها جميعها تتضمّن أنّهم هم المستحقّون للفيء، والرفضة من دون ريب خارجون عنهم بل في قلوبهم عليهم، وعلى أهل السنّة متابعيهم غلّ. ثمّ روى عن سعد بن أبي وقّاص أنّ الناس على ثلاث منازل: مهاجرون وأنصار وتابعون لهم بإحسان، فمضت منزلتان وبقيت الثالثة وهي المتابعة لهم بأن يستغفر لهم. وروى عن مالك أنّه قال: من سبّ السلف فليس له في الفيء نصيب. وروى جماعة من أصحاب أحمد وغيره قولهم: بأنّ الله سبحانه أمر بأن يستغفر للصحابة وهو يعلم بأنّهم يقتتلون. ونقل عدّة أخبار متضمّنة للنهي عن سبّ الصحابة بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة. ثمّ استدلّ بآية: ﴿**إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...**﴾ وزعم بأنّهم أكثر من ألف وأربعمائة وهم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان بعد موت النبي صلى الله عليه وآله لم يكن في المسلمين من يتقدّم عليهم من حيث تفضيل الله سبحانه لهم بإنفاقهم

وجهادهم قبل الفتح، والمقصود به صلح الحديبيّة، وقد علم بالضرورة أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير من السابقين المبايعين تحت الشجرة. وذكر عدّة آيات دلّت على ثنائه سبحانه على من جاهد في سبيله وهاجر ومن آوى ونصر. ثمّ قال: وليس في فرق أهل القبلة أعظم كذباً على الله سبحانه وتكذيباً بالحقّ من المنتسبين إلى التشيّع، فمنهم من زعم ألوهيّة البشر، ومنهم من ادّعى النبوّة في غير النبيﷺ، ومنهم من ادّعى العصمة في أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى غير ذلك. وقد تظافر عن النبيﷺ أنّه قال: "خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الّذين ويلونهم ومحمّد وأصحابه هم المصطفون من المصطفين". ثمّ قال: وآية: ﴿**كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...**﴾ إلى آخرها منطبقتان على الصحابة زمن أبي بكر وعمر وعثمان من حيث قهرهم للروم وفارس وفتحهم الشام وغيرها، وعلي وطلحة والزبير ومعاوية وابن العاص دلّت عليهم لكونهم مستخلفين وممكّنين ومؤمنين، والرفضة الذين هم حادثون في الفتنة خارجون عن ذلك لعدم كونهم من الصحابة المخاطبين بذلك ولم يحصل لهم أمن وتمكين بعد الخوف ما حصل للصحابة، بل هم مستمرّون في الخوف والقلق غير ممكّنين، فإن قيل: لم قال فيهما منكم ومنهم ولم يقل وعدكم ووعدهم كلّهم؟ قيل: من قد تكون لبيان الجنس فلن تدلّ على خروج شيء من المجرور بها كما قال سبحانه: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ**﴾. فإنّها لن تدلّ على وجود وثن ليس برجس، وإن قلت: ثوب من

حرير فهو مثل قولك ثوب جرير فمعناه وعدكم جميعكم ووعدهم جميعهم، ولمّا قال سبحانه للزوجات: ﴿**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ**﴾ لم يمنع أن يكون كلّهن قانتات قد عملن الصالحات. فإن قيل: آية ﴿**وَعَدَ اللَّهُ**﴾ وغيرها لم تدلّ على أنّ جميعهم متّصف بذلك، قيل نعم ونحن لم نقل بأنهم مؤمنون وعاملون صالحاً من هذه العبارة وحدها، بل نقول بأن من غير مانعة من شمول ذلك لهم جميعهم. فإن قيل المنافقون في الظاهر مسلمون، قيل لم يتّصف المنافقون بهذه الصفات، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾ إلى غيرها من آيات الفرقان العظيم التي قد دلّت على خروج المنافقين عن المؤمنين وليس يوجد في المتظاهرين بالدين الحنيف من المنافقين أكثر منهم في الرفضة والمنافقون على عهد الرسولﷺ منهم من تاب عن نفاقه لقوله تعالى: ﴿**لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ**﴾ إلى آخرها. فلمّا لم يغرّه بهم ولم يقتلهم بل جاوروه في المدينة دلّ ذلك على انتهائهم، والذين بايعوه تحت الشجرة جميعهم يدخل الجنّة حسبما ورد في الخبر سوى الجد بن قيس وقد علم ذلّة المنافقين خصوصاً في آخر أيّام النبيﷺ وقد أخبر سبحانه: بأنّ العزّة لله ورسوله والمؤمنين في سورة المنافقين، فيمتنع كون الصحابة الذين هم أعزّ المؤمنين منافقين والزندقة في الرفضة أكثر منه في سائر الفرق، فإنّ أساس النفاق الذي بنى عليه الكذب الذي هو قول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه حسبما أخبر سبحانه

عن المنافقين بأنّهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم والرفضة تجعله من أصول دينها وتُسمّية التقيّة وتحكية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين قد نزّههم الله عن ذلك، ويروون في ذلك عن جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «التقية ديني ودين آبائي». وقد نزّه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك. نعم قد أمر سبحانه بالتقيّة من الكفرة ولم يأمر بالكذب والنفاق ولم يكره أحد من أهل البيت على شيء من ذلك حتّى أنّ أبا بكر لم يكره شخصاً من أهل البيت وغيرهم على بيعته، بل كان علي وأهل البيت يظهرون ذكر فضائل الصحابة والترحّم عليهم ولم يكرههم أحد على ذلك، وقد كان في دولة بني أميّة وبني العبّاس خلق عظيم دون علي في الديانة والتقوى ينكرون عليهم المناكير ولم يمدحوهم على شيء فلم يضربوهم ولم يضرّوهم ولم يخافوهم وأولئك لم يكروههم، والمارقة مضافاً إلى تكفيرهم علياً وعثمان والجمهور يتظاهرون بدينهم بل أسرى المسلمين يتظاهرون بدينهم بين الكفرة وهم من أضعف الناس ديناً بالنسبة إلى علي وأهل البيت، فكيف يظنّ بمن دينه أقوى وليس يخاف من أحد التظاهر بالكذب والنفاق؟ وبالجملة فكلّ ما في كتاب الله من خطاب المؤمنين والمتّقين والمحسنين مدحهم فهم أوّل من دخل في ذلك من خير أمّة وأفضلهم لخبر خير القرون، انتهى نقله ملخّصاً من التكرير والتطويل فاقتصرنا على دعاويه بالإشارة إلى ما زعمه أدلّة عليها[1].

---

(١) منهاج السنّة ج٢: ص٨-٤٨

قلت:

وفيها من العجائب ما نشير إليها بوجوه:

أحدها: إنّ ما زعمه من أنّ الله سبحانه قد أثنى على الصحابة ورضي عنهم بعده آيات، فإنّه من أعظم الكذب على الله سبحانه لو قصد بالصحابة جميعهم[1]،

---

(١) لا يخفى أنّ مدح الصحابة في القرآن الكريم والسنّة النبويّة إنّما يكون على أساس القواعد الشرعية المقررة في الإسلام. والقرآن الكريم قد جعل ملاك الأفضليّة بين الناس بالقرب إلى الله عزّ وجلّ فمن كان أقرب إلى الله فهو الأفضل. وقد بيّن سبحانه وتعالى بأنّ الأقربيّة إليه تتحقّق بالتقوى فقال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (سورة الحجرات:١٣). هذه الآية صريحة في أنّ الميزان الواقعي لمدح الإنسان وامتيازه على الآخرين إنّما يكون بالتقوى على الإطلاق، أي: التقوى في جميع المجالات والحالات، وبمفهومها الواسع على جميع أبعادها. حيث أنّ التقوى يعطي الإنسان الإحساس الداخلي بالمسؤولية ويسوقه نحو وقاية النفس من عصيان أوامر الله ونواهيه وما يمنع رضاه أو حفظ النفس حفظاً تامّاً عن الوقوع في المحظورات بترك الشبهات والتدقيق في الدين. فالتقوى هي التي تعطي الإنسان الوعي والوضوح وتفتح له أبواب البصيرة، وتجعل الإنسان دائماً متذكّراً لما أمره الله به أو نهاه عنه، فينتصر بذلك على وساوس الشيطان وهمزاته وتبقى بصيرته على أحسن حالة الصفاء والنقاء. ولذلك جعل الله تبارك وتعالى قبول أعمال العباد بالتقوى فقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّـهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (سورة

←

➔

المائدة:٢٧). ويشترط أن لا يكون مشوباً الباطل والفاسد والغفلة والنسيان. ومن أجل تحقّق هذا الشرط، أمر الله سبحانه وتعالى جميع المؤمنين وأهل التقوى بأن يكونوا مع الصادقين، فقال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (سورة التوبة:١١٩). ويستفاد من الآية المباركة أنّ الإيمان والتقوى مشروطتان باتّباع الصادقين، أي إذا كنتم من مؤمنين ومن المتّقين فعليكم أن تكونوا مع الصادقين وتتّبعون الصادقين حقّاً. فالآية الكريمة تدلّ بالصرحة على أنّ الإيمان والتقوى لا يكونان بوحدهما سبباً للسعادة الأبديّة إلاّ بالاتّباع الصادقين. ولا يخفى على الخبير أنّ الصادقين الذين أمر الله تعالى باتّباعهم هم المعصومون؛ لأنّ المستفاد من القرآن الكريم أنّ الصادقين على الإطلاق هم المعصومون كما هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات:١٥). ففي هذه الآية أنّ الله تعالى شهد بأنّ من له الصفات الأربعة المذكورة في الآية هم الصادقون، ولا شكّ أنّ من كان له الصفات الأربعة المذكورة في الآية، فهو من المعصومين، لأنّ هذه الصفات على إطلاقها فوق قدرة الإنسان العاديين. ولذلك قال الفخر الرازي في تفسيره: وهذا الأمر (كونوا مع الصادقين) أنّ الآية دالّة على أنّ من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة، وهم الذين حكم الله تعالى بكونهم صادقين، فهذا يدلّ على أنه واجب على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ حتّى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ، وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان، فوجب حصوله في كلّ الأزمان (انظر تفسير الفخر الرازي ج١٦: ص٢٢١). فالأمر باتّباع الصادقين في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

🡐

➔

معناه الأمر باتّباع المعصومين. وهذا الأمر يحظى بالأهميّة أيضاً حيث أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا دوماً مع الصادقين، فهو حكم مطلق بلا قيد ولا شرط، مع أنّ غير المعصوم ربما يخطيء، فالأمر على نحو الإطلاق دليل على أنّ المقصود بالصادقين الذي يمكن الوقوف إلى جانبه دائماً واتّباع أوامره على الاستمرار والإطلاق لن يكون إلاّ من المعصومين عليهم السلام. وهناك روايات كثيرة رواها علماء الإسلام ، وهي تدلّ على أنّ المقصود بالصادقين هو الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، فمنها: ما رواه السيوطي في تفسيره بسنده عن ابن عبّاس في قوله ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ قال: مع علي بن أبي طالب (انظر السيوطي ج٣: ص٢٩٠). ومنها: ما رواه القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودّة بسنده عن سلمان أنّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ...﴾، فقال: يا رسول الله هذا عامّة أم خاصّة؟ فقال صلى الله عليه وآله: «أما المأمورون فعامّة المؤمنين، وأما الصادقون فخاصّة أخي عليّ» (ينابيع المودّة ج١: ص٣٤٩). ومنها: ما رواه الحاكم الحسكاني في تفسيره شواهد التنزيل بسنده عن ابن عمر تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾: قال: يعني محمّداً وأهل بيته عليهم السلام (شواهد التنزيل ج١: ص٢٦٢). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها كبار علماء أهل السنّة في المقام. فالمستفاد من الآيات والروايات أنّ مدح الصحابة في القرآن الكريم مشروطة بكونهم أن يتبعوا الصادقين، أي يكونوا تابعين للمعصومين عليهم السلام.

ثمّ إنّ القرآن الكريم لم ينظر إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سوى أنّهم بشر كباقي البشر يصدر منهم كما يصدر من الناس من الذنوب والمعاصي ولا عصمة لأحد منهم وإن كان في الدرجة الأعلى من الإيمان. ومن الواضح أنّ ما جاء في القرآن الكريم في باب التفاضل بين الناس يكون ميزاناً للصحابة أيضاً، فالملاك الوحيد

🡐

➔

عند الله في كرامة الإنسان التقوى مع شرائطها. وكلّما ازدادت هذه الصفة في الإنسان يزداد تقربه إلى الله، وكلما ازداد التقرّب إلى الله فهو الأفضل. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أيّها الناس، ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلاّ بالتقوى» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٤١١). ومع قطع النظر عن هذا الملاك العام الذي يجعل الصحابة في ميزان التعديل والتجريح من خلال الآيات العديدة والروايات المتواترة، فإن استثنينا منهم الصحابة المخلصين الذين سمّاهم القرآن بالشاكرين في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّد إِلَّا رَسُول قَدْ خَلَتْ منْ قَبْله الرُّسُل أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابكُمْ وَمَنْ يَنْقَلب عَلَى عَقبَيْه فَلَنْ يَضُرّ اللَّه شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّه الشَّاكرينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤) وهم قليلون للغاية، فالبقية الباقي منهم يبقون في المنقلبين على الأعقاب الذين ارتدّوا على أدبارهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وتسبّبوا ضلالة أغلب المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعليه إذا كان القرآن الكريم وهو كلام الله الذي لا يستحي من الحقّ والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو الحكم العدل وهو القول الفصل الذي فتح لنا هذا الباب وأعلمنا بأن من الصحابة فيهم المنافقين، وفيهم الفاسقين، وفيهم الظالمين، وفيهم المكذّبين، وفيهم الذين يؤذون الله ورسوله، وإلى غير ذلك من الآيات التي تقدح الصحابة من الجهات العديدة، كما سنذكر الآيات في محلّه إن شاء الله تعالى، معناه أنّ الصحابة كبقيّة الناس العاديين في الإيمان والتقوى، والفسق والفجور. بل أنّ الحجّة قد تضاعفت عليهم بما لم تتضاعف على غيرهم ممّن لم يدركوا حياة النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّ الصحابة أدركوا النبي صلى الله عليه وآله وسمعوا حديثه وأخذوا منه السنّة مباشرةً، وقد أتمّ النبي صلى الله عليه وآله عليهم الحجّة، بينما من لم يرى لنبي صلى الله عليه وآله

➔

لما مضى من آية ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[(١)]،

➔

وقد آمن به فإيمانه أعلى مرتبةً من الصحابة كما هو واضح ظاهر.

فالقرآن الكريم يمدح المؤمنين من الصحابة ويقدح في غير المؤمنين منهم، لما فعلوا من الجرائم والآثام، كما أنّ السنّة النبويّة تكون كذلك، وسنذكرها إن شاء الله في محلّه. فهذا إجمال القواعد والضوابط التي وردت في القرآن والسنّة النبويّة، فما زعمه ابن تيمية من أنّ الله سبحانه قد أثنى على جميع الصحابة فإنّه من أعظم الكذب على الله سبحانه ورسولهﷺ، فلاحظ.

(١) سورة آل عمران: ١٤٤، هذه الآية الكريمة تبيّن حقيقة هامّة في الإسلام وهي أنّ الإسلام لا ينتهي بموت النبيﷺ واستشهاده حتّى إذا قتل النبيﷺ ونال الشهادة في المعركة - افتراضاً - لا ينتهي كلّ شيء ولا يسقط واجب الجهاد والنضال عن كاهل المسلمين، بل إنّ هذا الواجب مستمرّ وعليهم أن يواصلوه، لأنّ الإسلام هو الدين الحقّ الذي أنزله الله ليبقى خالداً إلى الأبد، فلا ينتهي بموت النبيﷺ أو استشهاده. وهذا دليل على حقانيّة النبيّ الأكرمﷺ، لأنّ قيامه ودعوته لو كانت لنفسه وبهدف تحقيق مصالحه الشخصية للزم أن يعمق في الأذهان والقلوب هذه الفكرة، ويزيد من توجيه الأنظار إلى نفسه وأن يكون جميع الأشياء في هذا الدين مرتبطة بشخصه، بحيث إذا غاب عنهم ذهب وانتهى كلّ شيء. ولكن النبي الأكرمﷺ كبقية القادة الإلهية لا يفعلون مثل هذا أبداً، ولا يشجعون على مثل هذه الأفكار، بل يكافحونها بقوّة ويقولون: إنّ أهدافنا أعلى من أشخاصنا وهي لا تنتهي بموتنا وبغيابنا. ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾، والجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم

🡐

➔

استخدم للتعبير عن الردّة إلى الجاهليّة كلمة انقلبتم على أعقابكم، والأعقاب جمع عقب بمعنى التراجع إلى الوراء والارتداد الواقعي، وهو أكثر إيحاءً وأقوى تصويراً من لفظة الردة والرجوع والعودة، لأنّه بمعنى السير القهقرى، أي نزول من قمّة الكمال إلى أسفل الشقاء. ثمّ قال سبحانه: ﴿**وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا**﴾ يعني أن العودة إلى الكفر والوثنيّة تضرّكم أنتم دون الله سبحانه، لأنّ أمثال هذا التراجع معناه التوقّف في طريق الخير وعدم السعي نحو السعادة الكاملة، بل فقدان كلّ ما حصلتموه من العزّة والكرامة والمجد في الإسلام. ثمّ أنّ القرآن يبيّن حقيقة الشاكرين وهم الأقلّية من الصحابة الذين جاهدوا في الله وتحمّلوا الصعوبات في للدفاع عن الإسلام والرسول الأعظمصلى الله عليه وآله فوصفهم الله بالشاكرين، فقال تعالى: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ وبذلك مدح القرآن الكريم استقامتهم وصمودهم، ووصفهم بالشاكرين لأنّهم أحسنوا الاستفادة والانتفاع بالنعم في سبيل الله، وهذا أفضل مصاديق الشكر. فقد ورد عن الإمام الصادقعليه السلام قال: «من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدّى شكرها» (الكافي ج٢: ص٩٦). وفي مقابل هؤلاء الذين أوصفهم الله بالشاكرين جماعة كبيرة من الصحابة أوصفهم الله بصفات القدح كفرارهم من ساحة الحرب وتركهم النبيصلى الله عليه وآله في وسط معركة أحد، حتّى أنّ بعضهم فكر في الردّة عن الإسلام... وقد وبخهم الله تعالى بقوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٥). وهو يكرّر توبيخهم وتنبيههم إلى أن الموت بيد الله والفرار لا ينفع في الخلاص من الأجل الإلهي، فلماذا خاف الصحابة وكفّوا عن القتال؟!!!

وممّا يؤسف أنّ ابن تيمية وأتباعه مع علمهم بأنّ أكثر الصحابة أرعبوا وزلزلوا في

🡐

وآية ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1]،

➔

معركة أحد لشائعة مقتل النبيﷺ وتركوا لنبيﷺ في ساحة المعركة وهربوا، بل وبعضهم ارتدّوا عن الإسلام، حتّى نزلت آية انقلبتم، ومع ذلك كلّه يكذبون على الله ويقول: إنّ الله تعالى مدح جميع الصحابة في القرآن!!

(١) سورة سبأ: ١٣، هذه الآية الكريمة تبيّن حقيقةً هامّة وهي أنّ من صفات المؤمنين الحقيقيين التقدير من المواهب الإلهية، ولا يخفى أنّ من أعظم النعم الإلهيّة على البشريّة هي الرسالة المحمّديةﷺ وسفارته الربانيّة، فإنّ الله تبارك وتعالى اصطفاه على العالمين وخصّه بالكرامات العظيمة واستخلصه لنفسه فجعله رحمة للعالمين، فعامّة البشر والخلائق في الدنيا والآخرة مشمولون لرحمته، لأنّه نشر الدين لإنقاذ البشرية من المهالك ومن الجهل، وأخذ بيدهم وهداهم إلى السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، فتكفّل النبيﷺ بنشر الدين الذي ينقذ الجميع من الظلم والجور والجهل و...، فإذا كان جماعة قد انتفعوا به وآخرون لم ينتفعوا من هذه النعمة العظيمة فإن ذلك يتعلّق بهم أنفسهم ولا يخدش في عموميّة رحمة النبيﷺ. وهذا يشبه تماماً بأن يؤسّس جماعة مستشفى مجهّزة لعلاج كل ّالأمراض وفيها الأطبّاء المهرة وأنواع الأدوية ويفتحوا أبوابها بوجه كلّ الناس بدون تمييز، أليست هذه المستشفى رحمة لكلّ أفراد المجتمع؟ فإذا امتنع بعض المرضى العنودين من قبول هذا الفيض العامّ فسوف لا يؤثّر في كون تلك المستشفى عامّة المنفعة. وبتعبير آخر فإنّ كون وجود النبيﷺ رحمة للعالمين، فإنّ صفة رحمته تكون من باب المقتضي وفاعليّة الفاعل، ومن المسلّم أن الفعليّة هي النتيجة، ولها علاقة بقابليّة القابل، فإذا امتنع القابل عن قبول هذه الرحمة فلا قصور في المقتضي. وبعبارة ثالثة: كما أنّ فاعلية الفاعل شرط في الهداية التكوينيّة وفي الهداية

🡨

➔

التشريعيّة، كذلك قابليّة القابل شرط فيهما أيضاً، فإنّ الأرض السبخة لا تثمر وإن هطل عليها المطر آلاف المرّات، فقابليّة الأرض شرط في استثمار ماء المطر، وساحة الوجود الإنساني لا تتقبّل بذر الهداية ما لم يتم تطهيرها من اللجاج والتعصّب والعناد. وعليه فإنّ من اتّبع الرسولﷺ وأطاعه فيدخل في تلك الرحمة الواسعة. فالتعبير بالعالمين له إطار واسع يشمل كلّ البشر وعلى امتداد الأعصار والقرون، ولذلك فإنّ نبوّة خاتم الأنبياءﷺ وإمامة أوصيائه الطاهرين المعصومينعليهم السلام من أعظم النعم الإلهيّة على البشريّة، لأنّ الإمام كالنبي قدوة لكلّ الناس فهو أيضاً رحمة للعالمين، فمن اهتدى بهم فقد اهتدى إلى صراط مستقيم، ومن حاز إلى هذه المرتبة فهو من الذين أوصفهم الله بالشاكرين، كما قال تعالى: ﴿**وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤)، ولذلك مدحهم القرآن الكريم ومدح استقامتهم وصمودهم، ووصفهم بالشاكرين لأنّهم أحسنوا الاستفادة والانتفاع بالنعم في سبيل الله وهذا أفضل مصاديق الشكر. ثمّ إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شكرنا في مقابل نعمه علينا، وإذا أمرنا بالشكر فذاك لنعمة أُخرى وهي التربية، فقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾ (سورة غافر:٦١). وأمّا ترك الشكر على النعمة كفران، لما قال تعالى: ﴿**وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ (سورة البقرة:١٥٢). ومن لطيف اشتمال الآية على التصريح بالوعد والتعريض في الوعيد حيث قال تعالى: ﴿**إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ (سورة ابراهيم:٧) فإنّ قوله تعالى: لأزيدنّكم ذلك من دأب الكرام في وعدهم ووعيدهم غالباً ، وقوله تعالى: "إنّ عذابي لشديد" ولم يقل لأعذّبنّكم ، وذلك للإشارة إلى أنّ رحمته تعالى سابق على غضبه وعذابه. ومع ذلك كلّه فإنّ أهل الشكر قليل قال الله

➔

فإنّهما برهان جلي معلوم دلّ على كون الصحابة بعد فوت سيّد الرسل صلى الله عليه وآله على قسمين: قسم منهم وهم القليل ثابتون على الدين(١)،

➔

تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (سورة سبأ:١٣)، أي أنّ أغلب الناس لا يقدرون النعم والمواهب الإلهية ، كما قال تعالى: ﴿**قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ (سورة العنكبوت:٦٣)، فإنّ الجهل والطغيان سبب لكفران النعمة، فلاحظ.

(١) والمقصود بهما قوله تعالى: ﴿**انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ وهما تدلان على أنّ الصحابة المخلصين الملتزمين بأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قد أثنى عليهم القرآن الكريم بالفضل والفضيلة وسمّاهم الله بالشاكرين، فقال تعالى: ﴿**وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤)، وقد مدح الله سبحانه هؤلاء الصحابة من جهة ثباتهم واستقامتهم وصمودهم في سبيل الدين وإحياء كلمة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وصيانة شريعته المقدّسة والتضحية بأرواحهم الطاهرة من أجل إعلاء كلمة الدين والجهاد دون الإسلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته وعترته الطاهرين عليهم السلام. فهؤلاء الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله حقيقةً وبقوا على بيعتهم ثابتين، ولم ينكثوا ولم ينقصوا من شرط العهد شيئاً كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (سورة الفتح:١٠)، فكما ترى أنّ البيعة الحقيقية التي ذكرها الله في الآية الكريمة هي المعاهدة على اتّباع النبي صلى الله عليه وآله وطاعته إلى آخر لحظة حياتهم، من دون نقض ونكث، فعند ذلك يكون لهم الأجر من الله تعالى. فالمقصود من البيعة في القرآن الكريم هي العهد الجازم مع رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّ يقدّمون جميع أموالهم وأرواحهم

🡐

➔

لرسول الله صلى الله عليه وآله، فالصحابة الأوفياء هم الذين كانوا يظهرون وفاءهم للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الظاهر والواقع. وعلى هذا يتّضح معنى قوله تعالى: ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾، إذ هذا التعبير كناية عن أن بيعة النبي صلى الله عليه وآله هي بيعة الله، فكأن الله قد جعل يده على أيديهم فهم لا يبايعون النبي صلى الله عليه وآله فحسب بل يبايعون الله، وذلك لالتزامهم بالعهد الذي عاهدوا به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. ثمّ يضيف القرآن الكريم قائلاً: ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾، وكلمة نكث معناها نقض العهد. وهذه العبارة فيها الإنذار والتهديد من الله سبحانه على جميع المبايعين للنبي صلى الله عليه وآله فيأمرهم أن يثبتوا على عهدهم وبيعتهم، ومن ثبت على عهده فسيؤتيه الله أجراً عظيماً، ومن نكث فإنّما يعود ضرره عليه ولا ينال الله ضرره أبداً... بل إنّه سبحانه وتعالى يهدّد الصحابة الذين يريدون نقض البيعة والعهد فيقول لهم: إنّ نقضكم للبيعة لا يضرّر الرسول صلى الله عليه وآله، وإنّما ضرر ذلك يلحق بكم؛ لأنّ رضوان الله وحسن العاقبة إنّما تكون مشروطة بالوفاء بالعهد وعدم نكث البيعة. وقد ورد في كلام مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: «إن في النار لمدينة يقال لها الحصينة، أفلا تسألوني ما فيها؟! فقيل له: ما فيها يا أمير المؤمنين؟! قال: فيها أيدي الناكثين» (روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص٥٠٧). ومن هنا يتّضح بجلاء أنّ المؤمنين الثابتين على الإيمان ، والمخلصين الأوفياء ، والمضحين بأنفسهم في سبيل الله ورسوله صلى الله عليه وآله لهم أجرهم عند الله ، ومن أهمّ تلك الأجور رضوانه تعالى عليهم كما عبّر عن ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (سورة التوبة:٧٢)، فالآية تدلّ على أنّ رضوان الله إنّما يشمل الثابتين والمخلصين

➔

وقسم منهم وهم الكثير منقلبون عن الدين[(١)]،

➔

من الصحابة الملتزمين بأوامر النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه ممّن لم ينكث بيعته، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٤٤)؛ والآية صريحة وجلية في أنّ أكثر الصحابة انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة الرسولصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه ولم يثبت منهم إلاّ القليل كما دلّ على ذلك التعبير عن المؤمنين بالشاكرين، والقرآن يدلّ على أنّ عدد الشاكرين قليل جداً كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ:١٣). فالصحبة في حدّ نفسها لم تكن مزية إلاّ أن يكون من المؤمنين الذين سماهم الله بالشاكرين. ومن خرج عن هذا الإطار فهو من المنحرفين الذين سماهم الله تعالى بالمنقلبين على الأعقاب. وعليه فإنّ الانحراف عن الخطّ السليم الذي رسمه الله ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه للأمّة بالنسبة إلى إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيهِالسَّلَامُ هو نوع من التراجع والارتداد عن منهج الرسالة في تطبيق أوامره ونواهيهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه، وهذا هو معنى الروايات الواردة في مصادر أهل السنّة بأنّ العرب ارتدّوا كلّهم بعد الرسولصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه عدا فئة في المدينة (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٧٥). وهناك نصوص و أدلة تدلّ على ارتداد أكثر الصحابة بعد وفاة الرسولصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه في مصادرأهل السنّة، وهي كثيرة جداً، منها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس قال: خطب النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه فقال: «إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، ثمّ إنّ أوّل من يكسى يوم القيامة إبراهيم إلاّ أنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال

➔

➔

العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ...﴾» إلى قوله «شهيد، فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (صحيح البخاري ج٥: ص٢٤٠ كتاب تفسير القرآن، باب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا). ومنها: ما رواه بسنده عن أبي هريرة انّه كان يحدّث أنّ رسول اللهﷺ قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، وقال عبد الله بن زيد: قال النبيﷺ: «اصبروا حتّى تلقوني على الحوض...»). فإنّ قولهﷺ: «ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» معناه: الارتداد عن الإسلام، لأنّ الرجوع القهقرى مشعر بالجاهليّة الأولى. ثمّ إنّ قولهﷺ: «لا تدري ما أحدثوا بعدك»، فإنّ ما أحدثوا ظاهر في أنّهم أحدثوا في الإسلام، لأنّ الأحداث بقرينة الجاهلية، ليس إلاّ الارتداد عن الدين بعد النبيﷺ، أي من الأمور المحدثة على الدين التي ليست منه. ومن الواضح أنّ بقاء الدين إنّما يكون بمن يقوم مقام النبيﷺ، حيث أنّ من مسؤوليات النبيﷺ حفظ الدين، فتكون هذه المسؤولية بعد النبيﷺ على عاتق الإمام وخليفته، ولذلك أنّ الإمامة تكون من أوجب الواجبات على المسلمين بعد النبيﷺ حتّى عند أهل السنّة، لأنّ بالإمام والخليفة يحفظ الدين. والأدلّة الثابتة لدى الفريقين من الكتاب والسنّة تدلّ على أنّ الصحابة بايعوا مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خم للإمامة والخلافة، وقد تمّت هذه البيعة عليهم الحجّة من الله ورسولهﷺ، ولكن بغصب الخلافة من مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في السقيفة، ارتدّوا بعد وفاة رسول اللهﷺ، وهذا معنى الانقلاب على الأعقاب، لأنّ الارتداد

➔

فمـن يـؤمن بـالله وفرقانـه العظـيم يجـب عليـه أن يـصدّق بـه جميعـه عامّـة وخاصّة[1]،

➔

عن الإسلام تراجع إلى الجاهلية الأولى، وسيأتي البحث فيه مفصّلاً إن شاء الله تعالى. فثبت أنّ المرتدّين من الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ هم المنقلبون على الأعقاب في الآية المباركة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ حقيقة الإيمان بالقرآن الكريم هي التصديق بجميع ما جاء فيه، فيلزم على من يؤمن بكتاب الله الإذعان بجميع ما جاء في القرآن الكريم. فلا معنى للإيمان ببعض الآيات وترك ببعضها الآخر، قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة:٨٥). فالاعتقاد بالقرآن الكريم يستلزم الاعتقاد بجميع ما جاء فيه لا قبول بعض ما جاء فيه ورفض البعض الآخر. والحقيقة أنّ خطاب القرآن في الآية الكريمة متوجه إلى جماعة كانوا يتّبعون أهواءهم ونزواتهم ويسيرون وراء عصبيّاتهم الجاهليّة، فما كانت من الآيات تطابق أهوائهم النفسانية كانوا يقبلونها وما لم تكن كذلك كانوا يرفضونها. فنزلت الآية وبيّنت بأنّ هذه الحالة ما هي إلاّ نوع من عبادة الهوى ولا صلة لها بالإيمان بالقرآن الكريم، فالإيمان الحقيقي هو ما يدفع الإنسان إلى قبول جميع ما جاء في الكتاب العزيز، سواء طابقت هواه وميوله أو خالفتهما. ولذلك أنّ الآية الكريمة تقول: أنّ الذين يزعمون أنهم يؤمنون بالله، ولكن يؤمنون ببعض ما جاء به الله ويكفرون ببعض الآخر فهؤلاء كفّار حقيقةً، لأنّ عدم الإيمان ببعض الآخر معناه تكذيب تلك الآيات الإلهية، ومن الواضح أنّ مرجع تكذيب آيات الله عزوجل إلى الكفر. وعلى هذا الأساس فإنّ ما كانوا

🡐

➔

يتظاهرون بإيمان ببعض كتاب الله في الحقيقة أنّهم لم يؤمنوا بكتاب الله مطلقاً، لأنّ إيمانهم لا ينبع من روح الطلب الحقيقي والواقعي، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**﴾ (سورة البقرة:٤١). فإنّ المستفاد الفقرة من الآية أنّ المتوقّع من المسلمين الإيمان بجميع ما جاء في القرآن، والإيمان بجميع ما جاء في القرآن الكريم يقتضي الإيمان بجميع ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ القرآن الكريم أمر المسلمين بأنّ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ (سورة الحشر:٧). فممّا جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكأنّما الآية تقول: لا عجب من المشركين والوثنين أن يكفروا بما أنزل من الله على رسوله صلى الله عليه وآله، بل العجب منكم المسلمين في عدم إيمانكم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله. فالآية تؤكّد على أنّ الإيمان الصادق بالقرآن الكريم يقتضي التصديق بجميع ما جاء به الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ومقتضى ذلك أنّ الصحابة الذين كانوا يعتقدون بالقرآن الكريم وكانوا يؤمنون به حقّ الإيمان فهم كانوا ثابتين على ما أمرهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله في جميع ما جاء به الإسلام ومن جملة ما جاء به الإسلام إمامة أهل البيت عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله. فعندما يتحدّث القرآن عن الصحابة الأوفياء يتكلّم عنهم بهذه الأوصاف والعلامات: أنّهم ثابتين على إيمانهم، وإنّهم من الشاكرين، وأنّهم بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وبقوا ثابتين على بيعتهم ولم ينكثوا بيعتهم في جميع ما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وإذا استثنينا هؤلاء الصحابة المخلصين الشاكرين فإنّ البقيّة الباقية منهم وصفهم الذكر الحكيم بأنّهم: فاسقون، أو خائنون، أو متخاذلون، أو ناكثون، أو منقلبون، أو شاكّون في الله وفي رسوله، أو فارّون من الزحف، أو معاندون للحقّ، أو عاصون أوامر الله ورسوله، أو مثبّطون

➔

فالعمومات التي دلّت على مدحهم والرضا عنهم مخصوصة بمن ثبت على الدين ولم ينقلب عنه، فمن عمل بالعامّ ولم يعمل بالخاصّ فقد كذّب ببعض الكتاب متابعاً لهوى نفسه[1]،

➔

غيرهم عن الجهاد، أو منفضّون إلى اللهو والتجارة، أو تاركون الصلاة، أو قائلون ما لا يفعلون، أو ممنّون على رسول الله ﷺ إسلامهم، أو قاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ، أو رافعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، أو مؤذون رسول الله ﷺ، أو سمّاعون للمنافقين وإلى غير ذلك من الأوصاف التي سنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى أنّ المقصود بالعام: هو اللفظ الشامل بمفهومه لجميع ما يصلح انطباق عنوانه عليه في ثبوت الحكم له. والمقصود بالخاصّ: هو الحكم الذي لا يشمل إلاّ بعض أفراد موضوعه. ولا يخفى على الخبير أنّ دليل العام يكون حجةً مادام لم يرد الدليل الخاصّ. فلو ورد دليل خاصّ يلزم العمل به، لأنّه حجّة عليه، وأنّ العامّ ليس هو المراد الجدّي للمتكلّم بعد ورود الخاصّ. فإذا قال المولى: أكرم كلّ عالم، ثمّ قال: لا تكرم الفسّاق، فمعناه أنّه أخرج الفسّاق من العلماء عن عموم الطلب، فظهور العموم لم يكن مراداً جدّاً للمولى، بل مراده الجدّي له هو ظهور الدليل الخاصّ. وبعبارة أخرى أنّ المراد في ظهور العام هو الظهور استعمالي، لا الظهور الحقيقي.

إذن أنّ العمومات الدالّة على مدح الصحابة في القرآن الكريم لا يكون ظهورها مراداً للشارع الأقدس، بل ظهورها ظهور إستعمالي، لا حقيقي، لأنّ هذه العمومات مخصّصة بمن لم ينقلب على عقبيه ومن لم ينكث بيعته ومن بقي ثابتاً في إيمانه بالله ورسوله ﷺ. وقد ذمّ الله تعالى أكثر الصحابة في كثير من الآيات وهي

➔

➔

تخصّص العمومات، وسنذكرها إن شاء الله من خلال المباحث الآتية. وكما ذمّ سبحانه وتعالى من لم يؤمن بجميع آيات الله، بل آمن ببعضها ولم يؤمن ببعض الآخر، فإنّ معنى ذلك الكفر ببعض آيات الله، وقد توعدّهم الله تعالى بوعيد شديد فقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة:٨٥)؛ فإنّ الآية صريحة في أنّ الإيمان ببعض الكتاب دون بعض الآخر كفر، لأنّ عدم الالتزام ببعض آيات الله معناه رفض من لم يؤمن بها ورفض من لم يؤمن بآيات الله الآيات معناه عدم الإيمان بالكتاب، لأنّ عدم الإيمان بالبعض معناه التكذيب ببعض الكتاب والتكذيب ببعض آيات الله كفر بالله سبحانه وتعالى قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (سورة البقرة: ٨٥-٨٦). فذمّ القرآن الكريم بأبلغ المراتب الذمّ هذه طائفة من المنافقين الذين كانوا يرفضون حكم الله ورسوله ﷺ. فالآية تنفي عنهم الإيمان نفيًا صريحًا، فقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (سورة المائدة:٤٩)، وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النور:٤٧)، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (سورة النور:٤٨)، وإلى غير ذلك من الآيات الدالّة على عدم الإيمان الكامل بكتاب الله، أي من كان يرفض العمل ببعض آيات الله عزّ وجلّ.

➔

فإنّ الكتاب جميعه من عند الله، فتصديق بعضه وتكذيب بعض محض لعب ومتابعة للهوى والشيطان من دون ريب[1] فتدبّر.

←

فالعمومات الدالّة على مدح الصحابة أو الرضا عنهم مخصوصة بما ثبت في القرآن من ثباتهم على الدين وعدم انقلابهم على الأعقاب وعدم نكث بيعتهم في الإسلام، وما إلى غير ذلك ممّا جاء في القرآن الكريم أو جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله. فالعمل بالعامّ دون الخاصّ من الكتاب والسنّة معناه تكذيب الخاصّ وتكذيب الخاص تكذيب لما جاء به الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وهو ينتهي إلى الكفر فلاحظ.

(١) وملخّص الكلام أنّ جميع القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى وجعله حجّة على العباد، فمن صدّق بجميع ما جاء من عند الله، يجب عليه العمل بجميع ما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ. فلو لم يعمل ببعض ما جاء في القرآن الكريم فهو مكذّب به، لأنّ جميع القرآن حجّة على الناس إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ (سورة ابراهيم:١). وفي الواقع أنّ جميع الأهداف التربويّة والإنسانية، المعنويّة والماديّة من نزول القرآن قد جمعت في هذه الجملة: ﴿**لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾، لأنّ الخروج من ظلام الجهل إلى نور المعرفة، ومن ظلام الكفر إلى نور الإيمان، من ظلم الظالمين إلى نور العدالة، ومن الفساد إلى الصلاح، ومن الذنوب إلى الطهارة والتقوى، ومن التفرقة والنفاق إلى نور التوحيد إنّما يكون بهداية الله عزّ وجلّ. ومن الطريف أنّ "الظلمات" هنا كما في بعض السور الأخرى جاءت بصيغة الجمع و"النور" بصيغة المفرد، وهذه إشارة إلى أنّ كلّ الحسنات والطيّبات والإيمان والتقوى لها حالة واحدة في ظلّ التوحيد ونوره، فهي مترابطة، وذلك يعرف من قوله تعالى: ﴿**أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ**

→

➔

إِلَى النُّورِ﴾، وهي الهداية الربانية، المترابطة والمتّحدة فيما بينها، فهي التي تجعل المجتمع مجتمعاً واحداً متّحداً وطاهراً من كلّ جهة. فالقرآن الكريم جميعه حجّة ويجب أن يأخذ به. ولا بدّ أن يكون القرآن قدوة للمسلمين ومكانه في رأس حياتهم، ويكون في صميمها لا على هامشها، وأن ينفّذوا كلّ أوامره، وأن يجعلوا خطوط حياتهم وطبيعتها منسجمة معه، لكن جماعة من المسلمين - مع الأسف الشديد - لا يتعاملون مع القرآن إلاّ على ما تقتضي مصالحهم منه، ويهتمّون به أشدّ الاهتمام بالتجويد ومخارج الحروف وحسن الصوت، لا أنّه دستور جامع لحياة البشر، واكتفوا بترديد ألفاظه وقنعوا بذلك. والجدير بالانتباه أنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (سورة ص:٢٩). هذه الآية بصراحة تقول: أنّ المنافقين المرضى القلوب لم يتدبّروا في القرآن فلاقوا هذا المصير الأسود. فالتدبّر هو التحقيق والبحث والتفكّر فيه ومعرفة معانيه ومراداته، وقد حثّت آيات القرآن الكريم ونصوص السنّة المباركة على التدبّر، ومن ذلك فقال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (سورة محمّد:٢٤). فإنّ الآية الكريمة ذكرت العلّة الحقيقية لانحراف هؤلاء القوم التعساء، فقالت: أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟

نعم، إنّ عامل مسكنة هؤلاء وضياعهم أحد اثنين: إمّا أنّهم لا يتدبّرون في القرآن برنامج الهداية الإلهيّة والوصفة الطبّية الشافية تماماً، أو أنّهم يتدبّرونه إلاّ أنّ قلوبهم مقفلة نتيجة اتّباع الهوى والأعمال التي قاموا بها من قبل، وهي مقفلة بشكل لا تنفذ معه أي حقيقة إلى قلوبهم. وبتعبير آخر: فإنّهم كرجل ضلّ طريقه في الظلمات فلا سراج في يده ولا هو يبصر إذ هو أعمى، فلو كان معه سراج وكان مبصراً فإنّ الاهتداء إلى الطريق في أي مكان سهل ويسير. والتعبير بالأقفال من جهة أنّه لما

🡐

وثانيها: ما زعمه من أنّ الرفضة في قلوبهم غِلّ على الصحابة وعلى متابعيهم، فإنّه من عجيب البهتان وشنيعه[(١)]،

➔

كان القفل شيئاً صلباً لا ينفذ فيه شيء، ولذلك فقد أطلقت هذه الكلمة على من كان قلبه لا يقبل الحقيقة. فإنّ ابن تيمية وأتباعه السلفيّة لا يقبلون الآيات الدالّة على ذمّ الصحابة، فيكرّرون عمومات القرآن ويعرضون عن الخواصّ منها، فهؤلاء الذين أوصف قلوبهم بالأقفال. والقرآن الكريم جميعه من عند الله فتصديق بعضه وتكذيب بعض الآخر تلاعب بالآيات الكريمة ومتابعة للهوى والشيطان من دون ريب، ولا خير في قراءة القرآن مع عدم التدبّر فيه. قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر» (الكافي ج١: ص١٦)، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ موقف الشيعة من الصحابة موقف القرآن الكريم والسنّة النبوية والعقل والوجدان، فإنّ الصحابة بشر كغيرهم من الناس العاديين يجب عليهم ما يجب على كلّ الناس ويحقّ لهم ما يحقّ لكلّ الناس، وإنّما لهم فضل الصحبة للنبي صلى الله عليه وآله إذا احترموها ورعوها حقّ رعايتها، وحافظوا على حدودها وشروطها، وثبتوا على عهدهم. وبهذه الجهة تكون مسؤوليتهم أكبر وأشدّ من غيرهم، لأنّ الذي سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة ورأى نور النبوّة وشهد معجزاته وتيقّن بما جاء به وحظي بتعاليمه صلى الله عليه وآله ليس كمن عاش في زمن ما بعد النبي صلى الله عليه وآله ولم يسمع منه مباشرة. فلا شكّ أنّ العقل والوجدان يفضلان رجلاً يعيش في زماننا ويقيم على احترام الكتاب والسنّة وتنفيذ تعاليمهما على صحابي الذي عاش مع رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحبه ولم يدخل الإيمان في قبله وأسلم استسلاماً لعجزه عن مقابلته، بل ارتدّ

➔

➔

وانقلب على عقبيه بعد وفاة رسول اللهﷺ. فإنّ الصحابي الطاغي والعاصي أولى بالعذاب الإلهي من غيره؛ لأنّ من سمع من رسول اللهﷺ مباشرة يحصل له اليقين والقطع بمقامهﷺ، وبآيات الله. وهذا موجب لتضاعف مسؤوليّته تجاه وظيفته في المجالات العقائديّة والعمليّة والتعاليم الدينيّة وإقامة الأحكام الإلهيّة وجميع المشتركات العامّة. وذلك بمعنى أنّه سبحانه سيعامل معهم حسب إتمام الحجّة عليهم. فالصحبة بمجرّدها وإن كانت عندنا فضيلة جليلة ولها آثارها في نتيجة أعمالهم بمقتضى العدل الإلهي، لكنّها -بما هي ومن حيث هي- غير عاصمة، فالصحابة كغيرهم من الناس فيهم العدول وفهم العظماء وفيهم العلماء، وفيهم المخلصون، وفيهم البغاة، وفيهم أهل الجرائم، وفيهم المنافقون، وفيهم الظالمون، وفيهم المبتدعون، وفيهم الناكثون وفيهم المارقون، وفيهم المرتدّون، وفيهم مجهول الحال، وفيهم المؤمن الذي استكمل إيمانه، وفيهم ضعيف الإيمان، وفيهم الذي لم يدخل الإيمان قبله، وفيهم التقي الزاهد.... فالشيعة يحترم عدولهم ويتولاّهم في الدنيا والآخرة، ومجهول الحال منهم يتوقّف فيه حتّى يتبيّن أمره. أمّا البغاة منهم الذين بغوا على الوصي وأخي النبيﷺ وأهل الجرائم منهم كابن هند وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرطاة وأمثالهم فلا كرامة لهم ولا وزن لهم عند أهل الدين والعلم، ويسمّون بالمنافقين، وممّا جاء في حقّهم قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ (سورة التوبة:١٠١). وقوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ (سورة المنافقون:١). وقوله تعالى: ﴿**ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ**

🡐

➔

رَسُوله وَٱللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ﴾ (سورة التوبة:٩٧). وقوله تعالى: ﴿لَقَد ابْتَغَوُا الْفتْنَةَ من قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّه وَهُمْ كَارهُونَ﴾ (سورة التوبة:٤٨). وقوله تعالى: ﴿يَحْلفُونَ باللَّه مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلمَةَ الْكُفْر وَكَفَرُوا بَعْدَ إسْلَامهمْ وَهَمُّوا بمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ من فَضْله فَإن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ إن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَليمًا في الدُّنْيَا وَالْآخرَة وَمَا لَهُمْ في الْأَرْض من وَليٍّ وَلَا نَصيرٍ﴾ (سورة التوبة:٧٤)، وإلى غير ذلك من الآيات التي فيها الذمّ والقدح بالنسبة إلى المنافقين من الصحابة، ولكن ابن تيمية وأتباعه بالغوا في تقديس كلّ من يسمّونه صحابياً حتّى إذا كان من المنافقين. فيحتجّون بالغثّ السمينمن الصحابة، ويقتدون بكلّ من سمع النبيﷺ أو رآه اقتداءً أعمى، وينكرون على من يخالفوهم في هذا الغلوّ أشدّ الإنكار، لاسيّما حينما يرون أنّ الشيعة يستدلّون بالكتاب والسنّة النبويّة الصحيحة عندهم لتعديل الصحابة وتجريحهم حسب ما جاء في كتبهم. وعندما يثبت الشيعة بالأدلّة الصحيحة عند أهل السنّة بأنّ أكثر الصحابة قد ورد في حقّهم الذمّ على لسان الله ورسولهﷺ، فيشدّدون ويشنعون على الشيعة باتّهامات كاذبة وباطلة رجماً بالغيب وتهافتاً على الجهل، فما ذنب الشيعة إذا أرادوا أن يعملوا بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينية حسب ما جاءهم في كتاب الله وسنّة رسول اللهﷺ؟!! فإنّ البحث عن الصحيح من الآثار النبويّة يقتضي التمحيص لمعرفة العدول عن غيرهم، والنقد والتجريح لمن ثبت أفعالهم الشنيعة ضدّ الإسلام ونبيّ الأكرمﷺ والأمّة الإسلاميّة. وإذا كان ابن تيمية يرى أبا سفيان ومعاوية ويزيد وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شبعة وبسر بن أرطأة كلّهم من الصحابة وقد تولّوا إمارة المسلمين وحكموهم، فكيف لا يمنع أتباعه عن الخوض في نقد الصحابة؟

🡐

➔

وكيف لا ينشر الأحاديث المختلقة وروايات مكذوبة للقول بعدالتهم جميعاً وإن كان يستلزم التناقض في المعارف الدينية. وفي نفس الوقت لا يتجرّأ أحد على نقدهم أو ذكر أفعالهم! ومن يفعل ذلك من المسلمين يسمّوه كافراً وزنديقاً ويفتون بقتله وعدم تغسيله وتكفينه، وإنّما يدفع بخشبة حتّى يواري في حفرته كما صرّح بذلك ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول (انظر الصارم المسلول لابن تيمية: ص٥٧٥، نقلاً عن أبي يعلى). وحتّى لا يتوهّم معاندٌ في آيات المنافقين ويحاول فصلهم عن الصحابة كما يقول بذلك أهل السنّة، فلنذكر هنا الآيات التي تخصّ المؤمنين من الصحابة لئلاّ يبقى لهم مجال للعذر؛ فقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ * إِلا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماًوَيَسْتَبْدِلْ قَوْماًغَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التوبة: ٣٨-٣٩). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة:٥٤). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: ٢٧-٢٨). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (سورة الأنفال: ٢٤-٢٥). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ

➔

➔
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَ * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلاّ غُرُوراً﴾ (سورة الأحزاب: ٩-١٢). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف: ٢-٣). وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ﴾ (سورة الحديد:١٦). وقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلْ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الحجرات:١٧). وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ (سورة التوبة:٢٤). وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (سورة الحجرات:١٤). وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (سورة التوبة:٤٥). وقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (سورة التوبة:٤٧). وقوله تعالى: ﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة التوبة:٨١). وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ
➔

➔
حَسبَ الَّذينَ في قُلُوبهمْ مَرَضٌ أنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّهُ أضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لأرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بسيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ القَوْلِ وَاللّهُ يَعْلَمُ أعْمَالَكُمْ﴾ (سورة محمد:٣٠). وقوله تعالى: ﴿وَإنَّ فَريقاً منَ المُؤْمنينَ لَكَارهُونَ * يُجَادلُونَكَ في الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأنَّمَا يُسَاقُونَ إلَى المَوْت وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ (سورة الأنفال:٦). وقوله تعالى: ﴿هَا أنْتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لتُنفقُوا في سَبيل اللّه فَمنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسه وَاللّهُ الغَنيُّ وَأنْتُمُ الفُقَرَاءُ وَإنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أمْثَالَكُمْ﴾ (سورة محمّد:٣٨). وقوله تعالى: ﴿وَمنْهُمْ مَنْ يَلْمزُكَ في الصَّدَقَات فَإنْ أُعْطُوا منْهَا رَضُوا وَإنْ لَمْ يُعْطَوْا منْهَا إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (سورة التوبة:٥٨). وقوله تعالى: ﴿وَمنْهُمْ مَنْ يَسْتَمعُ إلَيْكَ حَتَّى إذَا خَرَجُوا منْ عنْدكَ قَالُوا للَّذينَ أُوتُوا العلْمَ مَاذَا قَالَ آنفاً أُوْلَئكَ الَّذينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبهمْ وَاتَّبَعُوا أهْوَاءَهُمْ﴾ (سورة محمد:١٦). وقوله تعالى: ﴿وَمنْهُمُ الَّذينَ يُؤْذُونَ النَّبيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْر لَكُمْ يُؤْمنُ باللّه وَيُؤْمنُ للْمُؤْمنينَ وَرَحْمَةٌ للَّذينَ آمَنُوا منْكُمْ وَالَّذينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّه لَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ﴾ (سورة التوبة:٦١). وإلى غير ذلك من الآيات البيّنات فإنّها كاف لإقناع الباحثين بأنّ الصّحابة ينقسمون إلى قسمين اثنين: الأوّل: قسمٌ آمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وأسلم أمره، فأطاع الله ورسوله صلى الله عليه وآله وتفاني في حبّهما وضحّى في سبيلها وكان من الفائزين، وهؤلاء يمثّلون الأقليّة من الصحابة وقد سمّاهم القرآن: ﴿الشَّاكرينَ﴾. الثاني: قسمٌ آمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله ظاهرياً ولكنّ قلبه فيه مرض، فلم يسلم أمره إلاّ لمصلحة شخصيّة ولمنافع دنيويّة، فكان يعارض الرسول صلى الله عليه وآله في أحكامه وأوامره ويقدّم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فهؤلاء يمثّلون الأكثريّة من الصحابة، وقد عبّر عنهم القرآن بأوجز تعبير، إذ يقول عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ جئْنَاكُمْ بالحَقِّ وَلَكنَّ أكْثَرَكُمْ للْحَقِّ كَارهُونَ﴾ (سورة
➔

➔
الزخرف:٧٨). وبهذه الآيات وغيرها يمكن للباحث أن يكشف الحقيقة عن أكثريّة الصحابة الذين كانوا في عصر النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ويعيشون معه ويصلّون خلفه ويصحبونه في حلّه وترحاله ويظهرون الإسلام، بل وبعضهم كان يظهر كثرة التعبّد في أعين الناس كما ورد ذلك في الصحابي المعروف بذي الثدية، فقد أخرج أبو يعلى الموصلي في مسنده بسنده عن أنس بن مالك، قال: كان في عهد رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ رجلٌ يعجبنا تعبّده واجتهاده، وقد ذكرنا ذلك لرسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ باسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجلُ، قلنا: هو ذا! قال رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «إنّكم تخبروني عن رجل إنّ في وجهه لسعفةٌ من الشيطان، إنّ هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، اقتلوهم فهم شرّ البريّة» (انظر مسند أبي يعلى ج١: ص٩٠)، ورواه ابن حجر في الإصابة ج٢: ص٣٤١، والدار القطني في سننه ج٢: ص٤١ وغيرهم. فإذا كان هذا حال الصحابة في حياة النبيّصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فكيف بهم بعد وفاتهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ؟ فلا شكّ بأنّهم نشطوا في مخالفتهم لكتاب الله ولسنّة رسولهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، لأنّهم وجدوا أنّ الطريق للمخالفة أمامهم مفتوحة، فازدادوا في مخالفتهم ومحاربتهم للإسلام، بل وبشكل صريح بعد ما تسلّطوا على الناس بالغدر والغلبة بالسيف في السقيفة تواطئوا على الشقاق والافتراق بين الناس، وقد سمّاهم رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بالمرتدّين على الأعقاب كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: قام فينا النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يخطب فقال: «إنّكم محشورون حفاة عراة ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ**﴾»، الآية «وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنّه سيجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربّ أصيحابي، فيقول الله: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا**
➔

فإنّ الشيعة قد ملأت كتبها في الترضّي والترحّم على خيار الصحابة ومدحهم ونشر فضائلهم[١]،

دُمْتُ فِيهِمْ...﴾»، إلى قوله الحكيم، قال: «فيقال: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم» (صحيح البخاري ج٧: ص١٩٥ كتاب الرقاق، باب كيف الحشر). وكيف بعد هذه النصوص يمكن لأهل السنّة القول بعدالة جميع الصحابة؟!! فالخبير لو درس هذه النصوص في القرآن والسنّة النبوية والتأريخ سوف يجزم بأنّ أكثر الصحابة انقلبوا على أعقابهم، وتأمّروا على رسول الله ﷺ ووصيّه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعصوا أوامر الرسول ﷺ وهو على فراش الموت. فهذه الحقيقة لا مفرّ منها للباحثين، وقد سجّلها القرآن الكريم بأجلى العبارة وأحكم الآيات بقوله تعالى: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾** (سورة آل عمران:١٤٤). فما ذكره ابن تيمية واضح البطلان، كما هو واضح ظاهر فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ موقف الشيعة من الصحابة المخلصين الملتزمين بأوامر الله ورسوله ﷺ والأوفياء بمباديء الدين الحنيف، الواصلين إلى أقصى مدارج الإيمان والتقوى والعرفان،موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام من الصحابة المخلصين ، فقد ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ما يتبيّن به هذه الحقيقة بشكل واضح، ففي حديث عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام قال: «ولقد كنّا مع رسول الله ﷺ، نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومضيّاً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً على جهاد العدوّ، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحليْن، يتخالسان

➔

أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا، ومرّةً لعدوّنا منّا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكَبْت، وأنزل علينا النصر، حتّى استقرّ الإسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه، ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للإيمان عود وأيم الله لتحتلبنّها دماً، ولتُتبعنّها ندماً» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٥٦). وقد أشار ابن ميثم البحراني في شرحه على هذه الخطبة وقال: أنّ بعض فقراتها الذي له التأثير على فهم مضمون هذه الخطبة لم ترد في كلام السيد الرضي رحمه الله، فقال: روى البعض أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة حين أراد الناس الصلح مع جيش معاوية، لأنّ الإمام عليه السلام كان مخالفاً لذلك، ولو لم يكن إصرار البعض لما وافق بذلك؛ فهذه خطبة صدرت من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين بعد قصّة الحكمين، وهو عليه السلام يصف فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لأنّ الإمام عليه السلام أراد أن يقيم الحجّة على الناس، ويقرع مسامعهم القرع الأخير لعلّهم يستيقضوا عن غفلتهم ويعلموا حقيقة ما يقارعون ويفهمهم بأنّه لو أرادوا أن يتقارنوا بين الشخصيتين فعليهم أن يعرفوا عظماء الطرفين والمتعلّقين الموجودين فيهم لا الاقتران بلا معرفة وبأيّ صورة اتّفق. فإنّ من الواضح أنّ عصمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشخصيّته غير قابلة للمقارنة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّه كمن يقارن الذرّة بالشمس، فلا مجال لهذا النوع من المقارنة؛ فأراد الإمام عليه السلام أن ينبّههم بأن يكونوا من أصحاب البصيرة، أنّ خيرتهم تكون على ضوء البصيرة ما أمكنهم ذلك، وبما أوتوا من همّة وعزيمة. فأهمّية دراية الحديث تفوق روايته، ونحن نكتفي هنا بنقل بعض فقرات هذه الخطبة الشريفة فهي أصدق من كلّ شاهد وراو في المقام، يقول عليه السلام: «ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً

➔

➔

وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم، وكان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا ومرّة لعدوّنا منّا...».

وإجماله: أنّ مصالحة هؤلاء القوم جفاء لا تنطوي سوى على الإحباء والفشل وذلك لأنّهم لايفهمون منطق الصلح، ولا يمكنهم التعايش مع الآخرين عن طريق السلم والعمل بالعهد، لأنّهم لايدركون إلاّ منطق القوّة والقهر، وهذا ما كشفت عن أحداث صفّين. ثمّ أشار الإمام عليه السلام إلى مقوّمات النصر وعوامل الفشل وهزيمة العدو، فبيّن أنّ الأمر صعب جدّاً في هذا المجال، وذلك بأن يغدو الإنسان في هذه الساحة الصعبة وجهاً لوجه مع أقربائه في سبيل الله، فإنّ المؤمنين المخلصين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد مضوا وكانت قلوبهم مليئة بهذا الشعور الأخلاقي، فاستقاموا على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله كما ينبغي وسلكوا طريق الهدى وثبتوا عليه، رغم كلّ المشاكل والصعوبات التي تعرّضت عليهم، فنالوا بذلك مرتبة البصيرة ووصلوا إلى الحقيقة. فإنّ البصيرة والتوجّة نحو الحقّ والحقيقة موجب لعدم الالتفات إلى قرابة كائن من كان إذا وقف كعقبة أمام المسيرة، وهذا المعنى إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ (سورة التوبة:٢٤). ثمّ أشار الإمام عليه السلام بقوله عليه السلام: «ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومضيّاً على اللقم، وصبراً على مَضَض الألم، وجدّاً على جهاد العدوّ». فأراد عليه السلام أن يمثّل لهم واقعة تاريخيّة التي حدثت في معركة بدر، حيث كان أمام المسلمين قرابتهم وعشيرتهم، فما كان للمسلمين إلاّ أن

➔

حسبما فعلت في بيان مبتدعات ومناكير المرتدّين منهم بعد خير الرسل صلى الله عليه وآله[(١)]

➔

يقاتلوهم بكلّ بسالة دون أن يكترثوا لتلك القرابة رغم احترام العرب المنقطع للروابط القبلية. والشاهد أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أراد بهذه الخطبة معالجة من كان ضعيف الإيمان في عسكره بذكر أوصاف المخلصين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ليتعلّموا منهم الاستقامة والبصيرة في الدين. فإنّ البصيرة أحد الأركان المهمّة للإيمان، ولذلك كان معاوية يسعى للسيطرة على هذا المركز المهم الإسلامي بإثارة الفتنة وخبط عشوائي بين الأمور لئلاّ يميز الناس الغثّ من السمين؛ ولكن الإمام عليه السلام ألزمهم بما كانوا ملتزمين بفعل الصحابة المخلصين. والمهمّ أنّ من خصائص المسلمين الأوائل أنّهم كانوا مطيعين لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يأبهوا بآبائهم وإخوانهم وأبنائهم في ميادين القتال، فكانوا يصاولونهم ليجرعوهم القتل من أجل تحقيق الأهداف الإسلاميّة المقدّسة، وكانوا يتحملون بالإخلاص وصدق النية الصعوبات، ولذلك أيّدهم الله تعالى بنصره وأفاض عليهم ألطافه الخاصّة، وشملهم الفضل الإلهي حتّى انتشر الإسلام وأضاء بنوره قلوب الواعين من أبناء البشر الذين أدركوا داءهم وعرفوا دواءهم. فهكذا كان الأئمة عليهم السلام يمدحون الصحابة المخلصين الذين سمّاهم القرآن: "بالشاكرين"، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير والباحث في النصوص والعلوم الإسلامية أنّ مصيبة الأمّة الإسلاميّة انجرت عليها المخالفات والتحريفات والبدع التي أحدثها الصحابة والخلفاء الثلاثة في الإسلام والمحرّمات التي ارتكبوها أيام خلافتهم وسلطتهم، فلا يسعنا المجال لاستقصائها، وهذا البحث يكون بحثاً موضوعياً واسعاً جدّاً، ولنكتفي في المقام بكلمة موجزة كرأس الخيط للباحث، وهو أنّ معاوية سيّئة من سيّئات

➔

➔

عمر بن الخطّاب، لأنّه الذي تولاه حكومة الشام. وإنّ عمر نفسه سيّئة من سيّئات أبي بكر، لأنّه الذي خلفّه لما بعده. فكلّ بدعة أو سيّئة صدر في هذه الأمّة بعد وفاة رسول اللهﷺ، أوكلّ ظلم وقع على الأمّة، أوكلّ معاناة شهدتها الأمّة، فالمسئول عنها أبو بكر وعمر، لأنّهما غصبا الخلافة من أهل البيتعليهم السلام، وأحدثا في الأمّة حدثاً لن يمكن تداركه إلى يوم القيامة. ففي ما يتعلّق بأبي بكر فإنّ إمامته كانت سبباً لهبوط الأمّة نحو الأسفل جيلاً بعد جيل إلى أن وصلت تحت أقدام اليهود، إذ به وبعمر بن الخطّاب تمكن كعب الأحبار اليهودي واستغل فرصة وجوده بين الصحابة فربى مجموعة من التلاميذ منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر و... (انظر تفسير ابن كثير ج٣: ص١٠٤). وبدأ كعب في السعي لرفع مكانة تلاميذه ساعياً إلى مساعدتهم في نشر أحاديثه بين المسلمين. فقال كعب عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنت أفقه العرب. ودعا الناس للسؤال من عبد الله بن عمرو، ولما أجابهم الأخير قال كعب عنه: صدق الرجل عالم والله (تاريخ الطبري ج١: ص٤٠٢). ومدح كعب الأحبار أبا هريرة فقال: ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١: ص٣٦، والإصابة لابن حجر ج٤: ص٢٠٦). وقد سعى أبو هريرة وغيره لإلصاق أحاديث كعب بالنبيﷺ في عملية تدليس خطيرة وقال ابن كثير في تفسيره بعد أن أورد حديثاً عن أبي هريرة: لعلّ أبا هريرة تلقاه عن كعب الأحبار، فإنّه كان كثيراً ما يجالسه ويحدّثه، فحدّث أبو هريرة، فتوهّم بعض الرواة أنّه مرفوع فرفعه (انظر تفسير ابن كثير ج٣: ص١٠٤). فابتلاء المسلمين باليهود من عهد أبي بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان وبعدهم خلفاء بني أميّة وخلفاء بني العبّاس، فإنّهم مهّدوا لأعدى عدوّ الإسلام بالنفوذ والرسوخ في المسلمين ليرجعوهم أصل الجاهلية الأولى. وهناك أسرار

🡐

➔

خطيرة: تدخل كعب في انتخاب خلفاء المسلمين، فلقد تدخل كعب في شؤون الخليفة عمر السياسيّة والدينيّة ووضع أحاديث كثيرة كاذبة في حقه لجذبه إلى جنبه وإعلاء شأنه في سبيل تمرير مخطّطاته الخطيرة. ومن أحاديثه: أنّ الحقّ سبحانه أوّل من يصافح عمر يوم القيامة (انظر سنن ابن ماجة ج٢: ص٣٩). وهو يلازم كونه سبحانه ذا يد يصافح بها غيره، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وأنّه محدّث، وغير ذلك من الأباطيل اليهوديّة. ثمّ إنّ كعب الأحبار لم يعلن إسلامه في زمن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بالرغم من كلّ البراهين بل أعلن إسلامه في زمن عمر وليس ذلك حبّاً في الإسلام بل استغلالاً لفرصة متاحة، فإنّ كعباً الذي جسّم الله سبحانه وافترى على الأنبياءعَلَيْهِمُالسَّلَامُ ووصمهم بالخطيئة من المستبعد أن يكون محبّاً للمؤمنين، بل أنّه سعى بكلّ قدراته لتمجيد أفكار اليهوديّة وتحطيم الشريعة الإسلاميّة، ومن الطبيعي أن يكون عدوّاً للمسلمين. وعداء كعب لله سبحانه ولرسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وللمؤمنين بيّن جدّاً. وأشهر دليل على ذلك حبّه لمعاوية وكرهه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ، وكذبه في الحديث النبوي. وإنّ تدخّله في شؤون المسلمين بأمر الخليفة عمر واضح ومعروف، فلقد أصبح مستشاراً له في الشؤون الدينية والسياسيّة يسأله الخليفة عن الجنّة والنار وعن المستقبل وعن شروط الخلافة وغير ذلك. فذهب عمر إلى الشام بنصيحة كعب وامتنع عن زيارة العراق بإشارته. وتدخّل كعب في شؤون الخلفاء والقيادات من ناحية إيجابية وسلبية. فلقد تدخّل بصورة سلبيّة محضة ضدّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ، خوفاً من أن يتبعه الناس، وتدخل بصورة إيجابية محضة في صالح معاوية. فلقد عرف كعب كلّ ما يتعلّق ببني هاشم وبني أميّة ورجالهما وأفكار المسؤولين في الدولة وتوجّهات عمر وخططه ورغباته وأسراره الخاصّة وأنه قد عاشره فترة غير قصيرة وسافر معه في

➔

➔

رحلة طويلة إلى الشام، واطّلع كعب على علوم الغيب للنبيﷺ في مقتل الخلفاء وحكم بني أمية. وإليك حديث كعب ثم حديث عمر والحديثان متّفقان في المعنى: قال عمر بن الخطّاب لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرنا من حديد، قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم، قال: ثمّ مه؟ قال: ثمّ يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة، قال: ثمّ مه؟ قال: ثمّ يكون البلاء (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٢١). ومن أدلّة معرفة كعب بخلافة عثمان لعمر قوله: نجده أمر الخلافة ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنين من أصحابه إلى أعدائه (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣: ص١١٥). ويعترف كعب هنا بأنّ بني أميّة قاطبة أعداء النبيﷺ، وكعب يدعمهم وقد قال الخليفة عمر لعثمان قبل موته: هيهات إليك كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك، فحملت بني أميّة وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفئ، فسارت إليك عصابة من ذئبان (ذؤبان) العرب فذبحوك على فراشك، والله لئن فعلوا لتفعلنّ، ولئن فعلت ليفعلنّ، ثمّ أخذ بناصيته فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي فإنه كائن (شرح نهج البلاغة ج١: ص٦٢). فكعب أخذ فكرة ثورة الناس على عثمان من عمر الذي عاصر عثمان لفترة طويلة، وعرف أعماله مع بني أميّة من أمثال الحكم بن أبي العاص وعبد الله بن أبي سرح وغيرهم في زمن الرسولﷺ وزمن أبي بكر ومن الطبيعي أن يزداد جنوح عثمان نحو بني أميّة بعد توليه الخلافة لأنّه فعل أفعالاً عجيبة معهم والرسولﷺ حاضر، فكيف يكون الأمر بعد وفاة الرسولﷺ فإنّ معرفة كعب بتولّي عثمان للخلافة من بعد عمر وفراسة عمر فيه يعتبر من الأسرار الخطيرة للدولة. واطّلاع كعب على مثل هذه الأسرار يبيّن وجود علاقة متينة بين عمر وكعب. وبتعبير آخر يبين انضمام كعب إلى جماعة الحكومة

➔

➔

والحزب القرشي أنّ مسألة حب عثمان لبني أمية معروفة للصحابة، وخطورة هذه الأعمال واضحة، لأنّ المسلمين كانوا يعيشون في العصر الإسلامي الأوّل، وفي فترة قريبة من زمن الرسولﷺ، وهذا يعني أنّهم سيثورون على أيّ منهج يخالف أطروحة النبيﷺ، ولأجل ذلك فقد عرف ذلك عمر والعبّاس وغيره. فقد قال العبّاس عمّ النبيﷺبعد معرفته بوصول عثمان إلى الخلافة من خلال مجلس عمر السداسي: وأيم الله لا يناله (الحكم) إلاّ بشر لا ينفع معه خير (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣: ص٦٨). وعليه فإنّ الباحث لو تأمل في النصوص والروايات والوثائق التاريخية سوف يجد أنّ مصيبة الإسلام كان من عهد أبي بكر إلى يومنا هذا حيث أنّ المسلمين كانوا دائماً مبتلون باليهود، وقد أعان على هذه القضية عمر بن الخطاب وتبعه الخلفاء السائرون على منهجه وأعانه على ذلك أوباش قريش ليصلوا إلى النتيجة التي كانوا يترصّدونها. وذلك من أعظم المنكرات التي ارتكبها الخلفاء الثلاثة، في حين أنّهم حضرا غدير خم وبايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والولاية والخلافة. وقد نكثوا بيعتهم وغصبوا الخلافة، فشملهم قوله تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (سورة التوبة:٦٧). إذ لمّا كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء الخلفاء يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنّهم سوف يظهرون الايمان ويسرون الكفر بعضهم من بعض. والمعنى: إنّ بعضهم يضاف إلى بعض بالاجتماع على النفاق، ونسوا الله، أي: نسوا ذكر الله، فنسيهم الله. أي: عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى: ﴿**ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا**﴾، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ**

🡐

➔

﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة التوبة: ٦٧)، أي الخارجون من طريق الحقّ والداخلون في طريق الضلالة. وأيضاً شملهم قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (سورة التوبة:٦٨)، أي أنّهم مخلدون في نار جهنّم، ولا يخفى على الخبير أنّ بدلالة الآيات والروايات أنّ الكفّار مخلدون في نار جهنّم. ثم قال تعالى: حسبهم...، أي: يكفيهم أنّهم في العذاب ولعنهم الله أي طردهم وأبعدهم عن رحمته، ولهم عذاب مقيم. فهذه الآيات وغيرها تشير إلى أنّ العذاب من جهة البدعة في الدين وشدّتها من جهة أهمية إضلال الناس عند الشارع الأقدس، لا سيّما أنّ النفاق تتجلّى بأشكال مختلفة وتبدو في صور متفاوتة بحيث لا تلفت النظر في أوّل الأمر، خصوصاً أنّ روح النفاق يمكن أن تختلف بصور مخدعة، والمنافقون يشتركون في مجموعة من الصفات، ولكن تختلف درجاتهم باختلاف أوصافهم الخادعة. فيدعون الناس إلى فعل المنكرات ويرغّبونهم فيها من جهة، ويبعّدونهم وينهونهم عن فعل الأعمال الصالحة من جهة أخرى، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف؛ أي: أنّهم يسلكون طريقاً ويتبعون منهاجاً هو عكس طريق المؤمنين تماماً، فإنّ المؤمنين يسعون دائماً عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يصلحوا المجتمع وينقوه من الشوائب والفساد، بينما هؤلاء المنافقون يسعون إلى الإفساد من كلّ زاوية في المجتمع، واقتلاع جذور الخير منها، والأعمال الصالحة من بين الناس من أجل الوصول إلى أهدافهم المشؤومة. ولا شكّ أن وجود مثل هذا المحيط الفاسد والبيئة الملوّثة من بدع الخلفاء كانت تساعدهم في تحقيق أهدافهم. فالآية الكريمة تنطبق على الخلفاء الثلاثة من جهة البدعة التي أحدثوها في الدين، وأمرهم الناس بالمنكر، ونهيهم عن المعروف والواجبات

➔

➔

الدينية كما بيناه من خلال الموارد التي سبق ذكرها.

وقد دأب عليها الصحابة الغاصبين لحقوق أهل البيت، وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة، فاخترقوا بذلك حدود الله ومحقوا السنّة النبويّة، وأصبح الناس التابعين لهم يرفضون النصوص الثابتة والمصادر التي يجب أن تؤخذ بها. بالرغم من أنّهم كانوا يعلمون أنّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ حجّة على الناس كما أنّ كتاب الله حجّة عليهم.

والحقيقة أنّ أبا بكر وعمر ومن تابعهما إنّما منعوا من انتشار الأحاديث والسنّة النبويّة النبوية ليفتحوا مجال التأويل أمام أصحاب الأهواء ليأولوا القرآن حسب رغباتهم ومشتهايتهم، لأنّ كتاب الله ذو أوجه. أمّا السنّة النبويّة فلا يجد أحد عنها محيصاً. ومن هنا خالف الخلفاء الغاصبين نشر سنّة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بالكتابة مع أنّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «اكتبوا هذا العلم فإنّكم تنتفعون به إمّا في دنياكم وإما في آخرتكم، وإنّ العلم لا يضيع صاحبه» (انظر كنز العمّال للمتّقي الهندي ج١٠: ص٢٦٢ ح٢٩٣٨٩). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قلت: يا رسول الله، إنّا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟ قال: «بلى فاكتبوها» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٢١٥)، ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ص٧٤، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٢١: ص٢٥٩ وغيره. وأخرج الطبراني بسنده عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج قال: خرج علينا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقال: «تحدّثوا، وليتبوأ من كذب علي مقعده من جهنّم»، قلت: يا رسول الله إنّا نسمع منك أشياء فنكتبها؟ فقال: «اكتبوا ولا حرج» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٤: ص٢٧٦)، ورواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: ص٧٢، والمتّقي الهندي ج١٠: ص٢٢٢ ح١٩٢٢٢ وغيرهم.

ومن جملة مبتدعاتهم في الدين ومخالفتهم للقرآن والسنّة النبويّة منعهم صديقة

➔

➔
الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام فدكاً؛ وقد جاء في النصوص العديدة وهي تؤكّد بصراحة على أنّ فدك كانت نحلة للزهراءعليها السلام، وأنّ النبيصلى الله عليه وآله قد أعطاها إيّاها خالصة قبل وفاته. ومن تلك النصوص أخرجه الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت ﴿وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول اللهصلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٧: ص٤٩، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٣٩، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤: ص١٧٧، والشوكاني في فتح القدير ج٣: ص٢٢٤ وغيرهم.

ولذلك قال مولانا أمير المؤمنينعليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى، كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ص٩٩). ففي هذا الكلام لمولانا أمير المؤمنينعليه السلام تصريح أن فدك كانت في أيديهم قبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر ممّا يعني أنّها لم تكن ميراثاً بل هي نحلة، فما ادّعاه أبو بكر باطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين.

وعلى فرض كون الفدك إرثاً، فأيضاً من أوضح مخالفات أبي بكر للنصّ القرآني منع فاطمة الزهراءعليها السلام بنت النبيّصلى الله عليه وآله من الميراث، بل وقد نسب أبو بكر حديثاً إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله تفرّد بنقله فزعم أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة. وبذلك زحزحوا عن الصديقة الطاهرةعليها السلام فدكاً، وقد احتجّت الزهراءعليها السلام عليه بقولها: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى ابن زكريّا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾». ثمّ
←

مبيّنين بذلك الحقّ وهادين إليه الغفلة من الخلق بعد إيمانهم بالكتاب كلّه على ما نبّهنا عليه في الوجه السابق(١).

➔

قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّدﷺ والموعد القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون». ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام ما هذه الغميزة في حقّي، والسنّة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). وبذلك خالف أبو بكر سنّة رسول اللهﷺ وأغضبهُ لأنّهﷺ قال: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم.

والنتيجة أنّ من اقتدى بالخلفاء الذين هم أهل البدعة معناه أنّه اقتدى بأهل الضلالة، لأنّ كتبهم مليئة بالروايات التي تصرح بأنّ: كلّ بدعة ضلالة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٢٦)، ورواه الدارمي في سننه ج١: ص٤٥، وابن ماجة في سننه ج١: ص١٦، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج١: ص٩٦ وغيرهم. فكيف يمكن لمسلم سواء كان من الشيعة أو غير الشيعة أن يترحّم أو يرتضّى على أهل البدعة والمناكير والمرتدّين من الصحابة؟ فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ الإيمان الصحيح بالقرآن الكريم هو الإيمان بجميع ما جاء فيه. والإيمان بجميع ما جاء في القرآن الكريم يستلزم العمل بجميع ما جاء فيه، فلا معنى للإيمان ببعض الآيات والكفر ببعضها الآخر، كما لا معنى للعمل ببعض الآيات وترك بعضها الآخر، قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

➔

➔
يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة:٨٥). فإنّ الخطاب القرآن إلى جماعة كانوا يتّبعون أهواءهم ونزواتهم ويسيرون وراء عصبياتهم الجاهلية، فهذه الحالة ما هي إلاّ نوع من عبادة الهوى ولا صلة لها بالإيمان، لأنّ الإيمان الحقيقي هو ما يدفع الإنسان إلى قبول الحقيقة -سواء طابقت هواه وميوله أو خالفتهما- ولذلك أنّ القرآن الكريم اعتبر الذين يزعمون أنّهم يؤمنون بالله ولكن يكفرون ببعض ما جاء في كتاب الله كفّار حقيقةً، وعلى هذا الأساس فإنّ ما يتظاهرون به من إيمان لا حقيقة ولا قيمة له مطلقاً، لأنّ الإيمان إنّما ينبع من روح التسليم والطاعة لجميع ما جاء به الله ورسوله صلى الله عليه وآله. ولذلك قال تعالى: **﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾** (سورة البقرة:٤١)، والمستفاد من الآية أنّ المتوّقع من المسلمين الإيمان بجميع ما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله، لأنّ الإيمان بجميع ما جاء في القرآن يقتضي الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وممّا جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الإمامة الإلهيّة المتمثّلة في أهل البيت عليهم السلام، والولاية الإلهيّة التي أمر الله تعالى بها في القرآن الكريم فإنّها منحصرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأئمة أهل البيت عليهم السلام. فالآية التي تأمر المسلمين بالإيمان بجميع ما جاء في القرآن الكريم فكأنّما تقول: لا عجب من المشركين والوثنين أن يكفروا بما أنزل من الله على رسوله صلى الله عليه وآله، بل العجب منكم المسلمين في عدم إيمانكم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّكم تدّعون الإيمان ولكن إيمانكم لايكون إيماناً صادقاً بالله، لأنّ الإيمان الصادق بالله يقتضي العمل بجميع ما جاء به في القرآن الكريم، والتصديق بجميعه، عامّه وخاصّه، مطلقه ومقيّده يقتضي الاعتقاد بإمامة أهل البيت عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرةً.
➔

فالغلّ الذي في قلوبهم إنّما هو على خصوص المنقلبين على العقب[(١)]

➔

وملخّص الكلام أنّ القرآن الكريم يتحدّث عن الصحابة الأوفياء بعدة أوصاف وعلامات، من أنّهم: ثابتين على إيمانهم وأنّهم من الشاكرين وأنّهم بايعوا النبيﷺ وبقوا على بيعتهم حتّى آخر لحظة من حياتهم ثابتين على بيعتهم ولم ينكثوا بيعتهم. وتحدث عن بقية الصحابة بأنّهم: فاسقون أو خائنون أو متخاذلون أو ناكثون أو منقلبون أو شاكّون في الله وفي رسوله أو فارّون من الزحف أو معاندون للحقّ أو عاصون أوامر الله ورسوله أو مثبّطون غيرهم عن الجهاد أو منفضّون إلى اللهو والتجارة أوتاركون الصلاة أو قائلون ما لا يفعلون أو ممنّون على رسول اللهﷺ إسلامهم أو قاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ أو رافعون أصواتهم فوق صوت النبيﷺ أو مؤذون لرسول اللهﷺ أو سمّاعون للمنافقين وإلى غير ذلك من الأوصاف. فالمؤمن من الصحابة الصادق في إيمانه هو من كان يعمل بجميع ما جاء في كتاب الله وبجميع خصوصياته من العامّ والخاصّ والمطلق والمقيّد، وغير ذلك وهل العمل بالقرآن الكريم والسنة النبوية غلّ كما ادعاه ابن تيمية؟!! فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ أَفَإن مَّاتَ أَوْ قُتلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابكُمْ وَمَن يَنقَلبْ عَلَلَىٰ عَقبَيْه فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكرينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤) وهذه الآية الكريمة قد بيّنت حقيقة هامّة، وهي أنّ المعيار في معرفة الصحابة المؤمنين يمكن من خلال معرفة الصحابة من جهة ثباتهم في الدين وعدم ترديهم في أمر الدين سواء كان في حياة النبي الأكرمﷺ وبعد وفاتهﷺ أو استشهاده، بخلاف من رجع على عقبه سواء في حياة النبيﷺ الذي تصور بعضهم أنّ الإسلام ينتهي بموت النبيﷺ

➔

➔

واستشهاده، فكانوا يهربون في الحروب ولا يواصلون القوّات الإسلاميّة في المعارك خوفاً من أن يموت النبيﷺ في الحرب وينتهي الإسلام بشهادته فيقضون عليهم الأعداء. فالآية المباركة نزلت في شأن هؤلاء وتقول: حتى إذا قُتل النبيﷺ ونال الشهادة لا ينتهي كلّ شيء ولا يسقط واجب الجهاد والنضال عن كاهل الصحابة، بل إنّ هذا الواجب مستمرّ وعليهم أن يواصلوه، لأنّ الإسلام هو الدين الحقّ الذي أنزل ليبقى خالداً إلى الأبد. فالقرآن الكريم يكافح هذه الفكرة ويقول عن لسان النبي الأكرمﷺ: إنّ أهدافنا أعلى من أشخاصنا ولا تنتهي أهدافنا بموتنا وبغيابنا. فالصحابة الذين كانوا يزعمون أنّ الإسلام ينتهي بشهادة النبيﷺ لا بدّ لهم أن يعرفوا : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ الشَّاكِرِينَ**﴾ فالآية الكريمة تستنكر ما زعمه بعض الصحابة، وما دار بينهم من الكلام حول هذا الموضوع.

والجدير بالذكر أن القرآن استخدم للتعبير عن الردّة إلى الجاهلية بالانقلاب على الأعقاب وهذه الكلمة تشعر بالرجوع عن الإسلام إلى الجاهليّة، فإنّ كلمة الأعقاب جمع عقب وهي بمعنى مؤخّرة القدم، والمقصود بها في الآية التراجع إلى الوراء والارتداد الواقعي، فهو أكثر إيحاءاً وأقوى تصويراً من لفظة الردّة والرجوع والعودة، لأنّه بمعنى السير القهقرى. ثمّ قال سبحانه: ﴿**وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا**﴾، يعني أنّ العودة إلى الكفر والوثنية تضرّكم أنتم دون الله سبحانه، لأنّ أمثال هذا التراجع موجب لفقدان كلّ ما حصلتموه من العزّة والكرامة والمجد بسرعة كما حصل ذلك للأقلّية من أصحاب الرسولﷺ في معركة أحد؛ حيث استمرّوا على جهادهم رغم تحمل الصعوبات وانتشار الخبر المفجع عن مقتل الرسولﷺ، فقد مدحهم الله في نهاية هذه الآية بقوله تعالى: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ**

🡐

➔
﴿الشَّاكِرِينَ﴾. وذلك لأنّهم بقوا ثابتين على الإيمان واستقاموا في الدفاع عن الدين وعن رسول الله صلى الله عليه وآله فمدح القرآن الكريم استقامتهم وصمودهم ووصفهم بالشاكرين، لأنّهم أحسنوا الاستفادة والانتفاع بالنعم في سبيل الله، وهذا أفضل مصاديق الشكر. فالدرس الذي تعطي هذه الآية هو أبلغ وأفضل درس لجميع المسلمين في جميع العصور والأزمنة. وعليه يجب على جميع المسلمين أن يتعلّموا من القرآن أن لا يربطوا القضايا الاستراتيجية والأهداف العليا والمصيرية بالأشخاص، بل لا بدّ أن يلتفوا حول الأسس والمبادئ الخالدة التي لا تفنى ولا تتغيّر ولا تتأثّر بتغيّر الأشخاص أو غيابهم عن الساحة بسبب الموت أو القتل حتّى لو كان ذلك هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لكيلا تتوقّف عجلة المسيرة عن الحركة ولا يتعطّل دولاب العمل عن الدوران، بل إنّ ذلك هو رمز الخلود في أي مبدأ وحركة أساساً. فهذا حال الصحابة الذين كانوا يعيشون مع النبي صلى الله عليه وآله فإنّ القرآن الكريم يخبر عن حالهم بأنّهم كانوا في حال الترديد من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقد عبّر عنهم القرآن الكريم بمن انقلب على عقبيه بخلاف الشاكرين الذين مدحهم القرآن وهم الأقلّية، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ:١٣). وعليه فإذا أخبر سبحانه وتعالى في آية الرجوع على الأعقاب ارتداد أكثر الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وبيّن انقلابهم إلى الجاهلية، فما بال ابن تيمية وأتباعه يعترضون على من يبيّن حقيقة الصحابة من خلال القرآن الكريم الذي أخبر انقلاب الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله على الأعقاب. وهذا إشارة إلى ما حدث في السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وما كان سبباً لخروج الصحابة عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله ودخولهم في طاعة خلفاء الجور وطواغيت عصرهم بالقهر والمكر والخدعة، فإذا مقصود ابن تيمية من الغلّ في قلوب الشيعة اعتقاد الشيعة بما جاء
➔

➔

في القرآن الكريم من خلال هذه الآية الكريمة وغيرها الدالّة على انقلاب الصحابة على أعقابهم، وخرجوهم عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وارتدادهم عن الدين كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة:٥٤). فهو حقّ، فإنّ هذه الآية الكريمة أيضاً فيه الإخبار عن المرتدّين من الصحابة الذين أخبر القرآن الكريم عن ارتدادهم، وأكّدت الآية على أنّ من يرتدّ عن دين الله فهو لن يضرّ الله بارتداده هذا أبداً، ولن يضرّ الدين ولا المجتمع الإسلامي؛ لأنّ الله كفيل بإرسال من لديهم الاستعداد في حماية هذا الدين، حيث تقول الآية الكريمة: فسوف يأتي الله بقوم... ثمّ تتطرق الآية إلى صفات هؤلاء الحماة الذين يتحمّلون مسؤوليّة الدفاع العظيمة، وتبينها على الوجه التالي: أولاً: إنّهم يحبّون الله ولا يفكّرون بغير رضاه، فالله يحبّهم وهم يحبّونه، كما تقول الآية: يحبّهم ويحبّونه. وثانياً: يبدون التواضع والخضوع والرأفة أمام المؤمنين، حيث تقول الآية: أذلّة على المؤمنين، بينما هم أشدّاء، أقوياء أمام الأعداء الظالمين، فهم أعزّة على الكافرين، وثالثاً: إن شغلهم الشاغل هو الجهاد في سبيل الله، إذ تقول الآية: يجاهدون في سبيل الله. وآخر صفة تذكرها الآية لهؤلاء العظام هي أنّهم لا يخافون لوم اللائمين في طريقهم لتنفيذ أوامر الله والدفاع عن الحقّ. فهؤلاء وإن كان عددهم قليل إلاّ أنّ صمودهم واستقامتهم في سبيل ثبات الدين بقوّة ويقين موجب لخلود الإسلام بسعيهم، وكما قال تعالى: في حقّهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ

←

الذين قال فيهمﷺ في خبر الحوض: «سحقاً سحقاً لمن بدلّ بعدي»[(١)].

➔

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاة وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِه يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الفتح:٢٩). قد بيّنت هذه الآية الكريمة أوصاف أصحاب النبيﷺ وخصائصهم وما وعدهم الله سبحانه. فاتّضح بأنّ الغلّ إنّما يكون في قلوب الشيعة للصحابة المنقلبين على الأعقاب، وهم الصحابة المرتدّين لا الشاكرين منهم، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ حديث الحوض من أحاديث التي أخرجها جميع المحدّثين من أهل السنّة بطرق عديدة وألفاظ مختلفة في صحاحهم ومسانيدهم، بحيث لا يتطرّق إليه الشكّ؛ فقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول سمعت النبيﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يضمأ بعده أبداً ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمعني النعمان ابن أبي عيّاش وأنا أحدّثهم هذا فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح البخاري ج٨: ص٨٦ كتاب الفتن، ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ وما كان النبيﷺ يحذر من الفتن). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن يعقوب (يعنى ابن عبد الرحمن القاري) عن أبي حازم قال: سمعت سهلاً يقول: سمعت النبيﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ ابداً، وليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثمّ يحال بيني وبينهم»، قال أبو

➔

➔

حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح مسلم ج٧: ص٦٥ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّناﷺ). وأخرج البخاري بسنده عن ابن عبّاس عن النبيﷺ قال: «إنّكم تحشرون حفاة عراة، وإنّ أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقول: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً....﴾، وج٤: ص١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا...﴾). وأخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس ابن مالك: إنّ النبيﷺ قال: «ليردنّ عليّ الحوض رجال ممّن صاحبني حتّى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلأقولنّ: أي رب أصيحابي أصيحابي، فليقالنّ لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٧١ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّناﷺ). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: خطب رسولﷺ فقال: «يا أيّها الناس، إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرْلاً»، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (إلى آخر الآية) ثم قال: «ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربّ أصيحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ

←

➔
﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ﴾ فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٩٢ كتاب التفسير، باب وكنت عليهم ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾). وأخرج أيضاً بسنده عن سعيد ابن المسيّب عن أبي هريرة: إنّه كان يحدّث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب وفي الحوض قول الله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾). فهذه الأحاديث وغيرها من أصحّ الأحاديث عند أهل السنّة، وهي واضحة الدلالة على ارتداد أكثر الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بل نصّ صريح في هذا المعنى بلا ترديد، بحيث لا تقبل التأويل، إذ فيها التصريح على أنّ أصحابه سيرتدّون ويدخلون في نار جهنّم بسبب ارتدادهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كما لا إشكال في معنى المبدّلين بعد النبي صلى الله عليه وآله والمحدثين في الدين، فإنّ معناه التحريف في الدين والشريعة المقدّسة، وبعبارة أخرى أنّهم أهل البدعة في الدين. وعليه ما نسبه ابن تيمية من الغل في قلوب الشيعة على الصحابة، فإن كان مقصوده استناد الشيعة بهذه الأخبار التي أخبر فيها النبي صلى الله عليه وآله بارتداد أصحابه، وأنّهم سيدخلون نار جهنّم، فهذا ليس عليه غبار كما تقدمت الأدلّة الدالّة عليه. وإن كان مقصوده من الغلّ في قلوب الشيعة بالنسبة إلى جميع الصحابة فهذا كلام باطل وافتراء على الشيعة، لأنّ الشيعة يمدحون الصحابة المؤمنين كما مدحهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله ويستندون مدحهم إلى الأدلّة الثابتة من القرآن والسنّة النبوية، فلاحظ.

وثالثها: ما نقله من حرمة سبّ السلف[١]،

---

(١) لا يخفى أنّ من القضايا التي يثيرها دوماً الراغبون بتأجيج الفتنة الطائفيّة موضوع موقف مدرسة أهل البيتعليهم السلام من سبّ الصحابة ولعنهم. والباحث عندما يدرس هذا الموضوع دراسة علميّة ويبحث عن الأسباب التي دفعت عامّة أهل السنّة والسلفيّة وراء هذه الهجمة الهمجية على الشيعة، يرى أنّ أساس ذلك يرجع إلى الحكّام الظالمة التي كانت تدور وراء أعذار سياسيّة وأسباب ادّعائية لقتل الشيعة ونهب أموالهم وهتك أعراضهم، وقد تمكّنوا من هذا التبرير الضمني لمجزرة دمويّة ستبقى عارها على جبين التاريخ الإسلامي وهي سياسة اتّبعها حكّام الجور وأتباع السقيفة وأفتى بذلك فقهائهم قديماً وحديثاً. ويسلكها اليوم من يجتر تراث هؤلاء ويؤمن به. ولايخفى على الباحث أنّهم إذا أرادوا قتل الشيعة اتّهموهم بسبّ الصحابة، ومعنى سبّ الصحابة عندهم هو نقدهم وتجريحهم في ما فعلوه، وهذا وحده يكفي للقتل والتنكيل. قال السبكي: أنّه قال القاضي من شتم أحداً من أصحاب النبيصلى الله عليه وآله أبي بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال كانوا على ضلال أو كفر قتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شديداً (فتاوى السبكي ج٢: ص٥٧٩). وقال الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير في عداد من يجب قتله: قوله (كذا سبّ الصحابة ولو بغير قذف): وأمّا سبّ المسلم غير الصحابي فيجوز ولو خوف بغير القتل (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير ج٢: ص٣٦٩). وكأنّما حرمة السبّ مختصّة في الإسلام بالصحابة فقط! وقال السبكي: ولا شكّ أن الروافض ينكرون ذلك... ولا يقولون ولا هو مضمون قولهم ولكنّهم يدّعون أن الذين يقولون هم هو الذي أتى به النبيصلى الله عليه وآله (فتاوى السبكي ج٢: ص٥٧٩). وهذا دليل على أنّ علمائهم يعلمون أنّ ما يفعله الشيعة إنّما هوعلى أساس الدليل القطعي من الكتاب والسنّة النبويّة والمستند ←

➔

العلمي من الشرع الأقدس، ومع ذلك كلّه يشنعون على الشيعة تشنيع الملاحدة، ولا ندري لماذا يكون هذا الحكم عندهم خاصّ بالشيعة؟ إذ لو كان سبّ الصحابة حراماً وكفراً فلماذا لا يكفّرون معاوية بن أبي سفيان ولا يحكمون بفسقه وفجوره؟ فإنّه كان يسبّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام إلى أربعين سنة، وقد امتدّ سبّ الإمام عليه السلام إلى سبعين سنة؟!

فإنّ معاوية بن أبي سفيان روّج سبّ من كان أوّل المؤمنين إسلاماً وإيماناً وأخا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام حتّى سبّه على المنابر بأمره قرابة سبعين سنة ومع ذلك كلّه لا يقولون: في حقّه إلاّ الأجر والثواب!!! وعلى حدّ زعمهم أنّه اجتهد فأخطأ، فله أجر واحد، فما هذا التناقض في حياة الصحابة يا ترى؟!! رغم الروايات المتواترة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله البالغة عن حدّ التواتر وهي تدلّ على أنّ من سبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومن سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد سبّ الله عزّ وجلّ؛ لقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي إسحاق التميمي يقول: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا على أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أمتاه، قالت: يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله في ناديكم قال: وأنّى ذلك، قالت: فعلي بن أبي طالب؟ قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١)، ورواه المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٣، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٣٢، والجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص٦٠٨ ح٨٧٣٦، والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين:

➔

➔

ص١٠٥، وغيرهم. وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي إسحاق عن عبد الله الجدلي قال: دخلت على أمّ سلمة، فقالت لي: أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم، قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني» (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٣٢٣)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٠، والنسائي في سننه الكبرى ج٥: ص١٣٣، وفي خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ص٩٩، وغيرهم. وروى القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة بسنده عن سعيد بن جبير قال: كنت أقود ابن عبّاس بعد ما ذهب بصره من المسجد فمرّ بقوم يسبّون علياً، فقال: ردني إليهم، فرددته إليهم، فقال: أيّكم سباب الله؟ فقالوا: سبحان الله من سبّ الله فقد كفر! فقال: أيّكم سبّ علياً؟ قالوا: أمّا هذا فقد كان، فقال ابن عبّاس: أشهد بالله، والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله» (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢: ص٢٧٨). وفي حديث: «ومن سبّ الله أكبّه في النار على منخره» (انظر الرياض النضرة للمحبّ الطبري ج١: ص٥٢). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. وقال ابن عبد البر في الاستذكار ما هذا نصّ عبارته: أنّه قال إسحاق: وقد أجمع المسلمون أنّ من سبّ الله عزّ وجلّ أو سبّ رسوله صلى الله عليه وآله أو دفع شيئاً ممّا أنزل الله تعالى أو قتل نبيّاً من أنبياء الله تعالى أنّه كافر بذلك وإن كان مقرّ بكلّ ما أنزل الله (الاستذكار لابن عبد البر ج٢: ص١٥٠). فمع وجود هذه الروايات في كتبهم لماذا يبررون معاوية والتابعين له السابين لأفضل الصحابة؟ ولا يخفى أنّ التبرير بالاجتهاد أشبه بالمهزلة!! أفيصحّ الاجتهاد مع وجود الدليل القاطع؟ وما هذا الاجتهاد الذي يبيح إراقة دماء آلاف من المسلمين الأبرياء من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى يومنا هذا؟

➔

فإن قصد خيارهم فلعن الله ورسوله من سبّ أحدهم[(١)]،

➔

وشك أنّ النبي الأعظمﷺ أعرف من كلّ الناس بصحابته ومكانتهم من الأمانة والديانة فها هو يحدّثنا عن حالاتهم يوم القيامة فيقول لأصحابه: «إنّكم تحشرون حفاة عراة، وإنّ أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً...﴾، وج٤: ص١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا...﴾). وقالﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثمّ يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح مسلم ج٧: ص٦٥ كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبيّناﷺ). وعليه يتّضح بطلان ما نسبه ابن تيمية إلى الشيعة من سبّ الصحابة، نقضاً وحلاً، ويكفي للرد على هذا التشنيع الرجوع إلى كتب الشيعة وتراثهم، فإنّها أكبر دليل وبرهان على أنّهم لا يفعلون فعلاً إلاّ على أساس الدليل القطعي من الكتاب والسنّة النبويّة والمستند العلمي من الشرع الأقدس فلاحظ.

(١) لا شكّ ولا شبهة في أنّ الصالحين من الصحابة وخيارهم المستحفظون لأسرار رسول اللهﷺ وأوصيائه الطيّبين الطاهرين عليهم السلام لهم شأن رفيع عند الشيعة ومكانة محترمة، ودرجة رفيعة، ومرتبة عالية عندهم. فهم يعتقدون بأنّ الله تبارك وتعالى

➔

➔
قد أوصفهم بصفات حميدة، وسمّاهم خير البرية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ﴾ (سورة البينة:٧-٨). وقد أخرج علماء أهل السنّة في تفسير هذه الآية أنّ النبيﷺ قال للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «يا علي أنت وشيعتك خير البرية»؛ أخرجه الطبري في تفسيره ذيل الآية الكريمة. وقد أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بسنده عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال النبيﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين» (شواهد التنزيل ج٢: ص٤٦١). وقال السيوطي في تفسير الآية: أنّه أخرج ابن عساكر عن جابر ابن عبد الله قال: كنّا عند النبيﷺ فأقبل علي، فقال النبيﷺ: «والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فكان أصحاب النبيﷺ إذا أقبل علي قالوا "جاء خير البرية". وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً «علي خير البرية». وأخرج ابن عدي عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول اللهﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين». وأخرج ابن مردويه عن علي قال: «قال لي رسول اللهﷺ: ألم تسمع قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جئت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين» (الدرّ المنثور ج٦: ص٣٧٩). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة. فالشيعة يوالون الصحابة المؤمنين الأوفياء، المخلصين
➔

والشيعة بريئون ممّن يسبّهم[(١)]،

➔

من الصحابة الذين رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان ونحو ذلك وهم المؤمنون حقّاً. فالشيعة يمجدون ذكرهم ويترضّون عليهم، وكعقيدة يفرّقون بين الصحابي الجليل الذي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وسلوكاً والتزاماً وبين من كان منافقاً أو فاسقاً أو صاحب بدعة في الدين أو ناصب العداء لأهل البيت عليهم السلام أو لشيعتهم الأبرار، فهذا موقف الشيعة من خيار الصحابة. ونحن نتحدى جميع أهل السنّة والسلفية بأن يأتوا و لو بمورد واحد من سبّ الشيعة ولعنهم لخيار الصحابة الذين لهم شأن عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار بن ياسر وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وحذيفة، وغيرهم.

(١) وذلك لأنّ سبّ المؤمن حرام بالأدلّة الأربعة "الكتاب الكريم، والسنّة المطهرة المتمثّلة بأخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، والإجماع والعقل". فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (سورة الحجرات:١١)؛ فقد نزلت هذه الآية المباركة في حقّ صفيّة بنت حيّ بن أحطب وكانت زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله، وذلك أن عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها وتشتمانها وتقولان لها يا بنت اليهوديّة فشكت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها: «ألا تجيبينهما؟» فقالت: بماذا يا رسول الله؟ فقال لها: «قولي: إن أبي هارون نبيّ الله وعمّي موسى كليم الله وزوجي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله فما تنكران منّي؟» فقالت لهما، فقالتا: هذا علّمك رسول الله؟ فأنزل الله في ذلك ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾ - إلى قوله - ﴿**وَلَا تَنَابَزُوا**

➔

➔

بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (بحار الأنوار ج٧٢: ص١٤٤). فالآية تدلّ على حرمة السخريّة من المؤمنين، والسخريّة هي المذلّة والتنقيص بالمؤمن.

وأمّا الأخبار الدالّة على حرمة سبّ المؤمن فكثيرة جداً منها: ما رواه الكليني بسنده عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيء، قليل الحياء، لا يُبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنّك إن فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان» فقيل: يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَادِ﴾؟» (الكافي ج٢: ص٣٢٣). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: سباب المؤمن فسق وقتاله كفر (مسند أحمد بن حنبل ج ١ : ص ٤٣٩). ومنها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (صحيح البخاري ج١: ص١٧ كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر). ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه» (الكافي ج٢: ص٣٠٦). ومنها: مارواه عبد الرحمن بن الحجاج عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في رجلين يتسابّان؟ فقال: «البادي منهما أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم» (الكافي ج٢: ص٣٢٢). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام عنهم عليهم السلام.

وأمّا الإجماع فإنّه لا خلاف بين الشيعة في حرمة سبّ المؤمن سواء كان من الصحابة أم لم يكن من الصحابة، بل قام إجماع المسلمين على أصل حرمة سبّ المؤمن، وإن كان هناك اختلاف بين الشيعة وأهل السنّة في معنى المؤمن، إلاّ أنّهم متّفقون

➔

ولو قصد خصوص المنقلبين على العقب[١]،

➔

على أصل الحرمة ولا نزاع بينهم فيه.

وأمّا العقل: فلأنّ السبّ المؤمن قبيح عقلاً، وأنّ السبّ إذلال للمؤمن وإهانة له وتحقير منه وأنّه يورث العداوة، فهو قبيح عقلاً. وعليه فلا يجوز سبّ المؤمن عموماً عند الشيعة سواء كان من الصحابة أو غيرهم.

(١) هذه العبارة إشارة لقوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤)؛ والآية صريحة وجليّة في أنّ أكثر الصحابة انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة الرسولصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ولم يثبت منهم إلاّ القليل كما دلّت الآية على ذلك في التعبير عنهم بالشاكرين؛ وذلك لأنّ الشاكرين عددهم قليل كما قال الله تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (سورة سبأ:١٣). فالقرآن الكريم يدلّ على أنّ أكثر الصحابة إنحرفوا عن الخطّ السليم الذي رسمه الله ورسولهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه لهم في الهداية، واستمرار الرسالة السماوية المتمثلة في إمامة أهل البيتعَلَيْهِمُ السَّلَامُ بعد وفاة رسول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، بالرغم من تأكيد النصوص المعتبرة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعَلَيْهِ السَّلَامُ وخلافته بعد رسول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه مباشرةً، فقد اجتمع أكثر الصحابة في السقيفة واتفقوا على رفض النصوص، وانتخاب الخليفة لهم، والانقلاب على الأعقاب والرجوع إلى الجاهلية الأولى. وهو والارتداد، وهذا معنى الروايات الواردة في مصادر أهل السنّة كالطبري وغيره من أنّ العرب ارتدّوا كلّهم بعد الرسولصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه عدا فئة في المدينة (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٧٥). فالأدلّة الدالّة على ارتداد أكثر الصحابة بعد وفاة الرسولصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه في مصادرأهل السنّة كثيرة جداً، وإليك نماذج منها: فمنها ما رواه البخاري في

🡐

➔

صحيحه بسنده عن ابن عبّاس قال: خطب النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقال: «إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، ثمّ إنّ أوّل من يكسى يوم القيامة إبراهيم إلاّ أنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ...﴾» إلى قوله شهيد «فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (صحيح البخاري ج٥: ص٢٤٠ كتاب تفسير القرآن، باب كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا). ومنها: ما رواه بسنده عن أبي هريرة أنّه كان يحدّث أنّ رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول يا ربّ أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض، وقول الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، وقال عبدالله بن زيد: قال النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «اصبروا حتّى تلقّوني على الحوض»). فإنّ وقولهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» معناه: الارتداد عن الإسلام: لأنّ الرجوع القهقرى، مشعر بالجاهلية الأولى. ثمّ إنّ قولهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «لا تدري ما أحدثوا بعدك»، يدلّ على البدعة في الدين، لأنّ ما أحدثوا ظاهر في الإحداث في الإسلام، وترك كتاب الله وسنّة رسولهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، لأنّ ما جاء به النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ هو الإسلام، فالمراد بالإحداث ليس إلاّ الارتداد عن الدين بعد النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. ومن الواضح أنّ الارتداد يتحقّق بالخروج عن الضرورة الدينية. ولا شكّ أنّ من أوجب الواجبات على المسلمين الإمامة بعد النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ حتّى عند أهل السنّة، لأنّ الإمامة عند أهل السنّة خلافة الرسول الأعظمصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وخلافة الرسول الأعظمصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يعتبر ميراث الأنبياءعَلَيْهِمُالسَّلَامُ لأنّ الرسول الأعظمصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ خاتم الأنبياء وذلك بمعنى أنّهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ خاتم الأصفياء،

➔

➔

فخلافة خاتم الأنبياء والأصفياء خلافة الله وخلافة رسل الله. وهذه الضرورة قد تمّت الحجّة عليها ببيعة الصحابة يوم غدير خم لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، والأدلّة الدالّة عليها ثابتة لدى الفريقين من الكتاب والسنّة والإجماع، كما لايخفى ذلك على أحد. فارتداد الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيعة الغدير معناه الانقلاب على الأعقاب والرجوع إلى الجاهليّة، الذي سمّاه القرآن الكريم الانقلاب على الأعقاب. فإنّ قصد ابن تيمية من تشنيع سب الصحابة سبّ المرتدّين على الأعقاب الذين رجعوا إلى الجاهلية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فله أساس ديني. ولكن ليس من عادة الشيعة السباب والشتم بعد أنّهم ذا منطق قوي، ولديهم أقوى الأدلّة في المسائل الدينيّة والأمور العقديّة والأحكام الشرعيّة. فإنّ الآية المحكمة والكلم الطيّب الذي يتبعه العمل الصالح في جميع المجالات أوقع في النفوس وأثبت في القلوب وأحسن للوصول إلى الغرض المطلوب، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (سورة النحل:١٢٥). فإنّ الحكمة بمعنى العلم والمنطق والاستدلال، فأوّل خطوة على طريق الدعوة إلى الحقّ هي التمكّن من الاستدلال وفق المنطق السليم، أو النفوذ إلى داخل فكر الناس ومحاولة تحريك وإيقاظ عقولهم كخطوة أولى في هذا الطريق. والموعظة الحسنة، وهي الخطوة الثانية في طريق الدعوة إلى الله بالاستفادة من عملية تحريك الوجدان الإنساني، وذلك لما أنّ للموعظة الحسنة من أثر دقيق وفاعل على عاطفة الإنسان وأحاسيسه وتوجيه مختلف طبقات الناس نحو الحقّ؛ وفي الحقيقة فإن الحكمة تستثمر البُعد العقلي للإنسان، والموعظة الحسنة تتعامل مع البُعد العاطفي له. هذا بخلاف السبّ والشتم، فإنّهما توجبان التنفّر والاشمئزاز، لأنّ السب والشتم من مصاديق الإهانة والتحقير،

🡐

فأوّل من سبّهم الله سبحانه ورسوله وكلّ نبيّ مجاب[1]،

➔

وقد علّمنا أهل البيتعليهم السلام كيفيّة التعامل مع الآخرين في الدعوة إلى الله؛ فروى القرطبي في تفسيره بسنده عن عصام بن المصطلق قال: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن عليعليهما السلام، فأعجبني سمته وحسن روائه، فأثار منّي الحسد ما كان يجنه صدري لأبيه من البغض، فقلت: ءأنت ابن أبي طالب؟! قال: «نعم»، فبالغت في شتمه وشتم أبيه!!! فنظر إليّ نظرة عاطف رؤوف، ثمّ قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ**﴾»، فقرأ إلى قوله: «﴿**فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾»، ثمّ قال لي: «خفض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنّك لو استعنتنا أعناك، ولو استرفدتنا أرفدناك، ولو استرشدتنا أرشدناك». فتوسّم في الندم على ما فرط منّي فقال: «﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**﴾، أمن أهل الشأم أنت؟» قلت: نعم، فقال: «شنشنة أعرفها مَن أخزم، حيّاك الله وبيّاك وعافاك وآداك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك تجدنا عند أفضل ظنّك، إن شاء الله». قال عصام: فضاقت عليّ الأرض بما رحبت، ووددت أنّها ساخت بي، ثم تسلّلت منه لواذاً، وما على وجه الأرض أحبّ إليّ منه ومن أبيه (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٧: ص١٥١). ولو أردنا أن نذكر من هذه نماذج من سيرة أهل البيتعليهم السلام لطال بنا المقام، ونحيل ذلك للقارئ العزيز ومراجعته إلى كتب سيرة أهل البيتعليهم السلام، وليعلموا بالضرورة انقطاع الشيعة الإمامية خلفاً عن سلف في أُصول الدين وفروعه والأخلاق إلى العترة الطاهرةعليهم السلام، فرأيهم تبع لرأي الأئمة الطاهرينعليهم السلام ولا يعوّلون في شيء إلاّ ويرجعون فيه إليهم، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة

➔

➔

وأهل السنّة في كتبهم بأسناد صحيحة عن النبي الأكرمﷺ، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول اللهﷺ: «ستّة لعنتهم الله وكلّ نبيّ مجاب: المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت يذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذلّ الله، والمستحلّ لحرم الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والتارك لسنّتي» (ثم قال الحاكم:) هذا حديث صحيح الإسناد ولا أعرف له علّة ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٢٦ وج٢: ص٥٢٥، وج٤: ص٩٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦، وابن حبّان في صحيحه ج١٣: ص٦٠، والطبراني في المعجم الكبير ج٣: ص١٢٧ وغيره. ودلالة الحديث على المقام واضحة حيث أنّه يدل على جواز سبّ ولعن من لعنه الله ورسوله وكلّ نبي مجاب. ولا يخفى أنّ دعاء الأنبياءعليهم السلام مستجاب، لأنّ دعائهم جامع لجميع الآداب والشرائط المقرّرة للاستجابة. ومن أجل توضيح المقام نقول: لا شكّ أنّ تحقّق الأثر لكلّ شيء يحتاج إلى وجود المقتضي ورفع المانع وتحقّق شرائطه؛ مثلاً لكي تتحقّق عمليّة الاحتراق نحتاج إلى وجود الورقة وإلى وجود النار، وأيضاً لا بدّ أن لا تكون هناك رطوبة تمنع من وصول النار إلى الورقة. فإذا وجدت الورقة ووجدت النار وارتفعت الرطوبة، حينئذ تتحقّق عملية الإحراق. كذلك الأمر في استجابة الدعاء، فإنّه لا بدّ من وجود ركن الدعاء ووجود شرط الدعاء وكذلك لا بدّ من ارتفاع المانع من الاستجابة. فالحديث فيه صراحة: بأنّ دعاء الأنبياءعليهم السلام تحتوي على جميع الأركان والشرائط للإستجابة. فقولهﷺ: «ستّة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب..»، معناه ستّة ملعونين على لسان من يوجد فيهم شرائط الإستجابة الدعاء، ومن الواضح أنّ من لعنه الأنبياء الذينهم مستجاب الدعوة يجوز لعنه وسبّه، وفيه جواز شرائط اللعن والسبّ شرعاً

➔

حسبما ما مضى بيان ذلك من جهات عديدة، منها: تركهم لسنّتهﷺ وقد نبّهنا على نبذة منها فيما مضى[(١)].

فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى بعض فقرات حديث «ستّة لعنهم الله...»، وهو قولهﷺ: «التارك لسنّتي..» (النظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص٢٦). فإنّ التارك لسنّة رسول اللهﷺ فهو كمن تعمّد على مخالفة سنة رسول اللهﷺ، ومن تعمّد على مخالفة سنة رسول اللهﷺ فهو متعمّد على مخالفة الله عزّ وجلّ، لأنّ الله تبارك وتعالى أمر بطاعة النبيﷺ فقال تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ (سورة النساء:٨٠). هذه الآية صريحة في أنّه لا يمكن الانفصال بين طاعة الله وطاعة الرسولﷺ، لأنّ النبي الأكرمﷺ لا يخطو أيّة خطوة خلافاً لإرادة الله... فكلّ ما يصدر منه قولاً وفعلاً وتقريراً إنّما يكون مطابقاً لإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته. وفي الحقيقة أنّ طاعة الرسولﷺ طاعة الله، ومعصيتهﷺ معصية الله حقيقة، والأخذ منه وطلب الهداية منه أخذ من الله وطلب من الله حقيقةً، قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (سورة النور:٦٣). هذه الآية تدلّ على أنّ ما أمر به النبيﷺ واجب الطاعة كوجوب طاعة أمر الله عزّ وجلّ، ولذلك حذر الله تعالى الناس عن مخالفة أوامر الرسولﷺ، فقال: فليحذر الذين يخالفون عن أمرهﷺ، حيث أنّ أوامر الرسولﷺ تدلّ على الوجوب، لأنّ أمرهﷺ أمر الله عزّ وجلّ. وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي الزناد: أنّ الأعرج حدّثه أنّه سمع أبا هريرة: إنّه سمع رسول اللهﷺ يقول: « من أطاعني فقد أطاع الله ومن

←

عصاني فقد عصى الله» (صحيح البخاري ج٤: ص٨ كتاب دعاء النبيﷺ إلى الإسلام، باب السمع والطاعة للإمام)، ورواه مسلم في صحيحه ج٦: ص١٣ كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية. فوجوب طاعة النبيﷺ والأخذ بسننه واجب على كل من آمن بالله كما لا يخفى على أحد. وعليه فإنّ الأدلّة القطعيّة من الكتاب والسنّة تدلّ على أنّ التارك لسنّة رسول اللهﷺ فهو كمن خرج عن طاعة الله عمداً، أوكمن يشاقق الله ورسولهﷺ، قال الله تعالى: **﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** (سورة النساء:١١٥). لأنّ أحد معاني العداء للرسولﷺ وهو الخروج عن طاعتهﷺ، فمقتضى هذه الآية أنّ من خرج عن طاعة رسول اللهﷺ فهو من المعادين لله ورسولهﷺ. مضافاً إلى أنّ العداء لرسول اللهﷺ عداء لله أيضاً، فالتارك لسنّة رسول اللهﷺ هو من المعادين لله ورسولهﷺ. ومن هنا يعرف حال من وقف بوجه رسول اللهﷺ عند احتضارهﷺ، وقال: "حسبنا كتاب الله"، حيث أنّ معناه التعمد على ترك طاعة رسول اللهﷺ والتارك لطاعة رسول اللهﷺ تارك لسنّة رسول اللهﷺ والتارك لسنّة رسول اللهﷺ تارك لقول الله عزّ وجلّ متعمّداً. فلا محالة يكون هو من الستّة الذين شملهم لعن الله وكلّ نبيّ مجاب. ويؤيّد ذلك ما قاله المناوي في شرح الحديث، ما هذا نصّ عبارته: (والتارك لسنّتي) بأن أعرض عنها بالكليّة أو ترك بعضها استخفافاً أو قلّة احتفال بها... (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٤: ص١٢٧). فحديث ستة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب... يدلّ بالصراحة على أنّ من ترك سنّة النبيﷺ في الإمامة فهو ملعون على لسان الأنبياء المستجاب دعائهم فلاحظ.

وقد عرفت في الوجه السابق سنّة النبيصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ للمرتدّين من الصحابة بعده بقوله: «سحقاً سحقاً لمن بدلّ بعدي»[1].

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى بعض متون حديث الحوض الذي رواه جميع أرباب الصحاح والمسانيد من علماء أهل السنّة، وقد رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبيصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: «أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يضمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمعني النعمان ابن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح البخاري ج٨: ص٨٦ كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾، وما كان النبيصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يحذر من الفتن). وروى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: قال رسول اللهصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثمّ يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا الحديث، فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح مسلم ج٧: ص٦٥ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيناصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ). وروى بسنده عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: قال رسول اللهصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً» قال: وقالت أسماء بنت أبي بكر: قال رسول

←

فعلم من ذلك متابعة الشيعة لصاحب الشريعة في سبّ من بدّل بعده وهم التاركون لسنّتهﷺ[1]،

←

اللهﷺ: «إنّي على الحوض حتّى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أناس دوني، فأقول: يا ربّ منّي ومن أمتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم» (صحيح مسلم ج٧: ص٦٦ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّناﷺ وصفاته). ولا يخفى على الخبير أنّ المراد بهذا التبديل هو أعم من الإعراض عن سنّة رسول اللهﷺ أو مخالفة أوامر رسول اللهﷺ ونواهيه. فكان رسول اللهﷺ يحذر الصحابة من الانحراف بعد رحيله ويجعل ملاك التقييم هو حسن أو سوء العاقبة، ففي رواية أنهﷺ قال لشهداء أحد: «هؤلاء أشهد عليهم» فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا، فقالﷺ: «بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي» (انظر الموطأ لمالك ج٢: ص٤٦٢). وقد أكّد بعض الصحابة على أنّ معنى الإحداث بعد رسول اللهﷺ هو الانحراف عن نهج رسول اللهﷺ بعد رحيله، ومن ذلك قول أبي ابن كعب: ما زالت هذه الأمّة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيّهم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠: ص٢٤). وقوله: ألا هلك أهل العقدة، والله ما آسى عليهم، إنّما آسى على من يضلّون من الناس (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠: ص٢٤). فالمقصود بالمرتدّين هم الذين انحرفوا عن خط رسول اللهﷺ فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ موضوع الأدلّة في حرمة السبّ هو المؤمن، كما ورد في الروايات طرق الفريقين الشيعة وأهل السنّة. أمّا ما ورد من طرق الشيعة، فمنها: ما رواه الكليني بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفرعليه السلام قال: «قال رسول اللهﷺ:

←

➔

سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه» (الكافي ج٢: ص٣٦٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهمعليهم السلام.

وأمّا ما ورد عن طرق أهل السنّة فمنها: ما رواه البخاري بسنده عن شعبة عن منصور قال: سمعت أبا وائل يحدّث عن عبد الله قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (صحيح البخاري ج٧: ص٨٤ كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن). ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، قال زبيد: فقلت لأبي وائل: أنت سمعته من عبد الله يرويه عن رسول اللهصلى الله عليه وآله؟ قال: نعم (صحيح مسلم ج١: ص٥٧ كتاب الإيمان، باب بيان قول النبيصلى الله عليه وآله «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»). ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن شعبة عن منصور وزبيد عن أبي وائل عن عبد الله عن النبيصلى الله عليه وآله أنّه قال: «سباب المؤمن فسق وقتاله كفر» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٤٣٩). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. فالملاك في حرمة السبّ هو المؤمن بلا فرق بين الصحابي وغيره، هذا بالنسبة إلى أصل حرمة السبّ المؤمن.

وأمّا معنى الإيمان والمؤمن في الكتاب والسنّة، فيمكن أن يستدل بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (سورة الحجرات:١٥)، فهذه الآية الكريمة بينت معنى الإيمان الحقيقي، حيث تقول بأنّ الإيمان له علائم خاصّة، العلامة الأولى: ثبات القدم وعدم الشكّ والتردّد من جهة أصل الإيمان كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾. والعلامة الثانية: الجهاد بالأموال، وذلك كقوله تعالى: ﴿**وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ**﴾. والعلامة الثالثة التي هي أهمّ

🡐

➔

من الجميع الجهاد بالنفس، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. ثمّ تختتم الآية بالقول مؤكّد: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، أي أولئك هم المؤمنون حقّاً. فالإسلام يستهدف في الإنسان أجلى العلائم ثبات القدم وعدم الشكّ والتردّد من جهة أصل الإيمان والإيثار بالمال والنفس من جهة أخرى. وهذا هو المعيار الذي حدّده الإسلام لمعرفة المؤمن الحقيقي وتمييزه عن الكاذبين المدّعين بالإسلام ظاهراً.

ثم أنّ هناك أصل قرآني لمعرفة المؤمن الحقيقي عن غيره وهو أصل التقوى، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات:١٣)، فمن العلائم التي تميز بها المؤمن الحقيقي عن غيره: هي "التقوى"، وأنّ التقوى ثمرة لشجرة الإيمان، والمقصود بالمؤمن هو من كان إيمانه نافذاً في أعماق قلبه، فمن علائم الإيمان حقيقةً التقوى في الأعمال، ولذلك لأنّ الله تعالى جعل الله شرط قبول الأعمال بالإيمان القلبي وبالتقوى في العمل، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة المائدة:٢٧). ويتبيّن من خلال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة:١١٩) أنّ الآية تأمر أوّلاً بالتقوى، ثم بالكون مع الصادقين، فتقول: من علائم الإيمان الحقيقي مضافاً التقوى يلزم أن تكون مع الصادقين، أي من أجل أن تستطيع السلوك في طريق التقوى الملئ بالمنعطفات والأخطار بدون اشتباه وانحراف أن تكونوا مع الصادقين، ومن الواضح أنّ مفهوم الصادقين في الآية ليس عامّاً، إذ لو كان عامّاً وشاملاً لكلّ المؤمنين الحقيقيّين المستقيمين لكان اللازم أن يقول تعالى: وكونوا من الصادقين، لا مع الصادقين، وهذه بذاتها قرينة واضحة على أن الصادقين في

➔

➔

الآية هم فئة خاصّة. فمن هم الصادقون؟

وقد اتّضح أنّ غير المعصوم لا يكون مصوناً من الخطأ والاشتباه، فلا بدّ أن يكون المقصود بالصادقين المعصومون منهم. وقد روى جماعة من كبار علماء أهل السنّة كالحاكم الحسكاني في تفسيره شواهد التنزيل بسنده عن عبد الله بن عمر في ذيل قوله تعالى: ﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ قوله: يعني محمّداً وأهل بيته عليهم السلام (انظر شواهد التنزيل ج١: ص٢٦٢). والملفت للنظر هنا هو أن الفخر الرازي المعروف بتعصّبه وتشكيكه قد قبل هذه الحقيقة ويقول: أنّ أغلب مفسّري السنّة سكتوا عن هذه الحقيقة عند مرورهم بهذه الآية المباركة. ثم يقول: إن الله قد أمر المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين، وعلى هذا فإنّ الآية تدلّ على أن من يجوز الخطأ عليهم يجب عليهم الاقتداء بالمعصوم حتى يبقوا مصونين عن الخطأ في ظله وعصمته، وسيكون هذا الأمر في كلّ زمان، ولا نملك أي دليل على اختصاص ذلك بعصر النبي صلى الله عليه وآله.. (تفسير الفخر الرازي ج١٦: ص٢٣٠). وعليه فإنّ المستفاد من القرآن الكريم والروايات أنّ المؤمن الحقيقي هو من كان له الصفات المذكورة في القرآن الكريم والروايات من الصدق والأمانة و...، فالشيعة تعتقد بأنّ المقصود من قوله صلى الله عليه وآله: «سباب المؤمن فسوق» هو حرمة سبّ المؤمن الحقيقي، والمؤمن الحقيقي هو من كان له صفات المؤمن الذي جاء في القرآن كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (سورة الحجرات:١٥). وما في الروايات المتّفقة بين الفريقين الدالّة على أنّ المؤمن هو من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله صادقاً. فسبّ المؤمن الصادق في إيمانه حرام، سواء كان من الصحابة أو غير الصحابة، والمؤمن الحقيقي هو من كان يؤمن بالله ولا يرتاب في إيمانه، ومعنى ذلك أنّه يؤمن

➔

فطوبى لمن يقتدي بما قاله النبيﷺ[1]،

➔

ويصدق بجميع بما جاء به النبي الأكرمﷺ ومن جملة ما جاء به النبي الأكرمﷺ إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومن بعده إمامة الأئمة الأطهار الأحد عشرعليهم السلام الذين أوجب الله طاعتهم على العالمين، وقد نصّ رسول اللهﷺ على إمامتهم ووجوب طاعتهم إلى يوم القيامة في أحاديث متواترة رواه جميع علماء الإسلام، كما سنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى، فهم أئمة الهدى والدعاة إلى الله، فالحقّ معهم وفيهم وبهم، والسعيد من تمسّك بحبلهم، والشقّي الهالك من خرج عن طاعتهم.. فالمؤمن الحقيقي من الصحابة هم الذين آمنوا بإمامة الأئمة الاثني عشر من أهل البيتعليهم السلام، فمن آمن بالله و رسولهﷺ وكان ثابتاً على إيمانه وصدق بما جاء به الله رسول اللهﷺ ولم يغيّر سنّة رسول اللهﷺ ولم يبدّلها بعد وفاتهﷺ فسبّه حرام حسب؛ لدلالة هذه الآيات والروايات، وأمّا من ترك سنّة رسول اللهﷺ وأعرض عنها وخالف سنّة رسول اللهﷺ في وصيّته وغير ذلك من أقواله وشريعته فلا يكون مؤمناً حقيقيّاً. فالمعيار أوّلاً: أخذ موضوع المؤمن في أصل الدليل؛ وثانياً: معرفة المؤمن الحقيقي عن غيره من الآيات والروايات؛ وثالثا: عدم وجود الفرق في الأدلّة بين الصحابي وغيره، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الاقتداء وسيلة هامة من وسائل التربية، لأنّ الناس يتأثّرون بمن يقتدون به، ولذلك أمر النبيﷺ أمّته بالاقتداء والتمسّك بالثقلين، فقالﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١٨١، والمعجم الكبير للطبراني ج٥: ص١٥٩، ومجمع الزوائد للهيثمي ج١:

➔

←

ص ١٧٠، وغيرها من المصادر). وحديث الثقلين من الأحاديث المشهورة الّتي اتّفق على روايتها الفريقان، وقد رواه أجلاّء علماء أهل السنّة في صحاحهم بأسانيد متعدّدة، قال ابن حجر: ثمّ اعلم انّ لحديث التمسّك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً (انظر الصواعق: ص١٤٨ الباب الحادي عشر، الفصل الأوّل). والحديث يتضمّن على حقائق جوهريّة وليتبيّن من خلاله حقيقة الاقتداء بالخلفاء الحقيقيين الاثني عشر من العترة الطاهرة عليهم السلام بوضوح وجلاء، إذ الحديث فيه دلالة واضحة على استخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده ، ويكون مبيناً على عبارات صريحة موضحاً أنّ طريق النجاة والسلامة من الضلال والانحراف إنّما يكون منحصراً في التمسّك بالثقلين. وقد أكّد أئمة أهل البيت عليهم السلام في منهجهم التربوي بالإقتداء بالمعصومين عليهم السلام في جميع شؤون الحياة المادّية والمعنوية. وقال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اقتدوا بهدىٰ نبيّكم فإنّه أصدق الهدىٰ، واستنّوا بسنّته فإنها أهدى السنن (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١١٠). وقال عليه السلام: «طوبى لمن عمل بسنّة الدين، واقتفى آثار النبيّين» (غرر الحكم: ص ١١٠). وقال عليه السلام: «انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً، ولن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٩٧). فهذا الكلام في الواقع إشارة إلى حديث الثقلين الذي من هو أهم الأحاديث النبوية باعتبار أنّه يحتوي على أهمّ وصيّة النبي صلى الله عليه وآله من وصاياه وذلك باعتبار أنّ نجاة الأمة متوقّفة على هذا الاقتداء، لأنّ أهل البيت عليهم السلام أمان من الهلاك. ويعرف ذلك من اهتمام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لمستقبل الأمّة وحفظهم من الضلال وهلاك، فطوبى لمن اقتدى برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

فإنّه سنّة حسنة[1]،

(١) لايخفى أنّ المراد من السنّة الحسنة هنا الطريقة المسلوكة المطابقة للموازين الشرعية، ومن الواضح أنّ الطريقة التي يدعو الشارع المقدّس إلى إشاعته وتكثيره. هي السنّة الشرعيّة التي جعلها الشارع الأقدس حجّة شرعية، ومصدراً من المصادر الإسلامية المهمّة التي لا يمكن الاستغناء عنه، وهي سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام. فالظاهر أنّ المقصود من السنّة الحسنة هنا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (سورة الأحزاب:٢١). فإنّ معنى الأسوة: التأسي والاقتداء، وبناء على هذا فإنّ لكم في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة، أي: أنّه لكم في النبي صلى الله عليه وآله تأسياً واقتداءً جيّداً، فإنكم تستطيعون بالاقتداء به واتباعه أن تصلحوا أموركم وتسيروا على الصراط المستقيم. والطريف أن القرآن الكريم يعتبر هذه الأسوة الحسنة في الآية أعلاه مختصّة بمن لهم ثلاث خصائص: الثقة بالله، والإيمان بالمعاد، وأنهم يذكرون الله كثيراً، فقال تعالى: ﴿**لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾. ثم إنّ الإيمان بالمبدأ والمعاد هو السبب والباعث لهذه الحركة في الحقيقة، وأنّ ذكر الله موجب لاستمراره، إذ لا شكّ أن من لم يمتلئ قلبه بهكذا إيمان لا يقدر أن يضع قدمه موضع قدم النبي صلى الله عليه وآله، وإذا لم يدم ذكر الله ولم يعمر قلبه بذكر الله لايحصل له الاستمرار في هذا الطريق، ولا يبتعد عنه الشياطين، وسوف لا يكون قادرا على إدامة التأسي والاقتداء به. وتجدر الإشارة إلى أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع شهامته وشجاعته في كلّ ميادين الحرب، والتي تمثل معركة الأحزاب نموذجاً منها، وسيشار إليها فيما بعد، يقول: «كنّا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه» (بحار الأنوار ج١٦: ص١٢١). وعليه فإنّ التأسي والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله معناه ←

وضدّه سنّة سيّئة وهو تعديل عامّة الصحابة[١].

الاتّباع عن سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبمقتضى حديث الثقلين الاقتداء بالمعصومين عليهم السلام في جميع شؤون الحياة المادّية والمعنوية، اقتداء بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله. ومن لم يعمل بسنة النبي صلى الله عليه وآله مشمول لحديث «ستّة لعنهم الله...» الذي منهما التارك لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله. فالسنّة الحسنة ، هي سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله محبوبة عند الشارع الأقدس، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: «من سنّ سنّة سيّئة فله وزر من عمل بها»، وهو من الأحاديث المشهورة بين الفريقين الشيعة وأهل السنّة، فرواه مسلم في صحيحة بسنده عن شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله... فصلّى ثمّ خطب فقال: «... من سنّ في الاسلام سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (صحيح مسلم ج٣: ص٨٦ كتاب الزكاة، باب الحثّ على الصدقة ولو بشقة تمرة أو كلمة طيبة وأنّها حجاب من النار). وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عاصم ابن أبي النجود عن أبي وائل عن جرير قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «من سنّ سنّة سيّئة عمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٦١). فالحديث صريح في أنّ من سنّ سنّة سيّئة فله وزر من عمل بها. وعلى ضوء هذا الحديث لو درسنا تاريخ الصحابة والأحداث التي حدثت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله نجد أنّ أكثر الصحابة وضعوا حجر الأساس لمخالفة أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فإنّ ما أحدثها الصحابة في السقيفة من غصب الخلافة كان منشاءً لإنحراف الأمة عن الإمامة، فشملهم حديث "سنّ سنّة سيّئة..." وإنّ من السنن التي أسّسها خلفاء السقيفة والتابعين لهم هي سنّة

➔

عدم الخوض في أحوال الصحابة وإيمانهم، وصلاحية السقيفة للحكومة. والباحث عندما يراجع إلى مصادر أهل السنّة يجد استقر حكومة السقيفة على تقديس الصحابة على نحو العموم، وعلى أساس ذلك يحكمون بمشروعية خلافة خلفاء الجور، ليغطوا على هويّة حكامهم وضعف إيمانهم بالله ورسولهﷺ وطغيانهم أمام المغريات الكثيرة والفتن المتلاحقة.

في حين أنّ هناك أحاديث ورد عن النبي الأكرمﷺ وقد خاطب الصحابة بقولهﷺ: «لتتبعنّ سنن من كان من قبلكم شبر بشبر وذراع بذراع، حتّى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» (صحيح البخاري ج٨: ص١٥١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب قول النبيﷺ «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم»). وفي حديث آخر رواه ابن أبي شيبة بسنده عن ربعي بن حراش قال: قال حذيفة: لتركبنّ سنّة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أنّي لا أدري تعبدون العجل أم لا؟ (المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص٦٣٦). وفي موطأ لمالك: عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، أنّه بلغه أن رسول اللهﷺ قال لشهداء أحد: «هؤلاء أشهد عليهم»، فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا، فقال رسول اللهﷺ: «بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي». فبكى أبو بكر ثمّ بكى، ثمّ قال: أئنّا لكائنون بعدك؟ (الموطأ لمالك ج٢: ص٤٦١). بل في حديث الحسن: أنّ النبيﷺ قام على أهل البقيع فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور من المؤمنين والمسلمين، لو تعلمون ما نجاكم الله منه ممّا هو كائن بعدكم»، ثمّ نظر إلى أصحابه فقال: «هؤلاء خير منكم»، قالوا: يا رسول الله، وما يجعلهم خيراً منّا؟ قد أسلمنا كما أسلموا وهاجرنا كما هاجروا وأنفقنا كما أنفقوا، فما يجعلهم خيراً منّا؟ قال: «إنّ

⬅

➔

هؤلاء مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً، وشهدت عليهم، وإنّكم قد أكلتم من أجوركم بعدهم، ولا أدري كيف تفعلون بعدي» (تاريخ المدينة لابن شيبة ج١: ص٩٦). كما ورد عنه صلى الله عليه وآله إخطارهم بالفتن المقبلة عليهم. ففي حديث أسامة ابن زيد قال: أشرف النبي صلى الله عليه وآله على أطم من آطام المدينة، ثم قال: «هل ترون ما أرى؟ إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر» (انظر صحيح البخاري ج٢: ص٢٢٢ كتاب الحجّ، باب حرم المدينة). وعن ابن عمر أنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من بيت عائشة فقال: «رأس الكفر من ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٢٣). وعنه أيضاً أنه قال: استند النبي صلى الله عليه وآله إلى حجرة عائشة، فقال: «إن الفتنة ههنا، إن الفتنة ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان» (الموطأ لمالك ج٢: ص٩٧). وعنه أيضاً: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مستقبل المنبر وهو يقول: «ألا أن الفتنة ههنا» مرّتين «من حيث يطلع قرن الشيطان» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص١٨). وعن نافع عن عبد الله قال: قام النبي صلى الله عليه وآله خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة فقال: «هنا الفتنة» ثلاثاً، «من حيث يطلع قرن الشيطان» (صحيح البخاري ج٤: ص٤٦ كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وآله، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وما نسب من البيوت إليهنّ وقول الله تعالى ﴿**وقرن في بيوتكن**﴾ و﴿**لا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾). وعن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ذهب إلى البقيع، فلمّا وقف على أهل البقيع قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح فيه الناس، لو تعلمون ما نجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع أوّلها آخرها، الآخرة شرّ من الأولى» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٨٩). وفي حديث كعب بن عجرة الأنصاري قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن في المسجد، أنا تاسع تسعة، فقال لنا: «أتسمعون؟

🡐

➔

هل تسمعون؟ - ثلاث مرار - إنّها ستكون عليكم أئمة، فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فلست منه وليس منّي ولا يرد عليّ الحوض يوم القيامة، ومن دخل عليهم ولم يصدّقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منّي وأنا منه وسيرد عليّ الحوض يوم القيامة» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٤٣). وفي حديث أبي مريم: سمعت عمّار بن ياسر يقول: يا أبا موسى... أنشدك الله أليس إنّما عناك رسول اللهصلى الله عليه وآله بنفسك فقال: إنّها ستكون فتنة في أمّتي أنت يا أبا موسى فيها نائم خير منك قاعد، وقاعد خير منك قائم، وقائم خير منك ماش، فخصّك رسول اللهصلى الله عليه وآله ولم يعمّ الناس؟ فخرج أبو موسى ولم يرد عليه شيئاً (مسند أبي يعلى الموصلي ج٣: ص٢٠٤). وفي حديث حذيفة: قال: كنّا مع النبيصلى الله عليه وآله فقال: «أحصوا كل من تلفّظ بالإسلام»، قال: قلنا: يا رسول الله تخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: «إنّكم لا تدرون لعلّكم أن تبتلوا»، قال: فابتلينا حتّى جعل الرجل منا ما يصلّي إلا سرّاً (صحيح مسلم ج١: ص٩١ كتاب الإيمان، باب تألّف قلب من يخاف على إيمانه). ولا بدّ أن يريد التستّر بالصلاة التامّة التي كانت على عهد رسول اللهصلى الله عليه وآله، وإلاّ فالصلاة كانت تقام علناً. ويناسب ذلك ما تقدّم عن أنس من أنّهم ضيعوا من الصلاة ما ضيعوا، وما عن أبي موسى الأشعري من أنّهم تركوا الصلاة التي كانوا يصلّونها مع النبيصلى الله عليه وآله نسياناً أو عمداً. وقد صرّحصلى الله عليه وآله بهلاك بعضهم أو نفاقه أو خروجه عن الطريق، مثل ما تقدّم من أن قاتل عمّار وسالبه في النار، وأنه تقتله الفئة الباغية (انظر صحيح البخاري ج٣: ص٢٠٧ كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل). إلى غير ذلك ممّا ورد في المقام من الأحاديث فإنّها تدلّ على بطلان نظرية عدالة الصحابة. والباحث لو راجع المصار التاريخية ودرس حياة الصحابة في المجالات المختلفة يجد أنّ

➔

ورابعها: ما نقله عن جماعة من أصحاب أحمد وغيره ، من زعمهم أمر الله سبحانه بأن يستغفر للصحابة، وهو عالم بأنّهم يقتلون[١]،

←

سيرتهم في حدّ نفسها دليل على عدم صحة هذه النظرية. وأنّ هذه النظرية ليس مطابقة للواقع وليس تحتها شيء و لم تكن مبنيّة على معالم الدين بل كانت مبنيّة على جذور الجاهليّة والنزغات الشيطانيّة. إذن لم يكن بنيان نظرية عدالة الصحابة على أساس الدين والتقوى، وبئس ما أسّسوا وسنّوا سنّة سيّئة، بل أنّ هذا الأساس مشمول لقوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (سورة التوبة:١٠٩).

(١) الظاهر أنّ المراد من قوله: ما رواه اصحاب أحمد بن حنبل هو ما ورد في كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل بسنده عن ابن عباس قال: لا تسبّوا أصحاب محمّد، فإن الله عزّ وجلّ قد أمر بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتلون (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١: ص ٥٩).

أقول: أوّلاً: استدلال ابن تيمية بهذا الحديث للاحتجاج على الشيعة باطل عند أهل العلم؛ لأنّ من شرائط الاحتجاج أن يكون الاستدلال بما هو حجّة عند الطرف الآخر، فلا يصحّ الاحتجاج بما لا يكون حجّة عند الخصم. وهذا أمر متّفق عليه بين جميع أهل العلم. وعليه لا معنى لاحتجاج ابن تيمية بهذا الحديث على الشيعة. ويؤكّد بطلان كلامه ما ذكره ابن حزم الأندلسي في معرض الحديث عن احتجاج أهل السنّة على الإمامية، فإنّه قال: لا معنى لاحتجاجنا عليهم (الشيعة) برواياتنا فهم لا يصدّقونها، ولا معنى لاحتجاجهم (الشيعة) علينا برواياتهم فنحن لا نصدّقها، وإنّما يجب أن يحتجّ الخصوم بعضهم على بعض بما يصدّقه الذي تقام عليه الحجّة

←

➔

به، سواء صدّقه المحتجّ أو لم يصدّقه؛ لأنّ من صدّق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري، فيصير حينئذ مكابراً منقطعاً إن ثبت على ما كان عليه (الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٣: ص١٢). وعليه فلا يجوز لابن تيمية أن يحتجّ على الشيعة بهذا الحديث.

وثانياً: على فرض قبول الحديث تنزّلاً فإنّ طلب الاستغفار من الآخرين متّحد في الملاك مع الاستشفاع، فإذا كان التوسّل والاستشفاع بأولياء الله شرك عند ابن تيمية، فلا بدّ من أن يقول الاستغفار للصحابة أيضاً شرك بالله العظيم، لأنّ طلب الاستغفار من الآخرين على مسلكه أيضاً يكون طلباً من غير الله، فهو بنفس الملاك الموجود في استشفاع يكون على حد زعمه شركاً بالله. بل وأنّ طلب الاستغفار للصحابة معناه طلب الاستشفاع لهم على مذهب ابن تيمية، فيلزم عليه القول بالشرك، وإذا كان الأمر كذلك فما معنى طلب الاستغفار للصحابة؟!! وكيف يمكن أن يأمر الله تعالى نبيّهﷺ بأن يستغفر للتائبين من أصحابه؟ مع أنّ ابن تيمية يزعم أنّ للاستغفار للغير ينتهي إلى الشرك؟!!

وثالثاً: يرد على هذا الزعم بأنّه كما أمر سبحانه نبيّهﷺ بأن يعفو ويستغفر لمن تاب من الصحابة الذين هربوا عن ساحة القتال في واقعة أحد لا على نحو الإطلاق. وتوضيح المقام: أنّ بعض الصحابة الذين ندموا من الفرار في غزوة أحد وجاؤوا إلى النبيﷺ وأبرزوا ندامتهم عما ارتكبوه في ساحة أحد، فأنزل الله تعالى: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٥٩)؛ هذه الآية المباركة وإن كانت تتضمّن سلسلة من التعاليم الكلّية الموجّهة إلى رسول اللهﷺ وتشتمل من حيث المحتوى على برامج كلّية وأساسيّة، ولكنّها من حيث النزول ترتبط بواقعة أحد،

➔

➔
لأنّها نزلت بعد رجوع المسلمين من أحد، عندما أحاط الأشخاص الذين فرّوا من المعركة برسول الله ﷺ وأظهروا له الندامة من فعلتهم وموقفهم وطلبوا منه العفو، فأصدر الله سبحانه إلى نبيّه ﷺ أمره بأن يعفو عنهم ويتجاوز عن سيّئهم ويستقبل المخطئين التائبين منهم بصدر رحب. وهذا الكلام يعني أنه سبحانه يطلب منه ﷺ أن يتنازل عن حقّه لهم إذ تفرّقوا عنه في أهمّ الظروف وسبّبوا له تلك المصائب والمتاعب في تلك المعركة، وأنّه يشفع لهم لدى نبيّه ﷺ بأن يتجاوز عنهم وأن يشفع هو بدوره لهم عند الله ويطلب المغفرة لهم منه سبحانه.

وبتعبير آخر أنّه سبحانه يطلب من نبيّه ﷺ أن يعفو عنهم فيما بينه وبينهم، وأمّا ما بين الله وبينهم فهو سبحانه أحكم الحاكمين، إن شاء يغفر لهم وإن شاء يعاقبهم على ما فعلوه من الهزيمة النكراء في واقعة أحد التي على أثرها تحمل جيش الإسلام من القتلى والجرحى، فكانوا هم السبب في ذلك. فما فعله الرسول الكريم ﷺ من الاستغفار والعفو والمغفرة للمؤمنين من الصحابة بأمرالله تعالى إنّما كان لوجود المقتضي فيهم في ذلك المقام، أي أنّ المقام كان يتطلب العفو والمغفرة واللطف واللين من النبي ﷺ. ومن الواضح أنّ المنافقين من الصحابة الفاقدين للوعي والبصيرة لم يعفو النبي ﷺ عنهم أبداً، لأنّ الله تبارك وتعالى أمره بأن لا يستغفر لهم أبداً، وذلك في قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ (سورة التوبة:٨٠). ومن أجل أن لا يبقى هناك أي إبهام أو التباس قال تعالى: سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين.

بعبارة أخرى: إنّ استغفار النبي ﷺ ليس علّة تامّة للمغفرة، بل هي المقتضي تؤثر في
➔

فإنّه من عجيب البهتان على الرحمن وشنيعه، لأنّه مناقض لما نزل به الفرقان، حيث قال سبحانه: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾[1]، ولعن

➔

من كان له الأرضيّة التوبة، أي عندما يتوبون بصدق وإخلاص ويتّخذون طريقاً آخر ويهجرون الكذب والغرور ويستسلمون للحقّ، هنالك يؤثّر استغفار الرسولﷺ وتقبل شفاعته. وعليه أنّ احتجاج ابن تيمية بالحديث المذكور باطل بالضرورة.

(١) سورة الطلاق:١؛ هذه الآية المباركة فيها إشارة إلى حكمة الله البالغة التي تكون قائمة على أساس النظام الأكمل وتحقيق المصالح والمنافع النابعة من علمه اللا متناهية. ومنها يعرف أنّ الغرض من الأوامر والأحكام الإلهيّة سعادة الناس أنفسهم، فمن خالف وتجاوز عن الحدود الإلهيّة والأحكام الشرعيّة يرجع ضرره إلى نفسه، إذ الأحكام الإلهيّة وأوامره كلّها تكون لمصلحة البشر وسعادتهم الأبديّة. وفي ما نحن فيه فإنّ استغفار النبيﷺ للصحابة الذين تعدّوا حدود الله مناقض لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾؛ لأنّ من تعدّى حدود الله فقد أضرّ بنفسه في الدنيا وسلب عن نفسه السعادة الأخرويّة. وهذا يستفاد من قوله تعالى: **فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**، أي: عرض نفسه للعذاب، لأنّ الاتيان بما نهى الله عنه تعريض لعذاب الله؛ حيث أنّ أصل الظلم وضع الشيء في غير محلّه، فالإنسان الذي سلب عن نفسه السعادة الأبديّة وجعل نفسه في معرض العذاب، بالعصيان والتعدي عن حدود الله، فإنّه قد وضع نفسه في غير محل اللائق به، لأنّ الإنسان يليق به أن يجعل نفسه في السعادة. ومن جعل نفسه في نار جهنم خالداً فيها كما قال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ (سورة النساء:١٤). فإنّه قد جعل نفسه في غير موضع اللائق به. ولا شكّ أنّ التمرّد

➔

سبحانه فيه الظالمين[1]، وقد عرفت تعدّي جمهور الصحابة لحدود الله في

➔

والطغيان والعداء والإنكار لآيات الله موجب للخلود في النار، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة:٢٣١). فالصحابة الذين تعدّوا حدود الله وشملهم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ فهم في زمرة أهل النار، ولا ينفعهم استغفار النبيﷺ؛ لأنّ استغفارهﷺ لهم يكون مغايراً للحكمة الإلهية، حيث أنّ إرادة الإلهيّة تعلقت بخلود من تعدى الحدود الإلهية في جهنّم، والاستغفار لمن يكون خالداً في النار مخالف للحكمة الإلهية، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (سورة هود:١٨)؛ والمستفاد من الآية الكريمة أن الظلم من أشنع الذنوب الذي اقترن بوعيد شديد من الله عزّ وجلّ، وقد جعل الله سبحانه لفاعله العذاب واللعنة، بل التحليل الدقيق يقتضى أن يقال: سائر الذنوب إنّما هي شنيعة ومذمومة بمقدار ما فيها من معنى الظلم، وهو الانحراف والخروج عن الوسط والعدل. ومن ناحية أخرى أنّ الظلم كما يكبر ويصغر من جهة خصوصيات الظالم كذلك يختلف حاله بالكبر والصغر من جهة من وقع عليه الظلم أو أريد إيقاعه عليه، فكلّما جلّ موقعه وعظم شأنه كان الظلم أكبر وأعظم. ومن الواضح أنّه لا أعزّ قدراً وأكرم ساحة من الله سبحانه، ولا أعظم من آياته الدالّة عليه، فإنّه ليس ظلم فوق الظلم بساحة الربوبية المنزه عما ينتسب إليه بوجه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة

➔

نفس مبايعتهم أبا بكر وعمر وعثمان[١]،

➔

الأنعام:٢١). فإنّ الافتراء والكذب على الله والتكذيب بآياته تعالى من أعظم الظلم مراتب الظلم في العالم، حيث أنّ مرجعه إلى إنكار الدين الحقّ. فالكذب على الله وإنكار الحقّ من أكبر أنواع الظلم على الله، قال الله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ**﴾ (سورة الزمر:٣٢). ومن الواضح أنّ هذا استفهام إنكاري، لأنّ هذا النوع من الظلم يترتب عليه ضلالة الناس والرد على الدين والانحراف عن الداية الإلهية، فليس أكبر منه ظلم في العالم. وقد ورد في بعض الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وفيها قد فسّرت الصدق في الآية المباركة بـ"ولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام"، منها ما رواه الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، في قوله ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ..**﴾ قال: «الصدق ولايتنا أهل البيت عليهم السلام» (الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣٦٤). وفي تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني: من طريق المخالفين عن ابن مردويه، بإسناده عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال: «الّذي كذّب بالصدق هو الذي ردّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام» (تفسير البرهان ج٤: ص٧١٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، فالصحابة الذين كذبوا بالصدق، أي كذبوا بولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شملهم قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾.

(١) لا يخفى أنّ مصيبة الأمّة الإسلامية بدت من يوم السقيفة وغصب الخلافة الذي هو أصل هذه المصائب وبيت هذه الفجائع والنوائب، التي سببت انحراف الأمّة

➔

➔

وتعديهم عن حدود الله. وبذلك فتحت للأمّة أبواب مخالفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله بمبايعتهم لخلفاء الجور، لأنّ بمبايعتهم للخلفاء الثلاثة حصلت لهم السلطة والقدرة الخارجة عن حدود الشرع، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا النوع من القدرة والسلطة بحكومة الطاغوت، لأنّ بها تجاوز الناس عن الحدود الإلهية، ومن تعدّى عن الحدود الإلهيّة والقوانين الحقّة والعدل فهو من الطاغوت كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بمَا أُنْزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوت وَقَدْ أُمرُوا أَنْ يَكْفُرُوا به وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضلَّهُمْ ضَلالاً بَعيداً**﴾ (سورة النساء: ٦٠). هذه الآية تنهى عن التحاكم إلى الطاغوت واتّباع أمرها وحكمها، والطاغوت مشتقّة من الطغيان، وهذه الكلمة مع جميع مشتقّاتها تعني التجاوز والتعدّي وكل شيء يكون وسيلة للطغيان أو التمرّد وابتعاد الناس عن الله سبحانه وتعالى فهو طاغوت. وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الطاغوت كلّ من يتحاكم إليه ممّن يحكم بغير الحقّ» (بحار الأنوار ج٩: ص٧٥). فالآية تنهي عن الترافع إلى الحكم والقضاء إلى مثل هؤلاء الحكّام والطواغيت، فتقول: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بمَا أُنْزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزلَ مِنْ قَبْلِكَ يُريدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوت وَقَدْ أُمرُوا أَنْ يَكْفُرُواوا بِه**﴾. ثمّ تضيف الآية قائلاً: ﴿**وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا**﴾: أي أنّ التحاكم إلى الطاغوت وطلب الحكم منهم كطلب الحكم من الشيطان، ويحذّرهم الله من المراجعة إلى الطواغيت لأنّهم يضلّون المؤمنين عن الصراط المستقيم. وغير خفي بأنّ الخلفاء الثلاثة قد غصبوا الخلافة من أهل البيت عليهم السلام، إذ أنّهم قد رأوا النبي صلى الله عليه وآله بأمّ أعينهم وسمعوا منه صلى الله عليه وآله مئات الأحاديث والروايات في حقّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الدالّة إمامته وخلافته بالصراحة وإمامة أئمة أهل

➔

➔

البيت عليهم السلام؛ والشاهد على ذلك اجتماع ألوف من الصحابة في حجّة الوداع مع النبي صلى الله عليه وآله، فقيل مائة وأربعة عشر ألفاً وقيل أكثر وقيل تسعون ألفاً حتّى حجّ معه من لم يكن يراه قبلها ولا بعدها وحصل لهم فضيلة الصحبة، وأراهم مناسكهم وعلّمهم (انظر إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى - لعمر بن فهد المكي المتوفى سنة ٨٨٥ - ج١: ص٥٦٨). وقال ابن قيّم: لمّا عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على الحجّ علم الناس أنّه حاج، فتجهّزوا للخروج معه، وسمع بذلك مَنْ حول المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله صلى الله عليه وآله ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، فكان من بين يده ومن خلفه وعن يمينه وشماله مدّ البصر (انظر زاد المعاد ج١: ص١٧٥). وعند رجوعه صلى الله عليه وآله من الحجّ مرّ في طريقه بغدير خم؛ لأن غدير خم هو بالجحفة، وقد اجتمع فيها الجمع الغفير من الصحابة الحاشد من المهاجرين والأنصار ما يفوق على مئة ألف من المسلمين وقد شهدوا رجالاً ونساءً تلك الواقعة وما جرى فيها في يوم الثامن عشر من شهرذي الحجّة من السنة العاشرة للهجرة، وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام ونصبه إماماً وعلماً للمسلمين. وقد شهد بصحّة هذا الحديث النبوي جمع كبير من الصحابة وفيهم الخلفاء الثلاثة وهنّئوا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بإمرة المؤمنين وكلّ منهم قال: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عبّاس: وجبت والله في أعناق القوم، فقال حسان بن ثابت ائذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً تسمعهنّ، فقال: «قل على بركة الله»، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله صلى الله عليه وآله في الولاية ماضية ثمّ قال: يناد بهم يوم الغدير نبيّهم * بخمّ فاسمع بالرسول منادياً (وإلى آخرأبياته). وقد روى هذه الواقعة أكثر من مئة صحابي، ويكاد أن لا يخلو

➔

وفي متابعتهم لهم على مبتدعاتهم ومناكيرهم[(١)]،

➔

مصدر من مصادر أهل السنّة من ذكر واقعة الغدير ولو بإيراد جانب منها واقتطاع جوانب أخرى منها، بألفاظ مختلفة، وقد جمّعها العلاّمة الأميني قدس سره في كتابه الغدير، وروى الحديث بأسناد عديدة من طرق أهل السنّة. ثمّ رواة الحديث قرناً بعد قرن، فرواه من مائة وعشرين صحابيّاً وتسع وثمانين تابعيّاً، وثلاثة آلاف وخمسمائة من العلماء والمحدّثين من المصنّفين من أهل السنّة الذين رووا هذا الحديث الشريف (فراجع الغدير للعلاّمة الأميني قدس سره ج١: ص١٢-٤١٠). وهناك أحاديث المناشدة، وهي الأحاديث التي ناشد فيها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعض الصحابة الذين حضروا يوم غدير خم وسمعوا من النبي صلى الله عليه وآله ما قاله في حقّه عليه السلام، وأيضاً استخرجها العلاّمة الأميني قدس سره في كتابه الغدير من مصادر علماء أهل السنّة (انظر الغدير ج١: ص١٥٩-١٨٦). فهذا الحديث واحد من المئات الأحاديث التي رواها علماء أهل السنة والصحابة والتابعين عن النبي صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد تمّت الحجّة على جميع الصحابة ولكن مع ذلك كلّه: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (سورة النمل:١٤). فالصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة، خرجوا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ودخلوا في طاعة الشيطان بسبب غصب الخلافة والتعدّي عن الحدود الإلهيّة في باب الإمامة والخلافة. فلا شكّ أنّ مفاسد الخروج عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله أثرها تحطيم كيان المجتمع البشري وتخريب علاقاته وروابطه وأسّسه فما يجدها البشر اليوم من تلك الآثار السيئة هي نتيجة غصب الخلافة، وحكومة الخلفاء الثلاثة، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ من مصائب الأمّة الإسلامية هي البدع والمناكير التي أحدثها الخلفاء

➔

➔

الثلاثة في الإسلام وهي كثيرة جداً وذكرها يخرجنا عن موضوع الكتاب، فنشير هنا إلى بعض ما رواه علماء أهل السنّة في المقام ونترك الاستقصاء للقارئ العزيز ورجوعه إلى الكتب التي تناولت هذا البحث بشكل وسيع. فمن البدع التي أحدثها أبو بكر في الإسلام قتل المؤمنين المانع من إعطاء الزكاة للحكومة الجائرة؛ وهذه القضية من المسلمات التاريخية، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: لمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أبو بكر... فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله، فمن قالها فقد عصم منّي ماله ونفسه إلاّ بحقّه وحسابه على الله، فقال: والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإنّ الزكاة حقّ المال والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لقاتلتهم على منعها، قال: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر فعرفت أنّه الحقّ (صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). من الواضح لدى كلّ مسلم أنّ مانعي الزكاة لم يرتدّوا عن الإسلام، كيف وقد صلّوا مع خالد وجماعته عندما حلّوا بفنائهم. ثمّ إنّ أبا بكر نفسه أبطل هذه الدعوى الكاذبة بدفعه دية مالك من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله والمرتدّ لا يعتذرعن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال، قال ابن الأثير: وقدم متمّم بن نويرة (أخو مالك بن نويرة) على أبي بكر يطلب بدم أخيه ويسأله أن يردّ عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر بردّ السبي وودى مالكاً من بيت المال (انظر الكامل لابن الأثير ج٢: ص٣٥٩). وقد ورد في صحاحهم صريحاً بأنّ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٧ كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لايشعر). فكيف يمكن نسبة الارتداد إليهم؟!! ولكن حيث عرف علماء أهل السنّة هذه النصوص وعرفوا ما يترتب عليها من الآثار، فوقعوا في معظلة عند

➔

➔
الدفاع عن خلفائهم، ولم يروا طريقاً لحلّها، فنسبوا الكفر والردة إلى الطرف المقابل من السلطة الحاكمة، لئلاّ يخطر بذهن أحد أنّ الحكام الذين كانوا في مقابل المسلمين هم كانوا مرتدّين، وحتّى أن البخاري عندما أراد أن يجعل عنواناً لهذا الباب، قال: باب من أبى قبول الفرائض ولم ينسب إليهم الردّة (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٥٠). وهذا دليل على أن البخاري نفسه لا يعتقد بردّة هؤلاء الذين قتلهم الخليفة ظلماً كما لا يخفى.

ثانياً: لو كانت الزكاة حقّ المال فيبيح للحاكم الشرعي أن يأخذ الزكاة بالقوّة في هذه الحالة من مانعها بدون قتله وسفك دمه. فكيف هؤلاء المجرمين قتلوا المسلمين الأبرياء بداعي منع الزكاة؟!!

وثالثاً: لو كان قتال مانع الزكاة جائزاً لقاتل رسول اللهﷺ ثعلبة الأنصاري الذي امتنع عن أداء الزكاة لرسول اللهﷺ، وقصّته معروفة لا داعي لذكرها.

ومن مخالفات أبي بكر وعمر وعثمان لسنّة رسول اللهﷺ منعهم لتدوين سنّتهﷺ وبذلك نبذوا سنّة رسول اللهﷺ وراء ظهورهم فكانت عندهم نسياً منسيّاً، وقد ضيّعوا على الناس التحدث عن رسول اللهﷺ، وروّجوا الوضع والتحريف بدل أحاديث رسول اللهﷺ. وهذه الخسارة الكبرى للبشرية وتضييع الثروة العظيمة للمسلمين لا تعوّض، حيث أفقدنا بذلك عشرات الألوف من أحاديث النبيﷺ. ثم أفقد الأجيال القدرة الكافية على تمييز الصحيح من المكذوب والدقيق من الموهوم في الأحاديث الموجودة. أضف إلى ذلك أنّ أبا بكر أحرق أحاديث رسول اللهﷺ التي جمعت في عهده (انظر تذكرة الحفّاظ للذهبي ج١: ص٥، والرياض النضرة للمحبّ الطبري ج٢: ص١٤٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢: ص٦٠١، وكتاب حجّيّة السنّة لعبد الغني عبد الخالق: ص٣٩٤ وغيرهم). لئلاّ تنتشر
➔

➔

الأخبار الدالة على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرةً، وقد كان الناس يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهم صلى الله عليه وآله! وقد تابعه عمر ابن الخطّاب متوخياً نفس السياسة بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوّعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث!! (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥: ص١٤٢ في ترجمة القاسم ابن محمد، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٥: ص٥٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٩٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢: ص٣٣٠ وغيرهم). والحقيقة أنّ أبا بكر وعمر وعثمان ومن تابعهم إنّما منعوا من انتشار الأحاديث ليوجدوا مجالاً لتأويل ما ترتئيه أهوائهم كما تأوّلوا القرآن، لأنّ كتاب الله ذو وجوه قابل للتأويل. أمّا السنّة النبويّة فلا يجد أحد عنها محيصاً... ومن الطبيعي أن هذه الخسارة العلمية قد استوجبت في تاريخ الأمة وتاريخ البشرية خسارات أعظم، حتّى ليمكن القول: إنّه لو دوّنت سنّة النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته مباشرة لأثرت على كثير من المفاهيم والأحكام ولأحدثت تغييراً مستمرّاً في تاريخ الأمّة إلى الأحسن. ومن هنا يعرف دور أبي بكر وعمر وعثمان في انحراف الأمّة بسبب منعهم من تدوين الحديث، فخالفوا سنّة الرسول صلى الله عليه وآله من المفاهيم والأحكام ولأحدثت تغييراً مستمراً في تاريخ الأمّة على أثر هذه المخالفة الأساسيّة التي واجهت الأمة انهيارات كبرى كان آخرها نهاية دولة الخلافة العثمانية تلك النهاية الذليلة على يد الغربيين.

منها: أنّ عمر بن الخطّاب هو أوّل من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات، فقد أخرج ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن أبي وائل قال: جمع عمر الناس فاستشارهم في التكبير قال الجنازة، فقال بعضهم: كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله خمساً، وقال بعضهم: كبّر سبعاً، وقال بعضهم: كبّر أربعاً، قال: فجمعهم

🡐

➔
على أربع تكبيرات كأطول الصلاة (المصنف لابن أبي شيبة ج٣: ص١٨٦).

ومنها: أوّل من جهر بالتسليم عمر بن الخطّاب، فقد أخرج عبد الرزاق الصنعاني بسنده عن ابن عيينة قال: أخبرني ابن أبي حسين قال: أدركني ابن طاوس بالطواف فضرب على منكبي، فقال لأبيه: صاحبك على أن يجهر بالتسليم، يعني ابن هشام، قال: أوّل من جهر بالتسليم عمر بن الخطّاب، فعاب عليه ذلك الأنصار فقالوا: وعليك أي عليك السلام (المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج٢: ص٢١٨). وأخرج المتّقي الهندي في كنز العمّال بسنده عن ابن طاوس قال: أوّل من جهر بالتسليم عمر بن الخطّاب، فعاب ذلك عليه الأنصار فقالوا: وعليك أي عليك السلام ما شأنك؟ قال أردت أن يكون إذني (كنز العمّال ج٨: ص١٥٨ ح٢٢٣٧٤). وقوله: (أذاناً) أي إعلاماً بانتهاء الصلاة.

ومنها: أنّ عثمان صلى صلاة الظهر أربع ركعات جماعة في منى؛ فقد أخرج صحاح أهل السنة نصوصاً صريحةً تدل على أنّ عثمان صلى بمنى بدل الركعتين الظهر أو العصر أربع ركعات بدعةً في الدين، منها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن إبراهيم قال: سمعت عبد الرحمن ابن يزيد يقول: صلّى بنا عثمان بمنى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع ثم قال: صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى ركعتين وصلّيت مع أبي بكر الصديق بمنى ركعتين وصلّيت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان (صحيح مسلم ج٢: ص١٤٧ كتاب الصلاة، باب قصر الصلاة بمنى). ومن الواضح أنّ من تبع عثمان في بدعته فقد تعاون على الإثم. ولاندري لماذا حاول بعض علماء أهل السنّة الدفاع عمّا ارتكبه عثمان، مع علمهم بأنّ فعله بدعة في الدين؟!!

وقال النووي في شرح الحديث: إنّ معنى قوله: ليت عثمان صلّى ركعتين بدل الأربع
←

➔

كما كان النبيﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان في صدر خلافته يفعلون (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج٥: ص٢٠٤). ولمّا كانت الرواية صريحة في أنّ متلقّى عبدالله بن مسعود من فعل النبيﷺ هو كون القصر عزيمة، ولذلك استرجع وأردفه بقوله: فليت حظي من أربع ركعات، ركعتان متقبّلتان.

فحاول النووي وغيره تأويل الأثر وتخفيف الوطأة وقال: مقصوده كراهة مخالفة ما كان عليه رسول اللهﷺ، ومع هذا فابن مسعود موافق على جواز الاتمام، ولهذا كان يصلّي وراء عثمان متمّاً، ولو كان القصر عنده واجباً لما استجاز تركه وراء أحد.

ولا يخفى أنّ ما ذكره تعسّف ظاهر، إذ لا معنى للاسترجاع ولا للتمنّي لو كان عمل الخليفة عملاً مشروعاً سوّغه الشرع وأبلغه النبيﷺ لكان يقول: أحد فردي التخيير هو الأفضل، مع عدم نفي العدل الآخر، ولكن الرواية ليست كذلك، بل صريحة في عدم جواز الإتمام. ثمّ إنّ ما عزي إلى عبدالله بن مسعود من أنّه أتمّ الصلاة في السفر عند ما صلّى مع عثمان فإنّما كان مراعاة للسياسة الحاكمة آن ذاك، ثم عاب عليه وأبدى مخالفته لما فعله عثمان من البدعة في الدين، وأكّد على لزوم القصر، ولذلك ترى في الحديث أنّ الأعمش قال: حدّثني معاوية بن قرّة عن أشياخه، أنّ عبد الله صلّى أربعاً، فقيل له: عبت على عثمان ثمّ صلّيت أربعاً؟ قال: الخلاف شر.

ومنه يظهر حال عبد الله بن عمر، في إعادة الصلاة قصراً، قال ابن حزم: روينا من طريق عبد الرزاق، عن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أنّه كان إذا صلّى مع الإمام بمنى أربع ركعات، انصرف إلى منزله فصلّى فيه ركعتين أعادها (المحلّى لابن حزم ج٤: ص٢٧٠). وهؤلاء كانوا يرون رعاية شئون السياسة الزمنية خوفاً من

🡐

وعرفت حال من خذل علياًعليه السلام وحال من حاربه ومن سبّه من حيث ثبوت نفاقهم[1].

➔

الشرّ، وهي عندهم أولى من رعاية حفظ الأحكام كما نزلت من عند الله والوقوف أمام قبولها وتغييرها. إلاّ أنّ بعض الصحابة كان يرى خلاف ذلك، فهذا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أبى أن يصلّي أربعاً في منى رغم إصرار عثمان وبني أميّة، حيث قيل له: صلّ بالناس، فقال: إن شئتم صلّيت لكم صلاة رسول اللهصلى الله عليه وآله يعني ركعتين، قالوا: لا، إلاّ صلاة عثمان أربعاً، فأبى أمير المؤمنين (انظر المحلّى لابن حزم ج٤: ص٢٧٠). هذا وإنّ بني أميّة قد اتّخذوا من أحدوثة عثمان بدعة مستمرّة مقابل سنّة النبيصلى الله عليه وآله إلى الأبد وإن لم يكن لهم عذر شرعي للاتمام.

ومنها: أوّل من نقص التكبير معاوية، كان إذا قال: سمع الله لمن حمده انحط إلى السجود ولم يكبّر، فقد جاء في كتاب الوسائل في مسامرة الأوائل: إنّ أوّل من نقص التكبير معاوية، كان إذا قال: سمع الله لمن حمده انحط إلى السجود ولم يكبّر (انظر الوسائل في مسامرة الأوائل للسيوطي: ص١٨). وقال السيوطي: أنّه قال العسكري في كتاب الأوائل: أنّ عثمان أوّل من خفض صوته بالتكبير... (انظر تاريخ الخلفاء: ص١٨١). وإلى غير ذلك من المخالفات التي ارتكبها الخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أميّة وخلفاء بني العبّاس وكلّها متفرّعة على غصب الخلافة وسنذكر تفصيل الكلام في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) وتوضيح المقام أنّ مما ترتب على غصب الخلافة وتعدي خلفاء الجور على أهل البيتعليهم السلام عدم نصرة الصحابة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وعدم الدفاع عن حقّه، بل ومحاربته وسبّه على المنابر، مع علمهم بالروايات التي سمعوها من رسول اللهصلى الله عليه وآله من أنّ بغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علامة

🡐

➔

النفاق، منها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عدي ابن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّيﷺ إلى أن لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب حبّ الأنصار والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). ومنها: ما أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده بسنده عن فضيل عن أبي نصر عن مساور الحميري عن أمّه عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن» (مسند أبي يعلى الموصلي ج١٢: ص٣٦٢). ومنها: ما أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن ابن عباس قال: نظر النبيﷺ إلى علي فقال: «لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق، من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك فقد أبغضني، وحبيبي حبيب الله وبغيضي قبل بغيض الله، ويل لمن أبغضك بعدي» (انظر المعجم الأوسط ج٥: ص٨٧). ومنها: ما أخرجه ابن عقيل في النصائح الكافية بسنده عن بن خالويه في كتاب الآل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهﷺ لعلي: «حبّك إيمان وبغضك نفاق، وأوّل من يدخل الجنّة محبّك وأوّل من يدخل النار مبغضك» (النصائح الكافية: ص٩٢). وقد شاعت هذه الأحاديث عند الصحابة وهم يطبّقونها على من أحبّ الإمام عليه السلام فوصفوه بالإيمان وعلى من أبغضه بالنفاق. يقول الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٩). وقال الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام (انظر الاستيعاب لابن عبدالبر ج٣: ص١١١٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام وهي متواترة. وعليه فإنّ من خذل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

➔

وهل يأمر الله سبحانه بأن يستغفر للمنافقين؟!! حاشا[1]؛

➔

طالب عليه السلام وحاربه وسبّه يشمله قول النبي صلى الله عليه وآله: «**لا يبغضك إلاّ منافق**»، وبهذا الحديث صاروا في زمرة المنافقين، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام بعد قبول الروايات المتواترة الدالة على أنّ بغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة النفاق والصحابة سواء من غصب خلافة من أهل البيت عليهم السلام أو من خذلهم فهم في زمرة المنافقين بنص الحديث المتواتر عن النبي رسول الله صلى الله عليه وآله من أنّ بغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة النفاق . ومع ذلك قد استدلّ ابن تيمية بحديث أحمد بن حنبل: بأن الله أمر بالاستغفار للصحابة، وهو يعلم أنهم سيقتلون (انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج١: ص٥٩). ومعناه أنّ الله أمر بالاستغفار عن المنافقين في حين أنّه قال تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ (سورة التوبة:٨٠). وهذا تناقض محض لايصدر عن انسان عادي فكيف بربّ العالمين وكذلك الرسول الحكيم. ومن أجل أن لا يبقى هناك أي إبهام أو التباس بأنّ المنافقين لن يغفر الله لهم، فالآية واضحة الدلالة في نفي الأبد. فلا مجال للقول بأنّ الله أهل التوبة والمغفرة.

ثم إنّ الأحاديث والآثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله الدالّة على ارتداد المنافقين كثيرة جدّاً، وقد رواه كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، بل وأنّ كتبهم مشحونة بذكر هذه الروايات، ومن تلك الروايات حديث الحوض الذي رواه جميع أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة، فرواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنّكم تحشرون حفاة عراة، وإنّ أناساً من أصحابي يؤخذ بهم

➔

➔

ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً....**﴾، وج٤: ص١٤٢ كتاب بدء الخلق، باب ﴿**وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا...**﴾). وروى مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك أنّ النبيﷺ قال: «ليردنّ علي الحوض رجال ممّن صاحبني حتّى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلأقولنّ: أي ربّ أصيحابي أصيحابي، فليقالنّ لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٧١ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيناﷺ). وروى البخاري أيضاً في صحيحه بسنده عن المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد ابن جبير عن ابن عبّاس، قال: خطب رسولﷺ فقال: «يا أيّها الناس إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرْلاً»، ثم قال: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ (إلى آخر الآية) ثم قال: «ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم؈، ألا وإنّه سيجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصيحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ**﴾ فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٩٢ كتاب التفسير، باب ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾). وروى أيضاً بسنده عن سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة أنّه كان يحدّث أنّ رسول اللهﷺ قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» (انظر

➔

➔

صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب وفي الحوض قول الله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم بهذا المضمون. فهذه الأحاديث وغيرها صريحةٌ جدّاً وواضحةٌ الدلالة، فلا تقبل التأويل حيث فيها قولهﷺ: «أصحابي»، أوقولهﷺ: «فأقول: يا ربّ أصحابي»، وهذا معناه أنّ المقصود بهم أكثر من صحبﷺ ، كما لا إشكال في معنى المبدِّلين من بعد النبيﷺ والمحدِثين في الدين، فإنّ معناه واضح حيث أنّ المقصود به: هوالتحريف في الدين والشريعة المقدّسة، وهذا معناه الارتداد بلا إشكال، فظهور الحديث يقتضي أنّ أكثر الصحابة أهل النار. ولا يمكن لأحد أن يوجِّه هذه الأحاديث حسب مشتهاه المذهبي. قال النووي: قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنّة والجماعة لا يتأوّل ولا يختلف فيه. ثمّ قال: وقال القاضي: حديثه متواتر النقل روته خلائق من سعيد، وجندب، وعبد الله بن عمرو، وابن عمرو بن العاص، وعائشة، وأمّ سلمة، وعقبة بن عامر، وابن مسعود، وحذيفة، وحارثة بن وهب، وأبي ذر، وثوبان، وأنس، وجابر بن سمرة، ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر، وزيد بن أرقم، وأبي أمامة، وعبد الله بن زيد، وأبي برزة، وسويد ابن جبلة، وعبد الله بن الصنابحي، والبراء بن عازب، وأسماء بنت أبي بكر، وخولة بنت قيس وغيرهم (انظر شرح مسلم للنووي ج١٥: ص٥٣). وقال الكناني في نظم المتناثر: وأوردت فيه أحاديث كثيرة منها حديث الحوض من رواية نيّف وخمسين صحابياً (انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي: ص١٨). وعليه فإنّ حديث الحوض يتعارض مع ما رواه ابن تيمية عن أحمد بن حنبل من أنّ النبي كان يستغفر لجميع الصحابة بما فيهم المنافقين.

➔

نعم أمره سبحانه بأن يستغفر للصحابة المتّقين الغير التاركين سنّة رسول ربّ العالمين صلى الله عليه وآله[1]

➔

ومن هنا نجد أنّ الإشكال الذي يتوجّه إلى ابن تيمية ليس فقط من الشيعة، بل جميع أهل السنّة ممّن يعتقد بعدالة الصحابة أجمعين لا يقبلون استدلاله. نعم بعض أهل السنّة كمالك بن أنس الذي يعلن ندمه على تدوين حديث الحوض في كتابه الموطأ، وكذلك الشافعي الذي يظهر تأسّفه لتدوين مالك حديث الحوض، وغيرهم مع قبولهم صحّة الحديث فهم يوافقون مسلك ابن تيمية، وإن كان مسلكه باطل عند جميع أهل السنّة. قال صاحب كتاب فتح الملك العلي: حكي عن مالك أنّه قال: ما ندمت على حديث أدخلته في الموطأ إلاّ هذا الحديث!! وعن الشافعي أنّه قال: ما علمنا في كتاب مالك حديثاً فيه إزراء على الصحابة إلاّ حديث الحوض، وودنا أنّه لم يذكره (انظر فتح الملك العلي لأحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي الغماري: ص١٥١). وكما ترى فكأنّ نقل الحديث عندهم حسب ما تشتهيه أنفسهم. وعلى كلّ تقدير فإنّ هذه الروايات وغيرها تدلّ على نفاق أكثر الصحابة وارتدادهم عن الدين، والحديث الذي استدلّ به ابن تيمية للاحتجاج على الشيعة مخالف لصريح الروايات الصحيحة المتواترة عند أهل السنّة والجماعة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الله تبارك وتعالى أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بأن يستغفر للصحابة المتّقين في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ (سورة محمّد:١٩). من الواضح أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يرتكب ذنباً قطّ بحكم مقام العصمة، فمعنى قوله تعالى: **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**؛ أي: استغفر لذنب أمّتك، قال السمرقندي: استغفر لذنبك يعني لذنب أمّتك (تفسير السمرقندي ج٣: ص٢٠١). وقال الإيجي في قوله تعالى: ﴿**لَقَد**

➔

➔

تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ...﴾ (سورة التوبة:١١٧) فالمعنى ليغفر لأجلك ما تقدم من ذنب أمّتك وما تأخّر منه واستغفر لذنب أمّتك وتاب الله على أمّة النبيﷺ وأتباعه (المواقف ج٣: ص٤٤٦). وقال النسفي في تفسيره: واستغفر لذنبك أي لذنب أمّتك (تفسير النسفي ج٤: ص٧٨). وقال الفخر الرازي: واستغفر لذنبك من باب إضافة المصدر إلى المفعول أي: واستغفر لذنب أمّتك في حقّك (تفسير الفخر الرازي ج٢٧: ص٧٨). وقال القرطبي في تفسيره: واستغفر لذنبك، أي: لذنب أمّتك حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (تفسير القرطبي ج١٥: ص٣٢٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم. وعلى فرض عدم قبول هذه الأقول فإنّ هذا التعبير من باب التعليم للمسلمين، لأنّ النبيﷺ قدوة للمسلمين، فاستغفاره يكون من باب التعليم.

وهنا نكتة جديرة بالانتباه وهي أن الله سبحانه قد شفع للمؤمنين والمؤمنات بما أمر به النبي الأكرمﷺ بأن يستغفر لهم لتسعهم رحمته، ويتبيّن لنا من خلال ذلك أنّ شفاعة النبي الأكرمﷺ في الدنيا والآخرة من الأمور التي أكدّ عليها القرآن، وكذلك تتبيّن أهمّية التوسّل وكونه مشروعاً. ويقول سبحانه في ذيل الآية وكتبيان للعلّة: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾، أي أنّه تعالى يعلم ظاهركم وباطنكم. كتمانكم وعلانيّتكم، سرّكم ونجواكم، بل ويعلم حتّى نيّاتكم وما توسوس به أنفسكم ويخطر على أذهانكم وما يجري في ضمائركم، ويعلم حركاتكم وسكناتكم، ولهذا وجب عليكم التوجّه إليه ورفع الأكف بين يديه وطلب العفو والمغفرة والرحمة منه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (سورة النساء:٦٤). فإن باب التوبة والإنابة مفتوحةً على العصاة والمذنبين، وإنّ هذه الآية تجيب ضمناً

🡐

➔

عن أنّ التوسّل برسول الله صلى الله عليه وآله من الأمور المطلوبة لربّ العالمين. وعليه فما ادّعاه ابن تيميّة من أنّ الاستشفاع والتوسّل بالنبي صلى الله عليه وآله شرك باطل بنصّ هذه الآية، لأنّ الآية فيها الصراحة على أنّ التوسّل بالنبي صلى الله عليه وآله والاستشفاع به إلى الله وطلب الاستغفار منه لمغفرة المعاصي مؤثّر وموجبة لقبول التوبة وشمول الرحمة الإلهية. فلو كانت وساطة النبي صلى الله عليه وآله ودعائه للعصاة المتوسّلين به والاستشفاع به وطلب الاستغفار منه شركاً، فكيف يمكن أن الله تعالى يأمر به في القرآن الكريم ويقول: للعصاة والمذنبين أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله ليستغفر لهم؟ ولذلك قال ابن كثير في تفسير الآية: يرشد الله تعالى العصاة المذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يغفر لهم، فإنّهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم. وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وآله فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾. وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربّي، ثمّ أنشأ يقول: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم. نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم. ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وآله في النوم فقال: «يا عتبي، الحق الأعرابي فبشّره أن الله قد غفر له» (تفسير ابن كثير ج١: ص٥٣٢). وملخّص الكلام أنّ الله تعالى أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بأن يستغفر للصحابة المتّقين وهذا ليس معناه مطلق الصحابة كما زعمه ابن تيميّة فلاحظ.

وهم خصوص من جرى على مقتضى خبر الثقلين[1]،

---

(١) وتوضيح المقام أنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتّفق عليها بين المسلمين، وقد ثبت صدوره عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ باتّفاق الفريقين، ورواه كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم بأسانيد صحيحة عديدة بالغة عن حدّ التواتر؛ قال ابن حجر: ثمّ اعلم، إنّ لحديث التمسّك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً (انظر الصواعق: ص١٤٨ الباب الحادي عشر، الفصل الأوّل). وقد أفرد العلاّمة السيّد مير حامد حسين لكنهوي لحديث الثقلين جزئين من موسوعته عبقات الأنوار وذكر فيه طرق الحديث من أهل السنّة إلى الصحابة فهي أكثر من بضع وعشرين صحابيّاً. ثمّ إنّ متون الحديث قد ورد بألسنة مختلفة، ولكن المعنى واحد يتضمّن على حقائق جوهريّة وليتبيّن من خلاله حقيقة الخلافة بوضوح وجلاء وهي تحكي عن استخلاف رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ لعترته الطاهرةعَلَيهِمُالسَّلَامُ من بعده مبيناً في عبارات صريحة موضحاً بأنّ طريق النجاة والسلامة من الضلال والانحراف إنّما يكون منحصراً في التمسّك بالثقلين. فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي حيان اليتمي قال: حدّثني يزيد بن حيّان قال: انطلقت أنا وحصين ابن سيرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا قال: لقد لقيت يا زيداً خيراً كثيراً، رأيت رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيداً خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ. قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الّذي كنت أعي من رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ، فما حدّثتكم فاقبلوا ومالا فلا تكلفونيه، ثمّ قال: قام رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا أيّها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحثّ

←

➔

على كتاب الله ورغّب فيه ثمّ قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٣ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). ورغم أنّ مسلماً اختصر الحديث الحديث ولكن ما رواه يكفي للاحتجاج عليه وعلى جميع أهل السنّة، لأنّ الحديث فيه صراحة على أنّ أهل البيت عليهم السلام هم طريق النجاة من الضلال، ومن الواضح أنّ النجاة بعد النبي صلى الله عليه وآله إنّما يكون برعاية خلفائه من بعده. وحديث الثقلين ينحصر خلفاء النبي صلى الله عليه وآله في الكتاب والعترة الطاهرة عليهم السلام فالحديث يدلّ على أنّ أهل البيت عليهم السلام هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله، ولذلك تجد أنّ مسلماً أخرج حديث الثقلين في باب فضائل مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع أنّ الحديث ليس فيه ذكر للإمام عليه السلام، ولكن حيث وجد في الحديث إشارة الى واقعة الغدير فهم منه أنّ الحديث صدر من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في فضيلة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الدال على إمامته وخلافته بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرةً. ولكنّه كبقية أهل السنّة التابعين لخلافة السقيفة خالف مدلوله ومقتضاه، وفي الواقع أنّهم خالفوا أمر الله تعالى حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (سورة الحشر:٧)، ويقول تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ (سورة النساء:٨٠)، ويقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (سورة المائدة:٩٢)، ويقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة النور:٥٦). هذه الآيات صريحة في وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله وأنّ وجوب طاعته كوجوب طاعة الله، وأمره صلى الله عليه وآله أمر الله، وقوله صلى الله عليه وآله قول الله فلا يتمّ الأمان إلاّ

➔

➔

بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله. فدلالة الحديث واضحة في إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام كوضوح كالشمس في رابعة النهار، حيث أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حصر في الحديث وجوب الاتّباع القرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام إلى يوم القيامة، ومعناه أنّه صلى الله عليه وآله حصر الفوز بالسعادة بالتمسّك بهما، والضلالة والانحراف لمخالفتهما. وإنّ من له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربيّة وأساليبها يعرف أنّ الحديث صريح في دلالته على الإمامة والخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّه صلى الله عليه وآله قرَن طاعة عترته الطاهرة بمحكم بكتاب الله العزيز، ومعناه أنّه كما يجب الأخذ بكتاب الله واتّباعه كذلك يجب اتباع العترة الطاهرة، لأنّ العترة الطاهرة. وممّا يؤكّد هذا المعنى قول علماء أهل السنّة في شرح الحديث، قال الزرقاني: قال الحكيم الترمذي: حضّ على التمسّك بهم، لأنّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة (انظر شرح المواهب اللدنية ج٧: ص٥ نقلاً عن نوادر الأصول للترمذي). وقال النووي: قوله صلى الله عليه وآله: «وأنا تارك فيكم ثقلين»، فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٥: ص١٨٠). وقال ابن الأثير: فيه (أي في حديث): «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»؛ سمّاهما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما (انظر النهاية ج١: ص٢١٦ مادة ثقل). وقال القاري: والمراد بالأخذ بهم: التمسّك بمحبّتهم ومحافظة حرمتهم والعمل بروايتهم والاعتماد على مقالتهم (انظر مرقاة المفاتيح ج٥: ص٢٠٠). وقال شهاب الدين الخفاجي: أي: تمسّكتم وعملتم واتّبعتموه (انظر نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض ج٢: ص٤١٠). وقال المنّاوي: «إنّي تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين»، زاد في رواية: «أحدهما أكبر من الآخر»، وفي رواية بدل خليفتين:

➔

وخبر السفينة[1]،

➔

«ثقلين»، سمّاهما به لعظم شأنهما: «كتاب الله القرآن حبل»، أي: هو حبل ممدود ما بين السماء والأرض، قيل: أراد به عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه، «وعترتي» - بمثنّاة فوقيّة -: «أهل بيتي»، تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٣: ص١٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم في شرح الحديث. وملخص الكلام أنّ مقتضى دلالة حديث الثقلين أنّ الأمر بالاستغفار للصحابة إنّما يكون للمؤمنين منهم الذين والوا أئمة أهل البيت عليهم السلام على ضوء ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في حقّهم في روايات رواها علماء أهل السنّة التي منها حديث الثقلين الذي تكون دلالته واضحة على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام. وعليه فإنّ هذا الحديث يمنع عن استدلال ابن تيميّة لكونه يرد على تقديس الصحابة، بل يرد على شموله للصحابة الذين لم يولوا لأئمة أهل البيت عليهم السلام وغير المؤمن منهم فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ حديث السفينة من الأحاديث النبوية الشهيرة المتواترة، وقد رواه علماء الفريقين بطرق عديدة عن صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، قال ابن حجر: جاء (الحديث) من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: «إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا». وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق»، وفي رواية: «هلك» (انظر الصواعق المحرقة: ص٢٣٤). فالحديث من حيث السند في غاية القوّة والإجادة، ومن جهة الدلالة يدل بوضوح على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث فيه دلالة واضحة على أنّ طريق الهدى والنجاة من الهلاكة والضلالة منحصرة في أهل البيت عليهم السلام، وإليك بعض متون الحديث؛ فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: "من عرفني فأنا من

🡐

➔

قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبيﷺ يقول: «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك»" (انظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٧٨٥)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٣٤٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨، والطبراني في المعجم الأوسط ج٤: ص١٠ وغيرهم.

الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: "أيّها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول اللهﷺ يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»". ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٣٤٣)

وأخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبيﷺ يقول: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له» (مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨)، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٨٥، وابن كثير في تفسيره ج٤: ص١٢٣، والمناقب لابن المغازلي: ص٣٢٤ وغيرهم.

ومن الطبيعي أنّه لا يسعنا المجال هنا لاستقصاء طرق الحديث وذكر جميع المصادر والروايات الواردة في كتب القوم، والمهمّ أنّ الحديث بهذا المضمون ورد في الجوامع الحديثيّة من أهل السنّة بطرق عديدة.

وأمّا من حيث الدلالة فإنّه يدلّ على لزوم متابعة أهل البيتعليهم السلام، وما أروعه من تشبيه دالّ وموقظ يبعث على التيقّظ والحذر، فرسول اللهﷺ يتطلّع صوب المستقبل من وراء حُجب الغيب، فيبصره مليئاً بالفتن والضلالات التي يشبّهها بالأمواج المتلاطمة

←

➔

العاتية، وقد شبّه صلى الله عليه وآله الدنيا ببحر يموج بأمواجه الجبلية، وبأمواج الثقافات البشرية؛ والناس في وسط هذا البحر يبحثون عن لوح يتشبّثون به من أجل النجاة؛ قد يلجأ الإنسان في وسط هذه المعمعة وفي هذه اللجة إلى سفينة النجاة؛ ليأخذون بها في تلك الأمواج المدهشة الموجة للغرق! فيهتدي بها إلى ساحة النجاة. وقد مثّل رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته عليهم السلام بمثل هذه السفينة التي تأخذ بيد كلّ إنسان ويهديه ساحل الأمان والسلام. فالتشبيه بسفينة نوح من أجل أن الوضع هو كوضع قوم نوح عليه السلام، وأنّ الناس في وسط المعمعة في لجة ظلماء؛ يحتاج كلّ الإنسان منهم إلى النجاة والركوب في تلك السفينة. فإذن ينبغي أن تكون الأمّة على حذر، وأن تُدرك أنّ طريق النجاة الوحيد يكمن في ركوب السفينة اللوذ بأهل البيت عليهم السلام والاعتصام بحجزتهم والتمسّك بتعاليمهم وسنّتهم، فليس هناك شكّ في دلالة الحديث على وجوب طاعة أهل البيت عليهم السلام وإلاّ هل لعاقل أن يأخذه أمواج عاتية من البحر، فيُشرف حتماً على الغرق والضياع، ويترك سفينة النجاة ولا يركب فيها ولا يخلص نفسه من الإنقاذ؟!!

وقد اعترف بذلك شرّاح الحديث من أهل السنّة، قال الطيّبي بشرح الحديث عن أبي ذر الغفاري: قوله: وهو آخذ باب الكعبة، أراد الراوي بهذا مزيد توكيد لإثبات هذا، وكذا أبو ذر اهتمّ بشأن روايته، فأورده في هذا المقام على رؤوس الأنام ليتمسّكوا به، وفي رواية له بقوله: "من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر"، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ألا: «إنّ مثل أهل بيتي...» الحديث، أراد بقوله: فأنا أبو ذر، المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية، وأنّه هذا حديث صحيح لا مجال للردّ فيه، وهذا تلميح إلى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر، وفي

🡐

➔
رواية أبي ذر: من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم، فقال عمر بن الخطّاب كالحاسد: يا رسول الله أفتعرف ذلك؟! قال: ذلك فاعرفوه، أخرجه الترمذي وحسّنه الصنعاني في كشف الحجاب شبّه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات، والبدع والأهواء الزائغة ببحر لجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، وقد أحاط بأكنافه وأطرافه الأرض كلّها، وليس فيه خلاص ومناص إلا تلك السفينة، وهي: محبّة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر كتاب شرح المشكاة للطيّبي المسمّى بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي: المخطوط). وقال القاري بمثل كلمات الطيبي واستشهد بها (انظر المرقاة في شرح المشكاة ج٥: ص٦١٠).

وقال السمهودي: قوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه» الحديث؛ ووجه: إن النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح عليه السلام... ومحصّله: الحثّ على التعلّق بحبلهم وحبّهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وآله، والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة وأدّى شكر النعمة الوافرة، ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان فاستوجب النيران (انظر كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي، لعلي بن عبد الله الحسني السمهودي: مخطوط).

وقال المناوي: «إنّ مثل أهل بيتي» فاطمة وعلي وابنيهما، وبينهما أهل العدل والديانة «فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك»، وجه التشبيه: أن النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح، فأثبت المصطفى صلى الله عليه وآله لأمّته بالتمسّك بأهل بيته النجاة، وجعلهم وصلة إليها، ومحصوله: الحثّ على التعلّق بحبّهم وحبلهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم والأخذ بهدي علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من
➔

➔

ظلمات المخالفة وأدّى شكر النعمة المترادفة، ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان فاستحق النيران، لمّا أن بغضهم يوجب النار كما جاء في عدّة أخبار، كيف وهم أبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الّذين احتجّ الله بهم على عباده، وهم فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الّذين أذهب عنكم الرجس وطهّرهم وبرّأهم من الآفات وافترض مودتهم في كثير من الآيات، وهم العروة الوثقى ومعدن التقى، واعلم أن المراد بأهل بيته في هذا المقام العلماء منهم، إذ لا يحثّ على التمسّك بغيرهم وهم الّذين لا يفارقون الكتاب والسنّة حتّى يردوا معه على الحوض (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٢: ص٥١٩). وقال ابن حجر المكي مثل ذلك (انظر الصواعق المحرقة: ص٢٣٤). ولا يخفى على الخبير أنّه إذا جعلنا هذا الحديث جنب حديث «ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلاّ فرقة واحدة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٠٢)، نستنتج منهما أنّ الفرقة الناجة هم الذين ركبوا سفينة أهل البيت عليهم السلام، وقد أشار الشافعي بذلك في أشعاره: ولمّا رأيتُ الناس قد ذهبت بهم * مذاهبهم في أبحر الغي والجهل. ركبت على اسم الله في سفن النجا * وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل. وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم * كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبل. إذا افترقت في الدين سبعون فرقة * ونيف كما قد جاء في محكم النقل. ولم يك ناج منهم غير فرقة * فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل. أفي الفرق الهلاك آل محمد * أم الفرقة اللائي نجت منهم قل لي. فإن قلت في الناجين فالقول واحد * وإن قلت في الهلاك حدت عن العدل. إذا كان مولى القوم منهم فإنّني * رضيت بهم لا زال في ظلّهم ظلّي. فخلّ عليّاً لي إماماً ونسلهُ * وأنت من الباقين في أوسع الحلّ. ويحكى عن الشافعي أنّه أنشد هذه الأبيات في جواب من سأله عن الإمام أمير

➔

وخبر ولي كلّ مؤمن بعدي[(١)]،

➔

المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وهي شهادة صريحة، وقد روى القصة والأبيات العلامة الأمينيقدس سره في كتابه الغدير ج٢: ص٤٢٣. فالبحث في فقه الحديث ودلالته يبيّن لنا بأنّ مقتضى دلالة الحديث أنّ الأمر بالاستغفار للصحابة إنّما يكون للمؤمنين منهم الذين والوا أئمة أهل البيتعليهم السلام وركبوا سفينتهم حتّى على ضوء كلمات علماء أهل السنّة والمحقّقين منهم، لأنّ الحديث دالّ على إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام فلا وجه للقول بأنّ استغفار النبيصلى الله عليه وآله شامل لمطلق الصحابة فلا يشمل غير المؤمن منهم حتى على مبانيهم، فلاحظ.

(١) لقد روى هذا الحديث عدّة كثيرة من علماء أهل السنّة بطرق متعدّدة عن النبيصلى الله عليه وآله مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عبد الله بن حصين قال: بعث رسول اللهصلى الله عليه وآله سرية وأمّر عليهم علي بن أبي طالب، فأحدث شيئاً في سفؤه فتعاهد،قال عفّان: فتعاهد أربعة من أصحاب محمدصلى الله عليه وآله أن يذكروا أمره لرسول اللهصلى الله عليه وآله، قال عمران: وكذا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول اللهصلى الله عليه وآله فسلّمنا عليه، قال: فدخلوا عليه، فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه النبيصلى الله عليه وآله، ثمّ قام الثاني فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثمّ قام الثالث فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثمّ قام الرابع فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأقبل رسول اللهصلى الله عليه وآله على الرابع وقد تغيّر وجهه فقال: «دعوا علياً، إنّ علياً منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي» (مسند احمد بن حنبل ج٤: ص٤٣٨)، ورواه الترمذي في سننه ج٥: ص٢٩٦، والنسائي في فضائل الصحابة: ص١٥. وأخرج النسائي في سننه الكبرى بسنده عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع قال:

➔

➔

سمعت علي بن أبي طالبعليه السلام يقول: «على منبر الكوفة إني منشد الله رجلاً ولا أنشد إلا أصحاب محمدصلى الله عليه وآله من سمع رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ: "من كنت مولاه فعلي مولا، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه"؟ فقام ستّة من جانب المنبر وستّة من الجانب الآخر فشهدوا أنّهم سمعوا رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول ذلك»، قال شريك: فقلت لأبي إسحاق: هل سمعت البراء بن عازب يحدّث بهذا عن رسول اللهصلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، قال أبو عبد الرحمن: عمران بن أبان ليس بقوي في الحديث، ذكر قول النبيصلى الله عليه وآله: «عليّ وليّ كلّ مؤمن بعدي» (سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٣٢). وأخرج البويصري في كتابه إتحاف الخيرة المهرة بسنده عن ابن عباس أنّه قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام: «أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي» (انظر اتحاف الخيرة المهرة ج٧: ص١٨٤). وأخرج ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن عن البراء بن عازب، قال: كنّا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله في سفر، قال: فنزلنا بغدير خمّ، قال: فنودي: الصلاة جامعة، وكسح لرسول اللهصلى الله عليه وآله تحت شجرة فصلّى الظهر، فأخذ بيد عليعليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، فأخذ بيد عليعليه السلام فقال: «اللّهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (المصنف لابن أبي شيبة ج١٢: ص٧٨ ح١٢١٦٧). ورواه أحمد بن حنبل في كتاب فضائل الصحابة ج٢: ص٦٨٤ ح ١١٦٨ وغيره. وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي عوانة ثنا أبو بلج ثنا عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا أبا عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل

➔

➔

أن يعمى، قال: فابتدؤا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف، وقعوا في رجل له عشر خصال وقعوا في رجل قال له النبيﷺ: «لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحبّ الله ورسوله» قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرحل يطحن، قال: «وما كان أحدكم ليطحن؟» قال فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال: فنفث في عينيه، ثمّ هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه... وقال له رسول اللهﷺ: «أنت وليي في كلّ مؤمن بعدي»، وقال: «سدّوا أبواب المسجد غير باب علي» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣٣١). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: بعث رسول اللهﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الآخر خالد ابن الوليد، فقال: «إذا التقيتم فعلي على الناس وإن افترقتما فكلّ واحد منكما على جنده»، فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول اللهﷺ يخبره بذلك، فلمّا أتيت النبيﷺ دفعت الكتاب فقرئ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول اللهﷺ، فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول اللهﷺ: «لا تقع في عليّ، فإنّه منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٥٥). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أجلح الكندي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: بعث رسول اللهﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي ابن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا التقيتم فعلي على الناس وإن افترقتما فكلّ واحد منكما على جنده، فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فاصطفى علي امرأة من

➔

➔

السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره بذلك، فلمّا أتيت النبي صلى الله عليه وآله دفعت الكتاب فقرئ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقع في علي، فإنّه منّي وأنا منه وهو وليكم بعدي» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٥٦). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن ابن عمر قال: كنّا نصلّي مع النبي صلى الله عليه وآله فالتفت إلينا فقال: «أيّها الناس هذا وليّكم بعدي في الدنيا والآخرة فاحفظوه - يعني علياً -» (ينابيع المودة ج٢: ص٣١٣). وأخرج المتّقي الهندي في كنز العمّال بسنده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سألت الله فيك خمساً فأعطاني أربعاً ومنعني واحدة: سألته أنك أوّل من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأنت معي، معك لواء الحمد وأنت تحمله، وأعطاني أنّك ولي المؤمنين من بعدي» (كنز العمّال ج١٣: ص١٢٩). وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، وجعفر بن حبّان قال: خطب الحسن بن علي عليه السلام بعد شهادة أبيه عليه السلام قال: «أيّها الناس، أنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وأنا ابن الداعي إلى الله، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين كان جبرئيل عليه السلام ينزل عليهم، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على المؤمنين فقال سبحانه وتعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**﴾، واقتراف الحسنة مودّتنا، ولمّا نزلت ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾، فقالوا: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: "قولوا: اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد"، فحقّ على كل

➔

➔

مسلم أن يصلّي علينا فريضة واجبة، وأحلّ الله خمس الغنيمة وحرّم الصدقة علينا كما أحلّه الله وحرمها على رسولهﷺ، فأخرج جدّيﷺ يوم المباهلة من الأنفس أبي، ومن البنين أنا وأخي الحسين، ومن النساء أمّي فاطمة، فنحن أهله ولحمه ودمه، ونحن منه وهو منّا، وهو يأتينا كلّ يوم عند طلوع الفجر فيقول: الصلاة يا أهل البيت يرحمكم الله، ثم يتلو: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾. وقد قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ**﴾، فجدّيﷺ على بيّنة من ربّه وأبي الذي يتلوه، وهو شاهد منه، وأمر الله رسوله أن يبلغ أبي سورة براءة في موسم الحجّ، وقال جدّيﷺ حين قضى بين أبي وبين أخيه جعفر ومولاه زيد بن حارثة في ابنة عمّه حمزة: "أمّا أنت يا علي فمنّي وأنا منك، وأنت وليّ في كل مؤمن بعدي"...» (ينابيع المودّة ج٣: ص٣٦٣). وأخرج ابن أبي عاصم في كتابه السنّة بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول اللهﷺ لعليعليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنك لست نبياً، إنه لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي في كلّ مؤمن من بعدي» (كتاب السنة لابن أبي عاصم ج٢: ص٥٥١ ح١١٨٨). وأخرج أبو نعيم في كتابه معرفة الصحابة بسنده عن وهب بن حمزة قال: صحبت علياً من المدينة إلى مكّة فرأيت منه بعض ما أكره فقلت: لئن رجعت إلى رسول اللهﷺ لأشكونّك إليه، فلمّا قدمت لقيت رسول اللهﷺ فقلت: رأيت من علي كذا وكذا، فقالﷺ: «لا تقل هذا، فهو أولى الناس بكم بعدي» (معرفة الصحابة ج٧: ص٢٧٢٣ ح٦٥٠١). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتب أهل السنّة، وهذا الحديث يدلّ بالصراحة على أنّ مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وليّ كلّ مؤمن بعد رسول اللهﷺ. ومقتضاه أنّ الأمر بالاستغفار للصحابة إنّما يكون لمن والى الإمام

➔

وغيرها[١]، فالسنّة المشتملة على النهي عن سبّ الصحابة مختصّة بالسنّة التي دلّت على ردّة غالبهم[٢]

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنّ الحديث يدلّ على أنّ كل مؤمن يلزم أنّ يكون له ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فعنوان المؤمن إنّما يصدق على من والى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وعليه فاستغفار النبي صلى الله عليه وآله إنّما يكون خاصاً بالصحابة الذين والوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) وذلك كحديث المنزله وحديث الراية وحديث «علي مع الحقّ» وحديث «لكلّ نبيّ وصيّ» وحديث الكساء وغيرها من الأحاديث، فإنّها تدلّ على الأمر بالاستغفار للصحابة يختصّ بالمؤمنين منهم، لما تقدّم من معنى المؤمن في الصحابة فلاحظ.

(٢) وبعبارة أوضح أنّ الحديث الذي فيه النهي عن سبّ الصحابة مطلقا يقتضي شموله حتى بالنسبة إلى سبّ الصحابة المرتدين – الذين ثبت ارتدادهم بالنصوص القطعيّة من الآيات والرويات – كما يقتضي شموله بالنسبة إلى سبّ المنافقين منهم؛ ولذلك لا يصحّ الاستدلال بإطلاق الحديث وعموم النهي فيه ، لأنّ المنافق كافر ، بل ويظهر الإسلام استهزائاً كما قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾ (سورة البقرة:١٤)، فهذه المجموعة التي رسخت في أعماق صفوف المسلمين وشكلت خطراً كبيراً على الإسلام والمسلمين، كيف يمكن أن يقال بأنّ حديث منع سبّ الصحابة يشملهم، مع أنّ القرآن الكريم صريح في أنّ هؤلاء من ألد أعداء الإسلام، وإن كان تشخيصهم بحسب الظاهر صعباً، لأنّهم كانوا متظاهرون بالإسلام، والقرآن بيّن بدقّة مواصفاتهم وأعطى المسلمين معايير حية لمعرفتهم؛ إذ أنّهم كانوا يسيئون

مثل خبر الحوض[(١)]

←

بعملهم ويبدّدون بانحرافهم وطاقاتهم ضدّ الإسلام والمسلمين. وبما أن الكذب رأس مال المنافقين يبرّرون به ما في حياتهم من متناقضات، ومع ذلك أنّ القرآن الكريم قد يبيّن هذه الحقيقة بشكل واضح فيقول تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّه وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (سورة المنافقين:١-٢). ومن هذه الجهة أنّ خطر المنافقين يفوق خطر باقي أعداء الإسلام والمسلمين، لاختفائهم بين المسلمين وعدم القدرة على تشخيصهم بسهولة، فهم أعداء يعيشون في داخل الجسم الإسلامي وربّما ينفذون إلى قلب المؤمنين نفوذاً يصعب معه، فرزهم وتحديدهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى ارتباطاتهم مع سائر عناصر المجتمع بعلاقات بحيث تصعب مكافحتهم. ولهذا نرى أن أكثر الضربات التي تلقاها الإسلام على مدى التاريخ جاءته من هذا المعسكر - أي معسكر النفاق - أيضاً نلاحظ أن الإسلام شنّ حملات شديدة جدّاً عليهم، ووجّه إليهم ضربات عنيفة لم يوجّهها إلى غيرهم. وبعد هذه المقدّمة نعرف أنّ المنافقين أشدّ عذاباً من الكفّار المعلنين بكفرهم، فلا حرمة لهم كما لا حرمة للكفّار والمشركين، وعليه كيف يعقل عموم النهي في الحديث الذي استدلّ به ابن تيمية على حرمة سبّ الصحابة مع فرض شوله للمنافقين؟!!!

(١) لا يخفى أنّ حديث الحوض من الأحاديث المتواترة لدى الفريقين، وفيه دلالة واضحة على ارتداد أكثر الصحابة عن الإسلام، ولا يختصّ بالطلقاء والوافدين في العام التاسع، وهذا ممّا لا يشكّ فيه أحد إذا تدبّر في متون الحديث الذي أخرجه كبار علماء أهل السنّة كالبخاري ومسلم وغيرهما في صحاحهم ومسانيدهم

→

➔

وسننهم بطرق عديدة وألفاظ مختلفة ؛ فقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبيﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يضمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح البخاري ج٨: ص٨٦ كتاب الفتن، ما جاء في قول الله تعالى ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾ وما كان النبيﷺ يحذر من الفتن). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: سمعت سهلاً يقول: سمعت النبيﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ ابداً، وليردنّ على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح مسلم ج٧: ص٦٥ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّناﷺ). وأخرجه البخاري بسنده عن ابن عبّاس عن النبيﷺ قال: «إنّكم تحشرون حفاة عراة، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً...**﴾،

🡐

➔

وج٤: ص١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا...﴾). وأخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس ابن مالك أن النبيﷺ قال: «ليردنّ عليّ الحوض رجال ممّن صاحبني حتّى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلأقولنّ: أي ربّ أصيحابي أصيحابي، فليقالنّ لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٧١ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّناﷺ). وأخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن المغيرة ابن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: خطب رسولﷺ فقال: «يا أيّها الناس، إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرْلاً، ثمّ قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (إلى آخر الآية)» ثمّ قال: «ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٩٢ كتاب التفسير، باب ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾). وأخرجه أيضاً بسنده عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة أنّه كان يحدّث أن رسول اللهﷺ قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨، كتاب الرقاق، باب وفي الحوض قول الله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن سهل بن سعد قال: قال النبيﷺ: «إنّي فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثمّ يحال بيني

➔

وغيره[١]،

وبينهم»، قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: «فأقول: إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي» وقال ابن عبّاس: سحقاً بعداً، يقال: سحيق بعيد سحقه وأسحقه أبعده (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب وفي الحوض قول الله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتبهم. وهي واضحةٌ الدلالة على ارتداد أكثر الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بل نصّ صريح في هذا المعنى بلا ترديد بحيث لا تقبل التأويل، إذ فيها التصريح على أنّ الصحابة سيرتدّون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وهم في نار جهنّم، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يصح الاستغفار للمرتدّين الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقهم سحقاً لهم، وقد قال الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة التوبة:٨٠). فالاستدلال بحديث أحمد بن حنبل:"إنّ الله أمر بأن يستغفر لجميع الصحابةوهو عالم بأنّهم يقتلون" باطل كما هو واضح ظاهر، لأنّه مخالف للقرآن الكريم والنصوص المتواترة من السنّة النبوية، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الأدلّة الدالّة من الآيات والروايات على ارتداد المنافقين من الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، منها: ما ورد في وصف بعض الصحابة في غزوة أحد التي وقعت في السنة الثالثة من هجرة النبي صلى الله عليه وآله، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحمَّدٌ إلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضرَّ الله شَيئاً وَسَيَجْزِي الله الشّاكِرين﴾ (سورة آل

➔

عمران:١٤٤). هذه الآية الكريمة نزلت في يوم أحد حين ما شاع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قتل فانهزم الناس وولّوا العدوّ أدبارهم وانكشف ضعف إيمانهم حتّى أنّهم قالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وآله فالتحقوا بدينكم الأوّل (انظر تفسير الطبري ج٤: ص١٥١). فمعنى الانقلاب على عقبيه رجوع إلى السابق، قال الراغب: ورجع على عقبيه إذا انثنى راجعا، وانقلب على عقبيه نحو رجع على حافرته، ونحو ﴿**فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾، وقولهم رجع عوده إلى بدئه (المفردات في غريب القرآن ج١: ص٣٤٠). وحيث أنّ الله تعالى جعل الانقلاب على الأعقاب جزاءً للشرط الذي هو موت الرسول صلى الله عليه وآله أو قتله أفاد ذلك أن المراد بالرجوع هو الرجوع عن الدين: أي الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان؛ قال الطبري: وفشا في الناس يوم أحد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قتل، فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان، يا قوم إنّ محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم، قال أنس ابن النضر: يا قوم إن كان محمّد قد قتل فإن ربّ محمّد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمّد، اللّهم إني أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء، ثمّ شدّ بسيفه فقاتل حتّى قتل، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو الناس حتّى انتهى إلى أصحاب الصخرة، فلمّا رأوه وضع رجل سهماً في قوسه فأراد أن يرميه فقال: أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً وفرح رسول الله صلى الله عليه وآله حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به، فلمّا اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله ذهب عنهم الحزن فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا، فقال الله عزّ وجلّ للذين قالوا إن محمّداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضرَّ الله شَيئاً**

➔

➔

وسَيَجْزِى الله الشّاكرِين﴾. فأقبل أبو سفيان حتّى أشرف عليهم، فلمّا نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وأهمّهم أبو سفيان فقال رسول اللهﷺ: «ليس لهم أن يعلونا، اللّهم إن تقتل هذه العصابة لا تعبد» ثمّ ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتّى أنزلوهم، فقال: أبو سفيان يومئذ أعل هبل، حنظلة بحنظلة، ويوم بيوم بدر؛ وقتلوا يومئذ حنظلة ابن الراهب وكان جنباً فغسلته الملائكة وكان حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر. وقال أبو سفيان لنا العزّى ولا عزّى لكم، فقال رسول اللهﷺ لعمر: «قل الله مولانا ولا مولى لكم» فقال أبو سفيان أفيكم محمّد؟ أما إنها قد كانت فيكم مثلة، ما أمرت بها ولا نهيت عنها، ولا سرّتني ولا ساءتني، فذكر الله عزّ وجلّ إشراف أبي سفيان عليهم فقال: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. والغمّ الأوّل ما فاتهم من الغنيمة والفتح والغمّ الثاني إشراف العدوّ عليهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا ما أصابكم من القتل حين تذكرون فشغلهم أبو سفيان (تاريخ الطبري ج٢: ص٢٠٢). وهذا النبأ وإن كان بصورة القضية الشرطية، ولكنّه كان إنذاراً لهم وإخباراً عن وجود أرضيّة لهذه الطارئة. وقد أخبر النبيﷺ في حديثه بصورة الجزم عن ارتداد قسم كثير من أصحابه على نحو يعمّ كافّة الطوائف من الصحابة ولا يختصّ بالطلقاء والوافدين في العام التاسع، وهذا ممّا لا يشكّ فيه أحد إذا تدبّر في الآيات والأحاديث النبويّة في هذا المجال، قال الجزري في كتاب جامع الأُصول: روى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليُرفعنّ إليّ رجال منكم، حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربّ أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر جامع الأصول ج١١: ص١١٩). وعليه كيف يصحّ الاستغفار للمرتدّين من الصحابة

➔

وقد مضى التنبيه على ذلك[١].

وخامسها: ما زعمه حجّة له من آيـة: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾[٢]،

←

والاستدلال بحديث إنّ الله أمر بأن يستغفر لجميع الصحابة، وهو عالم بأنّهم يقتلون؟!!!

(١) وملخّص الكلام أنّ الأدلّة والنصوص الدالة على ارتداد أكثر الصحابة ونفاقهم بعد رسول اللهﷺ تدلّ بوضوح على عدم صحّة استدلال ابن تيمية بحديث طلب الاستغفار للصحابة، حتّى عند أهل السنّة، كما تقدّم تفاصيله فلاحظ.

(٢) سورة الفتح:١٨، لقد أثنى سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة على الصحابة المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسولهﷺ حقّاً، وكانوا يعتقدون برسالة رسول اللهﷺ حقّ الاعتقاد والمعرفة، وكانوا يمتثلون أوامره ونواهيه، ويعملون على وفق ما هو المطلوب منهم. وهم الذين بايعوا رسول اللهﷺ تحت الشجرة ولم ينكثوا بيعتهم أبداً إلى آخر لحظة حياتهم. وقد جاء ذكر هؤلاء المؤمنين في القرآن الكريم وسمى الله سبحانه وتعالى بيعتهم ببيعة الرضوان. وقد أفزعت هذه البيعة المشركين، وكانت منعطفاً في التاريخ الإسلامي، والهدف منها الانسجام بين القوى الإسلاميّة وتقوية معنويّاتهم وتجديد التعبئة العسكريّة والعوامل الحربيّة التي رافقت النبيﷺ في غزوة الحديبيّة. ومعرفة أفكارهم واختبار ميزان تضحيتهم من قبل المخلصين الأوفياء. وهذه البيعة بقرينة الآيات الأخرى كانت مخصّصة بالذين آمنوا ولم يكن في قلوبهم مرض واستقاموا على الإيمان ولم ينحرفوا عن لوازم البيعة. وقد أعطت هذه البيعة روحاً جديداً في المسلمين، لأنّهم أعطوا أيديهم إلى

←

➔

النبيﷺ وأظهروا وفاءهم من أعماق قلوبهم في تلك اللحظات الحسّاسة للنبيﷺ مضحين بأنفسهم في سبيل الله ورسولهﷺ والدين الإسلامي، فأعطى الله هؤلاء المؤمنين المضحين والمؤثرين الذين بايعوا رسول اللهﷺ تحت الشجرة أربعة أجوراً، ومن أهمّ تلك الأجور والإثابات الأجر العظيم وهو رضوانه كما عبّرعنه سبحانه وتعالى في سورة التوبة: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ...**﴾ (سورة التوبة:٧٢)؛ ثمّ تضيف الآية قائلة: ﴿**فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ**﴾، وطمئنينة لا حدّ لها، وهم بين سيل الأعداء في نقطة بعيدة عن الأهل والديار والعدوّ مدجج بالسلاح في حين أن المسلمين عزل من السلاح، لأنّهم جاؤوا بقصد العمرة لا من أجل المعركة، فوقفوا كالجبل الأشم لم يجد الخوف طريقاً إلى قلوبهم، وهذا هو الأجر الثاني والموهبة الإلهيّة الأخرى. وأساساً أنّ الألطاف الخاصّة والإمدادات الإلهية تشمل حال المخلصين والصادقين، الذين كانوا من المؤمنين حقّاً. ومن الواضح كون جميع الصحابة من المؤمنين عند المبايعة ممنوع، لأنّ التسليم والرضا مشروط بالوفاء وعدم النكث كما دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ**﴾ (سورة الفتح:١٠)، وحيث أنّ كثيراً من الصحابة نكثوا بيعتهم، وفقدوا شرط المحبّة والرضاء فلا تشملهم الآية. وسنذكر من نكث بيعته في الحديبية وبعدها. وفي ذيل الآية المباركة إشارة إلى الأجر الثالث إذ تقول الآية: ﴿**وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾؛ أجل، هذا الفتح وهو فتح خيبر كما يقول أغلب المفسّرين، وإن كان يرى بعضهم أنّه فتح مكّة، وهو ثالث أجر وثواب للمؤمنين المؤثرين المضحين. والتعبير بقريب في الآية تأييد على أن المراد منه فتح خيبر، لأنّ هذا الفتح حدث وتحقّق بعد بضعة أشهر من قضية الحديبيّة وفي بداية السنة السابعة للهجرة. والأجر الرابع أو النعمة الرابعة التي كانت على أثر بيعة

🡐

فإنّه حجّة بيّنة عليه لو هو ينصف من نفسه[١]، لأنّـه لـو كـان المقـصود منهـا

←

الرضـوان مـن نـصيب المـسلمين كمـا تقـول الآيـة التاليـة هـي: ﴿**وَمَغَـانِمَ كَثِيـرَةً يَأْخُذُونَهَا**﴾؛ وواحدة من هذه الغنائم الكثيرة هي غنائم خيبر التي وقعت في أيـدي المسلمين بعد فترة قصيرة من قضية الحديبيّة، ومع الالتفات إلى ثروة اليهود الكثيرة جدّاً تعرف أهميّة هذه الغنائم إلاّ أن تحديد هذه الغنائم بغنائم خيبر لا دليل قطعـي عليه، ويمكن عدّ الغنائم الأخرى التي وقعت في أيدي المـسلمين خـلال الحـروب الإسلاميّة بعد فتح الحديبيّة في هذه الغنـائم الكثيـرة. ومـن جهـة أنّ المـسلمين قـد طمئنوا بهذا الوعد الإلهي اطمئناناً كاملاً، حيث أنّ الآية تضيف في الختـام: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا**﴾؛ فنبئهم الله بأنّه: إذا أمرناكم في الحديبيّة أن تصالحوا فإنّما كان على أساس من الحكمة في ذلك، والحكمة تكشف الستار عـن أسـرار هـذه البيعـة بمضي الزمن، وهي ما وعدكم الله بالفتح القريـب والغنـائم. والمهـمّ أنّ هـذه الآيـة الكريمة تدلّ على أنّ الله تعالى رضي عن المؤمنين من الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينكثوا بيعتهم ولم يبدّلوا أمرهم، بل وافـوا بعهـدهم ولـم ينقـصوا مـن شرط العهد شيئاً، فعندئذ يسوغ القول بأنّ النبي صلى الله عليه وآله يستغفر لهم، حيـث أنّ هـؤلاء من المؤمنين الذين رضي عـنهم. وأمّا الـذين بـايعوا النبـي صلى الله عليه وآله ثـمّ نكثـوا بيعـتهم واعترضوا على مصالحة النبي صلى الله عليه وآله فلا تشملهم الآية فلاحظ.

(١) وتوضـيح المقـام أنّ الاسـتدلال بآيـة : ﴿**لَقَـدْ رَضِـيَ اللَّـهُ عَـنِ الْمُـؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ لا يكون استدلالاً لصالح ابن تيمية وأتباعـه، لأنّ الآيـة الكريمة فيها دلالة واضحة على أنّ الرضـا مـن الله لمجموعـة مـن الـصحابة الـذين جمعت فيهعم شرائط رضى الله ، ومن الواضح لدى جميع أهـل الـسنّة أنّ الآيـة لا تشمل جميع الصحابة. ومن أجل وضوح هذا الأمر لا بدّ من بيان مقدمة، وهـي: أنّ

→

رضاه سبحانه من جميع مبايعيه لقال: "رضي الله عن مبايعتك تحت

➔

اعتقاد أهل السنّة في الأمور الدينيّة مبنيّة على ثلاثة أمور التي لا يجوزون لأحد مخالفتها، وهي: اتّباع كتاب الله سبحانه وسنّة رسولهﷺ وإجماع الأمّة، ولكن ابن تيميّة لم يبالي في العناد واللجاج والإنكار حتّى بالنسبة إلى الأمور الثلاثة!!! فإنّه خالف كتاب الله وسنّة رسول اللهﷺ وإجماع الأمّة، وإحياناً حتى لا يبالي من إنكار المتواترات عند جميع المسلمين. فمن تلك الموارد التي أنكرها هو إنكاره لصريح قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (سورة الفتح:١٨)، حيث أنّ الله تبارك وتعالى يعلن في هذه الآية المباركة بأنّ رضاه من الصحابة المؤمنين يشترط بأن يكون المؤمنين متّصفين بصفات عالية من الإيمان بحيث يصلوا إلى مرحلة يحبّهم الله، ويرضى عنهم. ولكن ابن تيمية استدل بالآية على رضاء الله بالنسبة إلى جميع الصحابة بما فيهم من المنافقين و.... مع أنّ الآية تبيّن فيها الصفات للمؤمنين، ومعناه أنّ الله تعالى قد رضي عن المؤمنين الذين بايعوا النبيﷺ تحت الشجرة، وكان الله يحبّهم من أجل تلك الصفات التي كانت فيهم، لأنّ الرضا عنهم يوجب المحبّة بهم، وكيف يجوز أن ينسب إلى الله عزّ وجلّ حبّه بالنسبة إلى المنافق؟!! فإنّ استدلال ابن تيمية بالآية على رضا الله بالنسبة إلى جميع الصحابة معناه دعوى رضا الله حتّى بالنسبة إلى المنافقين منهم. وهذه الدعوى مخالفة للنصّ الصريح من القرآن كما هو واضح، وثانياً: مخالفة للسنّة النبويّة الواردة في تفسير الآية الكريمة كما سنذكرها إن شاء الله تعالى، وثالثاً: مخالفة لإجماع الأمّة كما سيتبيّن ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

الشجرة"[١]،

---

(١) لا يخفى على الخبير أنّ ما أخبر به الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة من الرضا عمّن بايع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تحت الشجرة إنّما يكون مبنياً على العدل والحكمة الإلهية. وتوضيح المقام: أنّ الله تبارك وتعالى عدل حكيم لا يفعل القبيح ولا يظلم، وعندما يقول عزّ وجلّ: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ (سورة الفتح:١٨) معناه أنّ الله تعالى قد رضي عن المؤمنين الذين بايعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وكانت بيعتهم مطابقاً لما جاء في القرآن من لزوم الوفاء بالعهد، حيث يقول تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**﴾ (سورة النحل:٩١)، والظاهر من معنى عهد الله العهود التي يبرمها الناس مع الله تعالى أو العهود التي يبرمها الناس مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والبيعة مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عهد مع الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وعليه يجب على من عاهد الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ان لا ينقض عهده ولا ينكث بيعته. وبعبارة أخرى: أنّ البيعة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مشروطة من الأمر بعدم النقض، وعندما يقول تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ معناه الرضا عن الذين كانوا أوفياء بالنسبة إلى عهودهم، فهؤلاء قد رضي الله عنهم، ولو كان المقصود من الآية رضاه سبحانه عن جميع المبايعين تحت الشجرة لقال سبحانه: رضي الله عن مبايعتك تحت الشجرة، لا: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾، فإنّ العدل الإلهي وحكمته البالغة يقتضيان أن يكون رضاه بالنسبة إلى المبايعين المؤمنين الأوفياء المخلصين، الذين قال الله تعالى في حقّهم: ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ (سورة الفتح:١٠)، لا المنافقين الذين نكثوا بيعتهم وخانوا ما عاهدوا الله عليه. فالقرآن الكريم في هذه الآية المباركة يحذر جميع المبايعين للنبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن لا ينقضوا عهدهم ولا ينكثوا بيعتهم. بل يثبتوا على عهدهم وبيعتهم فمن ثبت منهم ←

لزعم السنّي أنّ إيمان جميعهم معلوم[(١)]،

➔

على عهده فسيؤتيه الله أجراً عظيماً. ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه، أي يعود ضرره عليه ولا ينال الله ضرره أبداً... بل إنّه يهدّد وجود المجتمع وكرامته وعظمته ويعرضه للخطر بنقضه البيعة، ومن هنا يتّضح بجلاء أنّ البيعة الصحيحة التي يترتّب عليها رضى الله هي البيعة المشروطة بوفاء العهد، وعدم النكث. ومن وجهة نظر الإسلام أنّ رضى الله لا تشمل للبيعة التي لم تكن مشروطة بالوفاء. وعليه فلا يترتّب الأثر ببيعة لم تكن مشروطة بالوفاء ، كما لا يترتب الأثر على بيعة التي نكثها الصحابة ، فإنّ من نكث بيعته فهو مشمول لأدلّة نقض العهد والبيعة فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيمية في المقام هو أنّ إيمان الصحابة كان بسبب تعاليم الرسولصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ مباشرةً، والذي يكون كذلك لا يكون منافقاً، لأنّ الصحبة بمجرّدها تكون مصونة عن النفاق.

أقول: أنّ بطلان ما زعمه أوضح من أن يخفى على أحد ، لأنّ الصحبة وإن كانت تعدّ فضيلة جليلة، لكنّها – بما هي ومن حيث هي– غير عاصمة من الزلل والخطأ، فإنّ الصحبة لو كانت عاصمة لعصمت قرابة النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كأبي لهب وأبي جهل وغيرهما الذين كانا من ألد أعداء النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وهم ممن صحبوا النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. ومن هنا يعرف أنّ الصحابة كغيرهم من الناس العاديين فيهم العدول وفيهم الفساق، وفيهم العلماء وفيهم الجهال، وفيهم المجاهدين، وفيهم البغاة، وفيهم المؤمنين وفيهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال؛ فالصحبة لا تكون مصونة من الجرائم والكبائر، وقد كان في صحابة رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ المنافقين كابن هند، وابن النابغة، وابن الزرقاء، وابن عقبة، وابن أرطاة، وأمثالهم فلا كرامة لهم. والقرآن الكريم قد بيّن حقيقة المنافقين بشكل واضح، كما أنّ السنّة النبويّة كشف غطاء عن هذه

🡐

➔

الحقيقة، ولكن ابن تيمية خلافاً للقرآن والسنّة النبويّة يدّعي أنّ جميع الصحابة بما فيهم من المنافقين جميعهم عدول مؤمنون واحتجّ على هذا الزعم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (سورة الفتح:١٨) على رضا الله عن جميع الصحابة بما فيهم من الغثّ والسمين فيدعي أنّ الله كما رضي عن المؤمنين من الصحابة قد رضي عن المنافقين منهم. مع أنّ القرآن الحكيم مشحون بذكر مطاعن المنافقين، وحسبك من سوره التوبة والأحزاب، قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّه وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (سورة المنافقين:١)، وقوله تعالى: ﴿ويكفيك من آياته المحكمة الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِه﴾ (سورة التوبة:٩٧)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة التوبة:١٠١)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (سورة التوبة:٤٨)، وقوله تعالى: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِه﴾ (سورة التوبة:٧٤)، وإلى غير ذلك من الآيات التي نزلت في شأن المنافقين، فأين ذهب المنافقون الذين كانوا يؤذون النبيﷺ وكان النبيﷺ يتجرّع الغصص من أذاهم مدّة حياته، وقد جاء في المصادر التأريخية أنّ النبيﷺ لمّا خرج إلى غزوة أحد بألف من أصحابه، فرجع وفي أصحابه قبل الوصول ثلاث مائة منهم المنافقين، ولو أراد الباحث أن يعرف لماذا فليراجع إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة التوبة:١٠١). وعليه لو كان من الألف ثلاث مائة منافق لكفى دليلاً على وجود المنافقين بين الصحابة، فالأدلّة القطعية من الكتاب والسنّة تدلّ على وجود

➔

فأيّ حاجة حينئذ إلى التطويل يذكر كلمة المؤمنين؟!![1]

والمنصف الناقد يفهم من نفس سياقها كون المبايعين تحت الشجرة على قسمين: مؤمنين، وغيرمؤمنين، ويرشد إلى ما بيّنّاه ويدلّ عليه ما مضى بيانه من مخالفة مبايعي أبي بكر عن ميل ورضا للشريعة[2]،

➔

المنافقين بين الصحابة. وبعد قيام الأدلّة المقبولة لدى جميع المسلمين من وجود المنافقين بين الصحابة كيف يدّعي ابن تيمية ويزعم أنّ آية: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ...**﴾ تشمل جميع الصحابة؟!!!

(١) وبعبارة أوضح أنّ نفس قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ...**﴾ يكفي للردّ على ما زعمه ابن تيمية في المقام، حيث أنّ الله تعالى صرح في الآية الكريمة بأنّ رضاه يكون عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله فنفس الآية ترد دعوى ابن تيمية من أنّ الآية تشمل جميع الصحابة بما فيهم المنافقين. فكيف يمكن شمول الآية للمنافق الذي يعاند الحقّ والإسلام وعدم تسليمه لما جاء به الإسلام قلباً أو عدم قبوله الولاية الإلهية وعناده لأهلها على ما يأتي؟!!!

(٢) وبعبارة أخرى أنّ الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الشجرة إمّا بقوا على عهدهم وميثاقهم إلى آخر لحظة من حياتهم، فهم المؤمنون الذين رضي الله عنهم بنصّ الآية الشريفة. وإمّا نقضوا عهدهم ميثاقهم وبيعتهم، فهؤلاء كانوا من المنافقين. وعليه فإنّ من بايع رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الشجرة، وكان مؤمناً وبقي على تلك حالة حتّى مات عليها فهو ممّن رضي الله عنه؛ وأمّا من بايع أبا بكر وخرج عن العهد والميثاق الذي حققه في البيعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه قد نقض عهده وبيعته مع

➔

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ بيعة أبي بكر كانت مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنّة النبويّة، فإنّ الآيات العديدة من القرآن الكريم تدلّ على أنّ الامامة منصب إلهي قد جعله الله لمن فرض ولايته على الناس، كما قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ** ﴾ (سورة الأنبياء:٧٣)، ففي منطق القرآن الكريم أنّ الأئمة الذين جعلهم الله إماماً وهادياً للناس فهو منصوب من قبل الله عزّ وجلّ، وهو كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ (سورة السجدة:٢٤). فالأئمة الذين يهدون بأمر الله، هم كالأنبياء الذين بعثهم الله تعالى للرسالة والهداية. كما أنّ الآية الكريمة وقوله تعالى: وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين، فسّر بالأنبياء عند أهل السنّة. ومن الواضح عدم الفرق في الهداية الإلهية والرسالة السماوية والولاية الإلهية. وهذه الحقيقة تتّضح لمن تأمّل في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (سورة المائدة:٥٥)، فقد بدأ سبحانه في هذه الآية بكلمة إنّما التي تفيد الحصر، وبذلك حصر ولاية أمر المسلمين في ثلاث وهم: الله ورسوله صلى الله عليه وآله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، والمقصود به من اجتمعت فيه هذه الصفات: الإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في حال الركوع، ونزلت فيه الآية. فأثبت الله تعالى في هذه الآية الكريمة الولاية لنفسه سبحانه ولنبيّه صلى الله عليه وآله ولوليّه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما أنّ الروايات المفسّرة لهذه الآية المتّفقة بين الفريقن تدلّ على ذلك. ومن البديهي أنّه يجب أن تنتهي جميع الطاعات إلى طاعة الله سبحانه، وكلّ قيادة وولاية يجب أن تنبع من

➔

➔

ولاية الله سبحانه وذاته المقدّسة تعالى وتكون حسب أمره ومشيئته، لأنّه الحاكم والمالك التكويني لهذا العالم، وكلّ حاكميّة ومالكيّة يجب أن تكون بإذنه وبأمره، فالولاية والحاكميّة أوّلاً وبالذات لله تعالى لأنّه المبدأ للوجود، والإنسان محتاج إليه في أصل وجوده وبقاؤه متوقّف عليه. فيجب على كلّ مؤمن يؤمن بالله وبكتابه المنزل أن يطيع الله، ثمّ يطيع من له الولاية وحقّ الطاعة من قبل الله عزّ وجلّ. فبمقتضى الآية الكريمة يجب على جميع المسلمين الطاعة لمن له الولاية من قبل الله عزّ وجلّ، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى بطاعة من له الولاية على الناس بقوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (سورة النساء:٥٩)، وقد أعطى سبحانه وتعالى هذا المقام إلى النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه وإلى أولى الأمر المعصومعَلَيهِمُالسَّلَامُ بعد رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه. وهذا المعنى يظهر من إطلاق عطف أولي الأمر على الرسولصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه، كما أنّ النصوص المتواترة لدى الفريقين الدالّة على وجوب طاعة الإمام كحديث الثقلين وحديث الغدير والحديث السفينة وغيرها تدلّ على وجوب طاعة من له الولاية الإلهية كالإئمة المعصومين من أهل البيتعَلَيهِمُالسَّلَامُ. ومن هنا يتوجّه هذا السؤال إلى ابن تيمية وأتباعه أنّه إذا كان القرآن الكريم والروايات المتواترة المتّفقة بين الفريقين تدلّان على وجوب طاعة الله وطاعة من له الولاية الإلهيّة كرسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه والأئمة المعصومينعَلَيهِمُالسَّلَامُ الذين أمر الله تعالى بطاعتهم فكيف جاز لأبي بكر أن يأخذ البيعة لنفسه للخلافة بعد اعترافهم بعدم عصمته وعدم لياقته لشمول الآية الكريمة له؟!! وكذلك عدم شمول الروايات الدالّة على وجوب الطاعة له؟!! وكيف أهمل المسلمون هذه الآيات والروايات عند بيعتهم مع أبي بكر؟!! فإنّ الأدلّة القطعيّة من الكتاب والسنّة تدلّان على أنّ الصحابة الذين بايعوا أبا بكر في السقيفة فقد نقضوا بيعتهم مع رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه وخرجوا عن دلالة الآية:

➔

وقد بايعه الكثير من المبايعين تحت الشجرة عن ميل ورضا[(١)]، وهل يتصوّر

➔

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ...﴾ فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ كثيراً ممن بايع أبا بكر عن رغبة فقد بايع النبيﷺ تحت الشجرة ، وهم غير مشمولين لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (سورة الفتح:١٨)، لأنّ الآية صرّحت بأنّ الرضا يكون عن المؤمنين الذين بايعوا رسول اللهﷺ تحت الشجرة، ومن الواضح أنّ المقصود بالمؤمن هو المؤمن الواقعي الذي لم يتغيّر إيمانه إلى آخر لحظة حياته؛ لأنّ العناوين إنّما تحمل أوّلاً وبالذات على العناوين الواقعيّة المترتّبة على المعنون، فالآية تكشف عن حقيقة المؤمنين الذين بايعوا رسول اللهﷺ تحت الشجرة الذين شملهم الرضا من الله تعالى. من المعلوم أنّ الرضا من الله إنّما يكون للمؤمنين الحقيقيين، والمؤمن الحقيقي هو من لم يتغيّر إيمانه إلى آخر لحظة حياته. وأمّا من بايع أبا بكر فإنّه انقلب على عقبيه ورجع عن إيمانه، وتحوّل عن إيمانه نحو الجاهلية، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٤٤). وذلك لأنّ بيعة أبي بكر في السقيفة معناها رفض جميع النصوص الدالّة على إمامة أهل البيتعليهم السلام الدالّة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والأئمة المعصومين من أهل البيتعليهم السلام. وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق المؤمن من طينة الجنّة وخلق الكافر من طينة النار»، وقالعليه السلام: «إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً طيب روحه وجسده فلا يسمع شيئاً من الخير إلاّ عرفه... ولا يتحوّل مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه ولله المشيئة فيهم» (الكافي ج٢:

➔

من له الدين وتقوى رضا الله سبحانه عن قوم أنزل في حقّهم آية: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**

➔

ص٢). وذلك نظير قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (سورة الأنفال:١٦). وعليه فمن بايع أبا بكر فقد انقلب على عقبيه وصار مع الأعراب الجاهليّة؛ فهو كمن لم يؤمن بالله ورسولهﷺ ومن لم يكن مؤمناً بالله حقيقةً، وإن كان في بعض أيّام حياته متلبّساً بالإيمان؛ لأنّ المقصود بالمؤمن هو من كان مؤمناً حقيقةً، والمؤمن الحقيقي هو من لا يتغيّر ولايتحوّل إيمانه؛ والرضا الإلهي لا يشمل بالجزاف، وإنّما يشمل لمن كان مؤمناً حقيقةً.

وثانياً: على فرض التسليم وقبول شمول عنوان الإيمان للمبايعين الذين تلبّسوا بالإيمان في حين بيعة الرضوان فإنّ النصوص الدالّة على ارتداد الصحابة بعد النبيﷺ كآية الانقلاب على الأعقاب وحديث الحوض وغيرهما ممّا تدلّ على عدم شمول الرضا الإلهي لهم من أوّل الأمر، لأنّ العلم الإلهي بالتقادير يمنع عن شمول رضاه سبحانه بالنسبة إلى المرتدّين من الصحابة الذين حضروا بيعة الرضوان؛ فإنّ من بايع أبا بكر يكشف عن أنّ بيعته كانت سبباً لعدم شمول الرضا الإلهي من أوّل اليوم. أي أنّه من أوّل اليوم لم يكن مشمولة للرضا الإلهي. إذ أنّه خارج عمّن آمن بالله ورسولهﷺ حقيقةً، فلا يشمله عنوان المؤمن الذي يترتب عليه الأثر في الآية، فمدلول الآية الكريمة لها إطار خاصّ وهو المؤمن الذي يشهد الله بإيمانه، ومن الواضح أنّ المؤمن الذي يشهد الله بإيمانه هو المؤمن الحقيقي الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل إلى آخر لحظة من حياته فلاحظ.

نُوَلِّه مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِه جَهَنَّمَ﴾[1]؟

وقد تبيّن الهدى لجميع الصحابة بما نقلوه هم لمن أتى بعدهم من السنن العديدة التي جملة منها دلّت على إمامة عليعليه السلام وولدهعليهم السلام من بعده[2]،

---

(١) سورة النساء:١١٥، هذه الآية المباركة تبيّن حقيقة إيمان من تمّت عليه الحجّة وصحّت عنده الأدلّة للهداية إلى الدعوة الإلهية. فالآية تكشف عن حقيقة إيمان الصحابة بعد إتمام الحجّة عليهم في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وولايته التي فرضها الله تعالى على المؤمنين. ولكن مع ذلك أنّ أكثر الصحابة اتّبعوا غير طريق المؤمنين وخالفوا ما جاءهم من الأدلّة، مخالفة صريحة مقرونة بالحقد والضغينة، وتؤكّد جملة: ﴿**مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ**﴾ على أنّ من يختار الطريق الأعوج إنّما يختاره لنفسه. والبناء الذي أراد الوقوف فيه قد وضع أساسه بيده، ولهذا ما يلحقه من سوء العاقبة إنّما يكون بسبب اختياره ولم يقع عليه أي ظلم من الخارج. وأمّا بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿**نُوَلِّه مَا تَوَلَّىٰ**﴾، فهو إشارة إلى حرمان هؤلاء من التوفيق المعنوي لتمييز الحقّ ومواصلتهم إليه، بل أنّهم اختاروا السير في طريق الضلالة ونالوا إلى نتيجة انتخابهم، وكيف يمكن أن يكون هؤلاء الصحابة مشمولين لرضا الله عزّ وجلّ مع أنّهم حرموا أنفسهم من هذه النعمة الإلهيّة؟! فمن الواضح أنّ المقصود بالرضا عن المؤمنين: هم الذين بايعوا تحت الشجرة، وبقوا ثابتين على عهدهم وإيمانهم. فهم المؤمنون المتّقون الصالحون المهتدون المتورّعون المخلصون من الصحابة الذين مدحهم الله في الآية الكريمة بالرضا عنهم، فلاحظ.

(٢) لا يخفى على الباحث في الآثار النصوص والروايات التي رواها علماء أهل السنّة ←

➔

في كتبهم بأسناد صحيحة ودلالة واضحة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بلا فصل، وإمامة الأئمة الهدى من العترة الطاهرة عليهم السلام، وأوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وخلفائه الكرام القائمين مقامه، وقد جاء ذكرهم بأسمائهم مُوضحاً صلى الله عليه وآله بأنّ أوّلهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعده ابنه الإمام الحسن عليه السلام، ثمّ أخوه الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ تسعة من ذرية الحسين عليهم السلام وآخرهم المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف. فقد أخرج الحمويني الجويني في كتابه فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عبّاس قال: قدم يهودي يقال له نعثل، فقال: يا محمّد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فان أجبتني عنها أسلمت على يديك؟ قال: «سل يا أبا عمارة»، فقال: يا محمّد صف لي ربّك، فقال صلى الله عليه وآله: «لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز العقول أن تدركه والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار أن تحيط به، جلّ وعلا عمّا يصفه الواصفون، نائي في قربه، وقريب في نأيه، هو كيف الكيف، وأين الأين، فلا يقال له أين هو؟ وهو منقع الكيفيّة والأينونيّة، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»، قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن قولك «إنّه واحد لا شبيه له»، أليس الله واحد والإنسان واحد؟ فقال صلى الله عليه وآله: «الله عزّ وعلا واحد حقيقي أحدي المعنى، أي لا جزء ولا تركّب له، والإنسان واحد ثنائي المعنى مركّب من روح وبدن»، قال: صدقت، فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصيّ، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون، فقال: «إن وصيّي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين»، قال: يا محمّد فسمّهم لي، قال: «إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر،

➔

➔

فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه عليّ، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر»، قال: أخبرني كيفيّة موت علي والحسن والحسين؟ قالﷺ: «يقتل علي بضربة على قرنه، والحسن يقتل بالسمّ والحسين بالذبح»، قال: فأين مكانهم؟ قال: «في الجنّة في درجتي»، قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله، وأشهد أنّهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدّمة وفيما عهد إلينا موسى بن عمرانعليه السلام إنّه إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له أحمد ومحمّد هو خاتم الأنبياء لا نبي بعده، فيكون أوصياؤه بعده اثنا عشر: أوّلهم ابن عمه وختنه، والثاني والثالث كانا أخوين من ولده، ويقتل أمّة النبيّ الأول بالسيف والثاني بالسمّ والثالث مع جماعة من أهل بيته بالسيف وبالعطش في موضع الغربة، فهو كولد الغنم يذبح ويصبر على القتل لرفع درجاته ودرجات أهل بيته وذريته، ولإخراج محبّيه وأتباعه من النار، وتسعة الأوصياء منهم من أولاد الثالث، فهؤلاء الاثنا عشر عدد الأسباط قالﷺ: «أتعرف الأسباط؟» قال: نعم كانوا اثنا عشر أوّلهم لاوي بن برخيا وهو الذي غاب عن بني إسرائيل غيبة ثمّ عاد، فأظهر الله به شريعته بعد اندراسها وقاتل قرسطيا الملك حتّى قتل الملك، قالﷺ: «كائن في أمّتي ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وإنّ الثاني عشر من ولدي يغيب حتّى لا يرى، ويأتي على أمّتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلاّ اسمه ولا يبقى من القرآن إلاّ رسمه، فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج، فيظهر الله الإسلام به ويجدّده، طوبى لمن أحبّهم وتبعهم والويل لمن أبغضهم وخالفهم، وطوبى لمن تمسّك بهداهم». فأنشأ نعثل شعراً: صلى الإله ذو العلى عليك يا خير البشر * أنت النبي المصطفى والهاشمي

←

وجملة منها دلّت على عدم لياقة الثلاثة لذلك[١] من جهة فضل غيرهم

➔

المفتخر. بكم هدانا ربّنا وفيك نرجو ما أمر * ومعشر سمّيتهم أئمة اثنا عشر. حباهم ربّ العلى ثمّ اصطفاهم من كدر * قد فاز من والاهم وخاب من عادى الزهر. آخرهم يسقي الظما وهو الإمام المنتظر * عترتك الأخيار لي والتابعين ما أمر. من كان عنهم معرضاً * فسوف تصلاه سقر (انظر فرائد السمطين للحمويني الجويني ج٢: ص١٣٢ ح٤٣١ ، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٣: ص٢٨١). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم الدالّة على المقام. وعليه فلا يمكن إنكار هذه النصوص عندهم سنداً ودلالة ويلزمهم العمل بمقتضاها، والعمل بمقتضاها يلزمهم القول بأنّ الصحابة رفضوا هذه الروايات بسبب بيعتهم لأبي بكر؛ وفي مقابلهم أنّ الصحابة الذين عملوا بهذه النصوص قد رضي الله تعالى عنهم كما في الآية الكريمة فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير الروايات والنصوص الواردة في المصادر الإسلامية الدالّة على عدم لياقة الخلفاء الثلاثة لمقام الخلافة والإمامة، من جهة أنّهم كانوا فقدانهم للشرائط المعتبرة في الإمامة كتاباً وسنةً، وقد اعترف بذلك علماء أهل السنّة في كتبهم، وهي كثيرة جداً، ولا يمكننا استقصائها في المقام فنقتصر على ذكر الروايات والنصوص الدالّة على فقدان الخلفاء الثلاثة لبعض شروط الإمامة، ومن تلك الشروط المعتبرة عندهم: العلم، أي: لا بدّ أن يكون الإمام عالماً بالمسائل الشرعيّة والمسائل الدينيّة، فلا تصحّ إمامة الجاهل. قال الباقلاني: يشترط أن يكون (الإمام) في العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قُضاة المسلمين... (انظر التمهيد: ص١٨١). وقال عبد القاهر البغدادي: قال أصحابنا إنّ الّذي يصلح للإمامة ينبغي أن يكون فيه أربعة أوصاف: أحدها: العلم؛ وأقلّ ما يكفيه منه أن يبلغ فيه

🡐

➔
مبلغ المجتهدين في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام...(انظر أصول الدين لأبي منصور البغدادي: ص٢٧٧). وقال أبو الحسن البغدادي الماوردي: الشروط المعتبرة في الإمامة سبعة: أحدها:..... الثاني: العلم المؤدّي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام... (انظر الأحكام السلطانية: ص٦). وقال ابن حزم: يشترط فيه أمور: أن يكون عالماً بما يلزمه من فرائض الدين... (انظر الفِصَل ج٤: ص١٨٦). وقال القاضي سراج الدين الأرمَوي: صفات الأئمة تسع، أحدها: أن يكون مجتهداً في أصول الدين وفروعه... (انظر مطالع الأنوار: ص٤٧٠). وقال التفتازاني: قد ذكرنا في كتبنا الفقهيّة أنّه لا بدّ للأُمّة من إمام يحيي الشريعة ويُقيم السنّة وينتصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها، ويشترط أن يكون مكلّفاً مسلماً عدلاً حرّاً ذكَراً مجتهداً شجاعاً... (انظر شرح المقاصد ج٢: ص٢٧١). وقال الفضل ابن روزبهان: وشروط الإمام أن يكون مجتهداً في الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين... (انظر دلائل الصدق ج٢: ص٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم في هذا المجال، فمع اختلافهم في بيان حدّ العلم فقد اتفقوا في اشتراط العلم في الإمام، وأن يكون هذا الشرط بمنزلة من يصلح أن يكون خليفةً للمسلمين. ولكن عندما يأتون إلى تطبيق هذا الشرط على الخلفاء الثلاثة، بل على جميع خلفائهم سوف تراهم يقولون: لم نعهد لهم نبوغ في علم، أو تقدّمهم في العلم على سائر الناس، وقد رووا في هذا المجال روايات كثيرة بالنسبة إلى جهل الخلفاء الثلاثة بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة والأحكام الشرعيّة، وعلى سبيل المثال فقد روى كبار علماء أهل السنّة بأسناد صحيحة أنّ رجلاً جاء إلى أبي بكر فسأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾، فقال أبو بكر: أي سماء تظلّني أو أي أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ (انظر تفسير القرطبي ج١: ص٢٩، وأصول التفسير لابن تيمية
🡐

في المقدّمة: ص ٣٠، والكشّاف للزمخشري ج٣: ص٢٥٣، وتفسير ابن كثير ج١: ص٥، أعلام الموقعين لابن القيم: ص٢٩، وتفسير الخازن ج٤: ص٣٧٤، وتفسير النسفي في هامش تفسير الفخر الرازي ج٨: ص٣٨٩، والدرّ المنثور للسيوطي ج٦: ص٣١٧، وفتح الباري لابن حجر ج١٣: ص٢٣٠، وتفسير ابن جزي الكلبي ج٤: ص١٨٠ وغيرها من المصادر). فكيف يغيب هذا المعنى البسيط عن الخليفة العربي القحّ الذي لا يحتاج إلى معرفة أكثر من معرفة اللغة العربية. فعدم معرفته لأبسط الأشياء دليل على جهله بأمور، فكيف بأكبر وأهمّ من كلمة الأب الذي عجز عن معرفته؟!! وهناك روايات أخرى في جهل الخليفة لم نذكرها للاختصار وللباحث أن يراجع كتاب الغدير للعلاّمة الأميني قدس سره ج٧: ص١٠٣-١٩٩، كما أخرج كبار علماء أهل السنّة الروايات الكثيرة في جهل الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد ابن عبدالرحمن بن أبزي عن أبيه أنّ رجلاً أتى عمر فقال: إنّي أجنبت فلم أجد ماء، فقال: لا تصلّ، فقال عمّار: أما تذكر يا أمير المؤمنين أذاناً وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء، فأمّا أنت فلم تصلّ وأمّا أنا فتمعكت في التراب وصلّيت فقال النبي صلى الله عليه وآله: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثمّ تنفخ ثمّ تمسح بهما وجهك وكفّيك»، فقال عمر: اتّق الله يا عمّار، قال: إن شئت لم أحدّث به (صحيح مسلم ج١: ص١٩٣ كتاب الطهارة، باب التيمم). والآية الكريمة تبيّن هذه الحقيقة بأجلى الوضوح فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

➔

(سورة النساء:٤٣). فكيف يفسّر عمر الآية الكريمة وما مدى علمه بها؟!! وكيف لايعرف الخليفة عمر بن الخطّاب حكم الجنابة؟ وكيف يمكن للمسلمين أن يعرفوا تفسير القرآن مع أنّ خليفته يكون جاهلاً به؟ والأمثلة على جهل عمر بالقرآن كثيرة وكثيرة، وهناك روايات كثيرة أخرجها كبار علماء أهل السنّة بطرق صحيحة عن في جهل عمر بن الخطّاب وقد أخرج بعضها العلاّمة الأمينيقدس سره في كتابه الغدير في باب سمّاه نوادر الأثر في علم عمر وهي مأئة نادرة (انظر الغدير للعلاّمة الأميني ج٦: ص٨٣-٣٣٣). وكما أخرج الروايات الكثيرة في جهل عثمان بطرق صحيحة عن كبار علماء أهل السنّة (انظر الغدير ج٩: ص٦٥-٣٩٧). وأيضاً أخرج كبار علماء أهل السنّة الروايات الكثيرة الدالّة على جهل الخليفة الثالث عثمان بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة والأحكام الشرعيّة؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن عطاء بن يسار: إنّ زيد بن خالد الجهني أخبره أنّه سأل عثمان بن عفّان قال: قلت أرأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يمن؟ قال عثمان: يتوضّأ كما يتوضّأ للصلاة ويغسل ذكره. قال عثمان: سمعته من رسول اللهصلى الله عليه وآله (انظر صحيح البخاري ج١: ص٧٦ كتاب الطهارة، باب غسل ما يصيب من رطوبة فرج المرأة، وصحيح مسلم ج١: ص١٨٤ كتاب الطهارة، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين). فمن أوّليّات الفقه في باب الطهارة وجوب الاغتسال بعد الجماع لكن الخليفة عثمان لم يعرفه، وهذا علم الخليفة بالقرآن، ألم يقرأ قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾** (سورة

🡐

➔

النساء:٤٣)؛ يبدو أن الخليفة لم تمرّ هذه الآية عليه من قبل، وهذا يعني أن الخليفة طوال عمره كان يغتسل فقط إذا أمنى بعد الجماع، أمّا في غيرها عند الجماع وعدم الإنزال أو عدم خروج المني فإنه لم يغتسل!! ماذا يقول طلبة العلوم الدينيّة وهم في صفهم الأوّل عند سماعهم مثل هذه الرواية في رجل ما؟!! لا شكّ أن سيعيّبون عليه جهله بالأحكام ويسخرون منه، فكيف إذا كان القائل هو الخليفة الثالث عثمان؟!! وكذلك ما ورد من أنّ عثمان كان لا يعرف عدّة المطلقة والأرملة، من المعروف في الفقه أن المرأة التي يموت عنها زوجها أو تتطلّق منه تنتظر ثلاث حيضات بعد فراقه ثمّ يحقّ لها الزواج من غيره، ولكن عثمان على خلاف ما انزل الله قال: أنّ المرأة تتزوّج بلا عدّة! فقد أخرج البيهقي بسنده عن نافع أن ربيع (امرأة) خلعت (انفصلت وطلّقت) زوجها، فقال عثمان مجيباً عبد الله بن عمر: تنتقل ولا ميراث لها ولا عدّة الاّ أنّها لا تنكح حتّى حيضة خشية أن يكون بها حبل! فقال عبد الله بن عمر: عثمان خيرنا وأعلمنا (انظر سنن البيهقي ج٧: ص٤٥٠). فالحديث نصّ صريح في أنّ عثمان أفتى بفتوى يخالف فيها القرآن والسنّة النبويّة والشرع الأقدس، فالآية القرآنيّة من سورة البقرة تقول: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (سورة البقرة:٢٢٨). فحسب النصّ الصريح في هذه الآية الكريمة أنّ المطلّقة لا بدّ أن تنتظر ثلاث قروء أي ثلاث حيضات بعد فراق زوجها ثمّ يحقّ لها بعد ذلك أن تتزوّج؛ فكيف جعل عثمان العدّة حيضة واحدة والقرآن يقول: ثلاث قروء؟!! ألم يقرأ الخليفة هذه الآية القرآنية قبل أن يحكم هذا الحكم الارتجالي؟ بلا شكّ أنّه كان لا يعرف سورة

🡐

عليهم، وجملة منها دلّت على بُعدهم عن مرتبة سياسة الناس بالشريعة[١]،

➔

البقرة أيضاً، وما بال ابن عمر يحمده على ذلك الجواب المخالف للقرآن، ياللعجب؟!! وقد روى مالك في الموطأ بسنده عن قبيصة بن ذؤيب أنّ رجلاً سأل عثمان بن عفّان عن الأختين من ملك اليمين، هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلّتهما آية، وحرّمتهما آية، فأمّا أنا فلا أحبّ أن أصنع ذلك (الموطأ لمالك ج٢: ص٥٣٨). سبحان الله، يفتي على خلاف ما أنزل الله! ثم يقول: فأمّا أنا فلا أحبّ أن أصنع ذلك! والجواب الصحيح أنّ الحكم حرام للحرائر وللإماء في الجمع بين الأختين، فآية التحريم تحرم كلّ المحارم نسبيّاً وسببيّاً ورضاعيّاً ولا تستثني، لكن الخليفة عثمان يجهل الحكم في تلك المسألة البسيطة ويقول برأيه، وليس ذلك فقط، فإنّه يقول بتناقض القرآن بقوله أحلّتهما آية وحرّمتهما آية! وهناك روايات كثيرة في جهل عثمان أخرجها كبار علماء أهل السنّة، وقد روى بعضها العلاّمة الأميني قدس سره في كتابه الغدير من أصحّ كتبهم (راجع الغدير ج٩: ص٦٣-٣٩٧). فهذه أمثلة تبيّن جهل الخلفاء الثلاثة بالقرآن الكريم وبتفسيره والسنّة النبويّة والأحكام الشرعيّة. فأين العلم الذي اشترطوه في الإمامة؟!! وعليه إذا كان العلم أحد شرائط الإمامة كيف جاز لأهل السنّة أنّ يجعل الجاهل إماماً وخليفة ومرجعاً للأمّة في الفقه والتفسيرو.....؟!!

(١) لا يخفى أنّ السياسة الشرعية هي الوظائف الأساسيّة التي عيّنها الشارع الأقدس لرعاية مصالح العباد والرعية، وذلك للمنع عن وقوع الفساد في المجتمع الديني، ومن الواضح الضروري أنّ القيام بهذه المهمة لايمكن إلاّ للحاكم الذي يحيط بجميع المسائل الدينيّة، والأحكام الشرعيّة، وذلك غير ممّا يجب على الإمام

➔

➔

معرفته. ومن الواضح أنّ الإحاطة بجميع المسائل الدينية وغيرها لا يمكن تحقّقها إلاّ للنبي أوالإمام المعصوم. وعليه فلا يحقّ أحد أن يتصدي هذا المقام إلاّ أن يكون معصوماً، وإلاّ سوف يكون حكمه بغير ما أنزل الله، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (سورة المائدة:٤٤)؛ وذلك لأنّ الحكم بغير ما أنزل الله موجب لوقوع الناس في الضلالة، كما أكّد سبحانه وتعالى بأنّ غير حكم الله يكون حكم الجاهليّة، قال تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ (سورة المائدة:٥٠)؛ فقوله تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ**﴾ استفهام توبيخي، كما أنّ قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا**﴾ استفهام انكاري، أي: لايوجد حكماً أحسن من حكم الله، وأنّ غير حكم الله يكون حكم الجاهلية. ومن الواضح لا بدّ أنّ يتّخذ حكم الله من مصدره التشريعي أعني كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، والأخذ من غيرهما محكوم بحكم الجاهلية، وذلك كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (سورة المائدة:٤٤)؛ والوجه في تحذير الآية أنّ الحكم بغير ما أنزل الله موجب لوقوع الناس في الضلالة، فصريح الآية أنّ من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، وهو عبارة أخرى عن أنّ غير حكم الله يكون حكم الجاهلية..

ولا يخفى على الخبير أنّ الكفر له مراتب ودرجات مختلفة تبدأ من إنكار أساس وجود الله ويشمل الإنكار المسائل الدينيّة الضرورية وغير ذلك، فالكفر بعينه ثابت في المقام باعتبار أنّ حكم الحاكم إمّا أن يكون قولاً في مقابل قول الله تعالى أو اجتهاداً في مقابل النصوص القرآنيّة وروايات المعصومين عليهم السلام.

ويمكننا أن نستفيد من الآية: بأنّ الحاكم الجائر حيث لم يحكم بما أنزل الله، فيكون

➔

➔

من الكافرين كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة:٤٤). وإذا كان حكمه على أساس هواه وأمياله النفسانية ايضا يكون حكمه بغير بما أنزل الله ، وإن كان حكمه مطابقاً للشرع الأقدس، ففي هذا المورد قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة المائدة:٤٧). كما أنّ من حكم على أساس اجتهاداته الخاطئة فهو من الظالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة المائدة:٤٥). فالمراتب الحكم بغير ما أنزل الله مختلفة، بعضها تؤدّي إلى الكفر وبعضها إلى الفسق، وبعضها إلى الظلم. ولعلّ هذا التنويع في إطلاق صفات مختلفة إنّما هو لبيان أنّ لكلّ حكم جوانب ثلاثة، أحدها: ما يرتبط بالله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله، وهو الحكم الشرعيّ، فلا بدّ أن يكون المشروع من قبل الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله؛ والثاني: ما يرتبط بالمنفذين، فإذا كان الحكم يمسّ المنفذين للأحكام الإلهيّة كالقاضي والحاكم فهو ممّا يرتبط بالفسق؛ والثالث: ما يرتبط بالفرد والأفراد الذين يطبق عليهم الحكم، أي عدم مراعات العدل في الإجراء، وهذا مايتّصف بالظلم. والمهمّ أنّ المقصود في المقام هو القسم الأول من الحكم. فإنّ الحاكم الجائر الذي غصب الخلافة من أهلها فأنّ حكمه بغير ما أنزل الله، وبنص القرآن أنّ من لم يكم بما أنزل الله فهو من الكافرين قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة:٤٤). فإنّ غصب الخلافة، مصاديق الحكم بغير ما أنزل الله؛ لأنّ غصب الخلافة تجاوز على القانون الإلهي، بل ويكون من أخطر أنواع التجاوز على القانون الإلهي، حيث بذلك تنحرف الأمّة عن الدين بسبب الأحكام الباطلة وتحريف المسائل الدينية، والبدع التي أحدثها الغاصبين للخلافة وأهل الضلال. وأيضاً بسبب جهلهم بالمعارف

🡠

لجهلهم ولتعمّدهم المخالفة لها[(١)]،

➔

الدينيّة والشريعة السماويّة. فالآية تحذّر عن التجاوز على القانون الإلهي لئلاّ تقع الناس في الضلال بسبب الأحكام والإفتاء بغير ما أنزل الله. والباحث لو درس حياة الخلفاء الثلاثة لوجدها مليئة بجميع أنواع المخالفة والتجاوز عن القانون الإلهي من غصب الخلافة وإحداث البدع في الدين والظلم على الآخرين و...، وقد مثلت كتب أهل السنّة بذكرها وذكر سياستهم الخاطئة وتحريفاتهم للأحكام الشرعيّة ومخالفاتهم للمسائل الدينية وتضليلهم الناس و... وسنذكر مصاديقها في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) وتوضيح المقام أنّ خلفاء الجور كانوا فاقدين لشرائط الإمامة والخلافة من الجهات العديدة، ومن تلك الجهات فقدانهم للعلم بالأحكام الشرعية، والمسائل الدينية والإجتماعية وغير ذلك. فإنّ النصوص والروايات الواردة في كتب القوم تدلّ على جهل خلفائهم بأبسط المسائل الدينة والأحكام الشرعية فضلاً عن المسائل العويصة التي لا يعرفها إلاّ الراسخون في العلم. وقد ذكر العلامة الأميني قدس سره جملة من الروايات التي رواها كبار علماء أهل السنة في كتبهم، الدالّة على جهل الخلفاء الثلاثة بالأحكام الشرعية والمسائل الدينية (راجع كتاب الغدير للعلاّمة الأميني قدس سره ج٦: ص٨٣-٣٣٣ ، وج٧: ص١٠٣-١٩٩، وج٩: ص٦٣-٣٩٧). ويكفي في المقام اعتراف الخلفاء نفسهم بجهلهم وأفضلية جميع الناس منهم. فهذا أبو بكر قد اعترف على المنبر في خطبة خطبها بعد أحداث السقيفة وغصب الخلافة قائلاً: وليتكم ولست بخيركم. رواها ابن هشام في سيرته ج٤: ص٢٤٠، وابن قتيبة في عيون الأخبار ج٢: ص٢٣٤، وفي الإمامة والسياسة ج١: ص٢١، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١: ص١٦٩، وغيرهم. وهو اعتراف منه بعدم

⬅

➔

لياقته للخلافة والإمامة. ولا يخفى على الخبير ما يلزمه من هذا كلام، إذ لو كان صادقاً في قوله هذا فلا يجوز له التقدّم على غيره؛ لأنّه اعترف بعدم لياقته للتقدم على الآخرين، واعتراف العقلاء على أنفسهم نافذ، فكيف تقدّم على من هو أفضل منه؟!! فتقدّمه على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أعظم مصاديق الظلم في العالم.

وإن كان كذباً في قوله، فأيضاً لا يليق بمقام الخلافة ضرورة اشتراط العدالة في الامام والخليفة على مباني القوم، لأنّ الكاذب فاسق، والفاسق لا يليق بمقام الخلافة، لأنّ من شرائط الخلافة العدالة كما صرح بذلك كبار علماء أهل السنة. فعلى كلا الحالتين لا يليق بمقام الخلافة. فكيف تقدّم على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟!!

وأيضاً اعترافه: بأنّ له شيطاناً يعتريه، فقال في حديث معروف: إنّ لي شيطاناً يعتريني فإذا رأيتم ذلك فلا تقربوني (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣: ص ٢١٢، وكنز العمّال ج٥: ص٥٩٠). أو قال في ملأ من المهاجرين والأنصار: فإيّاكم وإيّاي إذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني... (انظر نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٢٠). ويتّضح لازم كلامه وشأنه بملاحظة قوله تعالى: **﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾** (سورة الزخرف:٣٦). فإن الغفلة عن ذكر الله والغرق في الأمور الدنيويّة والانبهار بزخارفها ومغريّاتها يؤدّي إلى تسلّط شيطان على الإنسان فهويكون قريناً له دائماً، ويلقي لجامه حول رقبته ويشدّه به ويجرّه إليه ليذهب به حيث يشاء. وذلك نتيجة الانغماس في ملاذ الدنيا والتلوّث بأنواع المعاصي، فيكون حجاباً على القلب والسمع والبصر ويبعّده عن الله سبحانه ويسلّط الشياطين عليه. وقد يستمرّ هذا الحال بالنسبة إليه حتّى يغلق بوجهه باب الرجوع

➔

➔

إلى الله. فيبقى هو والشياطين وأفكارهم التي تحيط به من كلّ جانب، وهذا معنى أنّ الشيطان يعتريه. وقد عبّر عنه القرآن الكريم في آيات أخرى بعنوان تزيين الشياطين لهم أعمالهم كما قال تعالى: ﴿**تَاللَّه لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (سورة النحل:٦٣)، أو بعنوان ولاية الشيطان عليهم كما قال تعالى: ﴿**فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ**﴾. وممّا يستحقّ الانتباه أنّ جملة نقيض... تدلّ على استيلاء الشياطين كما تدلّ على كونهم أقراناً له. وفي الوقت نفسه فقد جاءت جملة: فهو له قرين بعدها لتؤكّد هذا المعنى، وهو أن الشياطين لا يفارقون مثل هؤلاء الأفراد، ولا يبتعدون عنهم مطلقاً!

وأيضاً بملاحظة قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ (سورة مريم:٨٢). تبيّن الآية عاقبة المشؤومة للكافرين، وتثبت هذه الحقيقة وهي أنّ طريقة الشيطان التي اتّخذوها للغلبة على المؤمنين لم تكن سبب عزّتهم بل أصبحت سبب ذلّتهم وشقائهم، فتقول أوّلاً: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾. فالأز في الأصل - كما يقول الراغب في المفردات - يعني غليان القدر، وتقلّب محتواه عند شدّة غليانه، وهو هنا كناية عن مدى تسلّط الشياطين على هؤلاء، بحيث أنهم يوجّهونهم بالصورة التي يريدونها وفي المسير الذي يشاؤون، ويقلّبونهم كيف يشتهون!

وأيضاً بملاحظة قوله تعالى: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾ (سورة الشعراء: ٢٢١-٢٢٢). فإنّ هذه الآية تبيّن أنّ ما تلقيه الشياطين له علائم واضحة، ويمكن معرفته بعلائمه أيضاً. فالشيطان موجود مؤذ ومخرّب، وما يلقيه يجري في مسير الفساد والتخريب، وأتباعه هم الكذّابون المجرمون، بإلقاء الشياطين، والمراد من (الأفّاك الأثيم) هو المرتبط بالشياطين، فتارة يقوم الشياطين

🡐

➔

باستراق السمع لأحاديث الملائكة، ثمّ بعد مزجه بأباطيل كثيرة ينقلونه إلى الكهنة، وهم بدورهم يضيفون عليه عشرات الأكاذيب وينقلونها إلى الناس، أمّا بعد نزول الوحي خاصّة، ومنع الشياطين من الصعود إلى السماء واستراق السمع كان ما يلقيه الشياطين إلى الكهنة حفنة من الأكاذيب والأراجيف بما تلقيه الشياطين بحفنة من الكهنة الأفّاكين الكاذبين؛ وبذلك يعرف معنى مايعتريه من الشيطان.

وأيضاً بملاحظة قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا**﴾ (سورة النساء:٢٨). تقول الآية إنّ هؤلاء اختاروا الشيطان رفيقاً وقريناً لهم: من يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً؛ إنّه لن يكون له مصير أفضل من مصير الشيطان، لأنّ منطقهم هو منطق الشيطان وسلوكهم سلوكه سواء بسواء، وإلى غير ذلك من الآيات التي فيها أوصاف الشيطان. وهناك اعترافات كثيرة من الخليفة الأوّل لم نذكرها رعايةً للاختصار. كما أنّ الخليفة الثاني اعترف بأفضلية جميع الناس منه، وذلك كقوله: كلّ الناس أفقه من عمر (انظر مجمع الزائد للهيثمي ج٤: ص٢٨٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٨٢). ومعنى ذلك أنّ جميع الناس أفضل منه بجميع طبقاته، بما فيهم من أجهل الناس. ولو أردنا أن نذكر جميع الطبقات لطال بنا المقام. وهناك روايات كثيرة من رجوع الناس إلى الخلفاء الثلاثة فلم يقدروا على الجواب فإمّا سألوا أئمة أهل البيت عليهم السلام وإمّا اعترفوا بعدم علمهم وهي كثيرة سنذكرها إن شاء الله في محلّه. ولا شكّ أنّ الخبير يعلم أنّ التقدّم يستدعي الأفضليّة، فتقديم المفضول على الفاضل، أو تقديم الجاهل على العالم قبيح عقلاً وشرعاً كما تقدمت الإشارة إلى ذلك. وعليه فإنّ تقدم خلفاء الجور على الصحابة فضلاً عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كان مخالفاً للعقل والشرع لدى جميع علماء أهل السنّة. أمّا تقدمهم على مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

🡐

وقد مضى بيان هذه الجهات بأجمعها بالسنن الصحيحة والنقول الثابتة من طرق من تسمّى بأهل السنّة(١).

➔

طالبعليه السلام الذي كان بنصّ القرآن الكريم نفس رسول اللهصلى الله عليه وآله كما هو صريح الآية المباهلة فإنّه أمر ثابت بلا ريب فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ مصادر أهل السنّة فيها استعراض لمخالفة الخلفاء الثلاثة للقرآن الكريم والسنّة النبويّة وتلاعبهم بالدين والأحكام الشرعية. وهناك وثائق تاريخية وروايات صحيحة تدلّ على ذلك، وقد رواها كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم. وقد تقدّم ذكر جملة منها وتبيّن أنّهم نسبوا إلى الإسلام أحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان، وتوسّعوا في أجراء البدع في الدين، وسعوا في إحياء المنكرات وإماتة المعروف ونشر الأباطيل للوصول إلى مقاصدهم ولإرجاع الناس إلى الجاهليّة الأولى وانحرافهم عن خط الرسالة السماويّة. فمن بدعهم التي أحدثوها في الدين وهو كحجر الأساس لإجراء لقية المنكرات هو منعهم تدوين سنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله، وبذلك نبذوا سنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله وراء ظهورهم، فكانت عندهم نسياً منسياً، حتّى أنّ أبا بكر أحرق أحاديث رسول اللهصلى الله عليه وآله التي جمعت عنده لئلاّ تنتشر سنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقد روى الذهبي عن ابن أبي مليكة: أنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول اللهصلى الله عليه وآله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه (تذكرة الحفّاظ ج١: ص٢). وبذلك جمد الحديث واقتصر بالحفظ في صدور بعض الصحابة وصاروا يتناقلونه شفاهاً، فأصاب هذه المدرسة ركوداً وجموداً عدا مدرسة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والعترة

🡐

➔

الطاهرةعليها السلام، حيث أنّ الحديث كان مدوّناً عندهم ومحفوظاً في بيتهم بيت الوحي والرسالة وأغصان شجرة النبوّة كما سمعوه من رسول اللهصلى الله عليه وآله، وكان أتباعهم وحواريّوهم يدوّنون الحديث على رغم الحظر الصادر من السلطة الحاكمة والتشديد عليهم.

قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلّب كثيراً، فلمّا أصبح قال: أي بنيّة، هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار فحرقها! فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدّثني فأكون قد نقلت ذاك! (تذكرة الحفّاظ ج١: ص٥). وعلى أثر هذه البدعة والمخالفة للدين التزم الحكّام التابعة لسلطة السقيفة بمنع تدوين الحديث وروايته لا سيّما في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب الّذي منع تدوين الحديث بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوّعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث وكتابته، وقال: حسبنا كتاب الله! (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٩: كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عنّي). فأبعد الناس من نقل الحديث في الرعيل الأوّل من الصحابة، وقرّب إليهم حملة الأفكار الهدّامة وأعداء الإسلام أمثال كعب الأحبار وعبد الله ابن سلام وعبد الله بن أُبيّ وغيرهم وأطلق لهم عنان ليحدثوا الناس بالإسرائيليّات الضالّة فبثّها بين المسلمين وكان كثيراً ما يسمع الحديث من أهل الكتاب ولا سيما كعب الأحبار، فيسنده إلى النبيصلى الله عليه وآله أو إلى أحد كبار الصحابة تدليساً وتمويهاً على العامة، فقد روى ابن كثير في البداية والنهاية نقلاً عن مسلم بن الحجّاج في صحيحه بسنده عن بسر بن سعيد، قال: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أباهريرة فيحدّث عن رسول اللهصلى الله عليه وآله ويحدّث عن كعب الأحبار، ثمّ

🡐

➔

يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول اللهﷺ عن كعب، وحديث كعب عن رسول اللهﷺ، وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول اللهﷺ، وما قاله رسول اللهﷺ عن كعب، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث، وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلّس – أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول اللهﷺ ولا يميز هذا من هذا – ذكره ابن عساكر (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٨: ص١١٧). حتّى أنّ عمر ابن الخطّاب قال لقرظة بن كعب: جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول اللهﷺ (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٠٢). فقد جُمّد الحديث واقتصر بالحفظ في صدور بعض الصحابة وصاروا يتناقلونه شفاهاً في الاختفاء، وأنّ عمر ابن الخطّاب كتب إلى الآفاق: أنّ من كتب حديثاً فليمحه (انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي: ص٥٣). ثمّ نهى عن التحدّث فتركت عدّة من الصحابة الحديث عن رسول اللهﷺ (راجع المستدرك للحاكم النيسابوري ج١: ص١٠٢). وبقى هذا الجمود سارياً قرناً كاملاً بين الصحابة والتابعين بسبب الحظر الذي فرضه الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب إلاّ في صدور بعض الصحابة الذين حفظوا الأحاديث التي سمعوها والأحكام التي وعوها من الرسول الأعظمﷺ. والتزم الحكّام من بعد عمر هذه السنّة السيّئة منه وسياسته في منع تدوين الحديث وروايته، وقد أعلن عثمان ومعاوية عن اتّباعهما لعمر في منع الحديث النبوي إلاّ حديثاً كان على عهد عمر (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٩). وظلّت سياسة عمر بمنع الحديث سارية المفعول حتّى بلغ الأمر إلى أن الحجّاج الثقفي – سفّاك العراق – قام بالاعتداء على كبار صحابة الرسولﷺ فختم على أيديهم وأعناقهم حذراً من أن يحدّثوا الناس أو يسمع الناس حديثهم (انظر أسد الغابة لابن الأثير

🡐

➔

ج٢: ص٤٧٢ في ترجمة سهل الساعدي). فلم يكن القيام بأمر رواية الحديث في مثل هذه الفترة بالذات، وفي مثل هذه الأجواء أمراً سهلاً ولا هيناً.

وأمّا أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإنّهم بمتابعتهم لأئمة أهل البيت عليهم السلام وأخذهم سنّة رسول الله منهم عليهم السلام قد أحيوا تدوين سنن رسول الله صلى الله عليه وآله بما أخذوه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. وخرجوا عن تلك السياسة المخرّبة، فكانوا إلى جانب كتابتهم للحديث وإيداعه المؤلّفات يبادرون بحزم إلى رواية الحديث ونشره وبثّه على طول تلك الفترة عملاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، من كتابة الحديث وتدوين سنّته. ثمّ أنّه يعرف من المقارنة بين حديث القرطاس وحديث الثقلين، أنّ النقطة المشتركة بينهما هي عدم ضلالة الأمّة ففي حديث القرطاس الذي رواه البخاري بسنده عن ابن عبّاس أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال : «ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده» (انظر البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم). وفي حديث الثقلين أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤). معنى ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يكتب وصيته بالثقلين، الذي يضمن عدم ضلالة الأمّة إلى يوم القيامة. ولكن بدعة خلفاء الجور في منع تدوين الحديث، كانت هدفاً أساسياً من خلفاء الجور لضلالة الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وعدم انتشار الأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله الدالّة على إمامة أهل البيت عليهم السلام. فهذه القضية من الأمور المسلّمة في التاريخ الإسلامي، وبذلك خالفوا قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الحشر:٧). كما شملهم قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الأنفال:١٣). وهذه الآية الكريمة طرحت مسألة العداء لله

🡐

سادسها: ما زعمه من كون المبايعين تحت الشجرة هم أعيان المبايعين أبا بكر فإنّه تدليس منه[1]،

➔

ورسوله ﷺ، ومعنى قوله "شاقوا الله ورسوله": فارقوا أمر الله ورسوله ﷺ وعصوهما وأطاعوا أمر الشيطان. ومعنى قوله "ومن يشاقق الله ورسوله ﷺ": أي من يخالف أمر الله وأمر رسوله ﷺ وفارق طاعتهما، فإنّ الله شديد العقاب، وشدّة عقابه لهم في الدنيا: إحلاله به ما كان يحلّ بأعدائه من النقم، وفي الآخرة الخلود في نار جهنّم، وذلك كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (سورة الأنفال:١٤).

(١) وتوضيح المقام أنّ بطلان ما زعمه ابن تيميّة هنا يعرف من خلال تبيين الحقائق التالية، وهي أوّلاً: أن نعرف حقيقة البيعة الشرعية في الإسلام؟ وثانياً: أن نعرف هل أنّ من بايع أبا بكر كانت بيعته شرعيّة أم لا؟ وثالثاً: أن نعرف هل أنّ من بايع رسول الله ﷺ في بيعة الرضوان كان على سلامة من دينه إلى آخر لحظة حياته سواء بنكث بيعته وارتدّ على عقبه أم لم ينكث بيعته؟ فالإجابة عن هذه الأسئلة تبيّن بطلان ما زعمه ابن تيمية بصورة واضحة وشفافة. وإليك توضيح هذه الحقائق باختصار:

أمّا حقيقة البيعة في الإسلام فإنّها عقدٌ عقلائيٌ من العقود التي لها شرائطها الخاصّة، وهي كانت من تقاليد العرب قبل الإسلام وسننهم، وليست من مبتكرات الإسلام بل قد أمضاها الإسلام مع الشرائط المعتبرة لها كما أمضى الإسلام بعض العقود العقلائيّة كعقد البيع ولم يمضي عقد الربا، قال الله تعالى: ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (سورة البقرة:٢٧٥). فعقد البيعة كانت من العقود العقلائيّة قبل الإسلام، وكانت السيرة العقلاء وبنائهم جارية عليها، وأنّ الناس إذا رضوا بحاكم معيّن كانوا

➔

➔
يبايعونه على الطاعة والإخلاص له، فالإسلام أمضى هذا العقد مع الشرائط الخاصّة. وأكّد على أنّ البيعة مع تحقّق شرائطها المعتبرة شرعاً ومقرّراتها الشرعيّة تكون عهداً وميثاقاً ملزماً شرعياً يجب الوفاء بها. وعلى ساحة العمل أنّ الصحابة بايعوا النبيﷺ ثلاث مرّات، منها بيعة الرضوان، وقد نزل الله تعالى في شأنها: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ (سورة الفتح:١٨)، والمستفاد من الآية الكريمة أنّ البيعة ليست إلاً عهداً وميثاقاً على شيء ثابت شرعاً، حيث قال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾. فالإيمان الحقيقي الذي يتطلب وجوب الطاعة من المؤمنين هو موضوع لهذه البيعة المقبولة شرعاً، فالآية تؤكد على أنّ البيعة إنّما تكون من المؤمنين الصادقين في إيمانهم بالله ورسولهﷺ، ومن الواضح أنّ مقتضى الإيمان بالله والرسولﷺ واقعاً وجوب الطاعة المطلقة، فالبيعة ليست هي إلاّ عهداً وميثاقاً وتأكيداً على تلك الطاعة الثابتة شرعاً؛ كما أنّ بيعة الغدير كانت كذلك، فإنّ النبيﷺ بعد ما نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً وعلماً على الخلق طلب من الصحابة أن يبايعوا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على الطاعة. فالبيعة هناك كانت عقداً وعهداً على أمر ثابت شرعاً. وبعبارة أخرى: أنّ بيعة إنّما تقع في الإسلام على أمر ثابت في الدين في المرتبة السابقة على البيعة، لا أنّ بها تتحقّق الأمر الديني كالإمامة. فإنّ الإمامة ووجوب طاعة الإمام لا بدّ أن تكون شرعيتها ثابتة قبل البيعة، والبيعة تكون مؤكّدة لها. نعم الوفاء بها واجب كما أنّ الوفاء بجميع العقود واجب وذلك بمقتضى العهد الشرعي، ولكنّها ليست مشرّعة بنفسها. ولذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ**
➔

➔
عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الفتح:١٠)، فالوفاء بالبيعة واجب شرعاً. ولكن مشروعية الإمامة، ووجوب الطاعة لا بدّ أن تكون محقّقة قبل البيعة، حيث أنّ الطاعة تجب بمقتضى الإيمان بالله ورسولهﷺ والإمام الذي هو خليفة رسول الله شرعاً.

أمّا بيعة أبي بكر فإنّها لم تكن شرعيّة أصلاً، لأنّ البيعة الشرعية هي البيعة التي قام الدليل اعتبار مشروعيتها. وبيعة أبي بكر لم يقم دليل على اعتبارها شرعاً، لأنّها لم تكن مسبوقة بمشروعية الإمامة، حيث اتّفق جميع علماء الإسلام من أهل السنّة والشيعة على عدم وجود دليل على إمامة أبي بكر وخلافته شرعاً، إذ لو كان هناك دليل على إمامته من ناحية الشرع الأقدس لاستدلّ به من حضر في السقيفة، في تلك الأجواء الفوضى التي تمّت البيعة له. على حدّ توصيف عمر بن الخطاب أنّها كانت فلتة وقاها الله شرّها (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت). وحيث لم تكن بيعته يوم السقيفة على أمر ثابت شرعاً لا أثر لها في الإسلامﷺ، لأنّها لم تقع على أمر مشروع. وبعبارة أخرى أنّ البيعة المشروعة هي البيعة الّتي تكون على أمر مشروع في المرتبة السابقة عليها. حيث لم تكن خلافته مشروعة من قبل الله تعالى ولا من قبل رسولهﷺ. وحتّى لم تكن مشروعة من قبل الناس على مبنى أهل السنّة، لأنّ أهل السنّة يعتقدون بإمامة من قام الإجماع على إمامة، وكيف يمكنهم دعوى ذلك مع وجوج الروايات الصحيحة الدالّة على أنّ بيعة أبي بكر كانت في أجواء الفوضى كما وصفه عمر بن الخطّاب بأنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، ومقتضى ذلك أنّها تحقّقت في أجواء عدم رغبة الناس ببيعته، فبيعة أبي بكر كانت غير مشروعة على جميع المباني. وعليه فمن بايعه من الصحابة إنّما بايعه ببيعة غير مشروع. ومن
🡐

➔

الواضح أنّ تحقّق هذه البيعة التي كانت غير مشروعة من الصحابة من معناه نقض تلك البيعة التي بايعوا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على الطاعة والتسلّم له صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حيث أنّهم خرجوا ببيعة السقيفة عن بيعة رسول الله وطاعته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيشملهم قوله تعالى: ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ**﴾. وقد ورد في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّ في النار لمدينة يقال لها الحصينة، أفلا تسألوني ما فيها؟!» فقيل له: ما فيها يا أمير المؤمنين؟! قال: «فيها أيدي الناكثين» (كتاب الخصال للشيخ الصدوق:٢٩٦). ومن هنا يتّضح بجلاء نقض بيعة الصحابة من وجهة نظر الإسلام!! وفي هذا المجال بحوث أخرى سنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى. وملخّص الكلام أنّ بيعة أبي بكر كانت نقضاً لبيعة الرضوان.

وأمّا النقطة الثالثة: وهي لا بدّ لابن تيمية ومن تبعه من إقامة الدليل على أنّ من بايع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تكون بيعته موجبة لسلامة دينه إلى آخر لحظة حياته. فقد اتّضح ممّا تقدّم بطلان هذا الزعم، لأنّ السلامة في الدين يعرف من الالتزام بالدين حقيقةً. وأمّا مع ثبوت المخالفة من الصحابة لأوامر الله ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يخرجون عن إطار المؤمنين ويدخلون في تحت عنوان المنقلبين على الأعقاب والمرتدّين بحسب دلالة الآية الكريمة وحديث الحوض وغير ذلك من الأدلّة. فالصحابة الذين بايعوا أبا بكر فقد خرجوا عن طاعة الله ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لأنّ ببيعتهم كانت غير مشروعة في المرتبة السابقة عليها، فارتكابهم هذا المنكر نقض لبيعتهم مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ومن نقض بيعته في الإسلام فلا يكون من المؤمنين حقّاً، ومن لم يكن من المؤمنين فهو خارج عن إطار سلامة الإيمان، وعليه فلا تكون بيعته موجبة للرضوان، والله تبارك وتعالى قال: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾. وعليه فإنّ ما زعمه ابن تيمية من كون المبايعين تحت الشجرة هم

🡐

لأنّ مجرّد بيعة الناس ليس فيها دليل على الحقّ ما لم تصدر بيعتهم عن ميل ورضا مطابقين لما وردت به الشريعة[1]،

➔

أعيان المبايعين أبا بكر فإنّه تدليس منه وافتراء على الله ورسوله ﷺ فلاحظ .

(١) وبعبارة أوضح أنّ البيعة الشرعيّة إنّما تنعقد إذا كانت شرائطها متوفّرة شرعاً. ومع عدم توفّر الشرائط المقرّرة في الشريعة المقدّسة لها لا أثر لصورة البيعة في الخارج، كما أنّ الصلاة لو لم يأت بها المكلّف مع شرائطها الشرعية كالطهارة والاستقبال والستر وغير ذلك من الشرائط المعتبرة فيها لا أثر لها شرعاً. ومن شرائط البيعة الشرعية هي الأمور التالية:

الأوّل: أن تكون البيعة على أمر ثابت مشروعيتها من قبل الشارع الأقدس، فلا أثر لصورة البيعة الخارجية شرعاً لعدم مشروعيتها في الإسلام. فعدم تتحقّق الشرائط الشرعية في البيعة، دليل على عدم اعتبارها شرعاً. وعلى هذا الأساس لمّا ثبت أنّ بيعة أبي بكر لم تكن متوفّرة للشرائط الشرعية فلا أثر لصورة البيعة الخارجية له، حتّى عند أهل السنّة؛ لأنّه أوّلاً أنّ أبا بكر لم يكن خليفةً شرعاً لا بالنصّ ولا بالإجماع كما هو المتّفق بين جميع المسلمين. أمّا عدم النصّ على خلافته فواضح، وأمّا عدم قيام الإجماع على خلافته لقول عمر: كانت بيعة أبي بكر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقاها الله شرّها (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت). وعليه فإنّ بيعته كانت غير مشروعة.

الثاني: يشترط في البيعة أن يكون المبايع ممّن تصحّ منه البيعة فلا تنعقد بيعة المكره، لأنّ البيعة عهد شرعي كسائر العهود والعقود الشرعية مثل البيع وغيره، فكما أنّ البيع لا يصح إلاّ عن اختيار كذلك البيعة لا تنعقد بالجبر ولا تحت ظلّ السيف.

➔

ومضافاً إلى ما عرفته من مخالفة هذه البيعة للشريعة قد تخلّف عنها عمدة أعيان الصحابة مثل سيّدهم عليّ عليه السلام وبني هاشم وسلمان وأبي ذر وعمّار وغيرهم[1].

➔

الثالث: يجب الالتزام ببيعة من كان الإمام متّصفاً بشرائط الخلافة كالعلم والشجاعة وغير ذلك من الشرائط المعتبرة شرعاً في الإمام. وعليه إذا كانت البيعة مع من لم يتوفّر فيه شرائط الإمامة لا أثر لها شرعاً، بل تترتّب عليها آثار الحرمة التي تنشأ من تلك البيعة، لأنّ غصب الخلافة جريمة لا توجد جريمة فوقها في الإسلام، فالبيعة على هذه الجريمة تقتضي ترتيب آثار تلك الجريمة عليها. كما أنّه لو كان غاصب للخلافة متجاهراً بالفسق فتكون البيعة معه التزام بقبول ما رتكبه من الفسق. وحيث أنّ أبا بكر اعترف نفسه بالهجوم على بيت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، كما أخرج ذلك كبار علماء أهل السنّة كالطبري وغيره بأسناد صحيحة من أنّه قال في نهاية عمره: إنّي لا آسى على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنّ ووددت أنّي تركتهنّ... فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عليها السلام عن شيء وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٦١٩، ومروج الذهب للمسعودي ج١: ص٤١٤، والعقد الفريد لابن عبد ربّه ج٣: ص٥٦٩، وتاريخ الذهبي ج١: ص٣٨٨، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص١٨، وكنز العمّال للمتّقي الهندي ج٣: ص١٢٥ وغيرها من المصادر). وعليه فمن بايعه مع اعترافه به هذه الجريمة النكراء معناه أنّه أقر بخلافة من كان موصوفاً بالفسق. وإلى غير ذلك من عدم توفّر الشرائط الشرعيّة فيه و في بيعته كما سنذكرها مفصلاً في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى على الخبير اعتراف جميع علماء أهل السنّة من الصدر الأوّل إلى يومنا هذا بأنّ كثيراً من كبار الصحابة تخلّفوا عن بيعة أبي بكر ولم يشاركوا في اجتماع

➔

➔

السقيفة بل بقوا بجنب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واجتمعوا في بيته عليه السلام اعتراضاً على غصب الخلافة من أبي بكر وأتباعه في السقيفة. وبهذا التخلّف من كبار الصحابة قد حصل عدم تحقّق الإجماع الذي يشترطه أهل السنّة في الإمامة. وبذلك ثبت أنّ من حضر في السقيفة، قد شكّل جبهة عدوانيّة داخليّة ضدّ أهداف النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. وكانت سياسة جائرة ضدّ حاكميّة الإسلام.

ولا يخفى أنّ المتخلّفين عن بيعة أبي بكر لم يكونوا من الأشخاص العاديين من الصحابة، بل كانوا من عظماء الصحابة ومن كبار المهاجرين والأنصار كسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد وعمّار وحذيفة وخزيمة بن ثابت وأبو بريدة الأسلمي وسهل بن حنيف وقيس بن سعد وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبدالله وغيرهم. قال الزبير بن بكار في الموفقيّات: كان فروة بن عمر ممّن تخلّف عن بيعة أبي بكر وكان ممّن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقاد فرسين في سبيل الله وكان يتصدّق من نخله بألف وسق في كلّ عام وكان سيّداً وهو من أصحاب علي وممّن شهد معه يوم الجمل، وذكر الزبير بن بكار بعد ذلك عتاب فروة لبعض الأنصار الذين ساعدوا أبا بكر في بيعته (الموفقيات: ص٥٩٠). وجاء في أسد الغابة: شهد العقبة وبدراً وما بعدهما (أسد الغابة لابن الأثير ج٤: ص١٧٨). وممّن تخلّف أيضاً خالد بن سعيد الأموي، وهو ممّن أسلم قديماً فكان ثالثاً أو رابعاً وقيل: خامس من أسلم، وقال ابن قتيبة في المعارف: أسلم قبل إسلام أبي بكر (انظر المعارف لابن قتيبة: ص١٢٨). وقال ابن عبد ربّه عند ذكر الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر ما هذا لفظه: فأمّا علي والعبّاس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم النار، فلقيته فاطمة فقالت: يا بن الخطّاب جئت لتحرق

➔

➔

دارنا؟ قال: نعم (العقد الفريد ج٥: ص١٣). وقال اليعقوبي في الأحداث التي جرت بعدما بويع لأبي بكر: وجاء البراء بن عازب، فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر، فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدّثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمّد، فقال العبّاس: فعلوها وربّ الكعبة وكان المهاجرون والأنصار لا يشكّون في عليّ، فلمّا خرجوا من الدار قام الفضل بن العبّاس – وكان لسان قريش – فقال: يا معشر قريش! إنّه ما حقّت لكم الخلافة بالتمويه ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم. وقام عتبة بن أبي لهب فقال: ما كنت أحسب أن الأمر منصرف * عن هاشم ثمّ منها عن أبي الحسن. عن أوّل الناس إيماناً وسابقة * وأعلم الناس بالقرآن والسنن. وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومن* جبريل عون له في الغسل والكفن. من فيه ما فيهم لا يمترون به * وليس في القوم ما فيه من الحسن. وتخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي ابن أبي طالب، منهم: العبّاس بن عبد المطّلب، والفضل بن العبّاس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد ابن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفّاري، وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب. فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطّاب وأبي عبيدة بن الجرّاح والمغيرة بن شعبة فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقى العبّاس بن عبد المطّلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب حجّة لكم على علي إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح والمغيرة حتّى دخلوا على العبّاس ليلاً، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه إلى أن قال: فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً، فولّيت ذلك... ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك إذ كنت عمّ رسول الله... وقال عمر بن الخطّاب: إي والله

🡐

وفي البخاري عن عمر تخلّف عليّ والزبير ومن معهما عن ذلك[(١)].

←

وأخرى، إنّا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كرهاً أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم. فكان من كلامه له: فإن كنت برسول الله فحقّاً أخذت، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، فما تقدّمنا في أمرك، ولا حللنا وسطاً، ولا برحنا سخطاً، وإن كان هذا الأمر إنّما وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين، إلى أن قال: فأمّا ما قلت إنّك تجعله لي، فإن كان حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، وعلى رسلك، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، فخرجوا من عنده (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٤). وقال عمر رضا كحالة: وتفقّد أبو بكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي بن أبي طالب كالعبّاس والزبير وسعد ابن عبادة فقعدوا في بيت فاطمة. فبعث أبو بكر عمر بن الخطّاب فجاءهم عمر فناداهم وهم في دار فاطمة، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفسي بيده لتخرجُنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، قال: وإن (أعلام النساء ج٤: ص١١٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم التي سنذكر تفصيلها في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس قال: إنّ عمر قال في أوّل جمعة قدمها من حجّته الأخيرة: إنّه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: والله لو قد مات عمر بايعت فلاناً...إنّه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيّه صلى الله عليه وآله أنّ الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنّا علي والزبير ومن معهما... (انظرصحيح البخاري ج٨: ص٢٥-٢٦ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت).

وقال الطبري في تاريخه: أتى عمر بن الخطّاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، وخيّرهم بين حرقهم بالنار وبين البيعة[١].

وفي أسد الغابة ذكر تخلّف عليّ وبني هاشم وخالد بن سعيد بن العاص وسعد بن عبادة عن ذلك، ثمّ بايعوه جميعاً بعد موت فاطمة سوى سعد[٢].

---

(١) لقد أخرج الطبري في تاريخه بسنده عن ابن عبّاس قال: كنت أقرئ عبد الرحمن ابن عوف القرآن، قال: فحجّ عمر وحججنا معه قال فإني لفي منزل بمنى إذ جاءني عبد الرحمن بن عوف فقال: شهدت... فقال عمر: بلغني أن قائلاً منكم يقول: لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً فلا يغرّنّ امرأ أن يقول "إنّ بيعة أبى بكر كانت فلتة" فقد كانت كذلك غير أنّ الله وقى شرّها وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنّه كان من خبرنا حين توفّى الله نبيّهﷺ أن عليّاً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة وتخلّفت عنّا الأنصار بأسرها واجتمع المهاجرون (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٥).

(٢) لقد أخرج ابن الأثير في أسد الغابة بسنده عن محمّد بن الوليد الزبيدي عن الزهري أنّ عبد الله بن سعيد بن العاص أخبره أنّه سمع أبا هريرة: أن رسول اللهﷺ بعث أبان بن سعيد بن العاص على سرية من المدينة قبل نجد فقدم أبان وأصحابه على رسول اللهﷺ بخيبر بعد أن فتحها، وإنّ حُزْم خيلهم لليف، فقال أبان: أقسم لنا يا رسول الله، قال أبو هريرة: فقلت: لا تقسم لهم يا رسول الله، فقال أبان: وأنت بهذا يا وبر، تحدّر من رأس ضالّ، فقال النبيﷺ: «اجلس يا أبان ولم يقسم لهم رسول اللهﷺ» واستعمله رسول اللهﷺ على البحرين لمّا عزل عنها العلاء ابن الحضرمي فلم يزل عليها إلى أن توفّى رسول اللهﷺ، فرجع إلى المدينة فأراد أبوبكر أن يرده إليها فقال: لا أعمل لأحد بعد رسول اللهﷺ، وقيل بل عمل لأبي

←

وذكر تخلّفهم صاحب الكامل[١]، وصاحب روضة المناظر[٢]،

➔

بكر على بعض اليمن والله أعلم وكان أبوه يكنى أبا أحيحة بولد له اسمه أحيحة قتل يوم الفجّار والعاصي قتل ببدر كافراً قتله علي وعبيدة، قتل ببدر أيضاً كافراً قتله الزبير وأسلم خمسة بنين وصحبوا رسول الله ﷺ ولا عقب لواحد منهم إلاّ العاصي بن سعيد. فإنّ العقب منه حسب ومن ولده سعيد بن العاص بن سعيد ابن العاصي بن أميّة استعمله معاوية على المدينة وسيرد ذكره إن شاء الله تعالى وهو والد عمر والأشدق الذي قتله عبد الملك بن مروان. وكان أبان أحد من تخلّف عن بيعة أبي بكر لينظر ما يصنع بنو هاشم فلمّا بايعوه بايع وقد اختلف في وقت وفاته فقال ابن إسحاق: قتل أبان وعمرو ابنا سعيد يوم اليرموك ولم يتابع عليه... (أسد الغابة ج١: ص٣٧).

(١) لقد أخرج ابن الأثير في الكامل بسنده عن ابن عبّاس: كنت أقرئ عبد الرحمن ابن عوف القرآن، فقال لي عبد الرحمن: شهدتُ... قال عمر: بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: لو مات أمير المؤمنين بايعتُ فلاناً، فلا يغرّنَّ امرءاً أن يقول إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، فقد كانت كذلك ولكن الله وقى شرّها وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنّه كان خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ وإنّ علياً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة وتخلّف عنّا الأنصار واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر... (الكامل في التاريخ ج٢: ص٣٢٦).

(٢) انظر روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة والكتاب في (هامش الكامل لابن الأثير) ج١١: ص١١٢، فهذا الكتاب ومروج الذهب مطبوعان في الهامش من كامل ابن الأثير، أمّا مروج الذهب فمطبوع مع الخمس الأوّل من مجلّدات الكامل، وهذا الكتاب – أعني تاريخ ابن الشحنة – في هامش المجلّد

➔

وصاحب التاريخ المختصر[١]، وصاحب كتاب السياسة[٢]، وغيرهم من العَمَد[٣]. ومن المعلوم كون الباعث لتخلّفهم ماتقدّم نقله من السنن التي دلّت على إمامة عليعليه السلام[٤]،

←

الأخير المشتمل على جزء١١ وجزء١٢، وما نقله المصنفرحمه الله فهو موجود في صفحة١١٢ من الجزء الحادي عشر فراجع.

(١) انظر المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفداء ج١: ص٢١٩.

(٢) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ج١: ص٢٧.

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ج٣: ص١٨٢، ومروج الذهب للمسعودي ج٣: ص٨٦، وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٢٠: ص١٤٢ وغيرهم.

(٤) لا يخفى على الباحث المتتبّع في كتب الروايات والأخبار أنّ من تخلف عن بيعة أبي بكر إنّما كان صوتهم متوجهاً لإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، حيث لأنّهم كانوا يعلمون أنّ إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قد نزلت فيها آيات كثيرة من القرآن الكريم، ونصّ عليها رسول اللهصلى الله عليه وآله بأوضح العبارات في سنتهصلى الله عليه وآله، كما وردت في الروايات المتواترة التي رواها كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم، وهي كثيرة جدّاً سنذكرها إن شاء الله في محلّه. فالصحابة سمعوا النصوص الصريحة من رسول اللهصلى الله عليه وآله في إمامة مولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وعليه فإنّ أبا بكر من الصحابة الذين لم يبايع، وكان يعلم النصوص الواردة إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام، ولذلك لم يرد من المخالفين لبيعة أبي بكر من كان يعتقد بإمامة غير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

→

➔

وثانياً: أنّ حضور الأنصار في السقيفة في بادئ الأمر لم يكن من أجل انتخاب الخليفة، بل كان من أجل تعيين رجلاً منهم ليكون شيخاً وكبيراً للأنصار، لا خليفةً لرسول الله صلى الله عليه وآله. ولكن لمّا حضر أبو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين في السقيفة فتحوا باب النزاع في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله. ولذلك اقترح الأنصار في السقيفة على المهاجرين بأنّه منّا أمير ومنكم أمير كما ورد في الروايات الصحيحة عند أهل السنّة فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أنّها قالت: لمّا مات رسول الله صلى الله عليه وآله واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطّاب وأبو عبيدة ابن الجرّاح... ثمّ تكلّم أبو بكر فقال: في كلامه نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال حباب بن المنذر لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر: لا ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحساباً فبايعوا عمر بن الخطّاب أو أبا عبيدة بن الجرّاح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيّدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله... (لاحظ صحيح البخاري ج٤: ص١٩٢ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). ومن هنا بدأ الصراع بين المهاجرين والأنصار في السقيفة على تعيين الخليفة بينهم، ووصل بهم الأمر التنازع والصراع العشوائي. ثمّ تعمّق التشاجر والصراع بينهم إلى أن غلب الحزب القرشي بعد قتل سعد بن عبادة، وتوسّعت دائرة قدرتهم بالتحاق أوباش قريش إليهم، فقاموا بعملية الإرهاب وضرب وقتل كلّ من لم يقبل أن يبايع أبا بكر فبايعه الناس خوفاً وطمعاً.

وثالثاً: أنّ عدم حضور الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبني هاشم، وخيرة الصحابة كسلمان وأبي ذرّ، وعمّار، والمقداد بن الأسود الكندي، وغيرهم في السقيفة أكبر دليل على عدم اتّفاق الصحابة لانتخاب الخليفة، لأنّ عدم حضورهم

🡐

➔
في السقيفة وعدم مبايعتهم له دليل على انكارهم لخلافة أبي بكر. وكان فيهم أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. وإلى جنبهم كبار الصحابة كسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري وعمّار بن ياسر و أبي حذيفة اليماني وغيرهم من كبار الصحابة الذين اجتمعوا في بيت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام، اعتراضاً على ما فعله الصحابة في السقيفة. كما امتنع البيت الهاشميين برمّتهم تبعاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رافضين خلافة أبي بكر. وإن كان يكفي لبطلان بيعة أبي بكر امتناع مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وحده لقول النبي صلى الله عليه وآله: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧، ومسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص٤١٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٤، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٤: ص٣٢٢، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢: ص٤٤٩ وغيرهم). إذ معنى قوله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحقّ»، أي كل ما فعله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو حقّ، لأنّه مع الحقّ على الإطلاق، ومن تلك الموارد مخالفته لبيعة أبي بكر. فكان من اللازم على الصحابة الأخذ بطريق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورفض بيعة أبي بكر حيث دلّ على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحقّ». وعلى كلّ تقدير فإنّ تخلّف مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن بيعة أبي بكر معناه بطلان بيعة أبي بكر، وكما أنّ تخلّف كبار الصحابة عن بيعته مانع عن انعقاد الإجماع على خلافة أبي بكر بناءً على مبنى أهل السنّة، حيث أنّ الإمامة عندهم بتحقّق الإجماع، وعليه كان يجب على الصحابة الذين بايعوا أبا بكر في السقيفة أن يلتزموا بما التزم به أبوذر وغيره من كبار الصحابة الذين اجتمعوا متحصّنين في بيت الإمام أمير المؤمنين
➔

➔

علي بن أبي طالب عليه السلام. فإنّهم لم يبايعوا أبا بكر ومعناه أنّهم كانوا رفضوا خلافة أبي بكر وكانوا يرون أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هوالخليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

ثمّ إنّ هناك دليل آخر وهو بيعة جميع الصحابة مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خمّ على الولاية وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك عندما أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورفعه إلى القوم وقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فقال أبو بكر وعمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ (سورة المائدة:٣). وقد روى ذلك كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، وأخرجها العلاّمة الأميني رحمه الله في كتابه الغدير بأسناد صحيحة عن جملة من كبار علماء أهل السنّة وقال في عنوانه باب: باب تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الغدير نقلاً عن ستّين مصدراً من علماء أهل السنّة (انظر الغدير ج١: ص٢٧٢-٢٨٣). فإذا بايع جميع الصحابة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خم كان من اللازم عليهم أن لا ينقضوا عهدهم ولا ينكثوا بيعتهم. فإنّ بيعتهم مع أبي بكر في السقيفة معناه نقض بيعة الغدير التي كانت في أعناقهم ألزمتهم الوفاء بها، ومن الواضح أنّ خروج عن هذا الالتزام والميثاق الذي أبرموه يوم الغدير معناه خروجهم عن الإيمان ودخولهم في النفاق كما هو المستفاد من كلام مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال: «اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم

🡐

➔

منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩: ص٣٠٥). وهذا أمر ذو شجون يُرجع إلى مظانّه. فانقلاب الصحابة بعد وفاة النبيﷺ ليس أمراً صعباً على أُمّة انقلبت يوم أُحد وتمنّت الرجوع إلى الشرك طلباً للسلامة، حتّى قال الله تعالى: ﴿**أَفَإِن مَاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أَعقَابِكُم**﴾ (سورة عمران:١٤٤). بمعنى انقلابهم على النبيّﷺ وتركهم نصرته. وكذلك يوم حُنين بما أثبته القرآن كشاهد تاريخي دائم الحياة بقوله تعالى: ﴿**وَيَومَ حُنَينٍ إذ أَعجَبَتكُم كَثرَتُكُم فَلَم تُغنِ عَنكُم شَيئاً وَضَاقَت عَلَيكُمُ الأَرضُ بِمَا رَحُبَت ثُمَّ وَلَّيتُم مُدبِرِينَ**﴾ (سورة التوبة:٢٥). فكان من ضمن الصحابة الذين بايعوا أبا بكر من النبيّﷺ أن تكون لهم ذات أنواط كما أنّ للمشركين ذات أنواط، وذلك خلال رؤيتهم للشجرة التي كان المشركون يضعون أسلحتهم عليها ويعبدونها، وقد كان ذلك خلال مسير المسلمين إلى حرب حُنين. وبعد هذه المخازي منهم ما ظنك بهم؟!!

ورابعاً: أنّ المصادر الإسلامية بما فيها أصحّ كتب أهل السنّة قد روت كيفيّة بيعة أبي بكر في السقيفة، وهي صريحة على أنّ البيعة له تمت أجواء فوضى كما صرّح بذلك عمر بأنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة... (صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت) ومعناه أنّ بيعته كانت بالإرهاب وحسم الأمر بالشدّة والقوّة القهريّة في أجواء مضطربة عشوائية في السقيفة، وفي غياب كبار الصحابة المتورعين كسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد الكندي ممن كانوا بجانب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام المنشغل بتجهيز رسول اللهﷺ وتغسيله وتكفينه ومعه عمّه العبّاس وباقي بني هاشم، وإنهاء الموضوع في ظرف لم يسمح للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

➔

ولو فرض مبايعتهم بعد ذلك فليس تجدى السني نفعاً لصدورها عن غير ميل ورضا[(١)]،

➔

طالبعليه السلام بالحركة الفعليّة والاعتراض الميداني الآني، مع ما فعله الأوباش في السقيفة. فالأدلّة على جميع المباني تقتضي أنّ بيعة أبي بكر كانت غير مشروعة، وأنّ الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر كانت لديهم حجّة شرعيّة من القرآن والسنّة النبوية، فبطلان ما ذكره ابن تيمية أوضح من أن يخفى على أحد فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّه إذا ادعى ابن تيمية أنّ الإجماع لبيعة أبي بكر حصل بعد مجلس السقيفة، أي تحقّق الإجماع لم يكن دفعياً بل كان تدريجياً. فإنّ هذه الدعوى وإن كانت غير صحيحة، حيث لم يتحقق الإجماع أبداً. ولكن مع ذلك لا فائدة له في المقام، لأنّ الحزب الغالب في السقيفة قد أخذ البيعة من الناس بالجبر والإكراه والقتل والهجوم على البيوت و..... التي سنذكرها إن شاء الله تعالى. والحال أنّ البيعة الصحيحة المشروعة في الإسلام هي البيعة التي تكون عن الميل والرغبة، لا بالإكراه والإجبار. وقد ذكرت مصادر أهل السنّة البيعة الصحيحة المشروعة في الإسلام، وفيها التصرح على أن تكون البيعة عن اختيار المبايع وميله ورغبته. ولمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع سنّة الرسولصلى الله عليه وآله في البيعة. والباحث عندما يراجع الأخبار والآثار الواردة في بيعة رسول اللهصلى الله عليه وآله يجد أنّ بيعته كانت مركبة من ثلاثة أركان، الأوّل: المبايع، والثاني: المبايع له، الثالث: المعاهدة على الطاعة للقيام بعمل ما. فتقوم البيعة على ما تفهّم وما طلب من الطاعة والقيام بالعمل. ثمّ تنعقد المعاهدة بضرب يد المبايع على يد المبايع له بالكيفيّة الواردة في السنّة، غير أنّ في صحّتها تعتبر أموراً وشروطاً شرعاً، ولا بدّ من تحقّقها، لتكون البيعة مشروعة. ومن جملة شروطها هي الأمور التالية، وهي: أن يكون المبايع ممّن تصحّ منه البيعة ويبايع

➔

➔
اختياريّاً فلا تنعقد بيعة المكره، لأنّ البيعة مثل البيع فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر وفي ظلّ السيف. أن يكون المبايع له ممّن تصحّ مبايعته، فلا تصحّ البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصحّ البيعة للقيام بمعصية الله، وأن تكون البيعة لأمر يصحّ القيام به شرعاً، فلا تصحّ البيعة على غير ما أمر الله به. إذن فالبيعة في المصطلح الإسلامي لها أحكام خاصّة وشرائط خاصّة، ولا تتحقّق البيعة المشروعة في الاسلام إلاّ بعد تحقّق أحكامها وشرائطها الخاصّة. فمن جملة شرائط البيعة أن تقع بالاختيار والرضا والميل والرغبة فلا تصحّ بيعة المكره شرعاً، كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بايع الصحابة ثلاث مرّات ففي كلّ مرّة كان الصحابة يبايعونه صلى الله عليه وآله بالاختيار والرغبة. فنذكر هنا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في البيعة ليعرف أنّ البيعة الصحيحة في الإسلام ليست هي البيعة الحاصلة بالجبر والقهر والغلبة. فقد ذكر أرباب السنن من أهل السنة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بايع المسلمين ثلاث مرّات، البيعة الأولى: وهي البيعة التي تسمّى ببيعة العبقة الأولى، وكانت في السنة الحادي عشر من البعثة النبويّة، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يعرض الإسلام على القبائل ويدعوهم إليه ويخبرهم بأنّه نبي مرسل من قبل الله ويسوقهم إلى الخيرات، فعرض الإسلام على مجموعة من شباب الخزرج ودعاهم إليه، فأخبروه بأنّ بينهم وبين إخوانهم من الأوس حروباً ونزاعاتٍ لعلّ الله يجمع كلمتهم بهذه الدعوة المباركة، فعاد هؤلاء الرهط إلى المدينة، ودعوا قومهم إلى الإسلام، فبدأ الإسلام ينتشر في بيوت المدينة. وفي العام الثاني عشر من البعثة أتى وفد جديد من المدينة بلغ عدد أفراده اثنا عشر رجلاً، خمسة منهم من الستّة الذين كانوا في العام الماضي، فبايعوا النبيّ صلى الله عليه وآله البيعة المشهورة بأن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا إلى آخر الشروط المذكورة في كُتُب الحديث...
➔

➔
وبعدما انتهت بيعة العقبة الأولى، فأوّل بيعة جرت في الإسلام هي بيعة العقبة الثانية؛ وذلك عندما خرج الوافدون من المدينة وكان عددهم بضع وسبعون بينهم امرأتان للحج، وتوعدوا خلا ل الاتصالات السرية مع النبيﷺ أن يجتمعوا سراً أوسط أيام التشريق ليلاً أخبر عنها عبادة بن الصامت وقال: وافى موسم الحجّ من الأنصار اثنا عشر رجلاً ممّن أسلم منهم في المدينة وقال عبادة: بايعنا رسول اللهﷺ بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنّة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عزّ وجلّ: إن شاء عذب وان شاء غفر، وسمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الثانية (انظر سيرة ابن هشام ج٢: ص٤٠-٤٢). وروى كعب بن مالك وقال: خرجنا من المدينة للحجّ وتواعدنا مع رسول اللهﷺ العقبة أواسط أيّام التشريق، وخرجنا بعد مضي ثلث الليل متسلّلين مستخفّين حتّى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان، فجاء رسول اللهﷺ ومعه عمّه العباس، فتكلّم رسول اللهﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الاسلام، ثم قالﷺ: «أبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون نساءكم وأبناءكم». فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال: نعم والذي بعثك بالحقّ لنمنعنّك ممّا نمنع به أزرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله اهل الحروب... فقال أبو الهيثم بن التيهان: يا رسول الله، إنّ بيننا وبين الرجال حبالاً وإنّا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسّم رسول اللهﷺ ثمّ قال: «بل الدم الدم والهدم الهدم...» أي: ذمّتي ذمّتكم وحرمتي حرمتكم. وقال رسول اللهﷺ: «أخرجوا إليّ منكم
←

➔

اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم»، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي» يعني: المسلمين، قالوا: نعم. واختلفوا فيمن كان اول من ضرب على يده أسعد بن زرارة أم أبو الهيثم بن التيهان (انظر سيرة ابن هشام ج٢: ص٤٧-٥٦).

البيعة الثالثة: هي بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة، وكانت في السنة سابعة من الهجرة، وذلك عندما استنفر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه للعمرة فخرج معه ألف وثلاثمائة، أو ألف وستمائة ومعه سبعون بدنة، وقال: «لست أحمل السلاح، إنّما خرجت معتمّراً»، وأحرموا من ذي الحليفة وساروا حتّى دنوا من الحديبيّة على تسعة أميال من مكّة، فبلغ الخبر أهل مكة فراعهم، واستنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم وقدموا مائتي فارس عليهم خالد بن الوليد أو عكرمة بن أبي جهل، فاستعدّ لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «إنّ الله أمرني بالبيعة»، فأقبل الناس يبايعونه على ألاّ يفرّوا، وقيل بايعهم على الموت، وأرسلت قريش وفدا للمفاوضة فلمّا رأوا ذلك تهيبوا وصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر إمتاع الأسماع للمقريزي: ص٢٧٢-٢٩١). هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وهي البيعة على سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فلا تجد فيها إلاّ الرضا والميل والرغبة. ونختم البحث بذكر بعض روايات الواردة في المقام والتي وردت في البيعة وطاعة الامام، منها ما أخرجه مالك في الموطأ بسنده عن ابن عمر قال: كنّا نبايع رسول الله صلى الله عليه وآله على السمع والطاعة على سنّة الله وسنّة رسوله، ثمّ يقول لنا: فيما استطعت (الموطأ ج٢: ص٩٨٣). وفي حديث آخر فقد أخرج ابن ماجة في سننه بسنده عن ابن عمر أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره إلاّ أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية

➔

بل تهدّد عمر علياًعليه السلام بالقتل على ما في كتاب السياسة وغيره[1]،

➔

فلا سمع ولا طاعة» (سنن ابن ماجة ج ٢ : ص ٩٥٦). وإلى غير ذلك ممّا ورد من السنّة في بيعة رسول الله صلى الله عليه وآله. فكما ترى أنّ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت قائمة على البيعة مع اجتماع جميع الشرائط فيها، ومن جملة تلك الشرائط كانت البيعة عن الاختيار والميل والرغبة.

وأمّا ما فعله خلفاء الجور في البيعة، فإنّه حسب رواياتهم أنّها كانت كانت بالإكراه (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص ٤٤٤، الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٢٥). وقال اليعقوبي في تاريخه: أنّه بقي عليّعليه السلام وبنو هاشم والزبير ستّة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتّى ماتت فاطمة فبايعوه (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص٨٤). وإلى غير ذلك الواردة في كتبهم الدالّة على أنّ بيعة أبي بكر لم تكن عن الاختيار والرغبة كما سنتعرض لذلك من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لقد روى ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة كيفيّة بيعة أبي بكر ومن تخلّف عنها، فقال في حديث طويل وفيه: أنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليعليه السلام، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار عليعليه السلام، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفسه عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة؟ فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلاّ علياً، فإنه زعم أنه قال: «حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن»، فوقفت فاطمة على بابها، فقالت: «لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقّاً؟» فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفد وهو مولى له: اذهب فادع لي علياً، قال: فذهب إلى علي فقال

➔

➔

له: «ما حاجتك؟» فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: «لسريع ما كذبتم على رسول الله»، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفد: عد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفد، فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: «سبحان الله؟ لقد ادّعى ما ليس له»، فرجع قنفد، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثمّ قام عمر، فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة»، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟» قالوا: إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال: «إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله»، قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يصيح ويبكي، وينادي: «يا بن أمّ، إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني». فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلمّا عليها فلم تردّ عليهما السلام، فتكلّم أبوبكر فقال: يا حبيبة رسول الله والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورّث، ما تركنا فهو صدقة، فقالت:

🡠

وحسب المنصف تخيير عمر لهم بين الحرق بالنار وبين البيعة[(١)].

«أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟» قالا: نعم، فقالت: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟» قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: «فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي صلى الله عليه وآله لأشكونّكما إليه»، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى منّي سخطه وسخطك يا فاطمة، ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: «والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أصلّيها»، ثمّ خرج باكياً فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي. قالوا: يا خليفة رسول الله، إن هذا الأمر لا يستقيم وأنت أعلمنا بذلك، إنّه إن كان هذا لم يقم لله دين، فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بتّ ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة. قال: فلم يبايع علي عليه السلام حتّى ماتت فاطمة عليها السلام، ولم تمكث بعد أبيها إلا خمساً وسبعين ليلة... (انظر الإمامة والسياسة ج١: ص١٢).

(١) لقد وردت الروايات والنصوص المتواترة والوثائق التاريخية في كتب أهل السنّة الدالّة على هجوم عمر بن الخطّاب وجماعة من الصحابة على بيت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهدد من في البيت بحرق البيت بالنار، أو أن يخرجوا للبيعة مع أبي بكر؛ فقد أخرج الطبري بسنده عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أتى عمر منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط

➔
السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه (تاريخ الطبري ج٢: ص٢٣٣). وأخرج ابن أبي الحديد بسنده عن سلمة بن عبد الرحمن قال: فجاء عمر اليهم فقال: والّذي نفسي بيده لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ البيت عليكم (شرح نهج البلاغة ج١: ص١٦٤، وج٢: ص٤٥). وأخرج البلاذري بإسناده عن سليمان التيمي وعن ابن عون: إنّ أبابكر أرسل إلى عليعليه السلام يريد البيعة فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: «يابن الخطّاب! أتراك محرقاً عليّ بابي؟» قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك (انساب الأشراف ج١: ص٥٨٦). وأخرج أبو الفداء في تاريخه قال: فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار، فلقيته فاطمةعليها السلام وقالت: «إلى أين يابن الخطاب؟ أجئت لتحرق دارنا؟» قال: نعم (تاريخ أبي الفداء ج١: ص١٦٤). وأخرج ابن عبد ربّه في العقد الفريد: الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر: عليّ والعباس، والزبير، وسعد بن عبادة؛ فأمّا علي والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتّي بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجوا من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: «يابن الخطّاب! أجئت لتحرق دارنا؟» قال: نعم (العقد الفريد ج٥: ص١٢). وأخرج الشهرستاني في الملل والنحل عن الجاحظ: إنّ عمر ضرب بطن فاطمةعليها السلام يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها، وكان عمر يصيح: احرقوا دارها بمن فيها، وماكان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين وزينبعليهم السلام (الملل والنحل ج١: ص٥٧). وقال المسعودي: فهجموا عليه وأحرقوا بابه واستخرجوه منه كرهاً، وضغطوا سيّدة النساء بالباب حتّى أسقطت محسناً (اثبات الوصية: ص١٤٣). وقال ابن حجر العسقلاني: إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن (لسان الميزان ج١: ص٢٦٨). وقال الصفدي: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى
➔

وقد مضى نقل ما في الصحيحين من استنكار الناس لعلي عليه السلام بعد موت فاطمة عليها السلام، فعنده التمس مبايعة أبي بكر[1].

ألقت المحسن من بطنها (الوافي بالوفيات ج٥: ص٣٤٧). وإلى غير ذلك من الروايات والأخبار والنصوص الدالّة على أنّ عمر هدد الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام أن يخرجوا من البيت ويبايعوا أبا بكر وإلاّ يحرق عليهم الدار، وسنذكرها من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن عائشة أنّها قالت: إنّ فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورّث، ما تركنا صدقة. إنّما يأكل آل محمّد في هذا المال وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها الّتي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفّيت استنكر على وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر (صحيح البخاري ج٥: ص٨٣ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٣ كتاب الجهاد والسير، باب قوله لا نورّث ما تركناه صدقة).

ولا يخفى أنّ استنكار الناس للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام من جهة انقلاب الأمّة على النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، حيث أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام وقفت ضدّ انحراف السلطة وظلمها

فيالهفي عليهم حيث جرت المشاقة منهم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله[1] إلى هذه

➔

وجبروتها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لها دور كبير في هذا الاعتراض ضدّ السلطة التي لم تسمح لأحد الاعتراض ولم تكن مكتوفي الأيدي، رغم أنّهم كانوا يعلمون أنّ للسيدة الزهراء عليها السلام مقام عظيم في الإسلام للروايات والنصوص الواردة في شأنها وعظمتها ومع ذلك عمدوا إلى أنواع شتى من التهديد والتخويف والاعتداء في حقّها وفي حقّ زوجها وأبناءها ومحبّيها. وقد سجّل التاريخ وقفة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وخطبتها أمام رجالات السلطة ومغتصبي حقّها وما لحقّها من أحداث مزرية، ما زالت تلقي خطابها وتنبيهها للأمّة عن الوقوع في الضلال، وما سيلحق بالمسلمين أثر غصب الخلافة. وقد حاولت السطة الغاصبة إسكات هذه الصرخة العظيمة، التي فجّرت الأحداث الساخنة كما ذكرها كتب التاريخ والسير فلم يمكنها ذلك. وأنّ الأحداث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله أخذت بُعداً آخراً للصراع بين أصحاب السقيفة الذين كانوا يمثلون تيار الإرهاب، والمخالفين والمعارضين لخلافة السقيفة بقيادة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان بيت فاطمة عليها السلام هو ملتقى المعارضة. يقول ابن قتيبة في تاريخه: إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعة في دار علي وفاطمة عليهما السلام، فأبوا أن يخرجوا، فدعا عمر بالحطب يريد منهم أن يبايعوا بالإكراه والقوّة، وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقّنها على مَن فيها... (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ص١٢-١٣). وفي هذه الأوصاف والأجواء المعارضة لا معنى لبيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع أبي بكر، إلاّ أن يقال أنّ البيعة كانت بالإكراه وتحت السيف والإرهاب فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ**

➔

الدرجة التي اضطرّ صاحب الحقّ وإمام الخلق[١] الذي يدور إلى مبايعة رجل من رعاياه[٢]،

➔

اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال:١٣). هذه الآية الكريمة طرحت مسألة العداء لله ورسولهﷺ، لأنّ أعداء الإسلام استخدموا جميع إمكاناتهم لمواجهة الإسلام ورسول اللهﷺ إلاّ أنّهم غفلوا عن أن الله سبحانه سيهزمهم داخليّاً، حيث أن الضربة الداخليّة أوجع للنفس ولا يمكن تداركها بسهولة، حتّى لو وضعت تحت تصرّفهم كلّ الأسلحة والجيوش فإنّها غير قادرة على أن تحقّق النصر مع فقدان المعنويّة العالية والروحيّة المؤهلة لخوض القتال، وبالتالي فإنّ الفشل والخسران أمر متوقّع جدّاً لأمثال هؤلاء، ولذلك قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. فالآية الكريمة فيها إشارة إلى ما فعلها أتباع خلافة السقيفة ضد أهل البيتعليهم السلام، لأنّ عظمة أهل البيتعليهم السلام قد بينّها الله تبارك وتعالى ورسولهﷺ في النصوص الثابتة لديهم، وبالاعتداء عليهمعليهم السلام أعلنوا مشاقاتهم لله ورسولهﷺ فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف عن رسول اللهﷺ: «معاشر الناس إنّ عليّاً منّي وأنا من عليّ، خلق من طينتي وهو إمام الخلق بعدي، يبيّن لهم ما اختلفوا فيه من سنّتي، وهو أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين ويعسوب الدين وخير الوصيين وزوج سيدة نساء العالمين وأبو الأئمة المهديّين» (روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص١٠٢).

(٢) لا يخفى أنّ انحراف الأمّة عن مسيرها التي رسمه الله ورسولهﷺ لها بدأت من غصب خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وإنكار إمامته وإمامة أهل البيتعليهم السلام جهاراً، وبذلك غمسوا في الفتنة التي أشعل نارها الرعايا

🡐

➔
الذين جلسوا مكان الإمام عليه السلام الذي كانت طاعته واجبة عليهم بالنصوص القرآنية والسنّة النبويّة. ولكن تقدّم الجاهل على العالم، والمفضول على الفاضل بأخذ البيعة من الناس بالقهر والإرهاب، مع إذعانهم بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أعلم هذه الأمّة وأقضاها بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقد أخرج البخاري في كتابه التاريخ الكبير بسنده عن عائشة قالت: عليّ أعلم الناس بالسنّة (التاريخ الكبير ج٢: ص٢٥٥ في ترجمة جحدب التيمي). وأخرج في صحيحه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: قال عمر: أقرؤنا أبيّ وأقضانا علي (صحيح البخاري ج٥: ص١٤٩ كتاب المغازي، باب قوله ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا**﴾). كما أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»، ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٦). وأخرج ابن المغازلي في كتابه المناقب بسنده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب» (المناقب لابن المغازلي: ص٩٣). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة في باب أعلميّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على جميع الأمّة حتّى باعتراف خلفائهم، وهي بالغة عن حدّ التواتر؛ فمنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عثمان بن عفّان قال: سمعت عمر بن الخطّاب قال: سمعت أبابكر بن أبي قحافة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن الله تعالى خلق من نور وجه علي بن أبي طالب ملائكة يسبّحون الله، ويقدّسون الله، ويكتبون ثواب ذلك لمحبّيه ومحبّي ولده» (المناقب للخوارزمي: ص٣٢٩). ومنها: ما رواه أحمد ابن حنبل بسنده عن عمر بن الخطّاب قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله آخى بين الناس وترك علياً
➔

➔
حتّى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال‌عليه‌السلام: «آخيت بين الناس وتركتني؟» قال‌صلى‌الله‌عليه‌وآله: «ولم تراني تركتك؟ إنّي تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك - ناقشك - أحد فقل: أنا عبد الله، وأخو رسوله، لا يدّعيها بعدي إلاّ كذّاب» (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٦١٧)، ورواه المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٥. ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عمر ابن الخطّاب قال: قال رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله: «إنّ علياً وفاطمة والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبّة بيضاء، سقفها عرش الرحمن عزّ وجلّ» (المناقب للخوارزمي: ص٣٠٢)، ورواه الحمويني في فرائد السمطين ج١: ص٤٩، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج١٢: ص٣٣٩ وغيرهم. ومنها: مارواه المتّقي الهندي بسنده عن الخليفة العبّاسي المأمون عن الرشيد، حدّثني المهدي، حدّثني المنصور، حدّثني أبي، حدّثني عبد الله بن عبّاس، قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب‌عليه‌السلام، فقد رأيت من رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهن في آل الخطّاب أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله، فانتهيت إلى باب أمّ سلمة وعليّ قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله، فقال‌عليه‌السلام: «يخرج إليكم»، فخرج رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله فسرنا إليه فاتّكأ على علي بن أبي طالب‌عليه‌السلام، ثمّ ضرب بيده منكبه ثمّ قال: «إنّك مخاصم تخاصم، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيّام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي وغاسلي ودافني، والمتقدّم إلى كلّ شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدّمني بلواء الحمد، وتذود عن حوضي» (كنز العمّال ج١٣: ص١١٧)، ورواه الإسكافي في نقض العثمانيّة: ص٢٩٢، وابن عساكر في تاريخ
➔

➔

مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٨، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٣: ص٢٣٠ وغيرهم. ومنها: ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سويد بن غفلة عن عمر بن الخطّاب: إنّه رأى رجلاً يسبّ علياًعليه السلام فقال عمر: إنّي أظنّك منافقاً سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «إنّما عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» (تاريخ بغداد ج٧: ص٤٥٣). ومنها: ما رواه بهاء الدين أبو القاسم القفطي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال عمر بن الخطّاب: كنت أجفو علياًعليه السلام، فلقيني النبيصلى الله عليه وآله فقال: «آذيتني يا عمر»، فقلت: بأيش؟ قالصلى الله عليه وآله: «تجفو عليّاً! من آذى عليّاً فقد آذاني»، فقلت: والله لا أجفو عليّاً أبداً (الأنباء المستطابة: ص٦٤). ومنها: ما رواه ابن شيرويه الديلمي الهمداني بسنده عن عمر ابن الخطّاب، قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «حبّ عليعليه السلام براءة من النار» (انظر فردوس الأخبار ج٢: ص١٤٢)، ورواه المناوي في كنز الحقائق: ص٦٧ وغيره. ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: رسول اللهصلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره». فبات المسلمون كلّهم يستشرفون لذلك، فلمّا أصبح قالصلى الله عليه وآله: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا: أرمد العين، قالصلى الله عليه وآله: «آتوني به»، فلم أتاه، قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «ادن منّي»، فدنا منه، فتفل في عينيه ومسحهما بيده، فقام علي بن أبي طالبعليه السلام بين يديه وكأنّه لم يرمد وأعطاه الراية، فقتل مرحب وأخذ مدينة خيبر (المناقب للخوارزمي: ص١٧٠)، ورواه المتّقي الهندي في كنز العمّال ج١٣: ص١٢٣ وغيره. ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «لو اجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب لما خلق الله

➔

➔

النار» (انظر ينابيع المودّة ج٢: ص٢٩٠). ومنها: مارواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن عمر بن الخطّاب - في عهده - رجلان سألاه عن طلاق الأمّة - كم عدّة للبينونة -؟ فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال عمر: أيّها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة، فرفع رأسه إليه ثمّ أومأ إليه بالسبابة والوسطى، فقال له عمر: تطليقان، فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أومأ إليك!! فقال لهما عمر: ما تدريان من هذا؟ قالا: لا، قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله لسمعته وهو يقول: «لو أنّ السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفّه ميزان ووضع إيمان علي في كفّة ميزان لرجح إيمان علي عليه السلام» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٤٠)، ورواه الخوارزمي في مناقبه: ص١٣٠، وابن المغازلي في مناقبه: ص٢٨٩ وغيرهم. ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «لو كان البحر مداداً، والرياض أقلاماً، والإنس كتّاباً، والجنّ حُساباً، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن» (ينابيع المودّة ج٢: ص٢٨٥). ومنها: ما رواه محبّ الدين الطبري بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي، يهدي صاحبه إلى الهدى، ويرده عن الردى» (ينابيع المودّة ج٢: ص١٤٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عبّاس، قال: مشيت وعمر بن الخطّاب في بعض أزقة المدينة فقال لي: يا ابن عبّاس، أظنّ أنّ القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم!! فقلت: والله! ما استصغره الله إذ اختاره لسورة براءة مع عزل أبي بكر يبلغها أهل مكّة، فقال لي: الصواب تقول!! والله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبّك

➔

➔
أحبّني، ومن أحبّني أحبّ الله، ومن أحبّ الله أدخله الجنّة مدلاًّ» (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص٤). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر ابن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «من أحبّك يا علي كان مع النبيّين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهوديّاً أو نصرانيّاً» (الكوكب الدرّي: ص١٢٥). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي حديث الغدير بعدّة طرق وإضافات عن عمر بن الخطّاب قال: نصب رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام علماً فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللّهم أنت شهيدي عليهم»، قال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله، وكان في جنبي شابّ حسن الوجه طيب الريح، قال لي: «يا عمر، لقد عقد رسول الله صلى الله عليه وآله عقداً لا يحلّه إلاّ منافق»، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فقال: «يا عمر، إنّه ليس من ولد آدم لكنّه جبرائيل يؤكّد عليكم ما قلته في علي» (ينابيع المودّة ج٢: ص٢٨٤). لا يخفى أنّ حديث الغدير من الأحاديث المتواترة، بل في أعلى درجات التواتر، وقطعيّ الصدور، وواضح الدلالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالرغم من محاولات التعتيم عليه، وطمس معالمه، وكتم الكاتمين!! فقد قاله النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عند منصرفه من حجّة الوداع في الثامن عشر من شهر ذي الحجّة من السنة العاشرة للهجرة، ورواه عنه أكثر من مائة صحابيّ. وعندما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله من مراسم الغدير والخطبة الغرّاء، ونصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علماً للخلافة والإمامة من بعده، وقوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسائر فقرات الخطبة ودعائه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أمر الحاضرين رجالاً ونساءً أن يبايعوا علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمرة والخلافة من بعده، فكان
➔

➔

الحاضرون يتهافتون على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويبايعونه على ذلك حسب ما أمرهم النبي صلى الله عليه وآله حتّى النساء بايعنه حيث وضع لهن طست فيه ماء - كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وآله فكنّ يدخلن أيديهنّ فيه وكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واضعاً يده أيضاً في الطست وهو جالس في الخيمة - احترازاً من ملامسة الأجنبيّات والتسليم عليهنّ مصافحة، وهكذا تمّت البيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأذعن الجميع بأنه عليه السلام مولاهم، وأقرّوا له بالاتّباع والطاعة والتزام أوامره ونواهيه. والجدير بالذكر أنّ هذا الحديث المتواتر رواه أكثر من أربعين حافظاً ومؤرّخاً بسندهم عن أبي بكر وعمر، وأنّهما قالا للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وأمره بالبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: "بخ بخ..." أو "هنيئا لك..." وأمثال هذه العبارات الدالّة على التهنئة والتبريك وتعظيم منصب الولاية العظمى والخلافة الكبرى للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تهنئة أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وإليك - أيها القارئ العزيز - بعض النماذج من تلكم العبارات التهنويّة التي رويت عن أبي بكر وعمر معاً أو انفرد به أحدهما ممّا روي في مصادر أهل السنّة المعتمد عليها عندهم: أمّا ما اشترك فيه أبو بكر وعمر، وقولهما: "أصبحت وأمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة..." وقد أخرجه العلاّمة الأميني رحمه الله عن ستّين مصدراً من مصادر أهل السنّة (انظر الغدير ج١: ص٢٧٢-٢٨٣). وأمّا المصادر والمراجع التي أخرجت فيها حديث الغدير على لسان عمر بن الخطّاب واعترافه بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مولاه ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، فهي كما يلي، أحدها: ما رواه أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر

➔

➔

فنزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين، فصلّى الظهر، وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١). وثانيها: ما رواه ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن عن البراء، قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر، قال: فنزلنا بغدير خمّ، قال: فنودي الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرة، فصلّى الظهر، فأخذ بيد علي فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٥٠٣). وثالثها: ما رواه المحبّ الطبري في كتابه الرياض النضرة في باب خاصّ بعنوان: ذكر ما رواه عمر في علي، وروى عنه مختصراً وقد تقدّم جميع ذلك مفرّقاً في أبوابه، فمنه حديث الراية يوم خيبر، وحديث ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ، وحديث أنّه قال: في علي ثلاث خلال لوددت أنّ لي واحدة منهنّ، وحديث: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، وحديث رجحان إيمانه بالسموات السبع والأرضين، وحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقوله: ما أحببت الإمارة إلاّ يومئذ لمّا قال لعلي: لأبعثنّه إلى كذا كذا، وقوله: أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقوله: علي مولى من النبي صلى الله عليه وآله مولاه،

➔

➔

وقوله في علي: إنّه مولاي، وإحالته في المسألة عليه غير مرّة في القضاء، وقوله: أقضانا علي، ورجوعه إلى قوله في مسائل كثيرة؛ كلّ ذلك في الخصائص والفضائل مفرّقاً في بابه (الرياض النضرة ج٣: ص٢٣٣). رابعها: ما رواه ابن ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة كتب الله له صيام ستّين شهراً وهو يوم غدير خمّ لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألست مولى المؤمنين؟» قالوا: نعم يا رسول الله، فأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال له عمر بن الخطّاب: بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٣٤). خامسها: ما رواه الفخر الرازي في تفسيره نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة (تفسير الفخر الرازي ج١٢: ص٤٩). سادسها: ما قاله الباقلاني في كتابه تمهيد الأوائل: ويدلّ على ذلك أيضاً ويؤكّده ما يروونه من قول عمر: أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن، فأخبر أنّه قد ثبت كونه مولى له ولكم مؤمن، فلم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وآله، فدلّ أنّه قد أثبت له الولاية عليهم ولزوم طاعتهم له (تمهيد الأوائل: ص٤٠٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد بهذا المضمون. وقد أخرج أحمد بن عقدة الكوفي في كتابه الولاية حديث الغدير عن أبي بكر وعمر بأسناد عديدة وبطرق مختلفة (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج٧: ص٢٨٨ في ترجمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نقلاً عن ابن عقدة). وذكر المناوي في كتابه فيض القدير في شرح الحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» كلاماً لابن حجر في تغيير وجهي أبي بكر وعمر، ثمّ

🡐

➔

تطرّق إلى سرد مصادر واسناد حديث الغدير فقال: ذكره الحافظ في اللسان بنصّه ولم أذكره إلاّ للتعجّب من هذا الضلال وأستغفر الله، ثمّ قال: أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقّاص عنهما قالا: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر فيض القدير ج٦: ص٢١٧).

أقول : ألا يتعجّب الإنسان من هذه العصبيّة والعناد، فإنّه مع تصديقه بأنّ ابن حجر بوثاقة ابن حجر، وتصديقه لما رواه من حديث الغدير وتصحيحه له، بل وتواتره عنده، مع ذلك ينكره ويقول: ولم أذكره إلاّ للتعجّب من هذا الضلال وأستغفر الله... أليس هذا من مصاديق الجهل والعصبيّة العمياء؟!! ولا شكّ أنّ العصبيّة الجاهليّة قد تنجرّ إلى الكفر. والسؤال الهامّ: في المقام أنّه لو لم تكن كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خمّ «من كنت مولاه فعلي مولاه» مع كلّ ما احتوته من الميزات الظرفيّة والوقائع مثل الظروف المحلّيّة والتاريخيّة واجتماع الحجّاج وإبلاغهم أمر الخلافة وأخذ البيعة منهم رجالاً ونساءً الدالّة على أهميّة مسألة الإمامة والخلافة المتّصلة بالنبوّة المحمديّة وأهميّتها في مصير الأمّة الاسلاميّة، وقلنا أنّها موضوع عادي مثل أكثر المسائل التي تفقد الأهمية الدينيّة، فكيف يفسّر الرجل تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقولهما له عليه السلام: بخ بخ لك يا علي، أو: طوبى لك يا أبا الحسن، أو: هنيئاً لك يا بن أبي طالب؟

وهذا هو السؤال المطروح الذي يحتاج إلى جواب صريح من دون اللفّ والنشر والتزوير والتهرّب والتخرّص، بأنّ الاجتماع الكبير في غدير خمّ، وما صدر من رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الجمع الغفير من الصحابة، وقد بيّن صلى الله عليه وآله بأبلغ البيان خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذكرها كبار الصحابة حتى عمر ابن الخطاب و قد نقلها كبار علمائهم، فرواه ابن حجر العسقلاني عن ابن الجوزي

➔

➔

فقال: أنّه حضر مجلسه بالكوفة فقال: لمّا قال النبيﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» تغيّر وجه أبي بكر وعمر، فنزلت ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (لسان الميزان لابن حجر ج١: ص٣٨٧). وعندئذ يختلج السؤال في الذهن: أنّه لو كانت الغاية من قول النبيﷺ: «من كنت مولاه...» هي مجرّد إبلاغ الناس وأمرهم بالمودّة والمحبّة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فقطّ ولم تكن تتعلّق بما هو أهمّ من ذلك مسألة الخلافة والإمامة فلماذا تغيّر وجه أبي بكر وعمر بمجرّد سماعهما ذلك من النبيﷺ؟!

ومنها: ما رواه ابن كثير في تاريخه بسنده عن أبي بكر وعمر وعثمان بن عفّان وعبدالله ابن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبي ذرّ وجابر أنّ رسول اللهﷺ قال: «النظر إلى وجه علي عبادة» (البداية والنهاية ج٧: ص١٩٤). ومنها: مارواه أحمد بن حنبل بإسناده، قال: قال رسول اللهﷺ لوفد ثقيف حين جاءوا: «والله لتسلمنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً منّي»، أو قال: «مثل نفسي فليضربنّ أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذنّ أموالكم»، قال عمر: فوالله ما اشتهيت – تمنّيت – الإمارة إلاّ يومئذ جعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هذا، فالتفتﷺ إلى عليعليه السلام فأخذ بيده ثمّ قال: «هو هذا، هو هذا» – مرّتين – يعني أنّ الذي يقاتلكم ويسبي ذراريكم هو عليعليه السلام (فضائل الصحابة لأحمد ابن حنبل ج٢: ص٥٩٣). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطّاب، عن سلمان قال: دخلت على رسول اللهﷺ في غمرات الموت فقلت: يا رسول الله، هل أوصيت؟ قال: «يا سلمان، أتدري من الأوصياء؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قالﷺ: «آدمعليه السلام وكان وصيّه شيث، وكان أفضل من تركه بعده وكان من ولده، وكان وصي نوحعليه السلام سام، وكان أفضل من تركه

➔

➔
بعده، وكان وصيّ موسى عليه السلام يوشع، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصيّ سليمان عليه السلام آصف بن برخيا، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصيّ عيسى عليه السلام شمعون بن نرخيا، وكان أفضل من تركه بعده، وإنّي أوصيت إلى علي عليه السلام، وهو أفضل من أتركه بعدي (انظر الكوكب الدرّي على جامع الترمذي: ص١٣٣). ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصيي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له منّي ما لي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني (انظر المناقب المرتضويّة: ص١٢٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن إبراهيم بن سعيد الجوهري وصي المأمون قال: حدّثني المأمون العبّاسي قال: حدّثني الرشيد العبّاسي قال: حدّثني المهديّ العبّاسي قال: حدّثني المنصور الدوانيقي عن أبيه عن جدّه عبد الله بن العبّاس، قال: سمعت عمر بن الخطّاب وعنده جماعة، فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أمّا علي فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه ثلاث خصال لوددت أنّ لي واحدة منهنّ فكان أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب النبي صلى الله عليه وآله بيده على منكب علي فقال له: «يا علي، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى» (تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢: ص١٦٧). وزاد ابن الصباغ المالكي بعد أن نقل الحديث عن الخصائص العلويّة على سائر البرية لأبي الفتح محمّد النطنزي إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «كذب من زعم أنّه يحبّني وهو مبغضك، يا علي من أحبّك فقد أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله
➔

➔

تعالى وأدخله النار» (انظر الفصول المهمّة: ص١٢٦). ومنها: ما رواه محمد ابن محمّد الدركزيني في كتابه نزل السائرين في أحاديث سيّد المرسلين بسنده عن عمر بن الخطّاب قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضربﷺ بيده على منكب عليعليه السلام فقال: «يا علي أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى؛ يا علي، إنّما أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإذا أتاك هؤلاء القوم فسلّموا إليك هذا الأمر فاقبله منهم، فإن لم يأتوك فلا تأتهم» (انظر إحقاق الحقّ ج١٧: ص٧٩، نقلاً عن كتاب درر المناقب). ومنها: ما رواه العيني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: قال النبيﷺ لعليعليه السلام: «أنا خاتم الانبياء، وأنت خاتم الأولياء» (مناقب سيّدنا علي للعيني: ص٢٦)، ورواه ابن عساكر في تاريخه ج٤٢: ص٣٢٨، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٨٢، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦٢٧ وغيرهم. ومنها: ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وذكر قصّة حوار دار بين ابن عبّاس وبين عمر بن الخطّاب بما يمت بأمر الخلافة والإمامة بعد النبيﷺ... وملخّص الحوار أنّه قال ابن عبّاس: دخلت على عمر في أوّل خلافته... فقال عمر: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلّفت ابن عمك... إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟ قلت: خلّفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن، قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أنّ رسول اللهﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق، قال عمر: لقد كان من رسول اللهﷺ ذرو من قول في إعلان خلافة عليعليه السلام لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، ولقد كان النبيﷺ يربع في أمره وقتاً ما أي كان يترقّب

➔

➔

الفرصة لذلك (ولقد أراد أن يصرّح باسمه عليعليه السلام) فمنعته من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام (وذلك بقوله: إنّ الرجل ليهجر) لا وربّ هذه البنية (أي خلافة علي) لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها (علي) لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٢٠). وأضاف ابن أبي الحديد: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني في كتابه تاريخ بغداد مسنداً (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٧٩). وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ – وهو قول عمر -: إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله أراد أن يذكره للأمر – الخلافة – في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول اللهصلى الله عليه وآله ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٧٩).

أقول: مع غضّ النظر عن الدلائل والبراهين الحديثيّة والتاريخيّة التي فيها الدلالة الواضحة على أنّ النبيصلى الله عليه وآله نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علماً الإمامة والخلافة من بعده كما مرّ علينا نماذج منها في موضوع حديث غدير خمّ، فإنّنا لو تمسّكنا فقطّ بما اعترف به عمر بن الخطّاب هنا لكفى في إثبات خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، حيث أنّه إعترف بأنّ النبيصلى الله عليه وآله أراد التصريح باسمه، وهذا يدلّ على علمه بأولويّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، بالإمامة والخلافة، ومع ذلك أنّه خالف رسول اللهصلى الله عليه وآله ومعناه أنّه قدم رأيه على إرادة رسول اللهصلى الله عليه وآله، وهذا أمر واضح من كلامه. والعجيب من علماء أهل السنّة الذين رووا هذا الحديث مع مافيه من الدلالة الواضحة على اعتراف عمر بمخالفته الصريحة لرسول اللهصلى الله عليه وآله كيف اقتنعوا

➔

➔

أنفسهم بخلافته للرسول الأعظمﷺ؟! ثمّ التابعين والرواة والمحدثين من علماء أهل السنة جيلاً بعد جيل، وسلفاً عن خلف إلى يومنا هذا بعد نقلهم لهذه الأحاديث والروايات عن عمر بن الخطّاب في إمامة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام كيف يعتقدون بخلافته؟!! وهناك روايات كثيرة رواه الخلفاء في إمامة أئمة المعصومين من أهل البيتعليهم السلام وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

وهناك روايات رواها الصحابة الدالّة على إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ، فمنها رواه الطبري بإسناده عن أبي سعيد قال: شكا الناس علي بن أبي طالب، فقام رسول اللهﷺ فينا خطيباً فسمعته يقول: «يا أيّها الناس لا تشكوا عليّاً، فوالله إنّه لأخشى في ذات الله - أو في سبيل الله - من أن يشكى» (تاريخ الطبري ج٣: ص١٤٩). ومنها: ما قال زيد بن أرقم، فإنّه قال: أوّل من صلّى مع النبيﷺ علي (انظر أخبار اصبهان ج٢: ص١٥٠). ومنها: ما قال سلمان الفارسي، فإنّه قال: أوّل هذه الأمّة وروداً على نبيها (عليه الصلاة والسلام) الحوض أوّلها إسلاماً علي بن أبي طالبعليه السلام (انظر الاستيعاب لابن عبد البرّ ج٣: ص١٠٩٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٠٢). وقال سليم بن قيس: سمعت سلمان الفارسي يقول: إن علياً باب فتحه الله، من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً (كتاب سليم بن قيس الكوفي: ص٢٤٨). وقال: سمعت سلمان وأبا ذر والمقداد وسألت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن ذلك فقال: «صدقوا»، قالوا: دخل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على رسول اللهﷺ وعائشة قاعدة خلفه والبيت غاص بأهله فيهم الخمسة أصحاب الكتاب والخمسة أصحاب الشورى فلم يجد مكاناً، فأشار إليه رسول اللهﷺ «ها هنا»، يعني خلفه وعائشة قاعدة خلفه وعليها كساء فجاء عليعليه السلام فقعد بين رسول اللهﷺ وبين عائشة فغضبت، وقالت:

➔

➔

ما وجدت لاستك موضعاً غير حجري؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «يا حميراء، لا تؤذيني في أخي علي، فإنّه أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وصاحب الغرّ المحجلّين يوم القيامة يجعله الله على الصراط». وفي رواية أخرى «يقعده الله يوم القيامة على الصراط فيقاسم النار فيدخل أولياءه الجنّة ويدخل اعداءه النار» (كتاب سليم بن قيس الكوفي: ص١٧٩). وروى الشيخ المفيد بإسناده عن زر بن حبيش قال: مر علي بن أبي طالب عليه السلام على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمان في ملأ، فقال سلمان: ألا تقومون تأخذون بحجزته تسألونه، فوالله الذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لا يخبركم سرّ نبيكم أحد غيره، وإنّه لعالم الأرض وزرّها وإليه تسكن، ولو فقدتموه لفقدتم العلم (الأمالي للشيخ المفيد: ص٨٩). ومنها: ما قال جابر بن عبدالله الأنصاري: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في علي عليه السلام خصالاً لو كانت واحدة منها في رجل اكتفى بها فضلاً وشرفاً، قوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، وقوله: «علي مني كهارون من موسى»، وقوله: «عليّ منّي وأنا منه»، وقوله: «عليّ منّي كنفسي، طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي»، وقوله: «حربُ عليّ حرب الله، وسلم عليّ سلم الله»، وقوله: «ولي عليّ ولي الله وعدوّ عليّ عدوّ الله»، وقوله: «عليّ حجّة الله على عباده»، وقوله: «حبّ عليّ ايمان وبغضه كفر»، وقوله: «حزب عليّ حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان»، وقوله: «عليّ مع الحقّ والحقّ معه لا يفترقان»، وقوله: «عليّ قسيم الجنّة والنار»، وقوله: «من فارق عليّاً فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله»، وقوله صلى الله عليه وآله: «شيعة عليّ هم الفائزون يوم القيامة» (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج١: ص١٧٢). وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سيّد النبيّين وعليّ سيد الوصيّين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أوّلهم عليّ وآخرهم القائم المهدي» (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢: ص٣١٦). وقال: كنت عند

➔

➔

النبيصلى الله عليه وآله وعنده أبو بكر وعمر، فقال النبيصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام: «اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله»، فقال أبو بكر لعمر: هذه والله الفضيلة (انظر أخبار أصبهان ج٢: ص٣٥٨). وسأل الإمام محمّد بن علي الباقرعليه السلام جابر بن عبد الله الأنصاري لمّا دخل عليه عن عايشة وما جرى بينها وبين عليعليه السلام فقال له جابر: دخلت عليها يوماً وقلت لها: ما تقولين في علي بن أبي طالب؟ فأطرقت رأسها ثمّ رفعته وقالت: إذا ما التبر حك على المحكّ * تبيّن غشّه من غير شكّ. وفينا الغشّ والذهب المصفّى ** عليٌّ بيننا شبه المحكّ (انظر نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص١٣٣). قال عبيد الله بن أبي الجعد سأل جابر ابن عبدالله عن قتال علي فقال: ما يشكّ في قتال علي إلاّ كافر (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢: ص٤٤٤). وقال جابر بن عبد الله: إن رسول اللهصلى الله عليه وآله نزل بخمّ فتنحى الناس عنه وأمر علياًعليه السلام فجمعهم، فلمّا اجتمعوا قام فيهم وهو متوسّد يد علي بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أيّها الناس إنّه قد كرهت تخلّفكم عنّي حتّى خيل إليه أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني»، ثمّ قال: «لكن علي بن أبي طالب أنزله الله منّي بمنزلتي منه، فرضي الله عنه كما أنا عنه راض، فإنّه لا يختار على قربي ومحبّتي شيئاً» ثمّ رفع يديه فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فابتدر الناس إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله يبكون ويتضرّعون ويقولون: يا رسول الله ما تنحينا عنك إلاّ كراهة أن نثقل عليك فنعوذ بالله سبحانه من سخط رسوله. فرضي رسول اللهصلى الله عليه وآله عنهم عند ذلك (العمدة لابن بطريق: ص٥٣). ومنها ما قال أبو بكر، فقد روى محبّ الدين الطبري ذكر ما رواه أبو بكر في فضل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام منه: حديث النظر إليهعليه السلام عبادة، وحديث استواء كفّهعليه السلام وكفّ النبيصلى الله عليه وآله،

🡐

➔

وحديث أنه عليه السلام خيم عليه وعلى بنيه خيمة، وحديث أنّه عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة النبي صلى الله عليه وآله من ربّه، وحديث لا يجوز أحد الصراط إلاّ بجواز يكتبه عليّ عليه السلام، وقوله: من سرّه أن ينظر إلى أقرب الناس قرابةً، وإحالته على عليّ لمّا سئل عن وصف رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر الرياض النضرة ج٣: ص٢٩٥). وقال: قال معقل بن يسار: سمعت أبا بكر يقول: علي بن أبي طالب عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، أي الذين حثّ النبي صلى الله عليه وآله على التمسّك بهم والأخذ بهديهم فإنّهم نجوم الهدى ومن اقتدى بهم اهتدى، وخصّه أبو بكر بذلك لأنّه الإمام في هذا الشأن وباب مدينة العلم والعرفان، فهو إمام الأئمة وعالم الأمّة، وكأنّه أخذ ذلك من تخصيصه صلى الله عليه وآله له من بينهم يوم غدير خمّ كما سبق. وهذا حديث صحيح لا مرية فيه ولا شكّ لنا فيه (انظر وسيلة المآل: ص٢٣٠ مخطوط). قال الشعبي: رأى أبو بكر علياً عليه السلام فقال: من سرّه أن ينظر إلى أعظم الناس منزلةً من رسول الله صلى الله عليه وآله وأقربه قرابةً وأفضله دالّةً وأعظمه عناء عن نبيّه فلينظر إلى هذا (انظر معارج العلى ص١٨٦ مخطوط، ورواه السمهودي في جواهر العقدين: ص٢٩٤). وقال الشعبي: بينا أبو بكر جالس إذ طلع علي بن أبي طالب عليه السلام من بعيد، فلمّا رآه قال أبو بكر: من سرّه أن ينظر إلى أعظم الناس منزلةً وأقربهم قرابةً وأفضلهم حالاً وأعظمهم عناءً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فلينظر إلى هذا الطالع (انظر جواهر العقدين الذكر: ص٢٩٤). وقال حبشي بن جنادة: كنت جالساً عند أبي بكر، فقال: من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عدّة فليقم، فقام رجلٌ فقال: يا خليفة رسول الله، إنّه وعدني ثلاث حثيات من تمر، فأحثها لي، فقال: أرسلوا إلى علي عليه السلام فجاء فقال له: يا أبا الحسن إن هذا يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر فأحثها له، فلمّا حثاها له، فقال له أبو بكر: عدّوها فعدّوها فوجدوها في كلّ حثية ستّين تمرة لا تزيد واحدة

🡐

➔

على الأخرى، فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، قال لي رسول الله ليلة الهجرة ونحن خارجون من الغار يريد المدينة: يا أبا بكر «كفّي وكفّ علي في العدد سواء» (انظر المناقب للخوارزمي: ص٢١٠) ومنها ما قال عائشة، فإنّها قالت: رأيت رسول اللهﷺ التزم علياً وقبله وهو يقول: «بأبي الوحيد الشهيد، بأبي الوحيد الشهيد» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٤٩، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٣٧) قالت: وسئلت أي الناس أحبّ إلى رسول اللهﷺ؟ قالت: فاطمة، قيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إنّه كان ما علمت صوّاماً قوّاماً (انظر أسنى المطالب للوصابي: ص٣٨ مخطوط). وقالت: قال جميع بن عمير: قالت عمّتي لعائشة وأنا أسمع: أرأيت مسيرك إلى علي ما كان؟ قالت: دعينا منك، إنّه ما كان من الرجال أحبّ إلى رسول اللهﷺ من علي، ولا من النساء أحبّ إليه من فاطمة (انظر بشارة المصطفى لشيعة المرتضى لمحمّد بن محمّد الطبري: ص٢٤٠). ومنها: ما قال عمر ابن الخطّاب فإنّه قال: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحبّ إلي من أن أعطى حمر النعم، قيل: وما هي؟ قال: تزويجه فاطمة بنت رسول الله، وسكناه المسجد مع رسول الله يحلّ له فيه ما يحلّ له، والراية يوم الخيبر. هذا حديث صحيح الإسناد (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٥، وأسنى المطالب للجزري ص١١، والمناقب للخوارزمي ص٢٣٨). وقال: إن رسول اللهﷺ قال لعلي: «يا علي، لك سبع خصال لا يحاجّك فيه أحد يوماً: أنت أوّل المؤمنين بالله إيماناً وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأرأفهم بالرعية وأقسمهم بالسوية وأعلمهم بالقضية وأعظمهم مزيّةً يوم القيامة (انظر مفتاح النجاء لأبي نصر الجامي: ص٣٧). وقال عمر: كانت لأصحاب محمّدﷺ ثمانية عشر سابقة، فخصّ عنها علي بثلاثة عشر وشركنا في الخمس (انظر المناقب للخوارزمي:

🡠

➔

ص٥٢، وتوضيح الدلائل في تصحيح الفضائل للسيد شهاب الدين أحمد: ص٤٨١ مخطوط). وفي حديث جاء رجلان إلى عمر فقالا له: ماترى في طلاق الأمة؟ فقام إلى حلقة فيها رجل أصلع فقال له: ماترى في طلاق الأمة؟ فقال: اثنتان. فالتفت عمر إليهما فقال: اثنتان، فقال له أحدهما: جئناك وأنت الخليفة، فسألناك عن طلاق الأمة فجئت إلى رجل فسألته فوالله ما كلّمك، فقال له عمر: ويلك أتدري من هذا؟ هذا علي بن أبي طالب، إنّي سمعت رسول الله يقول: «لو أنّ السماوات والأرض وضعت في كفّة ميزان، ووزن إيمان علي لرجح إيمان علي على السماوات والأرض» (انظر المناقب للخوارزمي: ص١٣١، والمناقب لابن المغازلي: ص٢٨٩، والرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ج٣: ص٢٦٣، توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل للسيد شهاب الدين أحمد: ص٣٤٧ مع فرق يسير، ووسيلة المآل للحضرمي: ص٢٦٧، أسنى المطالب للوصابي: ص٨٩). وقال: كفّوا عن علي فإنّي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه خصالاً لو أنّ خصلة منها في جميع آل الخطّاب كان أحبّ اليّ ممّا طلعت عليه الشمس، إنّي كنت ذات يوم وأبو بكر وعبد الرحمن وعثمان بن عفّان وأبو عبيدة بن الجرّاح في نفر من أصحاب رسول الله فانتهينا إلى باب أمّ سلمة إذا نحن بعلي متّكىء على نجف الباب فقلنا: أردنا رسول الله، فقال: هو في البيت يخرج عليكم الآن، قال: فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فثرنا حوله فاتّكى على عليّ ثمّ ضرب يده على منكبه وقال: «يا ابن أبي طالب، فإنّك تخاصم بسبع خصال ليس لأحد بعدهنّ إلاّ فضلك: إنّك أوّل المؤمنين معي إيماناً وأعلمهم بأيّام الله وأوفاهم بعهده وأرأفهم بالرعية وأقسمهم بالسوية وأعظمهم عند الله مزيّة» قال ابن عساكر: وسقطت منهم واحدة (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٨). وقال سويد بن غفلة: رأى عمر رجلاً يخاصم علياً فقال له عمر: إنّي

➔

➔

لأظنّك من المنافقين، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٣٠). وقال عمر ابن الخطّاب: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي، يهدي صاحبه إلى الهدى ويرد عن الردى» (انظر الرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ج٣: ص٢٤٠). وقال عمر لعلي عليه السلام: عظني يا أبا الحسن، قال: «لا تجعل يقينك شكّاً ولا علمك جهلاً ولا ظنّك حقّاً، واعلم أنّه ليس لك من الدنيا إلاّ ما أعطيت فامضيت وقسمت فسويت ولبست فأبليت»، قال: صدقت يا أبا الحسن (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٩٣). وقال محبّ الدين الطبري في ذكر ما رواه عمر في علي عليه السلام: منه حديث الراية يوم خيبر، وحديث ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ، وحديث أنه صلى الله عليه وآله قال في علي ثلاث خصال لوددت أنّ لي واحدةً منهنّ، وحديث أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وحديث رجحان إيمانه بالسماوات السبع والأرضين، وحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقوله: ما أحببت الإمارة إلاّ يومئذ لمّا قال لعلي «لأبعثنه...» إلى كذا وكذا، وقوله: أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقوله: علي مولى من النبي مولاه، وقوله في علي أنّه مولاي وإحالته في المسألة عليه غير مرّة في القضاء، وقوله: أقضانا علي ورجوعه إلى قوله في مسائل كثيرة (انظر الرياض النضرة ج٣: ص٢٩٥). وقال عمر: تحبّبوا إلى الأشراف وتودّدوا، واتّقوا على أعراضكم من السفلة، واعلموا أنّه لا يتمّ شرف إلاّ بولاية علي عليه السلام (انظر جواهر العقدين للسمهودي: ص٢٩٤). وقال ابن عبّاس: مشيت أنا وعمر بن الخطّاب في بعض أزقة المدينة، فقال لي: يا ابن عبّاس أظنّ القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم، فقلت: والله ما استصغره رسول الله إذ اختاره لسورة براءة يقرؤها على أهل مكّة، فقال لي: الصواب تقول: سمعت رسول

🡐

➔

اللهﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبّك أحبّني، ومن أحبّني أحبّ الله، ومن أحبّ الله أدخله الجنّة» (انظر جواهر العقدين للسمهودي: ص٩٧ مخطوط). وقال سالم بن أبي جعدة: قيل لعمر بن الخطّاب: إنّك تصنع بعلي ما لا تصنعه بأحد من أصحاب النبيﷺ، فقال: إنه مولاي (وسيلة المآل للحضرمي: ص ٢٣٠ مخطوط).

ومنها: ما قاله معاوية بن أبي سفيان، فقد روى قيس بن أبي حازم قال: سأل رجل معاوية عن مسألة، فقال: سل عنها علي بن أبي طالب فهو أعلم منّي، قال: قولك أحبّ إليّ من قول علي، قال: بئس ما قلت ولؤم ما جئت به، لقد كرهت رجلاً كان رسول اللهﷺ يغرّه بالعلم غرّاً، ولقد قال له: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»، وكان عمر بن الخطّاب يسأله ويأخذ عنه، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه أمر قال: أها هنا علي بن أبي طالب؟ ثمّ قال معاوية للرجل: قم لا أقام الله رجليك، ومحا اسمه من الديوان (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ١٧٠، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص١٣٤، وسيلة المآل للحضرمي: ص٢٤٣).

وقال أبو اسحاق: جاء ابن أحور التميمي إلى معاوية فقال: جئتك من عند الأم الناس وأبخل الناس وأعيا الناس وأجبن الناس، فقال له معاوية: ويلك وأنّى أتاه اللؤم، ولكنّا نتحدّث أن لو كان لعلي بيت من تبن وآخر من تبر لأبعد التبر قبل التبن، وأنّى أتاه العي وإن كنّا لنتحدّث أنّه ما جرت المواسي على رأس رجل من قريش أفصح من علي، ويلك وأنّى أتاه الجبن وما برز له رجل قط إلاّ صرعه، والله يا ابن أحور لو لا أن الحرب خدعة لضربت عنقك، اخرج فلا تقيمنّ في بلدي، قال عطاء: وإن كان معاوية يقاتله فإنّه كان يعرف فضله (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤١٤). وقال جابر: كنّا عند معاوية، فذكر عليّاً فأحسن ذكره وذكر أبيه وأمه، ثمّ قال: وكيف لا أقول هذا لهم، وهم خيار خلق الله (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢:

➔

➔

ص٤١٤). وعن مغيرة قال: جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاختة بنت قرظة، فقعد باكياً مسترجعاً، فقالت له فاختة: أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه؟ فقال: ويحك أنا أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٨٢). وقال: لمّا جاء معاوية وفاة علي، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون وهو قائل مع امرأته ابنة قرظة في يوم صائف، وقال: ماذا فقدوا من العلم والفضل والخير!!! فقالت امرأته، تسترجع عليه اليوم؟ قال: ويلك لا تدرين ماذا ذهب من علمه وفضله وسوابقه (انظر تاريخ دمشق ج٤٢: ص٥٨٣). وروى أنس عن عمر بن الخطّاب قال: حدّثني أبو بكر قال: سمعت أبا هريرة يقول: جئت إلى النبيﷺ وبين يديه تمر، فسلّمت عليه فردّ عليّ وناولني من التمر ملء كفّه فعدّدته ثلاثاً وسبعين تمرة، ثمّ مضيت من عنده إلى عند علي بن أبي طالب وبين يديه تمر، فسلّمت عليه فردّ عليّ وضحك إليّ، وناولني من التمر ملء كفّه فعدّدته فإذا هو ثلاث وسبعون تمرة، فكثر تعجّبي من ذلك، فرجعت إلى النبيﷺ فقلت: يا رسول الله، جئتك وبين يديك تمر، فناولتني ملء كفّك، فعدّدته ثلاثاً وسبعين تمرة، ثمّ مضيت إلى علي بن أبي طالب وبين يديه تمر، فناولني ملء كفّه فعدّدته ثلاثاً وسبعين، فتعجّبت من ذلك، فتبسّم النبيﷺ وقال: «يا أبا هريرة، أما علمت أنّ يدي ويد عليّ في العدل سواء» (انظر كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٥٦). ومنها: ما قال عبد الله بن عمر بن الخطّاب، فقد روى عطاء عن ابن عمر أنّه بلغه أنّ رجلاً يذكر علي بن أبي طالب فقال له ابن عمر: لم تفعل؟ فوربّ هذه البنيّة لقد سبقت له الحسنى من الله ما لها من مردود. قال سعد بن عبيدة: قال رجل لابن عمر: ما تقول في علي فإنّي أبغضه؟ قال: أبغضك الله فإنّي أبغضك (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤١٤). وقال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن علي، فذكر

➔

➔

محاسن عمله، وقال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبيﷺ، ثمّ قال: لعلّ ذاك ليسوءك، قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد على جهدك (انظر نزل الأبرار: ص٩). وقال: جاء رجلٌ إلى عبد الله بن عمر، فقال: حدّثني عن علي، فقال ابن عمر: إن سرّك أن تعلم ما كانت منزلته من رسول اللهﷺ فانظر إلى بيته من بيوت رسول اللهﷺ. قال الرجل: فإنّي أبغضه، قال: أبغضك الله (نظر انساب الأشراف ج٢: ص١٨٠). وقال عبد الله بن عمر: كنّا نتحدّث أنّ أفضل هذه الأمّة علي بن أبي طالب (انظر أسنى المطالب للوصابي: ص٩٥ مخطوط). وقال ابن عمر: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاثاً لأن أكون أعطيتهنّ أحبّ إلي من حمر النعم، زوّجه رسول اللهﷺ فاطمة فولدت له، وأعطي الراية يوم خيبر، وسدّت أبواب المسجد إلاّ باب علي (انظر أخبار أصبهان ج٢: ص٢١٠). وقال عبدالله بن عمر: سألت النبيﷺ عن علي بن أبي طالب فغضب وقال: «ما بال أقوام يذكرون منزلة من له منزلة كمنزلتي؟ ألا ومن أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أحبّني رضي الله عنه، ومن رضي الله عنه كافاه بالجنّة، ألا ومن أحبّ علياً يقبل الله صلاته وصيامه وقيامه واستجاب الله له دعاءه، ألا ومن أحبّ علياً فقد استغفرت له الملائكة وفتحت له أبواب الجنة فيدخل من أي باب شاء بغير حساب، ألا ومن أحبّ علياً لا يخرج من الدنيا حتّى يشرب من الكوثر ويأكل من شجرة طوبى ويرى مكانه من الجنّة، ألا ومن أحبّ علياً هون الله تبارك وتعالى عليه سكرات الموت وجعل قبره روضة من رياض الجنّة، ألا ومن أحبّ عليّاً أعطاه الله بعدد كلّ عرق في بدنه حوراء ويشفع في ثمانين من أهل بيته وله بكلّ شعرة في بدنه مدينة في الجنّة، ألا ومن أحبّ علياً بعث الله إليه ملك الموت يرفق به ودفع الله عزّ وجلّ عنه هول منكر ونكير ونوّر قلبه وبيّض وجهه، ألا ومن أحبّ علياً أظلّه الله في ظلّ عرشه مع الشهداء

➔

➔

والصدّيقين، ألا ومن أحبّ علياً نجاه الله من النار، ألا ومن أحبّ علياً تقبّل الله منه حسناته وتجاوز عن سيّئاته وكان في الجنّة رفيق حمزة سيد الشهداء، ألا ومن أحبّ عليّاً ثبتت الحكمة في قلبه وجرى على لسانه الصواب وفتح الله له أبواب الرحمة، ألا ومن أحبّ علياً سمّي في السماوات أسير الله في الأرض، ألا ومن أحبّ عليّاً ناداه ملك من تحت العرش يا عبدالله استأنف العمل فقد غفر الله لك الذنوب كلّها، ومن أحبّ علياً جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ألا ومن أحبّ علياً وضع الله على رأسه تاج الكرامة وألبسه حلّة الكرامة، ألا ومن أحبّ علياً مرّ على الصراط كالبرق الخاطف، ألا ومن أحبّ عليّاً وتولاه كتب الله له براءة من النار وجوازاً على الصراط وأماناً من العذاب، ألا ومن أحبّ علياً لا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان ويقال له أو قيل له: ادخل الجنّة بغير حساب، ألا ومن أحبّ آل محمّد صافحته الملائكة وزاره الأنبياء وقضى الله له كلّ حاجة كانت له عند الله عزّ وجلّ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فأنا كفيله بالجنة» قالها ثلاثاً. قال قتيبة بن سعيد أبو رجاء: كان حمّاد بن زيد يفتخر بهذا الحديث ويقول: هو الأصل لمن يُقرّبه (انظر نهج الإيمان لابن جبر: ص٢٥) ومنها: ما قال ابن عبّاس: فقد قال ابن عباس: لعلي أربع خصال ليست لأحد: هو أوّل عربي وأعجمي صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي كان لوائه معه في كلّ زحف، والذي صبر معه يوم المهراس، وهو الذي غسّله وأدخله قبره (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١١، ورواه ابن عبد البرّ في الاستيعاب ج٣: ص١٠٩٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٠، وغيرهم). وقال رجل لابن عبّاس: سبحان الله ما أكثر مناقب علي وفضائله؟ إنّي لأحسبها ثلاثة آلاف، فقال ابن عبّاس: أولا تقول: انّها إلى ثلاثين ألفاً أقرب، قلت: ويدلّ على ذلك ما رويناه عن إمام أهل الحديث أحمد بن حنبل

➔

➔

وهو أعرف اصحاب أهل الحديث في علم الحديث: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما جاء لعلي بن أبي طالب. وقال الحافظ البيهقي: وهو أهل كلّ فضيلة ومنقبة، ومستحقّ لكلّ سابقة ومرتبة، ولم يكن أحد في وقته أحقّ بالخلافة منه (انظر كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٥٢). وقال ابن عبّاس: ما انتفعت بكلام بعد النبي صلى الله عليه وآله شيء كتب به إلي علي به أبي طالب عليه السلام فإنّه كتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، يا أخي فإنّك تسر بما يصل إليك ممّا لم يكن يفوتك، ويسوؤك ما لم تدركه، فما نلت يا أخي من الدنيا فلا تكن به فرحاً وما فاتك فلا تكن عليه حزناً، وليكن عملك لما بعد الموت والسلام» (انظر الرياض النضرة ج٣: ص٢٥٦). وقال عمرو بن ميمون: إنّي لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا ابن عبّاس، إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن يخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عبّاس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدأوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه وآله: «لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحبّ الله ورسوله»، قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرحل يطحن، قال: «وما كان أحدكم ليطحن»، قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال: فنفث في عينيه، ثمّ هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إيّاه فجاء بصفية بنت حيي، قال: ثمّ بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه، قال: «لا يذهب بها إلاّ رجل منّي وأنا منه»، قال: وقال لبني عمّه: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟»، قال: وعلي معه جالس فأبوا، فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة»، قال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة»، قال: فتركه، ثمّ أقبل على رجل منهم فقال: «أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» فأبوا، قال: فقال علي: «أنا أواليك في الدنيا والآخرة»، فقال: «أنت وليي

➔

←

في الدنيا والآخرة»، قال: وكان أوّل من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، قال: وشرى علي نفسه لبس ثوب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنّه نبي الله، قال: فقال: يا نبي الله، قال: فقال له علي: «إنّ نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه»، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضوّر قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح، ثمّ كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم كان صاحبك نراميه فلا يتضوّر وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك، قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: «أخرج معك»، قال: فقال له نبي الله: «لا»، فبكى علي، فقال له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنك لست بنبي، أنّه لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي»، قال: وقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أنت وليّي في كلّ مؤمن من بعدي»، وقال: سدّوا أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال: وقال: «من كنت مولاه فإنّ مولاه علي» (انظر مسند أحمد ج١: ص٣٣١، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٣٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١١٩ وغيرذلك). وقال ابن عبّاس في جواب من سأله عن الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: رحمة الله على أبي الحسن، كان والله علم الهدى، وكهف التقى، وطود النهى، ومحل الحجى، وغيث الندى، ومنتهى العلم للورى، ونوراً أسفر في الدجى، وداعياً إلى المحجّة العظمى، مستمسكاً بالعروة الوثقى، انقى من تقمّص وارتدى، وأكرم من شهد النجوى بعد محمّد المصطفى، وصاحب القبلتين،

→

➔

وأبو السبطين، وزوجته خير النساء فما يفوقه أحد، لم تر عيناي مثله، ولم أسمع بمثله؛ فعلى من بغضه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم التناد. أخرجه أبو الفتح القواس. قوله: طود هو الجبل العظيم، استعير منه التعظيم، والنهى العقول، والحجى العقل ايضاً، والنجوى المشاورة والمسارة (انظر ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري: ص٧٨). وقال مجاهد: قيل لابن عباس ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال: ذكرت والله أحد الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلّى القبلتين، وبايع البيعتين، وأعطي السبطين الحسن والحسين، وردّت عليه الشمس مرّتين بعد ما غابت عن المقلتين، وجرد السيف تارتين، وهو صاحب الكرّتين، فمثله في الأمّة مثل ذي القرنين، ذلك مولاي علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج١: ص٤٧). وقال ابن عبّاس: العلم ستّة أسداس، فلعلي بن أبي طالب من ذلك خمسة أسداس وللناس سدس، ولقد شاركنا في سدسنا حتّى هو أعلم به منّا (انظر مقتل الحسين للخوارزمي ج١: ص٤٤). وقال: كنّا نتحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلى علي سبعين عهداً لم يعهدها إلى غيره (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١١٣، كفاية الطالب للكنجي: ص٢٩١). وقال ميمون بن مهران: كنت مع عبد الله بن عبّاس في الطواف، فإذا هو بشابّ متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: اللّهم إني أبرأ إليك من علي بن أبي طالب وممّا أحدث في الإسلام، فقال لي ابن عبّاس: ادع لي ذلك الشابّ، قال: فدعوته إليه، فجاء وجلس عن يمين ابن عبّاس، فقال له ابن عبّاس: من أنت وما اسمك؟ قال: أنا زمعة بن خارجة الخارجي، قال: فقال له ابن عبّاس: يا زمعة، وما أحدث علي في الإسلام؟ قال: إنّه قتل المسلمين يوم الجمل وصفين، فقال له ابن عبّاس: إنّك بغي الرأي مخذول الرأس، إنّ علي بن أبي طالب شهر سيفه على من خرج على الأمّة وقابل الأئمة، لو لم يكن لعلي إلاّ أربع خصال

➔

➔

كانت له أربع سوابق لو قسمت على جميع الخلائق لوسعتهم، قال: وما هي يا ابن عبّاس؟ قال: إنّه كان أوّل الناس إسلاماً لم يعبد صنماً ولم يشرب خمراً، والثانية كان يسمع حسّ جبرئيل عليه السلام حين ينزّل على محمّد صلى الله عليه وآله بالوحي دوننا، والثالثة: لما أراد الله أن يزوّج كريمته فاطمة من علي فأمر الحور العين أن برزن فأمر طوبى أن تنثر فنثرت الدرّ مثل القلال فكن يلتقطن وهنّ يتهادين إلى يوم القيامة ويقلن: هذه هدايا فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، والرابعة: لمّا كان فتح مكة وسكن الناس وسقطت الشمس للمغيب قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: «يا علي انطلق بنا حتّى نكسر صنم بني خزاعة»، وكان لبني خزاعة صنم عند الميزاب، فانطلقا فلمّا انتهيا إليه أنحنى علي وقال: ارق يا رسول الله، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «إنّك لا تقدر على حملي ولا أهل الدنيا كلّهم يقدرون على أن يحملوا عضواً من أعضاء نبي»، فوضع النبي صلى الله عليه وآله رجله على كتف علي، فكاد علي ينكسر فاستغاث بالنبي وقال: «الأمان يا رسول الله فقد كادت أعضائي تختلف بعضها في بعض»، فرفع النبي صلى الله عليه وآله رجله عن كتف علي وقال: «يا علي، ذلك ثقل النبوّة»، ثمّ قال: أرق وانحنى النبي صلى الله عليه وآله، فارتقى علي وكان طول الكعبة أربعين ذراعاً، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «يا علي هل وصلت؟» قال: «يا رسول الله والله لو أردت أن أمس السماء لمسستها»، فأخذ الصنم وطرحه على الأرض وألقى نفسه على الأرض فسقط سقطة، ثم وثب وهو يضحك، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «ما لك تضحك يا علي؟!» قال: «إنّما أضحك إذ لم يصبني نكبة»، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «كيف يصيبك الألم وإنّما حملك محمّد ونزل بك جبرئيل». قال: فتاب زمعة بن خارجة الخارجي على يديه، وصار محبّاً لعلي (انظر زين الفتى للعاصمي: ص١٧٠ مخطوط). وقال ابن عبّاس: كانت لعلي ثماني عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمّة (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٠). وقال: والله

🡐

➔

لقد أعطي علي تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر (انظر توضيح الدلائل للسيد شهاب الدين أحمد: ص٤٢٤، وكفاية الطالب للشنقيطي: ص٥١). وقد سأله بعض الناس أي رجل كان علياً؟ قال: كان ممتليء جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله. قال ابن عبّاس: علم رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الله، وعلم علي من علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم أصحاب محمّد في علم علي إلاّ كقطرة في سبعة أبحر، فانظر كيف تفاوت الخلق في العلوم والفهوم (انظر كفاية الطالب للشنقيطي: ص٥١-٥٢). وقد سئل عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: كان أشدّنا برسول الله صلى الله عليه وآله لزوماً وأوّلنا إسلاماً (انظر أسنى المطالب للوصابي: ص٣٩). وعنه: إنّ علياً دخل على النبي صلى الله عليه وآله فقام إليه وعانقه وقبّل بين عينيه، فقال العبّاس: أتحبّ هذا يا رسول الله؟ قال: «يا عم، والله أشدّ حبّاً له منّي» (انظر كفاية الطالب للشنقيطي: ص٥١-٥٢). وقال سعيد ابن جبير: ذكر عند ابن عبّاس علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: إنّكم تذكرون رجلاً كان يسمع وطء جبرئيل فوق بيته (انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٦٥٤). ومنها ما قال سعد بن أبي وقّاص، فقد روى عبدالله بن أبي نجيح عن أبيه، قال: لمّا حجّ معاوية أخذ بيد سعد بن أبي وقّاص فقال: يا أبا إسحاق إنّا قومٌ قد أجفانا هذا الغزو عن الحجّ حتّى كدنا ننسى بعض سننه، فطف نطفّ بطوافك قال: فلمّا فرغ أدخله في دار الندوة فأجلسه معه على سريره، ثمّ ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه، قال: أدخلتني دارك وأقعدتني على سريرك ثمّ وقعت فيه تشتمه، والله لأن تكون فيّ أحد خلاله الثلاث أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون قال لي ما قال له حين رآه غزا تبوكاً، «ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي»، أحبّ إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه

➔

➔

الشمس، ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد، أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ثمّ قال لمعاوية: لا أدخل عليك داراً بعد اليوم، ثم نفض رداءه وخرج (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١١٩). قال سعد بن أبي وقّاص: إنّ أبا بكر وعمر قالا: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر وسيلة المآل للحضرمي: ص٢٣٠). وقال: لو وضع المنشار على مفرقي على أن أسبّ علياً ما سببته أبداً بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعت (انظر معارج العلى في مناقب المرتضى لمحمّد صدر العالم: ص١٩١ مخطوط). وروى مسلم في صحيحه أنّه أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: «يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان»، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبوّة بعدي؟»، وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً»، فأوتي به أرمد، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ**﴾ (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام.) وروى أيضاً أنّه دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللّهم هؤلاء أهلي» (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). قال الشيخ منصور علي ناصف: فهذه الأحاديث الثلاثة في علي لم يقلها النبي ﷺ لأحد غيره، ففيها دلالة على رفع مكانة علي عليه السلام وفي الحديث اثنتان من علامات النبوّة فعليّة وقوليّة؛ أما

🡐

➔
الفعليّة، فبصقه في عين علي وبرؤها في الحال، وأما القوليّة، فهي قوله: خذ الراية وسر إليهم فسيفتح الله عليك. وكان كذلك (انظر التاج ج٣: ص٢٩٦). قال الحارث بن مالك: أتيت مكّة فلقيت سعد بن أبي وقّاص، فقلت: هل سمعت لعلي منقبة؟ قال: قد شهدت له خمساً لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح، إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش فساربها يوماً وليلةً، ثم قال لعلي: «اتبع أبا بكر، فخذها وبلّغها» وردّ علي أبا بكر فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله أنزل فيّ شيء؟ قال: لا إلاّ خيراً، «إلاّ أنه ليس يبلّغ عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي»، أو قال «من أهل بيتي»، وقال: وكنّا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في المسجد، فنودي فينا ليلاً: ليخرج من في المسجد إلاّ آل الرسول وآل علي قال: فخرجنا نجرّ نعالنا، فلمّا أصبحنا أتى العبّاس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: يا رسول الله أخرجت أعمامك وأصحابك، وأسكنت هذا الغلام؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ما أنا أمرت بإخراجكم ولا إسكان هذا الغلام، إنّ الله هو أمر به»، وقال: والثالثة، أن نبي الله بعث عمرو سعداً إلى خيبر، فخرج سعد ورجع عمر، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله في ثناء كثير أخشى أن أحصى»، فدعا علياً فقالوا: إنّه أرمد فجيء به يقاد، فقال له: «افتح عينيك»، فقال: «لا أستطيع»، قال: فتفل في عينه من ريقه ودلكها بإبهامه وأعطاه الراية، والرابعة: يوم غدير خم قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فأبلغ، ثمّ قال: «أيّها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» ثلاث مرّات، قالوا: بلى، قال: «ادن يا علي»، فرفع يده، ورفع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يده حتّى نظرت إلى بياض ابطيه، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» - حتّى قالها - ثلاث مرّات. والخامسة من مناقبه: أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غزا على ناقته الحمراء وخلّف علياً، فنفست ذلك عليه قريش، وقالوا أنّه إنّما خلفه أنّه استثقله وكره صحبته، فبلغ
➔

➔

ذلك علياً، قال: فجاء حتّى أخذ بغرز الناقة، فقال: «زعمت قريش أنّك إنّما خلّفتني أنّك استثقلتني وكرهت صحبتني»، قال: وبكى علي قال: فنادى رسول اللهﷺ في الناس فاجتمعوا ثمّ قال: «أيّها الناس ما منكم أحدٌ إلاّ وله حامةٌ، أما ترضى يا ابن أبي طالب أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي؟». فقال علي: رضيت عن الله ورسوله. قال الكنجي: هذا حديث حسن وأطرافه صحيحة (انظر في كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٢٨٥). قال خيثمة بن عبد الرحمن: قلت لسعد بن أبي وقّاص: ما خلفك عن علي، أشيء رأيته أو سمعته من رسول الله قال: لا بل شيء رأيته، أما إنّي قد سمعت له من رسول اللهﷺ ثلاثة لو تكون واحدة لي منها أحبّ اليّ ممّا طلعت عليه الشمس ومن الدنيا وما فيها. الأولى منها: لمّا كانت غزوة تبوك خلّف رسول اللهﷺ علياً في أهله، قال فوجد علي في نفسه، فقال: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس بعدي نبوّة؟». والثانية، قال رسول اللهﷺ يوم خيبر: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، ليس بفرّار لا يرجع حتّى يفتح الله عليه»، فلمّا أصبح صلّى الفجر، ثمّ نظر في وجوه القوم فرأى علياً منكسراً في ناحية القوم يشتكي عينيه، قال: فدعاه فقال: يا رسول الله «إنّي أرمد»، قال فأخذه إليه فمسح عينيه ودعا له، قال علي: «فو الذي بعثه بالحقّ ما شكيتهما بعد»، قال: ثم أعطاه الراية، قال: فمضى بها وأتبعه الناس من خلفه، قال: فما تكامل الناس من خلفه حتّى لقى مرحب فاتقاه بالرمح فقتله، ثمّ مضى إلى الباب حتّى أخذ بحلقة الباب، ثمّ قال: «انزلوا يا أعداء الله على حكم الله وحكم رسوله وعلى كلّ بيضاء وصفراء»، قال: فجاء رسول اللهﷺ فجلس على الباب فجعل علي يخرجهم على حكم الله وحكم رسوله، فبايعهم وهو آخذ بيد رسول اللهﷺ قال: فخرج حيي بن أخطب،

🡐

فإنّه مدة وجاهته عندهم لم تصدر منه المبايعة له فحين مضت وجاهته التجأ

➔

قال: فقال لـه رسـول اللهﷺ: «برئـت منـك ذمّـة الله إذا كتمتنـي شـيئاً»، قـال: نعـم، وكانت له سقاية في الجاهلية، فقال لـه رسـول اللهﷺ: «مـا فعلـت سـقايتكم التـي كانت لكم في الجاهلية»، قال: فقال: يا رسول الله أجلينا يوم النضير فاستهلكناها لما نزل بنا من الحاجة، قال: «فبرئت منك ذمة الله وذمة رسوله إن كذّبتني»، قـال: نعـم، قال فأتاه الملك فأخبره فدعاه رسول اللهﷺ فقال: «اذهب إلى جـذوع نخلـة كـذا وكذا، فإنّه قد نقرها وجعل السقاية في جوفها»، قـال: فاسـتخرجها فجـاء بهـا، قـال: فلمّا جاء بها قال لعلي: «قم فاضرب عنقه»، قال: فقام إليه فضرب عنقه وضرب عنق ابن أبي الحقيق، وكان زوج صفية بنت حيي وكان عروساً بها، قال: فأصابها رسـول اللهﷺ. والثالثة، قال رسول اللهﷺ يوم غدير خم ورفع بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١١٨). قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد فذكروا علياً فنال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجـل رسول اللهﷺ يقول: «من كنـت مـولاه فعلـي مـولاه» وسـمعته يقـول: «أنـت منّـي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي» وسمعته يقول: «لأعطينّ الرايـة اليـوم رجلاً يحـبّ الله ورسـوله» (انظـر سـنن ابـن ماجـة ج١: ص٤٥). وقـال: قـال رسـول اللهﷺ في علي بن أبي طالب ثلاث خصال: «لأعطينّ الراية غداً رجـلاً يحـبّ الله ورسوله»، وحديث الطير وحديث غـدير خـمّ (انظـر حليـة الأوليـاء ج٤: ص٣٥٦). وإلى غيـر ذلـك ممّـا ورد مـن فـضائل مولانـا الإمـام أميـر المـؤمنين علـي بـن أبـي طالبعليه السلام على لسان الـصحابة والخلفـاء الـدالّ علـى إمامتـه وخلافتـه بعـد رسـول اللهﷺ بلافصل، ولاندري مع وجود هذه الروايات والاعترافات كيـف بـايعوا أبـا بكر وخرجوا عن طاعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فلاحظ.

إلى المبايعة[1]،

---

(١) هذا بناءً على ما رواه أهل السنّة في كتبهم (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٣ كتاب الجهاد والسير، باب قوله لا نورث ما تركناه صدقه). ولا يخفى على الباحث الخبير أنّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لن يبايع أبا بكر أبداً، وليس هناك سند تاريخي صحيح يدلّ على ذلك؛ نعم ادّعى بعض علماء السنّة أنّه عليه السلام بايع بعد شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام أو بعد ستّة أشهر كما ورد في هذه الرواية التي رواها البخاري وغيره، ولكن هو مجرّد ادّعاء لا حجّة فيها، لأنّ أخبارهم في ذلك متعارضة ومضطربة جدّاً، يظهر منها كذب القضيّة وعدم صحّتها. قال اليعقوبي في تاريخه: ولم يبايع عليّ إلاّ بعد ستّة أشهر، وقيل: أربعين يوماً (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١١٦). وقال ابن أبي الحديد: والذي يقوله جمهور المحدّثين وأعيانهم، فإنّه امتنع عن البيعة ستّة أشهر ولزم بيته فلم يبايع حتّى ماتت فاطمة عليها السلام (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٣٧). ثمّ طريق كلّ هذه الروايات تصل إلى عائشة بنت أبي بكر التي هي تروي هذه القصة المجعولة التي يشهد بكذبها كلّ ناقد بصير، وهي أيضاً قالت كما في أنساب الأشراف: لم يبايع عليّ أبا بكر حتّى ماتت فاطمة بعد ستّة أشهر (انظر أنساب الأشراف ج١: ص٢٢).

ولذلك قال الشيخ الطائفة الطوسي رحمه الله في تلخيص الشافي للسيد المرتضى علم الهدى قدس سره: ثمّ يقال لهم: قد علمنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تأخّر عن البيعة وامتنع منها علماً لا يتخالجنا فيه الشكّ، واختلف الناس مدّة تأخّرها، فمنهم من قال: ستّة أشهر، ومنهم ما قال: أربعين يوماً، منهم من قال: أقلّ أو أكثر يدلّ على إنكاره للبيعة، نسخّطه لها، فمن ادّعى أنّه بايع بعد ذلك مختاراً راضياً فعليه الدلالة، بل حتّى السنّة الذين ادّعوا أنّ عليّاً بايع فقد صرّحوا بأنّه كان مكرهاً على ذلك وساخطاً يرى

←

➔

نفسه مظلوماً (تلخيص الشافي ج١: ص٣٣). وقد ورد في رواية عن الإمام الصادقعليه السلام بيان عمليّة غصب الخلافة في السقيفة وما حدث في أخذ البيعة لأبي بكر، وإليك نص الحديث: قال الإمام الصادقعليه السلام: « فأفحم أبو بكر على المنبر حتّى لم يحر جواباً، ثم قال: وليتكم ولست بخيركم! أقيلوني أقيلوني! فقال عمر بن الخطّاب: انزل عنها يا لكع! إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك واجعلها في سالم مولى أبي حذيفة. قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول اللهصلى الله عليه وآله، فلمّا كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل، وقال لهم: ما جلوسكم؟ فقد طمع فيها والله بنو هاشم، وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع رجل رجل حتّى اجتمع أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين أسيافهم يقدّمهم عمر ابن الخطّاب حتّى وقفوا بمسجد النبيصلى الله عليه وآله، فقال عمر: والله يا صحابة علي، لئن ذهب الرجل منكم يتكلّم بالذي تكلّم به بالأمس لنأخذنّ الذي فيه عيناه. فقام إليه خالد ابن سعيد بن العاص وقال: يا ابن صهّاك الحبشية! أبأسيافكم تهدّدونا؟ أم بجمعكم تفزعونا؟ والله إنّ أسيافنا أحدّ من أسيافكم، وإنّا لأكثر منكم وإن كنّا قليلين لأنّ حجّة الله فينا، والله لولا أنّي أعلم أن طاعة إمامي أولى بي لشهرت سيفي ولجاهدتكم في الله إلى أن أبلي عذري. فقال له أمير المؤمنين: اجلس يا خالد، فقد عرف الله مقامك وشكر لك سعيك، فجلس وقام إليه سلمان الفارسي وقال: الله أكبر! الله أكبر! سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله وإلا صمتا، يقول: بينا أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه، إذ يكبسه جماعة من كلاب أهل النار يريدون قتله وقتل من معه، ولست أشكّ إلاّ وأنّكم هم! فهم به عمر بن الخطّاب

➔

➔

فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ بمجامع ثوبه ثمّ جلد به الأرض، ثمّ قال: يا ابن صهّاك الحبشيّة! لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله تقدّم لأريتك أينا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً، ثمّ التفت إلى أصحابه، فقال: انصرفوا رحمكم الله، فوالله لا دخلت المسجد إلاّ كما دخل أخواي موسى وهارون، إذ قال له أصحابه: اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، والله لا أدخل إلاّ لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله أو لقضية أقضيها، فإنّه لا يجوز لحجّة أقامه رسول الله صلى الله عليه وآله أن يترك الناس في حيرة» (انظر الاحتجاج للطبرسي ج١: ص٩٧). ولا بأس بنقل ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في الخصال أيضاً، فإنّه روى بإسناده عن زيد بن وهب قال: كان الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة وتقدّمه على علي ابن أبي طالب عليه السلام اثني عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، كان من المهاجرين: خالد ابن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وأبي بن كعب، وعمّار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن مسعود، وبريدة الأسلمي، وكان من الأنصار: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان، وغيرهم. فلمّا صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره، فقال بعضهم: هلا نأتيه فننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾، ولكن امضوا بنا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام نستشيره ونستطلع أمره فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين ضيعت نفسك وتركت حقّاً أنت أولى به وقد أردنا أن نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ الحقّ حقّك وأنت أولى بالأمر منه، فكرهنا أن ننزله من دون مشاورتك، فقال لهم علي عليه السلام: «لو فعلتم ذلك ما كنتم إلاّ حرباً لهم، ولا كنتم إلا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد، وقد اتّفقت عليه الأمّة التاركة لقول نبيّها

←

➔

والكاذبة على ربّها، ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلاّ السكوت، لما يعلمون من وغر صدور القوم وبغضهم لله عزّ وجلّ ولأهل بيت نبيّه، وإنّهم يطالبون بثارات الجاهليّة، والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدّين للحرب والقتال كما فعلوا ذلك حتّى قهروني وغلبوني على نفسي ولببوني وقالوا لي: بايع وإلاّ قتلناك، فلم أجد حيلة إلا أن أدفع القوم عن نفسي، وذلك: أنّي ذكرت قول رسول الله ﷺ: يا علي! إن القوم نقضوا أمرك واستبدّوا بها دونك وعصوني فيك فعليك بالصبر حتّى ينزل الله الأمر، ألا وإنهم سيغدرون بك لا محالة فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذ لا لك وسفك دمك، فإن الأمّة ستغدر بك بعدي، كذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربي تبارك وتعالى ولكن ائتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم ولا تدعوه في الشبهة من أمره ليكون ذلك أعظم للحجّة عليه، وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربّه وقد عصى نبيّه وخالف أمره»، قال: فانطلقوا حتّى حفوا بمنبر رسول الله ﷺ يوم جمعة، فقالوا للمهاجرين: إنّ الله عزّ وجلّ بدأ بكم في القرآن، فقال: ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ**﴾، فبكم بدء فكان أوّل من بدأ، وقام خالد بن سعيد بن العاص بإدلاله ببني أمية فقال: يا أبا بكر اتّق الله! قد علمت ما تقدّم لعلي من رسول الله ﷺ، ألا تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال لنا ونحن محتوشوه في يوم بني قريظة وقد أقبل على رجال منا ذوي قدر، فقال: «معاشر المهاجرين والأنصار! أوصيكم بوصية فاحفظوها، وإنّي مود إليكم أمراً فاقبلوه، ألا إنّ علياً أميركم من بعدي وخليفتي فيكم، أوصاني بذلك ربّي وربّكم وإنّكم إن لم تحفظوا وصيّتي فيه وتؤوه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم وولي عليكم الأمر شراركم، ألا وإنّ أهل بيتي هم الوارثون أمري القائمون بأمر أمّتي، اللّهم فمن حفظ فيهم وصيّتي فاحشره في زمرتي واجعل له من مرافقتي نصيباً يدرك به فوز

➔

➔

الآخرة، اللّهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنّة التي عرضها السماوات والأرض»، فقال له عمر ابن الخطّاب: اسكت يا خالد! فلست من أهل الشورى ولا ممّن يرضى بقوله، فقال خالد: بل اسكت أنت يا ابن الخطّاب! فوالله إنّك لتعلم أنك لتنطق بغير لسانك وتعتصم بغير أركانك، والله إن قريشاً لتعلم أنك ألأمها حسباً وأقلّها أدباً وأخملها ذكراً وأقلّها غناءً عن الله عزّ وجلّ وعن رسوله، وأنّك لجبان عند الحرب، بخيل في الجدب، لئيم العنصر، ما لك في قريش مفخر. قال: فأسكته خالد فجلس، ثمّ قام أبوذر رحمه الله فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أمّا بعد، يا معاشر المهاجرين والأنصار، لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الأمر لعلي عليه السلام بعدي، ثمّ للحسن والحسين، ثمّ في أهل بيتي من ولد الحسين عليهم السلام»، فاطر حتم قول نبيكم وتناسيتم ما أوعز إليكم واتّبعتم الدنيا وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لا يهدم بنيانها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموت سكّانها، وكذلك الأمم التي كفرت بعد أنبيائها بدّلت وغيّرت، فحاذيتموها حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل، فعمّا قليل تذوقون وبال أمركم وما الله بظلاّم للعبيد. ثمّ قام سلمان الفارسي رحمه الله فقال: يا أبا بكر! إلى من تستند أمرك إذا نزل بك القضاء؟ وإلى من تفزع إذا سئلت عمّا لا تعلم؟ وفي القوم من هو أعلم منك وأكثر في الخير أعلاماً ومناقب منك، وأقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله قرابة وقدمة في حياته، وقد أوعز إليكم فتركتم قوله وتناسيتم وصيّته، فعمّا قليل يصفو لك الأمر حين تزور القبور وقد أثقلت ظهرك من الأوزار، لو حملت إلى قبرك لقدمت على ما قدمت، فلو راجعت الحقّ وأنصفت أهله لكان ذلك نجاة لك يوم تحتاج إلى عملك وتفرد في حفرتك بذنوبك، وقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا، فلم يردعك ذلك عمّا أنت له فاعل، فالله الله! في نفسك، فقد أعذر من أنذر. ثمّ قام المقداد بن

➔

➔

الأسود رحمه الله فقال: يا أبا بكر! اربع على نفسك، وقس شبرك بفترك، والزم بيتك، وابك على خطيئتك، فإنّ ذلك أسلم لك في حياتك ومماتك، وردّ هذا الأمر إلى حيث جعله الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله، ولا تركن إلى الدنيا، ولا يغرّنّك من قد ترى من أوغادها، فعمّا قليل تضمحل دنياك، ثمّ تصير إلى ربك فيجزيك بعملك، وقد علمت أن هذا الأمر لعلي وهو صاحبه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نصحتك إن قبلت نصحي. ثمّ قام بريدة الأسلمي فقال: يا أبا بكر! نسيت أم تناسيت أم خادعتك نفسك؟ أما نذكر إذ أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله فسلّمنا على علي بإمرة المؤمنين ونبيّنا بين أظهرنا؟ فاتّق الله ربّك وأدرك نفسك قبل أن لا تدركها وأنقذها من هلكتها ودع هذا الأمر وكلّه إلى من هو أحقّ به منك، ولا تماد في غيّك، وارجع وأنت تستطيع الرجوع، وقد منحتك نصحي وبذلت لك ما عندي، وإن قبلت وفقت ورشدت. ثمّ قام عبد الله بن مسعود فقال: يا معشر قريش! قد علمتم وعلم خياركم أن أهل بيت نبيّكم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منكم، وإن كنتم إنّما تدعون هذا الأمر بقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وتقولون: إنّ السابقة لنا، فأهل بيت نبيّكم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منكم وأقدم سابقة منكم، وعلي بن أبي طالب صاحب هذا الأمر بعد نبيّكم، فاعطوه ما جعله الله له، ولا ترتدّوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين. ثمّ قام عمار بن ياسر رحمه الله فقال: يا أبا بكر! لا تجعل لنفسك حقّاً جعله الله عزّ وجلّ لغيرك، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله وخالفه في أهل بيته، واردد الحقّ إلى أهله يخف ظهرك ويقل وزرك وتلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنك راض، ثمّ تصير إلى الرحمن فيحاسبك بعملك ويسألك عمّا فعلت. ثمّ قام خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال: يا أبا بكر! ألست تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قال: نعم، قال: فأشهد بالله أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أهل بيتي

➔

وهم جميعاً عالمون بأنّ المتقدم على العترة هالك والمتأخّر عنهم هالك[1]،

➔

يفرّقون بين الحقّ والباطل وهم الأئمة الذين يقتدى بهم». ثمّ قام أبو الهيثم بن التيهان فقال: أنا أشهد على النبي أنّه أقام علياً، فقالت الأنصار: ما أقامه إلاّ للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلاّ ليعلم الناس أنه ولي من كان رسول الله صلى الله عليه وآله مولاه، فقال عليه السلام: «إن أهل بيتي نجوم أهل الأرض فقدموهم ولا تقدّموهم». ثمّ قام سهل بن حنيف فقال: أشهد أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال على المنبر: «إمامكم من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أنصح الناس لأمّتي». ثم قام أبو أيّوب الأنصاري فقال: «اتّقوا الله في أهل بيت نبيّكم، وردّوا هذا الأمر إليهم»، فقد سمعتم كما سمعنا في مقام بعد مقام من نبي الله صلى الله عليه وآله إنّهم أولى به منكم، ثمّ جلس. ثمّ قام زيد بن وهب فتكلّم. وقام جماعة بعده، فتكلّموا بنحو هذا... (انظر الخصال للشيخ الصدوق: ص٤٦١). وهناك روايات كثيرة، وهي دالّة على عدم بيعة الإمام عليه السلام لم نذكرها رعايةً للاختصار. فالروايات الدالّة على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لن يبايع أبا بكر كثيرة جداً رواها الفريقين، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى بعض فقرات حديث الثقلين وهو قوله صلى الله عليه وآله: «فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا»، فقد أخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي لكم فرط وإنّكم واردون عليّ الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين»، فقام رجل فقال: يا رسول الله، وما الثقلان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به لن تزالوا ولا تضلّوا، والأصغر عترتي، وإنّهم لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض وسألت لهما ذاك ربي فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تعلّموهما

➔

➔

فإنّهما أعلم منكم» (انظر المعجم الكبير ج٣: ص٦٦)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٤، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١: ص١٨٦، وغيرهم. قال السخاوي في الاستجلاب بعد نقل الحديث ما هذا نصّ عبارته: وناهيك بهذا الحديث فخراً لأهل بيت النبيﷺ، لأنّ قولهﷺ «انظروا كيف تخلفوني، وأوصيكم بعترتي خيراً، وأذكّركم الله في أهل بيتي»، على اختلاف الألفاظ في الروايات التي أوردتها يتضمّن الحثّ على المودّة لهم والاحسان إليهم والمحافظة بهم واحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمستحبّة، فإنهم من ذرّية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيّما إذا كانوا متّبعين للسنّة النبويّة الصحيحة الواضحة الجليّة، كما كان عليه سلفهم كالعبّاس وبنيه وعلي وأهل بيته وذرّيته عليهم السلام. وكذا يتضمّن تقديم المتأهّل منهم للولاية على غيرهم، بل وفي قولهﷺ - كما تقدّم - «لا تقدّموها فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم» إشارة إلى ما جاءت الأحاديث الصحيحة من كون الخلافة في قريش ووجوب الانقياد لهم فيما لا معصية فيه. فلينظر كيف لا يعترف (الدهلوي) بتعلّق حديث الثقلين بموضوع الخلافة؟ ولا بدّ هنا من التنبيه على أن ما ادعاه السخاوي من أن قولهﷺ: «لا تقدّموهما فتهلكوا» إشارة إلى كون الخلافة في قريش لا وجه له إذ لا ذكر لقريش في حديث الثقلين، وإنّما جاء بحق أهل البيت عليهم السلام منهم خاصّة، على أنّه قد تقدّم أن مرادهﷺ من قوله الأئمة من قريش أي: من أهل بيته عليهم السلام على وجه الخصوص وهم سادات قريش إجماعاً (استجلاب ارتقاء الغرف: مخطوط). وقال ابن حجر بعد أن صرّح بمثل كلام السخاوي المتقدّم: وفي قولهﷺ: «لا تقدّموهما فتهلكوا...» دليل على أن من تأهّل منه في المراتب العلية والوظائف

🡐

والمبغض لهم منافق[(١)] وهل من يحبّهم يتقدّم ويتأمّر عليهم ويغصب منهم

➔

الدينيّة كان مقدّما على غيره، ويدلّ له التصريح بذلك في كلّ قريش كما مرّ في الأحاديث الواردة فيهم، وإذا ثبت هذا لجملة قريش فأهل البيت النبوي الذين هم غرّة فضلهم ومحتدّ فخرهم، والسبب في تميزهم على غيرهم بذلك أحرى وأحقّ وأولى (الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وإلى غير ذلك من أقوالهم في شرح هذه الفقرة من الحديث الدالّ على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وأهل البيت عليهم السلام، إذ قوله صلى الله عليه وآله «انظروا كيف تخلفوني، وأوصيكم بعترتي خيراً، وأذكّركم الله في أهل بيتي» يدلّ بالصراحة على وجوب اتباعم وجوب تأدية حقوقهم. وبعد هذا كله كيف جاز لأبي بكر أن يتقدّم على من هو مقدّم عليه؟!!

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات المتواترة التي رواها علماء الإسلام بأسناد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ حبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان والتقوى وبغضه علامة نفاق والكفر. فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّي صلى الله عليه وآله إلى أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب أنّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٨٤، وابن ماجة في سننه ج١: ص٤٢، والنسائي في سننه ج٨: ص١١٧، وفي كتابه فضائل الصحابة: ص١٧، وفي سننه الكبرى ج٥: ص٤٧، وفي كتابه خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ص١٠٤، وابن أبي شيبة في المصنف ج٧: ص٤٩٤، وابن أبي عاصم في السنّة: ص٥٨٤، وأبو يعلى

←

حقّهم؟!![1]

➔

الموصلي في مسنده ج١: ص٢٤٧، وابن حبّان في صحيحه ج١٥: ص٢٦٧، وابن عبد البرّ في الاستيعاب ج٣: ص١١٠٠، وفي الاستذكار ج٨: ص٤٤٦، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٨٩ وغيرهم. ولو أمعنا النظر في مضامين هذه الرواية لانتبهنا إلى ما ورد الكتاب والسنّة في خصائص المؤمنين والمنافقين؛ وكانت هذه الخصائص واضحة للصحابة، ولذلك روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي ذر أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين الا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالبعليه السلام، ثمّ قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (انظرالمستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٩). وبهذه النصوص يمكننا نميّز بين المؤمن من الصحابة ومنافقهم ؛ حيث أنّ هذه الرواية جعلت محبّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علامة ومعياراً وميزاناً للأيمان . وبغضه علامة للنفاق والكفر. وقال النووي في شرح الحديث: وعرف من الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام قربه من رسول اللهصلى الله عليه وآله وحبّ النبيصلى الله عليه وآله له وما كان منه من نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ولهذا كان ذلك من دلائل صحّة الإيمان وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسولهصلى الله عليه وآله ومن أبغضه كان بضدّ ذلك، واستدلّ به على نفاقه وفساد سريرته والله أعلم (شرح صحيح مسلم للنووي ج٢: ص٦٥). وعليه إذا كان الأمر كذلك كيف جاز لأبي بكر ان يتقدّم على من كان حبّه علامة الإيمان وبغضه علامة الكفر، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ من آثار الحبّ الحقيقي الاستجابة للمحبوب واتّباعه وطاعته، لأنّ الحبّ ليس بالعلاقة القلبيّة فحسب، بل تظهر آثاره في عمل الإنسان، فمن يدّعي

➔

➔

حبّ الله فعليه أوّلاً اتّباع الله ورسولهﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ (سورة آل عمران:٣١)، وفي الواقع أنّ من آثار الحبّ الطبيعيّة انجذاب المحبّ نحو المحبوب والاستجابة له. ولذلك قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «من ادّعى حبّنا وهو لا يعمل بقولنا فليس منّا ولا نحن منه، أما سمعوا قول الله تعالى يقول مخبراً عن نبيّه: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾؟» (انظر ارشاد القلوب للديلمي ج١: ص٧٠). وقال رسول اللهﷺ حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق والكفر (انظر صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب أنّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من الإيمان). ومع وجود هذه الأدلّة والنصوص والروايات تجد كيد الماكرين وعداء المعادين لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وما تحمّلهعليه السلام من أعدائه الغاصبين لحقوقه وحقوق أهل البيتعليهم السلام، وكانعليه السلام يصبر على أذيتهم صبراً فوق طاقة البشر ، فقال في خطبته المعروفة بالشقشقية: «فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً» حيث أنّ حكام الجور وأعوانهم باشروا العداء للإمامعليه السلام بكل قوّة والقدرة والسطوة، فقرّبوا أعداء أهل البيتعليهم السلام، إلى السلطة الحاكمة، وأعطوهم المناصب والقدرة وأبعدوا أولياء الله عن حقوقهم وأعلنوا بذلك أعلى مراتب بغضهم للإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام وجروا الويلات وأثاروها حروبا دامية والفتن السارية، فلم تزل عداء محتدماً تتلقّاها الأجيال من بعدهم، لأنّ الناس على دين ملوكهم. وممّا يشهد على ذلك ما قاله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في خطبته عندما أراد المسير إلى البصرة فقالعليه السلام: «إن الله لمّا قبض نبيّهﷺ استأثرت علينا قريش

➔

فأيّ شيء منكر صدر بعد موتها ممّن يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله حسبما روياه في الصحيحين حتّى يستنكره الصحابة؟!![1]

بالأمر ودفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من الناس كافّة، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم، والناس حديث وعهد بالإسلام، والدين يمخض مخض الوطب يفسده أدنى وهن ويعكسه أقلّ خلق، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً، ثمّ انتقلوا إلى دار الجزاء والله ولي تمحيص سيآتهم والعفوّ عن هفواتهم» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٣٠٨). وعليه كيف يمكن للعدو الذي يريد القضاء على طرفه المقابل أن يكون محبّاً له؟!!!

(١) لا يخفى على الخبير الباحث لو تأمل في الرواية التي أخرجها البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن عائشة أنّها قالت: إنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورّث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمد في هذا المال وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفّيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر (صحيح البخاري ج٥: ص٨٣ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٣ كتاب الجهاد

➔

والسير، باب قوله لا نورّث ما تركناه صدقة). فإنّه سوف يختلج إلى باله أنّه مع ما كانت الصحابة تعرف عظمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام للنصوص الواردة في حقّهم، لماذا استنكر الناس الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟!! فالسؤال الذي يتوجّه هنا إلى أهل السنّة حسب هذه الرواية الواردة في الصحيحين هو أنّه أيّ شيء صدر من مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام حتّى يستنكره الصحابة؟ ولماذا استنكر الصحابة من يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله حسب ما ورد في النصوص الصحيحة عند أهل السنّة والجماعة؟ وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي عليه السلام تخلّف عن النبي صلى الله عليه وآله في خيبر وكان به رمد فقال: أنا أتخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله، فلمّا كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الراية» أو قال: «ليأخذنّ غداً رجل يحبّه الله ورسوله» أو قال: «يحبّ الله ورسوله يفتح الله عليه» فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله ففتح الله عليه (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٢ كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وآله، باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وآله، وصحيح مسلم ج٥: ص١٩٥ كتاب الجهاد والسير، باب قول الله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ...**﴾ الآية). ولا يخفى على من درس هذه الروايات والتأريخ دراسة علميّة خالية عن التعصّب يعلم علم اليقين بأنّ استنكار الصحابة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان من جهة انقلاب الأمّة على النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام؛ إذ قد انحرفت الأمّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عن خط الرسالة التي رسمه الله ورسوله صلى الله عليه وآله لهم، فانقلبوا على أعقابهم القهقهرى وخرجوا عن طاعة الله

🡐

➔

ورسوله صلى الله عليه وآله وعن خطّ الرسالة الإلهيّة، فخالفوا وصية رسول الله صلى الله عليه وآله في ما أمرهم بالتمسّك بالثقلين فوقعوا في الفتن والهلكات والضلالات والانحرافات، وقد سجّل التاريخ نتائج هذه الانحرافات من الهجوم على دار الزهراء عليها السلام وإعصارها بين الحائط والباب كسر ضلعها وإسقاط جنينها وضربها على وجهها وانتهاك حرمتها التي طالما أكّد رسول الله صلى الله عليه وآله على حفظ شأنها ورعاية حرمتها، حيث قال صلى الله عليه وآله: «إنّ ابنتي فاطمة روحي التي بين جنبي وإنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص٥٧). ولكن ما إن ارتحل رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى عاد القوم إلى سجيّتهم الأولى وتحقّق وعد الله في القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤). فانقلب القوم على أعاقابهم ولم يحفظوا وصية نبيّهم صلى الله عليه وآله ولم يتمسّكوا بالعترة الطاهرة عليهم السلام بل هتكوا حرمة ذلك البيت العظيم وقتلوا أهل بيته وذريّته والتاريخ شاهد على ذلك. فكان لفاطمة الزهراء عليها السلام الدور الرئيس في تلك الفترة المهمة، فلم تسكت عن ظلم الغاصبين وأصحاب السقيفة. وحيث أنّها وجدت أنّ القوم خرجوا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله بمخالفتهم لأسس الدين وقواعده. ولمّا وجدوا أنّ الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت أهمّ صرخة معارضة للخلافة الجائرة؛ فكان لا بدّ لهم من محاولة إسكات هذه الصرخة التي صدرت من بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وفجّرت الأحداث الساخنة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله كما تذكرها كتب التاريخ والسير. وكانت تنادي بخلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وفي مقابلها رؤساء الظلمة الغاصبين لحقّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في السقيفة قاموا بتولية

➔

وهل يستنكر مسلم شخصاً هذه صفته الشريفة، وقد جعله خيرالرسل صلى الله عليه وآله أخاه دون غيره من الصحابة[1]،

➔

أبي بكر وارتكبوا أكبر الإجرام بتجاهر العدوان على النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، وكانوا لايبالون من المخالفة الصريحة للقرآن الكريم والسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله المتّفقة بين جميع المسلمين. فالأحداث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله أخذت بُعداً آخر لحلقات الصراع بين أصحاب السقيفة وأهل البيت عليهم السلام، وكان بيت فاطمة عليها السلام هو ملتقى المعارضة، يقول ابن قتيبة في تاريخه: إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعة في دار علي وفاطمة عليهما السلام، فأبوا أن يخرجوا فدعا عمر بالحطب يريد منهم أن يبايعوا بالإكراه والقوّة، وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها... (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ص١٢-١٣). إذن ما بال الصحابة الذين استنكروا مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام؟ ولماذا استنكروا من يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله حسب ما ورد في نصوصهم الصحيحة ؟!!

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث المؤاخاة الذي رواه علماء الإسلام بأسناد صحيحة فرواه كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم وتاريخهم، وهو بالغ عن حدّ التواتر، فأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن ابن عمر قال: لمّا ورد رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة آخى بين أصحابه، فجاء علي عليه السلام تدمع عيناه فقال: «يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٤). وأخرجه الترمذي في سننه بسنده عن ابن عمر قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال: «يا رسول الله آخيت

➔

➔

بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد»، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» (سنن الترمذي ج٥: ص٣٠٠). وأخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن جميع بن عمير عن ابن عمر قال: يسرّك أن أحدّثك عن علي؟ قلت: نعم، قال: إنّا جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال: «لأعطينّ الراية اليوم رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، ادعوا لي علياً» فقال بعض القوم: يا رسول الله، إنّه أرمد ما يبصر شيئاً، فجاء به غلام يقوده حتّى أقامه بين يديه فتفل في عينيه وأعطاه الراية فسرنا مع علي وبيعة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فوالذي نفسي بيده ما صعد آخرنا حتّى فتح الله على أوّلنا. ثمّ قال: أحدّثك عن علي؟ قلت: نعم، قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه وآخى بين أبي بكر وعمر وبين فلان وفلان حتّى بقي علي وكان رجلاً شجاعاً ماضياً على أمره إذا أراد شيئاً، فقال: «يا رسول الله بقيت أنا»، فقال: «أما ترضى أن أكون أخاك؟» قال: «بلى»، قال: «فأنت أخي في الدنيا والآخرة» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٩٦). وأخرج القندوزي الحنفي في كتابه ينابع المودة بإسناده عن عمر بن الخطّاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عقد المؤاخاة بين أصحابه، وقال: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي ووصيي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، ما له منّي مالي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني (ينابيع المودة ج٢: ص٢٨٩). وأخرج محمد بن سليمان الكوفي في كتابه المناقب بسنده عن عبد الله ابن أبي أوفى قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً أصحابه فقال: أشاهد فلان بن فلان؟ ادعو لي فلاناً، فدعوا حتّى اجتمعوا عنده فقال: «إنّي أريد أن أصطفى منكم وأواخي بينكم كما آخى الله بين الملائكة»، ثمّ نظر في وجوههم ثمّ قال: «الحمد لله الذي يهدي من الضلالة على ما يشاء» ثمّ قال: «اعلموا وأبشروا»، ثمّ آخا بين

←

➔
أبي بكر وعمر وبين فلان وفلان حتّى عدد كذا وكذا، قال: فقام عليعليه السلام فقال: «يا رسول الله انقطع ظهري وساء ظنّي حين صنعت بأصحابي ما لم تصنع بي! فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده ما أخرتك إلا لنفسي، فأنت منّي بمنزلة هارون من موسى وإنّك أخي ووصيي ووارثي»، قال عليعليه السلام: «يا رسول الله وما أرث منك؟ قال: «ما ورث النبيّون قبلي»، قال عليعليه السلام: وما ورث النبيّون قبلك؟ قال: «ورثوا كتاب ربّهم وسنّتهم وإنّك وابنيك معي في قصري في الجنّة» (المناقب ج١: ص٢١٦). وقال ابن عبد البر في الإستيعاب: وروينا من وجوه عن عليّعليه السلام أنّه كان يقول: «أنا عبد الله، وأخو رسول الله، لا يقولها أحد غيري إلا كذّاب». قال أبو عمر: آخى رسول اللهصلى الله عليه وآله بين المهاجرين بمكّة، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بالمدينة، وقال في كل واحدة منهما لعلي: «أنت أخي في الدنيا والآخرة، وآخى بينه وبين نفسه» (الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١٠٩٩). وقال العيني في كتابه عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: وكنية علي: أبو الحسن وكنّاه رسول الله (عليه الصلاة والسلام) "أبا تراب"، وهو أخو رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بالمؤاخاة، وقال له: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» (عمدة القاري ج٢: ص١٤٧). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم، وقد أخرج العلامة الأمينيقدس سره في كتابه الغدير حديث المؤاخاة عن خمسين مصدراً من مصادر أهل السنّة (انظر الغدير ج٣: ص١١٥-١٢٤). فحديث المؤاخاة ورد بطرق عديدة ، وقد رواه العشرات من الصحابة والتابعين. وعليه كيف يمكن للصحابة أن يستنكر شخصية يمتاز بهذه الخصوصية العظيمة التي خصصها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام دون غيره من الصحابة. فالباحث لو تأمل في الحديث وعرف منزلة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومقامه عند الله
➔

وجعله منه بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام في غير النبوة[1]، وجعل محبّه مؤمناً

➔

ورسوله صلى الله عليه وآله يعرف أنّ من استنكره من الصحابة إنّما هو انقلب على عقبه وخرج عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وهناك شواهد أخرى تدلّ على المقام سنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث المنزلة الذي أخرجه كبار علماء أهل السنّة في كتبهم فأخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟» (صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم) ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن المسيّب عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي» (صحيح مسلم ج٨: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)؛ ويمتاز هذا الحديث عن كثير من الأحاديث من أنّه مورد اتّفاق جميع علماء أهل السنّة. قال ابن عبد البر في الاستيعاب: هو (حديث المنزلة) من أثبت الأخبار وأصحّها، قال: وطرق حديث سعد بن أبي وقّاص كثيرة جدّاً فذكر عدّة من الصحابة الذين رووا هذا الحديث، ثمّ قال: وجماعة يطول ذكرهم (انظر الاستيعاب لابن عبد البرّ ج٢: ص١٠٩٧). وقال ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري بعد ذكر جماعة من الصحابة الذين رووا حديث المنزلة قائلاً: وقد استوعب طرقه ابن عساكر في ترجمة علي عليه السلام (انظر فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٧: ص٦٠). وقال الخطيب البغدادي في تاريخة: هذا حديث دخل في حدّ التواتر (انظر تاريخ بغداد ج٧: ص٣٨٧). فالحديث من حيث السند في أعلى درجة الصحّة، ومن حيث الدلالة يدلّ بوضوح على إمامة

➔

مبغضه منافقاً[1]،

➔

مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فالباحث إذا درس معطيات الحديث بموضوعيّة وتجرّد عن العصبيّة سوف يذعن بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّ الحديث فيه دلالة واضحة على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام له جميع صفات النبي صلى الله عليه وآله سوى نزول الوحي عليه، لأنّ العموم والإطلاق يقتضيان وجود جميع منازل رسول الله صلى الله عليه وآله في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلاّ ما خرج بالدليل. ومن يكون كذلك فهو أولى بالخلافة من غيره فكيف استنكره الصحابة؟!!!

(١) هذه العبارة إشارة إلى الرواية المتواترة التي رواها علماء الإسلام بأسناد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ومدلولها : أنّ حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان والتقوى وبغضه علامة نفاق والكفر، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمّي صلى الله عليه وآله إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب أنّ حب الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٨٤، وابن ماجة في سننه ج١: ص٤٢، والنسائي في سننه ج٨: ص١١٧، وفي كتابه فضائل الصحابة: ص١٧، وفي سننه الكبرى ج٥: ص٤٧، وفي كتابه خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ص١٠٤، وابن أبي شيبة في المصنف ج٧: ص٤٩٤، وابن أبي عاصم في السنّة: ص٥٨٤، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص٢٤٧، وابن حبّان في صحيحه ج١٥: ص٢٦٧، وابن عبد البرّ في الاستيعاب ج٣: ص١١٠٠، وفي الاستذكار ج٨:

➔

➔

ص٤٤٦، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٨٩ وغيرهم. ولو أمعنا النظر في مضامين هذه الرواية، وتأمّلنا فيها لوجدنا المقصود بالإيمان والنفاق فيها نفس حقيقة الإيمان والنفاق في القرآن الكريم. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ (سورة البيّنة:٧). وقد وردت الروايات في تفسير الآية بأنّ المقصود من خير البرية هو الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام وشيعته. فقد أخرج السيوطي في تفسيره عن ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبيصلى الله عليه وآله فأقبل علي، فقال النبيصلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» ونزلت ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ**﴾ فكان أصحاب النبيصلى الله عليه وآله إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البريّة. وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: «علي خير البرية». وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لمّا نزلت ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ**﴾ قال رسول اللهصلى الله عليه وآله لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين». وأخرج ابن مردويه عن علي قال: قال لي رسول اللهصلى الله عليه وآله: «ألم تسمع قول الله ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ**﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جئت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجلين» (الدر المنثور للسيوطي ج٦: ص٣٧٩). ومع وضوح أنّ التقوى معيار للهداية كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ (سورة البقرة:٢). فإنّ القرآن هداية للبشريّة جمعاء، فلماذا خصت الآية الكريمة المتّقين بهذه الهداية؟ فإنّ السبب هو أنّ الإنسان لا يتقبّل هداية الكتب السماويّة ودعوة الأنبياء ما لم يصل إلى مرحلة معينة من التقوى مرحلة التسليم أمام الحقّ وقبول ما ينطبق مع العقل والفطرة. وبعبارة أخرى: الأفراد الفاقدون للإيمان على

➔

←

قسمين: قسم يبحث عن الحقّ، ويحمل مقداراً من التقوى يدفعه لأن يقبل الحقّ أنى وجده. وقسم لجوج متعصّب قد استفحلت فيه الأهواء، لا يبحث عن الحقّ، بل يسعى في إطفاء نور الحق حيثما وجده. ومن المسلّم به أنّ أفراد القسم الأول هم الذين يستفيدون من القرآن أو أي دليل وحجة أخرى ليعرف الحق، ثم يأخذ به. وأمّا القسم الثاني فلا حظّ لهم في ذلك. حيث أنّه لا يريد الوصول إلى الحق ، وإنّما هدفه القضاء عليه. ومن هنا يعرف أنّه كيف يكون حب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان، وبغضه علامة النفاق، لأنّ من كان قلبه مركزاً للإيمان حقيقةً فهو يحب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لكونه في أعلى درجة الإيمان والتقوى، ولذلك صار حب الإمام عليه السلام علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق. فإنّ المعنى النفاق في القرآن هو التظاهر بالإسلام، وفي الباطن حقيقةً يكون كافراً . ويعبّرعنه بالنفاق العقائدي، كما قال تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشهَدُ إِنَّ الْمُنافقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ (سورة المنافقون:١-٢). وهذه العلامة كانت فيمن يبغض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولذلك روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي ذر أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٩). وبهذه النصوص المعتبرة يمكننا أن نعرف إيمان جميع المسلمين من الصدر الأوّل وإلى يوم القيامة، حيث أنّ هذه الروايات قد جعلت الميزان والمعيار لمعرفة المؤمن الحقيقي عن المنافق الذي يظهر الإسلام فقط. وعليه فإنّ إيمان كل أحد له لوازم، ومن لوازمه الطاعة المطلقة

←

وجعل الحقّ يدور معه حيث يدور[1]، وجعله أحبّ الخلق إلى الله وإليه في

➔

لله ورسوله صلى الله عليه وآله وإذا كان حب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة للإيمان معناه أنّ الطاعة المطلقة لله ورسوله صلى الله عليه وآله ملازم لحبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنّ النصوص أكّدت على أنّ حبّه عليه السلام علامة الإيمان. ومن هنا يعرف أنّه إذا كانت الطاعة المطلقة لله ورسوله صلى الله عليه وآله علامة الإيمان القلبي، فإنّ ابرازه في الخارج يكون بسبب حب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وبعبارة أوضح أنّ الطاعة المطلقة لله ورسوله صلى الله عليه وآله وحبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تعدان معياراً وميزاناً خاصاً للأيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله، وإنّ عدم الطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وآله يعرف من العداء والبغض لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فالحبّ والبغض لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامتان لمعرفة المؤمن عن المنافق. ولذلك قال النووي في شرح الحديث: وعرف من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وحبّ النبي صلى الله عليه وآله له وما كان منه من نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ولهذا كان ذلك من دلائل صحّة الإيمان وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الاسلام والقيام بما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ومن أبغضه كان بضدّ ذلك واستدلّ به على نفاقه وفساد سريرته والله أعلم (شرح صحيح مسلم للنووي ج٢: ص٦٥). وعليه إذا كان الأمر كذلك كيف استنكر الصحابة من كان حبّه علامة الإيمان وبغضه علامة الكفر والنفاق؟ فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام بطرق عديدة وأسانيد صحيحة وألفاظ متقاربة عن النبي صلى الله عليه وآله، فرواه الترمذي في سننه بسنده عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار»

➔

حديث الطير المشوي[١]،

➔

(انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص١٢٤، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص٤١٩ ح٥٥٠، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، وغيرهم. وقال الشوكاني: «اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» ومن ثمّ كان أقضى الصحابة وأفاد ندب شكر المحسن والاعتراف له في الملأ والمحافل والمجامع، وليس ذلك تنقيصاً لقدر الشاكر بل تعظيماً له لظهور اتّصافه بالإنصاف والمكافأة بالجميل (فيض القدير ج٤: ص٢٥). وقال الفخر الرازي في الحجة الخامسة من المباحث في "بسم الله الرحمن الرحيم": روى البيهقي في السنن الكبير عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم، ثمّ إن الشيخ البيهقي روى الجهر عن عمر بن الخطّاب، وابن عبّاس، وابن عمر، وابن الزبير، وأمّا أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وآله: «اللّهم أدر الحقّ مع علي حيث دار» (انظر تفسيرالفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وإلى غير ذلك من علماء أهل السنّة ممّن رووا هذا الحديث. وعليه كيف يتصوّر استنكار الصحابة من يدور الحقّ معه حيث يدور؟!!

(١) لا يخفى أنّ حديث الطير من الأحاديث الصحيحة المشهورة عند جميع المسلمين وله طرق عديدة رواه كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، بل وقد أفرد بعضهم بالتصنيف له، قال الذهبي: فله (حديث الطير) طرق كثيرة جدّاً قد افردتها في مصنف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل، وأمّا حديث «من كنت

➔

←

مولاه...» فله طرق جيدة وقد أفردت ذلك أيضاً.. (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج٣: ص١٠٤٢). هذا وقال في ترجمة الحاكم النيسابوري: أنّه روى أبو نعيم الحداد، قال: سمعت الحسن بن أحمد السمرقندي الحافظ، سمعت أبا عبد الرحمن الشاذياخي الحاكم يقول: كنّا في مجلس السيد أبي الحسن، فسئل أبو عبد الله الحاكم عن حديث الطير، فقال: لا يصحّ، ولو صحّ لما كان أحد أفضل من علي بعد النبيﷺ. فهذه حكاية قويّة، فما باله أخرج حديث الطير في المستدرك؟ فكأنّه اختلف اجتهاده، وقد جمعت طرق حديث الطير في جزء، وطرق حديث: «من كنت مولاه...» وهو أصحّ، وأصحّ منهما ما أخرجه مسلم عن علي قال: «إنّه لعهد النبي الأميﷺ إليّ: إنّه لا يحبّك إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق» (انظر سير أعلام النبلاء ج١٧: ص١٦٨). فكما ترى أنّه إضطرب في كلماته حينما وجد قوة سند الحديث ودلالته على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فحديث الطير يعتبر من أكبر الأدلّة الدالّة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام بالقطع واليقين، لانّ هذه القضيّة أسفرت عن أروع النتائج التي شهدتها الواقعة ، وأوضحت بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أحبّ الناس إلى الله وإلى الرسولﷺ، فكأنّ رسول اللهﷺ قد انتهز فرصة إهداء طير إليه للاعلان عن مقام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وعن شأنه عند الله ورسولهﷺ. ومن هذه الجهة اضطرّ الذهبي وغيره من أعلام أهل السنّة إلى ارتكاب التأويل في حديث الطير، حيث لم يمكنهم الجواب عن هذا الدليل القاطع في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ولنذكر هنا بعض متون الحديث ممّا رواها كبار علماء القوم؛ فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن ثابت البناني، أنّ انس بن مالك كان شاكياً

←

➔
فأتاه محمد بن الحجّاج يعوده في أصحاب له، فجرى الحديث حتّى ذكروا علياًعليه السلام فتنقصه محمد بن الحجّاج، فقال أنس: من هذا؟ أقعدوني، فأقعدوه فقال: يا ابن الحجّاج الا أراك تنقص علي بن أبي طالب والذي بعث محمّداًصلى الله عليه وآله بالحقّ لقد كنت خادم رسول اللهصلى الله عليه وآله بين يديه وكان كلّ يوم يخدم بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآله غلام من أبناء الأنصار، فكان ذلك اليوم يومي فجاءت أمّ أيمن مولاة رسول اللهصلى الله عليه وآله بطير فوضعته بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «يا أمّ أيمن ما هذا الطائر؟» قالت: هذا الطائر أصبته فصنعته لك، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «اللّهم جئني بأحبّ خلقك إليك واليّ يأكل معي من هذا الطائر»، وضرب الباب فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا أنس انظر من على الباب؟ قلت: اللّهم اجعله رجلاً من الأنصار، فذهبت فإذا علي بالباب، قلت: إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله على حاجة فجئت حتّى قمت مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال: يا أنس انظر من على الباب، فقلت: اللّهم اجعله رجلاً من الأنصار، فذهبت فإذا علي بالباب قلت: إن رسول اللهصلى الله عليه وآله على حاجة فجئت حتّى قمت مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «يا أنس اذهب فأدخله فلست بأوّل رجل أحبّ قومه ليس هو من الأنصار»، فذهبت فأدخلته فقال: «يا انس قرّب إليه الطير»، قال: فوضعته بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآله فأكلا جميعاً، قال محمد بن الحجّاج: يا أنس كان هذا بمحضر منك؟ قال: نعم، قال: أعطي بالله عهداً أن لا أنتقص علياً بعد مقامي هذا ولا أعلم أحداً ينتقصه إلاّ أشنت له وجهه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣١).

وأخرج أحمد بن حنبل في كتاب فضائل الصحابة بسنده عن ثابت البجلي عن سفينة قال: أهدت امرأة من الأنصار إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله طيرين بين رغيفين، فقدمت إليه الطيرين فقال: رسول اللهصلى الله عليه وآله: «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك وإلى
➔

➔

رسولك»، ورفع صوته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من هذا؟» فقال: علي، فقال: «فافتح له»، ففتحت، فأكل مع رسول الله صلى الله عليه وآله، من الطيرين حتّى فنيا (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٥٦٢). وأخرج الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال: كان عند النبي صلى الله عليه وآله طير فقال: اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل معه (سنن الترمذي ج٥: ص٣٠٠). وأخرج النسائي بسنده عن أنس ابن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله كان عنده طائر فقال: «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» فجاء أبو بكر فردّه، وجاء عمر فردّه، وجاء علي فأذن له (السنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٠٧). وأخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أنس زاد ابن حمدان بن مالك: أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان عنده طائر فقال: «اللّهم ائتني بأحبّ خلقك يأكل معي من هذا الطير» فجاء أبو بكر فردّه، ثمّ جاء عمر، وقال الحيري عثمان فردّه، ثمّ جاء علي فأذن له (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٥٦). وإنّما رد النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر وصاحبيه لعلمه صلى الله عليه وآله باستجابة دعائه في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال الشيخ منصور علي ناصف من علماء الأزهر معلّقاً على حديث الطير فيه أن علياً عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله تعالى بعد رسوله صلى الله عليه وآله (انظر غاية المأمول في شرح التاج الجامع للأصول ج٣: ص٣٣٦). وعليه فمن كان شأنه عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله بحيث هو أحبّ الخلق إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله معناه أنّه أولى من جميع الناس بالإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ من كان كذلك فهو مقدّم على غيره، ومن كان مقدّماً على غيره في جميع الجهات فهو أولى بالإمامة من غيره. وإذا كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله ورسول الله صلى الله عليه وآله فما بال الصحابة الذين كانوا يعلمون مقام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومنزلته حسب هذا الحديث الصحيح مع ذلك أنّهم

←

وبأنّه يهتدي به المهتدون من بعده[١] إلى غير ذلك من السنن التي دلّت على أنّ من خالفه ونكره ولم يعظّمه ولم يحبّه ولم يتابعه بعيد عن الحقّ[٢]؟!

استنكروا وجه هذه الشخصية العظيمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المشهور الذي رواه علماء الإسلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (سورة الرعد:٧). فرواه الطبري في تفسيره بسنده عن ابن عبّاس أنّه قال: لمّا نزلت الآية وضع النبي صلى الله عليه وآله يده على صدره، فقال: «أنا المنذر ولكلّ قوم هاد»، وأومأ بيده إلى منكب علي عليه السلام فقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون بعدي» (تفسير الطبري ج١٣: ص١٤٢)، ورواه الثعلبي في تفسيره ج٥: ص٢٧٢، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص٣٨٢، وابن الجوزي في زاد المسير ج٤: ص٢٢٨، والفخر الرازي في تفسيره ج١٩: ص١٤، وأبو حيّان الأندلسي في البحر المحيط ج٥: ص٢٦٠، وابن كثير في تفسيره ج٢: ص٥٢٠، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤: ص٤٥، والشوكاني في فيض القدير ج٣: ص٧٠، والآلوسي في تفسيره ج١٣: ص١٠٨ وغيرهم. فالرواية قد وردت من طرق أهل السنة على نحو الإستفاضة ، مع قطع النظر عما ورد من الطرق الشيعة. ولا يخفى على الخبير أنّ الحديث نصّ صريح من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله على وجوب متابعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومعناه إمامته وخلافته بلا فصل بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وإذا كان الأمر كذلك كيف استنكر الصحابة وجه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله؟!!

(٢) وملخّص الكلام أنّ هناك آيات القرآن الكريم والروايات الكثيرة والبراهين الساطعة والحجج القاطعة الدالّة على امامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعظمته وأفضليته من جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كما لا يخفى

وسابعها: ما زعمه من كون المبايعين تحت الشجرة أكثر من ألف وأربعمائة[(١)]،فإنّه تلبيس منه على الغَفَلَة؛ لأنّ ظاهر هذه العبارة يدلّ على

➔

ذلك على الباحث ، وقد ذكرها وأخرجها كبار علماء أهل السنة في كتبهم. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا استنكر الناس وجهه عليه السلام بعد شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام؟!!

(١) لقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما أنّ عدد من شهد بيعة الرضوان ألف وأربعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله (انظرصحيح البخاري ج٦: ص٤٥، كتاب التفسير، باب قوله ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ...﴾، وصحيح مسلم ج٦: ص٢٥ كتاب الإمارة، باب متابعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان). وروى البيهقي هذا الحديث في كتابه دلائل النبوة عن أبي الزبير عن جابر قال: كنّا يوم الحديبيّة ألفاً وأربع مائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال: بايعناه على أن لا نفرّ... (انظر دلائل النبوة ج٤: ص١٣٦). ولا بدّ للباحث من الالتفات في هذه الجهة من أنّ أصل بيعة الرضوان كانت من أجل عدم فرار الصحابة عن ساحة الحروب، والتركيز على هذه النقطة الأساسية في بيعة رضوان يفتح للباحث مجالاً واسعاً لمعرفة الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الشجرة. فعندما يراجع الباحث إلى كتب التاريخ والسيرة يجد أنّ أكثرهم خالفوا هذا العهد وهربوا عن ساحات القتال والحروب مع الكفار والمشركين، وعلى رأسهم أبي بكر عمر وعثمان، فإنّهم انهزموا في معركة أحد والخندق وخيبر وحنين وعصوا أمر النبي صلى الله عليه وآله ونكثوا بيعتهم. فلا بدّ للباحث أن يعرف الصحابة الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله تحت الشجرة، ثمّ فرّوا عن ساحة الحروب. وكذلك أن يعرف الصحابة الذين بقوا ثابتين على عهدهم وبيعتهم، ولم يفرّوا عن ساحات

🡐

عدم وصول عددهم إلى الخمسمائة، فإنّه على تقدير وصوله إليها يقال:

←

الحروب وغزوات النبيﷺ فلا بدّ من التحقيق في هذا المجال.

ثمّ إنّ بيعة الرضوان لايستفاد منها عدالة جميع المبايعين على مسلك جميع علماء أهل السنّة، لأنّ كثيراً ممن بايع رسول الله تحت الشجرة خرجوا عن طاعة الله ورسولهﷺ. وهناك أدلّة كثيرة تدلّ على المقام نذكر بعضها من باب المثال، فقد قال ابن حزم: وعمّار قتله أبو العادية يسار بن سبع السلمي، شهد بيعة الرضوان فهو من شهداء الله له بأنّه علم ما في قلبه وأنزل السكينة عليه ورضي عنه (انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٤: ص١٦١). وأخرج البخاري بسنده عن العلاء ابن المسيّب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب فقلت: طوبى لك صحبت النبيﷺ وبايعته تحت الشجرة فقال: يا بن أخي إنّك لا تدري ما أحدثناه بعده (صحيح البخاري ج٥: ص٦٦ كتاب المغازي، باب غزوة الحديبيّة). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام التي سنذكر تفصيلها في محلّه. وعليه فإنّ من شرط فضيلة بيعة الرضوان البقاء والاستمرار على العهد الذي عاهد بها الله ورسولهﷺ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بدّ لابن تيمية وأتباعه أن يذكروا عدد من نكث بيعته منهم، بعد ذكر الروايات الدالة على عدد المبايغين تحت الشجرة، لأنّه لا يهمّ عدد من شهد بيعة الرضوان، بل المهمّ هو الوفاء بالعهد والبيعة. فمع ثبت على عهده ووفى ببيعته ولم يهرب عن ساحة الحروب حسب ما جاء في النصوص والروايات التي وردت في المصادر المعتبرة من أهل السنّة فهو الملاك في عدد المبايعين تحت الشجرة. وأمّا من نكث بيعته وهرب عن ساحات القتال فلا معنى للقول بفضيلة بيعته المنكوثة فلاحظ.

ألف وخمسمائة[١]،

---

(١) لا يخفى أنّ الروايات الواردة في عدد من شهد بيعة الرضوان عند أهل السنّة مختلفة، بعضها أقلّ ممّا ادّعاه ابن تيمية وبعضها أكثر. ففي الصحيحين البخاري ومسلم عن جابر قال: كنّا يوم الحديبيّة ألفاً وأربعمائة (صحيح البخاري ج٦: ص٤٥، كتاب التفسير، باب قوله ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ...﴾، وصحيح مسلم ج٦: ص٢٥ كتاب الإمارة، باب متابعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان). وقال ابن عبد البر في الاستذكار أنّه: وقد روى سعيد بن المسيّب عن جابر أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة (الاستذكار ج٥: ص٢٤١). وروى في الاستيعاب بسنده عن سالم بن أبي الجعد، قال: سألت جابر بن عبد الله عن أصحاب الشجرة قال: كنّا ألفاً وخمسمائة، وقال: ولو كنا مائة ألف لكفانا (الاستيعاب لابن عبد البر ج١: ص٥). وروى الطبري في تفسيره بسنده عن سعيد بن المسيّب، أنّه قيل له: إنّ جابر بن عبد الله يقول: إنّ أصحاب الشجرة كانوا ألفاً وخمسمائة، قال سعيد: نسي جابر، هو قال لي: كانوا ألفاً وأربعمائة (تفسير الطبري ج٢٦: ص١١٤). وروى بسنده عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: كنّا أصحاب الحديبيّة أربع عشرة مائة ذكر من قال: كان عدّتهم ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين (تفسير الطبري ج٢٦: ص١١٤). وروى بسنده عن سعيد عن قتادة قال: الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الشجرة، فجعلت لهم مغانم خيبر كانوا يومئذ خمس عشرة مائة، وبايعوا على أن لا يفرّوا عنه ذكر من قال ذلك: كانوا ألفاً وثلاثمائة (تفسير الطبري ج٢٦: ص١١٤). وروى ابن كثير في تفسيره: عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: كنّا يومئذ ألفاً وأربعمائة. ووضع يده في ذلك الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتّى رووا كلّهم وهذا مختصر من سياق آخر حين ذكر قصّة عطشهم يوم الحديبيّة وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاهم سهماً من كنانته فوضعوه في بئر الحديبية فجاشت ←

➔

بالماء حتّى كفتهم، فقيل لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: كنّا ألفاً وأربعمائة، ولو كنّا مائة ألف لكفانا. وفي رواية في الصحيحين عن جابر أنهم كانوا خمس عشرة مائة، وروى البخاري من حديث قتادة: قلت لسعيد بن المسيّب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة، قلت: فإنّ جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مائه، قال: وهم هو حدّثني أنّهم كانوا خمس عشرة مائة. قال البيهقي: هذه الرواية تدلّ على أنّه كان في القديم يقول خمس عشرة مائة ثمّ ذكر الوهم فقال أربع عشرة مائة، وروى العوفي عن ابن عبّاس أنّهم كانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين، والمشهور الذي رواه عنه غير واحد أربع عشرة مائة وهذا هو الذي رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العبّاس الدوري عن يحيى بن معين عن شبابة ابن سوار عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيّب عن أبيه قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الشجرة ألفاً وأربعمائة وكذلك هو الذي في رواية سلمة بن الأكوع ومعقل بن يسار والبراء بن عازب، وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازي والسير. وقد أخرج صاحبا الصحيح من حديث شعبة عن عمرو بن مرّة قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: كان أصحاب الشجرة ألفاً وأربعمائة، وكانت أسلم يومئذ ثمن المهاجرين. وروى محمد بن إسحاق في السيرة عن الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنّهما حدّثاه قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله عام الحديبيّة يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً وساق معه الهدي سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل كلّ بدنة عن عشرة نفر، وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني عنه يقول: كنّا أصحاب الحديبيّة أربعة عشرة مائة كذا. قال ابن إسحاق وهو معدود من أوهامه فإن المحفوظ في الصحيحين أنّهم كانوا بضع عشرة مائة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذكر سبب هذه البيعة العظيمة (تفسير ابن كثير ج٤:

➔

➔

ص٢٠٠). وقال ابن الجوزي في تفسيره ما هذا نص عبارته: الإشارة إلى قصة الحديبية روت عائشة أنّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رأى في النوم كأنّ قائلاً يقول له: لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين، فأصبح فحدّث الناس برؤياه، وأمرهم بالخروج للعمرة، فذكر أهل العلم بالسير أنّه خرج واستنفر أصحابه للعمرة، وذلك في سنة ستّ، ولم يخرج بسلاح إلاّ السيوف في القرب. وساق هو وأصحابه البدن، فصلى الظهر بـ "ذي الحليفة"، ثمّ دعا بالبدن فجللت، ثمّ أشعرها وقلّدها، فعل ذلك أصحابه، وأحرم ولبّى، فبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صدّه عن المسجد الحرام، وخرجوا حتّى عسكروا بـ "بلدح"، وقدموا مائتي فارس إلى كراع الغميم، وسار رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حتّى دنا من الحديبيّة، قال الزجاج: وهي بئر، فسمّي المكان باسم البئر، قالوا: وبينها وبين مكّة تسعة أميال، فوقفت يداً راحلته، فقال المسلمون: حلّ يزجرونها، فأبت فقالوا: خلأت القصواء –والخلاء في الناقة مثل الحران في الفرس – فقال: "ما خلأت، ولكن حبسها حابس الفيل، أما والله لا يسألوني خطة فيها تعظيم حرمة الله إلاّ أعطيتهم إياها"، ثمّ جرها فقامت، فولّى راجعاً عوده على بدئه حتّى نزل على ثمد من أثماد الحديبيّة قليل الماء، فانتزع سهما من كنانته فغرزه فيها، فجاشت لهم بالرواء، وجاءه بديل بن ورقاء في ركب فسلموا وقالوا: جئناك من عند قومك وقد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، يقسمون لا يخلون بنيك وبين البيت حتّى تبيد خضراءهم، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لم نأت لقتال أحد، إنّما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدّنا عنه قاتلناه». فرجع بديل فأخبر قريشاً، فبعثوا عروة بن مسعود، فكلّمه بنحو ذلك، فأخبر قريشاً، فقالوا: نرده من عامنا هذا، ويرجع من قابل فيدخل مكّة ويطوف بالبيت، فأرسل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عثمان بن عفّان، قال: "اذهب إلى قريش فأخبرهم أنا لم نأت لقتال أحد،

➔

➔
وإنّما جئنا زواراً لهذا البيت، معنا الهدي ننحره وننصرف، فأتاهم فأخبرهم، فقالوا: لا كان هذا أبداً، ولا يدخلها العام، وبلغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّ عثمان قد قتل، فقال: «لا نبرح حتى نناجزهم»، فذاك حين دعا المسلمين إلى بيعة الرضوان، فبايعهم تحت الشجرة. وفي عددهم يومئذ أربعة أقوال، أحدها: ألف وأربعمائة، قاله البراء، وسلمة بن الأكوع، وجابر، ومعقل بن يسار. والثاني: ألف وخمسمائة، روي عن جابر أيضاً، وبه قال قتادة. والثالث: ألف وخمسمائة وخمس وعشرون، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: ألف وثلاثمائة، قاله عبد الله بن أبي أوفى. قال: وضرب يومئذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. بشماله على يمينه لعثمان، وقال: إنّه ذهب في حاجة الله ورسوله، وجعلت الرسل تختلف بينهم، فأجمعوا على الصلح، فبعثوا سهيل ابن عمرو في عدّة رجال، فصالحه كما ذكرنا في براءة، فأقام بالحديبيّة بضعة عشر يوماً، ويقال: عشرين ليلة ثمّ انصرف، فلمّا كان بـ "ضجنان" نزل عليه: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾، فقال جبريل: يهنيك يا رسول الله، وهنّأه المسلمون؛ والقول الثاني: أن هذا الفتح فتح مكّة، رواه مسروق عن عائشة، وبه قال السدي. وقال: بعض من ذهب إلى هذا: إنّما وعد بفتح مكّة بهذه الآية، والثالث: أنّه فتح خيبر، قاله مجاهد، والعوفي، وعن أنس بن مالك كالقولين، والرابع: أنّه القضاء له بالإسلام، قاله مقاتل. وقال غيره: حكمنا لك بإظهار دينك والنصرة على عدوّك (زاد المسير ج٧: ص١٦٠). وقال السيوطي في الدرّ المنثور: وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن نافع قال: بلغ عمر بن الخطّاب أنّ اناساً يأتون الشجرة التي بويع تحتها فأمر بها فقطعت. وأخرج البخاري وابن مردويه عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيّب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة، قلت: فإنّ جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مائة، قال: وهم هو حدّثني أنّهم كانوا خمس عشرة مائة.
➔

➔

وأخرج البخاري ومسلم وابن جرير وابن مردويه عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة. وأخرج سعيد بن منصور والبخاري ومسلم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله قال: كنّا يوم الحديبيّة ألفاً وأربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنتم خير أهل الأرض». وأخرج البيهقي عن سعيد بن المسيّب والبخاري ومسلم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن جابر ابن عبد الله قال: كنّا يوم الحديبيّة ألفاً وأربعمائة، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنتم خير أهل الأرض». وأخرج البيهقي عن سعيد بن المسيّب عن أبيه قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله تحت الشجرة ألفاً وأربعمائة. وأخرج البخاري عن سلمه بن الأكوع قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الشجرة، قيل على أي شيء كنتم تبايعون؟ قال: على الموت. وأخرج البيهقي عن عروة قال: لمّا نزل النبي صلى الله عليه وآله الحديبيّة فزعت قريش لنزوله عليهم فأحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه... ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى البيعة ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وآله ألا إنّ روح القدس قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فأمره بالبيعة فاخرجوا على اسم الله فبايعوه، فثار المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو تحت الشجرة فبايعوه على أن لا يفرّوا أبداً، فرعبهم الله فأرسلوا من كانوا ارتهنوا من المسلمين ودعوا إلى الموادعة والصلح. وأخرج مسلم وابن جرير وابن مردويه عن جابر قال: كنّا يوم الحديبيّة ألفاً وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال: بايعناه على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت. وأخرج عبد بن حميد ومسلم وابن مردويه عن معقل بن يسار قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وآله يبايع الناس وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفرّ. وأخرج البيهقي في الدلائل عن الشعبي قال: لمّا دعا النبي صلى الله عليه وآله الناس إلى البيعة

←

➔

كـان أول مـن انتهـى إليـه أبـو سـنان الأسـدي فقـال: ابـسط يـدك أبايعـك، فقـال النبيﷺ: «علام تبايعني؟» قال: على ما في نفسك... وأخرج عبد بـن حميـد وابـن جرير عن قتـادة ﴿لَقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾، قـال: الوقـار والـصبر وهـم الـذين بـايعوا زمـان الحديبيّة وكانت الشجرة فيما ذكر لنا سمرة بايع النبيﷺ أصـحابه تحتهـا وكـانوا يومئذ خمس عشرة مائة فبايعوه وعلى أن لا يفرّوا ولم يبايعوه على الموت وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة، قال: هي مغانم خيبر وكانت عنـاراً ومـالاً فقـسّمها نبـي الله بين أصحابهﷺ (الدر المنثـور ج٦: ص٧٣). وروى ابـن حجـر فـي تعليـق التعليـق بسنده عن الحسن بن سفيان ثنا عمرو بن علي عن أبي داود عن قرّة عن قتادة قـال: سألت سعيد ابن المسيّب كم كانوا في بيعة الرضوان؟ قال: ألف وخمسمائة، قلـت: إنّه بلغنا أنّ جابر بن عبد الله قال كانوا ألفـاً وأربعمائـة، قـال: أوهـم يرحمـه الله، هـو حدّثني أنّهم كانوا ألفاً وخمسمائة (تعليـق التعليـق ج٤: ص١٢٤). وقـال ابـن حجـر: ووقع في رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء: كنّا أربع عشرة مائة وفي روايـة زهير عنه أنّهم كانوا ألفاً وأربعمائة أو أكثر، ووقع في حديث جابر الذي بعـده مـن طريق سالم بن أبي الجعد عنه أنّهم كانوا خمس عشرة مائة، ومن طريق قتادة قلـت لسعيد بن المسيّب: بلغني عن جابر أنّهم كانوا أربع عشرة مائة، فقال سعيد: حـدّثني جابر أنّهم كانوا خمس عشرة مائة ومن طريق عمرو بن دينار عـن جـابر كـانوا ألفـاً وأربعمائة، ومن طريق عبد الله بن أبي أوفى: كانوا ألفاً وثلاثمائة، ووقع عند بن أبي شيبة من حديث مجمع بن حارثة كانوا ألفـاً وخمـسمائة... (فـتح البـاري فـي شـرح البخاري ج٧: ص٣٣٩). وقال العظيم الآبادي في عون المعبود: وقـد وقـع اخـتلاف في عدد أهل الحديبيّة، ذكره الحافظ في الفتح في المغازي: فقد جـاء أنّهـم كـانوا

🡐

والمروي في الصحيحين في بيان عددهم ألف وأربعمائة[١]، وفي خبر غيره ألف وخمسمائة[٢]. وسيأتي في ما بعد من السنّي نفسه في الجلد الثاني من مجموعه قوله بأنّهم: ألف وخمسمائة[٣]. وذكر حافظهم ابن كثير عن خبر أنّهم ألف وثلاثمائة، ونقل عن البيهقي أنّه قال: أكثر ما قيل في عددهم ألف وأربعمأة، ونقل عن بعضهم القول بأنّهم ألف وخمسمائة وخمسة

➔

أربع عشر مائة أو خمس عشر مائة، وذكروا في التوفيق أنّهم أوّل ما خرجوا كانوا ألفاً وأربعمائة ثمّ زادوا. قاله السندي (انظر عون المعبود ج٧: ص٣١٦). وإلى غير ذلك ممّا ورد في رواياتهم وأقوال علمائهم، فإنّه كما ترى أنّ فيه الاختلاف شديد، ولا بدّ لابن تيميّة أن يحلّ هذا الاختلاف أوّلاً، ثمّ يقيم الدليل على أنّ ما ادّعاه من العدد هو الصحيح عند العلماء. وحيث أنّه وجد هذا الإختلاف ويعلم بأنّ في موارد الإختلاف لابد له من ذكر الدليل على ما يدّعيه من العدد من دفع ما يرد في باب معارضة الأدلّة والأخبار، ثمّ إقامة الدليل على إثبات ما يدعيه من عدد المبايعين. وإلاّ سوف يكون ادّعاه بلا وجه علمي. وحيث أنّه لم يذكر الدليل على دعواه فمعناه أنّه أراد التلبيس على أهل نحلته، فما ذكره باطل عند أهل العلم فلاحظ.

(١) انظر صحيح البخاري ج٦: ص٤٥ كتاب التفسير، باب قوله ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ...﴾، وصحيح مسلم ج٦: ص٢٥ كتاب الإمارة، باب متابعة الإمام الجيش عند ارادة القتال وبيان بيعة الرضوان.

(٢) انظر الاستيعاب لابن عبد البرّ ج١: ص٥، والاستذكار له ج٥: ص٢٤١

(٣) انظر منهاج السنّة ج٧: ص٢٠٠

وعشرون، وهذه جميعها ثابتة في تفسيره[١]، وفي الدرّ المنثور عن البخاري ومسلم وابن جرير وابن مردويه أنّهم ألف وثلاثمائة، ونقل ما مضى غير أنّه لم ينقل عن مسلم أنّهم ألف وخمسمائة[٢]. وبالجملة فلم يرد من طرقهم سوى تحديد عددهم بغاية معيّنة، ولم يرد ما قاله السنّي فما ندري ما وجه تعبيره بهذه العبارة التي معناها كذب معلوم لديهم من حيث عدم مطابقتها لشيء ممّا نقلوه من طرقهم في عددهم، والكذب في مثل هذه المسألة ليس فيه فائدة قطعاً فهي فرية منه بإرادة لم يترتّب عليها حتّى قليل فائدة[٣].

ثامنها: ما زعمه من كون المقصود من الفتح هنا صلح الحديبيّة فإنّه تلبيس على الغفلة[٤]؛

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٤: ص٢٠٠

(٢) الدرّ المنثور ج٦: ص٧٣

(٣) وملخّص الكلام أنّ الروايات التي رواها علماء أهل السنّة في هذا المجال فيها اختلاف شديد من جهة عدد من شهد بيعة الرضوان، كما أنّ أقوال علماء أهل السنّة أيضاً فيها اختلاف شديد استناداً بما جائهم من الروايات في مصادرهم. وعليه كان من اللازم على ابن تيميّة أن يذكر اختلاف الروايات في المقام، ثمّ يذكر الدليل على ما ادّعاه في اختياره من العدد في ذلك. ولكن دلس على أهل نحلته ولم يذكر اختلاف الروايات والعدد، كما لم يذكر دليله على اختياره للرواية التي فيها العدد المذكور لمن شهد بيعة الرضوان، وذلك لئلاّ يعرف أهل السنّة اضطراب الموجود في الروايات وفي أقوال علمائهم، فلاحظ.

(٤) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ صلح الحديبيّة كان من أعظم الانجازات ←

➔
والفتوحات التي حقّقها الرسول الأكرمﷺ، إذ قد اعترف بذلك المشركون بالمسلمين كدولة ذات سيادة واستقلال، وقد أنزل الله سبحانه في هذه الحادثة قوله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ (سورة الفتح:١). وعندما نزلت هذه الآية المباركة قال رسول اللهﷺ: «لقد أنزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها كلها...» (انظر تفسير القرطبي ج١٦: ص٢٥٩). وقال النووي في شرح صحيح مسلم: المراد أنّه نزل قوله تعالى: ﴿**فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ وكان الفتح هو صلح يوم الحديبية... (شرح صحيح مسلم ج١٢: ص١٤٣). وكان صلح الحديبيّة يعد بمثابة أوّل معاهدة سلام في الإسلام أبرمه رسول اللهﷺ مع كفّار قريش في شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة، وذلك قرب موضع يقال له "الحديبيّة" قبيل مكّة. ففي ذلك العام رأى رسول اللهﷺ في منامه أنّه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام وأنّهم يطوفون بالبيت، فأخبر رسول اللهﷺ أصحابه بذلك ففرحوا فرحاً شديداً. فخرج النبيﷺ مع أصحابه محرماً بالعمرة ومعه الهدى، متّجهين إلى مكّة لقضاء أوّل عمرة لهم بعد الهجرة، فلمّا وصلوا إلى ذي الحليفة على مشارف مكّة أرسلت قريش عروة بن مسعود للتفاوض مع رسول اللهﷺ، ثمّ أرسلت سهيل بن عمرو لعقد الصلح، وتمخضت المفاوضات بين النبي الأكرمﷺ ومندوب قريش سهيل بن عمرو، فوقعوا معاهدة الصلح وجاء فيها: عودة المسلمين دون دخول مكّة المكرّمة هذا العام على أن يأتوها العام المقبل. وكان عقد الهُدنة بين المسلمين وقريش لمدة عشر سنوات. وقد أنزل الله تعالى على رسوله الكريمﷺ سورة الفتح متضمّنة ببشارة الفتح المبين والنصر العزيز والرضا الإلهي. ومع ذلك فقد اعترض عمر بن الخطّاب على النبيﷺ كما في صحيح البخاري وقال: ألست نبي الله حقّاً؟!! قالﷺ: «بلى»، قال عمر: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال
➔

➔

النبيﷺ: «بلى»، قال عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا؟ فقال النبيﷺ: «إنّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»، قال عمر: أو ليس كنت تحدّثنا إنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال النبيﷺ: «بلى، فهل أخبرتك إنّا نأتيه العام؟» قال عمر بن الخطّاب: قلت: لا، قال: «فإنّك آتيه ومطوف به» (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٨١ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمعالجة مع أهل الحروب وكتابة الشروط). فالرسول الأكرمﷺ فهّم عمر بن الخطّاب وبقية الصحابة بأنّ هذا الصلح سيكون فتحاً كبيراً وفيه الخير والبركة على المسلمين، حيث انطوت وثيقة الحديبيّة على تسليم وإقرار رسمي من قبل كفّار مكّة وحلفائهم بوجود الإسلام وشرعيّة دولته الوليدة، وأتاح صلح الحديبية للمسلمين فرصةً لانتشار الإسلام في الجزيرة العربيّة في العامين التاليين لصلح الحديبيّة، فزاد عدد الذين اعتنقوا الإسلام خلال العامين من الصلح إلى الأضعاف يفوق قبل توقيع صلح الحديبيّة. وقد استغل الرسول الأعظمﷺ مدّة الهدنة لمواجهة يهود خيبر وإنهاء تهديدهم الدائم للمدينة المنوّرة، خصوصا بعد تحالفهم المقيت مع كفار قريش ضدّ ديار الإسلام. فقبل الصلح لم يكن بمقدور المسلمين مواجهة جحافل أعدائهم المتحالفين المتربّصين فى وقت واحد. ومن ثمّ، كان عقد صلح الحديبيّة تفكيك للتحالف العسكرى بين المشركين واليهود وأعوانهم ضدّ المسلمين، كما شاهد المسلمون تحالفهم الميداني في معركة الخندق والأحزاب فى السنة الخامسة للهجرة. فصلح الحديبيّة كان فرصةً استغلها الرسول الأكرمﷺ للاستيلاء على العدوّ الأقرب إليهم، وهو اليهود، فبعد عدّة أيام من صلح الحديبية حاصر النبي الأكرمﷺ حصون خيبر، وتمكّن من اقتحامها وفتحها على يد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وأسر وسبى آلاف من اليهود وأخذ غنائم لا

🡐

لأنّه قد عبّر بعبارة يفهم منها من لم يعلم بحقيقة الحال كون الفتح هو صلح الحديبيّة من المتّفق عليه لديهم[١]،

➔

حصر لها. وكان لتلك الغزوة نتائج إستراتيجية مبهرة، حيث تمّ على أثرها توحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام وتحويلها إلى مركز أمن لنشر دين الله. وبعد استيلاء الرسول الأكرمﷺ على مناطق اليهود وقبائل نجد وتأمين شمال الحجاز حتّى حدود الشام من خلال الاستيلاء على خيبر وغيرها من البؤر والقواعد اليهوديّة الحيويّة والقبائل المعادية المحيطة بالمدينة، فأصبحت الدولة الإسلاميّة دولة مقتدرة دفعت الشرور والعتاة والظالمين عن المسلمين، وبعد ذلك قد أرسل الرسول الأعظمﷺ البعثة لدعوة ملوك الفرس والروم ومصر والحبشة والغساسنة إلى الإسلام. ومضى المسلمون في نشاطهم الدعوى داخل مكّة ذاتها، عرين صناديد الكفر وأئمة الشرك، حتّى اتّسعت قاعدة الإسلام وزاد عدد المسلمين. فكانوا يدخلون في الإسلام أفواجاً، فاعتنق الناس دين الإسلام في غضون عامين ما يفوق أعداد معتنقيه قبل توقيع صلح الحديبيّة بأضعاف. وهذا ما سمّاه الله تعالى فتحاً مبيناً. ولا ندري لماذا يقلل ابن تيمية من شأن هذا الفتح العظيم ويأبى عن تسيمة الفتح لهذه الحادثة التي سماها الله فتحاً مبيناً؟!! ولعلّ ذلك من جهة الدفاع عن اعتراض عمر بن الخطّاب على النبيﷺ كما في صحيح البخاري (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٨١ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمعالجة مع أهل الحروب وكتابة الشروط). وعلى كل تقدير فإنّ ما ذكر ابن تيمية الفتح بدل الصلح الحديبيّة تلبيس على أهل نحلته، لأنّه أراد أن يغطي على حقائق الأمور التي كانت في الصلح كما سنوضّحها من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى أنّ عبارة ابن تيمية ظاهر في أنّ المقصود بالفتح في الآية الكريمة هو

➔

➔

الصلح ، ولكنّه لم يذكر ما كان في الصلح من الإنجازات الكبيرة، فإنّ عبارته يشعر بأنّ القرآن وإن عبّر عن الصلح بالفتح، إلاّ أنّ هذا الفتح لم يكن فتحاً وظفراً على أرض الواقع، حيث أنّه قد ورد في بعض الروايات أنّ عمر بن الخطاب قد عبرّ عن هذا الصلح بالدنية!! كما سنذكرها إن شاء الله تعالى. وعليه فإنّ ما ذكره ابن تيميّة من الفتح بدل الصلح أخذاً بما في قرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ (سورة الفتح:١). ولكنّه لم يكن يراه ابن تيمية فتحاً لما أنّ عمر ابن الخطّاب عبّر عن صلح النبيﷺ بالدنيئة –والعياذ بالله –. ومن هنا لا بدّ لنا أوّلاً أن نعرف معنى الفتح المبين في القرآن الكريم من خلال الآثار التي ظهرت للإسلام والمسلمين بعد صلح الحديبيّة من انتشار الإسلام، وقدرة المسلمين وتسلّط الإسلام والمسلمين على مساحة كبيرة من البلاد على وجه الأرض، والظروف التي حقّقت دخول الناس في دين الله أفواجاً. فأكثر المفسّرين يرون أنّ هذه العبارة إشارة إلى ما كان من نصيب للمسلمين من الفتح الكبير على أثر صلح الحديبيّة كما سنذكرها من خلال المباحث الآتية. ثمّ لا بدّ لنا أن نعرف لماذا أنكر ابن تيمية هذا الفتح العظيم، حيث أنّ كلامه يشعر بأنّه في صدد بيان أنّ الصلح المذكور لم يكن فيه تلك الإنجازات الكبيرة، وإن كان القرآن الكريم قد عبّر عنه بالفتح. فعندما ندرس الروايات الواردة في باب صلح الحديبيّة نجد أنّ كبار المحدّثين من علماء أهل السنّة كالبخاري ومسلم وغيرهما رووا موقف عمر بن الخطّاب من صلح الحديبيّة واعتراضه على النبيﷺ من أجل هذا الصلح، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كلّ واحد منهما حديث صاحبه قالا: خرج رسول اللهﷺ زمن الحديبيّة حتّى كانوا ببعض الطريق... قال عمر بن الخطّاب في صلح الحديبية: أتيت النبيﷺ فقلت:

➔

➔

ألست نبيّ الله؟ قال: «بلى»، فقلت: ألسنا على الحقّ، وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى»، فقلت: ففيم نعطي الدنيّة في ديننا ونرجع، ولما يحكم الله بيننا؟ فقال: «يا ابن الخطّاب، إنّي رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أولست كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرتك أنّك تأتيه العام؟» قلت: لا، قال: «فإنّك آتيه ومطوف به»، فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبيّ الله... (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٨١ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمعالجة مع أهل الحروب وكتابة الشروط)، ورواه مسلم في صحيحه ج٥: ص١٧٥ كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبيّة، وأحمد بن حنبل في مسنده ج٣: ص٤٨٦، وغيرهم. وفي السيرة الحلبيّة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعمر بن الخطّاب لمّا عارض صلى الله عليه وآله في صلحه ذلك: «يا عمر، إنّي رضيت وتأبى؟!!» (انظر السيرة الحلبيّة ج٣: ص١٩). وقال ابن حجر: زاد الواقدي من حديث أبي سعيد، قال عمر: لقد دخلني أمر عظيم وراجعت النبي صلى الله عليه وآله مراجعة ما راجعته مثلها قط، وفي حديث سهيل بن حنيف الآتي في الجزية وسورة الفتح فقال عمر: ألسنا على الحقّ وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنّة وقتلاهم في النار؟ فعلام نعطى الدنيّة، بفتح المهملة وكسر النون وتشديد التحتانية، في ديننا ونرجع ولم يحكم الله بيننا؟ فقال صلى الله عليه وآله: «يا ابن الخطّاب، إنّي رسول الله ولن يضيعني الله» فرجع متغيّظاً فلم يصبر حتّى جاء أبا بكر (فتح الباري ج٥: ص٢٥٤). وروى السيوطي في تفسيره أنّ عمر بن الخطّاب قال: ما شككت منذ أسلمت إلاّ يومئذ... (انظر الدرّ المنثور ج٦: ص٧٧). وإلى غير ذلك من العبارات التي جاءت في لسان الروايات الحاكية عن شدّة اعتراض عمر بن الخطّاب على رسول الله صلى الله عليه وآله، وكأنّما أراد ابن تيمية من عدم اهتمامه بالصلح وانجازاته موافقةً لعمر بن الخطّاب في اعتراضه على

➔

ولم ينقل بعدها ما يشير إلى ذهاب بعضهم إلى غيره[١]،

➔

النبي صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ ما ذكره ابن تيمية في المقام من التعبير بالفتح بدل الصلح مخالف لما أجمع عليه المفسرون من علماء أهل السنّة، حيث أنّهم اتفقوا على أنّ قوله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ (سورة الفتح:١)، نزل في صلح الحديبيّة، وإليك بعض ما جاء في كتبهم: قال مجاهد بن جبر: قوله ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ يعني نحره بالحديبيّة وحلقه رأسه (تفسير مجاهد ج٢: ص٦٠١). وقال عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره عن الشعبي في قوله ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ قال: نزلت بعد الحديبيّة (تفسير عبد الرزاق الصنعاني ج٣: ص٢٢٥). وقال الطبري في تفسيره: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**﴾. وأمّا الفتح الذي وعد الله جلّ ثناؤه نبيّه صلى الله عليه وآله هذه العدّة على شكره إيّاه عليه، فإنّه فيما ذكر الهدنة التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين مشركي قريش بالحديبيّة (تفسير الطبري ج٢٦: ص٩٠). وقال النحاس في معاني القرآن: روى قتادة عن أنس قال: نزلت ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...**﴾ بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله من الحديبيّة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لقد نزلت علي آية أحبّ إليّ من جميع الدنيا» ثمّ تلاها، فقال رجل من المسلمين: هنيئاً مريئاً، هذا لك يا رسول الله، فماذا لنا؟ فأنزل الله جلّ وعزّ ﴿**لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ...**﴾ إلى آخر الآية (معاني القرآن ج٦: ص٤٩٢). وقال الواحدي النيسابوي: قوله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ أخبرنا منصور بن أبي منصور الساماني قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الفامي قال: أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي قال: أخبرنا أبو الأشعث

➔

➔
قال: أخبرنا المعتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يحدّث عن قتادة عن أنس قال: لمّا رجعنا من غزوة الحديبيّة وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة، أنزل الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لقد أنزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها كلّها» (أسباب نزول الآيات: ص٢٥٥). وقال السمعاني في تفسيره: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ﴾ تفسير سورة الفتح وهي مدنيّة في قولهم جميعاً، وعن بعضهم: أنّها نزلت بين مكّة والمدينة عند منصرفه من الحديبيّة، قاله مسور بن مخرمة ومروان وغيرهما. وروى مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطّاب قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فقال: «لقد أنزلت البارحة عليّ سورة هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها»، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، أخرجه البخاري عن القعنبي عن مالك. وروي عن أنس أنّه قال: لمّا انصرفنا من مكّة وقد منعنا من نسكنا، وبنا من الحزن والكآبة شيء عظيم، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «هي أحبّ إليّ من جميع الدنيا» قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ أي: قضينا لك قضاء بيّناً. ومعنى القضاء هو الحكم بالنصرة على الأعداء، والفتح في اللغة هو انفتاح المنغلق، وقيل: هو الفرح المزيل الهمّ، ومنه انفتاح المسألة، وهو انكشاف البيان الذي يؤدّي إلى البغية، وأمّا معنى ما وقع عليه اسم الفتح فالأكثرون من العلماء والمفسّرين على أنّه صلح الحديبيّة، فإن قيل: كيف يكون الصلح فتحاً؟ وإن كان فتحا للمسلمين فهو فتح للكفار أيضاً، لأنّ الصلح يشتمل على الجانبين، والجواب عنه: أنّه قد أشكل هذا على عمر، فإنّه لمّا أنزل الله تعالى هذه السورة قال عمر: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال: «نعم» وقيل: «إنّه أعظم فتح كان في الإسلام»؛ لأنّه لمّا صالح مع المشركين ووداعهم فكان قد صالح على وضع الحرب عشر سنين، فاختلط
🡐

➔

المشركون مع المسلمين بعد ذلك وسمعوا القرآن ورأوا ما عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه فرغبوا في الإسلام، وأسلم في مدّة الصلح من المشركين أكثر ممّا كان أسلم في مدّة الحرب وكثر سواد الإسلام، وأسلم في هذه المدّة: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة العبدري، وكثير من وجوه المشركين، وقد كان في غزوة الحديبيّة بيعة الرضوان، ووعد فتح خيبر وظهور الروم على الفرس، وكان ذلك من معجزات الرسول، وكان ذلك ممّا سرّ المسلمين وساء المشركين، لأنّ المسلمين كانوا يودّون ظهور أهل الكتاب، والمشركون كانوا يودّون ظهور الفرس والعجم، فحقّق الله ما يودّه المسلمون وكان المشركون قالوا حين ظهرت الفرس على الروم: كما ظهر الفرس على الروم كذلك نحن نظهر عليكم، فحين أظهر الله الروم على الفرس كان ذلك علامة لظهور المسلمين على المشركين. وقيل في الحديبيّة: هو إباحة الحلق والنحر قبل بلوغ الهدي محلّه (تفسير السمعاني ج٥: ص١٨٩). وقال البغوي في تفسيره: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...**﴾ أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العبّاس بن حمزة، ثنا الحسين بن الفضل البجلي، ثنا عفّان، ثنا همّام، ثنا قتادة، ثنا أنس قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وآله ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ إلى آخر الآية، مرجعه من الحديبيّة وأصحابه مخالطهم الحزن والكآبة فقال: «نزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا جميعاً»، فلمّا تلاها نبي الله صلى الله عليه وآله قال رجل من القوم: هنيئاً مريئاً لك، قد بيّن الله ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله هذه الآية التي بعدها ﴿**لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ...**﴾ حتّى ختم الآية قوله عزّ وجلّ ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ اختلفوا في هذا الفتح وروي عن أبي جعفر الرازي عن قتادة

🡐

➔

عن أنس أنّه فتح مكّة، وقال مجاهد فتح خيبر، والأكثرون على أنه صلح الحديبية، ومعنى الفتح فتح المنغلق والصلح مع المشركين بالحديبة كان متعذّراً حتّى فتحه الله عزّ وجلّ. وروى شعبة عن قتادة عن أنس ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ قال: صلح الحديبيّة، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكّة وقد كان فتح مكّة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبيّة، كنّا مع النبيصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ أربع عشرة مائة والحديبيّة بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبيصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ فأتاها فجلس على شفيرها ثمّ دعا بإناء من ماء فتوضّأ ثم تمضمض ودعا ثمّ صبّه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنّها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا. وقال الشعبي في قوله ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ قال: فتح الحديبية غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محلّه، وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس، قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبيّة وذلك أنّ المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم أسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام، قوله عزّ وجلّ ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ أي قضينا لك قضاء بيّناً، وقال الضحّاك ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ بغير قتال وكان الصلح من الفتح المبين (تفسير البغوي ج٤: ص١٨٨). وقال ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**﴾ قوله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ الآية، سبب نزولها أنّه لمّا نزل قوله: ﴿**وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ**﴾ قال اليهود: كيف نتّبع رجلاً لا يدري ما يفعل

🡐

➔

به؟! فاشتدّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عبّاس. وفي المراد بالفتح أربعة أقوال: أحدها: أنّه كان يوم الحديبيّة، قاله الأكثرون. قال البراء بن عازب: نحن نعد الفتح بيعة الرضوان. وقال الشعبي: هو فتح الحديبيّة، غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محلّه، وظهرت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس، قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبيّة، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام، قال مجاهد: يعني بالفتح ما قضى الله له من نحر الهدي بالحديبيّة وحلق رأسه. وقال ابن قتيبة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ أي: قضينا لك قضاء عظيماً، ويقال للقاضي: الفتّاح. قال الفراء: والفتح قد يكون صلحاً، ويكون أخذ الشيء عنوة، ويكون بالقتال. وقال غيره: معنى الفتح في اللغة: فتح المنغلق، والصلح الذي جعل مع المشركين بالحديبيّة كان مسدوداً متعذّراً حتّى فتحه الله تعالى، الإشارة إلى قصّة الحديبيّة، روت عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في النوم كأنّ قائلاً يقول له ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَاءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، فأصبح فحدّث الناس برؤياه وأمرهم بالخروج للعمرة، فذكر أهل العلم بالسير أنّه خرج واستنفر أصحابه للعمرة وذلك في سنة ستّ، ولم يخرج بسلاح إلاّ السيوف في القرب. وساق هو وأصحابه البدن، فصلّى الظهر بذي الحليفة، ثمّ دعا بالبدن فجللت، ثمّ أشعرها وقلّدها، فعل ذلك أصحابه، وأحرم ولبّى، فبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صدّه عن المسجد الحرام، وخرجوا حتّى عسكروا ببلدح، وقدموا مائتي فارس إلى كراع الغميم، وسار رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى دنا من الحديبيّة، قال الزجاج: وهي بئر فسمي المكان باسم البئر، قالوا: وبينها وبين مكّة

🡐

➔

تسعة أميال، فوقفت يداً راحلته، فقال المسلمون: حل حل يزجرونها، فأبت فقالوا: خلأت القصواء - والخلاء في الناقة مثل الحران في الفرس - فقال: ما خلأت، ولكن حبسها حابس الفيل، أما والله لا يسألوني خطّة فيها تعظيم حرمة الله إلاّ أعطيتهم إيّاها، ثمّ جرّها فقامت فولّى راجعاً عوده على بدئه حتّى نزل على ثمد من أثماد الحديبيّة قليل الماء، فانتزع سهماً من كنانته فغرزه فيها، فجاشت لهم بالرواء، وجاءه بديل بن ورقاء في ركب فسلموا وقالوا: جئناك من عند قومك وقد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم يقسمون لا يخلون بنيك وبين البيت حتّى تبيد خضراءهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لم نأت لقتال أحد، إنّما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدّنا عنه قاتلناه». فرجع بديل فأخبر قريشاً فبعثوا عروة بن مسعود فكلّمه بنحو ذلك، فأخبر قريشاً فقالوا: نرده من عامنا هذا، ويرجع من قابل فيدخل مكّة ويطوف بالبيت، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان بن عفّان، قال: «اذهب إلى قريش فأخبرهم أنّا لم نأت لقتال أحد، وإنّما جئنا زوّاراً لهذا البيت، معنا الهدي ننحره وننصرف»، فأتاهم فأخبرهم، فقالوا: لا كان هذا أبداً، ولا يدخلها العام، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن عثمان قد قتل، فقال: لا نبرح حتّى نناجزهم، فذاك حين دعا المسلمين إلى بيعة الرضوان فبايعهم تحت الشجرة. (زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج٧: ص١٥٩). وقال الثعالبي في تفسيره: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ الآية، قال قوم: يريد فتح مكّة، وقال جمهور الناس وهو الصحيح الذي تعضده: قصّة الحديبيّة، إنّ قوله ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ...**﴾ إنّما معناه هو ما يسّر الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله في تلك الخرجة من الفتح البيّن الذي استقبله ونزلت السورة مؤنسة للمؤمنين، لأنّهم كانوا استوحشوا من ردّ قريش لهم ومن تلك المهادنة التي جعلها الله سبباً للفتوحات، واستقبل النبي صلى الله عليه وآله في تلك السفرة إنّه هادن عدوّه ريثما

➔

➔

يتقوّى هو وظهرت على يديه آية الماء في بئر الحديبيّة حيث وضع فيه سهمه وثاب الماء حتّى كفى الجيش واتّفقت بيعة الرضوان وهي الفتح الأعظم قاله جابر ابن عبد الله والبراء بن عازب، وبلغ هديه محلّه قاله الشعبي، واستقبل فتح خيبر وامتلأت أيدي المؤمنين وظهرت في ذلك الوقت الروم على فارس فكانت من جملة الفتح فسرّ ﷺ بها هو والمؤمنون لظهور أهل الكتاب على المجوس وشرّفه الله بأن أخبره أنه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر أي وإن لم يكن ذنب (تفسير الثعالبي ج٥: ص٢٤٩). وقال القرطبي في تفسيره: وفي صحيح مسلم عن قتادة أنّ أنس بن مالك حدّثهم قال: لمّا نزلت ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ – إلى قوله – ﴿...**فَوْزاً عَظِيمًا**﴾ مرجعه من الحديبيّة وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبيّة، فقال: «لقد أنزلت علي آية هي أحبّ إليّ من الدنيا جميعاً». وقال عطاء عن ابن عبّاس: إنّ اليهود شتموا النبيﷺ والمسلمين لمّا نزل قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ**﴾ (سورة الأحقاف:٩). وقالوا: كيف نتّبع رجلاً لا يدري ما يفعل به! فاشتدّ ذلك على النبيﷺ فأنزل الله تعالى ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾. ونحوه قال مقاتل ابن سليمان: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**﴾ (سورة الأحقاف:٩) فرح المشركون والمنافقون وقالوا: كيف نتّبع رجلاً لا يدري ما يفعل به ولا بأصحابه، فنزلت بعد ما رجع من الحديبيّة: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ أي قضينا لك قضاء، فنسخت هذه الآية تلك فقال النبيﷺ: «لقد أنزلت عليّ سورة ما يسرّني بها حمر النعم». وقال المسعودي: بلغني أنّه من قرأ سورة الفتح في أوّل ليلة من رمضان في صلاة التطوّع حفظه الله ذلك العام، ﴿**بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا**

➔

➔

مُّبِينًا﴾ اختلف في هذا الفتح ما هو؟ ففي البخاري حدّثني محمّد بن بشار قال: حدّثنا غندر قال: حدّثنا شعبة قال: سمعت قتادة عن أنس ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ قال: الحديبيّة. وقال جابر: ما كنّا نعد فتح مكّة إلا يوم الحديبيّة. وقال الفراء: تعدون أنتم الفتح فتح مكّة وقد كان فتح مكّة فتحاً ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبيّة، كنّا نعد مع النبيﷺ أربع عشرة مائة، والحديبيّة بئر. وقال الضحّاك: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ بغير قتال وكان الصلح من الفتح. وقال مجاهد: هو منحره بالحديبيّة وحلقه رأسه. وقال: كان فتح الحديبيّة آية عظيمة، نزح ماؤها فمج فيها فدرت بالماء حتّى شرب جميع من كان معه. وقال موسى بن عقبة: قال رجل عند منصرفهم من الحديبيّة ما هذا بفتح، لقد صدّونا عن البيت. فقال النبيﷺ: «بل هو أعظم الفتوح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا». وقال الشعبي في قوله تعالى ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ قال: هو فتح الحديبيّة، لقد أصاب بها ما لم يصب في غزوة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، وبويع بيعة الرضوان، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محلّه، وظهرت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. وقال الزهري: لقد كان الحديبيّة أعظم الفتوح، وذلك أن النبيﷺ جاء إليها في ألف وأربعمائة، فلمّا وقع الصلح مشى الناس بعضهم في بعض وعلموا وسمعوا عن الله، فما أراد أحد الاسلام إلاّ تمكّن منه، فما مضت تلك السنتان إلاّ والمسلمون قد جاءوا إلى مكّة في عشرة آلاف. وقال مجاهد أيضاً والعوفي: هو فتح خيبر والأوّل أكثر، وخيبر إنّما كانت وعداً وعدوه على ما يأتي بيانه في قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ**﴾ (سورة الفتح: ١٠)؛ وقوله ﴿**وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ**﴾ (سورة

🡐

ففي معالم التنزيل عن أنس أنّه فتح مكّة. وعن مجاهد أنّه فتح خيبر، قال: وأكثرهم على أنّه صلح الحديبيّة[1]. وقال النيشابوري: الجمهور على ذلك[2]. وفي تفسير الخازن مثل ما في معالم التنزيل، وقيل: أنّه فتح فارس

←

الفتح:٢٠). وقال مجمع بن جارية – وكان أحد القراء الذين قرؤوا القرآن –: شهدنا الحديبيّة مع النبيﷺ، فلمّا انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر، فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أوحى الله إلى النبيﷺ. قال: فخرجنا نوجف فوجدنا نبي اللهﷺ عند كراع الغميم، فلمّا اجتمع الناس قرأ النبيﷺ ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ فقال عمر بن الخطّاب: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده إنّه لفتح». فقسمت خيبر على أهل الحديبيّة، لم يدخل أحد إلاّ من شهد الحديبيّة، وقيل: إن قوله تعالى "فتحاً" يدلّ على أنّ مكّة فتحت عنوة، لأن اسم الفتح لا يقع مطلقاً إلاّ على ما فتح عنوة. هذا هو حقيقة الاسم. وقد يقال فتح البلد صلحاً، فلا يفهم الصلح إلاّ بأن يقرن بالفتح، فصار الفتح في الصلح مجازاً، والأخبار دالّة على أنّها فتحت عنوة وقد مضى القول فيها، ويأتي قوله تعالى: ﴿**لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**﴾ (تفسير القرطبي ج١٦: ص١٦١). ومثله الشوكاني في فتح القدير ج٥: ص٤٢ وغيرهم، فجميع هؤلاء صرّحوا بأنّ المقصود بالفتح في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ (سورة الفتح:١) صلح الحديبيّة فلاحظ.

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي ج٤: ص١٨٨

(٢) انظر تفسير أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ج٧: ص٢٥٥

والروم وغير ذلك[١]. وفي تفسير أبي البركات النسقي قيل: أنّه فتح مكّة وقيل: أنّه صلح الحديبيّة وقيل: أنّه فتح خيبر[٢].

تاسعها: ما زعمه من عدم وجود فرقة من فرق أهل القبلة أعظم كذباً على الله... إلى آخره[٣]، فإنّه من عظيم عجائبه،

---

(١) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن ج٤: ص١٥٢

(٢) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي المعروف بتفسير النسفي ج٣: ص٣٣٣

(٣) لا يخفى على الخبير أنّ مقتضى البحث العلمي عند العلماء ذكر الدليل وإقامة البرهان على كل دعوى يطرح في المباحث العلمية، وإلاّ سوف لا يكون البحث عندهم علمياً، بل أنّه دليل على عجز المدعي. ومن الواضح أنّه لا يصدر من العالم ما يدلّ على جهله وعجزه عن المباحث العلمية. فيلزم على كلّ عالم أنّ يطرح المباحث العلمية بشكل واضح وشفاف ويذكر فيها الحقائق ويكشف فيها عما يكون مقبولاً عند أهل العلم بإقامة الدليل وبرهان، وبقصد التمحيص، لا بصورة عشوائية والحكم على الأشياء من دون اعتماد على الدليل وتقصي الوقائع دون إقامة الحجّة الشرعيّة والبراهين العقليّة. ثم أنّ الله تبارك وتعالى سائلنا غداً عن كلّ ما نقوله، فماذا نعتذر غداً إذا لم نملك حجةً نعتذر بها عند الله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ (سورة الاسراء:٣٦)، فنحن مسؤولون عن كلّ صغيرة وكبيرة عن ظلمنا لشخص واحد، فكيف بظلمنا لطائفة من المسلمين. وعلى كلّ حال إذا أراد الباحث أن يعرف الشيعة في قوله من جهة الصدق والكذب فليراجع كتبهم وأحاديثهم واهتمامهم بأخذ الروايات من الثقات والعدول، فالباحث لو راجع إلى كتبهم يجدهم أنّهم يشدّدون الاحتياط في أخذ ←

➔

الرواية من الثقات العدول ويبحثون في أسناد الأحاديث وأحوال الرواة عن توثيق رجاله ويلجأون إلى المناقشات الرجالية التي يستعملها الرجاليّون في معرفة الرجال الثقة عن غيره والحديث الصحيح عن غيره، فهم يعتمدون على أقوال الثقات ممّن شهد الفضلاء والعدول بتوثيقهم وورعهم، ويراقبون من جهة وضع الحديث أو كذبه، فإذا كان الحديث يستشم منه رائحة الدسّ والكذب فيسقطونه عن الاعتبار، وكانوا يتحرّجون في ذلك أشدّ التحرّج. فلا ندري كيف نسب ابن تيميّة إلى الشيعة الكذب مع علمه بأنّ الشيعة من المخالفين للحكّام دوماً. ولو كان قد صدر منهم كذبٌ في حديث لوجدت أن الأنظمة الحاكمة قد جعلت ذلك ذريعة للتشهير بهم ومحاربتهم بحجّة وضع الحديث وكذبهم فيه. ويقول ابن تيمية نفسه في منهاج السنة: وطائفة وضعوا لمعاوية فضائل ورووا أحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك، كلّها كذب (انظر منهاج السنّة ج٢: ص٢٠٧). وقد ترك العلماء كثير من هذه الأحاديث لأنّهم يعلمون بدور السلطة في وضعها ودسها، حيث أنّ سياسة الحكّام التابعة للسقيفة كانت متوقفة على الكذب والافتراء والتمويه وجعل الحديث، فقد حكى القرطبي في تفسيره: أنّ غياث بن إبراهيم دخل على المهديّ العبّاسي وكان يحبّ المسابقة بالحمام فروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا سبق إلاّ في خُفٍّ أو حافر أو نصل أو جناح. فأمر له المهديّ بعشرة آلاف درهم، فلمّا خرج قال المهدي أشهد أنّ قفاه قفا كذّاب على رسول الله صلى الله عليه وآله، ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أو جناح ولكن هذا أراد أن يتقرّب إلينا. وأمر بذبح الحمّام وقال: أنا حملته على ذلك (انظر تفسير القرطبي ج١: ص٧٩). ولأجل تعميم الفائدة نذكر هنا أسماء بعض الوضاعين الذين اختلقوا الأحاديث الكثيرة لتقوية حكّام أهل السنّة. فقد جاء عن نعيم بن حمّاد بن معاوية، المتوفى سنة ٢٢٧، إنّه كان ماهراً في وضع الحديث،

➔

➔
متجرّئاً على مقام صاحب الرسالةﷺ، وقيل عنه إنّه: كان يضع الحديث في تقوية السنّة (انظر تذكرة الحفّاظ للذهبي ج٢: ص٤١٨). كما أنّ أحمد بن عمرو ابن مصعب بن بشر كان من الوضّاعين ومن أهل السنّة المجودين، وضع كتباً في تقوية السنّة كلّها موضوعة ومنتشرة عند الخراسانيّين في عصره، وكان معروفا في نصرة السنّة بوضع الأحاديث الكاذبة عن الثقاة (انظر تاريخ بغداد ج٥: ص٧٣). وكان علي بن أحمد بن محمد بن عمرو شديد العصبية في السنّة، يضع الأحاديث في نصرتها وقالوا عنه إنّه تاب ولازم الثقة والصيانة (انظر شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ج٣: ص٢٢٦). فترى معاوية كان يبذل أربعمائة ألف درهم لسمرة ابن جندب لقاء نقله لرواية في أن الآية: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾. قد نزلت في ابن ملجم قاتل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤: ص٧٣). فكما ترى أنّ هذه الأخبار والروايات رواها علماء أهل السنّة، والباحث عندما يراجع كتب غير الشيعة يجدها مشحونة بآفة وضع الحديث، وقد شهد بذلك علمائهم، قال ابن حجر: وقد اغترّ قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث الترغيب والترهيب وقالوا: نحن لم نكذّب عليه أي على رسول اللهﷺ بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته (انظر فتح الباري ج١: ص١٦١). وأخرج مسلم في صحيحه، عن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، عن أبيه، قال: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث، قال ابن أبي عتّاب: فلقيت أنا محمّد بن يحيى بن سعيد القطّان فسألته عنه، فقال عن أبيه: لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث، قال مسلم: يقول يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمّدون الكذب (انظر صحيح مسلم ج١: ص١٣ مقدّمة الكتاب، باب الكشف عن معايب رواة الحديث)، ورواه ابن عبد البر في التمهيد ج١: ص٥٢،
➔

➔

والعيني في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج٢: ص١٥٠ وغيرهم. وروى ابن عبد البرّعن يحيى بن سعيد أيضاً، قال: ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير(انظر التمهيد لابن عبد البر ج١: ص٥٢). وقال القرطبي لا التفات لما وضعه الواضعون وغير ذلك، قد ارتكبها جماعة كثيره اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها، ووضعوا أحاديث وحدّثوا بها ليوقعوا بذلك الشكّ في قلوب الناس... (انظر تفسير القرطبي ج١: ص٧٨). وقال الخطيب البغدادي: ومن ثمة أُناس افتعلوا أكاذيب على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في مناقب أئمّتهم، فهناك مناقب حيكت في حقّ أبي حنيفة (انظر تاريخ بغداد ج٢: ص٢٨٩). وكان أحمد ابن محمّد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السنّة وأكثرهم مدافعة عنها ويحقّر كلّ من خالفها، وكان مع ذلك يضع الحديث ويقبله وأخرج البخاري في كتابه التاريخ الأوسط بسنده عن عمر بن صبيح بن عمران التميمي وهو من رواة أهل السنّة أنّه قال: أنا وضعت خطبة النبي صلى الله عليه وآله. وأخرج الحاكم في المدخل بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عبّاس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إنّي رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق فوصفت هذا الحديث حسبة (انظر أضواء على السنّة المحمديّة: ص١٣٨). وروى ابن الأثير في تاريخه قال: لمّا أراد معاوية البيعة ليزيد خطب مروان وقال: إن أمير المؤمنين قد اختار لكم ولم يال وقد استخلف لابنه يزيد سنّة أبو بكر وعمر، فقام عبد الرحمن بن أبو بكر وقال: كذبت يا مروان وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمّة محمد، ولكنّكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلّما مات هرقل قام هرقل... ثم يذكر: أنّ عائشة خرجت من وراء حجاب وقالت: يا مروان كذبت ولكنّك فضفض

➔

لأنّ خصمه لم يقل أنّ جميع من يدّعي التشيع على حقّ حتّى ينقض عليه بالفرق الضالّة المتسمّين باسم الشيعة(١)،

➔

من لعنة رسول الله... (انظر الكامل في التاريخ ج٣: ص٥٠٦). وهكذا يعترفون علماء أهل السنّة بأنّ رواة أهل السنّة كانوا يكذّبون على رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ من أعظم الكذب حرمةً هو الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وهي مشكلة تعمّ الكثير من أحاديث أهل السنّة. وعليه كيف يزعم ابن تيمية ويقول لا توجد فرقة من فرق أهل القبلة أعظم كذباً على الله من الشيعة مع أنّه يعرف أنّ أهل نحلته أشد كذباً على الله ورسوله صلى الله عليه وآله؟!!! وأنّ الشيعة بسبب متابعتهم لأئمة أهل البيت عليهم السلام هم أصدق الناس في حديثهم، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث في الآثار والأخبار المرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الشيعة هم الذين يوالون الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، وقد نصّ عليهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ليكونوا خلفاءه وأوصياءه من بعده على أُمّته. وقد جاء ذكرهم بعددهم في صحاح أهل السنّة، وأنّهم اثنا عشر خليفة، ومن جملة من أخرج أحاديث اثنى عشر خليفة البخاري ومسلم وغيرهما من صحاحهم (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٧ كتاب الأحكام، باب قبل باب إخراج الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة، وصحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ومسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٣). كما جاء ذكرهم بأسمائهم في بعض المصادر السنّيّة مُوضحاً بأنّ أوّلهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعده ابنه الحسن عليه السلام، ثمّ أخوه الحسين عليه السلام، ثمّ تسعة من ذرية الحسين عليهم السلام وآخرهم المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ فأخرج الحمويني الجويني في كتابه فرائد السمطين: أنّه قدم يهوديّ يقال له "نعثل" فقال: يا محمّد، أسألك عن أشياء تلجلج في صدري

➔

➔

منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك. قال: «سل يا أبا عمارة»، فسأله عن أشياء إلى أن قال: صدقت، ثمّ قال: فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبي إلاّ وله وصيّ، وإنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال: «إنّ وصيّي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين» قال: يا محمّد فسمّهم لي، قال: إذا «مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر»، قال: فأسلم اليهودي وحمد الله على الهداية (انظر فرائد السمطين ج٢: ص١٣٢)، ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٣: ص٢٨١. ولو أردنا تصفّح كتب الشيعة والبحث عما فيها من الحقائق بخصوص هذا الموضوع لوجدنا فيها أضعاف هذه الروايات، ولكن يكفينا دليلاً أنّ نذكر هنا ما رواها علماء أهل السنّة والجماعة. حيث يعتبر نقل هذه الأحاديث المعتبرة اعترافاً منهم على خلافة الأئمة الاثني عشرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرةً، موضحاً بأسمائهم وخصوصياتهم عن لسان النبي صلى الله عليه وآله. ولذلك كان الاعتقاد بالأئمة الإثني عشر من عصر النبي صلى الله عليه وآله وكان بعض كبار الصحابة كسلمان وأبي ذرّ وعمّار والمقداد، يعرفون بذلك وكانوا يسمونهم بشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، كما جاء ذلك في الروايات والتاريخ. (انظر كتاب الزينة لأبي حاتم السجستاني : مخطوط) وقد ذكر المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (سورة البيّنة:٧) قول النبيّ صلى الله عليه وآله «هم عليّ وشيعته» (انظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج٢: ص٤٦٦، والدرّ المنثور للسيوطي ج٦: ص٣٧٩). فالشيعة من زمن الصّحابة،

➔

أما علم بأنّ عدد الفرق المسماة باسم الشيعة قد بلغت عشرين فرقة على ما في المواقف وغيره[1]. وجملة منها كفرة بضرورة الدين وهم من

➔

هم التابعين لأئمة أهل البيت عليهم السلام والتابع لأئمة أهل البيت عليهم السلام يسير على نهجهم وسيرتهم فهذا معنى التشيع. والشيعة هم الملتزمين بأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمة الاثني عشر عليهم السلام في جميع مسائل الدين والدنيا والآخرة. ومن كان كذلك فلا تجد في عمله ما يخالف الدين فضلاً عن الكذب والافتراء كما يخفى. فإن كان المقصود بالشيعة هو الموالي للأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام فلا تجد في أقوالهم آثارهم الكذب كما لا يخفى على أحد وإن كان المقصود بالشيعة غير ذلك فهو خارج عن محل البحث فلاحظ.

(١) لايخفى على الخبير أنّ ما ذكره المصنف رحمه الله في المقام يقصد به قول علماء الكلام مع قطع النظر عن الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في تعريف الشيعة، فإنّ الروايات المتفقة بين الفريقين تدلّ على إمامة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، وقد تقدم ذكر جملة منها، وسنذكرها إن شاء الله في محلّه وهي بالغة عن حدّ التواتر. فما ذكره المصنف رحمه الله هنا إشارة إلى ما قاله القاضي الإيجي في كتابه المواقف ما هذا نصّ عبارته: الفرقة الثانية الشيعة: وهم اثنتان وعشرون فرقة يكفّر بعضهم بعضاً، أصولهم ثلاث فرق "غلاة وزيديّة وإماميّة"، أمّا الغلاة فثمانية عشر... (المواقف ج٣: ص٦٧١). وعليه ما نسبه ابن تيميّة إلى الشيعة في المقام واضح البطلان، حيث لوكان مقصوده بالشيعة الفرق المنحرفة المنتسبة إلى الشيعة الذين عدّهم علماء أهل السنّة كالإيجي من الشيعة فهي نسبة كاذبة وافتراء على الشيعة كما تقدم بيانه، مضافاً إلى أنّ ما ذكره الإيجي من تكفير بعضهم بعضاً يدلّ على عدم وجود الاتّفاق بين هذه الفرق، والشيعة الاثني عشرية. وإذا أضفنا

➔

زعم الهيّة أهل البيتعليهم السلام[1]،

➔

إلى ذلك الروايات الدالّة على أنّ مفهوم الشيعة منحصر في الاثني عشرية لا يبقى مجال لهذه الأباطيل فلاحظ.

(١) لقد اتّفق علماء الإماميّة الاثني عشريّة على كفر الغلاة، وهم القائلون بألوهيّة الأئمة الطاهرينعليهم السلام وبإباحة المحرّمات الشريعة وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة كالبيانيّة، والمغيريّة، والجناحيّة، والمنصوريّة، والخطابيّة، والحلوليّة، ومن جرى مجراهم فماهم من الشيعة ولا هم من فرق الإسلام. وإن أراد أعداء الشيعة أن ينسبونهم إلى الشيعة ليثيروا عليهم من جهة ما يعتقدون به على خلاف الضروريات الإسلاميّة، ولكن انتسابهم إلى الشيعة بلا دليل ولا برهان، لأنّ علماء الشيعة يصرّحون بأنّ هؤلاء ليسوا من المسلمين فضلاً عن كونهم من التشيّع. قال الشيخ المفيدرحمه الله: الغلاة المتظاهرون بالإسلام هم الذين نسبوا علياً أمير المؤمنينعليه السلام والأئمةعليهم السلام من ذريّته إلى الألوهيّة والنبوة... (انظر شرح عقائد الصدوق: ص٦٣). وعليه فمن نسب الغلاة إلى الشيعة والتشيع من أهل السنّة فإنّ ذلك من أعظم الجناية عليهم، لأنّ الغلاة ليسوا من المسلمين عند الشيعة، فضلاً عن كونهم الشيعة. لوضوح أنّ الإسلام هو الشهادة على التوحيد والرسالة نبويّهصلى الله عليه وآله، وحشر الخلق يوم المعاد، والتصديق بما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فمن أنكر واحداً من هذه، فليس بمسلم، لأنّ هذه العقائد من المسائل الضرورية عند الشيعة. والغلاة لا يعتقدون بهذه العقائد المسلمة لدى المسلمين، فنسبة الإسلام إليهم غير صحيح. فهؤلاء فرقة مرتدّة لا يحكم عليهم بالإسلام. حيث أنّ الحكومات الظالمة دفعتهم إلى تلك العقائد الباطلة المقالات الكفرية. ومن حسن الحظّ أنّه لم تكتب عليهم حياة معروفة إنّما كانت أيّاماً قلائل قطعت معرّتهم حمامُهم فلم يبق منهم ذكر إلاّ

🡐

بل ولو بغضاً منهم[١]،

➔

بين أسطر التاريخ. على أنّ قسماً منهم قاموا بهذه الدعايات من قبل السياسات الزمنيّة روماً لتشتيت كلمة الشيعة أو المسلمين، لكن سرعان ما قلب عليهم الدهر ظهر المجنّ لما تمكّنت السياسة من الحصول على غاياتها المنشودة فأُخذوا وقتلوا تقتيلاً. هكذا يعامل مع كل عميل يعمل لصالح المستكبر على أنّه لم يكن لمنهجهم معتنق قابل للذكر إلاّ شذاذ الآفاق أو ساقة الناس، فمن مال إليهم لغاية دنيويّة أو لشكوك وأوهام عرت لهم لا يتجاوز عددهم عدد الأصابع إلاّ شيئاً طفيفاً حتّى أصبح الجميع في حديث الأمس الدابر. وعليه إذا كان مقصود ابن تيمية من الشيعة هؤلاء فهم ليسوا بمسلمين فضلاً عن كونهم من الشيعة فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ الغلاة حيث كانوا يعلمون أنّ عقائدهم باطلة عند جميع المسلمين سواء كان من الشيعة أو أهل السنّة، فكانوا يستترون أنفسهم بين المسلمين لا سيّما الشيعة ويهدفون بذلك تخريب سمعة الشيعة، بل وتخريب أصل الدين ومحو آثاره والتهمة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم والموالين لهم، لأنّهم كانوا يعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي غرس بذرة التشيّع ونصّ على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام كما نصّ عليهم بالمدح والثناء وأنّ الدين قائم بهم مادام هذه الدنيا باقية. فالتجأ العدوّ إلى سياسة الغلوّ وتربية الغلاة وبثّ أفكارهم وعقائدهم الفاسدة، وكانت السلطة تأمرهم باختلاطهم بين الشيعة والمسلمين، لغاية قمع الدين وأئمة الهدى عليهم السلام والقضاء على التشيع. وبذلك أرادوا تشويه سمعة أئمة الدين وخلفاء الرسول صلى الله عليه وآله، وكذلك تشويه سمعة شيعتهم ليقضوا على الإسلام وأهله. ولذلك كان موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام قبالهم موقفاً صريحاً مضادّاً لحركتهم العدائيّة، وقد بيّنوا للناس وشيعتهم أنّ الغلوّ كفر وشرك وخروج عن الإسلام، ولعنوا الغلاة

➔

➔

وتبرّأوا منهم وقطعوا الطريق أمامهم وكشفوا عن أكاذيبهم وحذّروا شيعتهم من مكائدهم ومصائدهم. وإليك قسماً من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيتعليهم السلام في هذا المجال، فقد ورد في حقّ سعيد بن المغيرة، وأبي الخطاب، ولفيفاً من رجال العيث والفساد الذين كانوا يتظاهرون بالانتماء إلى أهل البيتعليهم السلام ولم يكونوا منهم بشيء. أمّا المغيرة بن سعيد، فقد ورد في حقّه ما رواه الكشي بسنده عن جعفر بن عيسى وأبي يحيى الواسطي قال: قال أبو الحسن الرضاعليه السلام: «كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفرعليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد» (انظر اختيار معرفة الرجال ج١: ص٤٨٩). وروى أيضاً بسنده عن عبد الله بن مسكان عمّن حدّثه من أصحابنا عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: سمعته يقول: «لعن الله المغيرة بن سعيد، إنّه كان يكذب على أبي، فأذاقه الله حرّ الحديد. لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبوديّة لله، الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا» (انظر اختيار معرفة الرجال ج١: ص٤٨٩). وروى أيضاً بسنده عن محمد ابن عيسى بن عبيد: أنّ بعض أصحابنا سأل يونس بن عبد الرحمن وأنا حاضر، فقال له: يا أبا محمّد ما أشدّك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا فما الذي يحملك على ردّ الأحاديث؟ فقال: حدّثني هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبداللهعليه السلام يقول: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلاّ ما وافق القرآن والسنّة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة، فإنّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يُحدِّث بها أبي، فاتّقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى وسنّة نبيّناصلى الله عليه وآله، فإنّا إذا حدّثنا قلنا "قال الله عزّ وجلّ وقال رسول اللهصلى الله عليه وآله"» (انظر اختيار معرفة الرجال ج١: ص٤٨٩). وروى بسنده عن هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبد اللهعليه السلام يقول: «كان المغيرة بن سعيد يتعمّد الكذب على أبي ويأخذ كتب

➔

➔

أصحابه، وكان أصحابه المستترون في أصحاب أبي، يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة فكان يدسّ فيها الكفر والزندقة ويُسندها إلى أبي ثمّ يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبثّوها في الشيعة، فكلّ ما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسّه المغيرة في كتبهم» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٤٩١). وروى بسنده عن علي بن الحسان عن عمّه عبد الرحمن بن كثير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهوديّة كان يختلف إليها يتعلّم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إنّ المغيرة كذب على أبي فسلبه الله الإيمان وإنّ قوماً كذبوا عليّ، ما لهم، أذاقهم الله حرّ الحديد، فو الله ما نحن إلاّ عبيد الذي خلقنا واصطفانا، مانقدر على ضرّ ولا نفع إن رُحمنا فبرحمته وإن عُذّبنا فبذنوبنا، والله مالنا على الله من حجّة ولامعَنا من الله براءة وإنّا لميتون ومقبورون، ومنشرون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون، ويلهم مالهم، لعنهم الله آذوا الله وآذوا رسوله صلى الله عليه وآله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن علي، وها أنا ذا بين أظهركم، لحم رسول الله وجلد رسول الله، أبيت على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً، يأمنون وأفزع، وينامون على فرشهم، وأنا خائف ساهر، وَجِل اتقلقل بين الجبال والبراري أبرأ إلى الله ممّا قال فيّ الأجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطّاب (لعنه الله)، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألاّ تقبلوه فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً، استعدى الله عليهم وأتبرّأ إلى الله منهم أشهدكم إنّي امرؤ ولدني رسول الله وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذّبني عذاباً شديداً أو أشدّ عذابه» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٤٩١). وروى بسنده عن سلمان الكناني قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «هل تدري ما مثل المغيرة؟» قال: قلت: لا، قال: «مثله مثل بلعم بن باعور»، قلت:

➔

➔

ومن بلعم؟ قال: «الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِي آتَيناهُ آياتنَا فَانسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوين﴾» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٤٩٤). إلى غير ذلك من الروايات التي وردت في ذمّه ونقلها الكشي في رجاله. وأمّا ما ورد عنهم عليهم السلام في أبي زينب وأتباعه، وهو محمد بن أبي زينب اسمه مقلاص ابن الخطّاب البرّاد الأجدع الأسدي ويكنّى أبا إسماعيل ويكنّى أيضاً أبا الضبيان، فمنها ما رواه الكشي في رجاله بسنده عن عيسى بن أبي منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وذكر أبا الخطّاب فقال: «اللّهم العن أبا الخطّاب، فإنّه خوّفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي، اللّهم أذقه حرّ الحديد» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٧٥). ومنها ما رواه بسنده عن بريد العجلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته قول الله عزّ وجلّ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، «هم سبعة: المغيرة بن سعيد، وبيان، والصائد النهدي، والحارس الشامي، وعبد الله بن حارث، وحمزة بن عمارة البربري وأبو الخطّاب» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٧٧). ومنها ما رواه بسنده عن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى أبي الخطّاب: «بلغني أنّك تزعم أنّ الزنا رجل، وأنّ الخمر رجل، وأنّ الصراط رجل، وأنّ الصيام رجل، والفواحش رجل، وليس هو كما تقول، أنا أصل الحقّ، وفروع الحقّ طاعة الله، وعدوّنا أصل الشرّ وفروعهم الفواحش، وكيف يطاع من لا يعرف وكيف يعرف من لا يطاع؟» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٧٧). ومنها ما رواه بسنده عن الحمادي رفعه إلى أبي عبد الله أنّه قيل له: روي عنكم أن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال؟ فقال: «ما كان الله عزّ وجلّ ليخاطب خلقه بما لا يعلمون جرى الإمام عليه السلام في تفسير الآية بهؤلاء السبعة مجرى الجري وتطبيق الكلّي على مصاديقه الكثيرة» (انظر اختيار

➔

➔
معرفة الرجال ج٢: ص٥٧٨). ومنها ما رواه بسنده عن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام وميسر عنده ونحن في سنة ثمان وثلاثين ومائة، فقال ميسر بياع الزطي: جعلت فداك عجبت لقوم كانوا يأتون معنا إلى هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم، قال: «ومن هم؟» قلت: أبو الخطّاب وأصحابه، فكان متّكئاً فجلس فرفع إصبعه إلى السماء ثم قال: «على أبي الخطّاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فاشهدوا بالله أنّه كافر، فاسق مشرك وأنّه يحشر مع فرعون في أشدّ العذاب غدواً وعشياً»، ثمّ قال: «أما والله إنّي لأنفس على أجساد أُصيبت معه النار الكثيرة» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٨٤). ومنها ما رواه بسنده عن المفضل بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام وذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة فقال لي: «يا مفضّل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا توارثوهم» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٨٤). ومنها ما رواه عن مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «قل للغالية: توبوا إلى الله فإنّكم فسّاق كفّار مشركون» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٨٧). ومنها ما رواه بسنده عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا محمّد ابرأ ممّن يزعم أنّا أرباب»، قلت: برئ الله منه، فقال: «ابرأ ممّن زعم أنّا أنبياء»، قلت: برئ الله منه (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٨٧). ومنها ما رواه بسنده عن قاسم الصيرفي قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: «قوم يزعمون أنّي لهم إمام والله ما أنا لهم بإمام، مالهم لعنهم الله، كلّما سترتُ ستراً هتكوه، هتك الله ستورهم» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٩٠). ومنها ما رواه بسنده عن الحسن الوشاء عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قال بأنّنا أنبياء فعليه لعنة الله ومن شكّ في ذلك فعليه لعنة الله» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٩٠). ومنها ما رواه بسنده عن زرارة عن أبي
➔

←

جعفرعليه السلام قال: سمعته يقول: «لعن الله بيان التبّان وأنّ بياناً لعنه الله يكذب على أبي، أشهد أنّ أبي علي بن الحسين كان عبداً صالحاً» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٩٠). ومنها ما رواه بسنده عن أبي يحيى الواسطي قال: قال أبو الحسن الرضاعليه السلام: «كان بيان يكذب على علي بن الحسينعليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفرعليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان محمد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسى فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان أبو الخطّاب يكذب على أبي عبد الله فأذاقه الله حرّ الحديد، والذي يكذب عليّ محمد بن فرات»، قال أبو يحيى: وكان محمد بن فرات من الكتّاب فقتله إبراهيم بن شكلة (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٩١). ومنها ما رواه بسنده عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد اللهعليه السلام: «إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذّاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول اللهصلى الله عليه وآله أصدق البرية لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنينعليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه بما يفتري عليه من الكذب عبد الله ابن سبأ لعنه الله»، ذكر أبو عبد اللهعليه السلام الحارث الشامي وبيان فقال: «كانا يكذبان على علي بن الحسينعليه السلام»، ثمّ ذكر المغيرة ابن سعيد وبزيعاً والسريّ وأبا الخطّاب ومعمراً وبشار الأشعري وحمزة البربري وصائد النهدي فقال: «لعنهم الله إنّا لا نخلو من كذّاب يكذب علينا أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كلّ كذّاب، وأذاقهم الله حرّ الحديد» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٩٣). ومنها ما رواه بسنده عن ابن أبي يعفور قال: كنت عند أبي عبد اللهعليه السلام فاستأذن عليه رجل حسن الهيئة، فقال: «اتّق السفلة»، فما تقارّت في الأرض حتّى خرجت فسألت عنه فوجدته غالياً (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٩٥). إلى

→

ومن زعم نبوّتهم[١]،

➔

غير ذلك من الروايات التي رواه الكشي في رجاله وقد اكتفينا بهذا المقدار وهناك روايات كثيرة لم نذكرها رعايةً للاختصار. وفيها دلالة واضحة على أنّ الغلاة ليسوا من المسلمين، بل أنّهم كانوا بصدد تشويه سمعة الأئمة عليهم السلام بالكذب عليهم حيث أشار عليه السلام في بعضها قائلاً: «فيسقط صدقنا بكذبهم علينا عند الناس»، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ من الغلاة من كان ينسب إلى الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام والأئمة الطاهرين عليهم السلام النبوّة، وقد ورد في ذلك روايات، منها: ما رواه الكشي بسنده الوشاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قال بأنّنا أنبياء فعليه لعنة الله ومن شكّ في ذلك فعليه لعنة الله» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٩٠). ومنها: ما رواه بسنده عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذّاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق البرية لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه بما يفتري عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله»، ذكر أبو عبد الله عليه السلام الحارث الشامي وبيان فقال: «كانا يكذبان على علي ابن الحسين عليه السلام»، ثمّ ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعاً والسريّ وأبا الخطّاب ومعمّراً وبشّار الأشعري وحمزة البربري وصائد النهدي، فقال: «لعنهم الله، إنّا لا نخلو من كذّاب يكذب علينا أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كلّ كذّاب، وأذاقهم الله حرّ الحديد» (انظر اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٩٣). وقد حكم عليهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالقتل والتحريق بالنار، كما روى ابن شهرآشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب أنّ سبعين رجلاً من الزط أتوا للإمام أمير المؤمنين علي بن

➔

وجملة منهم ضالّون عن الحقّ[(١)]،

➔

أبي طالبعليه السلام بعد قتال أهل البصرة يدعونه إلهاً بلسانهم وسجدوا له، قال لهم: «ويلكم لا تفعلوا إنّما أنا مخلوق مثلكم»، فأبوا عليه فقال: «فإن لم ترجعوا عمّا قلتم فيّ وتتوّبوا إلى الله لأقتلنّكم»، قال: فأبوا فخدّ لهم أخاديد وأوقد ناراً فكان قنبر يحمل الرجل بعد الرجل على منكبه فيقذفه في النار ثمّ قال: «إنّي إذا أبصرت أمراً منكراً * أوقدت ناراً ودعوت قنبراً. ثمّ احتفرت حفراً فحفراً * وقنبر يخطم خطماً منكراً» (انظر مناقب آل أبي طالب ج١: ص٢٢٧)، ورواه السمعاني في الأنساب ج٥: ص٤٩٩ وغيره. كما ورد قضاء أئمة أهل البيتعليهم السلام عليهم بالإكفار والخروج عن الاسلام، فلاحظ.

(١) وهم الفرقة من الغلاة التي تسمّى بأهل الحقّ ولهم نزعة صوفيّة ولهم آداب ورسوم دينيّة خاصّة بهم، ويعتقدون بعض المعتقدات التي لاتتطابق مع الشرع الإسلامي. وقد نشأت هذه النحلة التي لها أتباع بين العشائر الكرديّة واللُريّة والتركيّة وفي نفس الوقت يتقترب من سائر الفرق المغالية في غلوّها بالنسبة إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والأئمة الطاهرينعليهم السلام، ولكن يمكن مع ذلك كلّه أن ييقال: أنّ هؤلاء ليسوا من المسلمين ، لأنّهم يتبعون العقائد والسنن الفكريّة والثقافيّة الشعبيّة الإيرانية قبل الإسلام، وتعرف هذه النحلة باسم «نحلة الحقّ» أو «دين الحقيقة»؛ ولذلك عرف أتباعها باسم "أهل الحق"، ولكن الاسم الآخر لمتّبع هذه الطريقة هو "يار" أو "الصاحب"، ولذلك سمّي أهل الحقّ أيضاً «يارستان» أو «يارسان» بالترخيم. وقد ذكرت هذه النحلة في بعض المواضع «نحلة الأكراد» "خرده سرأنجام"؛ ذلك لأنّ العنصر الكرديّ كان له منذ عهد السلطان إسحاق دور رئيس ومهمّ في نهج هذه النحلة والفرقة والتحوّلات التي طرأت عليها

➔

➔

كما أنّ أهمّ الكتب الدينيّة لهذه الفرقة هي باللغة الكردية «اللهجة الگورانيّة». رغم أن مؤلّفات كلاميّة كثيرة ظهرت أيضاً فيما بعد بالتركية كما أنّ هناك آثاراً مهمّة ترتبط بأهل الحقّ ظهرت باللغة التركية. وينتشر أتباع يارسان في محافظات كرمانشاه وهمدان وطهران وحوالي رودهن وجاجرود وشهريار وكذلك في خراسان وبين أكراد العراق وتركيا أيضاً. وتتجلّى بوضوح تامّ بساطة القرويين وعفويتهم في أشعار أهل الحقّ المقدّسة ويتبيّن لنا من المفاهيم المطروحة في آثارهم أنّ هذه النحلة نشأت وانتشرت بين تجمعات من المزارعين وأصحاب المواشي. ولكن آراءها والآداب المرتبطة بها لا تقتصر اليوم على الشرائح الاجتماعيّة المذكورة ولم تبق مقيّدة بالمواضع التي سبق ذكرها. وكما يبدو من رسائل الفرقة الخاكساريّة، فإنّ هذه الفرقة في إيران يتّبعون أهل الحقّ في بعض معتقداتهم ومصطلحاتهم وآدابهم، حيث وجدنا لهذه الفرقة بعض الأتباع في الكثير من مناطق إيران يؤمن أهل الحق بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام ويعتبرون الشرائع السابقة وخاصّة الإسلام على الحقّ، ولكنّهم يرون أن حصيلتها وحقيقتها كلّها مجتمعة في مذهبهم، حيث يقول قوشچي أوغلي: لقد نزلت أربع كتب من جانب الله وكلّها مجتمعة لدينا. وقد جاء في نفس الموضع أن "الفرقان حقّ وليس كذباً"، ولكن مراد أهل الحقّ من "الفرقان" يغاير ما يفهم منه عادة، وهم يزعمون أن القرآن يتألّف أصلاً من اثنين وثلاثين جزءاً حيث تمثّل الأجزاء الثلاثون منه فروع الدين، والجزءان الآخران أصله، ويشتمل هذا الأصل على "السرّ الذي لايمكن البوح به" وهو المحفوظ في صدر النبي محمّد صلى الله عليه وآله، ولكن الأئمة حفظوا هذين الجزئين الواحد تلو الآخر وأوصلوهما إلى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف باسم "الفرقان"، حيث إنه بيّن "الفرقان" المذكور باللغة الكرديّة. وعلى هذا فإذا مثلنا الإسلام بحبّة

🡐

وفرقة منها التي بين الشيعي كونها على الحقّ وهي التـي قابلهـا الـسنّي بـالردّ عليها[(١)]،

➔

اللوز، فإن نحلة أهل الحقّ لبّها والشريعة قشرتها، أو أنّ الإسلام هو بمثابـة الـصدف وتلك النحلة هي بمنزلة الدرّة داخلها. وقد دارت بعض الأحاديـث حـول تـأثيرات الأديـان والمـذاهب الأخـرى علـى مـذهب أهـل الحـقّ، مثـل الـذين طرحـوا تـأثّر المذهب الياري بالمسيحيّة أو بالإسماعيليّة. وبالطبع فإنّنا نلاحظ بعض وجـوه الـشبه مع معتقدات الإسماعيليّة في هذه النحلة، ولكن جذور وجوه الشبه هذه تكمن فـي النزعة الصوفيّة لأهل الحقّ إلى الباطنيّة والتأويل حيث يشترك كلا المذهبين فيهما. وقد جمع كبار هذه النحلة أصولهم وحقائق معتقداتهم في آثار منظومة تحمل فـي الغالب حكم الكتب المقدّسة والمراجع لهذه الطائفة. ومن بين هذه الآثار العديـدة "الدفاتر" أو "الدورات" الكرديّة الگورانية التي يستند إليها جميع أتباع هذه الفرقـة، ولكن الآثـار التركيّـة "الكلامـات" والآثـار اللُريّـة خاصّـة بالأتبـاع النـاطقين بهـاتين اللغتين. ومن أهمّ النصوص المقدّسة لأهل الحقّ كـلام خزانـة أو سـرأنجام. وتعتبـر نحلة الحقيقة، قديمة وأزليّة، وترابطها مع ذات الحقّ متلازم بارتباط زعمـاء هـؤلاء بذات البارئ. ويشترك أهل الحقّ مع سائر غلاة الشيعة في فكرة أساسيّة هـي أن الله يظهر بوجه إنسان، ولكن هذا الرأي جاء بتفـصيل أكثـر لـدى أهـل الحـقّ، فهـم لا يحصرون المظهريّة في وجود الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام فقـط... (اقطفناه هذا المقطع من كتاب دائرة المعارف الإسلاميّة). وملخّص الكلام أنّ فرقة أهل الحقّ ليست من الشيعة كما وضّحناه سابقاً.

(١) وبعبـارة أوضـح أنّ بعـض الغـلاة الـذين يـسمونهم بأهـل الحـقّ يتّبعـون المبـادئ والمعتقدات الشيعيّة في ايران حيث أنّهم يعيشون مع الـشيعة فيتبعـون ثقافـة الدينيّـة

➔

وقد عرفت فساد ما ردّ به عليها[1]،

➔

التابعة لأئمة أهل البيتعليهم السلام، وقد أثرت عليهم الثقافة الشعبية والفكريّة في ايران فأخذوا بعض معتقداتهم من الشيعة وانضمّوا إليها الآداب والرسوم الصوفيّة كما أخذوا بصمات من المعتقدات الإيرانيّة قبل الإسلام فخلطوا بين جميع ذلك فأصبحت نحلة جديدة تسمّى باسم "نحلة الحقّ" أو "أهل الحقيقة"، فلعلّ ابن تيمية يقصد هؤلاء بالتشيّع، ولكن كلامه باطل أيضاً، حيث تبيّن للقاريء الكريم أنّ الروايات المتواترة تدلّ على أنّ الشيعة سمّيت لأوّل مرّة بشيعة علي بن أبي طالبعليه السلام على لسان النبي الأكرمصلى الله عليه وآله من بداية الدعوة الإسلاميّة، وقد جملة من الروايات المتواترة لدى الفريقين الدالّة على ذلك. وقد انتشر هذا العنوان من خلال ثلاث وعشرين سنة، زمن حيات النبيصلى الله عليه وآله. واستمر على ذلك الصحابة والتابعين إلى أدّت إلى العصر الحاضر. وعليه فإنّ الغلاة مهما كانوا يتبعون الشيعة في بعض معتقداتهم، ولكن لا يصحّ تسميتهم باسم الشيعة ، لأنّهم يعتقدون بأمور خارج الإسلام فلا يكفي في صحة التسمية المتابعة في بعض الآداب والسنن، فهم ليسوا بمسلمين فضلاً عن كونهم من الشيعة فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الصوفية لم تكن من الشيعة، بل أنّهم تيار عريض ومتنوع، لاعلاقة لهم بالتشيع. وربما نسب بعض الصوفية إلى الشيعة خطاءً لأنّ زعماء التصوف ينهون طرائقهم السلوكيّة أو العباديّة إلى الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، وكذلك أئمة أهل البيتعليهم السلام، بل أنّ صلة التصوّف بأهل السنّة أظهر من أن يخفى على أحد، حيث أنّ كبار الصوفيّة كابن عربي وابن الجنيد والبسطامي وعبد القادر الجيلاني وأحمد الرفاعي كانوا من أهل السنّة وهم من الصوفية. وقد انتشر المدّ الصوفي في العالم الإسلامي بسبب هؤلاء كما لا يخفى ذلك على أحد. لأنّ الخبير

➔

➔
يعلم ما مرّت به الأمّة الإسلاميّة من تقلّبات سياسيّة كبرى وخصوصاً في فترات الغزو والحرب كما في عهد التتار، وقد صادفت استحساناً من الحكّام والساسة لعدم تدخّل أصحابها في شؤون الدولة، واستقطبت لذلك قاعدة جماهيريّة عريضة ممّن كانوا يؤثرون العافية والسلامة، وربما شجع بعض السلاطين الناس على اقتفاء سبيل أهل التصوّف لإلهاءهم وإبعادهم عن معارضتهم في قضايا الحكم وإرادة الشؤون العامّة. وبسبب ميل الناس في تلك الفترات إلى التصوّف وإيثارهم حبّ الراحة والابتعاد عن واقع الحياة، فحصلت من ذلك ردود فعل كبرى في العالم على مناهج الصوفيّة؛ وصنّف علماء كلا المذهبين كتباً في تكفير الصوفيّة أو تبعيدهم حتّى أنّهم توسّلوا أحياناً من أجل دعم موقفهم في الإنكار على الصوفيّة بأخبار موضوعة أو ضعيفة منسوبة إلى النبيصلى الله عليه وآله أو أهل البيتعليهم السلام حتّى إذا هدأت العاصفة وأعقبها انحسار التصوّف وتحجيمه ظهرت بوادر مصالحة هنا وهناك بين التصوّف والمذاهب المشهورة، وعدل العلماء المتأخّرون عن تكفيرهم، بل لم يجدوا غضاضة في الترويج لأفكارهم أو الاستشهاد بكلامهم، فظنّ قسم من الناس أنّهم شيعة وظنّ قسم آخر أنّهم سنّة. وجدير بالذكر أنّه ورد ذمّ التصوف والصوفيّة في كلام اهل البيتعليهم السلام وعلماء الإمامية، ففي كتاب حديقة الشيعة للمحقق الأردبيليقدس سره بسنده عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن الرضاعليه السلام أنّه قال: «قال رجل من للإمام الصادقعليه السلام: قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفيّة فما تقول فيهم؟ فقالعليه السلام: إنّهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم، وسيكون أقوام يدّعون حبّنا ويميلون إليهم ويتشبّهون بهم ويلقّبون أنفسهم بلقبهم ويأوّلون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منّا وإنّا منه براء، ومن أنكرهم وردّ عليهم كان كمن جاهد الكفّار مع رسول اللهصلى الله عليه وآله» (انظر الاثنى
➔

➔

عشريّة للشيخ الحرّ العاملي: ص٣٢، وجامع أحاديث الشيعة ج١٤: ص٤٥٠). وروى أيضاً بسنده عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي ومحمد بن إسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «من ذكر عنده الصوفيّة ولم ينكرهم بلسانه أو قلبه فليس منّا ومن أنكرهم فكأنّما جاهد الكفّار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله» (انظر الاثنى عشريّة للشيخ الحرّ العاملي: ص٣٢). وروى المحقّق الأردبيلي قدس سره أيضاً في كتابه حديقة الشيعة عن الشيخ المفيد قدس سره عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب أنّه قال: كنت مع الإمام الهادي عليه السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري كان رجلاً بليغاً وكانت له منزلة عنده عليه السلام، ثمّ دخل المسجد جماعة من الصوفيّة وجلسوا في ناحية مستديراً وأخذوا بالتهليل فقال عليه السلام: «لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين، فإنّهم خلفاء الشيطان ومخرّبوا قواعد الدين، يتزهّدون لراحة الأجسام ويتهجّدون لصيد الأنعام، يتجوّعون عمراً حتّى يديخوا للايكاف حمراً، لا يهلّلون إلاّ لغرور الناس ولا يقلّلون الغذاء إلاّ لملأ العساس واختلاس قلوب الدفناس، يكلّمون الناس بإملائهم في الحبّ ويطرحون باذليلائهم في الجبّ، أورادهم الرقص والتصدية وأذكارهم الترنّم والتغنية، فلا يتبعهم إلاّ السفهاء ولا يعتقدهم إلاّ الحمقى، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حيّاً وميّتاً فكأنّما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبادة الأوثان، ومن أعان أحداً منهم فكأنّما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان»، فقال له رجل من أصحابه: وإن كان معترفاً بحقوقكم؟ قال: فنظر إليه شبه المغضب وقال: «دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنّهم أخس طوايف الصوفيّة والصوفيّة كلّهم مخالفونا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا وإن هم إلاّ نصارى أو مجوس هذه الأمّة، أولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون» (انظر الاثنى عشريّة

🡐

➔

للشيخ الحر العاملي: ص٢٩). وروى المحقق الأردبيليقدس سره أيضاً في كتابه حديقة الشيعة بإسناده عن الإمام الرضاعليه السلام أنّه قال: «لا يقول أحد بالتصوّف إلاّ لخدعة أو ضلالة أو حماقة، وأمّا من سمّي نفسه صوفيّاً للتقيّة فلا إثم عليه»، ورواه أيضاً عن طريق آخر (انظر الاثنى عشرية للشيخ الحر العاملي: ص٣٠). ورواه الشيخ المفيدقدس سره في كتاب الردّ على أصحاب الحلاّج عن أبي القاسم جعفر بن محمد ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد أنّه قال: سألت أبا الحسنعليه السلام عن الصوفيّة فقال: «لا يقول بالتصوّف أحد إلا لخدعة أو ضلالة أو حماقة، وربما استعجمها واحد منهم» (انظر الاثنى عشرية للشيخ الحرّ العاملي: ص٣٠). وروى ابن بابويه القمي في قرب الإسناد عن سعد بن عبد الله عن محمّد بن عبد الجبّار عن الإمام العسكريّعليه السلام أنّه قال:« سئل الإمام الصادقعليه السلام عن حال أبي هاشم الكوفي فقال: إنّه فاسد العقيدة جدّاً وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوّف وجعله مقرّاً لعقيدته الخبيثة» (انظر الاثنى عشريّة للشيخ الحرّ العاملي: ص٣٣). وروى المحقق الأردبيليقدس سره في حديقة الشيعة قال: نقل السيد المرتضى عن الشيخ المفيد عن أحمد بن محمد ابن الحسن بن الوليد عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمّد بن عبد الجبّار عن الإمام العسكريّعليه السلام أنّه كلّم أبا هاشم الجعفري فقال: «يا با هاشم، سيأتي على الناس زمان وجوههم ضاحكة مستبشرة وقلوبهم مظلمة منكدرة، السنّة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنّة، المؤمن بينهم محقّر والفاسق بينهم موقّر، أمراؤهم جاهلون جائرون وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء وأصاغرهم يتقدّمون على الكبراء، كلّ جاهل عندهم خبير وكلّ محيل عندهم فقير، لا يميّزون بين المخلص والمرتاب ولا يعرفون الضأن من الذئاب، علماؤهم

➔

➔

شرار خلق الله على وجه الأرض لأنّهم يميلون إلى الفلسفة والتصوّف وأيم الله إنّهم من أهل العدول والتحرّف، يبالغون في حبّ مخالفينا ويضلّون شيعتنا وموالينا وإن نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشا وإن خذلوا عبدوا الله على الريا لأنّهم قطّاع طريق المؤمنين والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه» ثمّ قال: «يا أبا هاشم بهذا حدّثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمدعليهما السلام وهو من أسرارنا فاكتمه إلاّ عن أهله» (انظر الاثنى عشرية للشيخ الحرّ العاملي: ص٣٣). وروى الشيخ بهاء الدين محمد العامليقدس سره في كتاب الكشكول عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «لا تقوم الساعة على أمّتي حتّى يخرج قوم من أمّتي اسمهم صوفيّة ليسوا منّي، وإنّهم يهود أمّتي يحلقون للذكر، ويرفعون أصواتهم بالذكر يظنّون أنّهم على طريق الأبرار بل هم أضلّ من الكفّار وهم أهل النار، لهم شهقة كشهقة الحمار وقولهم قول الأبرار وعملهم عمل الفجّار، وهم منازعون للعلماء ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم إلاّ التعب (انظر الاثنى عشريّة للشيخ الحرّ العاملي: ص٣٤). الشيخ أبو جعفر الطوسيقدس سره في كتاب المجالس والأخبار عن الشيخ ورام بن أبي فراس في كتابه في حديث طويل يتضمّن وصيّة النبيصلى الله عليه وآله لأبي ذرّ يقول فيها: «يا أبا ذرّ، يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم يرون الفضل لهم بذلك على غيرهم، أولئك تلعنهم ملائكة السماء والأرض» (انظر الاثنى عشريّة للشيخ الحرّ العاملي: ص٣٤). روى الورام أيضاً وغيره من مواعظ عيسىعليه السلام أنّه قال: «بحقّ أقول لكم إنّ شرّ الناس لرجل عالم آثر دنياه على علمه فأحبّها وطلبها وجهد عليها حتّى لو استطاع أن يجعل الناس في حيرة لفعل وماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها كذلك لا يغني عن العالم علمه إذ هو لم يعمل به، ما أكثر ثمار الشجر

➔

➔

وليس كلّها ينفع ولا يؤكل! وما أكثر العلماء وليس كلّهم ينتفع بما علم وما أوسع الأرض وليس كلّها تسكن، وما أكثر المتكلّمين وليس كلّ كلامهم يصدق، فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم ثياب الصوف منكسوا رؤوسهم إلى الأرض يزورون الخطايا يرمقون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب، وقولهم يخالف فعلهم وهل يجتني من العوسج العنب ومن الحنظل التين؟! وكذلك لا يثمر قول العالم الكاذب إلا زوراً وليس كلّ من يقول يصدق» (انظر الاثنى عشريّة للشيخ الحر العاملي: ص٣٥). وروى ابن شعبة الحرّاني في تحف العقول أنّه دخل سفيان الثوري على أبي عبد الله عليه السلام فرأى عليه ثياب بياض كأنّها غرقى البيض فقال له: إنّ هذا ليس من لباسك، فقال عليه السلام: «اسمع منّي وع ما أقول فإنّه خير لك عاجلاً وآجلاً إن أنت متّ على السنّة والحقّ ولم تمت على بدعة، أخبرك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان مقفر خشن فإذا أقبلت الدنيا فأحقّ أهلها بها أبرارها لا فجّارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفّارها، فما أنكرت يا ثوري فوالله إنّني لمع ما ترى ما أتى عليّ منذ عقلت صباح ولا مساء، ولله في مالي حقّ أمرني أن أضعه موضعاً إلاّ وضعته»، قال: ثمّ أتاه قوم ممّن يظهرون التزهّد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشّف، فقالوا: إنّ صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حججه فقال لهم: «هاتوا حججكم»، فقالوا: أن حججنا من كتاب الله، قال لهم: فأدلّوا بها فإنّها أحقّ ما اتّبع وعمل به»، فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، فمدح فعلهم وقال في موضع آخر: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾، فنحن نكتفي بهذا، فقال لهم رجل من الجلساء: أنّا رأيناكم تزهدون في الأطعمة الطيّبة ومع ذلك

🡐

➔

تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتّى تمتّعوا أنتم منها؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «دعوا عنكم ما لا ينتفع به، أخبروني أيّها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضلّ من ضلّ وهلك من هلك من هذه الأمّة؟» فقالوا له: أو بعضه؟ فأمّا كلّه فلا، فقال لهم: «من هيهنا أتيتم وكذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمّا ذكرتم من إخبار الله إيّانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم بحسن فعالهم فقد كان مباحاً جايزاً ولم يكونوا نهوا عنه وثوابهم منه على الله، وذلك أنّ الله جلّ وتقدّس أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخاً لفعلهم وكان نهى الله تبارك وتعالى رحمة منه للمؤمنين ونظراً لكيلا يضرّوا بأنفسهم وعيالاتهم منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع، فإن تصدّقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً، فمن ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمس تمرات أو خمس قرص أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان وهو يريد أن يمضيه، فأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه، ثمّ الثانية على نفسه وعياله، ثمّ الثالثة على قرابته وإخوانه المؤمنين، ثمّ الرابعة على جيرانه الفقراء، ثمّ الخامسة في سبيل الله وهو أخسّها قدراً. وقال النبي صلى الله عليه وآله للأنصاري حين أعتق عند موته خمسة أو ستّة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار: لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين ترك صبية صغاراً يتكفّفون الناسثم، قال: حدّثني أبي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ابدأ بمن تعول الأدنى فالأدنى، ثمّ هذا ما نطق به الكتاب ردّاً لقولكم ونهياً عنه مفروضاً من الله العزيز الحكيم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾، أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى قال غير ما أراكم تدعون الناس إليه من الأثرة على أنفسهم؟ وسمّى من فعل ما تدعون الناس إليه مسرفاً وفي غير آية من كتاب الله يقول إنّ الله لا

➔

➔

يحبّ المسرفين فنهاهم عن الإسراف ونهاهم عن التقتير لكن أمر بين أمرين لا يعطي جميع ما عنده ثمّ يدعو الله أن يرزقه الله فلا يستجيب له للحديث الذي جاء عن النبيﷺ "أنّ أصنافاً من أمّتي لا يستجاب لهم دعاؤهم: رجل يدعو على والديه، ورجل يدعو على غريم ذهب له بماله ولم يكتب عليه ولم يشهد عليه، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده، ورجل يقعد في البيت ويقول: يا ربّ ارزقني ولا يخرج ولا يطلب الرزق فيقول الله عزّ وجلّ: عبدي أولم اجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة لتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتّباع أمري ولكي لا تكون كلاً على أهلي فإن شئت رزقتك وإن شئت قترت عليك وأنت معذور عندي، ورجل رزقه الله مالاً كثيراً فأنفقه ثمّ أقبل يدعو: يا ربّ ارزقني، فيقول الله عزّ وجلّ: ألم أرزقك رزقاً واسعاً فهلاّ اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف وقد نهيتك عن الإسراف؟! ورجل يدعو في قطيعة رحم. ثم علّم الله نبيّه كيف ينفق وذلك أنّه كانت عنده أوقية من ذهب فكره أن تبيت عنده فتصدّق بها فأصبح وليس عنده شيء وجاءه من يسئله فلم يكن عنده ما يعطيه فلأمه السائل واغتمّ وهو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيماً رفيقاً فأدب الله تعالى نبيّه بأمره إياه فقال: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾. يقول إنّ الناس قد يسئلونك ولا يعذّرونك فإذا أعطيت جميع ما عندك قد حسرت من المال. فهذه أحاديث رسول اللهﷺ يصدّقها الكتاب والكتاب يصدّقه أهله من المؤمنين. وقال أبو بكر عند موته حيث قيل له أوص، فقال: أوصي بالخمس والخمس كثير، فإنّ الله تعالى قد رضي بالخمس فأوصى بالخمس وقد جعل الله له الثلث عند موته ولو علم أن الثلث خير له أوصى به. ثمّ من قد علمتم من بعده في فضله وزهده سلمان

🡐

➔

وأبو ذر، فأمّا سلمان فكان إذا أخذ عطاه رفع منه قوته لسنته حتّى يحضر عطاؤه من قابل»، فقيل له: يا أبا عبد الله، أنت في زهدك تصنع هذا وأنت لا تدري، لعلّك تموت اليوم أو غداً، فكان جوابه أن قال: «ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم عليّ الفناء؟ أوما علمتم يا جهلة أنّ النفس قد تلتاث على صاحبها، فإذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنّت، وأمّا أبو ذر فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم أو نزل به ضيف أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور أو من الشياه قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم فيقسّمه بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضّل عليهم ومن أزهد من هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئاً البتّة كما تأمرون الناس بالبقاء أمتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على أنفسهم وعيالاتهم. واعلموا أيّها النفر أنّي سمعت أبي يروي عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوماً: ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن أن قرّض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له، فكلّ ما يصنع الله به كان خيراً له، فليت شعري هل يحيق فيكم ما قد شرحت لكم منذ اليوم أم أزيدكم أوما علمتم أن الله جلّ اسمه قد فرض على المؤمنين في أوّل الأمر أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين وليس له أن يولّي وجهه عنهم ومن ولاّهم يومئذ دبره فقد تبوّأ مقعده من النار، ثم حوّلها من حالهم رحمة منه لهم فصار الرجل منهم عليه أن يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله عزّ وجلّ للمؤمنين، فنسخ الرجلان العشرة، وأخبروني أيضاً عن القضاة أجورهم حيث يقضون على الرجل منكم نفقة امرأته إذا قال إني زاهد وإنه لا شيء لي؟ فإن قلتم: جورة ظلمتم أهل الإسلام، وإن قلتم: بل عدل خصمتم

➔

➔
أنفسكم وحيث ترون صدقة من تصدّق على المساكين عند الموت بأكثر من الثلث. أخبروني لو كان الناس كلّهم كالذين تريدون زهاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم فعلى من كان يتصدّق بكفّارات الأيمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة من الإبل والغنم والبقر وغير ذلك من الذهب والفضة والتمر والزبيب وسائر ما قد وجبت فيه الزكاة من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك، إذا كان الأمر كما تقولون لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عرض الدنيا إلاّ قدمه وإن كانت به خصاصة فبئسما ذهبتم إليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنّة نبيّه وأحاديثه الّتي يصدّقها الكتاب المنزل وردكم إياها لجهالتكم وتركم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ والمنسوخ والمحكم والمشابه والأمر والنهي. وأخبروني عن سليمان بن داود عليه السلام حيث سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله ذلك وكان يقول الحقّ ويعمل به ثمّ لم نجد الله عزّ وجلّ عاب ذلك عليه ولا أحد من المؤمنين، ثمّ داود النبي عليه السلام قبله في ملكه وشدّة سلطانه، ثمّ يوسف النبي عليه السلام حيث قال لملك المصر ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾، فكان أمره الذي اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمين فكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم وكان يقول الحقّ ويعمل به فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه، ثمّ ذو القرنين عبد أحبّ الله فأحبّه وطوى له الأسباب وملكه مشارق الأرض ومغاربها وكان يقول الحقّ ويعمل به ثمّ لم نجد أحداً عاب عليه، فتأدّبوا أيّها النفر بآداب الله للمؤمنين واقتصروا على ما أمر الله ونبيّه ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به وردّوا العلم إلى أهل تؤجروا وتعذروا عند الله تبارك وتعالى وكونوا في طلب علم الناسخ من القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه وما أحلّ الله فيه ممّا حرّم فإنّه أقرب لكم من الله وأبعد لكم من الجهل
➔

فأي ضرر يصل إلى هذه الفرقة من ذهاب من سمّى نفسه باسمها من الفرق الضالّة إلى الباطل بعد ثبوت مطابقة ما هي عليه للشريعة المقدّسة[1].

➔

ودعوا الجهالة لأهلها فإنّ أهل الجهل كثير وأهل العلم قليل وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾» (انظر تحف العقول: ص٣٤٨). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام فإنّها تدلّ بالصراحة على أنّ الصوفيّة فرقة باطلة عند الشيعة. وعليه فما زعمه ابن تيمية من أنّ الصوفيّة من الشيعة باطل، أمّا ثبوت أنّها من أهل السنّة سنذكرها في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) وبعبارة أوضح أنّه بعد دلالة الروايات على بطلان فرقة الصوفيّة، وإقامة البرهان على ضلالة هذه الفرقة افي الإسلام، وأنّ عقائدها مخالفة للمسلمات من الشريعة المقدّسة، فإنّ خطرهم على الإسلام برمّته من الأمور المسلّمة لدي الفريقين، لأنّ هناك قضايا كثيرة تهيمن على الأجواء العامّة للمسلمين بصورة قويّة وعميقة، فلابدّ من الاهتمام بانتماءات الناس ووعيهم، وما تصدّهم عن التفكير والتعقّل في القضايا الأساسيّة الدينيّة. وسنبيّن ثلاثاً منها للقارئ الكريم بصورة مفهرسة:

الخطر الأول: هو أنّ التصوّف يفصّل طريقه عن العلم، فأولئك يعتقدون أنّ طريق العقل طريق منحرف ولا يوصّل الإنسان الى الواقع، لأنّ شيخهم يقول: أقدام أصحاب الاستدلال خشبيّة، وهذا ترجمة قوله بالفارسي: "پاى استدلاليان چوبين بود"، بل يجب اتّباع طريق القلب وإلقاء الاستدلال جانباً. ويقولون في معابدهم: يقبح التكلّم حول الكتاب والعلم؛ يقول أحد المتصوّفين بهذا الشأن: كنت أذهب الى المدرسة وأتلقّى الدروس، لكن عندما جئت إلى "التكية" وتتلمّذت على الشيخ مع بقية أصحابي أخفيت الكتاب والقلم والدواة لئلاّ يرونها، وسرحت ذات يوم فسقطت الدواة منّي على الأرض، التفت إليّ حينها أحد الأخوان في المسلك وقال:

➔

➔

خذ هذه واسترعورتك، فكأنّما اكتشف عورتي بذلك. فهم يظنّون أنّ هذه الدواة عورة لابد من سترها. ويتعاملون مع الكتاب والدفتر وغيرها كذلك. وقال بعضهم: ألقوا كلّ مالديكم من كتب في الشاطي؛ وأنّ أحد هؤلاء الذين ألقى كتبه في الشاطي وكان لديه كتاب كالكشكول رأى في منامه لاحقاً كذا وكذا، وبعد ما قام بذلك ذهب إلى الشيخ فقال له: لو لم تكن قد ألقيتها لما استفدت من الشيخ نهائيّاً. فلديهم خصومة مع العلم والعالم من هذا القبيل.

ولايخفى أنّه من الممكن ألاّ يقول المتصوّف العصري بهذا القول المستهجن إلى أبعد الحدود، ولكنّ هذه أمور قد سجّلت في تاريخ التصوّف، فهم يعتبرون العلم حجاباً ويعدّون العالم قاطع طريق، فلا بدّ أن يفتح حساب خاص لهؤلاء القوم. وإذا كانت عبارة العلمُ حجابٌ أكبر قد كتبت في الكتب فمن المسلّم أن نأخذ بمعناها العلمي وهو أنّه يسبب الغرور والتكبّر والأنانيّة للإنسان، وإلاّ لا يذمّ أحد ذات العلم، وإن وجدت هكذا جملة يجب تأويلها لما لدينا من آيات وروايات في مدح العلم والعالم مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ**﴾ (سورة الفاطر:٢٨)، وعندما يوزن مداد العلماء مع دماء الشهداء يوم القيامة فيرجّح المداد على الدماء، قال الامام الصادقعليه السلام «فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء» (انظر من لا يحضره الفقيه ج٤: ص٣٩٨)، فلا يمكن تجاوز كلّ ذلك. ويمكن أن يسأل السائل لماذا يتعامل هؤلاء مع العلم بهذه الكيفيّة؟ والجواب أنّه ذلك من أجل أنّ لهم مقترحات لا تنسجم مع الاستدلال العقلي ولا تطابق مع الآيات والأحاديث، فيسدّون هذا الطريق لئلاّ تنكشف الحقيقة للناس.

الخطر الثاني: هو أنّهم يرفضون مبدأ المرجعيّة والعلماء والقضايا التي من هذا القبيل، بل أنّهم يعتبرون منزلة شيخ الطريقة أسمى من المراجع، فيقولون: العلماء قشريّون

➔

➔
وشيوخ الصوفيّة لُبّيون، أي يعتبرون العلماء في مرحلة الشريعة وهم في مرحلة الطريقة والحقيقة؛ وبالنظر إلى ذلك لن يكن لتوضيح المسائل للمراجع الدينيّة أي قيمة فعليّة إزاء أوامر الشيخ، وذلك لأنّهم يجيزون مخالفة القوانين الإسلاميّة في أغلب الأماكن طبقاً لأوامر شيوخهم. وقد جاء في الكتب المعدّة لذكر تاريخهم أنّه عندما يريد الشخص مثلاً أن يشرع بالسير والسلوك في طريق التصوّف يجب عليه أن يرمي مالديه من أموال في البحر (راجع كتاب إحياء العلوم للغزالي ج٢: ص٢٢). وهو من أكابر علمائهم وجميعهم يقبلون كلامه لتروا كلامه العجيب، حتّى أنّه يتحدّث خلاف المسلّمات الفقهيّة، فإنّه يقول: كنت أذهب الى المسجد الحرام وأطوف حول بيت الله، لكن لما بلغت الحقّ رأيت بيت الله يطوف حولي، فكيف أسير إلى المطاف؟ فقال ذلك الرجل العالم : كيف يكون هذا والنبيﷺ مضى إلى الحجّ وطاف حول الكعبة، فعلى هذا يكون الشيخ عبد القادر أفضل؟! فقال: لا، النبيّﷺ حجّ لتعليم الأمّة. فقلت: فيحجّ الشيخ عبد القادر أيضاً لتعليم الأمّة، لأنّه ممّن يقتدى به. فقال له: سر خفي، وسكت (انظر زهر الربيع: ص٣٥٠). وحيث لا يوجد لديهم أي دليل على مدّعاهم، فيقولون: سرّ خفي، وذلك بمعنى أنّه لا بدّ أن تقطع العلاقة بين الناس التابعين لهم والعلماء ورجال الدين لئلاّ تكنشف الحقيقة لطالبيها. بينما نحن الشيعة نعتقد بعدم وجود أي منصب في زمان غيبة الإمام صاحب عصر الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف سوى الفقهاء والمراجع الذين يستنبطون الأحكام الإلهيّة من الكتاب والسنّة، لأنّه عليه السلام قال: «فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا...». ونحن نسألهم هل هذا الشخص الذي سميتموه شيخاً يكون مرجعاً من المراجع الدينيّة أم لا؟ فإن لم يكن كذلك فبأيّ دليل استندتم في وجوب إطاعته ومن أين نشأت هذه المقولة؟ حيث أنّنا لا نملك شخصاً مفترض الطاعة سوى
🡐

➔

النبيصلى الله عليه وآله والامامعليه السلام. إذن مخالفتهم للعلم تجلب لهم النفع وهو افتراض طاعة غير المرجع.

الخطر الثالث: بساطة تأويل وتفسير الآيات والروايات، أي التلاعب بألفاظ الكتاب والسنّة، ولهذا قصّة طويلة جدّاً، يعني أنّ ألفاظ الكتاب والسنّة كالشمع بأيديهم يفسّرونها كيف يشاؤون، وبعبارة أخرى التأويل عندهم بسيط جدّاً؛ نلفت نظر القارئ الكريم إلى مثال من توجيهاتهم وتفسيراتهم، يقول أحدهم: ألقيت كلّ شيء وأمسكت بالقرآن فلمّا وصلتُ إلى هذه الآية ﴿**قُلِ اللهَ ثمّ ذَرْهُم**﴾ قلت: المقصود من "ذرهم" غير الله. لقد فسّر كلمة "ذرهم" حسب رغبته، بينما مراد القرآن منها الأصنام أو يحتمل أن يكون المراد المخلوقين.

عندما يتلاعب أولئك بالآيات والروايات بهذه الطريقة يتّضح مدى خطرهم، ولهذا السبب أنّهم يؤمنون بولايتهم على الأحكام بالفعل، أي يرون لأنفسهم حقّ تغيير الأحكام الإلهيّة والتلاعب بها. فيغيّرون الأحكام حسب ميولهم وشهواتهم، ولذلك قد غيّروا الكثير من مسلّمات الإسلام فعلاً.

يقول أحد شيوخهم: عندما يأتي يوم القيامة يخضع الجميع لسيطرة جاهي حتّى محمّد وآل محمّدعليهم السلام! أو أنّهم يقولون: الرجبيّون هم الذين يرون الشيعة على شكل خنازير في عالم المكاشفة. ﴿**لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَابِ**﴾.

ينقل المؤرّخون أنّ طائفةً ظهرت قبل ظهور الإسلام، بل قبل ميلاد المسيح وسمّوا أنفسهم «عشّاق جمال الله» و«الواصلين إلى الله»، لكن لا توجد معلومات عن بداية نشوئهم، كما لا يعلم من أي مكان في العالم نشأ هذا المسلك، ويعتقد البعض أنّ أصل هذه الفرقة نشأت في الهند ويعتبر البعض الآخر مبدأ نشوئها من الشام ومصر، لكن لا يوجد أي اختلاف بين المؤرّخين على وجودهم قبل ميلاد المسيح تقريباً.

🡐

➔
وأمّا ورود التصوف إلى الإسلام كان في القرن الثاني من الهجرة، أي منذ أن اهتمّ خلفاء بني العبّاس بنشر علوم الآخرين وترجمتها إلى اللغة العربيّة ونشاط الرأي العامّ في ذلك الوقت وازدهار سوق المذاهب المختلفة، فمن الطبيعي حاز هذا المسلك على موقع ومنزلة في نفوس المسلمين من بين المسالك الأخرى، والتحق به عدد منهم، فأصبح له أتباع بالتدريج نتيجةً لبعض الظروف، وكان أتباعه من أبناء السنّة أكثر. وحسب عدد من الأخبار أنّ أوّل من نشر بذور هذا المسلك في البلاد الإسلاميّة هو أبو هاشم الكوفي؛ كما ورد في كتاب ″حديقة الشيعة″ أنّ الإمام الحسن العسكريعليه السلام قال: «إنّه كان فاسد العقيدة جدّاً وهو الذى ابتدع مذهباً يقال له ″التصوّف″ وجعله مقرّاً لعقيدته الخبيثة» (انظر مستدرك الوسائل ج٣: ص٢٨٥). ومن الأدلّة التي تثبت تأسيس هذا المذهب في القرن الثاني الهجري رواية نقلت عن الامام الصادقعليه السلام؛ وفي نفس الكتاب: أحد أصحاب الامامعليه السلام يقول له: شاعت هذه الأيّام جماعة باسم الصوفيّة، ما تقول فيهم؟ قال الامامعليه السلام: «أولئك خصومنا، من أحبّهم كان منهم وحشر معهم، وستميل لهم فرقة من محبّينا وتلقب نفسها بألقابهم وتأوّل أحاديثهم، من رغب فيهم ليس منّا ونبرء إلى الله منه، ومن أنكر عليهم حديثهم كان كمن قاتل الكفّار بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآله». المؤيّد الآخر لذلك كون الأحاديث الواردة في ذمّ المتصوّفين وانتقاد مذهبهم منقولةً عن الامام الصادقعليه السلام فما بعد. لقد صرّحت بعض الروايات أنّ الأئمة يبرؤون من محبّيهم لو مالوا لتلك الفرقة، حتّى جاء في أحدهما بعد أن فرغ الامام الهاديعليه السلام من ذمّ المتصوّفة قال له أحد أصحابه: لو اعترف الصوفي بحقّكم؟ فنظر له الإمام بغضب وقال: «دع عنك هذا الحديث! من اعترف بحقّنا لا يسلك طريقاً يؤذينا!» ثمّ يقول: «والصوفيّة كلّهم من مخالفينا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا». يقول المؤرّخون:
➔

→
لـم يكـن بـين المـسلمين اسـم للمتـصوّفة قبـل التـاريخ المـذكور، وملاحظـة لفـظ "الصوفي" في كلمات بعض القدماء لا يدلّ علـى وجـود هـذا المـذهب فـي صـدر الاسلام، لأنّ العرب يطلقون هذا اللفظ على مرتدي الصوف، مثلاً نقل عن الحسن البصري قوله: رأيت صوفيّاً في الطواف وأعطيته شيئاً فلم يأخذه. طبعاً لم يقل أحـد بأنّ لفظ الصوف والصوفي وجدت في زمن الامام الصادق عليه السلام ولم تكن متداولـةً بين العرب ليستدلّوا بهذه الأحاديث على قدم المذهب، فالمراد عدم وجود جماعة خاصّة بهذا الاسم آنذاك، فالحديث المنقول عن الحسن البصري لا يدلّ من قريب أو بعيد على هذا الموضوع كيف زيّنوا التـصوّف بالإسـلام؟ وانطلاقـاً مـن أنّ هـذه المذاهب تصطبغ بصبغة البيئة التي تردها وفق قـانون "اتّبـاع البيئـة"، اسـتطاع أنـصار التـصوف أن يـصبغوه بالـصبغة الإسـلاميّة، فمزجـوا جـزءاً مـن الثقافـة والأوامـر الإسلاميّة بهذا المذهب، ولإظهار انطباق عقائدهم مع العقائد والأحكـام الاسـلاميّة تناولوا الآيات والروايات التي يعتبر أغلبها من المتشابهات، وأخيراً زعموا أنّ زهّـاد الصدر الأوّل للإسلام وبعضاً من الأصحاب المعروفين مـن أمثـال سـلمان وأبـي ذر من أنصارهم، وأنّهم أوصلوا "البقلة الحمقاء" إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبـي طالـب عليه السلام، فـي حـين أنّ كـلّ ذلـك عـار عـن الـصحّة. واليـوم ولحفـظ ارتبـاطهم برجالات الصدر الأوّل للاسلام أعدّوا سلسلة من المشايخ التـي تفتقـر إلـى الـدليل وهم مستمرّون في فعاليّاتهم، لكن وبما أنّ نمط الفكر والتربية الإسلاميّة لا تنـسجم أصلاً مع كل ألوان التكتل والطائفية داخـل الإسـلام، فبالإضـافة إلـى عـدم إمكـان تطبيق جميع أصول التصوّف على العقائد والأحكـام الإسـلاميّة لـم تتـصاعد وتيـرة أعمـال الـصوفيّين بـرغم كـلّ الجهـود المبذولـة مـن قـبلهم وهوجمـوا مـن جميـع الجهات، على كلّ حال لديهم أنصار وموالون في كلّ زمـان هنـا وهنـاك يـزدادون
←

➔
وينقصون حسب الزمان والمكان.

التشعب الكثير وانحطاط التصوّف: بما أنّ إحدى الثروات الرئيسية للتصوّف إجراء الذوق والاستحسان وكما عبّر البعض "نسج العرفان"، حيث لا تخضع لضوابط معيّنة ومعيار ثابت كالشمع الذي يظهر بأشكال متعدّدة، تستحدث قضايا جديدة باستمرار وتضاف إليه، ولم يمحض ردح من الزمن حتّى ظهرت تشعّبات كثيرة لهذا المذهب يمتلك كلّ منها أسلوباً وعقائد معيّنة ومنفصلة، أُلّفت كتب كثيرة وأنشدت أشعار كذلك في هذا المجال، ووصلت إلى درجة بحيث لو أردنا التحدّث عن الشعب المختلفة للتصوّف وعقائدها الغريبة لما خلا كلامنا عن الإشكال قطعاً، والطريف أنّ عدد هذه السلاسل في تزايد مستمرّ، فكلّما رحل شيخ عن الدنيا حلّ محلّه عدد من الشيوخ الآخرين وبعقائد ونزعات متفاوتة. لكنّ هذا الحدث أمر الطبيعي، لأنّ كلّ طائفة لا تستند إلى معايير وضوابط معيّنة، وتدور حول محور الذوق والاستحسان والمكاشفة والرؤيا كالتصوّف، والفرقة التي فيها الاختلاف وأرضيّة الانحطاط. ومن جهة أخرى ترى نتيجة نشاط العلماء وتوفير الوسائل والأدوات لنشر الكتب وسهولة الاتّصالات والعوامل الأخرى تيقّظت العيون والآذان وكشف النقاب عن العديد من الأعمال، في هذه الأثناء مالت قلعة التصوّف إلى الاضمحلال وسوقهم إلى الركود والكساد. كذلك من جرّاء رقي العالم في جدر "العناصر الأربعة" ورسمت عالم الحياة بمسامير "الأمزجة الأربعة" نحو الفناء والعدم، كما أنّ مذهب التصوّف آل إلى الانحطاط جرّاء جهاد العلماء الأعلام وتنوير الأذهان. نقول بوضوح: اليوم هو ليس ذلك اليوم الذي يصدق فيه قول الشيخ صفي الدين الأردبيلي حيث يقول: صلّيتُ أربعين صباحاً ومساءاً بوضوء واحد. ولا يوجد مشتر للادّعاءات العجيبة «لأبي يزيد البسطامي» حيث قيل له:
➔

➔

سيكون الناس يوم القيامة تحت لواء النبي الكريمﷺ، فقال: أقسم أنّ لوائي أعظم من لواء محمدﷺ! ولا يتبسم شخص سمع بالأفعال المنحرفة "لحسين ابن منصور الحلاّج"، من ضمن ذلك يذكر الشيخ العطّار في كتاب "تذكرة الأولياء" أنّه كان لحسين بن منصور الحلاّج جبّة صوفيّة لم يخلعها طيل مدّة عشرين عاماً (الله أعلم كيف كان يزيل الأقذار عن بدنه ويؤدي الأغسال الواجبة). ذات يوم خلعوها عن بدنه قسراً فرأوا القمّل قد عشعش فيها ولما وزنوا واحدةً منه وجدوا أنّها تساوى نصف دانق! وينقل كذلك: وقف حسين بن منصور الحلاّج أمام الكعبة في الشمس سنةً كاملةً حتّى كان يسيل الزيت من أعضائه على الأرض. ولو تصفّح الإنسان أوضاع كبار علماء الصوفيّة في كتبهم فسوف يرى أمثال ذلك كثيراً. فأيّ شخص يطالع اليوم هذه الأحاديث ولا يعتبر أنصار هذا المذهب خرافيّين وهذه العقائد أباطيل! هؤلاء القوم الذين ترونهم قد بقوا على هذه العقيدة لأجل أنّهم أعادوا النظر في أوضاعهم وقاموا بحذف مقدار من عقائد وأفعال السالفين وأظهروها بشكل آخر يتناسب إلى حدّ ما مع الرأي العامّ السائد. إذا أراد فرد الوقوف على صدق ما قلنا فليقارن بين كتب قدماء التصوّف من قبيل "تذكرة الأولياء" و"صفوة الصفا" وأمثالها التي تشرح أوضاع كبار المتصوّفة مع الكتب الحالية لهم. ولا باس هنا بذكر بعض موارد من الكرامات المزعومة لمشايخ الصوفية والتصوّف:

الأوّل: يكتب الجامي في نفحات الأنسغطس المرشدي السباك يوم الجمعة في شطّ بغداد ليغتسل، فبعد أن خلع ملابسه غاص في الماء ولمّا أخرج رأسه فإذا به في شطّ النيل في مصر! بقي هناك سبع سنوات وتزوّج وأنجب ثلاثة أولاد، ثمّ ذهب ذات يوم ليسبح في شاطي النيل ولمّا غطس وأخرج رأسه رأى أنّه في بغداد في

➔

فالمدعي ربوبيّة أحد غير الله سبحانه أعظم كذباً على الله ممّن يـدّعي نبوّة أحد غير خاتم الرسلﷺ من بعده[1].

→

نفس الساعة من يوم الجمعة، ذلك اليوم الـذي أراد أن يغتسل فيـه ويـذهب لأخـذ سجّادة الصوفيّين إلى المسجد، وعندما خرج وأخذ تلك الـسجّادات قـالوا لـه: لقـد تأخّرت!

الثاني: نقل أنّ إبراهيم الأدهم كان جالساً ذات يوم على ضفة نهر دجلـة وكـان يخـيط خرقته البالية؛ سقطت أبرة الخياطة منه في الشاطي، فسأله أحدهم: ماذا حصلت بعد افتقادك لكذا ملك؟ أشار نحو الشاطي، أن ائتوني بـالأبرة؛ فخرجـت ألـف سـمكة! تحمل كلّ منها أبرةً ذهبيةً بفمها! قال إبراهيم: أريد أبرتي، عندئـذ خرجـت سـمكة ضعيفة تحمل أبرته في فمها، فقال ابراهيم: أقلّ ما حصلت عليه بدل ملـك بلـح هـو هذا وأنت أعلم بالباقي.

الثالث: قال سهل بن عبدالله التستري: جاءني رجل من الأبدال وتحـدّثت معـه وسـألني عن مسائل ترتبط بالحقيقة، وكنت أجيبـه حتّـى أدّى صـلاة الفجـر وغطـس تحـت الماء، فجلس هناك إلـى وقـت الـزوال، عندئـذ نـاداه أخـي إبـراهيم لأداء الـصلاة، فخرج من الماء ولم تبتل شعرة منه فأقام الصلاة، ثم غطس مرةً أخرى ولـم يخـرج منه سوى لإقامة الصلاة، كنّا على تلك الحالة مدةً، ولم يأكل قطّ طبعاً ولم يجالس أحداً حتّى غادر. من يصدق هذا الكلام المضحك وغير المجدي؟!! وإلى غير ذلك فهـذا مختـصر مـن الحقـائق فـي شـأن الـصوفية ، وهنـاك أمـور لـم نـذكرها رعايـةً للاختصار.

(١) لا شكّ أنّ ممّا يرد على الصوفيّة اعتقادهم في باب التوحيد وعـدم تنـزيهم البـاري تعالى في الذات والصفات. فإنّ الـصوفية طـراً يعتقـدون بوحـدة الوجـود، والقائـل

←

والمدّعي لهذه النبوّة أعظم كذباً على الله ممّن يدعي إمامة رجل من غير أهل البيتعليهم السلام حسبما عرفت ما دلّ على كذبه من السنن الماضية[1].

➔

بوحدة الوجود إن أراد من ذلك وحدة الموجود حقيقةً، فهو كفر محض؛ أي يعتقد بأنّه ليس هناك إلاّ موجود واحد بلا فرق بين الممكن والواجب. وبعبارة أخرى أنّ وجود الممكن له تطوّرات متكثّرة واعتبارات مختلفة حتّى يتّحد مع الواجب، فيقولون: أنّ الله سبحانه في السماء سماء وفي الأرض أرض وهكذا، وحكي عن بعضهم أنّه قال: ليس في جيبي سوى الله. ولا ندري كيف يعقل الاعتقاد بوحدة الخالق والمخلوق؟!! وكيف يلتزمون هؤلاء بالتوحيد مع اعتقادهم بوحدة الخالق والمخلوق؟!! فيدعون أنّ وجود الله ليس أمراً مبايناً لسائر الموجودات، بل يزعمون أنّ وجوده عين وجود المخلوقات؛ ومعناه أنّ في الخارج ليس إلاّ وجوداً واحداً، أي أنّ وجود المبدأ عزّ اسمه عين وجود المخلوقات حتّى الحيوانات النجسة والقاذورات؛ فتعالى الله عمّا يصفونه علوّاً كبيراً. ولذلك أفتى علماء الشيعة بنجاستهم. ومن هنا يظهر أنّ الفساد في اعتقاد من يعتقد بوحدة الوجود بين الخالق والمخلوق. فالفساد في الاعتقاد بالتوحيد أشدّ وأعظم من الفساد في الاعتقاد في النبوة ودعوى النبوة لمن لم يكن نبيّاً، أو الاعتقاد بإمامة من لم يكن إماماً أوغير ذلك؛ فإنّ من ادّعى ربوبيّة أحد غير الله سبحانه أعظم كذباً على الله ممّن يدّعي نبوّة أحد غير خاتم الرسلصلى الله عليه وآله كما لا يخفى.

(١) وتوضيح المقام أنّ من إفتراءات الفرقة الصوفية هي ادّعاء النبوّة لبعض الفلاسفة والصوفية، فإنّهم كذبوا على الله بادّعائهم النبوّة لبعض الناس، فيعتقدون بنبوّة بعض الفلاسفة والصوفيّة ويقولون أن النبوّة معارف فوق معارف الإنسان العاديّة، وقدرات ذاتيّة فوق قدرات الإنسان العاديّة يستخزنها هذا النبي إلى درجة أنّه يسمع

➔

➔

إلهاماً، وأنّه يؤثر في الجماد، ويؤثر في الحياة من حوله، وبهذا فإنّهم يفسّرون الخوارق بالمعجزات التي تحصل للأنبياء، ويقولون بأنّها تأثير ذاتي من النبي لقوّة شخصيّته ولقوّة مواهبه وإراداته وما يحصل له من الإلهامات. وبهذا الادّعاء ينكرون الرسالة الإلهيّة والشريعة السماويّة وإنزال الكتب وغيرها من معتقدات الأديان السماويّة. فيقولون أنّ الإنسان بإمكانه من خلال الرياضة أن يتوصّل إلى النبوّة، وقد بنوا على هذا الاعتقاد استناداً بحديث مشهور عند أهل السنّة، وقد رواه أكثر مصادر أهل السنّة عن النبيﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، فجعل الناس يطيفون به يقولون ما رأينا بنياناً أحسن من هذا إلاّ هذه اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٦٢ كتاب بدء الخلق، باب خاتم النبيينﷺ). ولهذا شبّه ابن عربي نفسه بأنه خاتم الأولياء كما أن النبيﷺ خاتم الأنبياء، وإنّ خاتم الأنبياء رأى هذه الرؤيا، رأى هذا البيت ورأى موضع لبنة، ورأى نفسه تنطبع في هذه اللبنة التي يتمّ بها الحائط، ولا بدّ لخاتم الأولياء أن يرى مثل هذه الرؤيا. ويرى أن الحائط مكون من لبنتين لبنة ذهب، ولبنة فضة، ويرى نفسه تنطبع مكان لبنة الذهب، وخاتم الأنبياء تنطبع نفسه مكان لبنة الفضة، فيجعل نفسه لبنة الذهب والرسولﷺ لبنة الفضّة. ويقول: إنّ خاتم الأولياء يأخذ عن الله في السرّ، وفي الظاهر تابع لخاتم الأنبياء (انظر الفتوحات المكّية ج٤: ص١٩٥). وهذا كفر صريح والقائل بهذه المقولة يخرج عن دائرة الإسلام، لأنّه بناءً على هذا الزعم أنّ الولي يوحى إليه كما أن النبي يوحى إليه، وإنّ الولي يأتيه الملك كما أن النبي يأتيه الملك، ولم يأتوا بفارق يمكن للإنسان أن يفرق به بين خصائص النبي وخصائص الولي، بل عندهم أن النبي مثل الولي تماماً لكن الوليّ لا يقول: أنا نبي وإنّما يقول: أنا وليّ، والنبي نبي فقطّ في

➔

فعلم ممّا نبّهنا عليه عدم مدخليّة ما زعمه السنّي هنا بمذهب خصمه الشيعي وقوله[1].

الاسم، أمّا في الحقيقة فإنّ الأولياء عندهم بمثابة الأنبياء تماماً فالكلّ يوحى إليهم، والكلّ يأتيهم ملك من عند الله عزّ وجلّ. فأمثال هؤلاء يتظاهرون بالإسلام حتّى لا تقطع رقابهم، فيدعون بحسب الظاهر أنّهم تابع للنبي الأكرمصلى الله عليه وآله، وقد يصلّي مع الناس ويؤدّي الشعائر الظاهرة، لكنّه في الباطن يعتقد هذه العقيدة الفاسدة، ويقول ابن عربي: فإن فهمت ذلك فقد حصل لك العلم النافع والعلم النافع الذي يريده هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود هو عين وجود لله، فليس هناك ربّ وعبد، بل الرب هو العبد والعبد هو الربّ، لكن فرعون أعرف بالله في الباطن من أصحاب وحدة...! (انظر الفتوحات المكّية ج٢: ص٤٩) وعليه فإنّ دعوى النبوة أعظم كذباً على الله بعد ادّعاء وحدة الوجود، ودعوى الربوبية. كما أنّ ادّعاء النبوّة أعظم كذباً على الله ممّن يدّعي إمامة رجل من غير أهل البيتعليهم السلام، وقد تبيّن للقارئ الكريم أنّ علماء أهل السنّة كابن عربي وغيره من الصوفيّة يدعون الألوهيّة والنبوة لا كما افترى ابن تيمية على الشيعة، فلاحظ.

(١) وخلاصة الكلام أنّ ما نسب ابن تيمية إلى الشيعة من العقائد الصوفية واضح البطلان، لأنّ الباحث الخبير يعلم أنّ اعتقادات الشيعة مذكورة في كتبهم وقد أخذها الشيعة من أئمة أهل البيتعليهم السلام وليس فيهما ما يعتقد بها الصوفية. كما أنّ اعتقادت الصوفية واضحة لدى الخبير يعرف من خلال المراجعة إلى كتبهم. فإنّ الباحث لو راجع كتب مشايخ الصوفية كابن عربي وابن الفارض والحلاج وغيرهم يذعن به أنّ الصوفيّة من أهل السنّة وأنّهم يشتركون في الاعتقادات مع أهل السنّة بحيث لو تأمل الباحث فيها يطمئن بانتماء أحدهما إلى الآخر كما تبيّن ذلك من

عاشــــرها: ما ذمّ به الشيعة من ذهابهم إلى عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام[1]

→

خلال المباحث السابقة، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ مفهوم الإمامة يقتضي العصمة، كما أنّ مفهوم النبوّة تقتضي ذلك؛ لأنّ الإمام هو الذي يأتمّ به الناس في جميع أقواله وأفعاله وتقريراته، فيجب أن يكون منزّهاً من الخطأ والذنب، ولو لم يكن كذلك لما صح الائتمام به على نحو الإطلاق، إذ لو كان يجوز له الخطأ أو الذنب معناه جواز الاقتداء والائتمام بالخطأ والذنب. فالإمامة بمفهومها تقتضي العصمة، كما النبوّة تكون كذلك. لأنّ النبي قدوة وأسوة للناس، فإذا كان يجوز له الخطأ أو الذنب سوف لا يمكن أن يكون قدوة وأسوة للناس على الإطلاق، ومن لم يمكن الاقتداء به على نحو الإطلاق فالأمر من الشارع الأقدس بالاقتداء به على نحو الإطلاق باطل بالضرورة، لأنّ مرجع أمر الشارع بالاقتداء يرجع إلى الأمر بإتيان الخطأ والذنب، وهو محال على الله سبحانه. إذ لو أمر الله سبحانه باتّباع من جاز عليه ارتكاب المعصية، فحين إقدامه على ارتكاب الذنب إمّا أن يقتدى به الناس أو لا، فإن كان الأوّل كان الله تعالى قد أمر بالذنب وهذا محال، وإن لم يقتد به الناس فقد خرج عن كونه نبياً أو إماماً، لأنّه يكون فاقداً لشرطها. فالملازمة بين الإمامة والعصمة أمر ضروري لا يمكن إنكاره، بل وهوثابت عقلاً.

وبعبارة أخرى أنّ العصمة متضمّنة لمفهوم الإمامة ولازمة لوجودها، فلا يتسنّى للإمام بدون العصمة أن ينفذ إلى قلوب الناس ومشاعرهم وأحاسيسهم، لأنّ عدم الوثوق تمنع من ذلك، وعلى هذا الأساس فلا بدّ للإمام أن يكون معصوماً من كلّ أنواع الزلل والخطأ العمدي والسهوي لجلب وثوق الناس به واعتمادهم عليه ونفوذه في

←

➔

عقولهم وتفكيرهم.

وثانياً: لمّا كانت الإمامة استمراراً لوظيفة النبوّة والرسالة، وكان الإمام يملأ جميع الفراغات الحاصلة جرّاء رحلة النبيّ الأكرمﷺ فلا مناص من لزوم عصمته، وذلك لأنّ تجويز المعصية يتنافى مع الغاية التي لأجلها نصبه الله سبحانه إماماً للأمّة؛ فإنّ الغاية هي هداية الأمّة، ولا تحصل ذلك إلاّ بالوثوق بقول الهادي والاطمئنان بصحّة كلامه، فإذا جاز على الإمام المعصية والخلاف أو الخطأ أوالنسيان، لم يحصل الوثوق بأفعاله وأقواله وضعفت ثقة الناس به، فتنتفي الغاية من نصبه، وهذا هو الدليل نفسه الذي استدلّ به المتكلّمون على عصمة الأنبياء.

وبعبارة أخرى: إنّ الإمام منفّذ لما جاء به الرسولﷺ، وحافظ للشرع، وقائم بمهام الرسولﷺ كلّها، فلو جاز عليه الخطأ والكذب لا يحصل الغرض من إمامته. نعم لو كانت وظيفة الإمام مقتصرة على تأمين السبل وغزو العدوّ والانتصاف للمظلوم وما أشبه ذلك، لكفى فيه كونه رجلاً عادلاً قائماً بالوظائف الدينيّة، وأمّا إذا كانت وظيفته كوظائف النبيّﷺ، فلا بدّ من اتّصافه بما يتّصف به النبيّﷺ، فلا يكفي اتّصافه بالعدالة فقطّ، فإنّ العدالة من شرائط القيام الوظائف الدينيّة وهي غيركافية في تحقيق الهدف المنشود من نصب الإمام مكان الرسول الأعظمﷺ، فلا بدّ أن يكون الإمام بعد النبيﷺ معصوماً، وإلاّ فإنّه لا يستطيع أن يقوم بأداء وظائفه المحوّلة إليه. وأمّا وفق نظرية أهل السنّة أنّ الإمام هو رئيس كرئيس الجمهور أو رئيس الوزراء، فبناءً على ذلك أنّ إمامة عندهم لا يكون نيابةً وخلافةً عن الرسول اللهﷺ حقيقةً، وإن كانوا يسمون الإمام بخليفة رسول اللهﷺ ويقولون أنّه نائب مكانه، إلاّ أنّ هذه الدعوى لا تطابق واقع الأمر في باب الإمامة وخلافة الرسولﷺ؛ لأنّهم لا يعتقدون بتكفّل الإمام لجميع وظائف النبيﷺ، بل أنّهم

➔

➔
صرّحوا بأنّ الإمام عندهم يتكفّل لأمور الدنيا وإدارة البلاد وأمثال ذلك وإن لم يكن قادراً على القيام بباقي وظائف ومهام النبوة والرسالة. ومع ذلك يسمّونه خليفة رسول الله ﷺ بلا دليل، ويرون طاعته مفترضة على المسلمين. ولا ندري كيف يجمعون بين الأمرين؟!!

فوفقاً لنظرية الشيعة أنّ الإمام كالنبي ﷺ لابد أنّ يكون معصوماً، وهو واسطة في نزول الفيض المعنوي من جانب الله سبحانه إلى الأمّة. وهناك أدلّة كثيرة من القرآن والروايات تدلّ على لزوم العصمة الإمام وسنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه. ومن خلال هذا البحث يمكن الحصول على نتيجتين:

١. إنّ مقام الإمامة - بعد النبيّ الأكرم ﷺ - مقام تنصيصي أي تابع للنصّ الإلهي، لأنّ الإنسان العادي وإن كان من جهة العلم والمعرفة يمكن أن يحصل على درجة عالية من العلم والمعرفة إلاّ أنّه ما لم يخضع للتربية الإلهيّة ويتلقّى العلوم النبويّة عن طريق الوحي لا يتمكّن من سدّ الفراغ ورفع الاشكالات والابهامات التي تقع في الطريق.

٢. ما لم يكن خليفة النبي ﷺ معصوماً من الذنب ومن الخطأ والاشتباه في جميع المجالات يستحيل عليه القيام بوظائف النبي ﷺ وملء الفراغ الحاصل برحيله ﷺ.

أضف إلى ذلك أنّ جميع الأدلّة العقليّة التي أقيمت لإثبات عصمة النبي ﷺ من قبيل: تحقيق أهداف البعثة، وكسب ثقة الناس به وغيرها، تجري جميعاً في حقّ الإمام وفقاً للنظريّة الشيعة، وإذا أردنا أن نصيغ ذلك الدليل بعبارة مختصرة نقول: إنّ عصمة الإمام لازمة مقام الإمامة، لأنّ الإمامة استمرار لمقام النبوة ووظائفها، أو أنّ مقام الإمام استمرار لمقام النبي ﷺ، ولا ريب أنّ هذه الاستمراريّة لا يمكن أن
➔

فإنّ الذم مردود عليه، لأنّ إمام الخلق هو من جعل هادياً إلى الحقّ[١]، فلو

تحصل من دون الإيمان بعصمة الإمام. وعليه فإنّ عصمة الإمام واجبة كعصمة النبي ولولا ذلك لزم القول بجواز امره تعالى باتّباع الخطأ، وذلك قبيح على الله عقلاً. فالدليل الدالّ على وجوب عصمة النبي دالّ على وجوب عصمة الامام كذلك. ولذلك أنّ الله تبارك وتعالى قال مخاطباً لإبراهيمعليه السلام: ﴿**قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّالِمِينَ**﴾، فإنّ غير المعصوم ظالم لنفسه فلا ينال عهد الإمامة الذي جعله الله له. فالمستفاد من الآية الكريمة الملازمة بين الإمامة والعصمة. وعليه إذا كانت العصمة للإمام ثابتة بضرورة العقل والشرع فلماذا يعترض ابن تيمية على الشيعة في قولهم بعصمة الإمام، وقد ثبت بأنّ قول الشيعة مطابق للضرورة العقلية والشرعية فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ الهادي إلى الحقّ يجب أن يكون معصوماً، لأنّ الهادي إلى الحق يجب طاعته، ومن يجب طاعته تجب عصمته. وبعبارة أخرى أنّ الهادي إلى الحق كالأنبياء تجب طاعتهم، ومن تجب طاعته على الإطلاق تجب عصمته، لأنّ العقل يرى الملازمة بين الطاعة المطلقة والعصمة، فيحكم بأنّ الهادي إلى الحقّ تجب طاعته على نحو الإطلاق ومن تجب طاعته على نحو الإطلاق تجب عصمته، لأنّ عصمته مانعة من الخطأ. فيلزم أنّ النبي و الإمام يهديان إلى الحقّ وأنّ طاعتهما واجبة، فتجب عصمتهما، والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (سورة النساء:٥٩)، فإنّ الأمر بالإطاعة لرسولصلى الله عليه وآله على نحو الإطلاق دليل على أنّ الرسولصلى الله عليه وآله يكون معصوماً وإلاّ لما جاز إطلاق الأمر بطاعته كما هو واضح ظاهر. ثمّ إنّ ظاهر عطف أولى الأمر على الرسولصلى الله عليه وآله أيضاً يقتضي وجوب طاعته على إطلاق لأنّ ظاهر العطف

فرض عدم عصمته لنسي شيئاً من الحقّ فجعل الباطل حقّاً نسياناً فيلزم من ذلك نسيان جملة من الدين وتبديل جملة منه بغيره[(١)]. حسبما مضى بيان

➔

المطلق دليل على أنّ طلب الطاعة المطلقة جارية في أولى الأمر أيضاً، ومن الواضح أنّ من وجب طاعته بأمر الشارع على نحو الإطلاق تجب عصمته؛ إذ من القبيح على الحكيم أن يفرض طاعة من لا يؤمن عليه، من الخطأ والمعصية على نحو الإطلاق. كما أنّ ذلك يكون نقضاً لغرضه؛ لأنّ الغرض من وجوب طاعة الأنبياء والأئمة عليهم السلام هداية الناس وإرشادهم إلى الحقّ، وإيصالهم إلى الكمال الدنيوي والأخروي، ومن يكون كذلك لا بدّ أنّ يكون معصوماً من الخطأ والسهو والنسيان والكذب والمعصية ليحصل الغرض به. وعليه ما ذكره ابن تيمية من جواز الخطأ والذنب على الإمام معناه قبول مخالفته لحكم العقل والشرع وقبول استحاق الذمّ بمخالفته للعقل. وكذلك مخالفة للشرع؛ أي لما ورد من أوامر الله عزّ وجلّ في طاعة الأنبياء والأئمة في القرآن الكريم فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ من اللوازم حكم العقل على لزوم عصمة الإمام صيانة الأمّة عن الوقوع في الخطأ، إذ لمّا كانت الإمامة تقتضي وجوب العصمة بحكم العقل معناه عدم جواز الخطأ أو النسيان أو الذنب منه، ضرورة أنّه لو جاز عليه ذلك لجاز الائتمام والاقتداء بمرتكب الخطأ والذنب، ومرجع ذلك إلى تبديل الدين من الهداية إلى الضلالة، حيث أنّ الغرض من الدين هداية الناس، وجواز النسيان والخطأ والذنب موجب لوقوع الناس في فيها، وبذلك يجعل الحق باطلاً نسياناً والباطل حقّاً، فيلزم من ذلك تبديل الدين من الهداية إلى الضلالة. فالعقل يحكم بلزوم عصمة من كان طاعته واجبة على نحو الإطلاق، للصيانة عن الوقوع في الضلالة. مضافاً إلى أنّ الإمامة عند الشيعة استمرار لوظائف النبوّة والرسالة، لأنّ

➔

ذلك ممّن زعم إمامتهم من تسمّى بأهل السنّة من حيث عدم عصمتهم[(١)].

➔

الإمام يملأ جميع الفراغات الحاصلة جراء رحلة النبيّ الأكرمﷺ، فلا مناص من لزوم عصمته، إذ إنّما يحصل ذلك بمن يكون مصوناً من الخطأ والنسيان والذنب، ولولا ذلك لما حصل الغاية من تنصيب الإمام، لأنّ تجويز الخطأ والنسيان والذنب يتنافى الغاية التي من أجلها نصبه الله سبحانه إماماً للأمّة؛ حيث لو نسي الإمام شيئاً من الحقّ فجعل الباطل حقّاً نسياناً يلزم منه تبديل الدين من الهداية إلى الضلالة. وهكذا لو أخطأ أو اشتبه الإمام فلا صيانة للأمة للهداية، فتنتفي الغاية من نصبه، وهذا هو نفس الدليل الذي استدلّ به المتكلّمون على عصمة الأنبياءعليهم السلام. وبعبارة أخرى: إنّ الإمام قائم مقام الرّسولﷺ ومنفّذ لما جاء به الرسولﷺ، وحافظ للشرعية بعد الرسولﷺ، فلو جاز عليه الخطأ والكذب لا يحصل الغرض من إمامته، فلا بدّ أن يكون معصوماً.

(١) وتوضيح المقام أنّه قد أجمع علماء أهل السنّة على عدم عصمة أئمتهم، قال التفتازاني في كتابه شرح المقاصد: احتجّ أصحابنا على عدم وجوب العصمة بالإجماع على إمامة أبي بكر وعمر وعثمان، مع الإجماع على أنّهم لم تجب عصمتهم... (شرح المقاصد ج٢: ص٢٧٩)، وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم في هذا المجال. وعليه فإنّ عدم الالتزام بعصمة أئمتهم يستلزم أن يصرّحوا بذلك بالنسبة إلى أئمتهم لا أئمة أهل البيتعليهم السلام.

وأمّا الشيعة الإماميّة فقد اتفقت كلمتهم على وجوب عصمة الإمام، واستدلّوا على ذلك بالأدلّة العقليّة والشرعيّة، أمّا الأدلّة العقليّة على وجوب عصمة الإمام فهي كثيرة نقتصر هنا على اثني عشر دليلاً.

الأوّل: أنّ الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع فيجب أن يكون معصوماً ليؤمن منه

➔

➔

الزيادة والنقصان في الشريعة.

الثاني: يجب أن يكون الإمام متولّياً لسياسة الرعية لأمورهم، فيجب أن يكون معصوماً ليؤمن منه الظلم والجور والتّعدّي في الحدود والتعزيرات.

الثالث: أنّ الإمام قائم مقام النبيﷺ فيجب أن يكون معصوماً كما أنّ النبيّﷺ كان معصوماً؛ لوجوب الحاجة إليه، فكما أنّ الناس يحتاجون إلى النبيﷺ، يحتاجون إلى من يقوم مقامه، ومن يقوم مقامه لا بدّ أن يكون في الرتبة كالنبيﷺ، وعليه فما دلّ على لزوم عصمة النبيّﷺ يدلّ على لزوم عصمة الإمام أيضاً.

الرابع: يجب أن يكون الإمام مصوناً من الخطأ وإلاّ سوف يكون بحاجة إلى مدد من يصونه من الخطأ، وهكذا الأمر يتسلسل إلى أن يصل إلى من يكون معصوماً، فلامحالة لا بدّ أن يكون الإمام معصوماً.

الخامس: يجب أن يكون الإمام غير مداهن في الرعية وإلاّ سوف يقع الهرج والمرج بين الناس؛ لأنّ المداهنة في أمر الناس والمساهلة في الدين، وعدم إظهار الحقّ ودفع الباطل، تنفي فائدة وجود الإمام، وعليه فإنّ الوصول إلى الحقّ على ما هو الواقع عليه بحاجة إلى وجود المعصوم بين الناس، فيجب أن يكون الإمام معصوماً.

السادس: يجب أن لا يصدر المنكر من الإمام، وإلاّ سوف يلزم خروجه عن العدالة، وحيث أنّ العدالة من أركان الإمامة، فخروجه عنها يستلزم الخروج عن الإمامة؛ لأنّ فقدانه للركن موجب لعدم صلاحيته للتصدّي لهذا المقام، فيجب أن يكون الإمام معصوماً.

السابع: يجب على الناس أن يقتدوا بالإمام في جميع أقواله وأفعاله وتقاريره على الإطلاق، ومن يجب الاقتداء به على الإطلاق يجب أن يكون معصوماً، وإلاّ سوف يرجع إلى جواز الإقتداء بمن يرتكب المنكر ولو سهواً.

🡐

➔
الثامن: يجب أن يكون الإمام صادقاً في قوله على الإطلاق ليحصل الوثوق بأخباره، ومقتضى الصدق على الإطلاق العصمة، فيجب أن يكون معصوماً.

التاسع: يجب أن لا يفعل الإمام فعلاً قبيحاً ولو سهواً ، وإلاّ لذهب محلّه من القلوب، ومن يجب أن لا يفعل قبيحاً على الإطلاق فهو معصوم، فيجب أن يكون الإمام معصوماً.

العاشر: تجب طاعة الإمام على الإطلاق، لقوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ منكُمْ**...﴾ (سورة النساء:٥٩)، وغير المعصوم لا تجب طاعته، فيجب أن يكون الإمام معصوماً.

الحادي عشر: تجب أن تكون مرتبة الإمام أعلى رتبة في الرعية، وهذه المرتبة لا تحصل إلاّ لمن كان معصوماً، لأنّ اليقين بالمرتبة الأعلى في الكمالات لا تحصل إلاّ بالعصمة، فيجب أن يكون الإمام معصوماً.

الثاني عشر: يجب أن يكون الإمام منزّهاً عن جميع الذنوب والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وإن لم يكن كذلك فلا فرق بينه وبين المأموم ، والمنزّه عن جميع الأرجاس والذنوب فهو معصوم.

ولا يخفى على الباحث أنّه يكفي في مقام الاحتجاج بالدليل السادس على علماء أهل السنّة وهو وجوب عدم صدور المنكر من الإمام، فإنّه وحده يكفي لإثبات عدم لياقة خلفاء أهل السنّة للإمامة والخلافة؛ لأنّ كتب علمائهم مشحونه بذكر المناكير الصادرة من خلفائهم، وأنّ من أهمّ ما صدر منهم غصب الخلافة في السقيفة، لأنّ غصب كان موجباً لضلالة الأمّة وانحرافها عن الدين والصراط المستقيم، حيث أنّ الله تعالى جعل الإمام خليفةً لرسول الله ليؤمّ به الناس، فلو كان الإمام منحرفاً عن الدين فيكون سبباً لضلالة الإمة وإنحرفها كما هو الواضح. والتاريخ يكشف لنا
🡐

➔

هذه الحقيقة بوضوح حيث أنّ أوّل مخالفة صدر في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هي غصب الخلافة في السقيفة. وعلى أثر هذه المخالفة التي كانت حجر الأساس لإنحراف الناس عن الدين قد صدر من خلفاء الجور مخالفات لكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله لتثبيت الخلافة الجائرة التي بدأت من السقيفة ثم ازدادت وتوسّعت في البلاد، وكما اتسعت دائرتها ازدادت انحراف الأمّة وضلالتها عن الدين والمباني الإسلامية. ونحن نذكر هنا بعض مخالفاتهم من باب المثال، فمنها: مخالفة أبي بكر للقرآن والسنّة النبويّة في منع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فدكاً، رغم أنّ النصوص العديدة أكّدت على أن فدكاً كانت نحلة للزهراء عليها السلام، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أعطاها إيّاها خالصة قبل وفاته صلى الله عليه وآله. فقد أخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت ﴿**وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٧: ص٤٩، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٣٩، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤: ص١٧٧، والشوكاني في فيح القدير ج٣: ص٢٢٤، وغيرهم. ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ص٩٩). ففي هذا الكلام من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تصريح على أنّ فدكاً كانت في أيديهم قبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر، وذلك ممّا يعني أنّها لم تكن ميراثاً بل هي نحلة، فما ادّعاه أبو بكر باطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين. وعلى فرض أن يكون الفدك إرثاً، فأيضاً أنّ منع أبي بكر الفدك من الزهراء عليها السلام من أوضح مخالفات أبي بكر للنصّ القرآني، لأنّ منع فاطمة الزهراء عليها السلام من الميراث، مخالفة لصريح الآيات من

➔

➔

القرآن الكريم والنصوص النبوية وقد أشارت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام بذلك في خطبتها المعروفة بخطبة الفدكيّة، محتجةً على أبي بكر: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ**﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا، إذ قال: ﴿**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾؟» ثمّ قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد صلى الله عليه وآله والموعد القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون»، ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام ما هذه الغميزة في حقّي، والسنة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). فغضبت فاطمة الزهراء عليها السلام على أبي بكر وبذلك أصبتت مخالفة أبي بكر ايضا لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

ومنها: مخالفة أبي بكر وأتباعه لكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله في قتل المسلمين الأبرياء كمالك بن نويرة الصحابي الجليل؛ الذي يقول ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمته: مالك بن نويرة المقتول المزني بزوجته في نفس الليلة ما يلي... إلاّ أنّه لم تظهر عليه ردّة (يقصد مالك بن نويرة الصحابي الجليل) وأقام بالبطاح، فلمّا فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح، فلم يجد به أحداً، كان مالك قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع (لو كان مالك مرتدّاً فعلاً لأعدّ العدّة لقتال خالد) (انظر أسد الغابة ج٤: ص٢٩). وقد ذكر المؤرّخون: أنّه لمّا قدم خالد ابن

➔

➔

الوليد البطاح بث سراياه، فأتى بمالك بن نويرة ونفر من قومه. فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، وكان فيمن شهد أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد فنادى: أدفئوا أسراكم - وهي في لغة كنانة القتل - فقتلوهم (انظر الى مكر خالد وغدره)، فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا، فتزوّج خالد امرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأوّل فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكاً، وقدم خالد على أبي بكر فقال له عمر: يا عدوّ الله قتلت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، لأرجمنّك وأبو قتادة يشهد أنّهم أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يردّ السبي ويعطي دية مالك من بيت المال (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٥٠٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٢٥٩، وأبو الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج١٥: ص٢٠٣، وتاريخ الاسلام للذهبي ج٣: ص٣٦ وغيرهم). ولا شكّ مالكاً كان من المسلمين، وقد أجمع علماء الإسلام على ذلك، ولكن حيث أنّه امتنع عن إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة لعدم اعتقاده بخلافة أبي بكر، حتّى ورد أنّ عمر الذي كان معروفاً بالغلظة، قال لأبي بكر: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله، فمن قال لا إله إلاّ الله عصم منّي ماله ونفسه إلاّ بحقّه وحسابه على الله (انظر صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). ولم يبالي أبو بكر بما ذكّره عمر وغيره ممّن اعترضوا عليه، فقتله ظلماً وعدواناً. والملفت للنظر في هذه القصة هو اعتراف ضمني من أبي بكر على أنّ عمله كان مخالفاً للدين والسنّة النبويّة، إذ أنّه دفع دية مالك من بيت المال واعتذر عن قتله بعد ذلك (انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦). ومن الواضح أنّه إذا كان عمله مطابقا للدين

←

وقد دلّ على ما بيّنّاه خبر الثقلين[1]،

➔

والشريعة المقدسة فلا يعتذر عن قتله. ثمّ أنّه من مخالفته أيضاً لكتاب الله وسنّة رسولهﷺ عدم إقامة الحدّ على خالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة وما ارتكب من زنا بزوجته من ليلته، ولم يقتص منه! مع أنّ دفع دية خالد من بيت المال دليل على قتل مالك بن نويرة كان على خلاف كتاب الله وسنّة رسول اللهﷺ (انظر الإصابة لابن حجر ج٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦، وتاريخ الطبري ج٣: ص٢٧٨، وتاريخ أبي الفداء ج١: ص٢٢١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٥٨ وغيره). فما فعله مخالف للكتاب والسنّة.

ومنها: مخالفة أبي بكر لسنّة رسول الله، بأمره بإحراق فجاءة السلمي بالنار وقد قال رسول اللهﷺ «لا يعذّب بالنار إلاّ ربّ النار» (انظر سنن أبي داود ج٢: ص٤٠٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص٢٥١، ومسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٤٩٤ وغيرهم). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم للكتاب والسنّة النبويّةﷺ.

والنتيجة فمن اقتدى بالخلفاء الذين خالفوا كتاب الله وسنة رسولهﷺ، معناه أنّه اقتدى بأهل البدعة والضلال، وأنّ كتب أهل السنة مليئة بذكر الروايات الواردة عن النبيﷺ التي تفيها تصريح عل أنّ: «كلّ بدعة ضلالة» (انظر مسند أحمد ابن حنبل ج٤: ص١٢٦)، ورواه الدارمي في سننه ج١: ص٤٥، وابن ماجة في سننه ج١: ص١٦، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج١: ص٩٦ وغيرهم. فالأدلةّ القاطعة عند جميع المسلمين تثبت بأنّ خلافة الخلفاء الثلاثة كانت خلافة من أهل البدعة والضلال، فلاحظ.

(١) إنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة لدى الفريقين، وقد أخرجه كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، ونصّوا على صحّته ووثاقة رواته،

←

➔

فالحديث في أعلى درجة الصحّة، وطرقه إلى الصحابة كثيرة جداً بل متواتر في جميع طبقاته عن بضع وعشرين صحابياً كما نصّ على ذلك ابن حجر (انظر الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وقد أفرد العلاّمة السيّد مير حامد حسين لكنهوي للحديث جزئين من موسوعته عبقات الأنوار وذكر فيه طرق الحديث من كتب أهل السنّة إلى الصحابة فهي أكثر من بضع وعشرين صحابيّاً.

وممّن روى هذا الحديث أحمد بن حنبل في مسنده بطرق عديدة، فقد روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤).

وروى بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض عليّ» (مسند أحمد ابن حنبل ج٥: ص١٨٢).

وروى بسنده عن على بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّي تارك فيكم الثقلين...»؟ قال: نعم (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٧١).

وروى بسنده عن علي بن زيد عن أنس بن مالك قال: إنّ قوماً ذكروا عند عبيد الله ابن زياد الحوض فأنكره، وقال: ما الحوض؟ فبلغ ذيك أنس بن مالك، فقال: لا جرم والله لأفعلنّ فأتاه، فقال: ذكرتم الحوض؟ فقال عبيدالله: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكره؟ فقال: نعم، يقول أكثر من كذا وكذا مرّة، إنّ ما بين طرفيه كما بين أيلة ومكّة، أو بين صنعاء ومكّة، وآنيته لأكثر من عدد نجوم السماء (مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص٢٣٠).

➔

➔

وهذا مصدر واحد من مصادر أهل السنّة وهناك مصادر عديدة من الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة والجماعة وقد رووا في كتبهم هذا الحديث بأسانيد عديدة وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

وأمّا دلالة الحديث فهي واضحة جدّاً كالشمس؛ حيث أنّ النبي الأكرمﷺ حصر فيه وجوب اتّباع القرآن وأئمّة أهل البيتعليهم السلام إلى يوم القيامة، فإنّ من له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربيّة وأساليبها يعرف أنّ الحديث صريح في دلالته، لأنّ النبيّ الأكرمﷺ قرَن طاعة عترته الطاهرة بمحكم الكتاب العزيز، فكما يجب الأخذ بالكتاب واتّباعه كذلك يجب اتّباع العترة الطاهرة، حيث جعل النبيّ الأكرمﷺ الأئمّة من العترة الطاهرة عدلاً للقرآن وشريكاً للوحي، وقد حصر الفوز بالسعادة بالتمسّك بهما والضلالة لمخالفتهما أو مخالفة واحد منهما، فالحديث صريح في وجوب اتّباع القرآن وأئمّة الطاهرين من العترة الطاهرةعليهم السلام.

ولا بأس هنا بذكر شرح بعض العبارات من الحديث عن بعض علماء أهل السنّة والاعترافهم بدلالة الحديث على إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام، منهم الزرقاني قال: قال الحكيم الترمذي: حضّ على التمسّك بهم، لأنّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة (انظر شرح المواهب اللدنية ج٧: ص٥ نقلاً عن نوادر الأصول للترمذي).

ومنهم النووي قال: أنّ قولهﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين»، فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٥: ص١٨٠).

ومنهم ابن الأثير قال: فيه (أي في حديث): «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»؛ سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما (انظر النهاية ج١:

➔

وغيره الذي دلّ على مقارنة العترة للفرقان العظيم المنزّه عن الباطل[١]،

➔

ص٢١٦ مادة ثقل).

ومنهم القاري قال: والمراد بالأخذ بهم: التمسّك بمحبّتهم ومحافظة حرمتهم والعمل برواياتهم والاعتماد على مقالتهم (انظر مرقاة المفاتيح ج٥: ص٢٠٠).

وقال شهاب الدين الخفاجي: أي: تمسّكتم وعملتم واتّبعتموه (انظر نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض ج٢: ص٤١٠).

ومنهم المنّاوي قال: «إنّي تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين»، زاد في رواية: «أحدهما أكبر من الآخر»، وفي رواية بدل «خليفتين»: «ثقلين»، سمّاهما به لعظم شأنهما: «كتاب الله القرآن، حبل»، أي: هو حبل ممدود ما بين السماء والأرض، قيل: أراد به عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه، «وعترتي» - بمثنّاة فوقيّة -: «أهل بيتي». تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٣: ص١٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم في شرح الحديث. فحديث الثقلين يدلّ على خلافة أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم وعصمتهم وطهارتهم وأفضليّتهم من غيرهم كما سيأتي تفصيل البحث في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) هذه العبارة إشارة إلى دلالة حديث الثقلين ومحتواه الجامع والشامل لمقامات القرآن والعترة الطاهرة، وسنشير إلى جانب منها بشكل مختصر وهي كالتالي:

١- إنّ القرآن وأهل البيت عليهم السلام متلازمان دائماً ولا يمكن فصلهما، فالذين يبحثون عن حقائق القرآن يتحتمّ عليهم التمسّك بأهل البيت عليهم السلام، كتمسكهم بالقرآن.

٢- كما أنّ اتّباع القرآن واجب على المسلمين بلا قيد ولا شرط فإنّ اتّباع أهل البيت عليهم السلام أيضاً يكون واجباً بلا قيد ولا شرط.

➔

➔

٣- إنّ أهل البيتعليهم السلام معصومون، لعدم افتراقهم عن القرآن فكما أنّ القرآن معصوم، ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (سورة فصّلت:٤٢). كذلك أهل البيتعليهم السلام.

وفي حديث رواه الطبرسي بسنده عن موسى بن عقبة أنّه قال: لقد قيل لمعاوية: إنّ الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسينعليه السلام، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فإنّ فيه حصراً أو في لسانه كلالة، فقال لهم معاوية: قد ظننّا ذلك بالحسن، فلم يزل حتّى عظم في أعين الناس وفضحنا، فلم يزالوا به حتّى قال للحسينعليه السلام: يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت، فصعد الحسينعليه السلام على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيصلى الله عليه وآله، فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسينعليه السلام: «نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول اللهصلى الله عليه وآله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون، واحد الثقلين الذين جعلنا رسول اللهصلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى الذي فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوّل علينا في تفسيره، لا يبطينا تأويله، بل نتّبع حقايقه فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وأحذّركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم فإنّه لكم عدوّ مبين فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ﴾ فتلقون للسيوف ضرباً وللرماح ورداً وللعمد حطماً وللسهام غرضاً ثمّ لا يقبل من نفس ﴿إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾»،

🡐

ومن هذه الجهة بيّن صلى الله عليه وآله فيه هلاكة المتقدّم عليهم والمتأخّر عنهم[1]؛

قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله قد بلغت (الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢: ص٢٢).

٤- فإنّ المستفاد من قوله صلى الله عليه وآله: «إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض» أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أخبر أمته عن وجود القرآن وأهل البيت عليهم السلام وعدم تفرقهما في كل عصر وزمان إلى يوم القيامة. وهذا دليل واضح على وجود أهل البيت عليهم السلام المعصوم مع القرآن على مرّ التاريخ، في كلّ عصر وزمان. إذن لا بدّ أن نسعى ونبحث عن أهل البيت المعصوم الذي هو مع القرآن، في كلّ عصر وزمان.

٥- يستفاد من هذا الحديث الشريف أنّ الانفصال عن أهل البيت عليهم السلام أو التقدّم عليهم موجب للوقوع في الضلال، كما أنّ الانفصال عن القرآن الكريم والتقدّم على تعاليمه يكون كذلك. فحديث الثقلين يدلّ على عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام لمقارنتهم بالقرآن الكريم، المنزّه عن كلّ الباطل، ومعناه العصمة. وبمقتضى قوله صلى الله عليه وآله: عدم الافتراق بينهما فأنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام يكونوا منزّهين عن كلّ الباطل، ومعصومون عن كلّ خطأ، وهذا أيضاً معناه العصمة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى بعض فقرات حديث الثقلين وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله «فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم» أخرجه الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٥: ص١٦٦). وفي حديث آخر أخرجه السخاوي عن طريق ابن عقدة في كتابه الولاية بسنده عن أبي الطفيل، عن عامر بن ليلى ابن ضمرة، وحذيفة بن أسيد، قالا: لمّا صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع ولم يحجّ غيرها حتّى إذا كان بالجحفة نهى عن سمرات بالبطحاء متقاربات لا ينزلوا تحتهنّ

فإنّه لو فرض خطأ العترة في شيء من الدين لحصلت المفارقة بينهم وبين الفرقان لصيرورتهم في خطئهم على الباطل، ولم يصرّ المتأخر عنهم في خطئهم هالكاً[(١)]

حتّى إذا نزل القوم وأخذوا منازلهم سواهنّ أرسل اليهنّ فقم ما تحتهنّ، وسدين على رؤوس القوم حتّى إذا نودي للصلاة غدا اليهنّ، فصلّى تحتهنّ ثمّ انصرف على الناس وذلك يوم غدير خمّ، وخمّ من الجحفة وله بها مسجد معروف، فقال صلى الله عليه وآله: «أيّها الناس، إنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لن يعمر نبيّ إلاّ نصف عمر الذي يليه من قبله...» وذكر الحديث إلى قوله صلى الله عليه وآله: «أيّها الناس، أنا فرطكم وأنّكم واردون عليّ الحوض أعرض ممّا بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضّة، ألا وإنّي سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما حتّى تلقّوني»، قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، ألا وعترتي، فإنّي قد نبّأني اللطيف الخبير ألاّ تتفرقا حتّى يلقياني، وسألت ربّي لهم ذلك فأعطاني، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فهم أعلم منكم» (انظر استجلاب ارتقاء الغرف السخاوي الشافعي ص١٠٩). وهذه الفقرة أيضاً تدلّ على عصمة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ التقدّم عليهم موجب للهلاكة، أي موجب للضلالة. كما أنّ التقدّم على معارف القرآن موجب للضلالة. وأيضاً التأخّر عنهم عليهم السلام موجب للهلاكة والضلالة، كما أنّ التأخّر عن معارف القرآن موجب للضلالة. فأهل البيت عليهم السلام أفضل الناس وأعلمهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يجوز التقدّم عليهم ولا التأخّر عنهم فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ من له أدنى معرفة باللغة العربيّة يعرف أنّ اقتران العترة بالقرآن

➔

في حديث الثقلين يدلّ على وجوب اتّباع العترة الطاهرةعليهم السلام كوجوب اتّباع القرآن الكريم؛ لأنّ النبيصلى الله عليه وآله بيّن في هذا الحديث بأفصح اللسان وأروع البيان عدم عدم الانفصال بين العترة الطاهرةعليهم السلام والقرآن الكريم، ولو في مورد واحد. وهذا معناه مرجعية أئمة أهل البيتعليهم السلام للأمّة كمرجعية القرآن لهم، أي كما يجب على الأمّة اتّباع القرآن ويحرم عليهم مخالفته كذلك يجب عليهم اتّباع أهل البيتعليهم السلام وعدم مخالفتهمعليهم السلام، وهو مدلول قولهصلى الله عليه وآله: «لن يفترقا» أي أنّ القرآن لن يفترق عن أهل البيتعليهم السلام وأهل البيت عليهم السلام لن يفترقوا عن القرآن، فهما في حيّز واحد من حيث الملاذ والمرجعيّة لهذه الأمّة. ثمّ إنّ عدم افتراق القرآن عن أهل البيتعليهم السلام يدلّ أيضاً على أن جميع أفراد الأمّة بمختلف طبقاتهم وأصنافهم يحتاجون إلى العترة الطاهرةعليهم السلام، كما أنّهم يحتاجون إلى القرآن الكريم في جميع المسائل الدينية والأحكام الشرعيّة، ووظائفهم الإجتماعية، وكيفيّة القضاء ورفع النزاع، وإصلاح الأمّة ورفع الشبهات ومعرفة حقوق بعضهم على بعض، وإصلاح أمور المعاش والمعاد وطرق التقرّب إلى الله عزّ وجل، وبشكل عامّ في كلّ أمورات دينهم ودنياهم محتاجون إلى القرآن وتعاليم أهل البيتعليهم السلام. ولأنّ القرآن فيه جميع ما يحتاج إليه الناس قال الله تعالى: ﴿**وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ (سورة الأنعام:٥٩) ويتبيّن من هذه العبارة القصيرة سعة علم الله اللامحدود وإحاطته بكلّ الكائنات بدون أي استثناء، إذ أنّ "الرطب" و"اليابس" كناية عن الشمول والعموميّة، وهذا معناه أنّ الله تعالى جعل جميع العلوم في القرآن الكريم، والمستفاد من قوله بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله: «لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» أنّ العترة الطاهرةعليهم السلام عندهم جميع علوم القرآن. فالناس جميعاً يحتاجون إلى العترة الطاهرةعليهم السلام، كما يحتاجون إلى القرآن الكريم. ولا يستطيع

🡐

فلزم من ذلك عصمتهم وعدم خطئهم في شيء من الشريعة[(١)]،

➔

الناس استنباط جميع ما يحتاجون إليه من محكماته بمفردها وليس لهم سبيل إلى تفسيره وتأويل متشابهاته واستخراج العلوم من بطونه إلاّ بالرجوع إلى أولئك الذين أختارهم الله ليكونوا عيبة لعلمه وأشار إليهم في موارد شتّى حيث قال تعالى: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا...**﴾، وقال أيضاً: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة النحل:٤٣). وليس أهل الذكر إلاّ أهل البيت عليهم السلام، والمقصود بالذكر كلّ أنواع العلم والمعرفة والاطّلاع، وأهل الذكر من له الإحاطة بجميع المعارف والعلوم في المجالات المختلفة، فكما أنّ القرآن الكريم نموذج كامل وبارز للعلم والمعرفة أطلق عليه اسم الذكر، وكذلك شخص النبي صلى الله عليه وآله فهو مصداق واضح للذكر كذلك أئمة أهل البيت عليهم السلام باعتبار أنّهم أوارثوا علم النبي صلى الله عليه وآله، فإنّ جميع الناس يحتاجون إلى القرآن وأهل البيت عليهم السلام وهما لا يحتاجون إلى أحد من البشر. وبما أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمر جميع أمته بالتمسّك بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام ولم يستثن في ذلك أحد، فلن تبقى شبهة لذوي الألباب في أنّ الجميع محتاجون إليهما وأنه ليس هنالك أحد من أفراد الأمّة عالم بجميع علوم القرآن سواهم، فلاحظ.

(١) وملخص الكلام أنّ حديث الثقلين يتضمّن لمجموعة من الدلالات، منها: دلالته على عصمة العترة الطاهرة عليهم السلام، إذ كما أنّ القرآن، كذلك أهل البيت عليهم السلام، حيث أنّ مقتضى انحصار النجاة في التمسّك بهما معاً على الإطلاق دليل على أنّهما في حدّ سواء من العصمة والطاهرة والأعلميّة والأفضليّة والمرجعيّة، إذ لو كان التمسّك بغيرهما هذه الخصوصيات كان من اللازم على النبي صلى الله عليه وآله أن يذكره في عدادهما، فانحصارهما بالنجاة دون غيرهما دليل على أنّ العصمة منحصرة بهما، ولا نجاة

➔

بل من باب وجوب اللطف[1]

➔
لأحد من الأمّة إلاّ بالتمسّك بهما معاً. فالقرآن الكريم وأهل البيتعليهم السلام يشكلان وحدة واحدة في هداية المسلمين إلى ما هو خير وسعادة الناس في الدنيا والآخرة. ومن هنا يعرف أنّ الأمر بالتمسّك بالعترة الطاهرة على الإطلاق كالتمسّك بالكتاب العزيز دليل قاطع على عصمة العترة الطاهرة، إذ يستحيل أنّ يأمر النبيصلى الله عليه وآله بالتمسّك على الإطلاق بمن لا يضمن من الخطأ والنسيان، كما يستحيل ذلك على الله تعالى في قوله بالنسبة إلى القرآن الكريم. وحيث أنّ الأمر النبوي بالتسّمك بهما مطلق بدون قيد أو شرط فيدلّ على أنّ تمسّك بهما مطلقاً يكون موجبا للهداية، ومن كان التمسّك به على الإطلاق موجب لهداية فيكون معصوماً. فحديث الثقلين يدلّ على عصمة أئمة أهل البيتعليهم السلام كدلالته على إمامتهمعليهم السلام، لأنّ من وجب التمسّك به وجب عصمته ومن وجب عصمته وجب إمامته، وحيث أنّ العصمة ملازمة للإمامة والخلافة بعد الرسولصلى الله عليه وآله بلا فصل. وهناك أدلّة أخرى عديدة على عصمة العترة الطاهرة، مثل قولهصلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيشابوري ج٢: ص٣٤٣). وفيه دلالة واضحة على عصمة أهل البيتعليهم السلام وذلك لأنّ التخلّف عنهم حال الخطأ لا يعد هلاكاً، والنبيصلى الله عليه وآله صرّح فيه بأنّ النجاة في اتّباعهم والهلاك في التخلّف عنهم، فثبت أنّهم لا يخطئون. وكقولهصلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمّتي» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٧: ص٢٢). وغير ذلك من الروايات التي سنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى أنّ قاعدة اللطف من القواعد التي تقتضي وجوب عصمة الإنبياءعليهم السلام
➔

➔
وأئمة الأطهار عليهم السلام. وهي من الأدلّة التي استدلّ بها علماء الشيعة في المسائل عديدة من المباحث الكلاميّة، كوجوب إرسال الرسل وإنزال الكتب، وبيان الأحكام الشرعية، وإعلام ما فيه الفساد أو الصلاح للعباد، ولزوم الوعد والوعيد، وما إلى غير ذلك من الأمور الأخرى. وهذه القاعدة تكون جارية بملاحظة الحكم العقلي العملي الذي من شأنه أن يدرك ما ينبغي فعله أو تركه، أي القوّة المميّزة للحسن والقبح باعتبار مدركاته، حيث أنّ العقل يدرك حسن الأفعال وقبحها، وكلّما حكم العقل بحسنه معناه أنّ في ذلك فعل فيه مصلحة ، وبالضرورة العقلية أنّ الحكمة تقتضي الحكم على أساس المصلحة. كما أنّ حكم عقل بقبح بعض الأفعال دليل على أنّ فيه الفساد . فمثلاً أنّ العقل يدرك حسن العدل، وكلّما حكم العقل بحسنه معناه أنّ فيه الحكمة، والحكمة تقتضي وجوب العمل به، لأنّ العقلاء يمدحون فعل الحسن لكونه حسناً كالعدل، فيمدحون العادل ويستحسنون فعله المدح، كما يذمون الظلم لقبحه عقلاً، فالحكمة تقتضي عدم ارتكابه الظلم، لأنّه قبيح، وأنّ فاعله يستحقّ الذمّ على فعله. وفي المقام أنّ العقل يدرك لزوم اللطف على الله، أي: أنّ العقل يدرك أنّ الحكمة الإلهيّة متوقّفة على حكم العقلي بالحسن والقبح العقليين، وبمقتضى ذلك أنّ العقل يدرك بأنّ الحكيم إنّما تكون أفعاله مطابقة لما تقتضيه الحكمة، ومقتضى الحكمة أن يكون مطابقاً على التحسين والتقبيح العقليين، وهذا الدرك العقلي يسمّى بقاعدة اللطف، وهي تقتضي وجوب بعث الأنبياء عليهم السلام ونصب الأئمة عليهم السلام وعصمتهم.

وقد أشار سبحانه وتعالى بذلك في كتابه العزيز: ﴿**وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ (سورة الاعراف:١٦٨)، والمراد من الحسنات والسيّئات، نعماء الدنيا وضراؤها وكأنّ الهدف من ابتلائهم بهما هو رجوعهم إلى الحقّ والطاعة.
➔

➔

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَة منْ نَبيّ إلاّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (سورة الأعراف:٩٤)، ومفاد الآية أنّ الله تعالى أرسل رسله لإبلاغ تكاليفه إلى العباد وإرشادهم إلى طريق الكمال. ولكن حيث أنّ الناس توغلوا في الرخاء والنعم المادّية، وغفلوا عن هدف خلقة الإنسان فلم يجيبوا دعوة الأنبياء عليهم السلام وتمادوا في الطغيان والفساد والظلم وغير ذلك من الأفعال القبيحة، فالحكمة الإلهيّة اقتضت أخذهم بالبأساء والضراء لعلّهم يضرعون ويبتهلون إلى الله تعالى. ولأجل ذلك أنّ الأنبياء لم يكتفوا بإقامة الحجّة والبرهان والإتيان بالمعاجز، بل كانوا – مضافاً إلى ذلك – مبشّرين ومنذرين، وكان الترغيب والترهيب من شؤون رسالتهم، كما قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (سورة النساء:١٦٥). والإنذار والتبشير دخيلان في رغبة الناس بالطاعة وابتعادهم عن المعصية.

وفي كلام مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إشارة إلى هذا المعنى، وهو قوله عليه السلام: «أيّها الناس، إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة وأخلاق شريفة، فعلم أنّهم لم يكونوا كذلك إلاّ بأن يعرّفهم ما لهم وما عليهم، والتعريف لا يكون إلاّ بالأمر والنهي، والأمر والنهي لا يجتمعان إلاّ بالوعد والوعيد، والوعد لا يكون إلاّ بالترغيب، والوعيد لا يكون إلاّ بالترهيب، والترغيب لا يكون إلاّ بما تشتهيه أنفسهم وتلذّه أعينهم، والترهيب لا يكون إلاّ بضدّ ذلك...» (الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج١: ص٣٠٩). فقوله عليه السلام: «والأمر والنهي لا يجتمعان إلاّ بالوعد والوعيد»، إشارة إلى أنّ امتثال الأمر والنهي ونفوذهما في نفوس الناس يتوقّف على الثواب والعقاب، ولولاهما لما كان هناك حركة إيجابية نحو التكليف، ولا رغبة للطاعة ولا رهبة للابتعاد عن المعصية. فلزوم بيان التكليف من جهة استحقاق العباد الثواب والعقاب. فتحصّل أنّ بيان

🡐

الذي تقدّم بيان معناه يلزم عصمته حتّى في العادّيات ليشتدّ وثوق الناس بما يقوله ويفعله فيطيعونه ويرغبون إليه لحصول العلم لهم حينئذ بامتيازه عنهم وتفوقه عليهم فيهتدون بهديه عن كمال الميل والرغبة فيحصل المقصود من نصبه بأحسن وجه[1].

➔

التكليف للناس يكون من جهة صونهم عن الوقوع في اللغوية، بل ويكون صوناً من العبث في خلق الإنسان. وحينئذ أنّ اللطف واجب من باب الحكمة والمصلحة، فلاحظ.

(١) وملخّص الكلام أنّ عصمة الأئمة الطاهرين عليهم السلام هي نتيجة العدل الإلهي، وأنّ العدل الإلهي يترتّب على قاعدة اللطف، وقاعدة اللطف من الأمور المقطوع بها في علم الكلام عقلاً ونقلاً؛ وذلك لأنّ اللطف بمعنى درك العقل حسن الفعل ولزوم اجرائه من الحكيم على الإطلاق، وهذا ما يعبّر عنه بالواجب العقلي، إذ به يحصل الغرض من فعل الباري تعالى، ومن عدم فعله يلزم نقض الغرض في أفعاله. فلو لم يلطف الله تعالى بعباده للزم نقض الغرض في أفعاله سبحانه وتعالى. واللطيف هو صفة من صفات الله تعالى واسم من أسمائه، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾ (سورة لقمان:١٦)، وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾ (سورة الشورى:١٩). و﴿**اللَّطِيف**﴾ هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى ما قدّرها لمن أراده لخلقه. قال ابن منظور في لسان العرب: اللطيف: صفة من صفات الله واسم من أسمائه، وفي التنزيل العزيز: ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ**﴾، وفيه: وهو اللطيف الخبير، ومعناه، والله أعلم، الرفيق بعباده... واللطف من الله تعالى: التوفيق والعصمة... (لسان العرب ج٩: ص٢١٦). وأمّا بيان اللطف في المفهوم العَقَدي هو ما يكون المكلّف به أقرب إلى فعل الطاعة وترك

➔

➔

المعصية، لأنّ التفويض ليس لطفاً، بل مناقض للحكمة، حيث لو وقع العبد في المفسدة يكون مخالفاً للحكمة، فاللطف واجب في الحكمة الإلهيّة وإلاّ لزم مناقضة الحكيم غرضه (انظر اللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة للعلامة المقداد السيّوري الحلي: ص٢٢٧). وقال المحقق الطوسي: اللطف واجب ليحصّل الغرض به (انظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلاّمة الحلي: ص٢٠١ نقلاً عن المحقق الطوسي). فمن المقطوع به في علم الكلام عقلاً وحتّى نقلاً أنّ اللطف هو واجبٌ على الله تعالى من باب الحكمة، إذ به يحصّل الإنسان إلى ما هو مصلحته ودفع ما يكون فيه المفسدة. ولو لم يلطف الله تعالى بعباده للزم نقض الغرض من التكليف، إذ كلّفهم الله تعالى من دون أن يلطف بهم، وحاشاه أن يكون ناقضاً لغرضه، لما ثبت من أنّ أفعاله سبحانه هي مُعلّلة بالأغراض، وكان كمن دعا غيره إلى طعام وهو يعلم أنه لا يجيبه إلاّ أن يستعمل معه نوعاً من التلطّف والرفق به. فإذا لم يفعل الداعي ذلك النوع من الرفق والتلطّف بالمكلّف كان ناقضاً غرضه. إذاً يجب اللطف على الله تعالى لتحصيل الغرض من التكليف (انظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي: ص٢٠٢). وقال: واللطف واجب على الله تعالى لتوقف غرض المكلّف عليه، فإنّ المريد لفعل من غيره إذا علم أنّه لا يفعله إلاّ بفعل يفعله المريد من غير مشقّة لو لم يفعله لكان ناقضاً غرضه وهو قبيح عقلاً (انظر شرح الباب الحادي عشر للمقداد السيوري الحلي: ص٨٧).

فعصمة الأئمةعليهم السلام واجبة كوجوب عصمة الأنبياءعليهم السلام عقلاً ونقلاً، فكما ثبت وجوب العصمة بالنقل ثبت وجوبها بحكم العقل أيضاً، وذلك من باب اللطف، لأنّ بها يحصل الناس الوثوق بما يقوله النبيصلى الله عليه وآله أو الإمامعليه السلام أو ما يفعله النبيصلى الله عليه وآله أو الإمامعليه السلام فيطيعونه ويرغبون إليه لحصول العلم لهم به، وبامتيازه عنهم وتفوّقه

➔

وحادي عشرها: ما زعمه من خبر خير القرون ...[(١)]

➔

عليهم، يهتدون بهديه إلى كمال، ويميلون إليه بالرغبة والاشتياق فيحصل المقصود من ذلك بأحسن وجه.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه علماء أهل السنة في صحاحهم، وهو ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله عن النبيﷺ قال: خير الناس قرني ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته، قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٥١ كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد)، ورواه مسلم في صحيحه ج٧: ص١٨٥ كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ثمّ الذين يلونهم، والترمذي في سننه ج٣: ص٣٧٦، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٩١ غيرهم.

وقال النووي في شرح الحديث: أنّه و في رواية خير الناس قرني ثمّ الذين يلونهم... (إلى آخره) اتّفق العلماء على أن خير القرون قرنهﷺ والمراد أصحابه وقد قدمنا أنّ الصحيح الذي عليه الجمهور أن كلّ مسلم رأى النبيﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه ورواية خير الناس على عمومها... (انظر شرح صحيح مسلم ج١٦: ص٨٥).

أقول: لا يخفى أنّ مقتضى ما ذكره النووي في شرح هذا الخبر هو أن يكون الناس في ذلك العصر أكمل الناس من جهة الإيمان والورع والتقوى، وحيث أنّ القرآن والسنّة النبوية قد أعطيا الملاك في الأفضلية بالإيمان والتقوى والورع وأمثال هذه الصفات المميزة. فمثلاً أنّ القرآن الكريم جعل ملاك الأفضليّة التقوى فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات:١٣). هذه الآية صريحة في أنّ الميزان الواقعي للقيم الإنسانيّة الذي يميز به الإنسان في مقام التفاضل التقوى، فإنّ

➔

➔

التقوى هي التي تعطي الإنسان التقوى، لأنّها التي تعطي للإنسان الوعي وتفتح له أبواب البصيرة وتجعل الانسان دائماً متذكراً لما أمره الله به أو نهاه عنه، فينتصر بذلك على وساوس الشيطان وهمزاته وتبقى بصيرته على أحسن حالة الصفاء والنقاء. ولذلك جعل الله تبارك وتعالى قبول أعمال العباد بالتقوى فقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (سورة المائدة:٢٧). والتقوى هي الاستقامة على جادة الشريعة المقدّسة بامتثال أوامر الله والتجنّب عن نواهيه التحريميّة، فكلّ من أتى بما عليه من واجب الشرعي وترك جميع المحرمات الشرعيّة، فقد صار في زمرة المتّقين، غير أنّ الله تبارك وتعالى أمر أهل التقوى بأن يكونوا مع الصادقين، فقال تعالى: ﴿**يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾ (سورة التوبة:١١٩). ويستفاد من هذه الآية المباركة أنّ الأمر بالتقوى كمقدّمة للأمر بأن يكون مع الصادقين، أي إذا كنتم من المتّقين فعليكم أن تكونوا مع الصادقين وتتّبعون الصادقين حقّاً. وذلك لأنّ التقوى وحدها لا تكون سبباً للسعادة الأبديّة إلاّ بالاتّباع الصادقين. ولا يخفى على الخبير أنّ الصادقين الذين أمر الله تعالى باتّباعهم هم المعصومون؛ لأنّ الأمر باتّباع الصادقين على نحو الإطلاق يقتضي عصمتهم عن كلّ خطأ، لأنّ الصادق على الإطلاق هو من حاز الصفات الخاصّة من الصدق في جميع الجهات، حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (سورة الحجرات:١٥). فإنّ من جمع فيه جميع هذه الجهات فهو الصادق الذي أمر سبحانه باتباعه. وهذا هو المعيار الذي حدده الإسلام لمعرفة المؤمنين الحقّ وتمييزهم عن الكاذبين المدعين بالإسلام تظاهرا، وليس هذا المعيار منحصرا بالمؤمنين في زمان دون زمان آخر. وعليه لا بدّ أن نرجع إلى هذا المعيار من كتاب الله وسنّة رسول

➔

←

اللهﷺ لنعرف الصحابة هل أنّهم كانوا من المؤمنين حقّاً أو لا؟ وبعبارة أخرى هل أنّهم يمتلكون هذه الصفات الفضلية أم لا التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية أم لا؟ وعندما نرجع إلى القرآن الكريم نجد أنّ القرآن الكريم يتكلّم عنهم بهذه الصورة أنّه لو استثنينا منهم الصحابة المخلصين الشاكرين، فالبقيّة الباقية منهم وصفهم الله تعالى بهذه الأوصاف: أنّهم فاسقون، أو أنّهم خائنون، أو أنّهم متخاذلون، أو أنّهم ناكثون، أو أنّهم منقلبون على الأعقاب، أو أنّهم شاكّون في الله وفي رسولهﷺ، أو أنّهم فارّون من الزحف، أو أنّهم معاندون للحقّ، أو أنّهم عاصون أوامر الله ورسولهﷺ، أو أنّهم مثبّطون غيرهم عن الجهاد، أو أنّهم منفضّون إلى اللهو والتجارة، أو أنّهم تاركون الصلاة من أجل التجارة، أو أنّهم قائلون ما لا يفعلون، أو أنّهم ممنّون على رسول اللهﷺ إسلامهم، أو أنّهم قاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ، أو أنّهم رافعون أصواتهم فوق صوت النبيﷺ، أو أنّهم مؤذون رسول اللهﷺ، أو أنّهم سمّاعون للمنافقين وإلى غير ذلك من الأوصاف التي ذكرها القرآن الكريم في توصيفهم. كما إذا رجعنا إلى السنّة النبويّة أو تاريخ الصحابة نجد أنّ الأمر كما وصفهم الله تعالى، وسنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه. وفي حديث عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قال: «خير الناس من نفع الناس بعلمه وأعماله ومساعيه وأمواله» (انظر غرر الحكم: ح٢٩٨٩، و٥٠٠١، و٩٠٧٨). وفيه قد بيّن الإمامعليه السلام معنى الخيريّة. فقولهﷺ: خير القرون..، معناه أن يكون الناس في ذلك القرن أكمل الناس من جهات الفضل، لاسيّما من جهة الإيمان والتقوى والورع و.... وقد بيّن سبحانه وتعالى معنى أكمليّة الدين في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة

→

فإنّه إن قصد به خيريّته من حيث غلبة التقوى على أهله فهو كذب بيّن[(١)]

➔

المائدة:٣). فأي شخص أكمل الله إيمانه؟ فإنّ الآية المباركة صريحة في أنّ بتنصيب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم قد اكتمل الدين، ومعناه أنّ بولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يكتمل الإيمان عند الله سبحانه وتعالى. فإنّ إكمال الدين وإتمام النعمة وقبول الله تعالى الدين الكامل لكلّ البشريّة إنّما يكون فيه الخير بجميع معانيه. ولذلك يكون عيد غدير خم عيد الله الأكبر وأعظم الأعياد الله وأشرفها؛ لأنّه قد أكمل سبحانه الدين فيه الدين الذي فيه جميع الخير بولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ولا يخفى على من راجع تاريخ الإسلام بعد وفات رسول الله صلى الله عليه وآله، وأحداث السقيفة بأنّ أكثر الصحابة قد خالفوا أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله في ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامته. ومعناه أنّهم خرجوا عن معنى الخيريّة التي جعلها الله لهم. وعليه كيف يمكن أن يكون قرن الصحابة خير القرون؟!!! فلاينطبق عليهم خبر خير القرون من الجهات العديدة التي ذكرنا معنى الخيرية في الحديث فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنهّ إذا كان المقصود بخير القرون قرني...، باعتبار أنّ الناس الذين كانوا يعيشون في قرن رسول الله صلى الله عليه وآله هم أتقى الناس، فلا ينطبق هذا المعنى على الصحابة؛ إذ لو أردنا أن نعرف الصحابة من خلال القرآن الكريم وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله لعرفنا أنّ أكثر الصحابة أحدثوا في الدين وارتدّوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد تقدّمت الإشارة إلى ما ورد في القرآن الكريم من قدح في أكثر الصحابة الذين ارتدوا على أعقابهم، وكانوا أهل الضلال بنصّ القرآن الكريم. كما أنّ أكثرهم بنص الحديث كانوا أهل الضلال والنار لدلالة حديث

➔

➔

الحوض المتواتر لدى الفريقين الذي أخرجه جميع أهل الصحاح من أهل السنّة بما فيهم البخاري ومسلم؛ فأخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنّكم تحشرون حفاة عراة، وأنّ أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقول: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١١٠ كتاب بدء الخلق، باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا...﴾، وج٤: ص١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا...﴾). وأخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «ليردنّ عليّ الحوض رجال ممّن صاحبني حتّى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلأقولنّ أي رب أصيحابي أصيحابي، فليقالنّ لي: إنّك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٧١ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّنا صلى الله عليه وآله). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير عن ابن عبّاس، قال: خطب رسول صلى الله عليه وآله فقال: «يا أيّها الناس، إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرْلاً، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (إلى آخر الآية)» ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٩٢ كتاب التفسير، باب ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾). وأخرج بسنده عن سعيد ابن

➔

لقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[1].

➔

المسيّب، عن أبي هريرة أنّه كان يحدّث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب وفي الحوض قول الله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾). فهذه الأحاديث وغيرها صريحةٌ جدّاً وواضحةٌ الدلالة في ارتداد الصحابة، فلا تقبل التأويل حيث قال صلى الله عليه وآله: «أصحابي»، أوقال صلى الله عليه وآله: «فأقول: يا ربّ أصحابي»، فلا إشكال في أنّ المقصود بهم في الحديث صحابة النبي صلى الله عليه وآله، كما لا إشكال في موضوع في الحديث الارتداد والتبديل والإحداث في الدين، فإنّ معنى الارتداد كما يستفاد من القرآن الكريم: الرجوع على الأدبارهم، فرجوع الصحابة على أدبارهم القهقرى معناه الارتداد، كما أنّ معنى التبديل بعد النبي صلى الله عليه وآله والإحداث في الدين أيضاً واضح، حيث أنّ المقصود بهما: هو التحريف في الدين والشريعة المقدّسة. ومن الواضح أنّ من كان حاله هذا لا يمكن أن يكون المقصود بخير القرون في الحديث النبوي، إذ لو كانت الخيريّة بمعنى الفضل كالتقوى وأمثال ذلك، فلا ينطبق على هؤلاء الصحابة حيث أنّهم كانوا أهل الضلال والخلود في الجهنم فكيف يمكن يكون المقصود بهم أنّهم خير القرون؟!!!

(١) سورة يوسف:١٠٣، هذه الآية المباركة جاءت بعد ما انتهت قصة يوسف عليه السلام بكلّ دروسها التربويّة ونتائجها الغزيرة، وتعاليمها القيمة، وخلايقها الكريمة، وملكاتها الفاضلة... فانتقل الكلام إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث يقول القرآن الكريم ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾. فكان لزاماً على الناس أن يؤمنوا بعد مشاهدتهم علائم الوحي وسماعهم لهذه النصائح
➔

ولو قصد به وجود جماعة في ذلك العصر ليس لهم نظير في السعادة فيما بعده فذلك مسلّم نظير ما هو مسلّم من وجود جماعة فيه ليس لهم نظير

➔

الإلهيّة، وأن يتراجعوا عن طريق الغي. ولكن يا أيّها النبي: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾. فإنّ الوصف بـ"الحرص" في الآية دليل على شوق ولهفة النبيﷺ لإيمان الناس وسعادتهم ولكن ما الفائدة، في إصرارهﷺ وشوقهﷺ بعد عدم كونهم غير كافيين؟ فمن شرط الإيمان، الاستعداد والقابليّة في نفس الشخص. فإنّ أبناء يعقوب﵇ كانوا يعيشون في بيت الوحي والنبوّة، ومع ذلك نرى كيف عصفت بهم الأهواء حتّى كادوا أن يقتلوا أخاهم الذي كانوا يعلمون أنّه نبي من أنبياء الله، فكيف نتوقّع من جميع الناس أن يتغلّبوا على أهوائهم وشهواتهم مرّة واحدة وبشكل جماعي ويؤمنوا بالله؟ فهذه الآية بالإضافة إلى ما ذكرنا فيها تسلية لقلب النبيﷺ حتّى لا ييأس أبداً من إصرارهم على الكفر والذنوب ولا يستوحش الطريق لقلّة أصحابه الأوفياء، كما نقرأ في آيات أخرى من القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ (سورة الكهف:٦)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**﴾ (سورة الكهف:٦). فهؤلاء الصحابة في الواقع ليس لهم أي عذر أو مبرّر لعدم قبول الدعوة بالإضافة إلى ما اتّضح من علامات الحقّ، فعدم اتّصاف أكثر الصحابة بالإيمان والتقوى لم يكن أمراً جديداً في الإسلام كي يتعجّب الناس من ذلك، فإنّه من الأمور المتداولة في عصور الأنبياء﵈. فلا تعجّب من عدم تأثير الدعوة النبويّة في صحابته، كما أنّ الأمم السابقة كانوا كذلك، فإنّ عدم وجود الاستعداد والقابليّة فيهم للإيمان هو سبب الرئيس لخروجهم عن جادة الحقّ فلاحظ.

في الشقاوة[١]،

(١) وتوضيح المقام أنّه لو قصد ابن تيمية من خير القرون... الناس التابعين لخلافة السقيفة ، فيلزم عليه الالتزام بما ورد في كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّهم، وما يترتّب عليهم من الأحكام الإسلاميّة. فإنّ الأدلّة من الكتاب والسنّة تدلّ على أنّ أعمال الناس التابعين لخلافة السقيفة، كانت متناقضة ومخالفة للإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله، حيث أنّ مقتضى الأدلّة من الكتاب والسنّة وجوب طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، والتحذير عن مخالفة أوامرهما. ولكن الكثير من الآيات والروايات تدلّ على مخالفة أكثر الصحابة لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله، بل خروجهم عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، حتّى وصل أمر بهم الأمر إلى أن قالوا في حقّ نبي الإسلام صلى الله عليه وآله: أنّه يهجر – والعياذ بالله – كما فعله عمر بن الخطّاب (انظر صحيح البخاري ج١: ص٣٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم، وج٤: ص٣١ كتاب بدء الخلق، باب هل يستشفع إلى أهل الذمّة ومعاملتهم، وج٥: ص١٣٧، كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، وصحيح مسلم ج٥: ص٧٥ كتاب الوصية، باب الوصية لمن ليس له شيء). فالتابعين لخلافة السقيفة معناه التابعين لخلافة عمر بن الخطّاب. وكما أنّ أبا بكروصاحبه رفض الالتحاق بجيش أسامة في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وآله بعد ما أمر النبي صلى الله عليه وآله بالالتحاق بجيشه وتنفيذه فقال صلى الله عليه وآله: «انفذوا جيش أسامة»، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة» (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٣). فترتّب عليه ما ترتّب على من خالف عن جيش أسامة. كما أنّ السقيفة رفعت الستار عن حقيقة أبي بكر وعمر وأعوانهما، ممّن هجموا على دار الزهراء عليها السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وما إلى غير ذلك من الأمور التي كانت سبباً للخروج عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فإنّ نفس مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وآله موجب لاستحاق العقوبة والحرمان من الإيمان، فكيف إذا كانت المخالفة سبباً ←

➔

للخروج عن طاعة الله ورسولهﷺ، وكيف إذا كان الخروج عن طاعة الله ورسولهﷺ، سبباً للعن الله ورسولهﷺ لهم، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧). كما شملهم لعن النبيﷺ. والشاهد على ذلك ما كتبه أبو بكر بعد غصب الخلافة إلى أسامة يستقدمه إلى المدينة، فأجابه أسامة بكتاب جاء فيه انظر مركزك، ولا تخالف فتعصي الله ورسولهﷺ وتعصي من استخلفه رسول اللهﷺ عليك وعلى صاحبك، ولم يعزلني حتّى قبض رسول اللهﷺ، وإنّك وصاحبك رجعتما وعصيتما وأقمتما في المدينة بغير إذن (الاحتجاج للطبرسي ج١: ص١١٤). وفي نصّ آخر: فإن رسول اللهﷺ استخلفني عليكم ولم يعزلني، وقد علمت كراهة رسول اللهﷺ لرجوعكم عنّي إلى المدينة، وقالﷺ: «لا يتخلّفنّ أحد عن جيش أسامة إلاّ كان عاصياً لله ولرسول اللهﷺ» (انظر كتاب الأربعين للماحوزي: ص٢٥٦). فهذا حال الناس بعد رسول اللهﷺ بين الغاصب للخلافة والتابع للغاصب مع علمهم بأنّ النبيﷺ نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إماماً وعلماً ووصيّاً بأمر الله تعالى وأخذ من الناس البيعة له يوم الغدير خم، وما أخبرﷺ بدنو أجله، من أنّه يوشك أن يدعى فيجيب، والإسلام بعد غضّ العود، والناس حديث الإيمان، وبعضهم لم يستقرّ الإيمان في قلوبهم. فيا ترى هل يترك النبيﷺ هذا التراث الضخم بما تضمّن من تعاليم إلى الناس؟ أم تراه يعيّن لهم خلفاء من بعده يحمي الرسالة كما حماها هوﷺ؟ أتراه وهو الذي لم يترك شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلاّ وقد بيّنه يترك أخطر أمر يتوقّف عليه مصير الرسالة التي جاء بها وما تضمّنت من تعاليم؟ فإنّ الأخبار والروايات تدلّ على أنّ الصحابة خالفوا أوامر الله ورسولهﷺ وخرجوا عن طاعة الله ورسولهﷺ، فصاروا أهل

←

وهم من آذى الرسولﷺ بالسبّ والضرب وغير ذلك من العتاة المردة الكفرة والمنافقين(١).

←

الشقاء على أثر مخالفتهم لله ورسولهﷺ، فكيف يتصوّر أن يكون هؤلاء مقصودين بخبر خير القرون؟!!

(١) وبعبارة أوضح أنّه إذا كان المقصود بخير القرون... حسب ما زعمه ابن تيمية جميع الصحابة، بما فيهم من المنافقين الذين خرجوا عن طاعة الله ورسولهﷺ بنصّ القرأن الكريم والسنّة النبويّة حيث أنّ القرآن والسنّة النبويّة قد كشف حقيقة أمرهم بأوضح الوجوه، تعرّض لأحوالهم وصفاتهم منذ بداية البعثة النبويّةﷺ وحتّى وفات الرسول الأعظمﷺ في كثيرٍ من السور والآيات القرآنية، وقد قسّم القرآن الكريم الملتّفين حول النبيﷺ من الصحابة إلى أصناف وأقسام، ففيهم المؤمنون وفيهم المنافقون، وفيهم أصحاب الأطماع والمصالح، وفيهم الفاسقون، وفيهم الخائنون، وفيهم المتخاذلون، وفيهم الناكثون، وفيهم المنقلبون، وفيهم الشاكّون في الله وفي رسولهﷺ، وفيهم الفارّون من الزحف، وفيهم المعاندون للحقّ، وفيهم العاصون أوامر الله ورسولهﷺ، وفيهم المثبطون غيرهم عن الجهاد، وفيهم المنفضّون إلى اللهو والتجارة وتاركون الصلاة، وفيهم القائلون ما لا يفعلون، وفيهم الممنّون على رسول اللهﷺ إسلامهم، وفيهم القاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ، وفيهم الرافعون أصواتهم فوق صوت النبيﷺ، وفيهم المؤذون لرسول اللهﷺ، وفيهم السمّاعون للمنافقين. ولنذكر بعض هذه الآيات ونكتف الغطاء عن هذه الحقيقة، ونقول: أنّ أخطر مواقف الصحابة وأعمالهم الكيديّة ضدّ رسول اللهﷺ إيذائهم لسول اللهﷺ أهل بيته؏، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ**

→

➔

بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة:٦١). هذه الآية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يذكرون النبي صلى الله عليه وآله بسوء، فنهاهم أحدهم وقال: لا تتحدّثوا بهذا الحديث لئلاّ يصل إلى سمع محمّد فيذكرنا بسوء ويؤلب الناس علينا. فقال له أحدهم – واسمه جلاس –: لا يهمّنا ذلك، فنحن نقول ما نريد، وإذا بلغه ما نقول سنحضر عنده وننكر ما قلناه، وسيقبل ذلك منا فإنه سريع التصديق لما يقال له، ويقبل كل ما يقال من كل أحد، فهو أذن، فنزلت الآية وأجابتهم: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾. ثمّ نبّههم الله تعالى بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ليعرفوا أنّ وراء ايذاء النبي صلى الله عليه وآله عذاب الله الذي جاء بيان هذا العذاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة الحجرات:٥٧). هذه الآية الكريمة تذكر العواقب المشؤومة الأليمة لأولئك الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وآله من إثارة الفتن وتجييش الجيوش والغدر وخيانة الخونة الفاسقين وجرّهم إلى صفوف المسلمين، كما فعل المنافقين أولئك المبغضين لرسول الله صلى الله عليه وآله الذين كانوا يتربّصون الفرص لإرجاع المسلمين إلى أسس الجاهليّة والعصبيّة التي قضى عليها الإسلام، كالحكم بن أبي العاص الذي كان من ألد المعاندين المبغضين لرسول الله صلى الله عليه وآله وأضرابه، ومن الذين لا يألون جهداً في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وآله رغم أنّه جيرانه وممّن ينتسب بنسب قريب بعد بني هاشم له، هذا ما كان منه قبل الإسلام، أمّا بعد فتح مكّة فكان في مقدّمة المنافقين كبني أميّة وبني هند وسائر بطون قريش ممّن كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله بأشكال مختلفة حتّى أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ

➔

➔
لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٧)، وهذا يشمل كلّ أذية قوليّة أو فعليّة، وكلّ نسبة ووصمة النقص أو تنقص له أو لدينه أو ما يعود إليه بالأذى أنّه يحتم عليه اللعن من الله ورسولهﷺ وطردهم من رحمته وشمولهم العذاب المهين. ولعلّ السرّ في استخدام التعبير بالعذاب المهين لمن آذى رسول اللهﷺ من جهة أنّ هذا التعبير خاصّ بالكفّار كما قال تعالى: ﴿وأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (سورة النساء:١٥١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (سورة النساء:١٠٢)، لأنّه لا يؤمن العبد بالله حتّى يؤمن برسولهﷺ ومن آمن بالله وبرسولهﷺ يجب عليه التعظيم لله وللرسولﷺ، لأنّ التعظيم من لوازم الإيمان، فإذا كان الشخص يدعي الإيمان بالله ورسولهﷺ فإنّ الإيمان بالله ورسولهﷺ يقتضي التعظيم لهما. فإذا صدر منه الإيذاء لهما معناه أنّه لم يؤمن بهما حقيقةً، حيث أنّ الإيذاء في مقابل التعظيم. قال الطنطاوي في تفسيره: توعّد سبحانه الذين يسيئون إلى رسولهﷺ بأي لون من ألوان الإساءة فقال: ﴿إِنَّ الذين يُؤْذُونَ الله وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ الله في الدنيا والآخرة وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ (انظر تفسير الوسيط ج١١: ص٢٤٢). ولذلك جعل الله تعالى جزاء الذين يؤذون رسول اللهﷺ العذاب الذي أعدّه للكافرين.

ثم إنّ إيذاء النبيﷺ له معنى واسع يشمل كلّ عمل يؤذيه، سواء كان الكفر والإلحاد ومخالفة أوامر الله والافتراءات والتهم و...، أو الأذى الذي كان يراهﷺ منهم ضدّ أهل بيته المعصومينعليهم السلام وخاصّة إيذاء بضعته الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور ابن مخرمة أنّ رسول اللهﷺ قال: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).
➔

➔

وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي حنظلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّما فاطمة بضعة منّي فمن آذاها فقد آذاني» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٥٩). فالمستفاد من الحديث أنّ غضب فاطمة هو الميزان في غضب رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أنّ رضا فاطمة ميزان لرضا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أخرج البخاري في صحيحة بأنّ فاطمة عليها السلام ماتت وهي غاضبة على أبي بكر فلم تكلّمه حتّى استشهدت، وإليك نصّ الحديث فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورّث ما تركنا صدقة... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفّيت استنكر علي وجوه الناس (صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر). هذه الرواية صريحة في غضب الزهراء عليها السلام على أبي بكر حتى استشهدت، ومعنى ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد غضب عليه بمقتضى ما ورد في صحيح البخاري بسنده عن المسور بن مخرمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله). وقوله صلى الله عليه وآله «إنّما فاطمة بضعة منّي فمن آذاها فقد آذاني» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٥٩). كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا المعنى في حقّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عمرو بن شاس الأسلمي وكان من أصحاب الحديبيّة قال: خرجت مع

←

➔

علي إلى اليمن فجفاني في سفري ذلك حتّى وجدت في نفسي عليه، فلمّا قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتّى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخلت المسجد ذات غدوة ورسول الله صلى الله عليه وآله في ناس من أصحابه فلمّا رآني أبدني عينيه، يقول: حدّد إلى النظر حتّى إذا جلست قال: «يا عمرو والله لقد آذيتني»، قلت: أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله، قال: «بلى، من آذى علياً فقد آذاني» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٨٣). وأخرج ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق بسنده عن عبد الله ابن نيار الأسلمي عن خاله عمرو بن شاس وفي حديث ابن السمرقندي عن عمرو الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية قال: كنت مع علي بن أبي طالب في خيله الذي بعثه فيها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي، فلمّا قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة وعند من لقيته، فأقبلت يوماً ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس في المسجد، فلمّا رآني أنظر إلى عينيه نظر إليّ حتّى جلست إليه، فلمّا جلست قال: «إنّه والله يا عمرو بن شاس لقد آذيتني» فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أعوذ بالله وبالإسلام أن أؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «من آذى علياً فقد آذاني» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٠٢). وأخرج ابن حبّان في صحيحه بسنده عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن عمرو بن شاس قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «قد آذيتني»، قلت: يا رسول الله ما أحبّ أن أوذيك، قال: «من آذى عليا فقد آذاني» (صحيح ابن حبّان ج١٥: ص٣٦٥). ومن الواضح أنّ من غصب حقّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد أغضبه، ومن أغضبه فقد أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد آذاه ومن آذاه فشمله قوله تعالى: **﴿إِنَّ الذين يُؤْذُونَ الله وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ الله فِي الدنيا والآخرة وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾**. ومع الأسف تجد هؤلاء الذين غضب الله عليهم وغضب عليهم رسول

🡐

➔

الله صلى الله عليه وآله قد أصبحوا حكّاماً على الناس بما جرى في السقيفة من سياسة العنف والإرهاب، وقد بيّن سبحانه وتعالى أحوالهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أَعقَـابِكُم﴾ (سورة آل عمران:١٤٤)، فالانقلاب على الأعقاب معناه الارتداد، فحذّر سبحانه وتعالى الصحابة في القرآن الكريم من الارتداد والانقلاب على الأعقاب، فحكّام الجور والظلمة وأتباعهم الذين غصبوا الخلافة من مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشملهم قوله تعالى:: ﴿انقَلَبتُم عَلَـى أَعقَـابِكُم﴾ كما حصل هذا الانقلاب والارتداد لبعض الصحابة يوم أحُد، حيث قال بعضهم: قتل محمّد صلى الله عليه وآله ولو كان نبيّاً ما قتل، ارجعوا إلى دينكم الأوّل وبحثوا عمّن يذهب إلى ابن سلول ليأخذ لهم أماناً من أبي سفيان... بل نجد بعضهم كانت عشيرته الكافرة أحبّ إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله ومن دينه، فنراه يقول: نلقي إليهم بأيدينا، فإنّهم قومنا وبنو عمّنا (انظر السيرة النبويّة لدحلان المطبوع بهامش السيرة الحلبيّة ج٢: ص٣٣، السيرة الحلبيّة ج٢: ص٢٢٧، وج٢: ص٥٠٤، والمغازي للواقدي ج١: ص٢٨٠، والبحر المحيط ج٣: ص٧٤، وبحار الأنوار للعلاّمة المجلسي ج٢٠: ص٢٧، والنصّ والاجتهاد لشرف الدين: ص٣٢٧، وجوامع الجامع للطبرسي ج١: ص٣٣٣، ومجمع البيان له ج٢: ص٤٠٥، والميزان للعلاّمة الطباطبائي ج٤: ص٦٧، وتفسير الثعلبي ج٣: ص١٧٦، وتفسير البغوي ج١: ص٣٥٨، والتفسير الكبير للرازي ج٩: ص٢٠، وتفسير ابن عربي ج١: ص١٤٨، وتفسير البيضاوي ج٢: ص٩٨، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ج٢: ص٧٦٣، وتفسير الآلوسي ج٤: ص٧٢، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص١٥٦، وسبل الهدى والرشاد للصالحي الدمشقي ج٤: ص١٩٦). وشملهم قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي

➔

ولو قصد به خيريّة عامّة من تظاهر بالشريعة في ذلك العصر ممّن يأتي

➔

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾(سورة الأحزاب : ٥٧). فالتعبير بالعذاب المهين لمن آذى رسول اللهﷺ من جهة أنّهم مشتركون مع الكفار في هذا الحكم حيث قال تعالى: ﴿**وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ (سورة النساء:١٥١)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ (سورة النساء:١٠٢)،كما أنّ السنّة النبويّة الشريفة قد دلتّ على ارتدادهم، ونكتفي منها بإيراد حديث واحد من صحيح البخاري وهو يكفي لإتمام الحجّة على الخصم، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ: «... ثمّ إذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال: هلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أعقابهم القهقرى فلا أرى يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم» (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض، وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ**﴾). فالآية والروايات الصحيحة عند أهل السنّة تدلّ على أنّ أهل السقيفة من الصحابة وأتباعهم قد شملهم الآيات الروايات الدالّة على ارتدادهم عن الدين وتمرّدهم على أُصوله ومبادئه، كما تدلّ على شمولها لهم من جهة ما يترتّب على غضب رسول اللهﷺ وإيذائه بسبب ما تعرضوا لإيذاء رسول اللهﷺ، وأهل بيتهعليهم السلام ومن نصب لهم العداوة بالسبّ والضرب والقتل وغير ذلك من أنواع الظلم والجور عليهم... والتي لا يمكن الجواب عنها أبداً. فكيف يمكن بعد ذلك القول بأنّ المقصود من خير القرون.. الصحابة الذين شملهم أدلّة إيذاء النبيﷺ وما يترتّب عليها من العذاب والخلود في الجهنّم؟!!

بعدهم فهو كذب[١]

(١) وبعبارة أوضح أنّه إذا كان المقصود بخير القرون... على حسب زعم ابن تيمية هم أغلب من تظاهر بالإسلام، فإنّه بمجرد أن تظاهر بالإسلام، وكان في الظاهر من ملتزمين بالشريعة المقدّسة فهو المقصود بخير القرون....، وعليه فإنّ المقصود به حسب زعمه هم الصحابة الملتزمين بالشريعة المقدّسة ولو بحسب الظاهر. لكن مرجع هذا الزعم إلى أنّه وان لم يكونوا في الواقع ملتزمين بالشريعة المقدّسة، لأنّ الالتزام بحسب الظاهر لا ينفي عدم الالتزام في الواقع. كما أنّ المنافقين كانوا كذلك. فإنّهم بحسب الظاهر كانوا يتظاهرون بالإسلام وعندما تمكّنوا من إبراز رغباتهم الماديّة وشهواتهم ومآربهم النفسية، وأهوائهم المضلة كانوا يكشفون عمّا في ضمائرهم وسرائرهم. وقد عبّر القرآن الكريم عن أوصافهم بقوله تعالى: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (سورة المجادلة:١٩). فغلبت عليهم شقوتهم واستحوذ عليهم الشيطان فغمرتهم في سوداء الجاهلية، فأنساهم ذكر الله، فبدّلوا طاعة الرحمن بطاعة الشيطان، ومع ذلك يدّعي ابن تيميّة أنّ هؤلاء هم المقصودون بخير القرون... فهذا ادّعاء كذب محض، وباطل بالأدلّة القطعيّة؛ لأنّ مقتضى هذا الخبر: خير الناس قرني... لا بدّ أن يكون الناس في ذلك العصر والزمان أكمل الناس من جهة الإيمان والورع والتقوى، أنّ الخيريّة في الآيات والروايات أنّ الخيريّة إنّما تكون الإيمان والورع والتقوى، فقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (سورة الحجرات:١٣). وقال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ (سورة الجاثية:٢١)، وقال رسول الله ﷺ: «من لم يكن له وَرَع يصده عن معصية الله إذا خلا، لم يعبأ الله بشيء من عمله» (تاريخ مدينة دمشق ج٥: ←

معلوم لما عرفته فيما مضى من خبر البطانة[١]،

➔

ص٣٩٥). وفي حديث عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «خير الناس من نفع الناس بعلمه وأعماله ومساعيه وأمواله» (انظر غرر الحكم: ح٢٩٨٩، و٥٠٠١، و٩٠٧٨). فبناءً على ذلك أنّ خير القرون معناه الأفضليّة والأكمليّة من جهة الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله، ومن جهة التقوى والورع كما هو مقتضى الآيات والروايات. فادّعاء ابن تيمية من أنّ الصحابة هم خير الناس في القرون كذب محض، لأنّه قد ثبت بالأدلة القطعيّة من الكتاب والسنّة والنصوص التاريخيّة جرائم التي أرتكبها الصحابة والتابعين، من مخالفتهم للدين والشريعة المقدّسة، وظلمهم لأهل البيت عليهم السلام وبدعهم التي أحدثوها في الدين، وقتلهم نفوس المسلمين ونهبهم أموالهم و... التي سنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه، فكيف يمكن أنّ يدعى أنّهم خير الناس في القرون؟!!!

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة إلاّ كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالشرّ وتحضّه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى (صحيح البخاري ج٨: ص١٢١ كتاب الأحكام، باب الإمام وأهل مشورته، البطانة الدخلاء). والبطانَة في اللغة عبارة عما يُبَطَّن به الثوب وغيره من الداخِل، وجمعه البطائن وهي مشتقّة من البطن ضدّ الظهر من كلّ شيء، فيقال: بطنت ثوبي بآخر إذا جعل تحت ثوبه ثوباً آخر، فبطانة الثوب داخله وما لا يبدو منه، وضدّ البطانة الظهارة بكسر الظاء، ومن كلامهم: أفرشني ظهر أمره وبطنه، أي: علانيته وسرّه، شبّهت العلانيّة بظهر الفراش والسرّ ببطن الفراش وهما الظهارة والبطانة، ولذلك أتبع هذا التشبيه بالإستعارة. فالمقصود بالبطانة ماتخذه المنافقين

➔

وخبر الحوض[(١)]،

➔

من البطانة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة آل عمران:١١٨). يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتّخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالاً أي: يسعون في مخالفتهم وما يضرّهم بكلّ ممكن وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودّون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشقّ عليهم. وأمّا حديث البخاري فإنّه دالّ على أنّه لا يوجد أحد من يعصم نفسه حقيقة، إلاّ من عصمه الله، لأنّ الحديث يدلّ على أنّ كل إنسان فيه بطانة الشرّ، وهذه البطانة تؤدي إلى شرّ الأعمال. وعليه فإنّ جميع الصحابة بما فيهم الخلفاء الثلاثة كانت فيهم بطانة الشرّ حسب هذه الرواية، التي بها تصدر الأعمال السيّئة. فيلزم على ابن تيمية وجميع أهل السنّة أن يلتزموا بمدلول الحديث، ولازمه القول ببطانة الشرّ لجميع الصحابة. ومن هنا أن يلتزموا بأنّ بمدلول هذا الحديث الذي يكون صحيحاً عندهم. ومعناه أنّ أبا بكر وعمر وعثمان ومن تبعهم من الصحابة كان فيهم بطانة الشرّ. ومن كان فيه بطانة الشر فيحتمل أن يتأثّر فيهم الوساوس الشيطانيّة، ويملك إرادتهم وتصرّفهم في أفعالهم، فيصدر منهم شرّ الأعمال، وهذا مناف لما يدّعيه ابن تيمية من أنّ المقصود من خير القرون في الحديث المذكور هو الصحابة الملتزمين بالشريعة المقدسة بحسب الظاهر، حيث أنّ الالتزام بذلك ينافي مقتضى حديث البطانة الصحيح عندهم، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ حديث الحوض من الأحاديث المتواترة عند أهل السنّة، وقد نصّ
➔

➔

على تواتره كبار علماء أهل السنّة؛ قال النووي: أنّه قال القاضي عياض: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنّة والجماعة لا يتأوّل ولا يختلف فيه. ثمّ قال: وقال القاضي: حديثه متواتر النقل روته خلائق من سعيد وجندب، وعبد الله بن عمرو، وابن عمرو ابن العاص، وعائشة، وأمّ سلمة، وعقبة بن عامر، وابن مسعود، وحذيفة، وحارثة ابن وهب، وأبي ذر، وثوبان، وأنس، وجابر بن سمرة، ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر، وزيد بن أرقم، وأبي أمامة، وعبد الله بن زيد، وأبي برزة، وسويد بن جبلة، وعبد الله بن الصنابحي، والبراء بن عازب، وأسماء بنت أبي بكر، وخولة بنت قيس وغيرهم (انظر شرح مسلم للنووي ج١٥: ص٥٣). وقال الكناني في نظم المتناثر: وأوردت فيه أحاديث كثيرة منها حديث الحوض من رواية نيّف وخمسين صحابياً (انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمّد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي: ص١٨). وقد روى حديث الحوض جميع أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن من علماء أهل السنّة. فأخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس عن النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «إنّكم تحشرون حفاة عراة، وإنّ أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١١٠، كتاب بدء الخلق، باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا...**﴾، وج٤: ص١٤٢، كتاب بدء الخلق، باب ﴿**وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ...**﴾). كما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك إنّ النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «ليردنّ عليّ الحوض رجال ممّن صاحبني حتّى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلأقولنّ:

🡐

➔

أي رب أصيحابي أصيحابي، فليقالنّ لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص٧١، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّناﷺ). وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه بسنده عن المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد ابن جبير عن ابن عبّاس، قال: خطب رسولﷺ فقال: «يا أيّها الناس، إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرْلاً، ثمّ قال: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ (إلى آخر الآية))»، ثمّ قال: «ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصيحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ**﴾ فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٩٢ كتاب التفسير، باب ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾). وأخرج بسنده عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة أنّه كان يحدّث أنّ رسول اللهﷺ قال: «يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب وفي الحوض قول الله ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾). فهذه الأحاديث وغيرها واضحةٌ الدلالة وصريحةٌ في ارتداد أكثر الصحابة بعد النبيّﷺ فلا تقبل التأويل، حيث أنّ قولهﷺ: «أصحابي»، أو قولهﷺ: «فأقول: يا ربّ أصحابي»، فلا إشكال في حملها على من صحب النبيﷺ، كما لا إشكال في معنى الارتداد، لأنّ ارتداد ظاهر في الارتداد عن الدين. كذلك لا اشكال في معنى المبدّلين بعد النبيﷺ أو المحدثين بعده، فإنّه يدلّ على البدعة في الدين والتحريف في الشريعة المقدّسة،

➔

وخبر«لتتبعنّ من كان قبلكم[1]»، وغير ذلك من السنن التي دلّت على ظلم

➔

وهذا ما يقتضيه ظهور اللفظ والعبارات المذكورة حسب علم الحديث والدلالة العقلائية لدى جميع علماء الإسلام. فحديث الحوض يدلّ على ارتداد أكثر الصحابة وضلالتهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. ولا يمكن لأحد تأويل هذه النصوص حسب مشتهاه المذهبي، وإن حاول بعضهم محاولة المستميت على تأويله، وذهبوا ذات اليمين وذات الشمال في محاولتهم لتأويل الحديث وصرفه عن ظاهره فلم يتمكّنوا من ذلك. لأنّ الحديث صريح في دلالته. ومن هنا أظهر بعض علماء أهل السنّة ندامتهم عن ذكر الحديث في كتبهم مثل مالك بن أنس في كتابه الموطأ والشافعي، قال صاحب كتاب فتح الملك العلي: حكي عن مالك أنّه قال: ما ندمت على حديث أدخلته في الموطأ إلاّ هذا الحديث!! وعن الشافعي أنّه قال: ما علمنا في كتاب مالك حديثاً فيه إزراء على الصحابة إلاّ حديث الحوض، وودّنا أنّه لم يذكره (انظر فتح الملك العلي لأحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي الغماري: ص١٥١).

وعلى كلّ تقدير فإنّ حديث الحوض من الأحاديث الصحيحة المتواترة عند أهل السنّة التي تدلّ على أنّ أكثر الصحابة قد ضلوا و ارتدوا عن الدين، وهذا ينافي القول بأنّ المقصود من خير القرون قرني...، لأنّه كيف يمكن الجمع بين أنّ يكون أكثرالصحابة خير الناس من خير القرون، وبين حديث الحوض الدالّ على ارتداد أكثر الصحابة، وأنّ أكثرهم أهل النار؟!!!

(١) هذه العبارة إشارة إلى الأحاديث المتواترة التي أخبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فيها عن مصير أمّته، بأنّهم سيتبعون سنن من قبلهم من الأمم، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أنّ النبي صلى الله عليه وآله

➔

الجمهور من الصحابة للحقّ وأهله من جهات عديدة[١]؛

➔

قال: «لتتّبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو سلكوا حجر ضبّ لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!» (صحيح البخاري ج٤: ص١٤٤، كتاب بدء الخلق، باب ما ذكر عن بني إسرائيل). وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي: وفي حديث أبي سعيد عند البخاري: «لتتّبعنّ سنن من قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتّى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم» قلنا: يا رسول الله اليهود والنصاري؟ قال: «فمن؟!». ورواه الحاكم عن ابن عبّاس وفي آخره «وحتّى لو أنّ أحدكم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه»، قال المناوي: إسناده صحيح والسنّة لغة الطريقة حسنة كانت أو سيّئة، والمراد هنا طريقة أهل الهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل. وقال النووي: المراد الموافقة في المعاصي والمخالفات... (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج٦: ص٣٤٠). فالحديث صريح في أنّ الصحابة اتّبعوا سنن اليهود والنصارى، وبعد وضوح ظهور الحديث في ضلالة الصحابة واتّباعهم عن المنحرفين في الشرائع السابقة كيف يصحّ دعوى أنّ المقصود بخير القرون هم الصحابة الملتزمين بحسب الظاهر، مع أنّهم اتّبعوا سنن اليهود والنصارى في مسائل دينهم وانحرفوا عن الحقّ والصراط المستقيم؟!!!

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ الأخبار والروايات الواردة في كتب أهل السنّة، التي تدلّ على أنّ أكثر الصحابة خرجوا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله ونقضوا عهدهم ونكثوا بيعتهم مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وخالفوا ما عاهدوا الله عليه وما عاهدوا الرسول صلى الله عليه وآله في التضحية وطاعة الامام عليه السلام التي كانت واجبة عليهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله حسب الأدلّة من الكتاب والسنّة، فارتدّوا على أعقابهم، وعادوا إلى

➔

➔

الجاهلية الأولى. إذ أنّ مؤامرة السقيفة كانت فتنة كبرى انقلاباً على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد حذرت الأوامر الإلهية الأمّة من الانقلاب والارتداد بعده، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ منْ قَبْله الرُّسُلُ أَفَإنْ مَاتَ أَوْ قُتلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابكُمْ وَمَنْ يَنْقَلبْ عَلَى عَقبَيْه فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكرينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٥). كما حذّر رسول الله صلى الله عليه وآله أمّته عن اتّباع سنن من قبلهم سنن من قبلهم من الأمم، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «لتتّبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو سلكوا حجر ضبّ لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!» (صحيح البخاري ج٤: ص١٤٤، كتاب بدء الخلق، باب ما ذكر عن بني إسرائيل). ولكن أصحاب السقيفة من الصحابة لم يعتنوا إلى هذه التحذيرات فرتكبوا أكبر جريمة للبشريّة، ومظالم التي تلت من بعد السقيفة من غصب الخلافة هتك أهل البيت عليهم السلام وقتلهم وقتل المسلمين الأبرياء وهتك أعراضهم ونهب أموالهم وإلى غير ذلك من الجرائم التي ارتكبوها إلى يومنا هذا. بل وأنّ منشأ جميع مارتكبوها كان أثر غصب من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذ لولاه لما جرت مذبحة كربلاء وما حل بالاسلام ما حل من الويلات، وما مزقت صفوف المسلمين بمؤامرة المنافقين، الذين استولّوا على منصب القيادة بالمفاجئة والخداع بعد تمرّد سافر على أمر النبي صلى الله عليه وآله، واستهانة بشخصه وعترته الطاهرة عليهم السلام. فكانت السقيفة وما بعدها من الأحداث جزء لا يتجزّأ من المخطّط الذي استهدفه خلفاء الجور، وقد أنتجت تلك الأحداث الانحرافات التي حدثت في التاريخ الإسلام. وإنّ من سفه القول الادّعاء بأنّ الوحي أهمل مسألة الحكومة بعد النبي صلى الله عليه وآله ذلك لأنّ التشريع الذي جاء به

➔

➔
النبي الأكرمﷺ متكامل في جميع أركانه وتامّ في كلّ أجزائه، غير منقوص من أبسط المسائل، وكلّ من ادّعى خلوّ الحكومة تعييناً أو حتّى على سبيل النصح، فقد ادّعى على الله الباطل وقال ما لا يتّفق مع الكتاب ولا العقل، لأنّ خلوّ منصب الحكومة بعد النبيﷺ معناه جواز الرجوع إلى عصر الجاهلية، لأنّ الحرّيّة واختيار تقتضيان ذلك للزعيم والقائد. فإنّ الحكّام الذين كانوا لا يكادون يميّزون أبسط مسائل التكليف كالطهارة والوضوء ونحوه، فكيف يمكنهم أن يبيّنوا مسائل أكبر منها؟ وقد استبطن منهم من استبطن النفاق وأظهر الإيمان، وأبدى من أبدى المرض تأثّراً بالمنافقين، ومضى يؤسّس لقوّة تستطيع تغيير الموازين لصالحها، وعلى ذلك فإنّ ترجيح نظريّة التعيين في مسألة حسّاسة كالحكومة أمر تقتضيه تأكيد النصّ عليها للحاكم الذي سيلي بعد النبيﷺ لما لا يخفى من سوء عاقبة الترك، والدولة ناشئة على تخوم الإمبراطوريّة الفارسيّة شرقاً، والإمبراطوريّة الرومانية شمالاً. ولقد خاطب المولى سبحانه وتعالى نبيّهﷺ في مسألة الحاكميّة والحكومة بوضوح تامّ وأمره أن يحكم بين الناس، وأن يؤسّس فيهم نظام حكم تكون مرجعيّته شريعة الباري تعالى فوق كلّ شيء كما قال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾ (سورة يوسف:٤٠)، فالوحي أعطى الأولويّة لمسألة الحكومة، واهتمّ بذلك اهتماماً تجلّى في عدد من الآيات القرآنيّة التي جاءت لتبرّز حقيقة الحكم في الإسلام، حيث أظهر أنّ الحكم له سبحانه وتعالى بالأصالة، فقال جلّ من قائل: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾ (سورة يوسف:٤٠)، وقال تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْحُكْمُ**﴾ (سورة الأنعام:٦٢). وباعتبار أنّه تعالى قد خصّ نفسه بهذه المسألة وجعلها راجعة إليه، ولا يحقّ لأحد أن يتصرّف في منظومة حكمه دون إذنه. وقد أوكل سبحانه مهمّة الحكم إلى سفرائه وانبيائه نيابة عنه، وأمرهم بأن يحكموا بين الناس بما أنزل من
🡐

➔

الأحكام والبيّنات والهدى، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ* وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة المائدة:٤٨-٥٠). فهذه الآيات فيها جهة اللزوم ووجوب اتّباع حكم الله والتحذير عن اتّباع غير حكمه تعالى واصفاً كلّ حكم لا يستند في جميع أسسه وعناصره على كتاب الله تعالى، وسنّة المعصوم القطعيّة الصدور ليس إلاّ نمطاً من أنماط الحكم الجاهلي. وكلّف سبحانه وتعالى نبيّه بإعداد الناس لفهم نظريّة الحكم الإسلامي التي جاءت لتلغي كافّة الأحكام الجاهلية التي لا تستند إلى الوحي. وقد تجند النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لهذه المهمة وخصّص اهتمامه ووقته لذلك، وقد تعدّدت الروايات والأحاديث عنه في هذا المجال لتضاف إلى المحور القرآني سنّة نبويّة لم تخل من تعليم وتربية وبيان لمعالم نظام الحكم في الإسلام. من ذلك أنّه صلى الله عليه وآله قد أوفد معاذاً بن جبل ليحكم بين الناس في اليمن، وكلّف العلاء الحضرمي بأن يكون نائباً له على البحرين، وأمر عدداً من الصحابة على أقوام ومناطقهم، وجهّز البعوث وأمّر عليها الأمراء والقادة وخطّط لها خططها وهيكليتها، حتّى أنّه صلى الله عليه وآله كان لا يترك المدينة إلاّ بعد أن يعيّن عليها أميراً، كل ذلك بلحاظ المتابعين لحركاته وأوامره صلى الله عليه وآله، قد وعتها أفئدتهم وخزنتها عقولهم. وكان للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من ذلك كلّه

➔

➔

النصيب الأوفر والحظّ الأكبر، فقيادة الغزوات الميدانيّة كانت في يده، وهو الذي لم يغادر لواء الحمد يده الشريفة، وهو الذي استأمره على المدينة في أحلك الظروف وأخطرها لإفشال مخطّط المنافقين، وهو الذي أرسله إلى همدان فأسلمت جميعها في يوم واحد، وكان ذلك بحقّ حدثاً فريداً من نوعه بين شخصيّة والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وقدرته على معالجة الأمور، وهو الذي أرسله النبيصلى الله عليه وآله ليصالح بني مجحذ بعد ما أصاب منهم خالد بن الوليد مقتلة عظيمة بسبب الثار القديم الذي كان له عليهم في قتلهم عمّه الفاكه بن المغيرة، وقد قال النبيصلى الله عليه وآله لمّا بلغه النبأ: «اللّهم إنّي أبرأ إليك ممّا فعله خالد» ثلاثاً (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٠٧ كتاب المغازي، باب بعث النبيصلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى بني جذيمة). كلّ هذه العناصر مؤيّدات دلّت على أنّ الوحي لا يمكن أن يترك الأمّة بلا قائد بعد النبيصلى الله عليه وآله، وتدحّض بلا شكّ افتراء من افترى على الله كذباً وقال بأنّ الحكومة تكون باختيار الناس، فهذا كلام لا أصل له ومخالف لما جاء به الكتاب العزيز والسنّة النبويّة. فإنّ توضيح أمر الحكومة من مسؤوليّات الوحي والنبي الأكرمصلى الله عليه وآله. ودور الرسل والرسالات يتمثّل في بناء المجتمع الإنساني الذي يستمدّ أوامره ونواهيه من خالق الكون ورب العالمين، والحياة كلّها تحت سلطانه وتصرّفه، وقد حدّدها صاحب الشرع إجراء الأحكام الشريعة بيد النبي الأكرمصلى الله عليه وآله وإعداده لخليفته المنصوب من جانب ربّ العالمين، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فكانت المسؤوليّة الملقاة على عاتق النبيصلى الله عليه وآله فوق ما كان مطلوب منه من تبليغ ونحوه وتمثّل في إعداد من كان مؤهلاً للقيام مقامه في الحكم والتعليم وغير ذلك من مسؤوليات الموكّلة إلى خاتم المرسلين من قبل المولى سبحانه وتعالى بحيث لا يخلو زمان من حجّة، ومثلما جرت سنّة الله

➔

➔
تعالى في تعيين رسالة الرسل. وقد باشر النبيﷺ العناية بالإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام منذ ولادته، وكان أوّل ما دخل جوف الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام ريق النبيﷺ، فتغذّى به بعد أن امتنع عن المراضع أعطاه رسول اللهﷺ لسانه الشريف فمصّه إلى أن نام، واستمر على ذلك الحال ثلاثة أيّام، فتلك كرامة لم تكن لغيره ممّن كانت بطونهم أوعية للمسكرات والميتة. كان النبيﷺ يقيم مع عمّه أبا طالبعليه السلام، ولمّا تزوجﷺ خديجةعليها السلام، كفّله عنده ليخفّف على عمّه في عام العسرة كثرة عياله، فأخذه معه إلى بيت الزوجيّة الجديد. هناك باشر النبيﷺ تربية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على أسس تستجيب لما ينتظره في المستقبل، وكان النبيﷺ فوق ذلك لا يتركه أبداً، فيصطحبه في كلّ تنقّلاته القريبة والبعيدة حتّى في غار حراء، المكان الذي توارثه عن آبائه في الاختلاء والاعتكاف والتأمّل. يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «بخصوص تلك الفترة الهامة من زمن، كان فيه من يسمّونهم كبار الصحابة بين عابد لوثن، وشارب لخمر، ومقترف لكبيرة، وقد علمتم موضعي من رسول اللهﷺ، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله تعالى بهﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم علماً من أخلاقه ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت يومئذ في الإسلام غير رسول اللهﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة
➔

➔

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليهﷺ، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاّ أنك لست بنبيّ، ولكنّك وزير، وإنّك لعلى خير» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٩٢). ثمّ النصوص التي وردت على أحقّيّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بقيادة الأمّة كثيرة جدّاً إلى حدّ لا يمكن أن تدفع، فهي فوق حدّ التواتر، و واضحة من حيث الدلالة، فلا تحتاج إلى تفسير، غير أنّه تصدّى إلى تلك الأحاديث جماعة خطّ السقيفة الذي أسّسه المعارضون لمبدأ الإمامة الإلهيّة، والمتحرّرون من الاعتراف بالنصّ على من يخلف النبيﷺ، فأجهدوا أنفسهم على إطفاء نور الله تعالى، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، خصوصاً إذا علم الذين لم يدركوا بعد أبعاد ذلك الجحود، أنّ الاستدلالات التي أظهرها أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام، هي ماخوذة من كتب مخالفيهم قبل كتبهم، وإذا تبيّن ذلك جلياً واضحاً كفلقة القمر ليلة البدر فلماذا العناد والإصرار؟ ألا يحتمّل هؤلاء المعاندون نسبة من الصحّة لما يحتجّ به عليهم خصومهم ومن كتبهم؟

والنصوص التي أخرجها الفريقان في هذا المجال كثيرة متعدّدة، واتّفقوا جميعاً على صحّة ورودها عن النبيﷺ، وفيهم من أوصل بعضها إلى حدّ التواتر، ولولا التعصّب الأعمى وإجراءات التي قام بها أعداء أهل البيتعليهم السلام لمنع تداول السنّة النبويّة المطهّرة، ومن جاء بعدهم من محاربي العترة الطاهرة، لكانت كلّها متواترة، ولولا العناية والتسديد الإلهي لمنظومة الإسلام، لاندثرت وذهبت أثراً بعد عين، كما أسلفت بعض النصوص الأساسيّة ولكن مع ذلك أنّ النصوص في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كثيرة جداً نذكر هنا بعضها من باب التيمن والتبرك:

🡐

➔
منها: حديث الدار، فقد أمر المولى سبحانه وتعالى نبيّهﷺ بعد نزول آية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (سورة الشعراء:٢١٤). منذ بداية الدعوة أن يعرض على قومه الإسلام، فأمر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أن يدعو من بني هاشم أربعين رجلاً وهيّئ لهم طعاماً، فلمّا اجتمعوا عنده وأكلوا الطعام الذي كان لا يكفي بعضهم وشبعوا منه وهو على حاله لم ينقص فتعجّبوا لذلك، قام فيهم النبيﷺ خطيباً فقال: «من منكم يؤازرني على هذا الأمر يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي؟» فقال علي: «أنا يا رسول الله»، فقال رسول اللهﷺ: «هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا» (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٢١٧، والكامل لابن الأثير ج٢: ص٢٤).

ومنها: حديث المنزلة، فقد أعلم الله سبحانه وتعالى نبيّه بأنّ المنافقين يريدون قتله والاستيلاء على المدينة، وتحينوا فرصة خروج النبيﷺ إلى تبوك للقيام بعملهم الإجرامي فتخلّفوا جميعهم عن البعث، إلاّ أولئك الذين أوكلت إليهم مهمّة قتل النبيﷺ، ولم يكن هناك بدّ من استبقاء رجل يستطيع أن يفشل عزم أعداء الله تعالى، فلم يجد النبيﷺ مؤهلاً لتلك المهمّة غير عليعليه السلام، فآثر استبقاءه أميراً على المدينة، وتملك المنافقين الرعب لما سمعوا بأنّ عليّاًعليه السلام باق في المدينة، وهو الذي كانت حساباتهم تقول بأنّه سيكون إلى جانب النبيﷺ في غزوته تلك، فأرجفوا به في محاولة لحثه على اللحاق بالجيش، لكن رسول اللهﷺ طيب خاطره بكلمات لها دلالاتها القرآنيّة في أحقيّته بقيادة الأمّة بعد النبيﷺ، قالﷺ له: «يا علي، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي؟» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).
➔

➔

ومنها: حديث الثقلين ، هذا الحديث له دلالة واضحة على أنّ الحكومة لأهل البيت عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، لأنّ الكلام فيه عن خلافة النبي صلى الله عليه وآله في الأمّة، وقد قاله في عدّة من المواضع واختلاف الأزمنة: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٢ كتاب الفضائل، باب فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). فالثقل الأول: وهو كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو السلطان مع قرينه الثقل الثاني أعني العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام وخلفائه الاثني عشر الذين ذكرهم في أحاديثه، فهم الذين قرنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالكتاب العزيز لا يمكن الفصل بينهما، بل أنّ الكتاب الصامت، و أهل البيت عليهم السلام هم الناطقون عنه صدقاً وعدلاً.

ولم يسلم المنافقون والذين في قلوبهم مرض مكانة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله ومن الإسلام والمؤمنين، فشنوا عليه حرباً باردة تمثّلت في الوشاية به في كلّ أمر لا يروق لهم إلى النبي صلى الله عليه وآله، وقد تكرّر ذلك الأمر مرّات عديدة كان آخرها ما حصل في بعثه إلى اليمن، أخرج ابن عقدة بإسناده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله مع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جيشاً ومع خالد بن الوليد جيشاً آخر إلى اليمن، وقال: إن اجتمعتم فعلي على الناس، وإن افترقتم فكلّ واحد منكما على حدّه. قال بريدة: فلقينا القوم فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرّية، وأخذ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام امرأة من ذلك السبي. قال: فكتب معي خالد بن الوليد –وكنت معه– إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ينال فيه من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويخبره بالذي فعل وأمرني أن أنال منه، قال:

🡐

➔

فقدمت على النبيﷺ فقرأت عليه الكتاب ونلت من الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام، فرأيت وجه نبي اللهﷺ متغيّراً، فقلت: هذا مقام العائذ بك يا رسول الله، بعثتني مع رجل وأمرتني بطاعته فبلغت ما أرسلت به، فقال: «يا بريدة لا تقعنّ في عليّ، فإنّه منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٥٦).

وفي النهاية تنصيب النبيﷺ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علماً وإماماً للأمّة من بعده في حجّة الوداع في السنة العشرة من الهجرة النبويّة المباركة، ليكون وليّاً للمسلمين بعد النبيﷺ، وجاء الوحي ليفرض ذلك التنصيب وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، وفي مكان يدعى غدير خم في منصرف النبيﷺ ومن كان معه من الحجّاج، وقد عدّ المؤرّخون وأصحاب السير عددهم من ثمانين ألفاً إلى مائة عشرين ألف حاجّ، نزل جبريلعليه السلام قائلاً: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ (سورة المائدة:٦٧). فأمر النبيﷺ الناس بالتوقّف، وفي انتظار المتأخّرين عن الكرب أمر بدوحات فقممن وأرسل في طلب المتقدّمين، وعمل له منبر من أقتاب الإبل، ولمّا اكتمل اجتماع الناس، قام خطيباً فيهم فقال: «أيّها الناس إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي مسؤول وإنّكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟» فقالوا: نشهد أنّك قد بلّغت الرسالة وأدّيت الأمانة ونصحت في الدين، فقال: «إن الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحقّ معه حيث دار» (انظر مستدرك الحاكم ج٣: ص١٠٩، ومسند احمد ج١: ص١١٩، والصواعق المحرقة لابن حجر ص٢٥). ولم ينزل النبيﷺ حتّى أمر بنصب خيمة نتصيب للإمام أمير المؤمنين

🡐

منها: كتمانهم للحقّ وعملهم على الباطل في عدّة مقامات[1].

➔

علي بن أبي طالب عليه السلام، ودعا الناس إلى بيعته فبايع المسلمون وكان ممّن بايع الخليفة الأوّل والخليفة الثاني الذي قال: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١، والمعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي: ص١٢١، والرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ج٣: ص١٢٧). وهذه الواقعة لم تمرّ في الخفاء إذ قد تناقلتها الأجيال جيلاً بعد آخر، بالغاً عن حدّ التواتر لكانت، ولكن السياسة أبت إلاّ أن تتبع آثارها حرقاً ومنعاً وطمساً.

أقول: رغم التكتّم والمنع الذي طرأ على الحادثة والحديث فقد تتبع طرقه العلماء ووقفوا على رواته، فكانوا أكثر من مائة وعشرين صحابيّاً وثمانون تابعيّاً، وأخرجه كبار الحفّاظ من أهل السنّة بالغاً عن عدد ثلاث مائة وستّون حافظاً، ومن الشعراء على مدى القرون بصحّة الحادثة والحديث، وقد ألّف الشيخ الجليل عبد الحسين الأميني النجفي قدس سره موسوعة إسلاميّة سمّاها باسم الغدير، وفيه من سنّة وأدب وعلم وفنّ وتاريخ وأخلاق وحقائق وأقوال جدير بالاطّلاع عليه والاحاطة به وخليق بكلّ مسلم، وبه يعلم كيف قصّر العلماء والمؤرّخون وأين هي الحقيقة، ويتبيّن من خلاله تقصير علماء أهل السنّة وإهمالهم وإقرارهم الحقائق وما إلى غير ذلك من الأمور التي ستتّضح للقاريء الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى أنّ كتمان الحقّ ظاهرة سيّئة، ومحاولة من بعض علماء السوء من أجل المصالح الشخصيّة. وهو من أكبر الذنوب التي نهى الله تعالى عنها، وقد حذّر الإسلام عنه بشدّة مهما كانت نتائجه، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ**

➔

➔

الْبَيِّنَات وَالْهُدَى مِنْ بَعْد مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (سورة البقرة:١٥٩). فقد خاطب سبحانه وتعالى كلّ من يدرك الحقّ بعقله ونهى عن كتمان الحقّ وحذّر جميع الناس عمّا يترتّب عليه من المفاسد. فقال تعالى: إنّ الله سبحانه وعباده الصالحون وملائكته المقرّبون يلعنون من يكتم الحقّ. وبعبارة أخرى، أنّ كلّ أنصار الحقّ يغضبون على من يكتم الحقّ، وأيّة خيانة للعالم أكبر من محاولة العلماء الذين يكتمون آيات الله المودعة عندهم من أجل مصالحهم الشخصيّة ومن أجل تضليل الناس؟! لأن كتمان الحقّ يؤدّي إلى تلبيس الحقّ بالباطل كما قال تعالى: **﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (سورة البقرة:٤٢). والمستفاد من الآية الكريمة أنّ موجب لتلبيس الحقّ بالباطل وتحريف آيات الله. ولذلك أنّ القرآن الكريم قد أغلق منافذ الأمل أمام علماء السوء من جميع الأديان والمذاهب الذين يكتمون الحقّ من أجل مصالحهم الشخصيّة، ويأمرهم بالكف عن هذا الذنب الكبير فتقول الآية: **﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** (سورة البقرة:١٦٠). ولعلّ القرآن لم يهدّد ولم يذمّ فئة كما هدّد وذمّ الفئة الكاتمة للحقائق؛ ولم لا؟ فإنّ عمل هؤلاء يجر أجيالاً متعاقبة إلى طريق الضلال والفساد، كما أنّ نشر الحقائق يدفع بالأمم إلى طريق الهداية والصلاح. فإنّ البشريّة تميل للحقائق بفطرتها، وكتمان الحقائق عنها يعني صدّ البشرية عن طريق تكاملها الفطري. فلو أنّ علماء اليهود والنصارى أعلنوا ما عندهم من حقائق بشأن النبي الخاتمﷺ، ونشروا ما جاء في العهدين من البشائر حول الرسول الأكرمﷺ، لانضوى أهل الكتاب تحت راية الإسلام، ولأصبحوا مع المسلمين أمّة واحدة. فكتمان علمائهم للحقائق من علامات النبوّة والبشائر بالنبي الخاتمﷺ صار سبباً لضلالة الناس، بل

➔

➔

أنّ عدم كتمان كلّ حقيقة يدفع الناس إلى الفهم الصحيح بالمعنى الواسع الدين. ثم إنّ السكوت في بعض الموارد قد يكون من مصاديق كتمان الحقّ، لأنّ البيان يكون موجباً لعدم وضوح الأمر. فيجب على العالم البيان، إذ الناس يحتاجون فيها بشدّة إلى فهم الحقائق، ويستطيع العالم أن يلبّي هذه الحاجة.

وبعبارة أخرى: نشر الحقائق التي يعاني الناس من كتمانها لا يتوقّف على كتمان الحقائق ، وأنّ القرآن لا يتحدّث عن كتمان الحقائق فحسب بل يتحدّث في مواضع أخرى عن تبيين الحقائق أيضاً، وهذا يرد على أولئك الذين يلتزمون جانب الصمت أمام الانحرافات بحجّة عدم وجود سائل يطرح عليهم سؤالاً بشأن تلك الانحرافات، يقول سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾ (سورة آل عمران:١٨٧). والجدير بالذكر أنّ إلهاء الناس بالمسائل الفرعيّة لصرف أنظارهم عن المسائل الأساسيّة الحياتيّة نوع من كتمان الحقائق، وإن لم يشمله فرضاً تعبير كتمان الحقائق فإنّه مشمول له بملاك وفلسفة كتمان الحقّ.

وأمّا كتمان الحقّ في الأحاديث فقد ورد روايات كثيرة وفيها الردع بشدّة عن ذلك، ففي حديث روي عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «من سئل عن علم يعلمه فكتم ألجم يوم القيامة بلجام من نار» (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٤٩٥). وفي رواية أخرى سئل عن مولانا الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من شرّ خلق الله بعد إبليس وفرعون؟ قال: العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق، وفيهم قال الله عزّ وجلّ: ﴿**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾» (انظر بحار الأنوار ج٢: ص٨٩). وعليه فما زعمه ابن تيميّة من أنّ معنى خير القرون الصحابة كيف يلزم منه أنّ أكثر الصحابة كانوا يكتمون الحقّ ويلبسون الحقّ بالباطل وقد

➔

ومنها: تبديلهم لنبذة من الدين بالمبتدعات[1].

➔

شملهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (سورة البقرة:١٥٩). كما شملهم ما ورد في الروايات الكثيرة الواردة في المقام وهي كثيرة وقد أخرجها كبار علماء أهل السنّة وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) لا يخفى على الخبير الباحث في الآثار والأخبار البدع التي أحدثها الصحابة في الدين بعد وفاة رسول اللهﷺ لا سيّما البدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة في الدين وتلاعبهم بالشريعة المقدّسة، وما نسبوا إلى الإسلام من الأحكام ما أنزل الله بها من سلطان. وقد أقرّ بذلك كبار علماء أهل السنّة في كتبهم في مواضع عديدة، وإن التجأ بعض المتعصّبين منهم بالتوجيهات الباردة للدفاع عن فضائعهم وشنائعهم في هذا المجال، ولكن الحقيقة غير قابلة للتغيير، وأنّ الأدلّة القطعيّة من الكتاب والسنّة تدلّ على أنّ البدعة في الدين ضلالة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول اللهﷺ: «فإنّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمّد وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة» (صحيح مسلم كتاب صلاة الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة). وأخرج النسائي هذا الحديث في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول اللهﷺ يقول في خطبته يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثمّ يقول: «من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلله فلا هادي له، إنّ أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمّد وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار» (سنن النسائي ج٣: ص١٨٨). فالحجّة القطعيّة قائمة عند أهل السنّة على أنّ كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار، كما أنّ القرآن الكريم نهى عن الافتراء على الله،

➔

←

حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (سورة النحل:١١٦). وفي الواقع أنّ هذه الآية والتي قبلها ذكرت نوعين من العقاب لهؤلاء الكذّابين الذين نسبوا التهمة إلى الله، الأول: إنّ الكذب والافتراء لا يمكن أن يكون أساساً لفلاح ونجاح أبداً ولا يوصّل إلى الهدف مطلقاً، بل يؤدي إلى الحيرة والزلة والتياه، وتحيط التعاسة والشقاء والهزيمة بالأطراف. الثاني: على فرض أنّهم استطاعوا أن يستغفلوا الناس ويخدعوهم بالكذب والافتراء لعدّة أيّام، ويصلوا عن طريق الضلالة إلى رفاه وعيش رغيد، إلاّ أنّ هذا التمتّع لا دوام ولا بقاء له، والعذاب الإلهي الخالد في انتظارهم. فأصحاب البدعة في الدين أهل الخلود في النار، كما أنّ الكفّار يستحقّون الخلود في الجهنّم. ومن هنا يعرف شأن الخلفاء الثلاثة بالنسبة إلى البدع التي أحدثوها في الدين والمخالفات التي ارتكبوها في الشريعة المقدسة. ومن أجل إصرارهم على ترويج البدع والمخالفات في الدين منعوا الناس من تدوين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى أنّ أبا بكر أحرق أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي جمعت في عهده لئلاّ تنتشر عند الصحابة وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهم صلى الله عليه وآله، فقد روى الذهبي عن ابن أبي مليكة: أنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه (تذكرة الحفّاظ ج١: ص٢). فبذلك جمد الحديث واقتصر الناس بالحفظ في صدور بعض الصحابة وصاروا يتناقلونه شفاها، فأصاب مدرسة الصحابة الركود والجمود في نقل الحديث، عدا مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فكان من

←

➔

اللازم على الناس أن يأخذوا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله أهل البيت عليهم السلام، لما أنّ أهل البيت أدرى بما في البيت. ولكن السلطة الجائرة لن تسمح لهم ذلك للمحافظة على القدرة الغاصبة خلافة السقيفة وسلطتهم على الناس. قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلّب كثيراً، فلمّا أصبح قال: أي بنيّة، هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها! فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدّثني، فأكون قد نقلت ذاك! (تذكرة الحفّاظ ج١: ص٥). وعلى أثر هذا العمل الذميم والبدعة السيّئة التزم الحكام التابعين لخلافة السقيفة بمنع تدوين الحديث وروايته، لا سيّما في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب الذي منع تدوين الحديث بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوعّد وضرب من خالف منع تدوين الحديث وكتابته، وكان يصرّ على موقفه البائس أمام رسول الله صلى الله عليه وآله، وقوله: حسبنا كتاب الله. فإنّه بقدر ما أبعد الرعيل الأوّل من الصحابة وحَمَلة الحديث ومنعهم، قرّب إليه حَمَلَة الأفكار الهدّامة وأعداء الإسلام أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سلام وعبد الله بن أُبيّ وغيرهم، وأطلق لهم عنان الحديث لبثّ الإسرائيليّات الضالّة بين المسلمين، حتّى أنّ عمر بن الخطّاب قال لقرظة بن كعب: جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٠٢). وأراد بذلك إمحاء جميع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ من كان محفوظاً عنده كما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال الخطيب البغدادي: أنّه كان أتباعه وحواريّوه يدوّنون الحديث على رغم الحظر الصادر من عمر بن الخطّاب والتشديد عليه، وكتب إلى الآفاق: إنّ من كتب حديثاً فليمحه (انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي:

➔

➔

ص٥٣). والتزم الحكّام من بعد عمر، بهذه البدعة السيئة والسياسة المضلّة في منع تدوين الحديث وروايته، فأعلن عثمان ومعاوية عن اتّباعهما لسياسة عمر في منع الحديث النبوي إلاّ حديثاً كان على عهد عمر (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٩). وقد بقيت هذه البدعة السيئة من سياسة عمر سارية المفعول حتّى بلغ الأمر إلى أن الحجّاج الثقفي – سفّاك العراق – قام بالاعتداء على كبار صحابة الرسول صلى الله عليه وآله فختم على أيديهم وأعناقهم حذراً من أن يحدّثوا الناس أو يسمع الناس حديثهم (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج٢: ص٤٧٢ في ترجمة سهل الساعدي). فلم يكن القيام بأمر رواية الحديث في مثل هذه الفترة بالذات، وفي مثل هذه الأجواء أمراً سهلاً ولا هيناً. ولقد اهتّم مدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم لنقل حديث رسول الله وسنته العطرة عن طريق أهل البيت عليهم السلام ورفض السياسة الخلفاء المخرّبة لأساس الدين والتي كانت ضدّ أهمّ مصادر الفكر الإسلامي فكانت الشيعة إلى جانب كتابتهم للحديث، وإيداعه المؤلفات يبادرون بحزم إلى رواية الحديث ونشره وبثّه على طول تلك الفترة، عملاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن هنا يتّضح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لماذا كان يريد كتابة وصيّته؟ لتعرف الأمة أنّ كتابة الحديث مانعة من إنحراف الأمة وضلالتها. فلو عُلم ذلك لعُلم وجه منع النبي صلى الله عليه وآله عن كتابة وصيّته كما عُلم أيضاً وجه قول عمر حسبنا كتاب الله والمنع عن تدوين سنّته بعد رحيله صلى الله عليه وآله.

فنقول: أنّ الأدلّة والشواهد تدلّ على أنّ هدف رسول الله صلى الله عليه وآله هداية الناس ولم يتم هذا الهدف إلاّ دعم موقفه صلى الله عليه وآله من الوصيّة وتعيين الخليفة من بعده، حيث أنّ وصيّه هو الذي يؤدّي عنه الحديث، ولذلك أخرج النسائي في سننه بسنده عن محمد بن نافع بن عجير عن أبيه عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا أنت يا

➔

➔

علي، فصفيون أميني ذكر قول النبيﷺ لا يؤدي عنّي إلاّ أنا أو علي» (السنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٢٨). وأخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي ذر قال: قال رسول اللهﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). وإلى غير ذلك من الروايات كحديث الثقلين المتّفق عليه بين الفريقين.

وملخّص الكلام أنّ من البدع التي أحدثها خلفاء الجور في الإسلام منعهم تدوين حديث رسول اللهﷺ، وهذه الحقيقة من الأمور المسلّمة في التاريخ الإسلامي، وكانت هذه البدعة من أسباب ضلالة الأمّة وأتباع خلافة السقيفة. وقد أرادوا بها أن يبدّلوا دين الله كما قال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ**﴾ (سورة الفتح:١٥). وكما أنّهم شاقّوا الله ورسولهﷺ، حيث قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الأنفال:١٣)، ومعنى قوله: "شاقّوا الله ورسولهﷺ" أي: فارقوا أمر الله ورسولهﷺ وعصوهما وأطاعوا أمر الشيطان، ومعنى قوله: "ومن يشاقق الله ورسولهﷺ" أي: من يخالف أمر الله وأمر رسولهﷺ وفارق طاعتهما، "فإن الله شديد العقاب، وشدّة عقابه له في الدنيا: إحلاله به ما كان يحلّ بأعدائه من النقم، وفي الآخرة الخلود في نار جهنّم، وذلك لقوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ**﴾ (سورة الأنفال:١٤)، وهذا ما ينتظره أهل البدعة في الدين. وإذا كان الأمر كذلك كيف يمكن لابن تيميّة دعوى أنّ المقصود بخير القرون... هم الصحابة التابعين للسقيفة؟!!

ومنها: غصبهم حقّ الخليفة ومن جعلهم في مقامه غيره[1].

(١) لا يخفى أنّ أحد أسباب عدم إمكان القول بأنّ المقصود بخير القرون... الصحابة هو غصب الخلافة بعد الرسول الأعظمﷺ اتّفاق الصحابة وتواطئهم على ذلك أثر أحقاد البدريّة والحنينيّة التي ورثتها قريش من أهل البيتعليهم السلام وخاصّة ما كان لهم من الحقد والضغينة بالنسبة إلى مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وقد أخرج أبو يعلى الموصلي في مسنده بسنده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أنّه قال: «بينما رسول اللهﷺ آخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، قالﷺ: لك في الجنّة أحسن منها، ثمّ مررنا بأخرى، فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، قالﷺ: لك في الجنّة أحسن منها، حتّى مررنا بسبع حدائق كلّ ذلك أقول ما أحسنها ويقول لك في الجنّة أحسن منها، فلمّا خلا له الطريق اعتنقني ثمّ أجهش باكياً»، قال: «قلت: يا رسول الله ما يبكيك؟! قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلاّ من بعدي»، قال: «قلت: يا رسول الله أفي سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك» (مسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص٤٢٧). وأخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن حيان الأسدي قال: سمعت علياًعليه السلام يقول: «قال لي رسول اللهﷺ: إنّ الأمّة ستغدر بك بعدي وأنت تعيش على ملّتي وتقتل على سنّتي، من أحبّك أحبّني ومن أبغضك أبغضني، وإنّ هذه ستخضب من هذا، يعني لحيته من رأسه» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٤٣). وأخرج أيضاً بسنده عن ابن عبّاس قال: قال النبيﷺ لعلي: «أمّا إنّك ستلقى بعدي جهداً»، قال: «في سلامة من ديني؟» قال: «في سلامة من دينك» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٤٠). وقد أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في كلامه حيث قال: «كلّ حقد حقدته قريش ←

➔

على رسول الله صلى الله عليه وآله أظهرته فيّ وستظهره في ولدى من بعدي، ما لي ولقريش! إنّما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله، أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين؟» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠: ص٣٢٨). والباحث عندما يدرس التاريخ يجد أنّ سبب هذا الحقد العجيب لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام؛ هو أنّ الدين قام بسيفه. فحيث أنّ قتل شياطين من أهل الشرك والكفر في بدر وأحد والخندق وحنين كانت بيده عليه السلام، وبذلك أسقط كلّ هيمنة الكفّار والمشركين يوم الفتح، فقد بقيت الضغائن بعد ذلك في قلوب المنافقين. قال ابن أبي الحديد: أنّه روى أبو سعد الآبي في كتابه عن ابن عبّاس قال: وقع بين عثمان وعلي عليه السلام كلام، فقال عثمان: ما أصنع إن كانت قريش لا تحبّكم، وقد قتلت منهم يوم بدر سبعين كأنّ وجوههم شنوف الذهب، تصرع أنفهم قبل شفاههم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩: ص٢٢). ولعلّ من هذه الجهة قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اللّهم إنّي أستعديك على قريش، فإنّهم أضمروا لرسولك صلى الله عليه وآله ضروباً من الشرّ والغدر فعجزوا عنها، وحلّت بينهم وبينها، فكانت الوجبة بي والدائرة عليّ. اللّهم احفظ حسناً وحسيناً، ولا تمكّن فجرة قريش منهما ما دمت حيّاً، فإذا توفّيتني فأنت الرقيب عليهم، وأنت على كلّ شيء شهيد» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠: ص٢٩٨). وقال سليم بن قيس الهلالي في قصّة سقيفة بني ساعدة وكيفيّة غصب الخلافة وما جرى في ذلك إلى واقعة مؤخّرة وهي غصب الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله جمع من الصحابة الذين تواطؤا على غصب الخلافة من علي عليه السلام الذين نكثوا عهد النبي صلى الله عليه وآله إلى سائر المتّفقين من قريش وغيرها على غصب الخلافة من علي عليه السلام، وباتّفاقهم على غصب الخلافة ومخالفة أمير المؤمنين عليه السلام بعد تحذير رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر

➔

➔

وعمر من غصب الخلافة: "أما إنّي سأخبرك: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده سلمان وأبو ذر والمقداد، ثمّ أرسل النبي صلى الله عليه وآله عائشة إلى أبيها وحفصة إلى أبيها وأمر ابنته فأرسلت إلى زوجها عثمان، فدخلوا فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا أبا بكر، يا عمر، يا عثمان، إنّي رأيت الليلة رجالاً على منبري يردون أمّتي عن الصراط القهقرى، فاتّقوا الله وسلّموا الأمر لعلي بعدي ولا تنازعوه في الخلافة، ولا تظلموه ولا تظاهروا عليه أحداً»، قالوا: يا نبيّ الله، نعوذ بالله من ذلك أماتنا الله قبل ذلك!! النصّ على الأئمة الاثني عشر بحضور أبي بكر وعمر وعثمان: قال صلى الله عليه وآله: «فإنّي أشهدكم جميعاً ومن في البيت من رجل وامرأة: أنّ علي بن أبي طالب خليفتي في أمّتي، وإنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى فابني هذا» ووضع يده على رأس الحسن عليه السلام، «فإذا مضى فابني هذا»، ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام، «ثمّ تسعة من ولد الحسين عليه السلام واحد بعد واحد وهم الذين عنى الله بقوله: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾». آية نزلت في الأئمة إلاّ تلاها رسول الله صلى الله عليه وآله. رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله في الغاصبين: فقام أبو بكر وعمر وعثمان، وبقيت أنا وأصحابي أبو ذر وسلمان والمقداد وبقيت فاطمة والحسن والحسين، وقمن نساءه وبناته غير فاطمة عليها السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رأيت هؤلاء الثلاثة وتسعة من بني أميّة وفلان من التسعة من آل أبي سفيان وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص بن أميّة يردون أمّتي على أدبارها القهقرى». قال ذلك علي عليه السلام وبيت زياد ملآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أقبل عليهم فقال: «اكتموا ما سمعتم إلاّ من مسترشد. يا زياد، اتّق الله في شيعتي بعدي»، فلمّا خرج من عند زياد أقبل علينا فقال: «إنّ معاوية سيدعيه ويقتل شيعتي، لعنه الله»" (انظر كتاب سليم بن القيس الهلالي الكوفي: ص٤٤٢). وهناك روايات أخرى تدلّ على أنّ أبا بكر وعمر أظهرا

←

ومنها: هتكهم لحرمة من طهّرهم الله من الرجس بالمضي إلى بيتهم

➔

ندامتهما من غصب الخلافة عند الموت، فأخرج الطبراني بسنده عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفي فيه، فسلّمت عليه وسألته كيف أصبحت، فاستوى جالساً فقال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ، وددت أنّي لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ وددت أني فعلتهنّ، وثلاث وددت أنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهنّ، فأما الثلاث اللاتي وددت أني لم أفعلهنّ: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته، وأن أغلق على الحرب، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمر... (انظر المعجم الكبير للطبراني ج١: ص٦٢). وأخرج أبو الصلاح في كتابه تقريب المعارف: لمّا طعن عمر جمع بني عبد المطّلب وقال: يا بني عبد المطّلب! أراضون أنتم عنّي؟ فقال رجل من أصحابه: ومن ذا الذي يسخط عليك؟ فأعاد الكلام ثلاث مرّات، فأجابه رجل بمثل جوابه، فانتهره عمر وقال: نحن أعلم بما أشعرنا قلوبنا، إنّا والله أشعرنا قلوبنا ما... نسأل الله أن يكفينا شرّه، وإنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة نسأل الله أن يكفينا شرّها. وقال لابنه عبد الله – وهو مسنده إلى صدره –: ويحك! ضع رأسي بالأرض، فأخذته الغشية، قال: فوجدت من ذلك، فقال: ويحك! ضع رأسي بالأرض، فوضع رأسه بالأرض فعفر بالتراب، ثمّ قال: ويل لعمر! وويل لأمّه! إن لم يغفر الله له (تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي: ص٣٦٧). فإذا كان أكثر الصحابة من أتباع هؤلاء الغاصبين لخلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهم يعترفون بظلمهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلا شكّ أنّهم لايستحقّون أنّ يكونوا في زمرة المؤمنين، فضلاً عن أن يكونوا مقصودين بخير القرون... فلاحظ.

بالنار والحطب ليحرقوها لو لم يبايعوهم[(١)].

(١) لا يخفى أنّ فاجعة الهجوم على بيت الزهراءعليها السلام والغارة على بيت الوحي وهتك حرمتها وحرمة أهل البيتعليهم السلام بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله قد فضحت نظام السلطة التي تأسّست في السقيفة والوسائل التي استخدمت لإجراء ثقافة الإرهاب والعنف، تلك الثقافة التي حاربت الأمّة وأهلكت الحرث والنسل للغلبة على ظواهر القدرة الدنيوية بالإكراه والإجبار، وثقافة الحنق التي كشفت عن حقيقة الصحابة التابعين لخلافة السقيفة، والمنافقين الذين أبرزوا أحقادهم بعد النبيصلى الله عليه وآله ضدّ النبيصلى الله عليه وآله وأهل بيتهعليهم السلام. وهم الذين كانوا يترصّدون الفرص للانتقام من النبي الأكرمصلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومينعليهم السلام، وقد بدأت من السقيفة برفض خط الرسالة المحمّدية والإمامة الإلهيّة والوصاية الولائيّة وتبديلها بالخلافة الغاصبة والتحريف في الدين وإرجاع الناس إلى الجاهليّة الأولى والروح القبليّة والعصبيّة العنصريّة. وبعد ذلك بادروا إلى غصب حقوق الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام، واستشهادها. فإنّ مظلومية الزهراءعليها السلام كشفت عن حقيقة الإرهاب والتحريف وعرق الدسائس والقبليات الظالمة وهي من أعظم المصائب التي مرّت على تاريخ الإسلام. فاستشهاد السيّدة الزهراءعليها السلام فصل مهمّ في تاريخ الإسلام ولها أهميّة عظمى في تحليل الأحداث المأساوية التي وقعت بعد استشهاد رسول اللهصلى الله عليه وآله. فإنّ النصوص الواردة من الفريقين في باب الهجوم على بيت السيدة الزهراءعليها السلام بالغة عن حدّ التواتر. ثمّ إنّ مظلوميّة الزهراءعليها السلام وضربها إلى حدّ الإدماء وإسقاط جنينها وكسر ضلعها، ثمّ وصيّتها وإصرارها على أن تدفن ليلاً، وأن لا يحضر أحد ممّن ظلمها تشييع جنازتها ممّا لا يمكن إنكارها لأحد، لأنّ الروايات التي رواها علماء أهل السنّة في هذا المجال، مع قطع النظر عمّا رواه علماء الشيعة بالغة، عن حدّ الاستفاضة. فالروايات والوثائق التاريخية تنصّ على أنّه لما فرغ مولانا الإمام أمير ←

➔
المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من دفن رسول اللهصلى الله عليه وآله أقام في منزله بما عهد إليه رسول اللهصلى الله عليه وآله، واجتمع إليه جماعة من بني هاشم والأصحاب من المهاجرين والأنصار - كالعبّاس، والمقداد، وسلمان، وأبي ذر وغيرهم - وكانوا غاضبين على أبي بكر ومن بايعه في السقيفة. فأرادوا باجتماعهم في بيت الإمام المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام التحيّز عمّا حدث في السقيفة وإظهار الخلاف عليه، وأن يبايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للإمامة والخلافة، باعتبار أنّهم كانوا يعتقدون بأنّ الإمامة الحقة فيه. وقد أشار إلى ذلك معاوية في كتابه إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بقوله: وما يوم المسلمين منك بواحد.... وقعدت في بيتك عنه، واستغويت عصابة من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته... (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٥: ص١٨٧). ثمّ قال ابن أبي الحديد: فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً موضع التعجّب أنّ معاوية يخبر علياًعليه السلام باصطفاء الله تعالى محمّداًصلى الله عليه وآله وتشريفه له وتأييده له، وهذا ظريف لأنّه يجري كإخبار زيد عمراً عن حال عمرو، إذ كان النبيصلى الله عليه وآله وعليعليه السلام كالشيء الواحد (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٥: ص١٨٨).

وأمّا بيان الحادثة: فقد أجمع المؤرّخون أنّه في اليوم الثاني من بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله لمّا استتبت فتنة السقيفة فاجتمع عدّة من الصحابة إلى بيت الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام، لا لكي يعزّوهم بوفاة النبيصلى الله عليه وآله بل كانوا يحملون السيوف وأكداساً من الحطب ليضعوها على باب دار أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنذروا المجتمعين أهل ذلك الدار أن يخرجوا ويبايعوا أبا بكر وإلاّ أحرقوا الدار بمن فيه! وكان في الدار فاطمةعليها السلام بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله سيّدة نساء أهل الجنّة، والإمام أمير المؤمنين علي
➔

➔

ابن أبي طالب عليه السلام عضد رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمّه وصهره، والحسن والحسين عليهما السلام سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّدا شباب أهل الجنّة، وبنو هاشم، وعدد من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار. فتفاجؤوا بأنّ عدداً من الصحابة الذين تركوا مراسم جنازة النبي صلى الله عليه وآله وذهبوا إلى السقيفة وتنازعوا في السلطة والخلافة الظاهريّة والحكومة الدنيويّة، فبادر عمر ومن بايع صاحبه أبا بكر وبضعة أشخاص من أوباش قريش، وتجمّع معهم مجموعة من حزب الطلقاء، وحزب العتقاء، وحزب المؤلفة قلوبهم، وسفلة الأعراب وبقايا الأحزاب وحزب أرباب الحقد الدفين الموتورين من سيف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان يتقدّمهم عمر بن الخطّاب، وأسيد بن الخضير رئيس الأوس وبشير بن سعد أحد وجوه الخزرج، وسلمة بن سلامة بن وقش الأشهي، وخالد بن الوليد، وقنفذ، وعبد الرحمن بن عوف، ومسلم بن أسلم؛ شاهرين سيوفهم ويحملون قبساً من النار مهدّدين بحرق البيت على من فيه إن لم يبايعوا أبا بكر. وفيما يلي حشد من الروايات التي صدرت من علماء الفريقين، قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي عليه السلام، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها. فقيل له يا أبا حفص: إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن، ثمّ وقفت فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: «لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقّاً»، (فانصرفوا). ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبه يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة» (الإمامة والسياسة ج١:

➔

➔

ص٢٠). وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: قال أبو بكر: يا عمر، أين خالد بن الوليد؟ قال: هو هذا، فقال: انطلقا إليهما – يعني إلى علي والزبير – فأتياني بهما، فانطلقا فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: أعددته لأبايع علياً، قال: وكان في البيت ناس كثير، منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميّين، فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه ثمّ دفعه فأخرجه وقال: يا خالد، دونك هذا، فأمسكه خالد وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس، أرسلهم أبو بكر ردءاً لهما، ثم دخل عمر فقال لعليّ: قم فبايع فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير، ثم أمسكهما خالد، وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً، واجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميّات وغيرهنّ، فخرجت إلى باب حجرتها ونادت: «يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلّم عمر حتّى ألقى الله» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص١٣٤، وج٦: ص٢٨٦). وقال الطبري: أتى عمر بن الخطّاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه (تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٢). وذكر ابن عبد ربّه الأندلسي في كتابه العقد الفريد بحثاً مفصّلاً حول تاريخ السقيفة أورده تحت عنوان: الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر وقال: فأمّا عليّ والعبّاس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فاقبل بقبس من نار أن يُضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: «يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟!!» قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت

➔

➔

فيه الأمّة (العقد الفريد ج٤: ص٢٥٩). ونقل نصر بن مزاحم، عن محمّد بن عبيد الله، عن الجرجاني: أنّ عمرواً قال لمعاوية في صفّين: خل بينهم وبين الماء، فإن عليّاً لم يكن ليظمأ وأنت ريان وفي يده أعنة الخيل وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت وأنت تعلم: أنّه الشجاع المطرق ومعه أهل العراق وأهل الحجاز، وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول: «لو استمكنت من أربعين رجلاً يوم فتش البيت»، يعني بيت فاطمة (واقعة صفّين للمنقري: ص١٦٣). وقال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم، ويقول: إنّما أراد بذلك ألاّ تنتشر الكلمة ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة فتكون الكلمة واحدة كما فعل عمر بن الخطّاب ببني هاشم لمّا تأخّروا عن بيعة أبي بكر، فإنّه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار (هذا ما ذكره المسعودي في مروج الذهب طبع الميمنية ج٣: ص٨٦). ولكن سائر الطبعات لهذا الكتاب قد حذفت منها فقرة: كما فعل عمر بن الخطّاب ببني هاشم لما تأخّر... الخ (راجع على سبيل المثال: مروج الذهب: ج٣: ص٧٧، ط سنة ١٩٦٥، م ط دار المعرفة). ونقل ابن أبي الحديد نصّ المسعودي هذا على الوجه الصحيح كما ورد في طبعة الميمنية، الأمر الذي يؤكّد أن يد الخيانة والتزوير قد لعبت في سائر الطبعات لهذا الكتاب، كما عوّدونا في كثير من الموارد الأخرى (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠: ص١٤٧). وروى البلاذري عن ابن عبّاس قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطّاب إلى عليعليه السلام حين قعد عن بيعته، وقال: ائتني به بأعنف العنف، فلمّا أتاه جرى بينهما كلام، فقال: احلب حلباً لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك غداً... الخ (أنساب الأشراف ج١: ص٣٢). وقال اليعقوبي: وبلغ أبا بكر وعمر: أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع

➔

➔
علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتّى هجموا الدار، وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر، فصارعه عمر فصرعه، وكسر سيفه، ودخلوا الدار، فخرجت فاطمة فقالت: «والله، لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري ولأعجنّ إلى الله». فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم أيّاماً، ثمّ جعل الواحد بعد الواحد يبايع ولم يبايع علي إلاّ بعد ستّة أشهر، وقيل: أربعين يوماً (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٦). ومن الفجائع التي تبكي لها عيون الإسلام والدين والتي أحرقت قلوب المؤمنين والموقنين ما ارتكبه عمر بن الخطّاب من الظلم العظيم والجرم الكبير حين الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام وإحراق باب دارها عليها السلام فكانت الزهراء عليها السلام تنادي وتقول : يا أبتا يا رسول الله أنظر ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب... فرفس عمر بن الخطّاب برجله على الباب في حال الاشتعال وكانت الزهراء عليها السلام وراء الباب فعصرها بين الحائط والباب، فأسقط الزهراء عليها السلام جنينها محسن. وهذه الواقعة الهائلة قد بلغت حدّ التواتر واليقين عند أهل التحقيق، وهي فاجعة إسقاط الجنين الذي اعترف بذلك كبار علماء أهل السنّة كإبراهيم بن سيار بن هاني البصري المعروف بالنظام، الذي هو من كبار علماء المعتزلة وأجلّة كبراء المخالفين قد اعترف بوقوع هذه الواقعة الهائلة، فقال: وروى مقاتل بن عطية: أنّ أبا بكر بعد ما أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب والسيف والقوّة أرسل عمر وقنفذ وجماعة آخرين إلى دار علي وفاطمة عليهما السلام، وجمع عمر الحطب على دار فاطمة وأحرق الباب! ولما جاءت فاطمة خلف الباب لترد عمر وأصحابه عصر عمر فاطمة خلف الباب حتّى أسقط جنينها ونبت مسمار الباب في صدرها، وسقطت مريضة حتّى ماتت (الإمامة والخلافة: ص١٦٠). وقال الذهبي في الميزان، في ترجمة ابن أبي دارم: وقال محمد بن أحمد بن حماد الكوفي الحافظ بعد أن أرّخ
🡐

➔

موته: كان مستقيم الأمر عامّة دهره، ثمّ في آخر أيّامه كان يكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقط محسن (ميزان الاعتدال ج١: ص١٣٩). ولأهميّة قضيّة إسقاط المحسن أيضاً نجدهم لا يتورّعون عن التحريف في كتبهم، فقد حرفوا كتاب المعارف لابن قتيبة حسبما ذكره ابن شهرآشوب الذي أثنى عليه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ثناءً حسناً وقال عنه بعد مدحه: اشتغل بالحديث، ولقي الرجال ثّم تفقّه وبلغ النهاية في فقه أهل البيت... (لسان الميزان ج٥: ص٣٥٠). فقال ابن شهرأشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب: وفي معارف القتيبي: أنّ محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي (انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٣: ص١٣٣). ممّا يشعر بأن ابن شهر آشوب كان مقبولاً حتّى عند أهل السنّة فضلاً عن الشيعة. وأثنى عليه الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات قال: أبو جعفر السروي المازندراني، رشيد الدين، الشيعي، أحد شيوخ الشيعة، حفظ أكثر القرآن وله ثمان سنين، وبلغ النهاية في أصول الشيعة، كان يرحل إليه من البلاد، ثمّ تقدّم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيّام المقتفي ببغداد فأعجبه وخلع عليه، وكان بهي المنظر، حسن الوجه والشيبة، صدوق اللهجة، مليح العبارة، واسع العلم، كثير الخشوع والعبادة والتهجّد، لا يكون إلاّ على وضوء، أثنى عليه ابن أبي طي في تاريخه ثناء كثيراً (انظر الوافي بالوفيات ج٤: ص١٤٦). فإنّ قوله صدوق اللهجة دليل على وثاقته عند أهل السنّة. وفي نصّ آخر أنّه حين بويع لأبي بكر كان علي والزبير يدخلون على فاطمة عليها السلام ويشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فبلغ ذلك عمر، فجاء في جماعة ممّن بايع أبا بكر وفيهم أسيد بن حضير، وسلمة بن سلامة فألّفوهم مجتمعين، فقالوا لهم: بايعوا أبا بكر! فقد بايعه الناس! فوثب الزبير إلى سيفه، فقال عمر: عليكم بالكلب فاكفونا شرّه... فبادر

🡐

➔

سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يده، فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره، وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم ومضوا بجماعتهم إلى أبي بكر، فلمّا حضروا قالوا: بايعوا أبا بكر! فقد بايعه الناس، وأيم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنّكم بالسيف... فلمّا رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل رجل فجعل يبايع حتّى لم يبق ممّن حضر إلاّ علي بن أبي طالبعليه السلام، فقال له: بايع أبا بكر، فقال عليعليه السلام: «أنا أحقّ بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول اللهصلى الله عليه وآله وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً؟! ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول اللهصلى الله عليه وآله فأعطوكم المقادة، وسلّموا لكم الإمارة؟ وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، أنا أولى برسول اللهصلى الله عليه وآله حيّاً وميّتاً وأنا وصيّه ووزيره، ومستودع سرّه وعلمه، وأنا الصدّيق الأكبر، أوّل من آمن به وصدّقه، وأحسنكم بلاء في جهاد المشركين، وأعرفكم بالكتاب والسنّة، وأفقهكم في الدين، وأعلمكم بعواقب الأمور، وأذربكم لساناً، وأثبتكم جناناً، فعلام تنازعونا هذا الأمر..؟! أنصفونا - إن كنتم تخافون الله - من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفته الأنصار لكم، وإلاّ فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون». فقال عمر: أما لك بأهل بيتك أسوة..؟! فقال عليعليه السلام: «سلوهم عن ذلك..»، فابتدر القوم الذين بايعوا من بني هاشم، فقالوا: ما بيعتنا بحجّة على عليّعليه السلام... ومعاذ الله أن نقول أنا نوازيه في الهجرة وحسن الجهاد، والمحلّ من رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقال عمر: إنّك لست متروكاً حتّى تبايع طوعاً أو كرهاً. فقال عليعليه السلام: «احلب حلباً لك شطره، اشدد له اليوم ليرد عليك غداً، إذا والله لا أقبل قولك، ولا أحفل بمقامك... ولا أبايع»، فقال أبو بكر: مهلاً يا أبا الحسن! ما نشدّد عليك ولا نكرهك. فقام أبو عبيدة إلى علي فقال: يا ابن عمّ! لسنا ندفع قرابتك ولا

➔

سابقتك ولا علمك ولا نصرتك ولكنّك حدث السن - وكان لعلي عليه السلام يومئذ ثلاث وثلاثون سنة - وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك وهو أحمل لثقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه، فسلّم له، فإن عمّرك الله لسلّموا هذا الأمر إليك، ولا يختلف عليك اثنان بعد هذا إلاّ وأنت به خليق وله حقيق... ولا تبعث الفتنة قبل أوان الفتنة، قد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا معاشر المهاجرين والأنصار! الله الله لا تنسوا عهد نبيّكم إليكم في أمري ولا تخرجوا سلطان محمّد من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم وتدفعوا أهله عن حقّه ومقامه في الناس، يا معاشر الجمع! إن الله قضى وحكم ونبيّه أعلم وأنتم تعلمون إنّا أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم، أما كان منّا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، المضطلع بأمر الرعية؟ والله إنّه لفينا لا فيكم، فلا تتّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعداً، وتفسدوا قديمكم بشرّ من حديثكم». فقال بشير بن سعد الأنصاري - الذي وطأ الأمر لأبي بكر - وقالت جماعة الأنصار: يا أبا الحسن! لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك قبل الانضمام لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان... فقال علي عليه السلام: «يا هؤلاء أكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله مسجى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه؟» (انظر الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج١: ص٩٥). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى النقاط التالية:

النقطة الأولى: عصمة الزهراء عليها السلام في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ولقد كانت فاطمة الزهراء عليها السلام تتمتّع بمكانة عالية عند الله وعند أبيها صلى الله عليه وآله، ومن أوكد الدلائل على عصمتها قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (سورة الأحزاب:٣٣). وقد اتّفقت الأمّة على أنّ المراد بأهل البيت في الآية الكريمة هم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد وردت الروايات من الفريقين على

➔

نزول آية التطهير في الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، فأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء علي فأدخله ثمّ قال: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** (صحيح مسلم ج٧: ص١٣٠ كتاب الفضائل، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله). ويستفاد من الآية الكريمة والروايات الواردة في تفسيرها عدّة أمور: الأمر الأوّل: إن التعبير بـ"إنّما" يدلّ على الحصر وهذا دليل على أنّ هذه المنقبة خاصّة بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. الأمر الثاني: أنّ كلمة "يريد" إشارة إلى إرادة الله التكوينيّة، وإلاّ فإنّ الإرادة التشريعيّة لا تنحصر بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، لأنّ كلّ الناس مكلّفون بأن يتطهّروا أنفسهم من القذارة الظاهريّة أو من القذارة الباطنيّة كأن يتطهّروا أنفسهم من كلّ ذنب ومعصية. الأمر الثالث: أنّ لفظة الرجس تعني الشيء القذر، سواء كان نجساً وقذرا من ناحية طبع الإنسان أو بحكم العقل أو الشرع أو جميعها، وما ورد في بعض الأحيان من تفسير الرجس بالذنب أو الشرك أو البخل والحسد، أو الاعتقاد بالباطل، وأمثال ذلك، فإنّه في الحقيقة بيان لمصاديقه، وإلاّ فإنّ مفهوم هذه الكلمة عامّ وشامل لكلّ أنواع الرجس والقذر، وهذا يعني أنّ الله تعالى طهر أهل البيت عليهم السلام من كلّ ذلك. الأمر الرابع: أنّ كلمة التطهيرمفعول مطلق يدلّ على منتهى الطهارة، يعني إزالة النجس، هو تأكيد على مسألة إذهاب الرجس، والنتيجة أن هذه الآية والروايات من دون شكّ وترديد تثبت عصمة أهل البيت عليهم السلام من الذنب والرجس ولا معنى لغير ذلك. وهناك آيات قرآنيّة كثيرة تدلّ على عصمة الزهراء عليها السلام ولكن تماشياً مع اختصار البحث اقتصرنا على آية التطهير.

🡐

➔
وأمّا الأحاديث النبويّة الشريفة في حقّها التي تدلّ على عصمتها وطهارتها أيضاً كثيرة منها قوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). ومن الواضح أنّ غضب رسول الله صلى الله عليه وآله موجب لأذاه ومن يسبّب الأذى لرسول الله صلى الله عليه وآله يقع مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (سورة توبة:٦١). وأيّ دليل أقوى على عصمتها عليها السلام من أنّ غضبها غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ رضاها رضا رسول الله صلى الله عليه وآله كما ورد في النبويّ الشريف: «يا فاطمة، إنّ الله يغضبُ لغضبك ويرضى لرضاك» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٥٤). وهذا المقام الرفيع هو الذي دعى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلقّبها بسيّدة نساء العالمين إذ يقول في حقّها: «يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العاليمن، وسيّدة نساء هذه الأمّة وسيّدة نساء المؤمنين» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٥١، وفضائل الصحابة ص٨٥، ومسند أحمد ج٣: ص٨٠).

النقطة الثانية: مكانة دار الزهراء عليها السلام في القران والسنّة؛ فقد ذكر المحدّثون، عندما نزلت الآية الشريفة: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾ (سورة النور:٣٦)، قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية في المسجد فقام إليه رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: «بيوت الأنبياء»، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله أهذا البيت منها؟ مشيراً إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام، قال صلى الله عليه وآله: «نعم من أفاضلها!» (انظر تفسير الدرّ المنثور للسيوطي ج٥: ص٥٠، وتفسير الآلوسي ج١٨: ص١٧٤). وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر بعد نزول هذه الآية ينادي عند مروره من جانب بيت فاطمة عليها السلام وهو ذاهب إلى صلاة الصبح: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (سورة
➔

➔
الأحزاب:٣٣). فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أنس بن مالك أنّ رسول اللهﷺ كان يمرّ بباب فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٢٨٥)، ورواه الترمذي في سننه ج٥: ص٣١، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٥٨، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٤٩٢ وغيرهم. ومعناه أنّ هذه الدار هي مهبط وحي ومنبع النور الإلهي، وقد أمر الله أن ترفع ويذكر اسمه...

أجل هذه الدار التي تضمّ أصحاب الكساء وقد ذكرها الله عزّ وجلّ بتبجيل وإجلال، يجب أن تكون محلّ تقدير واحترام المسلمين قاطبة، ولكن لنرى كم روعيت حرمة هذه الدار بعد رحيل النبي الأكرمﷺ؟ وكيف تجرؤوا على هتك حرمتها؟ وقد اعترفوا بذلك صراحةً، ومن هم أولئك الهتّاكون، وما كانت بغيتهم؟

النقطة الثالثة: هتك حرمة دار الزهراء عليها السلام بعد رحيل والدها الكريمﷺ، أجل، بعد الوصايا العديدة والمؤكّدة، نرى –ومع الأسف– أن البعض قد تجرّأ على هتك حرمة هذه الدار، وليست هذه المسألة بالتي يمكن انكارها إطلاقاً. وقد أشرنا إلى بعض النصوص الواردة في هذه المسألة من مصادر أهل السنّة ليتّضح أنّ مسألة هتك حرمة بيت الزهراء عليها السلام والأحداث التي تعقّبت هذا الحادث إنّما هي حقيقة تاريخيّة مسلّمة وليست بالأسطورة بحال!! وبالرغم من محاولة التعتيم للحقائق في عصر الخلفاء وتزوير وتحريف للواقع وتضليل للأفكار والأذهان والمؤاخذة بالشدّة بالنسبة إلى ذكر فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام، ولكن بما أن حقيقة الشيء هي المحافظة له، وهي لا تبقى تحت الستار إلى الأبد، فقد حُفظت هذه الحقيقة التاريخيّة بصورة حيّة في طيات الكتب التاريخ والمصادر الحديثيّة، فممّا ينفي
➔

ومنها: حكمهم بانظارهم فيما جهلوه[1]

➔

صحّة خبر خير القرون... الروايات المتواترة التي وردت في هتك الصحابة دار الزهراءعليها السلام، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام: أنّ أحد أسباب انحراف الأمّة وتضليلهم بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله فتاوى حكامهم وخلفائهم بغير ما أنزل الله. وإذا ألقينا نظرة يسيرة إلى كتب الحديث والفقه وحتّى كتب السير من أهل السنّة نجد هناك استدلال علماء أهل السنة بفتاوى الصحابة التابعين لخلافة السقيفة ومن تبعهم من أهل الفتيا من القرن الأول إلى القرون المتأخّرة فيها مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنّة النبويّة والدفاع عن ظلم أصحاب السقيفة، أنّ في سيرتهم جذور الانحراف والظلم الممتدّة التي كانت من يوم السقيفة وتولي خلفاء الجور الذين هم اعترفوا بأنّهم من أجهل الناس في الأحكام الشرعيّة والأمور الدينية، حسب ما رواه كبار علماء أهل السنّة في مصادرهم المعتبرة. وذلك من جهة أنّه كلّما سئل الناس عنهم من الحكم الشرعي أو المسالة الدينية، إمّا رجعوا إلى غيرهم ليسألوهم عمّا حفظوه عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أو أبدوا جواباً مخالفاً للشريعة المقدسة أو أبدوا جواباً مخالفاً للشريعة المقدسة أو مخالفاً لكتاب الله العزيز بأوضح الوجه، أو مخالفاً للسنّته النبويّة العطرة. مع أنّ الأحكام الشرعية والمساءل الدينيّة أكثرها مذكورة في كتاب الله العزيز بأوضح الوجه، أوقد بيّنها النبي الأكرمصلى الله عليه وآله في سنته العطرة، وجعل أوصيائه الطاهرين الأئمة المعصومين من أهل البيتعليهم السلام عدلاً ومبيّناً للقرآن الكريم، كما هو مدلول حديث الثقلين. ولكن الغاصبين للخلافة وأتباعهم قد أنكروا ذلك، وكانوا يفترون على الله الكذب ويفتون في مسائل الدين بغير ما أنزل الله، فكانوا يخالفون النصوص القرآنية والسنّة النبوية بالصراحة. وقد أخبر رسول اللهصلى الله عليه وآله عن

🡐

➔

حالهم وافترائهم عليه بقولهﷺ : «ستكثر بعدي الكذّابين عليّ» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٩: ص٤٨٦). وقال الدكتور محمود أبو رية في كتابه: أنّه من أوثق الأحاديث قوله: «لقد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ فليتبوّأ مقعده من النار» (انظر أضواء على السنّة المحمّديّة: ص٣٢٠). فأخبر رسول اللهﷺ عمّا ستحدث بعده من الفتن ، حتى أنّ الناس ترجع كفاراً، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عكرمة عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جده جرير قال: قال لي رسول اللهﷺ في حجّة الوداع استنصت الناس ثمّ قال: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (صحيح البخاري ج٨: ص٩١ كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ «لا ترجعوا بعدي كفّاراً»). وأمثال هذه الروايات كثيرة وإليك ممّا بعض ما نقله كبار علماء أهل السنّة من جهل خلفائهم وعدم معرفتهم بأبسط الأحكام الشرعية والفرائض الدينية، التي قد بيّنها القرآن الكريم أو السنّة النبويّة. فقد أخرج أبو داود بسنده عن قبيصة بن ذؤيب، قال: جاءت الجدّة إلى أبي بكر بعد رسول اللهﷺ فقالت: إنّ لي حقّاً: إنّ ابن ابن أو ابن ابنة لي مات؟ قال: ما علمت لك في كتاب الله حقّاً ولا سمعت من رسول اللهﷺ فيه شيئاً وسأسأل الناس، فسألهم، فشهد المغيرة بن شعبة أنّ رسول اللهﷺ أعطاها السدس، قال: من سمع ذلك معك؟ فشهد محمّد بن مسلمة، وأعطاها أبو بكر السدس (سنن أبي داود ج٢: ص٥). وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة: أنّه أخرج الدار قطني عن القاسم بن محمّد: إنّ جدّتين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما أمّ أمّ، وأمّ أب، فأعطى الميراث أمّ الأمّ، فقال له عبد الرحمن بن سهل الأنصاريّ البدريّ: أعطيت التي لو أنّها ماتت لم ترثها، فقسّمه بينهما (الصواعق المحرقة: ص٣٥).

وتعالوا معنا للنظر في هذين الحديثين ونستكشف حقيقة الأمر في فتوى الخليفة.

➔

➔

فنقول: أوّلاً: أنّ الخليفة كان يجهل حكم الله في الفرائض مع أنّ الله تعالى قد بيّنه في القرآن الكريم، فكان لا يعلم ما هو حقّ الجدّة إذا مات حفيدها أو حفيدتها، فبقي يسأل هذا وذاك ليرووا ما يعلمون من حكم هذه المسألة الواضحة. وحيث لم يجد شيئاً، فحكم بشيء ما أنزل الله به من سلطان، ومخالف لصريح القرآن على طبق روايتهم. فقد أخطأ الخليفة هنا مرّتين، المرة الأولى: هي أنّ أمّ الأمّ تأخذ نصيب ابنتها وهو الثلث، وأمّ الأب تأخذ الثلثين من نصيب ابنها، فلا تعطى إحداهما دون الأخرى كما صنع أوّلاً، والثانية: لا يقسّم بينهما بالسوية كما صنعه الخليفة. وهذه هي المصيبة العظمى التي ابتليت بها الأمّة الإسلاميّة من يوم السقيفة.

وثانياً: يأتي الكلام في المغيرة الذي اعتمد عليه الخليفة في نقل الحديث والشهادة، وأمر المغيرة الذي كان معلوم الحال في النفاق والفسق... وثالثاً: أنّ الحكم الذي نسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأفتى بموجبه الخليفة؛ فإنّه مخالف لما أنزل الله تعالى، فلم يفرض للجدّة فريضة، وإنّما فرض السدس للأمّ مع وجود الأخوة أو الأولاد – على تفصيل مذكور في محلّه – وأمّا الجدّة فهي إنّما ترث بالقرابة، ولا فريضة لها. وقد قال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ**﴾ (سورة المائدة:٤٤)، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ الله ورَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها ولَهُ عَذابٌ مُهِينٌ**﴾ (سورة النساء:١٤)، ولا ندري أين كان موقع الخليفة من الآيتين بعد الحكم بغير علم وبغير ما أنزل الله؟! وعن الشعبيّ، سئل أبو بكر عن الكلالة، فقال: إنّي سأقول فيها برأيي فإن يك صوابا فمن الله، وإن يك خطأ فمنّي ومن الشيطان: أراه ما خلا الولد والوالد. فلمّا استخلف عمر قال: إنّي لأستحيي الله أن أردّ شيئاً قاله أبو بكر (انظر سنن الدارمي ج٣: ص٣٦٥، ورواه البيهقي في سننه الكبرى ج٦: ص٢٢٣). والسؤال هنا أين كان الخليفة من قوله تعالى: ﴿**ولا تَقْفُ ما**

➔

➔
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ (سورة الإسراء:٣٦)، وقوله تعالى: **﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيلِ * لأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾** (سورة الحاقة: ٤٤-٤٦). وكيف أفتى برأيه وافترى على الله واقتفى ما ليس له به علم.

ثمّ يأتي السؤال عن الثاني الذي عرف من صاحبه أنّه أفتى برأيه، واقتفى ما ليس له به علم ولا حجّة له من الله، وهو لا يدري أنّ ما حكم به مطابق لحكم الله أم أنّه من حكم الشيطان الرجيم، فكان الأجدر بعمر أن يستحيي من الله قبل أن يستحيي من ردّ قول صاحبه الذي هو من رأي الشيطان، وقد قال تعالى: **﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾** (سورة الفاطر:٦). هذا مع أنّ مسألة الكلالة من أوضح المسائل التي بيّنها الله تعالى في كتابه الكريم بأبلغ وأجلى بيان في آيتين من سورة النساء: في الآية١٢ التي ذكر فيها كلالة الأمّ، والآية الأخيرة من سورة النساء التي عبّر عنها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بآية "الصيف"، وقد ذكر فيها كلالة الأبوين أو الأب فقطّ، ومع ذلك فقد جهلوا الكلالة ولم يعرفوها، وكثر الاختلاف فيها بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقد فسّروها بتفاسير كثيرة، كلّ يقول فيها بحسب ذوقه وبما تشتهيه نفسه، فمنهم من قال: الكلالة من ليس له والد ولا ولد، وقيل: إنّها من سوى الوالد أو من سوى الوالد وولد الولد أو من سوى الولد، أو أنّها الأخوة، أو الكلالة: هي المال، وقيل الفريضة، وقيل: بنو العمّ ونحوهم، وقيل: العصبات وإن بعدوا (انظر فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٨: ص٢٦٨، وأحكام القرآن للجصّاص ج٣: ص١٦). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: إنّ عمر بن الخطّاب خطب يوم الجمعة فذكر نبيّ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وذكر أبا بكر فقال: ثمّ إنّي لا أدع بعدي شيئاً أهمّ عندي من الكلالة، ما راجعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في شيء
🡐

➔

ما راجعته في الكلالة ولا أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه حتّى طعن بإصبعه في صدري، وقال: يا عمر ألا يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟! (انظر صحيح مسلم ج٢: ص٨١ كتاب الصلاة، باب النهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً). وأخرج السيوطي بسنده عن ابن راهويه وابن مردويه، عن عمر: أنّه سأل رسول الله ﷺ كيف تورث الكلالة؟ فأنزل الله: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ الله يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ...**﴾ الخ، فكان عمر لم يفهم، فقال لحفصة: إذا رأيت من رسول الله ﷺ طيب نفس فسليه عنها، فرأت منه طيب نفس فسألته، فقال: «أبوك ذكر لك هذا؟ ما أرى أباك يعلمها»، فكان عمر يقول: ما أراني أعلمها وقد قال رسول الله ﷺ ما قال (انظر الدرّ المنثور للسيوطي ج٢: ص٢٤٩). وأخرج ابن جرير، عن الحسن ابن مسروق، عن أبيه، قال: سألت عمر – وهو يخطب الناس – عن ذي قرابة لي ورث كلالة، فقال: الكلالة الكلالة الكلالة، وأخذ بلحيته، ثمّ قال: والله لأن أعلمها أحبّ إلي من أن يكون لي ما على الأرض من شيء، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «ألم تسمع الآية التي أنزلت في الصيف؟» فأعادها ثلاث مرّات (تفسير الطبري ج٦: ص٦٠). وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر، عن ابن سيرين قال: كان عمر بن الخطّاب إذا قرأ: ﴿**يُبَيِّنُ الله لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا**﴾، قال: اللّهم من بيّنت له الكلالة فلم تتبيّن لي (انظر الدرّ المنثور للسيوطي ج٢: ص٢٥٢). وأخرج ابن أبي شيبة الدارمي وابن جرير، عن أبي الخير: أن رجلاً سأل عقبة بن عامر عن الكلالة، فقال: ألا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة، وما أعضل بأصحاب رسول الله ﷺ شيء ما أعضلت بهم الكلالة! (انظر الدرّ المنثور للسيوطي ج٢: ص٢٥٠). ولذا فقد قال ابن حجر في فتح الباري: لكثرة الاختلاف في الكلالة صحّ عن عمر أنّه قال: لم أقل في الكلالة شيئاً (انظر فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٨:

➔

إلى غير ذلك من المخالفات التي صدرت من الجمهور[١]،

ص٢٦٨). وكأنّه يرى أنّ في هذا عذراً للخليفة بأن يكون جاهلاً بحكم قد بيّنه الله تعالى في كتابه العزيز بأوضح بيان ولم يدع فيه غموضاً، كما في قوله تعالى: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (سورة النساء:١٧٦). فإنّه تبارك وتعالى قد فصّل بما لا مزيد عليه، ومع جلاء الأمر ووضوحه، ترى القوم حائرين تائهين قد ضلّوا السبيل لا يدرون ما يصنعون، حتّى أنّ الله تعالى أوضح في آية أخرى فقال تعالى: ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا**﴾. فقد ضلّوا وعموا وأضلّوا الناس، وهذه مسألة واحدة وهناك مسائل كثيرة لم يعرف الخلفاء جوابها مع أنّ جوابها كان مذكوراً في كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ بأوضح الوجوه. وعليه كيف يكون المقصود بخبر خير القرون قرني... الصحابة، مع أنّ خلفاء الجور وأتباعهم قد حكموا بغير ما أنزل الله في الأحكام الشرعية والمسائل الدينية، وكيف يتصوّر بأنّ يكون خير الناس أهل الافتراء على الله ورسوله ﷺ والإفتاء بغير ما أنزل الله؟ فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ مصيبة الأمّة الإسلاميّة انجرت عليها من المخالفات التي صدرت من الصحابة للشريعة المقدّسة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة، فاخترقوا بذلك حدود الله ومحقوا سنّة سنة رسول الله ﷺ، وأصبح الناس التابعين لهم يرفضون النصوص الثابتة والمصادر التي يجب أن تؤخذ بها، بالرغم أنّهم كانوا يعلمون أنّ مصدر التشريع عند جميع المسلمين كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، وأيضاً كانوا يعلمون أنّ رسول الله ﷺ حجّة على الناس ولم يكن مجرّد حاكم، بل كان مبلّغاً للشريعة ←

➔

من قبل الله، عالماً بها وبمعاني كتاب الله عزّ وجلّ، وشاهداً على المسلمين، وقائداً سياسيّاً يجب أن يطاع على كلّ حال، سواء كان خائفاً ملاحقاً في غار ثور، أو كان رئيساً للدولة منتصراً على الأعداء، فوجوب طاعتهﷺ وكونه ولي الأمر لم يكن بسبب حاكميته على الدولة، بل من حيث أنّ حكمهﷺ حكم الله، لأنّ الله تبارك وتعالى جعل حكمهﷺ وحكومتهﷺ واجبة على جميع المسلمين، لأنّ حكمهﷺ حجّة الله عليهم، لأنّ قوله وفعله وتقريره حجّة شرعيّة. وأنّ قيادته في الناس ليست فقط قيادة سياسيّة، بل إنّها من وظائف النبوةﷺ. فالمفروض على الصحابة أن يأخذوا بجميع ما جاء به النبيﷺ باعتبار أنّ جميع ما جاء به حجّة شرعية. وهذه الحجّة الشرعيّة تكون مستمرّة وممتدّاً بين الناس إلى يوم القيامة، وقد قال تعالى: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ (سورة النساء:١٦٥). وهذه الحجّة مستمرّة من بعد وفاتهﷺ في عترته الطاهرة، لأنّ حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين يدلّ على أنّ القرآن والعترة الطاهرةعليهم السلام حجّتين شرعيّتين على جميع المسلمين إلى يوم القيامة. ومعناه أنّهما يسدّان الفراغ الحاصل برحلة رسول اللهﷺ، وهذا معنى الإمامة الإلهيّة التي تعتقد بها الشيعة الإماميّة.

ولكن الأحداث التي حدثت في السقيفة بعد وفاة النبيﷺ قد غيّرت مصير الأمّة عمّا رسمه الله ورسولهﷺ لهم، فما تتوقّع من مصير الحجّة بعدهﷺ على أرض الواقع؟ لا شكّ أنّ أحداث السقيفة وما توالت بعد ذلك من غصب الخلافة البدع والانحرافات في الدين قد غيّرت المصير الذي جعله الله لهداية الناس وجعلت الأمّة في أجواء خطرة بسبب اجتهادات الصحابة والخلفاء في مقابل النصوص الدينية والمعارضات للسنّة النبويّة ، التي بدأت من حياة النبيﷺ عندما طلبﷺ من الصحابة القلم والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، فلم

➔

➔
يلبّوا طلبه، وخرجوا عن طاعته طغياناً، بل وواجهوه بأشد الكلام الدالّ على قساوة قلب قائله حيث أنّه مع قطع النظر عن المخالفة الدينية والخروج عن طاعة الله ورسولهﷺ كان عملاً غير انساني حيث أنّ رسول اللهﷺ كان في فراش مرضه الذي توفي فيه وطلب منهم شيئاً بسيطاً، فإنّ الإنسانيّة كانت تقتضي أن يلبوا طلبه كما لو كان يطلب منهم الماء من الواجب عليهم أنّ يقدموا له ما طلبه ولو من جهة الإنسانية. فعمر بن الخطّاب بقوله: إنّ الرجل ليهجر -العياذ بالله- حسبنا كتاب الله! (انظر صحيح البخاري ج١: ص٢٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم، وج٥: ص١٣٨ كتاب المغازي، باب مرض النبيﷺ ووفاته). لم يراعي أي جهة من الجهات، وكانت هذه العمليّة من أعظم المخالفة منه لله ورسولهﷺ، لأنه مخالفة صريحة لكتاب الله كما هي مخالفة لرسول اللهﷺ. ولا شكّ أنّ أساس السقيفة بدأت من هذه المخالفة، حيث أنّ أبا بكر وعمر قد استغلا الصحابة بارتكابهما أشنع المخالفة للكتاب والسنّة النبويّة الشريفة، حيث أنّ تأسيس السقيفة وعملية غصب الخلافة كانت فيها مخالفات عديدة لكتاب الله وسنة رسول اللهﷺ ونحن نذكر هنا بعض تلك المخالفات من باب المثال، فمنها مخالفة أبي بكر أبي بكر وعمر للقرآن والسنّة النبويّة بسبب حضورهم في السقيفة وغصب الخلافة بخروجهم عن طاعة الله ورسولهﷺ فقد أمر الله تعالى جميع المسلمين بطاعة الرسولﷺ في قوله تعالى: ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ (سورة النساء:٨٠)، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:٣٢)، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ**
➔

←

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (سورة النساء:٥٩). فإنّ الآيات تدلّ بالصراحة على أنّ طاعة الرسولﷺ واجبة عليه على الإطلاق وإنّ اجتماع الصحابة في السقيفة كانت لتغيير مسير الأمّة عمّا رسمه الله لهم في باب الإمامة لأنّ الله تبارك وتعالى أمر الله الصحابة باتّباع أولى الأمر المعصوم حيث قال تعالى: **﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾** (سورة النساء:٥٩). فإنّه سبحانه وتعالى أمر في الآية الكريمة بطاعة أولى الأمر فتكون طاعته مثل طاعة رسول اللهﷺ واجبة ومعناه أنّ طاعة أولى الأمر مطلقة كطاعة الرسولﷺ، كما أنّ معناه أنّ أولى الأمر لابدّ أن يكون متّصفاً بجميع شرائط الرسولﷺ لظاهر العطف. ولا يخفى على الخبير أنّ وجوب الطاعة المطلقة تدلّ على العصمة، لأنّ الطاعة المطلقة معناه وجوب الاقتداء في جميع الشؤون، ووجوب الاقتداء في جميع الشؤون لا يصح إلاّ لمن كان معصوماً من الخطأ والنسيان والسهو والعصيان. وعليه فلا بدّ أن يكون أولى الأمر معصوماً كالرسولﷺ، لأنّ مقتضى عطف أولى الأمر على الرسولﷺ أن يكون أولى أمر كالرسول واجب الطاعة، وإلاّ لما صح إطلاق العطف. إذ لا يجوز الأمر بطاعة غير المعصوم على الإطلاق؛ حيث أنّ غيرالمعصوم لا يكون مصوناً من الخطأ والذنب، فالأمر من الله تعالى بطاعة أولى الأمر على نحو الإطلاق دليل على أنّه لا بدّ أن يكون أولى الأمر بمنزلة رسول اللهﷺ في وجوب الطاعة. فالآية قد حصرت الطاعة المطلقة لله ولرسولهﷺ ولأولى الأمر المعصومين الذين تكون طاعتهم كطاعة الرسولﷺ. والجدير بالانتباه هو أنّ بعض العلماء المعروفين من أهل السنّة، ومنهم الفخر الرازي اعترف بهذه الحقيقة في مطلع حديثه عند تفسير هذه الآية حيث قال: إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ

←

➔

أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمرا بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت إن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ.... (انظر تفسير الفخر الرازي ج١٠: ص١٤٤). فهكذا يقيم الفخر الرازي الدليل على أنّ المراد من أولى الأمر في الآية يجب أن يكون معصوماً. فإنّ غصب الخلافة معناه مخالفة أمر الله في طاعته وطاعة رسولهﷺ وطاعة أولى الأمر. وهناك آيات عديدة في وجوب طاعة الله وطاعة رسولهﷺ وإنّ تأسيس السقيفة يكون مخالفة لها. كما أنّ تأسيس السقيفة تكون مخالفة لسنة رسول اللهﷺ، حيث أنّ رسول اللهﷺ أوصى جميع المسلمين بالتمسّك بعد رحيله بالثقلين؛ فقد أخرج ابن كثير في تفسيره بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبيﷺ: «يا أيّها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤: ص١٢٣). وأخرج الترمذي في سننه بسنده عن زيد بن أرقم عن رسول اللهﷺ قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٢٩). فالحديث في غاية الأهمية حيث فيها وصيّة النبيﷺ وهو من أهمّ الأدلّة على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث أمر النبيﷺ فيه بالتمسّك بالقرآن وأهل بيته عليهم السلام معاً فيدلّ على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم كعصمة القرآن واستمراريّة حجيته إلى يوم القيامة، وقد حظي الحديث بالكثير من الاهتمام كما

➔

➔

سيأتي تسليط الضوء عليه إن شاء الله تعالى. وبذلك يمكن القول بانّ حديث الثقلين يعد من أهمّ الأحاديث في موضوع الولاية والإمامة بحيث لا نجد نظيراً له بين الروايات الواردة في هذا الشأن. وحديث المنزلة: وهو من الأحاديث التي وردت بألفاظ ومواضع ومناسبات متعدّدة عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الذي تناقله جُلّ علماء المسلمين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر البخاري الذي رواه عن مصعب ابن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي» (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٢٩كتاب الغازي، باب غزوة خيبر)، ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن مسيب... (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب المناقب، باب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). وإلى غير ذلك من الرويات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في كتب أهل السنّة ومصادرهم المعتبرة، ونستنتج من ذلك أنّ الأحاديث النبويّة تدلّ بوضوح على الإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأنّ هذا المنصب، منصب إلهي بمعنى أنّ تعيين الإمام يكون بأمر الله تبارك وتعالى عن طريق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وهذا بخلاف أهل السنّة الذين يعتقدون بإمامة من غصب الخلافة، ثمّ توسعوا دائرته إلى أولاد الطلقاء والفسّاق والسفاكين من بني أميّة وآل العبّاس، فأصبحت الخلافة وراثة السلطة والقدرة وإمارة الجائرين الظلمة، الذين كانت الخلافة عندهم لعبة مبتذلة، يختارونه يوم ويخلعونه غداً، ويبايعونه ساعة، ويسلّمونه أو يقتلونه بعد ساعة. هذا ومن حمل كتاب الله، وعلم نبيّه من آل البيت عليهم السلام خائف يترقّب، أو محبوس يتعذّب، أو شريد غريب عن أهله ودياره، وأعداء الإسلام يقتطعون أرضه قطعة قطعة، ويقتلون أهله جماعة جماعة. فهذه الخلافة التي جعلها جمهور الصحابة بدل الإمامة الإلهيّة فلاحظ.

وقد عرفت ما دلّ عليه آية "انقلبتم"[(١)]،

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٤٤). هذه الآية تُبيّن حقيقة هامّة ألا وهي أنّ الإسلام لا ينتهي بموت النبيصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه أو استشهاده، حتّى إذا قتل النبيصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه ونال الشهادة لا ينتهي كلّ شيء، لأنّ الإسلام هو الدين الحقّ الذي أنزل ليبقى خالداً إلى الأبد. فالآية الكريمة تقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ؟﴾ فيستنكر الآية ما دار بين بعض الصحابة في بعض الغزوات من أنّ كلّ شيء في هذا الدين ينتهي بغياب نبي الإسلامصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه. والجدير بالذكر أنّ القرآن استخدم للتعبير عن الردّة إلى الجاهلية بكلمة ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ والأعقاب جمع عقب بمعنى مؤخّرة القدم، فهو تعبير موح يصوّر التراجع إلى الوراء والارتداد الواقعي وهو أكثر إيحاءاً وأقوى تصويراً من لفظة الردّة والرجوع والعودة، لأنّه بمعنى السير القهقرى.

ثمّ إنّه سبحانه وتعالى يقول ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ يعني أنّ العودة إلى الكفر والوثنيّة تضرّكم أنتم دون الله سبحانه، لأنّ أمثال هذا التراجع موجب لفقدان كلّ ما حصلتموه من العزّة والكرامة والمجد بسرعة كما حصل ذلك للأقليّة من أصحاب الرسولصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه في معركة أحد، حيث استمرّوا على جهادهم رغم الصعوبات، وانتشار الخبر المفجع عن مقتل الرسولصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه، فكان من الطبيعي أن ينال صمودهم هذا وثباتهم التقدير اللائق، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، وبهذا التعبير مدح الله استقامة هؤلاء الصحابة وصمودهم ووصفهم بالشاكرين، لأنّهم أحسنوا الاستفادة والانتفاع بالنعم في سبيل الله، وهذا أفضل مصاديق الشكر. فالدرس الذي تعطي هذه الآية هو أبلغ وأفضل

←

➔

درس لجميع المسلمين في جميع العصور والأزمنة، حيث أنّها تبيّن أنّه يلزم عليهم أن يتعلّموا من القرآن الأسس والمبادئ الخالدة التي لا تفنى ولا تتغيّر، ولا تتأثّر بتغيّر الأشخاص أو غيابهم عن الساحة بسبب الموت أو القتل حتّى لو كان ذلك الشخص النبي الأكرمﷺ، لكيلا تتوقّف عجلة المسيرة عن الحركة، ولا يتعطّل دولاب العمل عن الدوران، بل إنّ ذلك هو رمز الخلود في أي مبدأ وحركة أساساً.

وعليه فإنّ الله تعالى قد بيّن في الآية المباركة أنّه لاتأثير لانقلاب الصحابة وارتدادهم عن الدين بعد وفاة الرسول الأكرمﷺ كما لا تأثير لكفر بعض الصحابة وانقلابهم في بعض الحروب في حياة النبيﷺ. ومن الواضح أنّ ترجيح الله واحتماله في الآية الكريمة معناه وجوب الحدوث، لا الاحتمال المتعارف عند الناس؛ لأنّه لا معنى للجهل في حقّه تعالى، ولا معنى للخطأ في ترجيحه، ولو ذكره بشكل الاحتمال، وقال تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً**﴾ معناه أنّه تعالى قد بيّن الحقيقة بشكل واضح، أنّ هذه الحقيقة الهامّة ستتحقّق في الأمّة على أيد الصحابة. فإنّ معنى قوله تعالى يرجع إلى هذا المضمون وهو: أفإن مات رسول اللهﷺ أو استشهد، فإنّ المسلمين سيرتدّون وينقلبون على الأعقابهم. وهذا ما حدث بالفعل، فإنّ واقعة السقيفة قد رفعت الستار عن هذا الانقلاب والارتداد ورجوع الصحابة إلى الجاهلية الأولى. وبذلك قد خرج المسلمون عن طاعة الله ودخلوا في طاعة الطواغيت وبدّلوا طاعة الله بطاعة الشيطان كما قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ (سورة النساء: ٦٠)، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي**

➔

➔

كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ مِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (سورة النحل:٣٦)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة:٢٥٧)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة:٥٤). ففي هذه الآيات إشارة وإنباء عن المرتدّين الذين تنبأ القرآن عن ارتدادهم من الدين الحنيف. وهذا قانون عامّ يحمل إنذاراً لجميع المسلمين، فيؤكّد على أن من يرتدّ عن دينه فهو لن يضرّ الله بارتداده أبداً، ولن يضرّ الدين ولا المجتمع الإسلامي بارتداد المسلمين وضلالتهم؛ لأنّ الله كفيل بإرسال من لديهم الاستعداد في حماية هذا الدين، حيث تقول الآية الأخيرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾، ثمّ تتطرّق الآية إلى صفات هؤلاء الحماة الذين يتحمّلون مسؤوليّة الدفاع العظيمة وتبيّنها على الوجه التالي، أوّلاً: أنّهم يحبّون الله ولا يفكرون بغير رضاه، فالله يحبّهم وهم يحبّونه، كما تقول الآية: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وثانياً: يبدون التواضع والخضوع والرأفة أمام المؤمنين، حيث تقول الآية: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، بينما هم أشدّاء أقوياء أمام الأعداء الظالمين، فهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وثالثاً: إنّ شغلهم الشاغل هو الجهاد في سبيل الله، إذ تقول الآية: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وآخر صفة تذكرها الآية لهؤلاء العظام هي أنّهم لا يخافون لوم اللائمين في طريقهم لتنفيذ أوامر الله والدفاع عن الحقّ، حيث تقول

←

وخبر الحوض من قلّة الثابتين على الدين من الصحابة بعد موت سيد المرسلينﷺ وعترته الطاهرينعليهم السلام[(١)]، وما دلّ على هذه المخالفات

➔

الآية: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾.

فالنصوص الصريحة من القرآن الكريم تدلّ على ردة الصحابة بعد وفاة النبيﷺ، كما أنّ الروايات الواردة عن النبيﷺ تدلّ بالصراحة على ردّة الصحابة وكفرهم وانقلابهم على أعقابهم بعد وفاة رسول اللهﷺ وسنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى. وهذا ينافي ما ذكره ابن تيميّة من أنّ المقصود بخير القرون قرني... هم الصحابة، إذ كيف يمكن أنّهم خير الناس مع أنّ أكثرهم ارتدّوا على أعقابهم فلاحظ.

(١) إنّ حديث الحوض من الأحاديث المتواترة عند علماء الإسلام، وقد رواه جميع أرباب الصحاح من أهل السنّة، وهو يدلّ بالصراحة على ارتداد الصحابة بعد وفاة رسول اللهﷺ، وهم الذين الذين نكثوا عهد النبيﷺ، ونقضوا بيعة الوصي، فارتدّوا على أعقابهم خائبين مخزيين، وظهر عجزهم للعالمين، فروى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «بينا أنا قائم فإذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله!! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٩ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾). وأخرج بسنده عن سعيد ابن جبير عن ابن عبّاس قال: قام فينا النبيّﷺ يخطب فقال: «إنّكم محشورون حفاة عراة ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ...﴾ (الآية)، وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنّه سيجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ

➔

➔

أصيحابي، فيقول الله: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص١٩٥ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾). وأخرج بسنده عبد الله عن النبيﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض وليرفعنّ رجال منكم ثمّ ليختلجنّ دوني، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٦ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾). وأخرج بسنده عن أنس عن النبيﷺ قال: «ليردنّ على ناس من أصحابي الحوض حتّى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٧ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾). وأخرج بسنده عن ابن عبّاس قال: خطب رسول اللهﷺ فقال: «يا أيّها الناس، إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً»، ثمّ قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (إلى آخر الآية) ثمّ قال: «ألا وإنّ أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾» (صحيح البخاري ج٥: ص١٩١ كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: سمعت سهلاً يقول: سمعت النبيﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنّ على أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثمّ يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلت: نعم، قال: وأنا اشهد على أبي

➔

➔

سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح مسلم ج٧: ص٦٥ كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبيّناﷺ وصفاته). وإلى غير ذلك من الروايات الوارده كتبهم. وعند التأمّل في دلالة هذه الأحاديث نجد أنّها واضحة في إخبار النبيﷺ بارتداد جمع كبير صحابته ، وهم الذين سيردون عليهﷺ يوم القيامة على حوضه ليشربون منه، فتردهم الملائكة، ويناديهم النبيﷺ بألفاظ هي "أمّتي"، "أصحابي"، "أصيحابي"، وليس بينها اختلاف تضادّ، بل هي محمولة على أناس تشملهم ما فعلوا بعد وفاة النبيﷺ من نقض العهود فيشمل أكثر الصحابة بالتأكيد وهم المرتدّون عن الإسلام، الذين بدّلوا ما جاء به النبيﷺ. فأخبر رسول اللهﷺ بأنّهم سيردون على الحوض ثمّ يؤخذون بهم إلى جهنّم، فيقول رسول اللهﷺ: «سحقاً سحقاً» حتّى لا يبقى منهم إلاّ مثل همل النعام أي قلّة قليلة وهم الصحابة الذين التزموا بكلام نبيّهمﷺ طائعين راغبين مصدّقين له، فهؤلاء هم الذين آمنوا بما جاء به النبيﷺ. ويؤكّد على ذلك ما جاء في حديث الثقلين من كلمة الحوض، وهو قول رسول اللهﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤). فإنّ كلمة الحوض في هذا الحديث في مقابل حديث الحوض إذ فيه الضمان عن الضلال إلى الورود على حوض النبيﷺ وهم الصحابة الذين تمسّكوا بالقرآن والعترة الطاهرة بعد النبيﷺ، فهذين الحديثين الذين جاء فيهما عبارة الحوض يوضّحان أنّ المؤمنين من الصحابة هم الذين تمسّكوا بالثقلين كتاب الله وعترة رسول اللهﷺ، والمرتدّين منهم، من لم يتمسّكوا بهما... والمستفاد منهما هو القول بأنّ

➔

وغيرها من السنن التي قد وردت من طرق من تسمّى بأهل السنّة على وجه الصحّة وهي معلومة الحجيّة لديهم وعليهم حسبما نبّهنا على ذلك فيما مضى[1]، فخبر القرون بعد فرض صحّته مخصّص بما نبّهنا عليه من السنن

➔

أكثر الصحابة أهل النار حيث خالفوا كلام النبيﷺ ولم يتمسّكوا بالثقلين وارتدّوا على أدبارهم. وبتعبير القرآن انقلبوا على أعقابهم فكانوا أصحاب النار، والقليل منهم الذين تمسّكوا بقول النبيﷺ و هم أصحاب الجنّة. وعليه كيف جاز لابن تيمية أن يقول: المقصود من خبر خير القرون قرني... هم الصحابة، مع أنّ حديث الحوض يدلّ على أنّ أكثر الصحابة أهل النار؟!! فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ مصادر أهل السنّة فيها استعراض لأعمال أكثر الصحابة وأقوالهم ومخالفتهم للقرآن الكريم والسنّة النبويّة وتلاعبهم بالدين والأحكام الشرعيّة، وإليك ما يلي من مخالفتهم لرسول اللهﷺ في حياته الشريفه فهي كثيرة جدّاً، منها: مخالفتهم في صلح الحديبيّة وقد حدث ذلك في السنة الثالثة للهجرة، عندما عزم النبيﷺ إلى زيارة بيت الله فأعدّ العدّة للعمرة ومعه جمع من أصحابه وليس معهم من السلاح إلاّ سلاح المسافر، فلمّا وصلوا إلى أرض الحديبيّة منعوا من مواصلة السير، فبعد تبادل الرسل بينه وبين رؤساء قريش اصطلحوا على وثيقة ذكرها أصحاب السيرة في كتبهم. فكانت نتيجة تلك الوثيقة رجوع النبيﷺ إلى المدينة ومجيئه في العام القابل للزيارة، وقد ذكر فيها شروط للصلح، وقد أثارت حفيظة بعض المسلمين، حتّى أنّ عمر بن الخطاب وثب فأتى أبا بكر فقال: أليس أنّه رسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلى من نعطى الدنيّة في ديننا (انظر السيرة النبويّة لابن هشام ج٢: ص٣١٦). والمستفاد من الوثائق التاريخة أنّ عمر بن الخطّاب زعم أنّ

➔

➔

البنود الواردة في الصلح تعني إعطاء الدنيّة في الدين، حتّى أنّ النبيﷺ أخبرهم حين الشخوص من المدينة أنّ الله سبحانه أراه في المنام أنّ المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فلمّا انصرفوا ولم يدخلوا مكّة قالوا: ما حلقنا ولا قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللّهُ آمنين**﴾ (سورة الفتح:٢٧). ولو أراد المتتبّع أن يتعمّق في كتب السير والتفاسير يجد أنّ مخالفة القوم وعلى رأسهم عمر بن الخطّاب للرسول الأعظمﷺ لم تكن مختصّة بموضوع دون موضوع، فكان في كثير من الموارد. ومنها مخالفتهم في تجهيز جيش أسامة: حيث اتّفق المؤرّخون على أنّ النبي الأكرمﷺ أمر بتجهيز جيش أسامة فقالﷺ: «**جهّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلّف عنه**»، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد اشتدّ مرض النبيﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته والحال هذه، فنصبر حتّى ننظر أي شيء يكون من أمره. هذا ما يذكره الشهرستاني ملخّصاً (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٩). وذكر المؤرّخون هذه الواقعة على وجه التفصيل، قال الطبري في أحداث سنة احدى عشرة: وضرب على الناس بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد، وأمره أن يوطيء من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن، فقال المنافقون في ذلك، وردّ عليهم النبيﷺ: «**إنّه لخليق لها**» أي حقيق بالإمارة «**وإن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبل، وإن كان لخليقاً لها**»، فطار الأخبار بتحلّل السير بالنبيﷺ ويقول أيضاً: لقد ضرب بعث أسامة، فلم يستتبّ لوجع رسول الله، وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة، فخرج النبيﷺ على الناس عاصباً رأسه من الصداع لذلك، وقال: «وقد بلغني أنّ أقواماً يقولون في أمارة أُسامة، ولعمري لئن قالوا في أمارته لقد قالوا في أمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقاً للامارة وأنّه لخليق لها بعد أسامة»،

➔

➔

وقال: «لعن الله الذين يتّخذون قبور أنبيائهم مساجد»، فضرب بالجرف وأنشأ الناس في العسكر، ونجم طليحة وتمهّل الناس وثقل رسول اللهﷺ فلم يستتم الأمر ينظرون أوّلهم آخرهم حتّى توفّى الله نبيّهﷺ (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٢٩). وقد ذكر القصة ابن سعد في طبقاته (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص١٨٩)، والحلبي في سيرته (انظر سيرة الحلبي ج٣: ص٢٢)، وغيرهم من أصحاب التاريخ والسيرة. فهذا نوع آخر من مخالفة الصحابة للنبي الأكرمﷺ.

ومنها مخالفتهم للنبيﷺ عندما طلب منهم القلم والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعد ذلك أبداً، فعن ابن عبّاس قال: لمّا اشتدّ بالنبيﷺ وجعه، قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، قال عمر: إنّ النبيﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قالﷺ: «قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع»، فخرج ابن عبّاس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول اللهﷺ وبين كتابه (انظر صحيح البخاري ج١: ص٣٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم للنبي الأكرمﷺ في حياته الشريفة.

وأمّا مخالفتهم لكتاب الله وسنّة رسول اللهﷺ من بعد وفاة النبيّﷺ فهي أيضاً كثيرة، نذكر بعضها من باب المثال، فمنها: منعهم لتدوين سنّة رسول اللهﷺ وبذلك نبذوا سنّة نبيّهم وراء ظهورهم فكانت عندهم نسيّاً منسيّاً، حتّى أنّ أبا بكر أحرق أحاديث رسول اللهﷺ التي جمعت في عهده لئلاّ تنتشر عند الصحابة وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهمﷺ، فقد روى الذهبي عن ابن أبي مليكة: أنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة رسول اللهﷺ فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول اللهﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول اللهﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم

➔

➔

كتاب الله، فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه (تذكرة الحفّاظ ج١: ص٢). وبذلك جمدوا الحديث واقتصروا بالحفظ في صدور بعض الصحابة وصاروا يتناقلونه شفاهاً، فأصاب مدرسة الصحابة الركود والجمود عدا أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام، حيث أنّهم استمرّوا على تدوين حديث رسول الله و نقله عن طريق أهل البيتعليهم السلام. وأمّا بقية الصحابة خالفوا أوامر الله ورسولهصلى الله عليه وآله في الأخذ بأحاديث رسول اللهصلى الله عليه وآله، قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول اللهصلى الله عليه وآله، وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلّب كثيراً، فلمّا أصبح قال: أي بنيّة، هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها! فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدّثني، فأكون قد نقلت ذاك! (تذكرة الحفّاظ ج١: ص٥) وعلى أثر هذه البدعة التزم الحكّام التابعة لخلافة السقيفة بمنع تدوين الحديث وروايته، لا سيّما في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب الذي منع تدوين الحديث بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوّعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث وكتابته ، وقال: حسبنا كتاب الله. وبقدر ما أبعد الرعيل الأوّل من الصحابة وحَمَلة الحديث ومنعهم، قرّب إليه حَمَلَة الأفكار الهدّامة وأعداء الإسلام أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سلام وعبد الله بن أُبيّ وغيرهم وأطلق لهم عنان الحديث لبثّ الإسرائيليّات الضالّة بين المسلمين، حتّى أنّ عمر بن الخطّاب قال لقرظة بن كعب: جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول اللهصلى الله عليه وآله (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٠٢). فقد جُمّد الحديث واقتصر بالحفظ في صدور بعض الصحابة وصاروا يتناقلونه شفاهاً، فأصاب الركود وجمود في نقل سنة رسول اللهصلى الله عليه وآله. فإنّ الأخبار والروايات تدلّ على تشديد الخلفاء لنقل حديث رسول

➔

➔

الله صلى الله عليه وآله، لا سيّما عمر بن الخطّاب، وإنّ تشديده لنقل الحديث قد ملأ في الآفاق. قال الخطيب البغدادي صدر أمر من عمر الخطّاب أنّه: من كتب حديثاً فليمحه (انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي: ص٥٣). ثمّ نهى عن التحدّث بما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله، فترك الصحابة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله (راجع المستدرك للحاكم النيسابوري ج١: ص١٠٢). وبقي هذا الجمود سارياً خلال قرن كامل بين الصحابة والتابعين بسبب الحظر الذي فرضه الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب. والتزم الحكّام من بعد عمر هذه البدعة من عمر وسياسته في منع تدوين الحديث وروايته، وقد أعلن عثمان ومعاوية عن اتّباعهما لسنّة عمر في منع الحديث النبويّ إلاّ حديثاً كان على عهد عمر (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٩). وقد بقيت سياسة عمر بمنع الحديث سارية المفعول حتّى بلغ الأمر إلى أن الحجّاج الثقفي – سفّاك العراق – قام بالاعتداء على كبار صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، فختم على أيديهم وأعناقهم حذراً من أن يحدّثوا الناس أو يسمع الناس حديثهم (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج٢: ص٤٧٢ في ترجمة سهل الساعدي). فلم يكن القيام بأمر رواية الحديث في مثل هذه الفترة بالذات، وفي مثل هذه الأجواء أمراً سهلاً ولا هيناً. فكانت هذه السياسة المخرّبة ضدّ أهم مصادر الإسلاميّة بعد القرآن الكريم، وكيف يمكن للمسلم الحرّ أن يسكت عن هذه الجريمة العظمى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فالباحث إذا درس هذا الموضوع دراسة علميّة يجد أنّ مدرسة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والعترة الطاهرة عليهم السلام هي التي بادرت لنشر أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، فإنّهم كانوا ينشرون أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ويعلمون أصحابهم كيفية تدوين الأحاديث نشرها وبثّها على طول تلك الفترة! عملاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد تلك الأعصار إلى يومنا هذا.

➔

المشار إليها، وهذه السنن حسبما عرفت فيما مرّ قد دلّت على فساد مذهب من تسمّى بأهل السنّة، فتدبّر[(١)].

➔

وملخّص الكلام أن مخالفة خلفاء الجور لكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله من الأمور الواضحة لدى الباحث وكالشمس في رابعة النهار، وإذا كان الأمر كذلك فبطلان كلام ابن تيميّة وقوله: من أنّ المقصود بخبر خير القرن قرني... الصحابة؛ أوضح من أن يخفى، لأنّه كيف يمكن أن يكون المخالف لكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله خير الناس في القرون؟!!

(١) وملخّص الكلام أنّ حديث خير القرون قرني... الذي تفرّد علماء أهل السنّة في نقله لا يمكن الأخذ بمدلوله حتّى على مسلك علمائهم؛ لأنّ الحديث معارض للآيات والروايات الكثيرة المعتبرة عند أهل السنّة والجماعة. كما أنّه لا يتلائم مع ما ورد في التاريخ في حق الصحابة وقد تقدّم ذكر جملة من النصوص في المقام. وهناك روايات كثيرة يمكن للباحث أن يتعمّق في دلالتها، وهي قد صدرت من خلفائهم فمن تلك الروايات ما رواه عمر بن الخطّاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أتدرون أيّ الخلق أفضل إيماناً؟» قالوا: الملائكة، قال: «وحقّ لهم بل غيرهم»، قالوا: الأنبياء، قال: «وحقّ لهم بل غيرهم»، ثمّ قال: «أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني، فهم أفضل الخلق إيماناً» (انظر فيض القدير للمناوي ج٤: ص٣٦٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٤: ص١٧٢). وكذلك معارض بحديث: «مثل أُمّتي مثل المطر، لا يدرى أوّله خير أم آخره» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٣٠). فهذا الحديث معارض لرواية خير القرون قرني...، ولا بدّ لابن تيمية وعلماء أهل السنّة أن يجيبوا عن هذه المعارضة. كما أنّ حديث خيرالقرن قرني.... معارض لقوله صلى الله عليه وآله: «ليدركنّ المسيح أقواماً، إنّهم لمثلكم أو

➔

وثاني عشرها: ما زعمه من انطباق آيتي: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ....**﴾[1]

➔

خير - ثلاثاً -» (انظر المصنف لابن أبي شيبة ج٤: ص٥٦٧). وإلى غير ذلك من الأحاديث. وهناك حوادث تاريخية تبيّن حقيقة الصحابة على أرض الواقع وهي تعارض حديث خير القرون... وسنذكرها ان شاء الله في محلّه.

(١) قال الله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (سورة الفتح:٢٩). هذه الآية الكريمة كلّها مدح لرسول الله صلى الله عليه وآله ولبعض صحابته المؤمنين الذين كانوا يمتازون بأوصاف ذكرها الله في مدحهم، فتقول الآية في البداية: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**﴾، على رغم جميع أعدائه صلى الله عليه وآله أنّ الله سبحانه يشهد على رسالته ويشهد بذلك العارفون، ثمّ تصف الآية أصحابه المؤمنين وصفاتهم وسجاياهم الباطنيّة والظاهريّة ضمن خمس صفات إذ تقول في وصفهم: ﴿**وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**﴾، فوصفتهم الآية أولاً: بأنّهم معه صلى الله عليه وآله، أي: معه ظاهراً وباطناً، لأنّ مقتضى اطلاق المعيّة هي المعيّة في كلّ شيء، من الفكر والعقيدة والأخلاق والعمل لا عن أولئك الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وآله، وكانوا يعيشون بجواره، ولكن لم يرافقوه في الباطن، ولا في العقيدة ولا في غير ذلك.

الصفة الثانية أنّهم كانوا أشدّاء على الكفّار، أي كانوا سدّاً قويّاً بوجه الأعداء والكفّار... فهم أشدّاء على أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله، كشرط في ايمانهم وأفكارهم وعواطفهم.

➔

➔

وفي الحقيقة أنّ عواطفهم وأفكارهم تتلخّص في هاتين الخصلتين: الرحمة للمؤمنين والشدّة للكفار والمنافقين. وهذين الصفتين مقتضى ثبات أقدامهم في الإيمان بالله وبرسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وثبوتهم على جادّة الحقّ.

ثمّ تضيف الآية مبيّنة وصفهم الثّالث فتقول: ﴿**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا**﴾، هذا التعبير يجسد العبادة بركنيها الأساسيّين: الركوع والسجود على أنّها حالة دائمية لهم، لانّ العبادة هي رمز للتسليم أمام أمر الله رب العالمين، ونفي الكبر والغرور والأنانيّة عن وجودهم.

أمّا الوصف الرابع الذي تذكره الآية عن هؤلاء الأصحاب فهو بيان نيّتهم الخالصة الطاهرة فتقول: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾، فهم لا يعملون رياءً ولا يبتغون من الخلق الثواب، بل هدفهم رضى الله وفضله فحسب، والباعث على تحرّكهم في حياتهم جميعاً هو هذا الهدف ليس إلاّ...

وحتّى التعبير بـ"فضلاً" يدلّ على أنّهم معترفون بتقصيرهم ويرون أعمالهم أقلّ من أن يطلبوا الثواب من الله، بل إنّهم مع كلّ عبادتهم وأعمالهم الصالحة ما يزالون قائلين: لولا فضلك يا ربّنا فالويل لنا...

أمّا الوصف الخامس فهو عن سيماهم المشرق إذ تقول الآية: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾، سيّما في الأصل معناها العلامة والهيأة، سواءً أكانت هذه العلامة في الوجه أم في مكان آخر وإن كانت في الاستعمال العرفي تشير إلى علامة الوجه! والأثر الظاهريّ له...

وبعبارة أُخرى أنّ ظاهرهم تدلّ بصورة جيدة على أنّهم أناس خاضعون أمام الله والحقّ والقانون والعدالة، وليست العلامة في وجوههم فحسب، بل في جميع وجودهم وحياتهم تبدو هذه العلامة. وبالرغم من أنّ بعض المفسّرين يرى بأنّ السيماء هي

➔

➔

الأثر الظاهر في الجبهة من السجود أو أثر التراب عليها من مكان السجدة... غير أنّ هذه الآية كما يظهر لها مفهوم أوسع ترتسم الملامح الموجودة على وجود هؤلاء الرجال الربّانيين. وقال بعضهم: هذه الآية إشارة إلى إشراق وجوههم يوم القيامة كالبدر من كثرة سجودهم. وبالطبع يمكن أن تكون جباههم ووجوههم على هذه الهيّئة يوم القيامة إلاّ أنّ الآية تتحدّث عن وضعهم الظاهري في الدنيا. وقد ورد في حديث عن الإمام الصادقعليه السلام في تفسير هذه الجملة أنّه قال: «هو السهر في الصلاة» (انظر من لا يحضره الفقيه ج١: ص٤٧٣). وعلى كلّ حال فإنّ القرآن يضيف بعد بيان هذه الأوصاف: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاة﴾، فهذه الأوصاف للصحابة المؤمنين وردت كحقيقة من قبل في الكتب السماويّة منذ أكثر من ألفي عام. ولكن لا ينبغي أن ننسى أنّ التعبير بـ ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: يحكي عن معيّة النّبيصلى الله عليه وآله في كلّ شيء، في الفكر والعقيدة والأخلاق والعمل لا عن أولئك الذين كانوا في عصره، ورزقوا صحبتهصلى الله عليه وآله ولكن اختلفوا معه في منهجهصلى الله عليه وآله. فيتحدّث القرآن عن وصفهم في كتاب سماوي كبير التوراة ، ثم الإنجيل فيقول: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقه يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾، الشطأ: معناه الفسيل أو البرعم الذي يخرج إلى جانب الساق الأصلي للزرع... و"آزره" مشتقٌّ من المؤازرة أي المعاونة. واستغلظ مشتقٌّ من مادة الغلظة، أي أنّه متين. وجملة استوى على سوقه مفهومها أن هذا الزرع بلغ قدراً من المتانة بحيث ثبت على سيقانه: و"سوق" جمع ساق والتعبير بـ"يعجب الزراع" يعني أن هذا الزرع يكون سريع النموّ كثير البراعم وافر النتاج إلى درجة يسر به الزراع ويعجبون منه، وفي الحقيقة إن أوصافهم المذكورة في التوراة تتحدّث عن أبعاد وجودهم من جهة العواطف والأهداف والأعمال وصورتهم الظاهرية... كما أنّ الأوصاف

🡐

و﴿**كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...**﴾[(١)]

➔

الواردة في الإنجيل فهي تتحدّث عن حركتهم ونموّهم وتكاملهم في جوانب مختلفة فهم متّصفون بصفات لا تنزع عنهم هذه الصفات لحظة واحدة، وتتنامى براعمهم دائماً ويثمرون ويتآزرون كلّ حين... وينشرون الإسلام، بأقوالهم وأعمالهم في العالم ويوماً بعد يوم يزداد عددهم في المجتمع الإسلامي.

أجل، إنّهم أناس لا يتكاسلون في حركتهم المتّجهة إلى الأمام دائماً، وهم في حال عبادتهم مجاهدون، وفي حال جهادهم عابدون ظاهرهم سوي، وباطنهم سليم، وعواطفهم صادقة، ونيّاتهم خالصة، وهم مظهر غضب الله بوجه أعداء الحقّ، ومظهر الرحمة بوجه إخوانهم. ومن البديهي أن هذه أوصاف المذكوره في القرآن والتوراة والإنجيل لا يمكن تطبيقها إلاّ على عدّة قليلة من الصحابة الذين كانوا يمتلكون هذه الصفات الطيّبة التي مدحهم الله تعالى بها في الآية، وبذلك يتبيّن بطلان ما زعمه ابن تيميّة من أنّ هذه الآية تنطبق على الصحابة الذين بايعوا الخلفاء الثلاثة، فإنّه كذب محض، لأنّ من بايع الخلفاء الثلاثة فقد خالف الله ورسوله ﷺ واستحقّ بذلك غضب الله، حيث قال تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (سورة النور:٦٣)، وقال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى**﴾ (سورة طه:٨١). فأكثر الصحابة استحقّوا غضب الله ورسوله ﷺ، لعدم قبولهم الإمامة الإلهيّة، ومخالفتهم لأوامر الله ورسوله ﷺ، فشملهم عذابه الأليم في الآخرة، وعذابه الشديد في الدنيا ، فما ادّعاه ابن تيميّة كذب محض كما لا يخفى على أحد، فلاحظ.

(١) قال الله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ**

➔

➔
وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة النور:٥٥). هذه الآية الكريمة تتحدّث عن طاعة الله ورسولهﷺ والتسليم له، والتصديق بجميع ما جاء به النبيﷺ، وكذلك تتحدّث عن أنّ نتيجة هذه الطاعة ستكون هي الحكومة العالميّة التي وعدها الله المؤمنين بها. فقالت الآية مؤكّدة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ...﴾، ويجعله متجذراً وثابتاً وقوياً بين شعوب العالم. ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...﴾ وبعد سيادة حكم التوحيد في العالم وإجراء الأحكام الإلهيّة، واستقرار الأمن واقتلاع جذور الشرك، أنّ الله يبشّر المسلمين بثلاث بشائر: الأولى: استخلاف المؤمنين الذين يعملون الصالحات على الإطلاق وحكومتهم في الأرض. الثانية: نشر تعاليم الحقّ بشكل جذري وفي كلّ مكان كما يستفاد من كلمة نمكن. الثالثة: انعدام جميع عوامل الخوف والاضطراب. وينتج من كلّ هذا أن يعبد الله بكلّ حريّة، وتطبق تعاليمه ولا يشرك به، ويتمّ نشر عقيدة التوحيد في كلّ مكان. ويتّضح ممّا يلي أنّه متى يتمّ هذا الوعد الإلهي...

وبذلك تبيّن كذب ما زعمه ابن تيميّة من أنّ هذه الآية تنطبق على الصحابة الذين بايعوا الخلفاء الثلاثة، لأنّ من بايع الخلفاء الثلاثة فقد اشترك في انتشار الظلم والجور مع الخلفاء الثلاثة وأصحاب السقيفة الذين أسّسوا أساس الظلم والجور والبدعة في الدين، وغصبوا الخلافة من أهل البيت عليهم السلام، ولم يكتفوا بذلك حتّى دبروها بالقضاء على آل البيت عليهم السلام ليتحكّموا على الناس حسب أهوائهم ومصالحهم، وإجراء أحكام الجاهلية الأولى، وخلق دولة من الطلقاء، بل وأشدّهم
➔

على زمن الثلاثة فإنّك قد عرفت كذبه فيما مضى في هذه الدعوى بما تقدّم من السنن التي دلّت على صدور المبتدعات في الدين منهم والمناكير[١]

➔

عداءً للإسلام من بني أميّة وأتباعهم، أولئك الذين قتلوا ما شاءوا من الثقل الأصغر؛ العترة الطاهرة عليهم السلام الذي جاء ذكرهم في حديث الثقلين، الذين أوصى بهما رسول الله صلى الله عليه وآله، فقتلوا الإمام الحسين عليه السلام وأولاده وإخوته وسبوا نساءه، وسمّوا الإمام الحسن عليه السلام، وما عمله معاوية ويزيد من الفتك والقتل بصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وشيعة أهل البيت عليهم السلام، وخلق البدع، وسبّ أوّل رجل في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على المنابر في كلّ مناسبة وعيد وبعد كلّ صلاة، وما تبعه الويلات والمصائب العظيمة على المسلمين والبلاء الذي حلّ بالإسلام والمسلمين نتيجة تلك الخلافة الغاصبة. فكلّ الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان يشتركون معهم في ما ارتكبوها من الإجرام، لأنّهم أعانوا خلفاء الجور على تلك الجريمة النكراء والعدوان، والطغيان وعليه كيف يمكن انطباق صفات المؤمنين على أهل الجرائم فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ مصيبة الأمّة الإسلاميّة انجرت عليها من يوم السقيفة، وانحراف الأمّة عن الخطّ النبوي الرشيد والمسار الولوي السديد، وخروجهم عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله ومخالفتهم للشريعة المقدّسة وتحكيمهم الرأي بالأهواء والبدع والضلال، فإنّ أحداث السقيفة وغصب الخلافة قد غيّرت مصير الأمّة، وجعلتها في مهاوي الغي والفساد بسبب انحرافهم عن الدين وتلاعبهم بالأحكام الشرعيّة، ومخالفتهم للقرآن والسنّة النبوية وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة، فاخترقوا بذلك حدود الله ومحقوا السنّة النبويّة وأصبح الناس التابعين لهم يرفضون النصوص الثابتة من القرآن والسنّة النبويّة الشريفة. وفي مصادر أهل السنّة استعراض كامل لأعمال

➔

➔

الصحابة وأقوالهم ومخالفتهم للقرآن والسنّة النبوية والنصوص الدينيّة والمدّ الإلهي، وقد أخرجها كبار علماء أهل السنّة، ونحن نذكر هنا بعض اليسير من مخالفاتهم من باب المثال، فمنها: قتل مانعي الزكاة الأبرياء كمالك بن نويرة الصحابي الجليل؛ الذي يقول ابن الأثير في أسد الغابة، في ترجمته: مالك بن نويرة المقتول المزني بزوجته في نفس الليلة ما يلي... إلاّ أنّه لم تظهر عليه ردّة (يقصد مالك بن نويرة الصحابي الجليل) وأقام بالبطاح، فلمّا فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح، فلم يجد به أحداً، كان مالك قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع (لو كان مالك مرتدّاً فعلاً لأعدّ العدّة لقتال خالد) (انظر أسد الغابة ج٤: ص٢٩). وذكر المؤرّخون: أنّه لمّا قدم خالد بن الوليد البطاح بث سراياه، فأُتي بمالك بن نويرة ونفر من قومه. فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، وكان فيمن شهد أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد فنادى: أدفئوا أسراكم - وهي في لغة كنانة القتل - فقتلوهم (انظر إلى مكر خالد وغدره). فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا، فتزوّج خالد بامرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأول فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكاً، وقدم خالد على أبي بكر فقال له عمر: يا عدوّ الله قتلت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، لأرجمنّك وأبو قتادة يشهد أنّهم أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يرد السبي ويعطي دية مالك من بيت المال (انظرتاريخ الطبري ج٢: ص٥٠٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٢٥٩، وأبو الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج١٥: ص٢٠٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣: ص٣٦، وغيرهم). وقد أجمع المؤرخون على أنّ مالكاً كان من المسلمين ولكنه امتنع عن إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة، لعدم وثوقه بخلافة أبي بكر حتّى ورد في بعض

➔

➔
رواياتهم: أنّ عمر قال لأبي بكر: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله، فمن قال لا إله إلاّ الله عَصَمَ منّي ماله ونفسه إلاّ بحقّه وحسابه على الله (انظر صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). فلم يبالي أبو بكر بما ذكّره عمر، وأجابه بعنف وشدّه حتّى تقاعد عمر ليستتب أمر الخلافة لهم ولا يجرأ أحد على الاعتراض عليهم.

والملفت للنظر أنّ في هذه القصة اعتراف ضمني من أبي بكر على أنّ عمله كان مخالفاً للسنّة النبويّة، إذ أنّه دفع دية مالك من بيت المال واعتذر عن قتله بعد ذلك. ومن الواضح لدى الخبير أنّ المرتدّ لا يعتذر عن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال (انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦). فقتل مالك بن نويرة وقومه الأبرياء من الإجرام التي ارتكبها أبو بكر وبه خالف كتاب الله وسنّة رسول ﷺ. ولا ندري كيف سكت عن ذلك الصحابة ومن بعدهم علماء أهل السنّة مع أنّ هذه المخالفة من أبي بكر كانت واضحة للجميع حيث أنّ عمر اعترض عليه ومعناه أنّ عمله بشكل واضح كان مخالفاً للشريعة حتّى أنّ عمر خاف انقلاب الناس عليهم!! ولكن مع ذلك سكت عنه الصحابة. ويا للتعصب من محفز للتبرير!

و منها: ترك إقامة الحدود، عدم إقامتها على خالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة، وارتكابه الزنا بزوجته من ليلته، وعندما وصل خبر ذلك إلى أبي بكر لم يجري عليه القصاص ولم يقم عليه حدّ الزاني ولم يضربه حدّ المفتري ولم يعزّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي المسلمين! وإنّما دافع عنه ولما وجد تقبيح الناس لتبريره عما فعله خالد أمره بطلاق زوجة مالك، ولا ندري من أين جاء بهذا الحكم! وعندما اعترض بعض الصحابة على هذه الفضائع غضب عليهم... (انظر
➔

➔
الإصابة لابن حجر ج٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦، وتاريخ الطبري ج٣: ص٢٧٨، وتاريخ أبي الفداء ج١: ص٢٢١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٥٨ وغيره). والإسلام يحرم نكاح المتوفّى عنها زوجها حتّى تعتدّ، فإن نكحت وبنى بها النكاح وهي في العدّة حرمت عليه مؤبّداً، فما معنى الطلاق؟!!! ولو فرضنا أنّ خالداً اعتبرها سبية، فالسبية لا يحلّ وطؤها إلاّ بعد الاستبراء الشرعي، ولا استبراء هنا لأنّ خالداً ارتكب الزنا بزوجة مالك بن نويرة بعد قتل مالك. وإنّ وطئها في تلك الحال معناه الزنا في العدّة. وما معنى الطلاق بعد هذه الأعمال الشنيعة؟!!

ثمّ إنّ الزكاة هي حقّ المال، فلا يجوز قتل مانعي الزكاة: أوّلا: لأنّ رسول اللهﷺ حرّم قتل من قال: لا إله إلاّ الله فقطّ، وفي ذلك أحاديث كثيرة أثبتتها الصحاح (انظر صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة). وثانياً: لو كانت الزكاة حقّ المال، فإنّ للحاكم الشرعي أن يُبيح في هذه الحالة ماله بأن يأخذ الزكاة منه بالقوّة من دون قتله وسفك دمه. وثالثاً: لو كان قتل مانعي الزكاة صحيحاً لقاتل رسول اللهﷺ ثعلبة الأنصاري الذي امتنع عن أداء الزكاة، وقصّته معروفة، ذكرها المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُم مُعرِضونَ * فَأَعقَبَهُم نفاقًا في قُلوبِهِم إلى يَومِ يَلقَونَهُ بِما أَخلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدوهُ وَبِما كانوا يَكذِبونَ * أَلَم يَعلَموا أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ سِرَّهُم وَنَجواهُم وَأَنَّ اللَّهَ عَلّامُ الغُيوبِ**﴾ (سورة التوبة: ٧٥-٧٨)، ولا داعي لذكرها هنا. ألا يتعجّب الباحث من هذه الدماء التي سالت بيد الخليفة أبي بكر، وهتك الأعراض، والأموال هدراً، استباحة تلك الحرمات وتعطيل حدود الله الشرعيّة، ألاّ يتعجّب الباحث عندما يرى
➔

➔

التاريخ أنّ أبا بكر حتّى لم يعزل خالد عن تلك الإمارة ولم ينقص شيء من صلاحيّاته في الدولة الغاصبة.

ومنها: مخالفة أبي بكر لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره بإحراق فجاءة السلمي بالنار وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يعذّب بالنار إلاّ ربّ النار» (انظر سنن أبي داود ج٢: ص٤٠٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص٢٥١، ومسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٤٩٤ وغيرهم).

ومنها: مخالفة عمر بن الخطّاب للسنّة النبويّة في جعله الشورى بينهم وفي وقت وفاته، على قول أهل السنّة بأنّ الاستخلاف يتمّ بالشورى، فإنّ ذلك مخالف للقرآن والسنّة النبويّة صلى الله عليه وآله (انظر الصواعق المحرقة لابن حجر ج١: ص٢٥٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣: ص٢٠٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٨٢).

ومنها: مخالفة عمر للسنّة في بدعة صلاة التراويح. فقد أجمع أهل السنّة على أنّ صلاة التراويح نافلة، ولم يرد في الشرع الأقدس دليل على مشروعيّتها جماعةً، مع اعتراف عمر بن الخطّاب نفسه بأنّه روّج هذه البدعة في الدين وقال: إنّها بدعة ونعم البدعة (صحيح البخاري ج٢: ص٢٥٢ كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان). وقد أخرج أصحاب الصحاح والسنن في باب نوافل الليل، «إنّ خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة»، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن ثابت قال: احتجر رسول الله صلى الله عليه وآله حجيرة مخصفة أو حصيراً فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي إليها فتتبع إليه رجال وجاؤا يصلّون بصلاته، ثمّ جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما زال بكم صنيعكم حتّى ظننت أنّه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإنّ خير صلاة المرء في

➔

➔

بيته إلاّ الصلاة المكتوبة» (صحيح البخاري ج٧: ص٩٩ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدّة لأمر الله عزّ وجلّ). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر عن النبيﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتّخذوها قبوراً» (صحيح مسلم ج٢: ص١٨٧ كتاب الصلاة، باب استحباب النافلة في البيت وجوازها في المسجد). وإلى غير ذلك من الروايات التي تدلّ على أنّ رسول اللهﷺ كان يؤكّد على على صلاة النوافل عموماً في البيوت؛ لأنّ هذا الأمر أقرب للإخلاص وأدعى للقبول، بل قد ورد النهي من رسول اللهﷺ عن صلاة النوافل جماعةً لمّا رأى بعض الأصحاب يصلّون خلفه خلسةً، ووجّههم إلى إخفاء النوافل وعدم تشريع الجماعة فيها (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٩٩ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدّة لامر الله عزّ وجلّ). كما سيأتي بيانه إن شاء الله في محلّه.

ومنها: التغيير في سنّة الرسولﷺ في الطلاق من الثلاث إلى الواحدة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس قال: كان الطلاق على عهد رسول اللهﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطّاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٨٤ كتاب الطلاق، باب وجوب الكفّارة على من حرّم امراته ولم ينو الطلاق). وبهذا غيّر عمر سنّة رسول اللهﷺ وخالف الكتاب، حيث يقول الله تعالى: ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ... تِلْكَ حُدُودُ الله فَلا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ**﴾ (سورة البقرة:٢٢٩). وفسّرت هذه الآية بأنّ المرأة لا تحرم على زوجها إلاّ بعد ثلاث تطليقات، ولكن عمر بن الخطّاب تجاوز حدود الله بحكمه أنّ طلقة واحدة بلفظ

➔

والظلم على العترة الطاهرين عليهم السلام[1]،

➔

الثلاثة توجب حرمة الزوجة على الزوج. فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ابن عبّاس قال: طلّق ركانة بن عبد يزيد أخو بني مطّلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً، قال: فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله: «كيف طلّقتها؟» قال: طلّقتها ثلاثاً، قال: فقال: «في مجلس واحد؟» قال: نعم، قال: «فإنّما تلك واحدة فارجعها إن شئت»، قال: فرجعها فكان ابن عبّاس يرى إنّما الطلاق عند كلّ طهر (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٦٥). وفي رواية: أنّ رجلاً طلّق في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثاً في مجلس واحد، فقام صلى الله عليه وآله غضبان وقال: «يلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم» (انظرسنن النسائي ج٦: ص١٤٢). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم لكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله. والنتيجة أنّ من اقتدى بالخلفاء الذين غصبوا الخلافة من أهل البيت عليهم السلام فقد اقتدى بأهل البدعة ومعناه أنّه اقتدى بأهل الضلالة، لأنّ كتبهم مليئة بالروايات التي تصرّح بأنّ: «كلّ بدعة ضلالة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٢٦)، ورواه الدارمي في سننه ج١: ص٤٥، وابن ماجة في سننه ج١: ص١٦، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج١: ص٩٦ وغيرهم. وعليه كيف يجوز لابن تيميّة أن يقول المقصود من الآيتين المذكورة هم الصحابة الذين بايعوا الخلفاء الثلاثة مع ما كان يعلم من ارتكابهم بأعظم الكبائر؟!!!

(١) لا يخفى أنّ الظلم الذي صدر من الصحابة وخلفاء الجور على العترة الطاهرة عليهم السلام قد ملأ الآفاق والآثار، بحيث لا مجال لإخفائه ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله عما سيجري على أهل بيته عليهم السلام من الظلم والعدوان، والروايات الواردة في هذا المجال بالغة عن حدّ التواتر، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمّتي قتلاً

➔

➔

وتشريداً، وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضاً بنو أميّة وبنو المغيرة وبنو مخزوم» (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٤٨٧). وأخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن ابن مسعود قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل نفر من بني هاشم فلمّا رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله احمرّ وجهه واغرورقت عيناه فقلنا: يا رسول الله ما نزال نرى بوجهك شيئاً نكرهه، فقال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاء وتطريداً و... (المعجم الكبير ج١٠: ص٨٥). وأخرج الحمويني الجويني في فرائد السمطين بسنده عن ابن عبّاس، قال: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم إذ اقبل الحسن عليه السلام، فلمّا رآه بكى ثمّ قال: «إلى أين يا بنيّ؟» فما زال يدنيه حتّى أجلسه على فخذه اليمنى، ثمّ أقبل الحسين عليه السلام فلمّا رآه بكى ثمّ قال: «إلى أين يا بنيّ؟» فما زال يدنيه حتّى أجلسه على فخذه اليسرى، ثمّ أقبلت فاطمة عليها السلام فلمّا رآها بكى ثمّ قال: «إليّ إليّ يا بنيّة فأجلسها بين يديه»، ثمّ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا رآه بكى ثمّ قال: إليّ يا أخي» فما زال يدنيه حتّى أجلسه إلى جنبه الأيمن، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترى واحداً من هؤلاء إلاّ بكيت أو ما فيهم من تسرّ برؤيته؟ فقال صلى الله عليه وآله: «والّذي بعثني بالنبوّة واصطفاني على جميع البريّة إنّي وإيّاهم لأكرم الخلق على الله عزّ وجلّ وما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليّ منهم، أمّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّه أخي وشقيقي وصاحب الأمر بعدي وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي وهو مولى كلّ مسلم وإمام كلّ مؤمن وقائد كلّ تقيّ وهو وصيّي وخليفتي على أهلي وأمّتي في حياتي وبعد موتي، محبّه محبّي ومبغضه مبغضي وبولايته صارت أمّتي مرحومة وبعداوته صارت المخالفة له منها ملعونة وإنّي بكيت حين أقبل لأنّي ذكرت غدر الأمّة به بعدي حتّى أنّه ليزال عن مقعدي وقد جعله الله له بعدي، ثمّ لا

➔

➔

يزال الأمر به حتّى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشّهور ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، وأمّا ابنتي فاطمة فأنّها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين وهي بضعة منّي ونور عيني وهي ثمرة فؤادي وهي روحي الّتي بين جنبي وهي الحوراء الإنسيّة، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله ظهر نورها لملائكة السّماء كما يظهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته "يا ملائكتي انظروا إلى أمّتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يديّ ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي أشهدكم أنّي قد آمنت شيعتها من النار"، وأنّي لمّا رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي كأنّي بها وقد دخل الذلّ بيتها وانتهكت حرمتها وغصبت حقّها ومنعت إرثها وكسر جنبها (وكسرت جنبتها) وأسقطت جنينها وهي تنادي يا محمّداه، فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية تتذكّر انقطاع الوحي عن بيتها مرّة وتتذكّر فراقي أُخرى وتستوحش إذا جنّها اللّيل لفقد صوتي الّذي كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن ثمّ ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيّام أبيها عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى ذكره بالملائكة فنادتها بما نادت به مريم بنت عمران فتقول يا فاطمة: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، يا فاطمة ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، ثمّ يبتدئ بها الوجع فتمرض فيبعث الله عزّ وجلّ إليها مريم بنت عمران تمرّضها وتؤنسها في علّتها، فتقول عند ذلك: يا ربّ إنّي قد سئمت الحياة وتبرمت بأهل الدّنيا فألحقني بأبي، فيلحقها الله عزّ وجلّ بي فتكون أوّل من يلحقني من أهل بيتي، فتقدّم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللّهمّ العن من ظلمها وعاقب من غصبها وذلّل من أذلّها

➔

➔
وخلّد في نارك من ضرب جنبها حتّى ألقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك آمين» (فرائد السمطين ج٢: ص٢٤). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتب القوم، وهي تدلّ على عدم أنطباق الآيتين على الصحابة لارتكابهم الظلم والعدوان على أهل البيت عليهم السلام. ومن الواضح أنّ خلافة السقيفة أسّست بنيانها على الظلم والعداء للعترة الطاهرة بعد النبي صلى الله عليه وآله، فبدؤوا بظلمهم على العترة الطاهرة عليهم السلام بغصب الخلافة، واستمرّوا بالظلم عليهم بمنع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فدكاً، بعد ما أكّد النبي صلى الله عليه وآله بالصراحة على أنّ الفدك نحلة للزهراء عليها السلام خالصة. وقد أخرجها كبار علماء أهل السنّة، منهم: الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٧: ص٤٩، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٣٩، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤: ص١٧٧، والشوكاني في فيض القدير ج٣: ص٢٢٤ وغيرهم. ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى وكانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ص٩٩). ففي هذا الكلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام تصريح أنّ فدك كانت في أيديهم قبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر، ممّا يعني أنّها لم تكن ميراثاً بل هي نحلة، فما ادّعاه أبو بكر باطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين. وعلى فرض كون فدك إرثاً، فأخذ الفدك من الزهراء عليها السلام أيضاً ظلم بها، إذ النصوص القرآنية والسنّة النبويّة تدلّ على أنّ فدك كانت للزهراء عليها السلام وأخذها منها غصب وظلم وعدوان. وقد احتجّت الزهراء عليها السلام عليه بقولها: «يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث
➔

➔

أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾». ثمّ قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد صلى الله عليه وآله، والموعد القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون». ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام ما هذه الغميزة في حقّي، والسنة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). ولا يخفى أنّ الكذب على الله والرسول صلى الله عليه وآله من أعظم الكبائر. ثمّ هنا مخالفة أخرى من أبي بكر لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مخالفته لقوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). فأغضبها أبو بكر كما جاء في صحيح البخاري بسنده عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورّث، ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد في هذا المال وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليه (صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب الغازي، باب غزوة خيبر). فوجدت أي غضبت فاطمة عليها السلام على أبي بكر...

➔

➔

وقد كان غضبها على أبي بكر عظيماً إلى الحدّ الذي أوصت إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن لا يحضر أبا بكر جنازتها، وأن يدفن جثمانها الطاهرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سرّاً في الليل. وهناك الروايات المتواترة أثبتت أنّ غضب فاطمة عليها السلام غضب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ غضب رسول الله صلى الله عليه وآله موجب لغضب الله عزّ وجلّ (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج١٠: ص٤٨). وقد قال تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ (سورة البقرة: ٨٩-٩٠)، وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧). فشمله العذاب الإلهي.

ثمّ أنّه لم يجد الخصم المهزوم في مقابل منطق الزهراء عليها السلام المؤزّر بآيات الذكر الحكيم إلاّ بالاعتراف به، فالتجأوا حزب الحاكم بالإرهاب وقمع الأصوات التي قامت ضدّهم وإخمادها. ولم يكن يخفى على أحد أنّ الحقّ كان مع فاطمة عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام. والذي يؤيّد ذلك ما رواه العلاّمة المجلسي عن البلاذري قال: لمّا قتل الحسين عليه السلام كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد، فقد عظمت الرزيّة وجلّت المصيبة وحدث في الإسلام حدث عظيم ولا يوم كيوم الحسين. فكتب إليه يزيد: أمّا بعد يا أحمق، فإنّنا جئنا إلى بيوت منجدة، وفرش ممهّدة، ووسائد منضدة، فقاتلنا عنها فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا، وإن كان الحقّ لغيرنا فأبوك أوّل من سنّ هذا وابتزّ واستأثر بالحقّ على أهله... (بحار الأنوار ج٤٥: ص٣٢٨). وإلى غير ذلك من الظلم الذي أجروا على أهل البيت عليهم السلام فلاحظ.

فهم غير مبتغين فضل ربّهم ومرضاته وغير عابديه[١]، بل حسبما عرفت هم طالبون لرياسة الدنيا حبّاً للجاه[٢]

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾ (سورة الفتح:٢٩). لقد ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة بعض أوصاف الصحابة المؤمنين، الذين كانت نيّتهم الخالصة الطاهرة في تحصيل رضى الله، فتقول الآية: يبتغون فضلاً من الله ورضواناً فهم لا يعملون الرياء ولا يبتغون من الخلق الثواب، بل هدفهم رضى الله وفضله فحسب. والباعث على تحرّكهم في حياتهم جميعاً هو هذا الهدف ليس إلاّ، حتّى التعبير بـ"فضلاً" يدلّ على أنّهم كانوا معترفين بتقصيرهم وكانوا يرون أعمالهم أقلّ من أن يطلبوا الثواب من الله عليها، بل إنّهم مع كلّ عبادتهم وأعمالهم الصالحة ما يزالون قائلين: لولا فضلك يا ربّنا فالويل لنا. فأيّ ارتباط بين هؤلاء الصحابة المؤمنين الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة وبين أهل السقيفة وأتباعهم الذين ارتدّوا على أعقابهم ورجعوا إلى الجاهليّة الأولى وخرجوا عن طاعة الله ورسولهﷺ وقد حذرهم الله سبحانه وتعالى من الفتن التي سيقعون فيها كما في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الأنفال:٢٥)، وقال تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤). فإنّهم لم يكونوا في صدد طلب رضى الله، بل بسوء فعلهم وشدّة حرصهم في طلب الدنيا وحطامها خالفوا الله ورسولهﷺ وطلبوا غضب الله ورسولهﷺ فشملهم آيات العذاب في الدنيا والآخرة فلاحظ.

(٢) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ أهل السقيفة أتباعهم من الصحابة إنّما كان هدفهم الوصول إلى المطامع الدنيويّة من المال والجاه، إذ كانت مظاهر الدنيا ←

➔
الخادعة نصب أعينهم، ومقتضى حبّ الدنيا والحرص على حطامها وقوع الإنسان في المهالك والأعقاب الذميمة، والمتاهات المظلمة، وذلك نتيجة عدم البصيرة المستلزم للجهالة. فالصحابة الذين تبعوا الخلافة الجائرة فقد انغمسوا في رذائل السيّئات ومهاوي الضلال بسبب انحرافهم عن الحقّ وخروجهم عن الصراط الذي رسمه الله ورسولهﷺ لهم. وقد خالفوا الكتاب وسنّة رسول اللهﷺ، فهم كما قال تعالى: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا**﴾ (سورة الإسراء:١٨)؛ هذه الآية الكريمة تشير إلى سبب التمرّد عن الدين والشريعة الإلهيّة والعصيان لأوامر الله ورسولهﷺ. فالعاجلة هي حبّ الدنيا واللذائذ الفانية. وسمّيت بالعاجلة لأنّ المظاهر الدنيوية المتنوعة تقع أمام الإنسان وتخدعه نحو المغريات، بحيث ينسى الإنسان سوء العاقبة المترتّبة عليها، فلا يبالي من ارتكاب أي المعصية في سبيل الوصول إليها. والظريف في الآية أنّها لا تقول: إنّ من يسعى وراء الدنيا ويجعلها كلّ همّه يحصل على كلّ ما يريد، بل أنّها قيّدت ذلك بشرطين وهما: أوّلاً: سيحصل على جزء ممّا يريده، وأنّ هذا الجزء هو المقدار الذي يمتحن الله به ذلك الانسان، وذلك لقوله تعالى: ﴿**مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ**﴾. والشرط الثاني: أنّه ليس كل من جهد في سبيل الوصول إلى المطامع الدنيوية يحصل على ما يريده، بل إنّ بعضهم قد يصلون إلى تلك النتيجة. وذلك لقوله تعالى: ﴿**لِمَن نُّرِيدُ...**﴾. وفي المقام أنّ حبّ الدنيا وحبّ الجاه الدنيوي قد دفع الصحابة إلى التمرّد والشقاء للحصول على المطامع الدنيويّة، وذلك قد حصل بنقض الإيمان وجميع المواثيق والمعاهدات التي عاهدوا بها الله ورسولهﷺ على نحو الموجبة الجزئية ، فهم كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا**
🡐

➔

فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة:٩٣). فالمستفاد من الآية أنّ أساس عصيان الصحابة من جهة انغماسهم في حبّ الدنيا التي ملئت في وجودهم وتمثّلت لهم كعجل السامري كما قال تعالى: **﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾** فنسوا الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله. وبعد أن أشربت قلوبهم حبّ الدنيا وزخارفها. وكيف يمكن أن يجتمع في القلوب الإيمان بالله ومتابعة الطاغوت، وعبادة العجل ونقض العهود والمواثيق الإلهيّة المؤكّدة؟! ولا شكّ أنّ قضية عجل السامري لم تكن مسألة هيّنة، لأنّ بني إسرائيل شاهدوا ما شاهدوا من آيات الله ومعجزات نبيهم موسى عليه السلام، ثمّ نسوا ذلك دفعة خلال فترة قصيرة من غياب نبيّهم، فانحرفوا تماماً عن مبدأ التوحيد وعن الدين الإلهي. كذلك صحابة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، فإنّهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله اجتمعوا في السقيفة وغيّروا مصير الأمّة بالتمّرد عن أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسعوا في انحراف الأمّة بالتسليط عليهم وفتحوا أيدي زعماء قريش وأراذلهم والطلقاء الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والإلحاد، للنيل إلى حطام الدنيا وحرامها وأرجاسها، وحبّاً للجاه والمقام، فارتكبوا أبشع الجرائم وأشنعها وأخطرها للوصول إلى أهوائهم، والقرآن الكريم يصفهم بقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾** (سورة محمد: ٢٥-٢٦). وكما أنّ الروايات تصفهم بأنّهم خرجوا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة أنّه كان يحدّث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على

🡐

ومنقادون للشيطان بما فعلوه من الطامّات والمناقضات للشريعة التي قد سبق بيان جملة منها[١]،

أدبارهم القهقرى» (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾). وإلى غير ذلك من الروايات.

(١) لا يخفى على من تتبع المصادر الإسلاميّة ودرس حياة الصحابة دراسة علميّة مجرّدة عن الغرض والهوى فإنّه يجد أنّ الصحابة هم أوّل من خالفوا الله ورسوله ﷺ في الإسلام، بل وبعضهم لم يدخلوا في طاعة رسول الله ﷺ أبداً. وإن دعاوي علماء أهل السنّة في ترفيعهم، مجازفة لا دليل عليها. وإليك غيض من فيض من هذه المخالفات التي ارتكبها الصحابة: فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن البراء بن عازب قال: جعل النبي ﷺ على الرجّالة يوم أُحد - وكانوا خمسين رجلاً — عبد الله بن جبير فقال: «إن رأيتمونا تخطّفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتّى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هَزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتّى أرسل إليكم، فهزموهم هزيمة المشركين»، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهنّ وأسوُقُهنّ رافعات ثيابهنّ، فقال أصحاب عبد الله ابن جبير: الغنيمة أيْ قوم الغنيمة، ظَهرَ أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتيّن الناس فلنصيبنّ من الغنيمة، فلمّا أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول ﷺ في أُخراهم، فلم يبق مع النبيّ ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منّا سبعين (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٦ كتاب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه). انظر إلى هؤلاء الصحابة، فإنّهم كانوا يخالفون أوامر الرسول ﷺ علانيّة حتّى تسبّبوا في هزيمة المسلمين

➔

وشهادة خيار الصحابة كمصعب بن عمير وحمزة سيد الشهداءعليه السلام وغيرهما، ولو لم ينزلوا من الجبل لكانت معركة أُحد الضربة القاضية للمشركين، ولما تجرأوا بعدها على خوض حروب أُخرى ضد الرسولصلى الله عليه وآله كغزوة الخندق وغيرها. ويا ليته كان فرارهم الاوّل بعد هزيمتهم، لكن أعادوا نفس الفعلة في غزوة حنين.

وإليك حادثة أُخرى وقعت قبل أربعة أيام من وفاة الرسولصلى الله عليه وآله، وهي المعروفة برزيّة يوم الخميس، فقد أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس قال: يومُ الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتّى خضب دمعه الحَصْبَاء، فقال: اشتدّ برسول اللهصلى الله عليه وآله وجعه يوم الخميس فقال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: هَجَر رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٣١ كتاب دعاء النبيصلى الله عليه وآله إلى الإسلام، باب هل يستشفع إلى أهل الذمّة ومعاملتهم). ألا يتعجّب المؤمن من هؤلاء الصحابة الذين يأمرهم الرسولصلى الله عليه وآله بأن يأتونه بالدواة والقرطاس ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، فيقولون إنّ النبيّ يهجر!! – والعياذ بالله– ولا يطيعونه حتّى يُعرض عنهم. ويا حسرة على ذلك الكتاب الذي لم يُكتَب والذي قال عنه الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله: لن تضلّوا بعده، ولو فعل الصحابه ما أُمروا به لما اختلف مسلمان إلى يوم القيامة، فانظر إلى ما جناه علينا الصحابة من الضلال وما حرّمونا منه.

وإليك رواية أخرى: فقد أخرج البخاري بسنده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قال: بعث النبيصلى الله عليه وآله سريّة وأمّر عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يُطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبيّصلى الله عليه وآله أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: عزمتُ عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم ناراً ثمّ دخلتم فيها، فجمعوا حطباً

🡐

➔

فأوقدوا، فلمّا همّوا بالدخول نظر بعضهم إلى بعض قال بعضهم: إنّما تبعنا النبيﷺ فراراً من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر للنبيﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً، إنّما الطاعة في المعروف» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٠٦ كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية). انظر إلى هذا الأمير المتلاعب كيف يأمر الصحابة بالهلاك وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة، وانظر إلى استنكار الرسولﷺ ممّا فعلوه، وما قاله لهم. والأعجب من هذا كلّه أنّك تجد في كتب أهل السنّة وصحاحهم أحاديث في تزكيتهم ما أنزل الله بها من سلطان، ولا ندري أنّ عقول هؤلاء كيف يقبل ذلك مع ما فيها من المخالفات الصريحة للقرآن والسنّة النبويّة والفطرة الإنسانيّة مثل هذا الحديث الآتي: فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن أستعمل عليكم عبد حبشي كأنّ رأسه زبيبة» (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٠٥ كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية). فنقول: أوّلاً: حاشى لرسول اللهﷺ أن تصدر منه هكذا أوصاف في حقّ عباد الله، وهو الذي وصفه الله تعالى بالخُلق العظيم ولا يعيّر الرسولﷺ أحداً من الخلق ولا يقول رأس فلان ككذا ولا غيرها. وثانياً: أليس الله تعالى يقول: ﴿**وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**...﴾ (سورة هود:١١٣). فالله ينهي عن طاعة الظالمين فكيف يأمر بها نبيّه؟!!

نعم، إنّ معاوية وملوك بني أُميّة وبني العبّاس وضعوا هذه الأحاديث حتّى يبرّروا أعمالهم الشنيعة، ولا يخرج عليهم أحد ولا ينهاهم مسلم، وهل يريد الحكّام الظالمون أكثر من ذلك؟

وتعال إلى حديث آخر شبيه بالسابق: فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن

➔

➔

عبّاس عن النبيﷺ قال: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنّه من فارق الجماعة شبراً فمات ألا مات ميتة جاهلية (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب قول النبيﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها، وقال عبد الله بن زيد: قال النبيﷺ: «اصبروا حتّى تلقوني على الحوض»). وهذا الحديث كذب صريح، وإلاّ لو كان صحيحاً فلماذا خالفه الصحابة أنفسهم؟ أليس قد فارق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وجماعة من المسلمين أبا بكر ولم يبايعوه؟ وعلى قول أهل السنّة إلاّ بعد ستّة أشهر؟ أليس قد خالفت عائشة هذا الحديث وخرجت على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في حرب الجمل مع طلحة والزبير؟! أليس قد فارق عبدالله بن عمر الجماعة ولم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام طيلة خلافته ثمّ بايع بعد ذلك حجاج وعبد الملك بن مروان؟! (انظر التذكرة الحمدونية لابن حمدون ج٩: ص٢٢٥). وهناك حديث آخر يعارض هذه الاحاديث، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر عن النبيﷺ أنّه قال: على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره إلاّ أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (انظر صحيح مسلم ج٦: ص١٥ كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير المعصية). وكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟!!

وإليك فعلة شنيعة أُخرى اقترفها الصحابي ابن الصحابي: فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أسامة بن زيد بن حارثة قال: بعثنا رسول اللهﷺ إلى الحُرقة قبيلة من جُهينة، قال فصبّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلمّا غشيناه قال لا إله إلاّ الله، قال: فكفّ عنه الأنصاري فطعنتُهُ برمحي حتّى قتلتُه، قال: فلمّا قدمنا بلغ ذلك النبيﷺ، قال: فقال لي: «يا أُسامة

➔

فمن هذه سيرتهم غير موصوفين بالمعيّة لخير الرسلﷺ[1]،

➔

أقتلته بعدما قال لا إله إلاّ الله؟»، قال: قلت: يا رسول الله، إنّما كان متعوّذاً (أي قالها خوفاً من القتل لا إيماناً)، قال: «أقتلته بعد أن قال لا إله إلاّ الله؟» قال: فما زال يكرّرها عليّ حتّى تمنّيتُ أنّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (صحيح البخاري ج٨: ص٣٦ كتاب الديات، باب قول الله تعالى ومن أحياها، قال ابن عبّاس: من حرّم قتلها إلاّ بحقّ فكأنّما أحيى الناس جميعاً). والواقع أنّ الانسان لا يجد ما يعلّق عليه في هذه الحادثة، لذا نتركها للقارئ.

وإليك حادثة أُخرى: فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول اللهﷺ فقال لرجل ممّن يدّعي الإسلام: «هذا من أهل النار»، فلمّا حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الذي قلت إنّه من أهل النار فإنّه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات، فقال النبيﷺ: «إلى النار»، قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنّه لم يمت ولكن به جراحاً شديداً، فلمّا كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبيّﷺ بذلك فقال: «الله أكبر، إنّي عبد الله ورسوله»، ثمّ أمر بلالاً فنادى بالناس... (صحيح البخاري ج٤: ص٣٤ كتاب دعاء النبيﷺ إلى الإسلام، باب إنّ الله يؤيّد الدين بالرجل الفاجر). هذا رجل مسلم، صحب النبيﷺ وغزا معه، والله أعلم كم غزوة شارك فيها، ولم يكفر بالله ولم يرتدّ لكنّه من أهل النار، لأنّه انتحر ولم يصبر على الجراح، فكيف يقال: إنّ جميع الصحابة كانوا منقادين؟!

وهذا نموذج يسير من مخالفات الصحابة الذين كانوا ينقادون إلى الشيطان وما فعلوه من الطامّات والمناقضات للشريعة، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ المقصود بالمعيّة في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ

➔

←
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(سورة الفتح : ٢٩)، هي المعيّة من كلّ الجهات بحيث يكون متصفاً بجميع الصفات المذكورة في الآية الكريمة، وهذا معناه أنّه ليس كلّ من صحب النبيﷺ تشمله عنوان المعيّة في الآية الكريمة، إذ كثير من المنافقين كانوا في من صحب النبيﷺ، وقد كان بعضهم يرافقهﷺ في بعض أسفاره. فالمراد من الصحابة الذين ينطبق عليهم عنوان المعيّة هم المؤمنون الذين ساروا على نهج رسول اللهﷺ وحاولوا متابعتهﷺ في كلّ أمر ونهي. وبالرغم من قلّة عدد هؤلاء كان لهم دور كبير في نصرة الإسلام وسولهﷺ، إذ أنّ هذا العدد القليل من الصحابة أخذوا برفقة النبيﷺ إلى آخر لحظة من حياتهم، وساروا على نهجهﷺ وكانت تنطبق عليهم الأوصاف المذكورة في الآية الكريمة من الشدّة على الكفّار والرحمة بالمؤمنين، وغيرها من الأوصاف. ولكن أكثر الصحابة لم ينطبق عليهم المعيّة لأنّهم تمّروا عن أوامر الله ورسولهﷺ كما قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**﴾ (سورة التوبة:٢٥). فأكثر الصحابة قد فرّوا يوم غزوة حنين. وبعبارة أخرى أكثر المسلمين قد فرّوا عن ساحة الحرب ذلك اليوم. فلم يتوغل الإيمان في قلوبهم، فانكسر جيش المسلمين في البداية وكاد العدوّ أن يغلبهم ولولا أنّ الله أنزل بلطفه مدده وجنوده ونجاهم من شرّ أعدائهم لقضوا عليهم ولم يبق منهم أحد. ويصوّر القرآن الكريم هذه الفضيحة والهزيمة الكبيرة من الصحابة في ذلك اليوم بقوله تعالى: ﴿**وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**﴾. حيث في تلك اللحظات الحسّاسة تفرّق جيش الإسلام إلى هنا وهناك، ولم يبق مع النبيﷺ إلاّ القلّة، وكان النبيﷺ متألّماً جدّاً لهذه الحالة، فنزل التأييد الإلهي: ثمّ أنزل الله سكينته على رسولهﷺ وعلى المؤمنين وأنزل
←

بل هم موصوفون بالمخالفة له[(١)]

→

جنوداً لم تروها. من الواضح بقرينة هذه الآية الكريمة ليس المقصود بالمعيّة في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾ الصحابة المنهزمين الذين تركوا النبيﷺ في وسط ساحة الحرب، بل المقصود بهم المؤمنون الذين ساروا على هديهﷺ ولم يتغيّروا إلى آخر لحظة حياتهم، وهم الذين قال الله تعالى في حقّهم: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ (سورة النساء:٦٩). فإنّ المعيّة لا بدّ أن تكون صادقة في التطبيق عليهم، أي: تصدق عليهم في كلّ حال من الأحوال. ولا يخفى أنّ ذلك نعمة عظيمة، لأنّ منشأ هذه المعيّة الإسلام والإيمان الصادق بالله ورسولهﷺ، وقد وصف الله تعالى هذا الايمان والطاعة المطلقة قبل هذه الآية بقوله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا لهم وأشدّ تثبيتاً**﴾ (سورة النساء: ٦٥-٦٦). فوصفهم الله سبحانه بالثبات التامّ قولاً وفعلاً وظاهراً وباطناً على العبوديّة لا يشذّ منهم شاذّ من هذه الجهة ولذلك قال تعالى: ﴿**وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾. فهذه الآيات قرينة قطعية بأنّ المقصود بالمعيّة هم المؤمنون من الصحابة الذين كانوا في أعلى درجة الإيمان وأرفع منزلة أهل الطاعة بحيث ألحقهم الله تبارك وتعالى في الآية بالنبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، لا كلّ من كان مع رسول اللهﷺ وصحبه، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ القرآن الكريم عندما يتحدّث عن الصحابة،

←

➔

يتحدّث عنهم بعدّة صفات، وإذا استثنينا منهم الصحابة المخلصين الشاكرين، فأوصفهم الله بصفات السوء التي يستقبحها العقل ويذمها، وقد أوصفهم الله بهذه الصفات الذميمة: الفاسقون، الخائنون، المتخاذلون، الناكثون، المنقلبون على الأعقاب، الشاكّون في الله وفي رسولهﷺ، الفارّون من الزحف، المعاندون للحقّ، العاصون أوامر الله ورسولهﷺ، المثبطون غيرهم عن الجهاد، المنفضون إلى اللهو والتجارة وتاركون الصلاة، القائلون ما لا يفعلون، الممنّون على رسول اللهﷺ إسلامهم، القاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ، الرافعون أصواتهم فوق صوت النبيﷺ، المؤذون لرسول اللهﷺ، السمّاعون للمنافقين. هذه أوصاف وغيرها التي جاءت في القرآن الكريم في حقّ الصحابة، وهناك صفات كثيرة لم نذكرها روماً للاختصار، ولكن لتعميم الفائدة لا بدّ من ذكر بعض الآيات التي جاءت في ذمّ الصحابة الذين اتّصفوا بها، وحتّى لا يتوهّم المعاند أنّ هذه الصفات مختصّة بالمنافقين نذكر هنا الآيات التي تخصّ المؤمنين من الصحابة، فقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (سورة التوبة: ٣٨-٣٩)، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (سورة المائدة:٥٤)، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة الأنفال:

➔

وهم غير مستخلفين من قبل الله سبحانه من حيث ثبوت ظلمهم بتحريفهم لدينه على ما مرّ سابقاً[(١)]

➔

٢٧-٢٨)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال:٢٤)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (سورة الأحزاب: ٩-١١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف: ٢-٣)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة الحديد:١٦)، وقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الحجرات:١٧)، وإلى غير ذلك من الآيات التي نزلت في ذمّ الصحابة ولو أردنا أن نذكر جميعها لطال بنا المقام. كما أنّ الروايات الصحيحة الواردة في كتب أهل السنّة دالّة على ذم أكثر الصحابة لتمرّدهم على ورسولهﷺ، فكيف يصحّ تطبيق الآيتين على من بايع الخلفاء الثلاثة مع ما فيهم من الذمّ من القرآن والروايات، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الخلافة بمعنى النيابة عن الغير، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

➔

←

لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة:٣٠). فالمقصود بخليفة الله نائبه سبحانه وتعالى على ظهر الأرض. ومن الواضح أنّ خليفة الله في الأرض لا بدّ أن يكون له صفات خاصة وشأن خاص يعرف بتلك الخصوصيات، وذلك بأنّ يكون جميع أعماله وأفعاله وإرادته منطبقاً مع ارادة الله سبحانه، فلا يريد إلاّ ما أراد الله ولا يحكم إلاّ ما حكم به الله، ولا يسلك إلاّ سبيل الله ولا يتعدّ حدود الله. وممّا يدلّ على هذا المقام قوله تعالى: ﴿يادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ (سورة ص:٢٦). فقد فرّع سبحانه تعالى على من يكون له مقام الخلافة بجعل الله تعالى أن يحكم بين الناس بالحق، فقال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾، فمن آثار هذه أنّها مبنيّة على أساس الحقّ وإجراء العدل والقسط. فالتقييد بقوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ إشارة إلى هذا المعنى، وللتأكيد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾، حيث أنّ المفروض أنّ من يتّبع الهوى والشهوات فلا يستحقّ لهذا المقام العظيم. ومن هنا يعرف أنّ من سمّى نفسه خليفة ولم يتّصف بصفات الخلافة الإلهية ، أي: خلافة الله في الأرض ولم يكن متصفاً بما أوصف الله سبحانه خليفته فهو طاغوت، لأنّ من ادعى الخلافة من دون أن يكون خليفة الله فقد احتلّ مكان الخلافة الإلهية بالتزوير فهو يهدي إلى الشيطان، إذ من أهداف الطاغوت هي الهداية إلى الشيطان كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء:٦٠). هذه الآية

←

وغير عابديه لما عرفته من عصيانهم له، بل هم عابدون للشيطان بما بدّلوه من شريعة سيّد بني عدنانﷺ[1]

➔

مكمّلة للآية السابقة، لأنّ الآية السابقة كانت تدعو المؤمنين إلى طاعة الله والرسولﷺ وأولي الأمر، والتحاكم إلى الكتاب وسنّة رسول اللهﷺ. ثمّ من بعدها هذه الآية التي بيّنت أنّ الإنسان لو لم يؤمن بالله ورسولهﷺ سيكون مصيره إلى التحاكم إلى الطاغوت واتّباع أمر الطاغوت وحكمه. والطاغوت مشتقّة من الطغيان، وهذه الكلمة مع جميع مشتقّاتها تعني التجاوز والتعدّي عن الحدود الإلهيّة وتجاهل القيود، أو كلّ شيء يكون وسيلة للطغيان أو التمرّد. وعلى هذا الأساس كلّ من يحكم بالباطل يكون طاغوتاً، لأنّه تجاوز عن حدود الله وتعدّى قوانين الحقّ والعدل، وفي الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام الطاغوت كلّ من يتحاكم إليه ممّن يحكم بغير الحقّ (بحار الأنوار ج٩: ص٧٥). فالآية الحاضرة تنهى المسلمين عن أن يترافعوا في الحكم والقضاء إلى الطاغوت، أي تنهى عن رفض طاعة الله ورسولهﷺ والتحاكم إلى الطاغوت. ثمّ تضيف الآية قائلاً: ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً أي أنّ التحاكم إلى الطاغوت مرجعه إلى الشيطان، والشيطان يريد أن يضلّ المؤمنين عن الصراط المستقيم. وعليه فمن ادّعى الخلافة بالباطل فهو طاغوت، وحكومته حكومة الطاغوت ليس فيها إلاّ الظلم وتحريف الدين، فما ذكره ابن تيمية في معنى المستخلفين مدفوع بالآية الكريمة فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ العبادة بمعنى نهاية الخضوع والتذلّل لله سبحانه وتعالى بقصد العبادة والتقرّب إلى الله بإخلاص، وهي من أسمى صفات المؤمنين التي ذكرها الله سبحانه في القرآن الكريم وخصّ به الصحابة المؤمنين وقد مدحهم بها، في قوله تعالى: ﴿**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ**

➔

←

مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (سورة الفتح:٢٩). وهذا التعبير يجسد العبادة بركنيها الأساسيين: الركوع والسجود على أنّها حالة دائمية لهم، العبادة التي هي رمز للتسليم أمام أمر الله، ونفي الكبر والغرور والأنانيّة عن وجودهم، هذا بالنسبة إلى عدّة قليلة من الصحابة. وأمّا أكثر الصحابة بسبب مخالفتهم لله ولرسوله ﷺ وارتكابهم أشنع الجرائم وأعظم المعاصي وأنواع الرذائل والقبائح فقد خرجوا عن هذا الوصف والعبادة لله ودخولوا في عبادة الشيطان، فإنّهم كانوا يستبقون للتقرّب إلى الشيطان، رغم عشرات الآيات من القرآن الكريم التي وصفت لهم الشيطان وصفًا لأفعال الشيطان وتحذير المسلمين من مكره وخداعه وفتنته، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (سورة يس: ٦٠-٦١)، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف:٢٧)، وقال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة:٢٦٨)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ (سورة النساء: ١١٩-١٢٠). وإلى غير ذلك من الآيات، فالشيطان يتربّص بالإنسان دوائر السوء ليبدّل حالهم من الصلاح إلى الهلاك والفساد. ومن العجيب أنّ بعض الصحابة الذين كانوا هذه الآيات ولكن مع ذلك قد اعترفوا بأنّ الشيطان قد رسخ في وجودهم؛ فقد أخرج عبد الرزاق الصنعاني في كتابه المصنف بسنده عن الحسن البصري أنّه قال: أنّ أبا بكر خطب فقال: أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، ولوددت لو أنّ فيكم

→

➔

من يكفيني، فتظنّون أنّي أعمل فيكم سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله إذا لا أقوم لها، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني، لا أوثر في أشعاركم ولا أبشاركم، ألا فراعوني! فإن استقمت فأعينوني، إن زغت فقوموني (المصنف عبد الرزاق الصنعاني ج١١: ص٣٣٦). ومعنى يعتريني أي يغويني فإنّه كان يخاف أن يعرض عليه الشيطان فيتعدّي على أحد الرعية، فأمرهم بأنّ يمنعوه من ارتكاب الظلم والتعدّي على الآخرين. وإذا كان حال الخليفة هذا فما تتصوّر من رجوع الرعية إليه أليس ينطبق عليهم التحاكم إلى الطاغوت ؟!! قال العلامة الأميني رحمه الله بعد ذكر هذا الخبر: وهل الخليفة حري بأن ترعاه أمّته ورعيته فتعيّنه وتسدّده وتقومه عند الخطل والزيغ؟!! وكيف لا يؤاخذ الخليفة بالسنّة وهو وارث علم النبي صلى الله عليه وآله وحامل سنّته وقد أكمل الله دينه وأوحى إلى نبيّه ما تحتاج إليه أمّته، وبلغ صلى الله عليه وآله كلّ ما جاء به حتّى حقّ له أن ينهى عن الرأي والقياس في دين الله، أو يقول: ما تركت شيئاً ممّا أمركم الله به إلاّ وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئاً ممّا نهاكم عنه إلاّ وقد نهيتكم عنه (الغدير ج٧: ص١١٩).

أقول: من الواضح أنّ خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يقوم مقامه في العلم والعمل والثبات والاستقامة، والعصمة وغير ذلك الصفات الحميدة، لا بدّ أنّ يكون متّصفاً بصفات الرسول صلى الله عليه وآله. وأمّا من يعتريه الشيطان الرجيم لا يؤمن من زيغه وضلالته، لاسيّما مع اعترافه بأنّ الشيطان يعتريه، فإنّ من يعتريه الشيطان فهو قرين له. وعليه فإنّ نفس هذا الاعتراف دليل على أنّه خرج من طاعة الله ودخل في طاعة الشيطان. وإذا كان حاله هذا فكيف يدّعي ابن تيميّة بأنّ من بايعه من الصحابة ينطبق عليهم آية ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...**﴾؟!! أليس هذا افتراء على الله؟

وآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...﴾[1] قد تضمّنت صفات حسنة، لكن جمهور

---

(١) قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الفتح:٢٩). لقد مدح الله تعالى المؤمنين من الصحابة الذين كانوا يتّصفون بأوصاف جميلة التي ذكرها الله تعالى في الآية الكريمة كشرط في مديحهم، فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...﴾، فإنّ المعيّة ليست هنا المقارنة الجسمية فقطّ، بل معناها المعية في الإيمان والسجايا الأخلاقية الكمالات النفسانيّة. وفي الحقيقة أنّ إطلاق الآية تقتضي المعيّة الظاهريّة والباطنيّة، وذلك بمعنى أنّه مضافاً إلى المقارنة الجسميّة يلزم المقارنة في الأوصاف والعواطف والأفكار. فالمقصود بقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾ هم الصحابة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ في الصفات المذكورة في الآية والآية تتحدّث عن حركتهم ونموّهم وتكاملهم في الجوانب المختلفة، فهم متّصفون بصفات لا يفترّون عن الحركة لحظة واحدة، وينشرون الإسلام بأقوالهم وأعمالهم في العالم ويوماً بعد يوم، ولا يتكاسلون في حركتهم المتّجهة إلى الأمام دائماً، وهم في حال العبادة والجهاد مجاهدون، وفي حال جهادهم عابدون، ظاهرهم سوي، وباطنهم سليم، وعواطفهم صادقة، ونيّاتهم خالصة، وهم مظهر غضب الله بوجه أعداء الحقّ، ومظهر الرحمة بوجه إخوانهم. فالمقصود بهم عدّة قليلة من الصحابة المؤمنين حقّاً، لا كلّ من صحب رسول الله ﷺ كما يدّعيه ابن تيمية فلاحظ.

الصحابة وهم المبايعون ابن أبي قحافة عارون منها[(١)] الرحمة بينهم،

---

(١) وتوضيح المقام أنّ الصفات المذكورة في الآية الشريفة لا تنطبق على من بايع أبابكر، لأنّ من بايع أبا بكر فقد اشترك معه في الأعمال الإجراميّة كغصب الخلافة، وترويج الباطل وإحداث البدع في الدين، والمناكير التي ارتكبها أبوبكر ومن تبعه من قبيل الهجوم على ببيت الزهراءﷺ وغصب حقّها و... فإنّ من بايع أبا بكر فقد ساعده على هذه الجرائمة العظمى. فهم مشتركون معه في جريمة الهجوم على بيت الزهراءﷺ مع أنّهم سمعوا من رسول اللهﷺ: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وكان أبو بكر من تبعه موجباً لغضبها كما جاء في صحيح البخاري بسنده عن عائشة أنّ فاطمةﷺ بنت النبيﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول اللهﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول اللهﷺ قال: لا نورّث، ما تركنا صدقة إنّما يأكل آل محمّد في هذا المال وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول اللهﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول اللهﷺ، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول اللهﷺ. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمةﷺ منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفيت وعاشت بعد النبيﷺ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليه (صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب الغازي، باب غزوة خيبر). فوجدت فاطمةﷺ، أي فغضبت فاطمةﷺ على أبي بكر...

وقد كان غضبها على أبي بكر عظيماً إلى الحدّ الذي أوصت إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبﷺ أن لا يحضر أبا بكر جنازتها، وأن يدفن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبﷺ جثمانها الطاهر سرّاً في الليل. والروايات المتواترة ←

وهذه تنافي غلظتهم وشدّتهم على من حبّهم إيمان وبغضهم نفاق بحمل النار والحطب إلى بيتهم ليحرقوهم لو لم يبايعوهم[1].

➔

أثبتت أنّ غضب فاطمة عليها السلام غضب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ غضب رسول الله صلى الله عليه وآله موجب لغضب الله عزّ وجلّ، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى**﴾ (سورة طه:٨١)، وقال تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ (سورة البقرة: ٨٩-٩٠)، وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧)، فشمله أشدّ العذاب. فمن الواضح أنّ من بايع أبا بكر فقد بايع فقد تبعه في جميع أفعاله ومن استحقّ بذلك ما استحق به أبا بكر. وصريح القرآن أنّه استحقّ أشدّ عذاب الله، وذلك لأنّ من كان إمامه مستحقّاً لأشدّ العذاب فهو معه كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ (سورة الإسراء: ٧١-٧٢). فالصحابة الذين بايعوا أبا بكر والخلفاء الثلاثة هم ملحقون بهم في الدنيا والآخرة. فهم عارون عن صفات المدح في الآية الكريمة التي أوصفت فيها المؤمنين من الصحابة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ مقتضى صفة الرحمة التي جاءت في قوله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُم...**﴾ (سورة الفتح:٢٩)، اتصاف الصحابة المؤمنين بالرحمة والرأفة فيما بين المسلمين. بمعنى أنّهم كانوا يعيشون على المعاضدة والمسالمة كما وصفهم الله سبحانه بالرحمة، والتأكيد على التراحم بين المؤمنين والمؤمنات في حياتهم اليوميّة، واستمراريّة الترابط والتواصل

➔

➔

بـين المـؤمنين والمؤمنـات الأحيـاء مـنهم والأمـوات، الكبيـر والـصغير، الحاضـر والغائب، كُلاً على حدّ سـواء. وإلـى جانـب ذلـك تؤكّـد الـشريعة الإسـلامية علـى تجنّب إساءة أو إهانة أو إيذاء المؤمنين بعضهم لـبعض، وذلـك بُغيـة الـتخلّص مـن حالات الحسد والكراهيّة والحقد والتباغض وغيرها من الـسلوكيّات الخاطئـة الّتـي قد تقع بين أفراد المجتمع. فقد ورد عن الإمام الصادقعليه السلام: «المسلم أخو المـسلم، لا يظلمـه ولا يخذلـه ولا يخونـه، ويحـقّ علـى المـسلمين الاجتهـاد فـي التواصـل والتعاون على التعاطف والمؤاساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض، حتّـى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجـلّ: ﴿رُحَمَاء بَيْـنَهُم﴾» (انظـر الكـافي ج٢: ص١٧٥). ولقد جسّدت السيرة العطرة للرسول الأعظمصلى الله عليه وآله وأهل بيتهعليهم السلام النمـوذج المثـاليّ في إبراز مظاهر الأخوّة الإيمانيّة بين المؤمنين، ولعلّ أبرز تلك النمـاذج قـد تجلّـت عندما هاجر رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى المدينة المنوّرة، فكان من بين سلـسلة الإجـراءات الاسـتراتيجيّة الّتـي قـام بهـاصلى الله عليه وآله آنـذاك، مـن أجـل وضـع اللبنـة الأولـى للمجتمـع الإسلاميّ وبناء الدولة الرساليّة المحمّديّة، هو المؤاخاة بين المسلمين وتوثيق عرى التعاون بينهم. فقد روي أنّ الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله آخى بين الناس وترك الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للأخير حتّى لا يرى له أخاً، فقالعليه السلام: «يا رسـول الله، آخيت بين أصحابك وتركتني؟» فقالصلى الله عليه وآله: «إنّما تركتك لنفسي، أنـت أخـي، وأنا أخوك، فإنّ ذكرك أحد، فقل: أنا عبد الله وأخـو رسـوله، لا يـدّعيها بعـدك إلاّ كذّاب. والّذي بعثني بالحقّ، ما أخّرتك إلاّ لنفسي، وأنـت منّـي بمنزلـة هـارون مـن موسى، إلاّ أنّـه لا نبـيّ بعـدي، وأنـت أخـي ووارثـي» (انظـر المناقـب للخـوارزمي: ص١٥٢). وقد حثّ الإسلام علـى التعـاطف والتـراحم والتعـاون بـين المـؤمنين قـد اقترن مع النهي عن توجيه الإساءة أو الإهانة للمؤمنين وخذلان بعضهم لبعض، فقد

➔

➔

رويَ عن الإمام الصادقعليه السلام قال: «قال الله عزّ وجلّ: ليأذن بحرب منّي من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن...» الحديث (بحار الأنوار ج٧٢: ص١٤٥). وعنهعليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصدود لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيُقال: هؤلاء الّذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنّفوهم في دينهم، ثمّ يُؤمر بهم إلى جهنّم» (الكافي ج٢: ص٣٥١). وعنهعليه السلام - أيضاً - قال: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلاّ خذله الله في الدنيا والآخرة» (بحار الأنوار ج٧٢: ص١٧). وإلى غير ذلك من الروايات، فإنّها تدلّ على اهتمام الإسلام بروح المحبّة والتعاطف فيما المؤمنين. ولا يخفى أنّ في ذكر الرحمة في الآية الكريمة: ﴿**رُحَمَاء بَيْنَهُم**...﴾ رمز وعلامة وإشارة إلى التمييز بين المنافقين والمؤمنين، إذ النصوص المتواترة لدى الفريقين تدلّ على أنّ علامة المؤمن الحقيقي هو حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، والآية فيها إشارة إلى أنّ من صفات الصحابة المؤمنين الرحمة، والرحمة فيها إشارة ورمز لحبّ المؤمن، فيكون حبّ المؤمن من علائم الإيمان. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ثبت بالدليل القطعي أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام أكمل المؤمنين إيماناً، لأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال في حقّه: حبّه علامة الإيمان، وبغضه علامة الكفر والنفاق، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال عليعليه السلام قال: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّيصلى الله عليه وآله إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب الدليل على حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من الإيمان وعلامته). وقد قال الله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ**

🡐

←

حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٦٨). فبغض والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله علامة الكفر والنفاق. كما أنّ بغض الزهراء عليها السلام بغض مساو لبغض رسول الله صلى الله عليه وآله كما ورد في الأحاديث المتّفق عليها بين المسلمين. وقد أجمع المحدّثون والمؤرّخون على أنّ أهل السقيفة وأتباعهم هجموا على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهدّدوهم بالحرق أن لم يبايعوا أبا بكر، فقد أخرج ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن زيد بن أسلم، عن أبيه أسلم أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطّاب فقال: وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت، قال: فلمّا خرج عمر جاءوها فقالت: تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقنّ عليكم البيت... (المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص٥٧٢). وأخرج البلاذري في أنساب الأشراف بسنده عن المدائني عن مسلمة بن محارب عن سليمان التيمى وعن ابن عون: أنّ أبا بكر أرسل إلى علي عليه السلام يريد البيعة فلم يبايع فجاء عمر، ومعه فتيلة فتلقته فاطمة على الباب فقالت فاطمة: «يا ابن الخطّاب! أتراك محرقاً على بابي؟» قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء أبوك (أنساب الأشراف ج١: ص٥٨٦). وأخرج الطبري بسنده عن مغيرة، عن زياد بن كليب قال: أتى عمر ابن الخطّاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه (تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٣). وأخرج السيوطي في كتابه مسند فاطمة الزهراء عليها السلام قال: حين بويع لأبي بكر بعد رسول

→

➔

اللهﷺ كان علي والزبير يدخلون على فاطمة بنت رسول اللهﷺ ويشاورونها ويرجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله، والله ما من الخلق أحد أحبّ إليّ من أبيك وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، أن آمرهم أن يحرق عليهم الباب، فلمّا خرج عليهم عمر جاءوا، قالت: «تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقنّ عليكم الباب، وأيم الله ليمضين لما حلف عليه» (مسند مسند فاطمة الزهراءعليها السلام: ص٣٦). وأخرج ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة: إنّ أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند عليعليه السلام، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب، وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن! إلى أن قال: ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا فاطمة فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة»، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع وأكبادهم تتفطّر وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟» قالوا: إذا والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك (الإمامة والسياسة ج١: ص١٩). وأخرج ابن عبد ربه في العقد الفريد: إنّ الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر: علي والعبّاس والزبير وسعد بن عبادة، فأمّا عليّ والعبّاس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حيث بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة، فقالت: «يا ابن الخطّاب أجئت لتحرق دارنا؟» قال: نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمّة

➔

➔

(العقد الفريد ج١: ص٨٧). وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عبد الله ابن عمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنّ علياً والزبير كانا حين بويع لأبي بكر يدخلان على فاطمة فيشاورانها ويتراجعان في أمرهم، فبلغ ذلك عمر، فدخل عليها عمر فقال: يا بنت رسول الله، ما كان من الخلق أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما أحد أحبّ إلينا بعده منك، ولقد بلغني أن هؤلاء النفر يدخلون عليك، ولئن بلغني لأفعلنّ ولأفعلنّ، ثمّ خرج وجاءوها، فقالت لهم: «إنّ عمر قد جاءني وحلف لئن عدتم ليفعلنّ وأيم الله ليفين بها» (الاستيعاب ج٣: ص٩٧٥). وأخرج أبي الفداء في تاريخه: ثمّ إنّ أبا بكر بعث عمر بن الخطّاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم. فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار فلقيته فاطمة وقالت: «إلى أين يا ابن الخطّاب؟ أجئت لتحرق دارنا؟» قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمّة، فخرج علي حتّى أتى أبا بكر فبايعه، كذا نقله القاضي جمال الدين بن واصل وأسنده إلى ابن عبد ربه المغربي (المختصر في أخبار البشر ج١: ص١٥٦). وأخرج المتّقي الهندي في كنز العمّال بسنده عن أسلم أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله: كان علي والزبير يدخلون على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ويشاورونها ويرجعون في أمرهم؛ فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله، ما من الخلق أحد أحبّ إليّ من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بهم أن يحرق عليهم الباب، فلمّا خرج عليهم عمر جاؤوها قالت: «تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقنّ عليكم الباب، وأيم الله ليمضين ما حلف عليه» (كنز العمّال ج٥: ص٦٥١). وقال أبو جعفر الإسكافي: فأمّا علي والعبّاس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث

➔

➔

إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إن أبـوا فقـاتلهم! فأقبل عمر إلى بيت فاطمة بقبس من نار على أن يضرم عليهم الـدار! فلقيتـه فاطمـة فقالت: «يا ابن الخطّاب أجئت لتحرق دارنا؟» قال: نعم أو تدخلوا فيمـا دخلـت فيـه الأمّة! وساق الكلام إلى أن قال: وأمّا سعد بن عبادة فإنّه رحل إلـى الـشام. قـال أبـو المنذر هشام بن محمّد الكلبي: بعث عمر رجلاً إلى الشام فقال له: ادعه إلـى البيعـة واحمل لـه بكـلّ مـا قـدرت عليـه، فـإن أبـى فاسـتعن الله عليـه (المعيـار والموازنـة: ص**٢٣٢**). وقال محمّد وقال حافظ إبراهيم في القصيدة العمريّة: وقـولة لعلـي قالهـا عمر * أكرم بسامعها أعظم بملقيها. حرقت دارك لا أبقي عليك بها * إن لـم تبـايع وبنت المصطفى فيها. ما كـان غيـر أبـي حفـص يفـوه بهـا * أمـام فـارس عـدنان وحاميها (ديوان محمد حافظ إبراهيم ج١: ص٨٢). وإلى غير ذلـك ممّـا ورد عـنهم في واقعة الهجوم على بيت فاطمة الزهراءعليها السلام والإمام أمير المـؤمنين علـي بـن أبـي طالبعليه السلام وهو يدلّ على بغض أهل السقيفة لهمعليهم السلام ويشملهم قولهصلى الله عليه وآله: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّـيصلى الله عليه وآله إلـيّ أن لا يحبّنـي إلاّ مـؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب الدليل على حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مـن الإيمـان وعلامتـه). وقـد قال الله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِـيمٌ**﴾ (سـورة التوبـة:٦٨). فهـذا حـال مـن بـايع أبابكر وأتباع السقيفة، فإنّ غلظتهم وشدّتهم على من كان حبّه إيمان وبغـضه نفـاق وكفر وقد استعملوا غلظتهم بحمل النـار والحطـب إلـى بيتـه ليحرقـوه بالنـار إن لـم يبايع أبابكر، فأوصاف الصحابة التابعين لأبـي بكـر مـن الغلظـة دليـل على منافـات مادعاه ابن تيمية مع الآية الكريمة فلاحظ.

ومنها: طلبهم الفضل من الله، وقد عرفت منافاته لما صدر منهم من المبتدعات وغيرها من المناكير[١].

(١) وتوضيح المقام أنّ من صفات مدح الصحابة المؤمنين هي ما ذكرها الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾. فإنّ طلب الفضل وابتغائه من الله كان مختصاًبالمؤمنين الذين لم بايعوا أبابكر؛ لأنّ من بايع أبا بكر كان تابعاً لأهداف السقيفة، وأنّ مصادر الإسلامية فيها استعراض للمناكير والمخالفات والجرائم التي ارتكبها الصحابة التابعين للسقيفة وعلى رأسهم خلفاء الجور في حياة النبيﷺ وبعد وفاتهﷺ، وإليك نماذج من مخالفتهم لله ولرسول اللهﷺ في حياة النبي الأكرمﷺ وهي كثيرة جدّاً، منها: مخالفتهم في صلح الحديبيّة، وهي حدثت في السنة الثالثة للهجرة، واشتاق النبيﷺ إلى زيارة بيت الله عزّوجلّ فأعدّ العدّة للعمرة ومعه جمع من أصحابه وليس معهم من السلاح إلاّ سلاح المسافر، فلمّا وصلوا إلى أرض الحديبية منعوا من مواصلة السير، فبعد تبادل الرسل بينه وبين رؤساء قريش اصطلحوا على وثيقة ذكرها أصحاب السيرة في كتبهم. فكانت نتيجة تلك الوثيقة رجوع النبيﷺ إلى المدينة ومجيئه في العام القابل للزيارة، وقد ذكر فيها شروط للصلح أثارت حفيظة بعض المسلمين، حتّى أنّ عمر بن الخطاب وثب فأتى أبا بكر فقال: أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلى من نعطى الدنيّة في ديننا (انظر السيرة النبوية لابن هشام ج٢: ص٣١٦). فزعم الرجل أنّ البنود الواردة في صلح النبيﷺ تعني إعطاء الدنيّة في الدين، حتّى أنّ النبيﷺ أخبرهم حين الشخوص من المدينة أنّ الله سبحانه أراه في المنام أنّ المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فلمّا انصرفوا ولم يدخلوا مكّة قالوا: ما حلقنا ولا قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**
←

➔

إِنَّ شَاءَ اللّهُ آمِنِين﴾ (سورة الفتح:٢٧). فما تتوقّع من الصحابة الذين اعترضوا على رسول الله ﷺ، مع أنّه ﷺ قد أتمّ عليهم الحجّة بما فيها الكفاية وأخبرهم بما سيحدث، ولكنهم خالفوا الله ورسوله ﷺ، فهؤلاء الذين بايعوا أبا بكر في السقيفة. ومنها مخالفتهم في تجهيز جيش أسامة: فقد اتّفق المؤرّخون والمحدّثون على أنّ النبي الأكرم ﷺ أمر بتجهيز جيش أسامة في أواخر حياته، فقال ﷺ: «جهّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلّف عنه» (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٩). وقد ذكره المؤرّخون على وجه التفصيل، فقال الطبري في أحداث سنة احدى عشرة: وضرب على الناس بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد، وأمره أن يوطىء من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن، فقال المنافقون في ذلك، وردّ عليهم النبي ﷺ «إنّه لخليق لها» أي حقيق بالامارة، «وإن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبل، وإن كان لخليقاً لها»، فطار الأخبار بتحلّل السير بالنبي ﷺ ويقول أيضاً: لقد ضرب بعث أسامة، فلم يستتبّ لوجع رسول الله، وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة، فخرج النبي ﷺ على الناس عاصباً رأسه من الصداع لذلك، وقال: «وقد بلغني أنّ أقواماً يقولون في أمارة أُسامة، ولعمري لئن قالوا في أمارته لقد قالوا في أمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقاً للامارة وأنّه لخليق لها بعد أسامة»، وقال: «لعن الله الذين يتّخذون قبور أنبيائهم مساجد»، فضرب بالجرف وأنشأ الناس في العسكر، ونجم طليحة وتمهّل الناس وثقل رسول الله ﷺ فلم يستتمّ الأمر ينظرون أوّلهم آخرهم حتّى توفّى الله نبيّه ﷺ (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٢٩). وذكر القصة ابن سعد في طبقاته (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص١٨٩)، والحلبي في سيرته (انظر سيرة الحلبي ج٣: ص٢٢)، وغيرهم في المصادر السنّية. فإذا كان رسول الله ﷺ بينهم يأمرهم بتجهيز جيش أسامه، وأمر رسول الله ﷺ واجب

⬅

ومنها: نصرهم لله ورسولهﷺ وهو مناقض لتغييرهم دينه الشريف وبيعتهم ومتابعتهم لغير الخليفة[1]،

➔

الإطاعة كأمر الله، فما ظنّك بأوامره بعد وفاتهﷺ؟ من الواضح أنّ مجال المخالفة بعد وفاتهﷺ كان لهم أوسع من حضورهﷺ. ومنها مخالفتهم للنبيﷺ في إحضار القلم والدواة عندما طلب منهم رسول اللهﷺ ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوه بعده أبداً، فعن ابن عبّاس قال: لمّا اشتدّ بالنبيﷺ وجعه، قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، قال عمر: إنّ النبيﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قالﷺ: «قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع»، فخرج ابن عبّاس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول اللهﷺ وبين كتابه (انظر صحيح البخاري ج١: ص٣٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم). ولنكتف في المقام بهذا المقدار من مخالفتهم للقرآن والسنّة النبويّة الشريفة. ولا يخفى أنّ نفس هؤلاء خالفوا أمر الله ورسولهﷺ بعد وفاة رسول اللهﷺ في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وولايته، وبايعوا أبا بكر في السقيفة. فهم على خلاف ما أوصف الله تعالى الصحابة المؤمنين في كتابه العزيز، والتي منها: النيّة الخالصة الطاهرة كما تقول الآية: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾، فهم لا يعملون رياءً ولا يبتغون من الخلق الثواب، بل هدفهم رضا الله وفضله فحسب، والباعث على تحرّكهم في حياتهم جميعاً هو هذا الهدف ليس إلاّ...

فإنّ الفرق والتفاوت بين هؤلاء الصحابة المؤمنين، وأصحاب السقيفة الذين بايعوا أبابكر بُعد المشرقين، كيف يدّعي ابن تيميّة ويفتري على الله ويقول، أنّ المقصود بالآية هم من بايع أبا بكر فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ**

➔

➔

وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحشر:٨). والآية المباركة تتحدّث عن المؤمنين من الصحابة الذين هاجروا بإخلاص وصدق، وهم الذين كانوا يبتغون رضى الله وثوابه. فالفضل هنا بمعنى الثواب، والرضوان بمعنى رضى الله تعالى الذي يمثّل مرحلةً أعلى من مرتبة الثواب. ولعلّ التعبير بالفضل إشارة إلى أنّ هؤلاء المؤمنين يتصوّرون أنّ أعمالهم قليلة جدّاً لا تستحقّ الثواب، ويعتقدون أنّ الثواب الذي غمرهم هو لطف إلهي. فهؤلاء المؤمنين من الصحابة نصروا الله ورسوله صلى الله عليه وآله بإخلاص ونيّة صادقة كما قال تعالى: ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، فهم ينصرون الله دائماً، ولم يتوقّفوا في جهادهم بهذا السبيل لحظة واحدة، ويكونوا عوناً لرسول الله صلى الله عليه وآله بنيّة صادقة. ومن هنا يتّضح أنّ هؤلاء الصحابة من المؤمنين المهاجرين ليسوا من أصحاب الادّعاءات الفارغة، بل هم رجال حقّ وجهاد، وقد صدقوا الله بإيمانهم وتضحياتهم المستمرّة في جميع الأمور، فيصفهم سبحانه بالصدق، وإنّ صدق هؤلاء يتجسّد: بالإيمان، وفي محبّة الرسول صلى الله عليه وآله، وفي التزامهم بما أمرهم الله تعالى. ومن الواضح أنّ هذه الصفات كانت لبعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله في زمن نزول هذه الآيات، حيث أنّنا نعلم أنّ أشخاصاً من بينهم قد فرطوا بالنعم الإلهيّة التي غمرتهم، وسلكوا سبيل الضلال كالذين بايعوا من لا يستحقّ الخلافة في السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وهجموا على بيت فاطمة عليها السلام والذين أشعلوا نار حرب الجمل في البصرة، وصفين في الشام، وحاربوا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان ذلك سبباً لتقوية الحكام الظلمة واتّساع رقعتهم، وفسادهم في المجتمع الإسلامي وخالفوا بذلك قول الله عزّ وجلّ حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ

➔

فإنّ نصر الله عبارة عن تشييد دينه دون تغييره وكتمانه[(١)]،

➔

اللَّه منْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (سورة هود:١١٣)، فهم بحسب صريح هذه الآية المباركة أصحاب النار.

(١) لا شكّ أنّ معنى النصرة في اللغة والفهم العرفيّ الإعانة على الشيء ويقابله الخذلان. والنصرة والإعانة قد تكونان باللسان وقد تكونان بالمال، وقد تكونان باليد والنفس، وهما بحسب طبيعة القضايا ودرجة حساسيّتها وخطورتها تتّسعان في المراد. فالنصرة تتّسع مواردها وتشمل جميع أنحاء النصرة، من النصرة الثقافيّ أو العقائديّ أو الفكريّ أو الاجتماعيّ أوالاقتصاديّ أو السياسيّ، وأحياناً إنسانيّ وغير ذلك. ومن موارد النصرة هي نصرة الدين، وهي تعني بذل الجهد لإعانة الدين وتشييده ونشر كلّ أبعاده وتقوية الانتماء إليه وحمل فكره ومفاهيمه القيمه والأخلاق التي تدعو إليها، والدفاع عنه بما يتاح من مال ونفس وأولاد، لأنّ الدّين له الأولويّة على كلّ الأمور. فقد قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** (سورة محمّد:٧). فإنّ نصرة الله عبارة عن نصرة الدين ونصرة نبيّه وشريعته وتعليماته، ولذلك وردت نصرة الله إلى جانب نصرة رسولهﷺ في بعض آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: **﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئكَ هُمُ الصَّادقُونَ﴾** (سورة الحشر:٨). فمع أنّ قدرة الله سبحانه غير محدودة، ولا قيمة لقدرة المخلوقات حيال قدرته، غير أنّه يعبّر بنصرة الله ليوضح أهمية نصرة الله وأهمية الدفاع عن دين الله، ولا يوجد تعبير أعظم من هذا لتبيان أهمية هذا الموضوع. وأيضاً جاء في القرآن الكريم ذكر بعض مصاديقه، كما في قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتكُمْ مَثَلُ الَّذينَ خَلَوْا منْ قَبْلكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ**

➔

➔

اللَّه أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّه قَرِيبٌ﴾ (سورة البقرة:٢١٤). هذه الآية المباركة تحكي عن أحد السنن الإلهيّة ألا وهي نصرة دين الله التي هي من التوفيقات والمواهب الإلهيّة. ويبدو من الآية الكريمة أنّ جماعة من المسلمين كانوا يرون أنّ إظهار الإيمان بالله وحده كاف لدخولهم الجنّة، ولذلك لم يوطنوا أنفسهم على تحمّل الصعاب والمشاق في نصرة الدين، وتشييده ظانّين بأنّه سبحانه هو الكفيل بإصلاح أمورهم ودفع شرّ الأعداء عنهم. فالآية تردّ على هذا الفهم الخاطئ وتشير إلى أنّ السنّة الإلهيّة دائمة جارية في الامتحان والابتلاء في الحياة، وذلك بمعنى أنّ المؤمنين ينبغي أن يعدوا أنفسهم لمواجهة المشاق والتحدّيات على طريق الإيمان ليكون ذلك اختباراً لصدق إيمانهم، ومثل هذا الاختبار قانون عامّ سرى على كلّ الأمم السابقة. ويتحدّث القرآن الكريم عن بني إسرائيل - مثلاً - وما واجهوه من مصاعب بعد خروجهم من مصر ونجاتهم من التسلّط الفرعوني، خاصّة حين ما حوصروا بين البحر وجيش فرعون، فقد مرّوا بلحظات عصيبة فقد فيها بعضهم نفسه، لكن لطف الله شملهم في تلك اللحظات ونصرهم على أعدائهم. وهذه هي سنّة الله التي عبّر عنها القرآن الكريم ﴿سُنَّةَ ٱللَّه ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّة ٱللَّه تَبْدِيلًا﴾، وهي تستهدف تكامل المؤمنين وتربيتهم. فكلّ الأمم ينبغي أن تمرّ في أفران الأحداث القاسية لتخلص من الشوائب كما يخلص الحديد في الفرن ليتحوّل إلى فولاذ أكثر مقاومة وأصلب عوداً. ثمّ ليتبيّن من خلال هذا الاختبار من هو اللائق للسعادة، ومن هو غير اللائق ويخرج من الساحة الاجتماعيّة. ثمّ المسألة الأخرى التي ينبغي التأكيد عليها في تفسير هذه الآية: أنّ الجماعة المؤمنة وعلى رأسها النبي صلى الله عليه وآله ترفع صوتها حين تهجم عليها الشدائد بالقول متى نصر الله؟! وواضح أنّ هذا التعبير ليس اعتراضاً على المشيئة الإلهيّة، بل هو نوع من الطلب

🡐

➔
والدعاء، فتقول الآيـة : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَـوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُـوا مَعَـهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ...﴾ ولذلك تبعته البشارة بالإمداد الإلهي. وعلى أيـة حـال، فـإنّ الآيـة تحكي عن أحدى السنن الإلهيّة في الأقـوام البـشريّة جميعـاً، وتنـذر المـؤمنين فـي جميع الأزمنة والأعصار بأنّ ينبغي عليهم أن يتقبّلوا الصعوبات والمـشاكل ويبـذلوا التضحيات في السبيل الدين وتشييده. وفي الحقيقة أنّ هذه النصرة من الأمور التـي يمتحن بها المؤمن ويميّز بها المؤمن الحقيقي عن المتظاهر بالإيمان. وعبارة الـذين خلوا من قبلكم تقول للمسلمين: أنّكم لستم الوحيدين في هذا الطريق الذين ابتليتم بالمـصائب مـن قبـل الأعـداء، بـل أنّ الأقـوام الـسالفة ابتلـوا أيـضاً بهـذه الـشدائد والمصائب إلى درجة أنّهم مسّتهم البأساء والضراء حتّى اسـتغاثوا منهـا. وأساسـاً أنّ رمز التكامل للبشريّة أن يحاط الأفراد والمجتمعات في دائرة البلاء والشدائد حتّـى يكونوا كالفولاذ الخـالص وتتفـتح قابليّـاتهم الداخليّـة وملكـاتهم النفـسانيّة ويـشتدّ إيمانهم بالله تعالى، ويتميّز كذلك المؤمنون والصابرون عن الأشخاص الانتهـازيين. ونختتم هذا الكلام بالحديث النبوي الشريف، حيث يقول الخباب ابن الأرت الذي كان من المجاهدين في صدر الإسـلام أنّـه: قلنـا يـا رسـول الله ألا تستنـصر لنـا، ألا تدعو الله لنا؟ فقالصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «إنّ مـن كـان قـبلكم كـان أحـدهم يوضـع المنـشار علـى مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مـا بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه»، ثمّ قـال: «والله ليـتمن هـذا الأمـر حتّـى يـسير الراكـب مـن صـنعاء إلـى حـضرموت لا يخـاف إلاّ الله والـذئب علـى غنمـه وكلّكم يستعجلون» (انظر الـدرّ المنثـور للـسيوطي ج١: ص٢٤٣). فالنـصرة الإلهيـة إنّما تتحقّق بنصرة الدين ونصرة أولياء الله، بل ومن تجليّـات النـصرة الإلهيّـة نـصرة
➔

ونصر الرسولﷺ عبارة عن متابعة خليفته وهجر من خالفه ومحاربة من حاربه[(١)].

أوليائه، وإنّ النصر الإلهي سيشمل من نصر أوليائه قال الله تعالى: ﴿لِلَّه الْأَمْرُ منْ قَبْلُ وَمنْ بَعْدُ وَيَوْمَئذ يَفْرَحُ الْمُؤْمنُونَ * بنَصْرِ اللَّه يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحيمُ﴾ (سورة الروم: ٤-٥). فلأهميّة نصرة المؤمنين والدفاع عن الدين يخبر سبحانه وتعالى بأنّ الغلبة ستكون للمؤمنين في الحرب مع الروم، وسينصر الله المؤمنين. وستغلب الروم ويومئذ يفرح المؤمنون. أجل، يفرحون بنصر الله... ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، كما أنّ الله بشّر المؤمنين الذين نصروا دين الله فهم منصورون من قبل الله عزّ وجلّ كما أنّ الله تعالى نصر أنبيائه وأوليائه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلمَتُنَا لعبَادنَا الْمُرْسَلينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (سورة الصافات: ١٧١-١٧٢).

(١) لا شكّ أنّ من كمال الإيمان نصرة رسول اللهﷺ وإنّ نصرته دليل على أعلى مراتب الإيمان وأكمل درجاته، حيث قال تعالى في وصف المؤمنين من الصحابة الذين نالوا إلى سعادة نصرة رسول اللهﷺ قوله تعالى: ﴿الَّذينَ يَتَّبعُونَ الرَّسُولَ النَّبيَّ الْأُمِّيَّ الَّذي يَجدُونَهُ مَكْتُوبًا عنْدَهُمْ في التَّوْرَاة وَالْإِنْجيلِ يَأْمُرُهُمْ بالْمَعْرُوف وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَر وَيُحلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَات وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذينَ آمَنُوا به وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ﴾ (سورة الأعراف:١٥٧). هذه الآية الكريمة تتحدّث عن المؤمنين الذين نصروا رسول اللهﷺ وقد توفّر فيهم صفات التقوى، والإيمان التي هي من شرائط الإخلاص في اتّباع الرسولﷺ؛ لأنّ الإيمان بالله غير قابل للفصل عن الإيمان بالنبيﷺ واتّباع دينه، وهكذا التقوى لا يتمّ ولا

➔
يكمل من دون اتّباع الرسالة الإلهيّة والإفاضة السماويّة، فتضيف الآية الكريمة وتقول: فالذين آمنوا به وعزّروه، ونصروه، واتّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. فإنّ قوله تعالى: عزروه المشتقّة من مادّة تعزير وتعني الحماية والنصرة المقترنة بالاحترام والتبجيل. والجدير بالانتباه أنّ استعمال كلمة أنزل معه بدّل أنزل إليه أو أنزل عليه تدلّ على المصاحبة والمقارنة وهي تلويح إلى أنّ الرسالة السماويّة، تكون مقارنة للنزول القرآن، فكأنّه قال تعالى: واتّبعوا النبيﷺ والنور الذي أنزل معه، وهو بما يحتوي عليه من كمال الشرائع السابقة فهو يظهره، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ (سورة البقرة:٢١٣). ومن هنا يعرف مقام المؤمنين من الصحابة الذين نصروا رسول اللهﷺ ونصروا الدين الإسلامي والرسالة السماويّة أنّهم في أعلى درجات الإيمان، ومن لوازم هذه نصرة، بل من تجلّياتها نصرة رسول اللهﷺ نصرة وليّ الله وخليفة رسول اللهﷺ كما جاء في دعاء النبيّﷺ للمؤمنين الذين نصروا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يوم الغدير حيث قالﷺ: «اللّهمّ انصر من نصره واخذل من خذله» (انظر الأحاديث المختارة لأبي عبد الله المقدسي ج٢: ص٤٨١). فهذه النصرة تتجسد في الانقياد وطاعة الرسولﷺ ولا تختص بالصحابة؛ حيث أنّ طاعة الإمام والخليفة رسول اللهﷺ تكون طاعة لرسول اللهﷺ، ولذلك ورد في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي ذر عن رسول اللهﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). وصحّحه الذهبي في الهامش. وعليه فإنّ قوله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ**
➔

➔

الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، مشروط بطاعة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام. وفي موضع آخر عبّر القرآن الكريم عن أنّ نصرة وليّ الله هي نصرة لله حيث ينقل عن عيسى بن مريمعليه السلام قوله للحواريّين: **﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** (سورة آل عمران:٥٢). فمقام نصرة رسول اللهصلى الله عليه وآله عظيم لأنّ نصرة رسول اللهصلى الله عليه وآله نصرة دين الله ولا ينال هذا المقام إلاّ لبعض المؤمنين الذين مدحهم القرآن الكريم، وقد علّمنا الأئمّة الأطهارعليهم السلام بأن ندعو في شهر رمضان في أحد أدعيته الشريفة بهذا الدعاء كلّ ليلة من لياليه: «اللّهمّ اجعلني ممّن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري». ومن مصاديق نصرة دين الله ورسولهصلى الله عليه وآله، نصرة أئمّة أهل البيتعليهم السلام ولذا كان من علامات وصفات الشيعة أنّهم ناصرون لأهل البيتعليهم السلام، فعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على أهل الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا» (بحار الأنوار ج٤٤: ص٢٨٧). ومن مفردات الولاء لأهل بيت النبوّةعليهم السلام نصرتهم، وهذه النصرة هي التي يثبت فيها الموالاة للنبي الأكرمصلى الله عليه وآله بصدق وإخلاص وصفاء والانتماء إلى الخطّ النبويّ والرسالة السماويّة، والنصرة كذلك امتحان عمليّ لمدى المودّة والمحبّة لأهل البيتعليهم السلام، كما قال تعالى: **﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾** (سورة الشورى:٢٣). فالمودّة لأهل البيتعليهم السلام تلبية لنداء القرآن الكريم، كما أنّها إجابة وتلبية لنداء النبيصلى الله عليه وآله. فنصرة الرسولصلى الله عليه وآله عبارة: عن متابعة خليفته، ومتابعة خليفتهصلى الله عليه وآله تكون من كمال

←

فعلم ممّا بيّنّاه بهتان السنّي في دعوى شمول آيتي المقام وغيرهما من آيات الفرقان العظيم التي بمعناهما لمن جعل ابن أبي قحافة خليفة وتابعه[1] بل

➔

الإيمان، لأنّ بمتابعة خليفته صلى الله عليه وآله تنتشر معارف الدين وسنن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله فلاحظ.

(١) وملخّص الكلام أنّه قد تبيّن كذب ما ادّعاه ابن تيميّة وبهتانه على الله من شمول الآيتين المتقدّمتين للصحابة الذين بايعوا الخلفاء الثلاثة، فإنّه حاول الدفاع المستميت عن الصحابة وتبريرهم من الأعمال الشنيعة والمناكير الفضيعة وبدع المضلة والتزوير وتقليب الحقائق والكذب والافتراء والبهتان على الله ورسوله صلى الله عليه وآله. ومع ذلك ادّعى أنّ الآيتين تشمل الصحابة الذين بايعوا أبا بكر في السقيفة، مع أنّ أبا بكر نفسه اعترف على رؤوس الأشهاد قائلاً: إنّ لي شيطانا يعتريني... (انظر المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج١١: ص٣٣٦)، أو إنّ لي شيطاناً يغويني (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٦٠). وهذا معناه الضلالة، لأنّ من يعترف أنّ الشيطان يغويه معناه أنّه يتّبع الشيطان، إذ الشيطان يكون قريناً لمن يتبعه فيوقعه في الضلالة، حيث قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا**﴾ (سورة النساء:٣٨) أي: إن هؤلاء اختاروا الشيطان رفيقاً وقريناً لهم: من يكن الشيطان له قرينا فساء قريناً، أي: أنّه لن يكون له مصير أفضل من مصير الشيطان، لأنّ منطقهم هو منطق الشيطان، وسلوكهم سلوكه سواء بسواء، إلاّ الذين استثناهم الله تعالى في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾ (سورة الإسراء:٦٥)، وإنّ من اتّبع الشيطان في إغواته يكون الشيطان له وليّاً كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ**﴾ (سورة النحل:١٠٠). فمن اتّبع الشيطان كان الشيطان وليّه وستكون نتيجته السكنى في نار جهنّم، كما قال تعالى:

➔

هما وغيرهما بعد النظر إلى ما بيّناه ساطعة قاطعة دلّت على وصف من تخلّف عن بيعته بهذه الصفات الشريفة[1]،

➔

﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ (سورة النساء:١٢١)، فكيف يمكن شمول الآيتين لمن هو في النار؟!! فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ صفات المدح المذكورة في الآيتين تنطبق تماماً على من خالف بيعة أبي بكر، ولم يشارك اجتماع السقيفة؛ لأنّهم كانوا من الصحابة الذين يمتازون بأوصاف ذكره الله تعالى في الآيتين كشرط في مديحهم، فهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الشرائط، لثباتهم على ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله ، لاسيّما على ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، التي هي أركان الإسلام واصوله، وقد تقدّمت الإشارة إلى تلك الأدلّة المتّفق عليها بين جميع المسلمين. والمتتبّع في كتب أهل السنّة يجدها مشحونة بذكر أوصاف الصحابة المؤمنين الذين تخلفوا ببيعة أبي بكر، كسلمان وأبي ذر وعمار والمقداد وجماعة من المهاجرين والأنصار وبني هاشم. فقد روى الزبير بن بكار عن محمّد ابن إسحاق أنّه قال: إنّ أبا بكر لمّا بويع افتخرت تيم بن مرّة!! قال: وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكون أنّ عليّاً عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الفضل بن العبّاس: يا معشر قريش! وخصوصاً يا بني تيّم! إنّكم إنّما أخذتم الخلافة بالنبوّة ونحن أهلها دونكم، ولو طالبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا حسداً منهم لنا وحقداً علينا، وإنّا لنعلم إن عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٢١). وروى أيضاً الزبير بن بكار ضمن رواية: قال زيد بن أرقم: إنّا لنعلم إنّ من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد... علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر شرح نهج

➔

➔

البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٢١). وذكر الواقدي أن زيد ابن أرقم قال - عقيب بيعة السقيفة لعبد الرحمن بن عوف -: يا ابن عوف! لولا أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام وغيره من بني هاشم اشتغلوا بدفن النبي صلى الله عليه وآله وبحزنهم عليه فجلسوا في منازلهم ما طمع فيها من طمع!!! (كتاب الردّة للواقدي: ص٤٥) وقال اليعقوبي: وتخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي ابن أبي طالب، منهم العبّاس بن عبد المطّلب، والفضل بن العبّاس، والزبير ابن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي ابن كعب (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٤) وغيرهم. بل يظهر من عبارة بعض أهل السنّة تخلف جمع كثير، قال ابن عبد البر وتخلّف عن بيعته سعد بن عبادة وطائفة من الخزرج وفرقة من قريش... ثمّ ذكر علياً عليه السلام والزبير وطلحة وخالد بن سعيد... (الاستيعاب ج٣: ص٩٣٧). وقال محمّد أبو الفضل محمّد - من أعلام أهل السنّة في القرن الثامن والتاسع -: إنّ علياً عليه السلام كان في غاية الشجاعة ومعه فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وكثير من أكابر الصحابة، حتّى روي عنهم أنّه اجتمع عنده سبعمائة من الأكابر مريدين إمامته... إلى أن قال: أجاب الشيعة: بأنّه وإن كان معه سبعمائة لكن جميع عوام الصحابة مع أبي بكر، وكانوا أكثر من ثلاثين ألفا فأين القدرة...؟! (انظر قاموس البحرين: ص٣٣٧). وروى البخاري ومسلم والذهبي وابن كثير وغيرهم أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبنو هاشم جميعاً لم يبايعوا أبا بكر في حياة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وآله لا نورّث ما تركناه صدقة، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣: ص١٤، والبداية والنهاية لابن كثير

➔

➔

ج٥: ص٣٠٧). فعلى حدّ أصحّ كتب القوم أنّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، لم يبايع هؤلاء لمدّة ستّة أشهر. ومن الواضح أنّ من كان تابعاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كذلك لم يبايعه تبعاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال المقدسي: ولم يبايع علي عليه السلام أبا بكر ما لم يدفن فاطمة عليها السلام، وذكر ابن دأب: أنها (أي فاطمة عليها السلام) ماتت عاتبة على أبي بكر وعمر (انظر البدء والتاريخ ج٥: ص٢٠). وقال المسعودي: لما بويع أبو بكر في يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامّة، خرج علي عليه السلام فقال: «أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقّاً؟!» فقال أبو بكر: بلى، ولكنّي خشيت الفتنة. وكان للمهاجرين والأنصار يوم السقيفة خطب طويل ومجاذبة في الإمامة، وخرج سعد ابن عبادة ولم يبايع، ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتّى ماتت فاطمة عليها السلام (انظر مروج الذهب ج٢: ص٣٠١). وقال اليعقوبي: جاء البراء بن عازب، فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر! فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدّثون حدثاً نغيب عنه، ونحن أولى بمحمّد صلى الله عليه وآله، فقال العبّاس: فعلوها وربّ الكعبة، وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي عليه السلام، فلمّا خرجوا من الدار قام الفضل بن العبّاس، وكان لسان قريش، فقال: يا معشر قريش، إنّه ما حقّت، لكم الخلافة بالتمويه ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم، وقام عتبة بن أبي لهب فقال: ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف * عن هاشم ثمّ منها عن أبي الحسن. عن أوّل الناس إيماناً وسابقة * وأعلم الناس بالقرآن والسنن. وآخر الناس عهداً بالنبي صلى الله عليه وآله، ومن * جبريل عون له في الغسل والكفن. من فيه ما فيهم لا يمترون به * وليس في القوم ما فيه من الحسن (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٤). وروى محب الدين الطبري: وتخلّف... سعد بن عبادة في طائفة من الخزرج وعلي

➔

فإن قال: بهم حصل قهر الروم وفارس وفتحت الشام وغيرها[1]،

➔

بن أبي طالب وأبناه‰ وبنو هاشم والزبير وطلحة وسلمان وعمار وأبو ذر والمقداد وغيرهم من المهاجرين، وخالد بن سعيد بن العاص (الرياض النضرة ج١: ص٢٤١).

ثمّ إنّ اثنا عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة وتقدّمه على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب‰ وهم: خالد بن سعيد ابن العاص، والمقداد بن الأسود، وأبي بن كعب، وعمّار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن مسعود، وبريدة الأسلمي ومن الأنصار: خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيّوب الأنصاري، وأبو الهيثم ابن التيهان (انظر الاحتجاج ج١: ص٩٧). وسنذكر تفصيل الكلام في محلّه إن شاء الله تعالى. وعليه فإنّ الصحيح أن يقال: أنّ من تخلّف عن بيعة أبي بكر هو مشمول للآيتين المذكورتين، لأنّ من تخلف عن بيعة أبي بكر يكون فيه صفات المدح، لا أنّ من شارك خلفاء الجور في إثم غصب الخلافة فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير الباحث الخبير أنّ الفتوحات الإسلاميّة التي جعلها أهل السنّة مفخرة لخلفائهم قد صبّت على المسلمين الويلات، حتّى بها نعت الغربيّون بأنّ الإسلام دين القسوة يعتمد، على السيف أكثر من اعتماده على منطق العقل والعلم والدراية!!

والخبير يعلم أنّ الإسلام دين قامت أسسه على العلم والمنطق والحكمة، وإنّما توسع الإسلام ببركة ثقافة أهل البيت‰ وتشجيعهم الناس على تعلّم والثقيف في جميع شؤون الحياة وعلاقاتهم الوثيقة والوشائج العريقة التي تربط الناس وتزداد المحبّة بينهم ويكثر التآلف وترفع الضغائن، لا القتال والكراهية وسفك الدماء. فإنّ

➔

←

الفتوحات التي كانت في عصر خلفاء الجور إنّما كانت من أجل توسيع رقعة الحكم الغاصب للخلافة القوميّة والقبليّة، لا من أجل توسعة الدين؛ لأنّ توسعة الدين الذي يكون أساسه ثابت على منطق العقل لا تكون بالسيف. وهذا دليل على أنّ الفتوحات كانت منطق أوباش والجهّال، لأنّها كانت ضرراً على الإسلام ووبالاً عليه، وذلك لأمور: الأوّل: لو كانت تلك الفتوحات لله تعالى لكان اتّبعها اهتمام القائمين بها من الحكّام والساسة بإرشاد الناس في تلك البلاد المفتوحة وتعليمهم وتثقيفهم وتربيتهم تربية دينيّة صالحة، بحيث يتحوّل الإسلام في نفوسهم إلى طاقة عقائديّة تشحذ الهمم نحو الفضيلة والتكامل، وتبنّيهم لأحكام الإسلام والدفاع عنها، فلما لم يكن شيء من هذا حاصلاً في تلك البلاد، لأنّ الفتوحات كانت فيها نشوة الفتح والسيرة على رقاب الناس لا بث معارف الدين، فإنّ بث معارف الدين الذي يكون أسسه ثابتة على الفكرة والمنطق والعقل لا يحتاج إلى جرّ السيف. وهنا يعرف أنّ فتوحاتهم لم تكن فتحاً للإسلام، بل فتحاً لرقاب الناس للسلطة الجائرة. فها هو رسول الله ﷺ لم يكن يكتفي من الناس بإظهار الإسلام والتلفّظ بالشهادتين ثمّ ممارستهم السطحيّة لبعض الشعائر والظواهر الإسلاميّة فحسب وإنّما كان يرسل لهم من يعلّمهم ويرشدهم إلى عقائد الإسلام وأحكامه، بخلاف هذه الفتوحات التي تمّت على يد الخلفاء الثلاثة وغيرهم من خلفاء بني أميّة وبني العبّاس، فإن الكثير من البلدان فُتحت ثم عادت إلى الكفر والعصيان. قال الطبري: إنّ سعيد بن العاص صالح أهل جرجان وكانوا يجبون أحياناً مائة ألف ويقولون هذا صلحنا، وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلثمائة ألف وكانوا ربّما أعطوا ذلك وربما منعوه ثمّ امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجاً حتّى أتاهم يزيد بن المهلّب فلم يعازه أحد حين قدمها، فلمّا صالح صول وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على

←

➔

صلح سعيد بن العاص (تاريخ الطبري ج٣: ص٣٢٥). فالتاريخ أكبر شاهد على أنّه كان همّ الخلفاء الفتح العسكري والوصول إلى الحلي والدراهم والجواري بدل جلب النفوس. وقال ابن الأثير: إنّ معاوية بن أبي سفيان عزل معاوية بن حُديج عن أفريقيّة، واستعمل عليها عقبة بن نافع الفهري، وكان مقيماً ببرقة وزويلة مذ فتحها أيام عمرو بن العاص، فلمّا استعمله معاوية سيّر إليه عشرة آلاف فارس، فدخل أفريقيّة وانضاف إليه من أسلم من البربر فكثر جمعه، ووضع السيف في أهل البلاد لأنّهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا وارتدّ من أسلم (الكامل في التاريخ ج٣: ص٤٦٥). وهكذا نجد عدم اهتمام كثير من الصحابة بالإسلام في هذه الفتوحات كعقيدة ثابتة، قال موسى ابن يسار: إنّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أعراباً جفاةً، فجئنا نحن أبناء فارس فلخصنا هذا الدين (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج٤: ص٢٢٧ في ترجمة موسى ابن يسار).

الثاني: أنّ الفتوحات أدّت إلى سياسة التمييز في العطاء، وتفضيل العرب على العجم، والهيمنة والسيطرة التي كانت سائدة بين أواسط الحكّام وأتباعهم، مضافاً إلى وفور النعم إلى الإعجاب بالنفس والغرور مع عدم وجود روادع دينيّة أو وجدانيّة لديهم، فنال الأمّة منهم كلّ مكروه، وأصيب الإسلام على أيديهم في مقاتله. وقد انبهر أصحاب تلك الفتوحات بالمناصب التي كانوا فيها، وأسالت لعابهم الجواري الحسان، وتملك البلدان فشمخ كلّ منهم بأنفه، ونظر في عطفه، وتكبّر وتجبّر، لأنّه لم يتعامل مع الواقع الجديد بعقليّة الرجل المسلم الواعي والهادف، بل بعقليّة الجاهليّة التي تعتبر القبيلة لا الأمّة أساساً، والفرد لا الجماعة ميزاناً ومنطلقاً لتعامله مع الآخرين، فكان جلّ اهتمامهم بتقوية أمرهم وتثبيت سلطانهم، فصاروا يجمعون

➔

➔

الأنصار بالمال وبالإغراء بالمناصب وغير ذلك من سياسات، وليس الترهيب والقمع في كثير من الأحيان إلاّ واحداً منها، واستمرّوا في بسط نفوذهم وسلطانهم على أساس أنّه ملك قبلي. وإذا كان أبو بكر وعمر لا يدري: أخليفة هو أم ملك؟! (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٦٦) فإنّ معاوية بن أبي سفيان كان يعتبر نفسه ملكاً بالفعل، وكذلك كان يعتبره الكثيرون، بل إنّ عمر نفسه قد اعتبر نفسه ملكاً في بعض المناسبات. وقد اعتبر معاوية والأمويّون أنفسهم ملوكاً قيصريّين، وأنّ الدين عندهم مجرّد شعار يخدم هذا المُلك ويقويه، وكلّ ما كان مانعاً من الوصول إلى ما يبتغون كانوا يدمّرونه ويستأصلونه من جذوره (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٤٠). فالمستفيدون الحقيقيّون من تلك الفتوحات هم خصوص هذه الطبقة من المترفين المتجبّرين من أدعياء الإسلام، الذين كانوا يكيدون للإسلام باسمه، فهم أصحاب القرار، لذا قد بلغت الثروات في عهد الخلفاء الثلاثة الأُول أرقاماً خياليّة حسبما أفادت النصوص التاريخيّة، فقد نجد أن عمر بن الخطّاب الذي يقال عنه أنّه من أزهد الناس قد أصدق زوجته أربعين ألف درهم أو دينار، وقيل مائة ألف، كما أنّه أعطى صهراً له قدم عليه من مكّة عشرة آلاف درهم من صلب ماله، وقد ملك أربعة آلاف فرس، إلى غير ذلك ممّا يجده المتتبّع لمسيرة الثلاثة (انظر الفتوحات الإسلاميّة لدحلان ج٢: ص٥٥، والتراتيب الإداريّة ج٢: ص٤٠٥، والبحر الزخار ج٤: ص١٠٠، وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج٢: ص١٩٠، وعدّة رسائل للشيخ المفيد: ص٢٢٧). وعلى كلّ حال، فإنّ الحروب والفتوحات كانت من أجل الغنائم والأموال، وكانت هذه هي الصفة المميّزة لأكثر تلك الفتوحات التي سنبيّن هذه الحقيقة في محلّها، ولذلك أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا لا يرون المصلحة في الاشتراك في هذه الفتوحات أو

➔

➔

الحروب، بل لا يرون نفس تلك الحروب خيراً، فقد روي عن مولانا الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال لعبد الملك بن عمرو: «يا عبد الملك مالي لا أراك تخرج إلى هذه المواضع التي يخرج إليها أهل بلادك؟» قال: قلت: وأين؟ قالعليه السلام: «جدّة وعبادان والمصيصة وقزوين»، فقلت: انتظاراً لأمركم والاقتداء بكم، فقالعليه السلام: «إي والله، لو كان خيراً ما سبقونا إليه»، قال: قلت له: فإن الزيديّة يقولون ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلاّ أنه لا يرى الجهاد، فقالعليه السلام: «أنا لا أراه! بلى والله إنّي لأراه ولكنّني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم» (انظر الكافي ج٥: ص١٩ ح٢). وقال مولانا الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام: «لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم، ولا ينفذ في الفيء أمر الله عزّ وجلّ، فإنّه إن مات في ذلك المكان كان معيناً لعدوّنا في حبس حقّنا والإشاطة بدمائنا وميتته ميتة جاهليّة» (تحف العقول: ١١٤). وهناك روايات أخرى تدلّ على أنّ أهل البيتعليهم السلام كانوا لا يشجّعون شيعتهم للفتوحات، بل وكانوا يمنعونهم من الاشتراك في تلك الحروب، ولا يوافقون حتّى على المرابطة في الثغور أيضاً، ولا يقبلون منهم حتّى ببذل المال في هذا السبيل ولو كان نذراً، وشرّعوا لشيعتهم أنّهم إذا دخلوا في حكومات الجائرين اضطراراً لدفع هجوم العدوّ عليهم أن يدخلوا دفاعاً عن بيضة الإسلام لا عن أولئك الحكّام. نعم عندما أبعدوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن الخلافة واعتزل، فرحت القبائل الطامعة في السلطة، وقرّر تحالفهم بقيادة المتنبئ طليحة فرض شروطهم على أبي بكر واحتلال عاصمة النبيصلى الله عليه وآله، فغزوا المدينة بعشرين ألف مقاتل بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله بستّين يوماً. هنا نهض الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام العمود الفقري في معارك النبيصلى الله عليه وآله وانتصاراته وهو الأسد المجروح دفاعاً عن الإسلام وأهله، وإن كان لا يعترف بنظام الحكم،

➔

قيل له: قد ثبت في الصحيحين وغيرهما أنّ الله ليؤيّد الدين بالرجل الفاجر[1]،

←

فوضع خطة لدفع الهجوم، ورتّبَ حراسة المدينة، وفاجأ المهاجمين فقتل قائدهم "حِبال" وغيره من قادتهم، وردّهم خائبين مذعورين، وتبعهم مع المسلمين إلى معسكرهم في ذي القصّة "أي الجَصة" على بعد عشرين كيلو متراً عن المدينة، وشجّع أبا بكر على حرب المتنبئين، وأوّلهم طليحة في حائل، ثمّ مسيلمة في اليمامة، وهي مدينة الرياض الفعلية؛ وقال عليه السلام يصف تلك الفترة، في رسالته إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم مالك الأشتر: «أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلمّا مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم مُنَحُّوه عني من بعده، فما راعني إلاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب. فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدين وتنهنه» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣: ص١١٨، والغارات للثقفي ج١: ص٣٠٧، والإمامة والسياسة ج١: ص١٣٣، ومصادر أخرى).

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لرجل ممّن يدّعي الإسلام: هذا من أهل النار، فلمّا حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله الذي قلت إنّه من أهل النار

→

➔
فإنّه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات، فقال النبيﷺ: إلى النار، قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل إنّه لم يمت ولكن به جراحاً شديداً، فلمّا كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبيﷺ بذلك فقال: الله أكبر، أشهد أنّي عبد الله ورسوله، ثمّ أمر بلالاً فنادى بالناس أنّه لا يدخل الجنّة الاّ نفس مسلمة، وأنّ الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر (صحيح البخاري ج٤: ص٣٤ كتاب دعاء النبيﷺ، باب إنّ الله يؤيّد الدين بالرجل الفاجر)، ورواه مسلم في صحيحه ج١: ص٧٤ كتاب الإيمان، باب غلط تحريم قتل الإنسان نفسه، أحمد بن حنبل في مسنده ج٢: ص٣٠٩، والدارمي في سننه ج٢: ص٢٤٠، والبيهقي في سننه الكبرى ج٨: ص١٩٧ وغيرهم. هذه الرواية كما ترى قد رواها كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم، ومدلولها واضح، لأنّها بالصراحة تدلّ على أنّ دين الله قد يؤيّد بالرجل الفاجر، وإذا كان الأمر كذلك فالالتزام بمدلول الحديث معناه عدم مانعية الفسق والفجور لأهل الخلافة؛ لأنّ الحديث يدلّ على أنّ الله يؤيد دينه بالرجل الفاجر معناه أنّ الرجل الفاجر يصلح لمقام الخلافة عند أهل السنّة، إذ أنّ الله قد يؤيد دينه به. وفي المقام أنّهم يعتقدون بأنّ فتوحات خلفائهم كانت سبباً لقدرة الإسلام وشوكته في العالم، فالجمع بين الأمرين يقتضي أن يلتزموا بعدم مانعية وقوح الفتوحات بيد الفاجر. وعليه يلزمهم قبول أنّ الفتوحات لو كانت على يد الفجار وكانت سبباً لقدرة الإسلام وشوكته معناه أنّ الله تعالى أيّد دينه بالفجار. فأيّ مانع لهم من قبول أنّ الخلفاء الثلاثة كانوا أهل الفسق والفجور؟!! هذا وقد وقد روى كبار علماء أهل السنّة في كتبهم الروايات الدالة على أنّ الخلفاء الثلاثة كانوا أهل البدعة، وقد صدر منهم المخالفات الكثيرة للشريعة المقدسة، ويستنتج من ذلك أنّهم كانوا أهل الفسق
➔

➔

والفجور، بل كانوا أهل البدعة والضلالة، فلا بدّ من قبولهم عدم مانعيّة وقوع الفتوحات الإسلاميّة على يد أهل الفسق والفجور والضلال.

وثانياً: نسأل علماء أهل السنّة هل أنّ هذه الرواية التي رواها البخاري في صحيحه تكون مقبولة عند علماء أهل السنّة أم لا؟ وإذا كانت مقبوله عندهم سنداً ومتناً معناه أنّ الله أيّد دينه بيد أهل الفجور، ولم يؤيّد دينه برسولهﷺحيث أنّ الإسلام تمكّن من القدرة والشوكة في عصر الخلفاء الثلاثة ما لم يتمكّن بذلك رسول اللهﷺ وهل يلتزمون علماء أهل السنّة بهذا اللازم؟!! وكان الإسلام كان مرهوباً في عهد رسول اللهﷺ ومرغوب في عهد الخلفاء الثلاثة!!!

وثالثاً: أنّ أخذ معنى التأييد بالمشروعيّة تدليس واضح، لأنّ معنى التأييد كما في قاموس اللغة العربيّة هو المساندة لا المشروعيّة، فما ذكره علماء أهل السنّة من معنى المشروعيّة باطل واضح؛ لأنّه لو كان معنى هذه العبارة: "إنّ الله ليؤيد دينه بالرجل الفاجر"، أي: إنّ الله يعطي المشروعيّة للدين بالرجل الفاسق (والعياذ بالله) معناه أنّ انتشار الدين يكون بواسطة الرجل الفاجر لا الرسولﷺ (والعياذ بالله)، وعليه فما ذكره علماء أهل السنّة من أنّ الفتوحات الإسلاميّة كانت على يد أبي بكر وعمر وعثمان وشوكة الدين كانت بجهاد المبايعين لهم كلام باطل، لأنّ التأييد ليس بمعنى المشروعيّة. وبعبارة أوضح أنّه بعد قبول صحّة حديث "إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"، وقبول معناه حسب ما ذكره علماء أهل السنّة من المشروعيّة، يجب عليهم الالتزام بلوازمه، والالتزام بلوازم الحديث يلزم القول بأنّ الفتوحات، سبب قوّة الإسلام لا معالم الدين. ومع ضميمة حديث البخاري إلى ذلك من قوله: "إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" مستلزم لقبول أنّ الفتوحات كانت على يد الرجل الفاجر فمع قبول هذه اللوازم لابدّ لهم من الالتزام بأنّ

➔

فنفس قهرهم للكفرة ليس بدليل على كونهم قاصدين وجه الله سبحانه في ذلك[(١)]،

➔

خلفائهم كانوا أهل الجور كما هو واضح ظاهر.

(١) وبعبارة أوضح أنّ غلبة حكومة خلفاء الثلاثة على الكفرة وفتوحاتهم لم تكن مستلزمة لحسن حالهم ومن تبعهم، بل الفتوحات كانت وسيلة لانتشار بدعهم في الدين وما ظهر منهم من الفساد على وجه الأرض، حيث أنّ كلّ ما فعله الخلفاء كانت مترتّبة على عدم شرعيّة خلافتهم، كما يدلّ على ذلك اعترافاتهم بأحقيّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بالخلافة، فقد أخرج ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان بسنده عن أبي أسود الدؤلي قال: سمعت أبا بكر يقول: أيّها الناس عليكم بعلي بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي» (لسان الميزان ج٦: ص٧٨ في ترجمة عبدالله بن صالح العجلي). وأخرج المتّقي الهندي في كنز العمّال بسنده عن المأمون العبّاسي عن الرشيد العبّاسي عن المهديّ العبّاسي عن المنصور العبّاسي عن عبد الله بن عبّاس قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كفوا عن ذكر علي ابن أبي طالب، فقد رأيت من رسول اللهصلى الله عليه وآله فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهن في آل الخطّاب أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله فانتهيت إلى باب أمّ سلمة وعليّ قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقال: «يخرج إليكم»، فخرج رسول اللهصلى الله عليه وآله فسرنا إليه، فاتّكأ على علي بن أبي طالب ثمّ ضرب بيده منكبه ثمّ قال: «إنّك مخاصم تخاصم، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيّام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي وغاسلي

➔

➔

ودافني، والمتقدّم إلى كلّ شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً وأنت تتقدّمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي»، ثمّ قال ابن عبّاس من نفسه: ولقد فاز عليّ بصهر رسول الله صلى الله عليه وآله وبسطة في العشيرة وبذلاً للماعون وعلماً بالتنزيل وفقهاً للتأويل ونيلاً للأقران (كنز العمّال ج١٣: ص١١٦). وأخرج ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق بسنده عن المأمون قال: سمعت الرشيد يقول: سمعت المهديّ يقول: سمعت المنصور يقول: سمعت أبي يقول: سمعت جدّي يقول: سمعت ابن عبّاس يقول: رجع عثمان إلى علي فسأله المصير إليه، فصار إليه فجعل يحدّ النظر إليه فقال له علي: «مالك يا عثمان؟ مالك تحدّ النظر إليّ؟» قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «النظر إلى علي عبادة» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٥٠). وأخرج أيضاً بسنده عن يحيى عن يعلى بن عبيد الحنفي قال: حدّثني أبي قال: جاء أبو مسلم الخولاني وأناس معه إلى معاوية فقالوا له: أنت تنازع علياً أم أنت مثله، فقال معاوية: لا والله إنّي لأعلم أنّ علياً أفضل منّي وأنّه لأحقّ بالأمر منّي، ولكن ألستم تعلمون أنّ عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمّه وإنّما أطلب بدم عثمان؟ فائتوه فقولوا له فليدفع إليّ قتلة عثمان وأسلم له. فأتوا علياً فكلّموه بذلك فلم يدفعهم إليه (تاريخ مدينة دمشق ج٥٩: ص١٢٢). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة في المقام، فإذا كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أحقّ بالخلافة منهم متصرفهم بلا إذن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غير مشروع، فتكون الفتوحات بدون إذن الإمام عليه السلام غير مشروعة. وإذا كان عملهم غير مشروع فيكون فسق وفجور، وإذ ثبت أنّ عملهم من الفسق والفجور فينطبق عليهم مدلول الحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله: أنّ الله قد يؤيّد دينه بالرجل الفاجر. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ فتوحاتهم لم تكن مفخرة لخلفائهم، بل إنّها من النقمات

🡐

بل المعيار في قصدهم وجهه في ذلك ثبوت جريهم على الحقّ[١]،

➔

التي ابتلى بها الإسلام والمسلمين فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: أنّ المعيار والميزان القرآني في مدح الصحابة جريهم وهدايتهم نحو الحقّ. ومن الواضح أنّ للحقّ والعدل ملاك معين في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة. وملاك الذي أعطانا القرآن لمعرفة الحقّ من الباطل، هو أنّ كل ما كان فيه الصبغة الإلهيّة فهو حقّ، لأنّ الله هو الحقّ المطلق الذي لا يدخله باطل قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ (سورة الحجّ:٦٢). فالقرآن الكريم يصف وجود الله سبحانه بالحقّ المطلق وغيره بالباطل، لأنّ معايير الحقّ والباطل تختلف بين الأفراد، فقد يكون فريقاً من الناس مستغرقين في الباطل ولكن يعتقدون أنّهم الحقّ، واختلاط الحقّ بالباطل على مدى تاريخ المسلمين كان أمراً عادياً، وقد أورث الأمّة الكثير من المواجهات والحروب والانقسامات، فتاه المسلمون وضاعوا وغرقوا في مستنقعات الضلالة والجهالة وذلك من أجل اختلاط الحقّ بالباطل؛ والله تعالى ينهى عباده عن اختلاط الحقّ بالباطل وكتمان الحقّ فيقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة البقرة:٤٢). فخلط الحقّ بالباطل جريمة ليس فوقها جريمة، كما أنّ كتمان الحقّ بالباطل ذنب وجريمة، والآية تقول لهم: قولوا الحقّ ولو على أنفسكم، ولا تشوّهوا وجه الحقيقة بخلطها بالباطل وإن تعرّض مصالحكم الآنية للخطر.

ومن خلال الآية الكريمة وقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾، يعرف أنّ كلّ ما كان مبيناً على حاكميّة الله وانتهاء الأمر إليه، أي انتهاء جميع الأمور إلى تدبير الله وربوبيّته فهو الحقّ، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ إِلَى**

➔

➔

رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (سورة النجم:٤٢). فهذا هو المعيار الأساسي في جميع أفعال الإنسان، ومن تلك الأفعال الحاكميّة والقدرة في النظام السياسي والنظام الاجتماعي، فإذا كانت الحاكميّة مبنيّة على حاكمية الله وحاكمية الرسولﷺ فهو الحقّ. ومن الواضح أنّ الحاكميّة الإلهيّة إنّما تكون بشرط قبول الولاية الإلهيّة، والولاية الإلهيّة بمعنى السلطة المقيّدة بالشرع الإلهي، فالحاكمية الإلهيّة إنّما تكون بالسلطة الإلهيّة التي بيّنها القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ *وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٥-٥٦). وهذه الآية الكريمة حصرت الولاية الشرعيّة في ولاية الله تعالى وولاية رسولهﷺ وولاية المعصومين عليهم السلام الذين أعطاهم الله منصب الولاية كما أعطى لرسولهﷺ. والآية الكريمة بدأت بكلمة إنّما التي تفيد الحصر، وبذلك حصرت الولاية الإلهية في الثلاث وهم: الله ورسولهﷺ ومن أعطى الزكاة للفقير في حال الركوع. وقد اتّفقت الروايات من الفريقين على أنّ الآية نزلت في شأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فبمقتضى الآية الكريمة أنّ الولاية والحاكميّة منحصرة في الله ورسولهﷺ والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي عيّنه الله ورسولهﷺ، ومقتضى الحصر نفي ولاية غيرهم. فمن الواضح أنّ الولاية الشرعية بعد وفاة الرسول الأعظمﷺ بمقتضى هذه الآية الكريمة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

ثمّ إنّ من له الولاية الشرعيّة لا بدّ أن يكون معصوماً كما الرسولﷺ يكون معصوماً بالجماع وذلك بمقتضى ظاهر العطف في الآية الكريمة. وقد ثبت بإجماع الكلّ أنّ الخلفاء الثلاثة لم يكونوا معصومين. وعليه حيث أنّ الفتوحات لم تكن مبنيّة على

🡐

➔

ولاية المعصوم ولا بإذنه فلا محالة تكون مبنيّة على الباطل، لأنّ الفتوحات وإن كانت بحسب الظاهر فتحاً إلاّ أنّه قد يكون في واقع الأمر ضرراً وخسراً للإسلام والمسلمين. والمعصوم هو الذي يعرف حقيقة الأمور وواقعها. وعليه فإنّ الفتوحات التي كانت مبنيّة على غير ولاية شرعية تكون نتيجتها الباطل. والقرآن قد ضمن لمن اتّبع الحقّ أن تكون له السعادة والنجاة، فقال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ (سورة يونس:٣٥). وإلى هذه الحقيقة أشار مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عند ما سأله ابن عبّاس عن قيمة النعل، فقال عبد الله بن عبّاس: دخلت على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: «ما قيمة هذه النَعل؟» فقلت: لا قيمة لها، فقالعليه السلام: «والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم إلاّ أن أقيم حقّاً، أو أدفع باطلاً» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص١٨٥). فالإمامعليه السلام بهذه الكلمات المضيئة يرسم لنا النهج الصحيح والطريق الذي ينبغي على المؤمن الرسالي سلوكه في الحياة الدنيا، ففي الوقت الذي يسعى فيه الكثيرون للوصول إلى أعلى المقامات في الدنيا والنيل من زخارفها ومباهجها، ولا يبالون في الوصول إلى هذه الأهداف حتّى ولو كانت على دماء الأبرياء ونهب الأموال وهتك الأعراض. فبيّن إمامعليه السلام أنّه لا يساوي شيء في مقابل إقامة الحقّ ودفع الباطل. ومن الواضح تحمّل هذه المسؤوليّة الكبرى وهي الوقوف إلى جانب الحقّ في مواجهة الباطل، يحتاج إلى تشخيص الحقّ من الباطل، والمعصوم هو الذي يبيّن للناس الحقّ والباطل، ولا بدّ للناس من اتّباع المعصوم، ولا يجوز لأيّ كان التذرع بأيّ حجّة لعدم نصرة الحقّ.

ومع الأسف الشديد أنّه قد انقلبت المعايير والموازين عند أهل السنّة في اتّباع الحقّ

➔

➔

ونصرته بعد تأسيس السقيفة، فتحوّلت إلى الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وذلك لأنّ الحكام غيّروا مكان الحقّ بالباطل، وغيّروا اتّباع الحقّ باتّباع الهوى فكانت مهمتهم اتّباع الهوى. ولذلك قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنّ أخوف ما أخافُ عليكم اثنان: اتّباع الهوى وطول الأمل، فأمّا اتّباع الهوى فيصُدّ عن الحقّ» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٢٨). وأيضاً قال عليه السلام: «وخَلّق فينا راية الحقّ، من تقدّمها مرق، ومن تخلّف عنها زهق، ومن لزمها لحقّ» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٠٠). وبهذا نصل إلى النتيجة البيّنة الواضحة وهي أن معرفة الحقّ يبدأ من اتّباع القرآن الكريم، مروراً بالاقتداء براية النبي صلى الله عليه وآله، وصولاً إلى التمسّك بالثقلين بنهج القرآن وولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فالإسلام العظيم الذي هدم أركان الجاهليّة ومبادئها ورفض كلّ المعايير الباطلة بشكل عام وبيّن أنّ اتّباع الحقّ مرهون باتّباع ما أمر الله، لأنّه هو الحقّ وأنّ غيره الباطل. فالعمل بما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وأوليائه المعصومين عليهم السلام أكمل مصداق اتّباع الحقّ، ولذلك يقول تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾ (سورة الحاقة: ٤٤-٤٦). وقال تعالى وعن عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿**قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**﴾ (سورة المائدة:١١٦). فالحقّ هو أساس نهج جميع الأنبياء عليهم السلام والأولياء، وهم مربوطون به، ومن القواعد التي أسّس لها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المعيار والميزان لمعرفة الحقّ وكيفيّة التعرّف عليه هو كونه غير مرتبط بأشخاص، وأنّ الحقّ والباطل لا يُعرفان بالرجال، كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اعرف الحقّ تعرف أهله» (انظر تفسير السمعاني ج١: ص٧٢، وأنساب الأشراف للبلاذري ج٢: ص٢٣٩). فالحقّ أرفع من الأشخاص مهما كان تاريخهم،

🡐

وقد عرفت تأسّس إمامتهم على الباطل فرياستهم باطلة ليست مرضيّة لله سبحانه[1]، فيلزم من ذلك طلبهم فيها للدنيا دون وجه الله سبحانه،

➔

والصواب هو معرفة الحقّ والباطل، وعلى أساسهما يُقاس الناس، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ حادثة السقيفة وما جرى فيها من التنازع كانت أساس الفتنة التي عمّت بين المسلمين، وكانت سبباً لسفك الدماء الأبرياء وهتك الأعراض ونهب أموال المسلمين ، لأنّ الخبير يعلم أنّ ما جرى في السقيفة لأخذ البيعة لأبي بكر كانت في أجواء الفوضى، وكانت انقلاباً عظيماً ضدّ النبيصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وأهل بيتهعَلَيْهِمُالسَّلَامُ وأهدافهم التابعة للرسالة السماوية. وقد أسّست أهل السقيفة بنائها على مخالفة المعايير الإسلاميّة في القرآن الكريم والسنن النبويّة وتبديلها بالسنن الجاهليّة. فالباحث عندما يراجع إلى أحداث السقيفة يجد أنّ هداف الجماعة التي اجتمعت في السقيفة كانت لتدبير الرئيس للدولة الإسلاميّة، مع أنّهم بايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ بالخلافة والولاية يوم غدير خم. ومع ذلك فقد اجتمع أبو بكر وعمر ومعهما عدّة من طلقاء قريش ومن لحقهم من أوباش قريش ممّن كانوا معروفين بأهل الفتنة. فأتوا إلى السقيفة، فانقسم الناس فيها إلى فريقين: الحزب القرشي أو المهاجرين، والطرف المقابل الأنصار، فتنازعوا في أمر الخلافة وكلّ من الفريقين كان يدّعي بأنّه الأحقّ بهذا المقام. فالتجأ الحزبين إلى أُسلوب الجدال، فقال الأنصار: نحن أنصار رسول اللهصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وأصحابه، واحتجّ عليهم المهاجرون وعلى رأسهم أبو بكر وعمر بأنّ صحبة رسول اللهصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وحدها لا تكفي، ولا بدّ من شرط القرابة أيضاً. فقال عمر: والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوّة فيهم وولي أُمورهم منهم، ونحن أولياؤه وعشيرته. واستند أبو بكر أيضاً في ذلك المقام إلى

➔

➔

قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله لإثبات أهليّته للخلافة فقال: فهم أوّل من آمن بالله برسول الله صلى الله عليه وآله، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلاّ ظالم (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٢٢٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص١٣، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص٢٤).

وبعد أن استتب الأمر لأبي بكر بجهود عمر رغم أنوف المعارضين، سأل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من بعض مَن حضر السقيفة عن ماهيّة استدلال الجانبين، واحتجاجهم على الآخر، فقالوا: احتجّت القريش بأنّها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «احتجّوا بالشجرة، وأضاعوا الثمرة» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص١٨٥). وقال الشريف الرضي رحمه الله في خصائص الأئمّة: ويشتمل كلام الإمام عليه السلام على مضمون عندما قالوا للإمام عليه السلام استدلّ المهاجرون بالقرابة، فقال الإمام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ضمن أبيات من الشعر أنّ استدلالهم بالأقربيّة يرجع عليهم، فقال عليه السلام: «وإن كنتَ بالقُربى حججت خصيمهم * فغيرك أولى بالنبيّ وأقربُ» (خصائص الأئمة للشريف الرضي: ص١١١). قال ابن أبي الحديد: إذا كانت الصحبة شرطاً في الخلافة، فلماذا لا تُضاف إليها القرابة مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ بمعنى أنّ صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله إذا اجتمع معها عنصر القرابة منه، يكون من تجتمعان فيه أولى بالخلافة من غيره، وعند تسليطه الأضواء على واقعة السقيفة، قالت قريش: منّا أمير، وقالت الأنصار: منّا أمير، فقالت قريش: منّا محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن أحقّ بذلك الأمر فعرفَت ذلك الأنصار، فسلّمت لهم الولاية والسلطان. فإذا استحقّوها بمحمّد صلى الله عليه وآله دون الأنصار، فإنّ أولى الناس بمحمّد صلى الله عليه وآله أحقّ بها منهم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٥: ص٧٨).

🡐

➔

وخلاصة الكلام أنّ الإمامة على مبنى القرآن والسنّة النبوية منصب إلهي يتحقّق بالنصّ ولا يستقي مشروعيّته من الشعب وباختيار الناس ولا بالشورى؛ لأنّ الإمام حجّة الله على عباده بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس لأحد أن يدّعيها لنفسه أو يجعلها لغيره، وإن أجمعت عليه الأمّة على شخص، فإنّ اجتماعهم عليه خطأ كما أنّ القرآن والسنّة النبويّة يدلاّن على ذلك، لأنّ الإمامة في منهج القرآن هي الإمامة التي تكون مستقرّة على أمر الله عزّ وجلّ كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ (سورة السجدة:٢٤). ولو كانت مشروعة بالشورى لما كان بالجعل الإلهي، لما نسبها الله تعالى لنفسه في الآية، ولما قال تعالى يهدون بأمرنا، وسنذكر تفصيل الكلام في محلّه إن شاء الله تعالى. كما أنّ النصوص المتواترة من السنّة النبويّة تدلّ على ذلك، فإنّ الروايات الدالّة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته وعصمته كثيرة في كتبهم، منها: حديث الغدير، ومنها: حديث الثقلين، ومنها: حديث السفينة، ومنها: حديث الراية، ومنها: حديث المؤاخاة وإلى غير ذلك من الأحاديث المتواترة لدى الفريقين، فإنّها تدلّ بالصراحة على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالنصّ الجلي. فالإمامة كالنبوّة لا تكون إلاّ بالنصّ من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله أو لسان الإمام المنصوب بالنصّ إذا أراد أن ينصّ على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوّة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكّموا فيمنّ يعينه الله هادياً ومرشداً لعامّة البشر، كما ليس لهم حقّ تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه. وأمّا غيره فهو على خلاف ما أمر الله ومن كان يعتقد بإمامة لم تكن إمامته بأمر الله فيكون اعتقاده إعتقاد أهل الضلال، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ**﴾ (سورة القصص:٤١). فقد بيّن القرآن الكريم

🡐

فتأمّرهم على الناس ومتابعة الجمهور لهم محرّم ويستحيل صيرورة ما حرّمه الله مقصوداً به وجهه بل هو للشيطان(١).

➔

ماهيّة أئمة الضلال، وذلك يعرف من خلال عدم كون إمامتهم بأمر الله، فهم اتّخذوا طريقاً يؤدّي بهم إلى الضلال وينتهي بهم إلى أن يكونوا أئمة الضالّين، فهذه حالهم في يوم القيامة فلاحظ.

(١) وخلاصة الكلام أنّ غصب الخلافة جريمة ليس فوقها جريمة في الإسلام، وبعد ذلك لا معنى للقول بأنّ فتوحات التي تُنسب إلى الغاصبين للخلافة كانت مفخرة للإسلام، فما معنى الفتوحات وغيرها من أفعال خلفاء الجور بعد ثبوت أنّهم غصبوا الخلافة للنيل إلى حطام الدنيا وطلب الرئاسة فيها والسعي إلى التكاثر والتفاخر في الأموال والسطة الظاهرية. فإنّ الأدلّة والمصادر المتّفقة عليها بين الفريقين تدلّ على أنّ غصب الخلافة كانت سبباً لإرجاع الناس إلى الجاهليّة الأولى وعصر أسلافهم، إذ بغصب الخلافة قدموا كلّ فاجر على أولياء الله. فقد روى الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد: أنّه لمّا تمّ لأبي بكر ما تمّ، وبايعه من بايع، جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسوي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسحاة في يده، فقال له: إنّ القوم قد بايعوا أبا بكر، ووقعت الخذلة في الأنصار لاختلافهم، وبدرَ الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر. فوضع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طرف المسحاة في الأرض ويده عليها ثمّ قال: ﴿**بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ (الإرشاد ج١: ص١٩٠). وهذا الامتحان الذي وقع فيه الأمّة وصار سبباً لضلالتها، وكان أساس ضلالتهم حبّ الدنيا والتعلّق بها وفي نهاية الأمر

➔

➔

نهاية الأمر أنّهم خرجوا من طاعة الله ودخلوا في طاعة الشيطان. وقد حذرهم القرآن الكريم من عبادة الشيطان فقال تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ (سورة يس:٦٠). تشير هذه الآية الكريمة إلى أحد علامات المفسدين الذين لا يوجد أمل في إصلاحهم، لأنّهم نسوا الله وعصوه، وخلت نفوسهم من كلّ عاطفة إنسانيّة حتّى تجاه أرحامهم، هؤلاء لا يتحرّكون إلاّ على خط مصالحهم وأهدافهم الدنيّة، ولا يهمّهم على هذا الطريق أن يعثوا في الأرض فساداً، ويرتكبوا كلّ لون من الانحراف في سبيل الوصول إلى أهدافهم السيّئة. وتؤكّد الآية أنّ الإنسان مهما أن يصل إلى الرذائل في هدفه؛ فإنّ الشيطان عدوّ له، وكلمة "مبين" في الآية إشارة إلى أنّ هذه العداء قابل للدرك للإنسان بالفطرة، لأنّ القوى الفطريّة التي يعبّر عنها القرآن بالعهد الإلهي، وهو في الحقيقة عهد تكويني لا تشريعي أو قانوني واضح وظاهر. فالآية تشير إلى فطرة التوحيد والعبوديّة والميل إلى الاتّجاه نحو التكامل في النفس الإنسانيّة. وقد قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدّوهم ميثاق فطرته» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١). وبتعبير آخر: كلّ موهبة يمنحها الله للإنسان يصحبها عهد طبيعي بين الله والإنسان، فمثلاً موهبة العين يصحبها عهد يفرض على الإنسان أن يرى الحقائق كما يرى الأجسام، وموهبة الأذن تنطوي على عهد مدون في ذات الخلقة يفرض الاستماع إلى نداء الحقّ كما يستمع إلى الأصوات. وبهذا يكون الإنسان الطاغي ناقضاً للعهد في كلّ حال، لأنّه ينقض العهد مع ما له من الرادع، فمتى ما غفل عن استثمار القوىّ الفطريّة المودعة في نفسه، أو استخدم الطاقات الموهبة له في مسير الانحراف فيصبح من عبدة الشيطان. فالفاسقون ينقضون هذه العهود الفطريّة الإلهيّة، وهذا معنى قولهصلى الله عليه وآله:

🡐

➔

«حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة» (الكافي للكليني ج٢: ص١٣١، والجامع الصغير للسيوطي ج١: ص٥٦٦). أو قوله صلى الله عليه وآله: «أكبر الكبائر حبّ الدنيا» (ميزان الحكمة ج٢: ص٨٩٦ ، والجامع الصغير ج١: ص٢٠٤). أو قوله صلى الله عليه وآله: «حبّ الدنيا أصل كلّ معصية وأوّل كلّ ذنب» (ميزان الحكمة ج٢: ص٨٩٦). أو ما قاله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «حبّ الدنيا رأس الفتن وأصل المحن» (مستدرك الوسائل ج١٢: ص٤١). أو قوله عليه السلام: «رأس الآفات الوله بالدنيا» (مستدرك الوسائل ج١٢: ص٤١). أو قوله عليه السلام: «إنّ الدنيا لمفسدة الدين ومسلبة اليقين، وإنّها لرأس الفتن ذنب» (ميزان الحكمة ج٢: ص٨٩٦). أو ما قاله الإمام الصادق عليه السلام: «رأس كلّ خطيئة حبّ الدنيا» (الكافي ج٢: ص٣١٥). وشرح الحديث أنّ المراد من حبّ الدنيا هنا هو الرغبة المفرطة فيها بما هو خارج عن الاصول والموازين، وفي الاشارة إلى هذا المعنى وردت تعابير كثيرة في الروايات إذا أردنا أن نذكرها لطال بنا المقام، فنكتفي بما أشار إليه الحديث النبوي صلى الله عليه وآله إلى الآثار النفسية لحبّ الدنيا، فهي ثلاثة ابتلاءات ، وهي:

١- شغل فكري دائم، وإثر هذا الاشتغال يشعر الانسان بعناء وتعب دائم لا يزول عنه. وقد ورد قريب من هذا المعنى على لسان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: «مَن لهج قلبه بحبّ الدنيا التاط قلبه منها بثلاث...» (بحار الأنوار ج٧٠: ص١٣٠).

٢- الفقر الدائم، فالفقر المعنوي فقر لا غنى معه، وفقير كهذا يشعر بالفقر دائماً مهما اكتسب من زاد الدنيا وذلك لأنّ الغنى أمر غير خارج عن وجود الإنسان بل في ذات وجوده، والمحبّ للدنيا يشعر تجاه المادّيات بضمأ دائم لا يرويه أي شيء.

٣- أمل لا يُنال منتهاه، فلا ترفع الآمال يدها من هكذا إنسان، وكلّما تحقّق أمل حلّ

🡐

➔

محلّه أمل آخر، بحيث تبدو الآمال دون نهاية. والإنسان من هذا القبيل لا يشعر بالراحة والهدوء أبداً، وتشغل الدنيا فكره حتّى في الصلاة وعند الطعام، بحيث لا يعلم ما صلّى وما أكل. نذكّر هنا بالنقاط التالية:

الف: يعتني الناس بأمور لا أهميّة لها في الواقع، وذلك لأنّ المهمّ للانسان أن يشعر بالراحة والطمأنينة في الحياة، ورغم أنّ الحياة تحسّنت اليوم، لكن الاستطلاعات تكشف عن تزايد الأمراض الروحية والنفسية، وبعبارة أخرى: انعدمت المشاكل التي كان يعاني منها الانسان في العهود الماضية، فأصبح السفر - مثلاً - لا يستغرق وقتاً طويلاً بعد ما كان يقال فيه: السفر قطعة من السَقر، لكن المشاكل النفسية في تزايد مستمر وذلك لكثرة الاضطرابات النفسيّة والفكريّة للإنسان، ونسأل هنا: لماذا ازدادت الاضطرابات الفكريّة والقلق عند الانسان؟ ذكر عاملان مهمّان لهذه الظاهرة، الأوّل: انعدام الإيمان، الثاني: حبّ الدنيا.

وقد يستولي حبّ الدنيا على الإنسان في أفضل مراكز العبادة، ولهذا ورد: آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حبّ الجاه. فمعنى قولهﷺحب الدنيا رأس كل خطيئة. أي: أنّ حبّ الدنيا منشأ جميع الذنوب، وكما قال القرآن: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ (سورة آل عمران:١٤). فالنساء والبنين والذهب والفضّة وما شابهها زينة الحياة الدنيا، ولكن قد تكون سبباً ومنشاءً للضلالة. وفي الآية بُني الفعل للمجهول لكي يتجوّل ذهن القارئ إلى كلّ شيء وكلّ مكان، بحيث يتردّد في كلّ زينة ويفكّر ما إذا كان التزيين فيها من الشهوات والشياطين أم لا؟ وبعبارة مختصرة: إنّها اختبارات الله تعالى في الدنيا. فإنّ هذا التزيين المتوفّر في كلّ مكان لا يسمح للإنسان

🡐

وثالث عشرها: ما زعمه من كون الرفضة الحادثين في زمن الفتنة[(١)]

➔

بالحركة والتجوّل، إلاّ أن يختار يشاء ولو كان على خلاف مصلحته، ولهذا ترك الاسلام وصاياه لكلِّ مكان لكي تكون سداً مانعاً أمام الشهوات والرغبات الدنيويّة غير المنتهيّة. ولما كان جميع أفعال خلفاء الجور لطلب الدنيا والرئاسة، فما تتوقّع ممّن يتبعهم في أفعالهم التي كانت ترتكب كلّ جريمة وكلّ لون من الفساد والانحراف، فهم كانوا يستحلون الحرام، بل أنّ كلّ ما حرّمه الله كان عندهم مقصوداً بفعله، وكلّ ذلك يرجع إلى حبّ الدنيا والجاه والانحراف عن عبادة الله والدخول في عبادة الشيطان، فلاحظ.

(١) الظاهر أنّ مقصوده بزمن الفتنة أيام حكومة عثمان وما جرى فيها من الفساد حتّى انتهت إلى قتله بعد الثورة عليه. ولكن ما زعمه ابن تيميّة في المقام من أنّ الشيعة حدثت في أيام الفتنة باطل، لأنّ الباحث في الأخبار والروايات يعلم أنّ بذرة التشيّع وضعت مع بذرة الإسلام، جنباً إلى جنب، وسواء بسواء، من يوم حديث الدار، ودعوة النبيصلى الله عليه وآله عشيرته لغرض إعلان رسالته، ودعوتهم إلى بيعتهصلى الله عليه وآله ومؤازرته، فكان أوّل من أعلن استجابته للنبيصلى الله عليه وآله: هو الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام. وقد ذكر المفسّرون والمؤرّخون ومنهم الطبري في تأريخه وتفسيره معاً أنّه لمّا نزلت قوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ (سورة الشعراء:٢١٤)، دعا رسول اللهصلى الله عليه وآله رجال عشيرته، ودعاهم إلى الإسلام، وأمر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أن يصنع لهم الطعام، فلمّا تناولوا تكلّم رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: «يا بني عبد المطّلب، إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي

←

➔

وخليفتي فيكم؟» فقال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه»، فأخذ برقبتي ثمّ قال: «إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا له...» (تاريخ الطبري ج٢: ص٢٢١). فجميع الناس عرفت أنّ الشيعة وضع حجر أساسه من يوم حديث الدار، وقد أعطى النبيصلى الله عليه وآله اسم الشيعة لقباً لأتباع مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وذلك عندما نزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّة**﴾ (سورة البيّنة:٧)، فقال النبيصلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «يا علي أنت وشيعتك خير البرية» (تفسير الطبري ج٢٠: ص٣٣٥). وفي حديث قالصلى الله عليه وآله: «هم أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا اجتمعت الأمم للحساب تدعون غرّاء محجّلين» (شواهد التنزيل ج٢: ص٤٥٩). وفي حديث قالصلى الله عليه وآله: للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين» (الدرّ المنثور ج٦: ص٣٧٩). وقال: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبيصلى الله عليه وآله، فأقبل علي، فقال النبيصلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّة**﴾ فكان أصحاب النبيصلى الله عليه وآله إذا أقبل علي قالوا: "جاء خير البرية" (الدرّ المنثور ج٦: ص٣٧٩). وأخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبيصلى الله عليه وآله فأقبل علي بن أبي طالب فقال النبيصلى الله عليه وآله: «قد أتاكم أخي»، ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثمّ قال: «والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ثمّ قال: «إنّه أوّلكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية»، قال ونزلت: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**

🡐

➔

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال: فكان أصحاب محمّدﷺ إذا أقبل علي قالوا: "قد جاء خير البريّة" (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٧١). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المصادر الإسلاميّة. ولا يخفى أنّ المقصود بالفائزون أي: هم المطيعون لله ولرسولهﷺ حقّاً لما قال تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ (سورة النور:٥٢). فقد وصفت هذه الآية المطيعون والمتّقون بالفائزين، وأطبقت هذه الصفات في الرواية على شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. فمعنى قولهﷺ للإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام: أنت وشيعتك هم الفائزون، أي: أنّكم مطيعون لله ورسولهﷺ حقّاً. فالصحابة وجميع الناس كانوا يعرفون أنّ أتباع الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام والموالون لأهل البيتعليهم السلام منذ عهد رسول اللهﷺ وبعده، ويسمّونهم بشيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ولذلك كان الصحابة يلقبون سلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار بشيعة عليعليه السلام كما ذكره: أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني من علماء أوائل القرن الثالث من الهجرة في كتابه الزينة ما هذا نص عبارته: إنّ لفظ الشيعة ظهرعلى عهد رسول اللهﷺ، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة سلمان وأبي ذرّ والمقداد وعمّار إلى أوّل صفّين فاشتهر بين موالي عليعليه السلام (انظر المجلّد الثالث من كتاب الزينة: المخطوط). إذن أنّ لقب التشيّع كان ينسب إلى من يوالي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من عهد رسول اللهﷺ، وذلك للنصوص والروايات الواردة في كتب الفريقين. ثمّ نمت هذه البذرة حتّى كان الموالون لأهل البيتعليهم السلام يسمّون بهذا الاسم واللقب، وكثير من الصحابة والتابعين كانوا يعرفون هذه الحقيقة، وهناك روايات كثيرة في فضل الشيعة رواها علماء الشيعة وأهل

➔

خارجين عنها لعدم كونهم من الصحابة المخاطبين بها ولعدم حصول تمكين لهم[1]

→

السنّة عن النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعن أئمة أهل البيتعليهم السلام، وسنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه. وعليه كيف جاز لابن تيميّة أن يكذّب على الشيعة ويفترى على ورسولهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وينكر هذه النصوص والروايات والوثائق التاريخيّة ويقول: بأنّ الشيعة حدثت بعد وفاة النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟!!!

(١) وبعبارة أوضح أنّه قد زعم ابن تيميّة بأنّ قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (سورة النور:٥٥) لا يشمل الشيعة، لأنّ الشيعة على حدّ زعمه حدثت بعد قتل عثمان؛ حيث يدّعي أنّ الناس بعد قتل عثمان بايعوا مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فعلى حدّ زعمه أنّ الشيعة لا تكون مخاطباً للآية. ولكن بطلان ما زعمه أوضح من أن يخفى على أحد؛ أوّلاً: أنّ النصوص والروايات المتّفق عليها تدلّ بالصراحة على أنّ تاريخ الشيعة بدء من عصر النبي الأكرمصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ منذ صدر الأوّل، فكان التشيّع لا ينفصل عن الإسلام أبداً، بل كان دائماً إلى جنب الإسلام كما ورد في الروايات الكثيرة الثي تقدمت الإشارة إليها وسنذكرها إن شاء الله من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

وثانياً: أنّ المقصود بالخلافة في القرآن الكريم هي الرسالة السماويّة الممتدّة من أنبياء اللهعليهم السلام، فإنّهم خلفاء الله على وجه الأرض، إذ قد جعلهم الله خليفته في الأرض. وكذلك خلفاء الأنبياءعليهم السلام إلى يوم القيامة، فإنّهم بهذا البيان خلفاء الله على وجه

←

➔

الأرض. وعليه فإنّ تسمية الخلافة لحكام الجور الذين غصبوا الخلافة من أهلها وجلسوا على كرسي الحكم بالقهر والغلبة ليس تسمية شرعية، لأنّ الآية الكريمة فيها التصريح بأنّ الخليفة هو من يستخلف، ومن يستخلف خليفة ﴿**كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ**﴾. فالخليفة بنصّ القرآن هو من استخلفه الله كما قال تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾ (سورة ص:٢٦).

وثالثاً: أنّ الآية الكريمة فيها البشارة إلى المؤمنين بالوعد الإلهي لاستخلاف النفوس الطاهرة في الأرض، الذين لهم الصفات البارزة في الإيمان والعمل الصالح مستمرّين عليهما، كما أوصفهم الله بقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة المجادلة:٢٢)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ (سورة البينة:٧-٨). وهذه الأوصاف إنّما تنطبق على من له الولاية من عند الله ومن جعله الله خليفة في الأرض. وأمّا الخلفاء الثلاثة الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم قد ارتكبوا أعظم المعاصي وأكبر الجرائم والمخالفات للشريعة المقدّسة والبدع في الدين والموبقات والجنايات وانتهاك الحرمات باعتراف علماء أهل السنّة، حتّى استحقّوا بذلك غضب الله ورسوله صلى الله عليه وآله. ويتّضح ذلك خلال ما يلي من البحث إن شاء الله تعالى، ويتبيّن للقارئ الكريم كذب ما ادعاه ابن تيميّة. فالمقصود بالاستخلاف في الآية الوعد الإلهي ممّن استخلف في الأرض بإذن الله، فلاحظ.

فإنّه من بهتانه العظيم على الله سبحانه، لما عرفته بالسنن التي هي حجّة عليه وعلى أهل مذهبه، من عدم دخول الثلاثة ومن تابعهم فيها[(١)]،

---

(١) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيمية من أنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...**﴾ الصحابة والتابعين لخلافة السقيفة، فإنّه افتراء على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، لأنّ معنى خلافة الله أي نائب من الله على وجه الأرض، ومعنى ذلك هو من اصطفاه الله للخلافة. ومن الواضح أنّ من استخلفه الله لا يعصي الله أبداً. وأمّا خلفاء الجور الذين غصبوا الخلافة من أهلها، فقد خرجوا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وبخروجهم عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله غيّروا مصير الأمّة عما رسمه الله ورسوله صلى الله عليه وآله فخالفوا القرآن والسنّة النبوية وصارا سبباً لانحراف الأمّة وخروجهم عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فأصبح الناس منحرفين عن الدين، حيث أنّ أعمالهم كانت مرهونةً بسياسة قادتهم وبمخالفة خلفائهم للقرآن والسنّة النبويّة، قد فتحوا لهم مجالاً واسعاً لمخالفة للدين، وتلاعب بالأحكام الشرعيّة والمفاهيم الدينية، ومحقوا السنّة النبويّة، فأصبح الناس يرفضون النصوص الثابتة من القرآن والسنّة النبوية الشريفة. ولا يخفى على الباحث ما ورد في مصادر أهل السنّة من ذكر مخالفات للقرآن والسنّة النبويّة من الصحابة التابعة لخلافة السقيفة وهي كثيرة جدّاً، نشير هنا إلى بعض مواردها من باب المثال. فمن تلك الموارد: مخالفتهم للكتاب والسنّة في منع تدوين الحديث وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، بل وقد أحرقوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي جمعت في عهد أبي بكر (انظر تذكرة الحفّاظ للذهبي ج١: ص٥، والرياض النضرة للمحبّ الطبري ج٢: ص١٤٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢: ص٦٠١، وكتاب حجّيّة السنّة لعبد الغني عبد الخالق: ص٣٩٤ وغيرهم). لئلاّ تنتشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، مما يعني خلافتهم وإمامتهم بعد وفاة الرسول الله صلى الله عليه وآله. وقد تابع عمر بن الخطّاب ←

←
سياسة أبي بكر متوخياً بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوّعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث!! (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥: ص١٤٢ في ترجمة القاسم بن محمّد، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٥: ص٥٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٩٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢: ص٣٣٠ وغيرهم) والذي يستوقف الناظر أمران: أحدهما: أنّ أبا بكر، وعمر لم يعمّدا في إجرائهما إلي استدلال بثبوت المنع بدليل شرعي (انظر الحديث والمحدّثون لأبي زهو: ص٢٣٣، ودلائل التوثيق المبكر للسنّة والحديث للدكتور صبحي الصالح: ص٢٣٤). قال المعلمي: لم يثبت استدلال أحد منهم بنهي النبيّ صلى الله عليه وآله (انظر الأنوار الكاشفة للمعلمي: ص٤٣). فإنّه أكّد على أنّ موقف عمر لم يكن على أساس منع النبيّ صلى الله عليه وآله، وسيأتي تفصيل لهذا الأمر في محلّه.

ثانيهما: أنّ منع التدوين بذلك الأسلوب الشديد من الخلفاء والتابعين لهم كان في مقابل الروايات والأحاديث الكثيرة الدالة على لزوم التدوين وكتابة الحديث. إذ قد النبي أمر في غير مرّة بتدوين حديثه وكتابته، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس، قال: لمّا اشتدّ بالنبي صلى الله عليه وآله وجعه، قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»، قال عمر: إنّ النبي صلى الله عليه وآله غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال صلى الله عليه وآله: «قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع» (صحيح البخاري ج١: ص٣٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم). ثمّ بادر عثمان إلى متابعة هذه السياسة الجائرة، وأمسك بزمام الأمور وتسنى لهم أن يجعلوا سيرة أبي بكر وعمر واجبة المتابعة وقسيماً ثالثاً لكتاب الله وسنّة النبي صلى الله عليه وآله، وقد ضيّع الكثير من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وروّج الوضع والتحريف فيه الحديث، ونشأ الناس يعتقدون بالأكاذيب على أنّها حقائق، واكتسبوا العداء والنصب من خلال ما تلقّوه،
→

وقـد قـال هـو بنفسه فـي المقـام: بـأنّ عليّـاًعليه السلام، مـن المـستخلفين ذوي

➔

وتربّوا عليه من ضلالات. وكانت هذه السياسة مستمرّة في خلفاء بني أميّة إلى عهد عمر بن عبد العزيز (راجع الغدير ج٥: ص٢٠٨-٣٧٨). وفي مقابل هؤلاء أكثر الصحابة كانوا يقولون بجواز التدوين وإباحته، وكثير منهم قد زاول عمل الكتابة والتدوين، مع أنّ في المبيحين من الصحابة من هو أكثر اتصالاً بالنبيّصلى الله عليه وآله من أقاربه وخاصّته لا سيمّا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ابن عمّه، فإنّه فلم يكن يخفى بل وكان من المصرّين على لزوم التدوين، ومن المؤكّدين عليه والمزاولين له، بحيث أثرت عنه وعن أصحابه وشيعته كتب ومؤلّفات. وكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟!!

والحقيقة أنّ أبا بكر وعمر وعثمان ومن تابعهم إنّما منعوا تدوين الحديث لئلاّ تنتشر الأحاديث الدالّة على إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأهل البيتعليهم السلام، لأنّهم كانوا يعلمون أنّ كتاب الله ذو أوجه، فكانوا يأوّلون الآيات حسب أهوائهم. ولكن بالنسبة إلى السنّة النبويّة لم يمكنهم ذلك، لأنّ الروايات كانت صريحة فلا محيص عنها من قبول دلالتها. فلا نشكّ في أنّ السبب الأساسي لمنع تدوين الحديث هو هذا الهدف، إذ ليس من الصواب لمن يدبّر تلك السياسة أن يمنع تدوين الأحاديث، ويبيح للرواة والسامعين تناقلها وروايتها حسب ما يروا فيها المصلحة؛ فإنّ مقتضى السياسة الجائرة سدّ ما جاء في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأبنائه المعصومينعليهم السلام من خلال منع تدوين الأحاديث. ولكن مع ذلك كلّه فإنّ الأدلّة والنصوص من القرآن والروايات المتواترة لدى الفريقين تدلاّن بالصراحة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام وأهل البيتعليهم السلام، وهي كثيرة جداً، فلاحظ.

التمكين[١]. فتصير منطبقة عليه وعلى من تابعه، فإنّه هو ومتابعوه المستضعفون في زمن الثلاثة، فاستخلفهم سبحانه بعد ضعفهم وخوفهم[٢].

---

(١) انظر منهاج السنّة ج٢: ص٣٧

(٢) هذه العبارة اشارة إلى دلالة قوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ (سورة القصص: ٥-٦)، وهي بشارة لجميع الأحرار الذين يريدون العدالة وحكومة العدل، وانتصار الحقّ على الباطل والإيمان على الكفر وانطواء بساط الظلم والجور بإرادة الله سبحانه، وفي مقابل ذلك إرادة الفراعنة الذين يريدون أن تكون الحكومة بيد المستكبرين إلى الأبد. ولكن الله سبحانه وتعالى يأبى ذلك وسيجعلها بيد المستضعفين. والتعبير بـ "نَمُنّ" إشارة إلى الإرادة والمشيئة الإلهية بشأن المستضعفين ونصرتهم على المستكبرين، وتطهير الأرض من رجس المستكبرين بأن يجعل المستضعفين حكّاماً على الأرض. فالإسلام وتعاليمه السامية قد جاء لغرض أن يَمُنّ على المستضعفين بنصرهم، ومنحهم النعم والمواهب بأن يجعلهم أئمة ليقتدى بهم الناس فيكونوا متبوعين بعد ما كانوا تابعين، ولئلاّ يبقى مستكبراً في الأرض. فقوله تعالى: ﴿**وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً**﴾، أي نجعلهم قادة ورؤساء في الخير ليقتدي بهم الناس، ﴿**وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾، أي المستخلفين بعد ما كانت الحكومة بيد الجبابرة والفراعنة، أي كما أنّ بني إسرائيل استطاعت أن تأخذوا الحكومة ويرثوها من الفراعنة لأنهم التفوا حول موسى عليه السلام، وعبؤوا قواهم وشكلوا صفا واحدا، واستكملوا بقايا إيمانهم الذي ورثوه عن جدهم إبراهيم الخليل، ونفضوا الخرافات عن أفكارهم ونهضوا مع موسى عليه السلام كذلك المستضعفين في أمّة محمّد صلى الله عليه وآله. وحيث أنّ ابن تيمية اعترف بأنّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام كان من المستخلفين ذوي التمكين (انظر منهاج السنّة ج٢: ص٣٧).

←

فبان من نفس قوله في علي عليه السلام بأنّه من المستخلفين الممكّنين المؤمنين مناقضته لقوله بعدم دخول الرفضة فيها، فإنّهم قد تابعوه ونصروه فهم تابعون له في هذه الصفات[١]. وما زعمه من حدوث الرفضة زمن الفتنة يعني بعد

→

فتنطبق الآية على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلى من تابعه من المستضعفين في زمن الخلفاء الثلاثة، فباعتراف ابن تيمية أنّ الإمام عليه السلام من المستخلفين في الأرض بعد ما كانت الحكومة بيد الجبابرة والفراعنة، فاستخلف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الأرض وورث الحكومة، ومكّن شيعته عليه السلام أن يتّبعوه بعد ما كانوا المستضعفين في الأرض في زمن الخلفاء الثلاثة، فعلى هذا الأساس أنّ الآية الكريمة تنطبق على مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وعلى شيعته وليست قابلة للإنكار فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّه قد ثبت باعترف ابن تيميّة أنّ الله تعالى قد مكّن لشيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد ما كانوا في عصر الخلفاء الثلاثة في حال الخوف والضعف وغير ممكّنين لمتابعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام علناً، فتمكنوا بعد ذلك. وهذا اعتراف منه على تطبيق الآية الكريمة بشيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّ حال المستضعفين من الشيعة في عصر خلفاء الجور كحال المستضعفين في الأدوار السابقة، فإنّ الله سبحانه وتعالى قد بشّرهم في هذه الآية الكريمة بأنّه سيمكّنهم في الأرض ويجعلهم قادرين على متابعة خليفة الله وإمام زمانهم، بعد استضعافهم من جهة جور الأعداء. فإذا كانت الشيعة من المستضعفين في عصر الخلفاء الثلاثة ولم يتمكّنوا من إظهار متابعتهم لخليفة الله حقّاً، معناه أنّهم كانوا موجودين في عصر الخلفاء الثلاثة وإن كانوا المستضعفين، وإخبار القرآن بأنّ حكومة المستضعفين

←

قتل عثمان فمن عجب بهتانه لوجودهم بعد نزول قوله سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ...﴾[1]، فجعل صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام خليفة من بعده وذلك في صدر

➔

ستكون بأراد الله حاكمة وغالبة على المستكبرين، معناه اعتراف منه على حقانيّة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبطلان خلافة الخلفاء الثلاثة الغاصبين حسب ما ادّعاه في المقام؛ حيث أنّ الآية تدل على أنّ حكومة المستضعفين التي تغلب حكومة المستكبرين هي الحكومة الحقّة التي أراد الله تعالى أن يمكنها في الأرض؛ ومعناه أنّ حكومة خلفاء الثلاثة كانت على الباطل. وعلى كلّ تقدير فإنّ كلامه يتناقض مع ما قاله من أنّ الشيعة حدثوا بعد وقوع الفتنة، أي بعد قتل عثمان، إذ كيف يمكن دعوى كونهم حادثين بعد قتل عثمان مع أنّهم كانوا موجودين في زمن حكومة الخلفاء الثلاثة في حال الضعف، وكونهم مستضعفين في الأرض بسبب ظلم وجور الخلفاء الثلاثة؟!! فباعتراف ابن تيمية أنّ شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانوا موجودين في عصر الخلفاء الثلاثة، وكانوا من المستضعفين، وهذا يناقض ما قاله: بأنّ الشيعة حدثوا بعد الفتنة، كما هو واضح ظاهر. والذي يهون الخطب أنّ من كان عادته الكذب لا يبالي بذكر أمثال هذه أمور المتناقضة، فلاحظ.

(١) قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (سورة الشعراء:٢١٤). لقد روى المفسّرون من الفريقين الشيعة وأهل السنّة الروايات التي وردت في تفسير هذه الآية الكريمة وشأن نزولها، وملخّص مجموعها أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بدء إعلان دعوته للإسلام في السنّة الثالثة للبعثة من عشيرته الأقربين بعد أن كانت دعوته في ثلاث سنوات سرّيّة، فقد أخرج ابن الأثيرفي تاريخه: أنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ هذه الآية نزلت في أوّل البعثة، وفيها الأمر إلى دعوة

➔

➔
النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قومه وعشيرته. فدعا النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أقرباءه من بني عبد المطّلب وأعمامه إلى مأدبة أقامها لهم، وما أن فرغوا منها، ورام النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أن يتكلّم حتّى ابتدره أبو لهب وغالط في الكلام، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وفي اليوم الثاني صنع ما صنع بالأمس، ولكن أسرع النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ في الكلام وأوضح لهم مسألة الوحي والبعثة وقال: «وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟» فأحجم القوم، وأعادها النبيّصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ثلاثاً، وفي كلّ مرّة كان عليعَلَيْهِالسَّلَامُ يقوم ويقول: «أنا يا نبي الله». ثمّ قالصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، ويقولون: إنّا لم نقبله نبيّاً فيجعل لنا وصيّاً (انظر الكامل في التاريخ ج٢: ص٦٢). ورواه الطبري في تاريخه بشكل مفصّل وعلى النحو الذي مرّ على القارئ الكريم (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٣١٩)، وغيره، ولكنّه حرّفه في تفسيره وبدّل قول رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ حيث يقول: «على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي»، فهو يكتب في تفسيره هكذا: «فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي (وكذا وكذا...)؟» ثمّ قالصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «إنّ هذا أخي (وكذا وكذا)، فاسمعوا له وأطيعوا...» (انظر تفسير الطبري ج١٩: ص١٤٨). وعلى كلّ تقدير فإنّ الآية فيها التصريح من النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ على خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ وهو حجّة قطعيّة على ابن تيميّة وأتباعه من أنّ شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ كانوا موجودين من أوّل يوم دعوة النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إذ بعد ما أعلن النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ فقد أعلن حدوث الشيعة، فكلّ لبّى قول النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من ذلك اليوم فهو من شيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي
➔

البعثة في مكّة المعظّمة[(١)].

ثمّ بيّن ذلك بعده للناس ببيانات عديدة وعبایر مختلفة حسبما مضى

➔

طالبعليه السلام. فما زعمه ابن تيمية من أنّ الشيعة حدثت بعد قتل عثمان كذب وزور وتكذيب لقول رسول اللهصلى الله عليه وآله، حيث صرح بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وزيره وخليفته من بعده. فما نسبه ابن تيمية إلى الشيعة من أنّها حدثت بعد قتل عثمان تكذيب لحديث الدار وغيرها من الروايات الصحيحة عند أهل السنّة والجماعة الدالّة على أنّ الشعية حدثت من أوّل دعوة الإسلام فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قد نصّ على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في يوم حديث الدار في مكّة المعظمة بعد ما نزل قوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ (سورة الشعراء:٢١٤). وهذا معناه أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان خليفة رسول اللهصلى الله عليه وآله من أوّل يوم بدأ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله بدعوة الإسلام وتبليغه للناس. فالصحابة الذين كانوا ملتزمين بأوامر الله ورسولهصلى الله عليه وآله قد التزموا واعتقدوا بإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله، حيث أنّ النبيصلى الله عليه وآله نصّ على خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في حديث يوم الدار. ومن هنا يعرف أنّ الدين الإسلامي هو الدين الكامل، وقد بيّن رسول اللهصلى الله عليه وآله للناس جميع ما يحتاجون إليه في كل عصر وزمان. فحديث الدار كان بدايةً لهذه الدعوة النبوية لإستمرار الإسلام بإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله. إذن هذا التبليغ صدر من النبي الأكرمصلى الله عليه وآله في الأوّل البعثة في مكّة المعظّمة، فالإيمان الكامل في الإسلام هو ما كان فيه الاعتقاد بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأئمة أهل البيتعليهم السلام فلاحظ.

جملة منها[1]،

---

(١) وبعبارة أوضح أنّه قد تقدّم ذكر بعض الروايات والنصوص الدالّة على خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وهي كثيرة جداً لا يسعنا المجال لاستقصائها، لأنّ ذلك يستدعي الإطالة. ولا يخفى على الباحث الخبير أنّ العقيدة الإسلاميّة تُشكّل نظاماً متكاملاً للحياة البشرية، ويهدف إلى حفظ مصالح جميع أفراد البشر وإجراء مبادئ العدل والسلام والرفاه والاستقرار والنظام الأمثل ومناهج السعادة، فأنزل الله لهم الكتاب الكريم بما فيه من التعاليم، ولم يتركهم النبيصلى الله عليه وآله سدى بعده، فعيّن أوصيائه القائمين مقامه بعد وفاته، فالمخطّط الإلهي للحياة البشريّة مخطّط حكيم وكامل ولا يمكن أن يهمل مسألة قيادة الأمّة الإسلاميّة بعد الرسولصلى الله عليه وآله بدون تخطيط أو يترك الأمّة من غير راعٍ ووليّ. ولذلك قال رسول اللهصلى الله عليه وآله في الخطبة الغديرية: «فإنّ الله قد نصبه» أي: (الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام)، «لكم وليّاً وإماماً وفرض طاعته على كلّ موحّد... ماض حكمه، جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدّقه، اسمعوا له واطيعوا، فإنّ الله مولاكم وعلي إمامكم ثمّ الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة. لا حلال إلاّ ما احلّه الله ورسولهصلى الله عليه وآله، ولا حرام إلاّ ما حرّمه الله ورسولهصلى الله عليه وآله وهم...» (انظر بحار الأنوار ج٣٧: ص١٣١). وقريب من هذا المضمون ما رواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة عن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «يا علي أنت حجّة الله على الناس بعدي، قولك قولي، أمرك أمري، نهيك نهيي وطاعتك طاعتي، ومعصيتك معصيتي، وحزبك حزبي حزب الله»، ثم قرأ: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ (ينابيع المودّة ج١: ص٣٧١). ومثل هذه الروايات في الدلالة حديث يوم الدار المتقدّم ذكره، وفيه قولهصلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطّلب، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، ←

➔

فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي عليه؟» فأخذ برقبتي، ثمّ قال: «هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» (انظر كنز العمّال للمتّقي الهندي ج١٢: ص١١٤). وسنكتفي في المقام بخمسة أحاديث مشهورة الدالة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام، وهي:

الأوّل: حديث الثقلين، فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤). وسيأتي الكلام فيه مفصّلاً في محلّه، وهو يدلّ على لزوم اتّباع أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، ومولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو من أهل البيت عليهم السلام بل أنّه عليه السلام من أفضلهم عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فيتعيّن الخلافة له دون غيره، لأنّ اتّباع غيره من سائر الناس بمقتضى دلالة الحديث لا يُنجي من الوقوع في الضلال كما هو واضح.

الثاني: حديث الموالاة: وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: «مَن كنت مولاه فعلي مولاه»، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ابن عبّاس عن بريدة قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة، فلمّا قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتغيّر فقال: «يا بريدة، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٤٧). وأخرج أيضاً بسنده عن زاذان بن عمر قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ وهو يقول ما قال، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «من

🡐

➔

كنت مولاه فعلي مولاه» (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٨٤). والمراد بالمولى في الحديث هو الولي وهو القائم بالأمر الأولى بالتصرّف، لما ورد في كثير من طرق الحديث أنّ النبيﷺ قال: «أيّها الناس، ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه»، كما في الحديث الذي رواه أحمد بن حنبل، ولذلك قال عمر بن الخطّاب للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: أصبحتَ مولى كلّ مؤمن أيّ وليّ كلّ مؤمن. كما في الحديث الذي أخرجه أحمد بن حنبل بسنده عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول اللهﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول اللهﷺ تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد عليعليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد عليعليه السلام فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١). وقد جاء وصف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بالولي في أحاديث آخر، منها: ما ورد عن النبيﷺ قال: «ما تريدون من علي؟ إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١١). قال ابن الأثير في النهاية، وابن منظور في لسان العرب، والجوهري في الصحاح: كلّ من وليَ أمر واحد فهو وليّه. ومنه يتّضح أنّ معنى «وليّ كلّ مؤمن بعدي»، هو المتولّي لأمور المؤمنين من بعدي، وهو معنى آخر للخليفة من بعدي، لأنّ الخلفاء هم ولاة على المسلمين. وفي قولهﷺ: «بعدي» دليل على أنّه يريد ب الولاية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من بعده. لوضوح أنّ البعديّة

➔

➔

إنّما تصحّ إذا كان المعنى الولاية التي كانت للرسولﷺ، وإلاّ سوف يكون هذا اللفظ لغواً.

الثالث: حديث المنزلة: وهو قول النبيﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ كتاب المناقب، باب منقب المهاجرين وفضلهم). فأوضح النبيﷺ أنّ منزلة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام منهﷺ كمنزلة هارون من موسىعليه السلام، إلاّ أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ليس بنبي، وبيّن القرآن الكريم هذه المنزلة في آيات كثيرة: منها: قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (سورة الأعراف:١٤٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾ (سورة طه: ٢٩-٣٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا**﴾ (سورة الفرقان:٣٥). فدلّت الآية الأولى على أن هارون كان خليفة موسى في قومه، ودلّت الآيتان الآخريان على أنّه وزير موسىعليه السلام. وذلك يدلّ على أنّ أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام هو خليفة النبيّﷺ في قومه. وهذا يدلّ على أنّ المنزلة المذكورة في الحديث هي منزلة الخلافة كما نصّت عليه الآية المباركة في هارونعليه السلام.

الرابع: قول النبيﷺ: «علي مع الحقّ، والحقّ مع علي»، فقد أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا عند بيت النبيﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار فقال: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى، قال: «الموفون المطيبون، إن الله يحب الحفي التقي»، قال: ومرّ علي بن أبي طالب فقال: «الحقّ مع ذا الحقّ مع ذا» (مجمع الزوائد ج٧: ص٢٣٥). وأخرج الحاكم النيسابوري في

🡐

➔

المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي حيان التيمي عن أبيه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله علياً اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤). وأخرج الهيثمي بسنده عن زيد بن وهب قال: بينا نحن حول حذيفة إذ قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله فرقتين يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف؟ فقلنا: يا أبا عبد الله، وإن ذلك لكائن، فقال بعض أصحابه: يا أبا عبد الله، فكيف نصنع إن أدركنا ذلك الزمان؟ قال: انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها فإنّها على الهدى (مجمع الزوائد ج٧: ص٢٣٦). وقال الفخر الرازي: ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ أدرِ الحقّ مع عليّ حيث دار» (تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وعليه فمن كان مع الحقّ والحقّ معه، فهو المتعيّن للاتّباع دون غيره، كما قال جلّ وعلا: **﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** (سورة يونس:٣٥).

الخامس: قول النبي صلى الله عليه وآله: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض»، فقد أخرج الطبراني في المعجم الأوسط بسنده عن ثابت مولى أبي ذر عن أمّ سلمة، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع القرآن والقرآن معه، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض» (المعجم الأوسط للطبراني ج٥: ص١٣٥). وقد وردت أحاديث كثيرة تدلّ أيضاً على أنّه عليه السلام مع الحقّ والقرآن وأنّهما معه: منها: ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي ذرّ قال: قال رسول صلى الله عليه وآله: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). وذلك لأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع الحقّ،

➔

ولذلك تخلّف معه ما صدق عليه قوله سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[(١)]،

➔

والنبيﷺ كذلك، فمن أطاعه فقد أطاع النبيﷺ، ومن عصاه فقد عصى النبيﷺ. ومنها: قولهﷺ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «أنت تبيّن لأمّتي ما اختلفوا فيه من بعدي» (كنز العمّال ج١١: ص٦١٥). ولا يكون مبيّناً لهم ما اختلفوا فيه، إلاّ إذا كان مع الحقّ، فيكون قوله رافعاً للاختلاف. ومنها: قولهﷺ: «يا علي، من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك يا علي فقد فارقني» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٣). وذلك لأنّ مَن فارق الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فقد فارق الحقّ، فيكون حينئذ مفارقاً للنبيﷺ. ومنها قولهﷺ: «مَن يريد أن يحيى حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي، فليتولّ علي بن أبي طالب، فإنّه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٢٨). وهذه الأحاديث وغيرها تدلّ على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام هو الإمام المفترض الطاعة بعد رسول اللهﷺ، وأنّ مَن بايع غيره واتّبع غيره فقد فارقه، ومن فارقه فقد فارق الحقّ وفارق القرآن فيكون من الضالّين كما مرّت الأحاديث المتقدّمة الدالة على ذلك. وهناك أحاديث كثيرة قد بيّنها النبيﷺ بعد حديث الدار وهي كثيرة جدّاً، لايسعنا المجال لذكرها فلاحظ.

(١) سورة سبأ:١٣، فإنّ التعبير بـ "قليل من عبادي الشكور" إشارة إلى أنّ أكثر الناس أهل نقض العهود وكفران النعم الإلهية، وليس معنى كفران النعمة عدم الشكر اللساني فقطّ، بل عدم الاستفادة صحيحة من النعم الإلهية أو كلّ استفادة منحرفة من النعم الإلهية في الحقيقة كفران للنعم الإلهية. وأمّا عدم الشكر اللساني فهو في

➔

➔

الدرجة الثانية ، لأنّ حقيقة الشكر هي أن يستغل الإنسان النعم التي وهبها الله له ويستفيد منها ما ينبغي منها، بحيث يشير إلى إنعام المنعم وإيقاعه كما حقّه. وبعبارة أخرى أنّ حقيقة الشكر هي وضع النعم في موضعها التي ينبغي أن توضع فيه، وذلك بمعنى: صرفها في الهدف الذي خلقت من أجله، والشكر عليها باللسان يأتي في الدرجة الثانية، فإذا قلنا آلاف المرّات "الحمد لله" و"الشكر لله"، ولكنّنا أسأنا عمليّاً الاستفادة من النعم، فذلك كفران للنعم الإلهية. فالمقصود هنا بالشاكرين في الآية الكريمة هم الذين لم يبدّلوا النعم الإلهية بالكفران، كما قال الله عزّ وجلّ **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾** (سورة إبراهيم:٢٨). فإنّ من أعظم النعم الإلهيّة التي قد مَنّ الله على عباده هي نعمة الهداية، إذ لو ترك الله عباده ولم يهدهم، ولم يجعل لهم ولي الأمر والهادي إلى الحقّ، لن تصل الناس إلى ساحة النجاة. ومن هنا قال تعالى: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** (سورة آل عمران:١٦٤). فلو ترك الله تبارك وتعالى الناس ولم يهدهم إلى دين الحقّ لكان الناس في أسفل السافلين، فلذلك عبّر سبحانه وتعالى بقوله: **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِين**... وعليه فكما أنّ رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ نعمة عظيمة من الله تعالى، كذلك إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام فإنّ نعمة الإمامة من أعظم النعم الإلهيّة، ولذلك عندما نصب النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً من بعده يوم غدير خم، فقد أنزل الله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** (سورة المائدة:٣)، فإنّ من إتمام الله النعمة على الناس وشمول الرحمة لهم ودوام التوفيق والهداية لهم

➔

➔

نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً وخليفةً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ أنّ الإمامة نعمة عظيمة كنعمة النبوّة والرسالة. والاستفادة من هذه النعمة العظيمة في طريق الأهداف التي خلقت العالم لأجلها من أحسن أنواع الشكر إلى الله سبحانه. فالاعتقاد بإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تعظيم وتقدير لهذه النعمة العظيمة، وبموالاته تتحقّق الشكر من هذه النعمة العظيمة. ولذلك ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام: يا موسى أشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ وكيف أشكرك حقّ شكرك وليس من شكر أشكرك به إلاّ وأنت أنعمت به علي؟ قال: يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك منّي» (الكافي ج٢: ص٩٨). فمن البديهي أنّ الشكر من نعمة الإلهيّة في الإمامة والنبوّة هو الطاعة والانقياد والتسليم والسير على النهج الذي رسموه للعباد من غير تزلزل واضطراب. وذلك قال تعالى: ﴿**وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٥). وقال تعالى: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤)، ومن ترك هذه النعمة العظيمة فإنّ ضرره سوف يعود إلى نفسه، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤). فإنّ من انقلب على عقبيه فقد أضر نفسه من المواهب الإلهية. وفي المقام أنّ الأمر كذلك، فالمقصود بالشكر هو الشكر العملي، والاستفادة من تلك المواهب في طريق الأهداف التي خلقت لأجلها. ومن المسلّم أنّ الذين يستفيدون من المواهب الإلهيّة في طريق الأهداف التي خلقت لأجلها هم الندرة النادرة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (سورة سبأ: ٢٢)،

🡐

عن بيعة ابن أبي قحافة[١].

فالآية تشير إلى المؤمنين الحقيقيّين الذين رافقهم التوفيق من الله على الدوام للشكر على ما أنعم الله عليهم من نعمة الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وبإمامة الأئمة الهدى الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام. وقد عبّر القرآن الكريم عن هؤلاء بقوله تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (سورة سبأ:٢٢). ويؤيّد ذلك ما قال ابن عطية الأندلسي في تفسيره: ويحتمل أن تكون مخاطبة لآل محمّد صلى الله عليه وآله وعلى كلّ وجه ففيها تنبيه وتحريض وسمع عمر بن الخطّاب رجلاً يقول: اللّهم اجعلني من القليل، فقال له عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: أردت قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾، فقال عمر: كلّ الناس أعلم من عمر (انظر المحرز الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٤: ص٤١٠). وأخرج ابن أبي شيبة هذا الحديث في كتابه المصنف بسنده عن إبراهيم التيمي قال: قال رجل عند عمر: اللّهم اجعلني من القليل، فقال عمر: ما هذا الذي تدعو به؟ فقال: إنّي سمعت الله يقول: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾، فأنا أدعو أن يجعلني من أولئك القليل، قال: فقال عمر: كلّ الناس أعلم من عمر (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٨١). والظاهر أنّ الرجل كان يقصد بالقليل نعمة الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله و بأوليائه الصادقين عليهم السلام فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ بيعة أبي بكر كانت من أبرز مصاديق كفران نعمة الله، لأنّ من بايع أبابكر فقد ترك الإمامة الإلهيّة والقادة الربانيّة، أعني أمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، ومن ترك إمامته عليه السلام فقد ترك أكبر نعمة الله تعالى، حيث أنّ الله تبارك وتعالى وصف ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بتمام النعمة في قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ (سورة المائدة:٣). وذلك يوم غدير خمّ عندما أعلن

➔

فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ولاية مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونصبه للإمامة وارتضاه للخلافة من بعده. فأتمّ الله نعمته على العالمين بهذه الولاية والإمامة، حيث أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام صراط الله المستقيم الذي قال تعالى: ﴿**صِراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولاَ الضَّالِّينَ**﴾ (سورة الحمد:٧). وقد روى فرات الكوفي بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال في قوله عزّ وجلّ: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾، دين الله الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله "صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين"، قال: شيعة علي الذين أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام لم تغضب عليهم ولم يضلّوا (تفسير فرات الكوفي: ص٥٢). وعليه فمن بايع أبا بكر إنّما أنكر هذه النعمة الإلهيّة العظيمة؛ لأنّه نقض بيعة الغدير، وإنكار بيعة الغدير إنكار للنعمة الإلهية، وكما قال الله تعالى: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (سورة النحل:٨٣)، يعني نعمة ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الغدير ثمّ ينكرونها، لأنّ الله تبارك وتعالى قد أتمّ نعمته على المسلمين بولاية المولى عليه السلام يوم غدير خمّ، وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عن جدّه عليهم السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**﴾، قال: «لمّا نزلت ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ**﴾ اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها وإن آمنّا فإنّ هذا ذلّ حين يسلّط علينا ابن أبي طالب، فقالوا: قد علمنا أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله صادق فيما يقول، ولكنّا نتولاّه ولا نطيع عليّاً فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ**

➔

فعلم من السنن المشار إليها حدوث من تسمّى بأهل السنّة من يوم السقيفة

➔

﴿يُنكِرُونَهَا﴾ يعرفون يعني ولاية علي بن أبي طالب ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ بالولاية» (الكافي ج١: ص٤٢٧). فالنصوص من الكتاب والسنّة فيها صراحة بأنّ ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نعمة عظيمة وأنّ بيعة أبي بكر معناه رفض تلك النعمة العظيمة وكفران لها. ولكن التعصّب الأعمى والعناد من أهل السنّة ومعاداتهم الحقّ دفعهم إلى التغطية على هذه الحقيقة الواضحة، فتركوا هذه النعمة الكبيرة. وقد ورد في فسّروا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (سورة التكاثر:٨)، والمراد بالنعيم ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي يسئل عنها يوم القيامة؛ فقد وروي أنّ أبا حنيفة سأل الإمام جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية قال الإمام عليه السلام: «ما النعيم عندك يا نعمان؟» قال: القوت من الطعام والماء البارد، فقال عليه السلام: «لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتّى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها وشربة شربتها ليطوّلنّ وقوفك بين يديه»، قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال الامام عليه السلام: «نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم أخواناً بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله للإسلام وهي النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم الله به عليهم وهو النبي وعترته عليهم السلام» (بحار الأنوار ج٧: ص٢٥٩). وعليه فمن ترك إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام فإنّه ترك النعيم الذي يسئل عنه يوم القيامة، وتلك النعمة التي أتمّها وأنعمها الله على العالمين. فإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نعمة إلهيّة وتركها كفران. فبيعة أبي بكر كفران لهذه النعمة، لأنّ معناه ترك إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

التي بنيت على مخالفة السنن الشريفة التي عيّن بها عاصي الخليفة[1].

---

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ السقيفة بنيت على إنكار النصوص الواردة في الإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام، لأنّ أساس السقيفة كانت مبنيّة على مخالفة الإسلام في الإمامة وغصب الخلافة من أهل البيت عليهم السلام. ومن المعلوم أن غصب الخلافة متوقف على إنكار النصوص الواردة في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الطاهرين الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، فبيعة أبي بكر كانت متوقّفة على دعوى عدم وجود النصّ على خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. رغم وجود النصوص المتواترة التي رواها علماء أهل السنّة في كتبهم بأسناد صحيحة عن خلفائهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، ومن تلك النصوص ما رواه أبو بكر وعمر وعثمان حديث الغدير عن النبي صلى الله عليه وآله، وهم أوّل من هنّئوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والخلافة وبإمرة المسلمين آن ذاك، وممّن روى عنهم حديث الغدير أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني المعروف بابن عقدة المتوفى "٣٣٣ هـ" في كتابه الولاية الذي روى منه كبار علماء أهل السنّة، فإنّه روى حديث الغدير بمائة وخمس طريق من كتب علماء الإسلام والمحدّثين من الفريقين. وأكثر النقل عنه ابن الأثير في أُسد الغابة، وابن حجر في الإصابة، فإنّهما بعد ذكرهما كلّ طريق من حديث الغدير صحّحوا أسنادها. فاعتنى ابن حجر بطرق أبي العبّاس ابن عقدة فأخرج الحديث من كتابه من طرق سبعين صحابياً أو أكثر (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج٧: ص٣٣٧). وقال في فتح الباري: أمّا حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فقد أخرجه الترمذيّ والنسائيّ وهو كثير الطرق جدّاً وقد استودعها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحيح وحسّان (فتح ←

➔

الباري ج٧: ص٦١). حكى شمس الدين المناوي الشافعي في فيض القدير قول ابن حجر قائلاً: حديث (الغدير) كثير الطرق صحّحه... (انظر فيض القدير ج٦: ص٢١٨). ونسبه إليه الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، فروى عن ابن عقدة حديث الغدير في كتابه الولاية عن الخلفاء الثلاثة (انظر كفاية الطالب: ص١٥). كما روى أبو بكر الجعابي حديث الغدير عن الخلفاء الثلاثة في كتابه النخب، وغيرهم كما سنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى. وأمّا حديث تهنئة الخلفاء الثلاثة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد أخرجه ابن عقدة أيضاً في كتاب الولاية وهو أوّل الكتاب عن شيخه إبراهيم بن الوليد بن حمّاد عن يحيى ابن يعلى عن حرب بن صبيح عن ابن أخت حميد الطويل عن ابن جدعان عن سعيد بن المسيّب قال: قلت لسعد بن أبي وقّاص: إنّي أريد أن أسألك عن شيء وإنّي أتقيك. قال: سل عمّا بدا لك فإنّما أنا عمّك. قال: قلت: مقام رسول صلى الله عليه وآله فيكم يوم غدير خم؟ قال: نعم، قام فينا بالظهيرة فأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه». قال فقال أبو بكر وعمر: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر الغدير ج١: ص٢٧٣ نقلاً عن كتاب ابن عقدة). وأخرج الطبري في كتابه الولاية بسنده عن زيد بن أرقم قال: لمّا نزل النبي صلى الله عليه وآله بغدير خم في رجوعه من حجّة الوداع وكان في وقت الضحى وحرّ شديد، أمر بالدوحات فقمت ونادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثمّ قال: «إنّ الله تعالى أنزل إليّ: ﴿**بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**﴾، وقد أمرني جبرئيل عن ربّي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كلّ أبيض وأسود: إنّ علي بن أبي طالب أخي ووصيّي وخليفتي والإمام بعدي، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربّي لعلمي بقلّة

🡐

➔

المتّقين وكثرة المؤذين لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعليّ وشدّة إقبالي عليه حتّى سمّوني أذناً، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾. ولو شئت أن أسمّيهم وأدلّ عليهم لفعلت ولكنّي بسترهم قد تكرّمت، فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه فاعلموا معاشر الناس ذلك، فإنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً، وفرض طاعته على كلّ أحد، ماض حكمه، جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدّقه، اسمعوا وأطيعوا، فإنّ الله مولاكم وعليّ إمامكم، ثمّ الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة، لا حلال إلاّ ما أحلّه الله ورسوله، ولا حرام إلاّ ما حرّم الله ورسوله وهم، فما من علم إلاّ وقد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه، فلا تضلّوا عنه ولا تستنكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحقّ ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك أن يعذّبه عذاباً نكراً أبد الآبدين، فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قولي عن جبرئيل عن الله، ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، افهموا محكم القرآن ولا تتّبعوا متشابهه، ولن يفسّر ذلك لكم إلاّ من أنا آخذ بيده وشائل بعضده ومعلّمكم: أنّ من كنت مولاه فهذا فعلي مولاه، وموالاته من الله عزّ وجلّ أنزلها عليّ. ألا وقد أدّيت، ألا وقد بلّغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره». ثمّ رفعه إلى السماء حتّى صارت رجله مع ركبة النبيﷺ وقال: «معاشر الناس، هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربّي» (وفي رواية) «اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، والعن من أنكره، وأغضب على من جحد حقّه، اللّهم إنّك أنزلت عند تبيين ذلك في عليّ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بإمامته، فمن لم يأتمّ به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنّ إبليس أخرج آدمعليه السلام

🡐

➔

من الجنّة مع كونه صفوة الله بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزلّ أقدامكم، في عليّ نزلت سورة ﴿ **وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾. معاشر الناس آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه ﴿**مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ ٱلسَّبْتِ**﴾، النور من الله فيّ ثمّ في عليّ ثمّ في النسل منه إلى القائم المهدي. معاشر الناس سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، وإنّ الله وأنا بريئان منهم، إنّهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً فعندها يفرغ ﴿**لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ**﴾؟ و﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ**﴾... معاشر الناس، قولوا أعطيناك على ذلك عهداً عن أنفسنا وميثاقاً بألسنتنا وصفقة بأيدينا نؤديه إلى أولادنا وأهالينا لا نبغي بذلك بدلاً وأنت شهيد علينا وكفى بالله شهيداً، قولوا ما قلت لكم، وسلّموا على علي بإمرة المؤمنين، وقولوا: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾، فإنّ الله يعلم كلّ صوت وخائنة كلّ نفس، ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾، قولوا ما يرضي الله عنكم فإن تكفروا فإنّ الله غني عنكم». قال زيد ابن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أوّل من صافق النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّاً: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس إلى أن صلّى الظهرين في وقت واحد، وامتدّ ذلك إلى أن صلّى العشائين في وقت واحد وأوصلوا البيعة والمصافقة... (انظر كتاب الغدير ج١: ص٢١٤، وص٢٧٠ نقلاً عن محمد بن جرير الطبري في كتاب الولاية). وقال الغزالي في كتابه سرّ العالمين في باب ترتيب الخلافة والمملكة: وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته صلى الله عليه وآله في يوم غدير خمّ باتّفاق

➔

ورابع عشرها: ما زعمه بقوله: قيل "مِن" تكون لبيان الجنس إلى آخره...، فإنّه من عجيب بهتانه على الله ورسولهﷺ، لأنّ مجيء "من" لبيان الجنس في بعض المقامات لدليل دلّ على ذلك غير موجب لمجيئها له في بعض المقامات بدون دليل[1]، والدليل قائم على كونها للتبعيض فيه حسبما

➔

الجميع وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مولى (سرّ العالمين ج١: ص٣١). وهناك روايات كثيرة وفي باب التهنئة لا يسعنا المجال لذكرها، وقد جمعها العلاّمة الأمينيرحمه الله في كتابه الغدير فوصل العدد إلى ستّين مصدراً من مصادر أهل السنّة (لاحظ الغدير ج١: ص٢٧٠-٢٨٣). وعليه فإنّ مصادر أهل السنّة تشهد باعتراف أبي بكر وعمر وعثمان بالنصوص الواردة في إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ومعناه أنّ بيعة أبي بكر في السقيفة كانت مبنيّة على إنكار هذه النصوص في باب الإمامة، وإذا كان الأمر كذلك فما بال ابن تيميّة يزعم أنّ الشيعة حدثت في زمن الفتنة أي بعد قتل عثمان؟!! فإنّ هذه المجموعة من الأحاديث جزء يسير من حديث الغدير، وهناك أحاديث أخرى كثيرة وردت عن النبيﷺ في باب الإمامة رواها علماء أهل السنّة عن طريق الخلفاء الثلاثة، وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) وتوضيح المقام أنّه لا يخفى على من له أدنى معرفة بعلم النحو والعلوم العربيّة أنّ كلمة "مِن" في اللغة العربية لها معاني متعدّدة، وهي من قبيل الاشتراك المعنوي، قال ابن هشام في المغني: تأتي كلمة من على خمسة عشر وجهاً... (انظر مغني اللبيب ج١: ص٣١٨). وإنّما تفيد المعنى بعد دخولها على ما أراد بها المتكلّم من

➔

عرفته[(١)]

➔

المعنى بالقرينة المعيّنة، ويظهر للسامع مراد المتكلّم إذا كان مقترناً بالقرينة المعيّنة. وعليه لا بدّ للمخاطب من إقامة الدليل على أنّ مراد المتكلّم هو المعنى الذي استظهره من كلامه بالقرينة الخاصة. وبهذا البيان يظهر بطلان دعوى ابن تيميّة من أنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ**...﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس، لأنّ الدعوى بلا دليل، إذ كما تقدّم لا بدّ من إثبات إرادة المتكلّم المعنى بالقرينة المعيّنة، وحيث أنّ ما زعمه ابن تيمية مجرد الدعوى بلا دليل، فما ادّعاه غير مقبول عند علماء فنّ الأدب. بل الدليل قائم على خلاف ما زعمه؛ لأنّ القرينة قائمة على أنّ كلمة "مِن" للتبعيض. فكلام ابن تيميّة باطل عند جميع العلماء، فلاحظ.

(١) فإنّ الظاهر من الآية الكريمة أنّ الله تعالى يبشّر مجموعة من المسلمين الذين يتّصفون بالإيمان والعمل الصالح ببشائر: الأوّل: استخلافهم وحكومتهم في الأرض. الثاني: نشر تعاليم الحقّ بشكل جذري وفي كلّ مكان كما يستفاد ذلك من عبارة "التمكين" في الآية الكريمة. الثالث: انعدام جميع عوامل الخوف والاضطراب بسبب تمكين واستخلاف المستضعفين في الأرض. ومن هنا يعرف أنّ الآية تريد الإشارة إلى أنّ المستخلفين في الأرض لا بدّ لهم من خصائص تميزهم عن الآخرين، فالآية فيها التصريح على أنّ الشرط الأساسي لغلبة المستضعفين الإيمان والعمل الصالح على نحو الإطلاق، فإنّ اقتران الإيمان بالعمل الصالح معناه أنّ الايمان بالله بلا عمل لا يجدي صاحبه شيئاً، وبكلام آخر: أنّ المقصود بالمستخلفين في الآية الكريمة هم المؤمنون الذين تكون جميع مقاصدهم وجميع أعمالهم صالحة، أمّا الذين يسعون في الأرض فساداً فهم في

➔

➔

زمرة المجرمين، وإن ملؤوا الدنيا تهليلاً وتكبيراً. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل:٩٧). وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ (سورة طه:٧٥). فإنّ العمل الصالح له دور كبير في السعادة، بل أنّ الإيمان التامّ كلّه عَمَل كما قال الإمام الصادق‌عليه‌السلام: «الايمان عمل كلّه والقول بعض ذلك العمل، بفرض من الله بيّن في كتابه، واضح نوره...» (الكافي ج٢: ص٣٤). فالعمل الصالح كالضوء الذي يرشد إلى صدق الإيمان بالله، ولذلك استخدم القرآن بخصوص الإيمان الصادق، مفهوم النور، فقال تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (سورة البقرة:٢٥٧). فالإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ يعرف بالعمل الصالح، لأنّ الإيمان يكون نوراً إذا كان يتبعه العمل الصالح، فالعمل الصالح يكون بمنزلة الطريق للمؤمن الحائر في صحراء مظلمة، والإيمان يكون نوراً لضوء الطريق وإحياء القلب. وكلّما ازداد شعاع النور تقدّم إلى الأمام في عالم الظلام، وانقلب الظلام إلى النور. وكذلك العكس أي انقلب من عالم النور إلى عالم الظلام، فكلّما تمادى الإنسان في سيره نحو الأهواء النفسيّة ونحو الشيطان، ابتعد عن مصدر النور وعالمه وانغمر في عالم الظلمات، وإذا ما أردنا أن يأخذ الله بأيدينا ويخرجنا من عالم الظلمات إلى عالم النور، فإنّ شرطه هو الإيمان الصادق بالله عزّ وجلّ والإيمان الصادق هو أن يكون ملازماً مع العمل الصالح، كما قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (سورة البقرة:٢٥)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (سورة

🡐

في المقام بآية "انقلبتم[(١)]"،

➔

الرعد:٢٩)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (سورة الطلاق:١١). فالله سبحانه وتعالى يبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالفوز بالجنّة لا كلّ من ادّعى الإيمان. فالمراد بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...﴾ (سورة النور:٥٥) هو من كان يمتلك الشرائط المذكورة في الآية الكريمة بأن يكون إيمانه مقروناً بالعمل الصالح، ومن هذا المنطلق قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (سورة الحجّ:٤١). فالمستفاد من مجموع الآيات أنّ الله تبارك وتعالى إنّما يستخلف الذين يعملون الصالحات ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا أنّهم يتسلّطون على الناس كالجبابرة، ويحكمون عليهم بالكبر والغرور، فإنّ هذا النوع من سلطة إنّما هي طاغوت، لا ارتباط بينها وبين الخلافة الإلهيّة في الأرض الذي مكّنها الله تعالى لمن أرادها من عباده على حسب ما أودع فيه من السرّ، فإنّ الله تعالى يستخلف الذين لهم العلائم المذكورة في الآية، والشرائط التي تنطبق عليهم. ومن الواضح أنّ هذه القيود والشرائط لا تنطبق على خلفاء السقيفة كما بيّناه، وأيضاً لا تنطبق على الصحابة التابعين لخلافة السقيفة، كما هو واضح ظاهر. وعليه فإنّ دعوى ابن تيميّة من أنّ المراد بلفظ "مِن" في الآية الكريمة للجنس باطل، لأنّ المراد منه البعض، والمقصود به بعض المؤمنين الذين يمتلكون الشرائط المذكورة في الآية لا كلّ من ادّعى الإيمان من الصحابة كما هو ظاهر واضح.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ

➔

←

أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٤٤). والآية الكريمة تُبيّن حقيقة هامّة للمسلمين، ألا وهي أنّ الإسلام لا ينتهي بموت النبيﷺ أو استشهاده، حتّى إذا قتل النبيﷺ ونال الشهادة لا ينتهي كلّ شيء ولا يسقط واجب الجهاد والنضال عن كاهل المسلمين، بل هذا الواجب مستمرّ، وعلى المسلمين أن يواصلوه؛ لأنّ الإسلام هو الدين الحقّ الذي أنزل ليبقى خالداً إلى الأبد. فالنبي الأكرمﷺ كجميع القادة الإلهيّة الذين كانوا يقولون: إنّ أهدافنا أعلى من أشخاصنا ولا تنتهي بموتنا وبغيابنا، فتقول الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ وتشير إلى ما حدث في بعض الغزوات، وما دار الحديث بين بعض الصحابة عندما سمعوا الخبر المفجع عن مقتل رسول اللهﷺ، فقال بعضهم: إنّ الإسلام سينتهي بغياب النبيﷺ فننقلب على أعقابنا. والجدير بالذكر أنّ القرآن استخدم للتعبير عن الردّة إلى الجاهليّة كلمة ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، والأعقاب جمع عقب بمعنى مؤخّرة القدم، فهو تعبير موح إلى التراجع إلى الوراء والارتداد الواقعي، وهو أكثر إيحاءاً وأقوى تصويراً من لفظة الردة والرجوع والعودة، لأنّه بمعنى السير القهقرى. ثمّ إنّه سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾، يعني أنّ العودة إلى الكفر والوثنيّة تضرّكم أنتم دون الله سبحانه ورسولهﷺ، لأنّ أمثال هذا التراجع موجب لفقدان كلّ ما حصلتموه من العزّة والكرامة والمجد، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة:٥٤). فهذه

→

➔

الآيات تؤكّد بأنّ من يرتدّ عن دينه فلن يضرّ الله بارتداده أبداً ولن يضرّ الدين ولا المجتمع الإسلامي، لأنّ الله كفيل بإرسال من لديهم الاستعداد في حماية الدين وإحياء الشريعة. فتقول الآية الكريمة: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾، وفيها إشارة إلى موقف الصحابة في معركة أحد أو في غزوة الأحزاب وغيرهما من المواقف التي انقلب فيها الصحابة وارتدّوا عن الإسلام خوفاً على أنفسهم، وكانوا يقولون: إنّ الإسلام ينتهي بموت النبيﷺ واستشهاده. فالآية تقول: أنّ نتيجة انقلاب هؤلاء الصحابة كانت راجعة إليهم، وأنّ ارتدادهم، لا يضرّ الله ورسولهﷺ شيئاً. ومن الطبيعي أنّ ارتدادهم بمعنى خروجهم عن طاعة الله ورسولهﷺ. فآية الانقلاب تبيّن هذه الحقيقة بشكل واضح بأنّ الصحابة انقلبوا بعد وفاة رسول اللهﷺ ورجعوا إلى أعقابهم، والرجوع إلى الأعقاب بمعنى خروجهم عن طاعة الله ورسولهﷺ، والخروج عن طاعة الله ورسوله مستلزم للرجوع إلى الجاهليّة، والرجوع إلى الجاهليّة معناه الرجوع إلى الطاغوت كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (سورة البقرة:٢٥٧). فالصحابة الذين ارتدّوا على أعقابهم بعد وفاة رسول اللهﷺ قد دخلوا تحت سلطة الطاغوت وحكومة أهل الضلال، فينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ (سورة النساء:٦٠). وفي مقابل هؤلاء عدّة قليلة من الصحابة كانوا يتحمّلوا الصعوبات، واستمرّوا على الجهاد رغم انتشار الخبر المفجع عن

🡐

وبآية ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾[(١)]،

➔

مقتل الرسول ﷺ فهم كالجبل الراسخ في الإيمان والعقيدة والعمل الصالح، فهؤلاء الصحابة هم الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، ومدحهم القرآن الكريم لاستقامتهم وصمودهم. ووصفهم بالشاكرين، لأنّهم أحسنوا الاستفادة والانتفاع من النعم في سبيل الله، وهذا أفضل مصاديق الشكر. فالدرس الذي تعطي هذه الآية الكريمة هو أبلغ وأفضل درس لجميع المسلمين في جميع العصور والأزمنة، وهو أنّ المؤمن الحقيقي هو من لا يتراجع عن معتقداته والرجوع عن المعتقدات يكون انقلاباً وتحوّلاً مصيرياً من الإيمان إلى الكفر والإلحاد. فالصحابة الذين خرجوا عن طاعة الله ورسوله ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ وانقلبوا على أعقابهم فهم في زمرة المرتدّين، وعليه كيف يصحّ دعوى ابن تيميّة من أنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس ودعوى أنّ الآية تشمل جميع الصحابة حتّى المرتدّين منهم؟!! فزعمه باطل ومخالف لمفهوم الآية، كما هو واضح ظاهر فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء:١١٥). وكلمة يشاقق مأخوذة من مادّة "شقاق" وهي بمعنى المخالفة الصريحة المقرونة بالحقد والضغينة، أو الانفصال بالحقد والبغضاء والعداوة الباعثة على العناد والمنابذة. ومعنى الآية أنّ من يخالف الرسول ﷺ ويعاديه ويعانده فيما جاء به بعدما تبيّن له الهدى، أي ظهر له الحقّ وقامت له الحجّة فهو منحرف. وقوله تعالى: ﴿يَتَّبِعْ طريقاً غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى أنّ الطريق الذي اختاره هؤلاء

←

➔
لأنفسهم هو طريق الضلال، لأنّ هذا الطريق غير طريق المؤمنين، واتّباع سبيلهم معناه الوقوع في الانحراف والضلال. وبعبارة أخرى: فكأنّما الآية تقول: نخلي بين هؤلاء وبين ما اختاروا لأنفسهم، والمصير الذي كان ينطوي على نهاية مشؤومة لهم في هذه الدنيا وعاقبة سيّئة أليمة في الدار الآخرة أثر عقائدهم وأعمالهم. فعند ذلك ﴿**نُوَلِّه مَا تَوَلَّىٰ**﴾، أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نلزمه على ما اختاره من سوء اختياره، لأنّه اختار لنفسة الدخول إلى الجهنّم والعقوبة على الضلالة بعد الهدى، ولكونه رأى الحقّ وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عذاب جهنّم. وعبارة: نصله جهنّم إشارة إلى مصير هؤلاء يوم القيامة وأمثالهم، الذين يوكّلون أمرهم إلى ما اختاروا لأنفسهم، والمصير الذي كانوا يتوقّعون فيه العذاب، وعاقبة سيّئة أليمة في الدار الآخرة. فالإنسان الذى أمامه طريقين: أحدهما: طريق العودة والتوبة التي أشارت الآيات القرآنيّة إلى أثرها في غسل الذنوب عن الإنسان. والطريق الثاني: هو أن يسلك الإنسان سبيل العناد، ويختار لنفسه سوء العاقبة. فإنّ من اختار الطريق الثاني فهو مسؤول عن انتخابه. وقد أشارت الآية إلى الآثار والعواقب السيئة لهذا الطريق، حيث أعلنت أن من يواجه النبيﷺ بالعناد والمخالفة بعد وضوح الحقّ له، ويسير في طريق غير طريق المؤمنين فإنّ الله سوف لن يهديه إلى غير هذا الطريق، وسيرسله الله يوم القيامة إلى جهنّم. فتقول الآية: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾. وعليه فإنّ هذه الآية تدل على أنّ الصحابة كانوا على قسمين: قسم في الطريق الهداية وقسم في طريق الضلالة. فما ادعاه ابن تيميّة من أنّ المقصود "من" في قوله تعالى:﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس فيشمل جميع الصحابة باطل،
➔

وبآية ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّه﴾[1]

➔

لأنّ آية الشقاق نزلت في حقّ الصحابة فكيف يمكن أن يكون "مِن" في الآية للجنس مع أنّ الصحابة كان فيهم من يشاقق الرسولﷺ بنص القرآن الكريم؟!!

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّه فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (سورة الطلاق:١). ففي هذه الآية ذكر سبحانه وتعالى ما يتعلَّق بتقصير الناس في حقّ الخالق، ومعناها أنّ من يتجاوز حدود الله ولم يراعها وخالفها فقد ظلم نفسه، إذ لا شكّ أنّ الخروج عن الطاعة الله إمّا أن يكون موجباً للفسق أو الكفر، وعلى كلا الحالتين يكون ظلماً على النفس، لأنّ جميع التكاليف الإلهيّة وضعت من أجل سعادة الإنسان وتعاليه إلى أعلى درجات الكمال، فالتجاوزعن الحدود الإلهيّة تجاوز عمّا فيه مصلحة الإنسان، والعمل على خلاف مصلحة الإنسان من أكبر أنواع ظلم الإنسان على نفسه؛ لأنّه سيلحق ضرر التعدي عن الحدود الإلهية إلى نفسه في الدنيا والآخرة. ولذلك قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّه فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّه فَأُوْلَئكَ هُمُ الظَّالمُونَ﴾ (سورة الطلاق:٨)، لأنّ الغرض من الحدود الإلهيّة هو سعادة الناس أنفسهم، فمن تعدّ حدود الله فقد خسر عن النيل إلى تلك السعادة، والخسران ظلم للنفس، إذ يتضرّر الإنسان بها في الدنيا والآخرة. كما ورد في الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام قال لأحد أصحابه: «يا عمرو بن قيس، أشعرت أنّ الله عزّ وجلّ أرسل رسولاً وأنزل عليه كتاباً وأنزل في الكتاب كلّ ما يحتاج إليه وجعل له دليلاً يدلّ عليه، وجعل لكلّ شيء حدّاً ولمن جاوز الحدّ حدّاً؟» قال: قلت: أرسل رسولاً وأنزل عليه كتاباً وأنزل في الكتاب كلّ ما يحتاج إليه وجعل عليه دليلاً وجعل لكلّ شيء حدّاً؟ قال: «نعم»، قلت: وكيف جعل لمن جاوز الحدّ حدّاً؟ قال: قال: «إنّ الله عزّ وجلّ حدّ في الأموال أن لا تؤخذ إلاّ من حلّها، فمن

➔

➔
أخذها من غير حلّها قطعت يده حدّاً لمجاوزة الحدّ، وإنّ الله عزّ وجلّ حدّ أن لا ينكح النكاح إلاّ من حلّه ومن فعل غير ذلك إن كان عزباً حدّ وإن كان محصناً رجم لمجاوزته الحدّ» (الكافي ج٧: ص١٧٥). وفي حديث آخر قال عليه السلام: «قال النبي صلى الله عليه وآله لسعد بن عبادة: إنّ الله جعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل على كلّ من تعدّى حدّاً من حدود الله عزّ وجلّ حدّاً، وجعل ما دون الأربعة الشهداء مستوراً على المسلمين» (الكافي ج٧: ص١٧٤). وفي حديث آخر عن السكوني، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إقامة حدّ خير من مطر أربعين صباحاً» (الكافي ج٧: ص١٧٤). وفي حديث آخر عن عمران بن ميثم أو صالح بن ميثم، عن أبيه قال: أتت امرأة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالت: يا أمير المؤمنين، إنّي زنيت فطهّرني طهّرك الله، فإنّ عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخرة الذي لا ينقطع، فقال لها: «ممّا أطهّرك؟» فقالت: إنّي زنيت، فقال لها: «أو ذات بعل أنت أم غير ذلك؟» فقالت: بل ذات بعل، فقال لها: «أفحاضراً كان بعلك إذ فعلت ما فعلت أم غائباً كان عنك؟» فقالت: بل حاضراً، فقال لها: «انطلقي فضعي ما في بطنك ثم ائتني أطهّرك»، فلمّا ولّت عنه المرأة فصارت حيث لا تسمع كلامه، قال: «اللّهم إنّها شهادة» فلم يلبث أن أتته، فقالت: قد وضعت فطهّرني قال: فتجاهل عليها فقال: أطهّرك يا أمة الله ممّاذا؟ فقالت: إنّي زنيت فطهّرني، فقال: «وذات بعل إذ فعلت ما فعلت؟» قالت: نعم، قال: «وكان زوجك حاضراً أم غائباً؟» قالت: بل حاضراً، قال: «فانطلقي وارضعيه حولين كاملين كما أمرك الله»، قال: فانصرفت المرأة فلما صارت من حيث لا تسمع كلامه قال: «اللّهم إنّهما شهادتان»، قال: فلمّا مضى حولان أتت المرأة فقالت: قد أرضعته حولين فطهّرني يا أمير المؤمنين، فتجاهل عليها وقال: «أطهّرك ممّاذا؟» فقالت: إنّي زنيت فطهّرني، قال: «وذات بعل أنت إذ
➔

➔

فعلت ما فعلت؟» فقالت: نعم، قال: «وبعلك غائب عنك إذ فعلت ما فعلت أو حاضر؟» قالت: بل حاضر، قال: «فانطلقي فاكفليه حتّى يعقل أن يأكل ويشرب ولا يتردّى من سطح ولا يتهوّر في بئر»، قال: فانصرفت وهي تبكي فلمّا ولّت فصارت حيث لا تسمع كلامه قال: «اللّهم إنّها ثلاث شهادات»، قال: فاستقبلها عمرو ابن حريث المخزومي فقال لها: ما يبكيك يا أمة الله وقد رأيتك تختلفين إلى علي تسألينه أن يطهّرك؟ فقالت: إني أتيت أمير المؤمنينعليه السلام فسألته أن يطهّرني فقال: «اكفلي ولدك حتّى يعقل أن يأكل ويشرب ولا يتردّى من سطح ولا يتهوّر في بئر» وقد خفت أن يأتي عليّ الموت ولم يطهّرني، فقال لها عمرو بن حريث: ارجعي إليه فأنا أكفّله، فرجعت فأخبرت أمير المؤمنينعليه السلام بقول عمرو، فقال لها أمير المؤمنينعليه السلام وهو متجاهل عليها: «ولم يكفّل عمرو ولدك؟» فقالت: يا أمير المؤمنين، إنّي زنيت فطهّرني، فقال: «وذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟» قالت: نعم، قال: «أفغائباً كان بعلك إذ فعلت ما فعلت أم حاضراً؟» فقالت: بل حاضراً، قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: «اللّهم إنّه قد ثبت لك عليها أربع شهادات وإنّك قد قلت لنبيّكصلى الله عليه وآله فيما أخبرته به من دينك: يا محمّد من عطّل حدّاً من حدودي فقد عاندني وطلب بذلك مضادتي، اللّهم فإنّي غير معطّل حدودك ولا طالب مضادتك ولا مضيع لأحكامك بل مطيع لك ومتّبع سنّة نبيّكصلى الله عليه وآله»، قال: فنظر إليه عمرو بن حريث وكأنّما الرمان يفقأ في وجه، فلمّا رأى ذلك عمرو قال: يا أمير المؤمنين، إنّني إنّما أردت أكفّله إذ ظننت أنّك تحب ذلك، فأمّا إذا كرهته فإنّي لست أفعل، فقال أمير المؤمنينعليه السلام: «أبعد أربع شهادات بالله؟! لتكفلنّه وأنت صاغر، فصعد أمير المؤمنينعليه السلام المنبر فقال: «يا قنبر ناد في الناس الصلاة جامعة»، فنادى قنبر في الناس فاجتمعوا حتّى غصّ المسجد بأهله، وقام أمير المؤمنينعليه السلام فحمد الله وأثنى

➔

➔

عليه ثمّ قال: «أيّها الناس، إنّ إمامكم خارج بهذه المرأة إلى هذا الظهر ليقيم عليها الحدّ إن شاء الله، فعزم عليكم أمير المؤمنين لمّا خرجتم وأنتم متنكّرون ومعكم أحجاركم لا يتعرّف أحد منكم إلى أحد حتّى تنصرفوا إلى منازلكم إن شاء الله»، قال: ثمّ نزل، فلمّا أصبح الناس بكرة خرج بالمرأة وخرج الناس متنكّرين متلثّمين بعمايمهم وبأرديتهم والحجارة في أرديتهم وفي أكمامهم حتّى انتهى بها والناس معه إلى الظهر بالكوفة، فأمر أن يحفر لها حفيرة ثمّ دفنها فيها ثمّ ركب بغلته وأثبت رجليه في غرز الركاب، ثمّ وضع إصبعيه السبابتين في اذنيه ثم نادى بأعلى صوته: «يا أيّها الناس، إنّ الله تبارك وتعالى عهد إلى نبيّه صلى الله عليه وآله عهداً عهده محمّد صلى الله عليه وآله إليّ بأنّه لا يقيم الحدّ من لله عليه حدّ، فمن كان عليه حدّ مثل ما عليها فلا يقيم عليها الحدّ». قال: فانصرف الناس يومئذ كلّهم ما خلا أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام، فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحدّ يومئذ وما معهم غيرهم، قال: وانصرف فيمن انصرف يومئذ. محمّد بن أمير المؤمنين عليه السلام عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن خلف بن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاءت امرأة حامل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالت: إني فعلت فطهّرني»، ثمّ ذكر نحوه (الكافي ج٧: ص١٨٥). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. وعليه فإنّ ما زعمه ابن تيميّة من أنّ المقصود بكلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥). للجنس قول باطل، لأنّ ذلك ينافي قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ...**﴾ لأنّ هذه الآية قسّمت الصحابة إلى قسمين: قسم تعدّوا حدود الله، وقسم لم يتعدّوا حدود الله. وعليه فإنّ كلمة "مِن" تدلّ على تبعيض لا الجنس فلاحظ.

وغيرها[(١)]،

---

(١) وملخّص الكلام أنّ القرآن الكريم يكشف الحقائق عن أحوال الصحابة ويبيّن لنا بوضوح بأنّ الصحابة فيهم المؤمنون الذين سمّاهم القرآن بالشاكرين في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤). وإذا استثنينا هؤلاء الذين سمّاهم الله بالشاكرين والمخلصين من الصحابة، فإنّ البقيّة الباقية منهم وصفهم الله تبارك وتعالى في الذكر الحكيم بأنّهم: فاسقون، أو خائنون، أو متخاذلون، أو ناكثون، أو منقلبون، أو شاكّون في الله وفي رسوله، أو فارّون من الزحف، أو معاندون للحقّ، أو عاصون أوامر الله ورسولهﷺ، أو مثبّطون غيرهم عن الجهاد، أو منفضّون إلى اللهو والتجارة وتاركون الصلاة، أو قائلون ما لا يفعلون، أو ممنّون على رسول اللهﷺ إسلامهم، أو قاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ، أو رافعون أصواتهم فوق صوت النبيﷺ، أو مؤذون لرسول اللهﷺ، أو سمّاعون للمنافقين. ولنكتف بهذا القدر اليسير، لأنّ هناك آيات كثيرة، ولتعميم الفائدة لا بدّ من ذكر بعض الآيات التي جاءت في ذمّ الصّحابة الذين اتّصفوا بتلك الصفات، ولكنّهم بسبب سياسة حكّام الجور لن تسمح لأحد النقد والتجريح في حقّهم، مع أنّ القرآن الكريم كشف الأمر عن حقائقهم وذكر أوصافهم بأوضح الصورة. وحتّى لا يتوهّم معاندٌ في آيات المنافقين، ويحاول فصْلَهم عن الصحابة، كما يقول بذلك أهل السنّة، فقد تعمّدنا سرد الآيات التي تخصّ المؤمنين منهم، فقد جاء في القرآن الكريم هذه الآيات التي منها: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ * إِلا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً**

←

➔

أليماً وَيَسْتَبْدلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التوبة: ٣٨-٣٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة:٥٤)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة الأنفال:٣٦)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (سورة الأنفال: ٢٤-٢٥)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَ * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً﴾ (سورة الأحزاب: ٩-١٢)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف: ٢-٣)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ﴾ (سورة الحديد:١٨)، وقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلْ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الحجرات:١٧)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

🡐

➔

وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّه وَرَسُوله وَجِهَاد فِي سَبِيله فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأتيَ اللّهُ بأمْرِه وَاللّهُ لا يَهْدي القَوْمَ الفَاسقينَ﴾ (سورة التوبة:٢٤)، وقوله تعالى: ﴿قَالَت الأعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمنُوا وَلَكنْ قُولُوا أسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُل الإيمَانُ في قُلُوبكُمْ وَإنْ تُطيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلتْكُمْ منْ أَعْمَالكُمْ شَيْئًا إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ (سورة الحجرات:١٤)، وقوله تعالى: ﴿إنَّمَا يَسْتَأذنُكَ الَّذينَ لا يُؤْمنُونَ باللّه وَاليَوْم الآخر وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ في رَيْبهمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (سورة التوبة:٤٥)، وقوله تعالى: ﴿فَرحَ المُخَلَّفُونَ بمَقْعَدهمْ خلافَ رَسُول اللّه وَكَرهُوا أنْ يُجَاهدُوا بأمْوَالهمْ وَأنفُسهمْ في سَبيل اللّه وَقَالُوا لا تَنفرُوا في الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة توبة:٨١)، وقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إلا خَبَالا وَلأوْضَعُوا خلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفتْنَةَ وَفيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَليمٌ بالظَّالمينَ﴾ (سورة التوبة:٤٧)، وقوله تعالى: ﴿ذَلكَ بأنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أسْخَطَ اللّهَ وَكَرهُوا رضْوَانَهُ فَأحْبَطَ أعْمَالَهُمْ * أمْ حَسبَ الَّذينَ في قُلُوبهمْ مَرَضٌ أنْ لَنْ يُخْرجَ اللّهُ أضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لأرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بسيمَاهُمْ وَلَتَعْرفَنَّهُمْ في لَحْن القَوْل وَاللّهُ يَعْلَمُ أعْمَالَكُمْ﴾ (سورة محمّد: ٢٨-٣٠)، وقوله تعالى: ﴿وَإنَّ فَريقاً منَ المُؤْمنينَ لَكَارهُونَ * يُجَادلُونَكَ في الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأنَّمَا يُسَاقُونَ إلَى المَوْت وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ (سورة الأنفال: ٥-٦)، وقوله تعالى: ﴿هَا أنْتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لتُنفقُوا في سَبيل اللّه فَمنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسه وَاللّهُ الغَنيُّ وَأنْتُمُ الفُقَرَاءُ وَإنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أمْثَالَكُمْ﴾ (سورة محمّد:٣٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمنْهُمْ مَنْ يَلْمزُكَ في الصَّدَقَات فَإنْ أُعْطُوا منْهَا رَضُوا وَإنْ لَمْ يُعْطَوْا منْهَا إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (سورة التوبة:٥٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمنْهُمْ مَنْ يَسْتَمعُ إلَيْكَ حَتَّى إذَا خَرَجُوا منْ عنْدكَ قَالُوا للَّذينَ أُوتُوا العلْمَ مَاذَا قَالَ آنفاً أُوْلَئكَ

➔

وبخبرالحوض[١]،

➔

﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (سورة محمّد:١٦)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة:٦١)، فإنّ هذا القدر من الآيات البيّنات كاف لإقناع الباحثين بأنّ الصّحابة ينقسمون إلى قسمين اثنين: قسمٌ آمن بالله وبرسولهﷺ، وأسلم أمره وقيادته لهما، فأطاع الله ورسولَهﷺ، وتفاني في حبّهما، وضحّى في سبيلها، وكان من الفائزين، وهؤلاء يمثّلون الأقليّة من الصحابة الذين سمّاهم القرآن: ﴿الشاكرينَ﴾. وقسمٌ آمن بالله وبرسولهﷺ ظاهرياً ولكنّ قلبه فيه مرض، فلم يسلم أمره لله إلاّ لمصلحته الشخصيّة ومنافعه الدنيويّة، فهو كان يعارض الرسولﷺ في أحكامه وأوامره، ويقدّم بين يدي الله ورسولهﷺ، وكان من الخاسرين، وهؤلاء يمثّلون الأكثريّة من الصحابة، وقد عبّر القرآن الكريم عنهم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (سورة الزخرف:٧٨)، وعليه كيف يقول ابن تيميّة بأنّ المقصود من كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس، مع أنّ مخالف لصريح القرآن الكريم، فلاحظ.

(١) إنّ حديث الحوض من الأحاديث المتواترة عند علماء الإسلام، وقد رواه جميع أرباب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة، فرواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «بينا أنا قائم فإذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله!! قلت: عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما

➔

➔

شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٩ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾). ورواه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: قام فينا النبيﷺ يخطب فقال: «إنّكم محشورون حفاة عراة ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ**﴾ (الآية)، وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم وإنّه سيجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربّ أصيحابي، فيقول الله: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص١٩٥ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾). ورواه بسنده عبد الله بن عبّاس أيضاً عن النبيﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض وليرفعنّ رجال منكم ثمّ ليختلجنّ دوني، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٦ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾). ورواه بسنده عن أنس عن النبيﷺ قال: «ليردنّ على ناس من أصحابي الحوض حتّى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٧ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾). ورواه بسنده عن ابن عبّاس قال: خطب رسول اللهﷺ فقال: «يا أيّها الناس، إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً»، ثم قال: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ إلى آخر الآية، ثمّ قال: «ألا وإنّ أوّل الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصيحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ**

➔

وخبر البطانة[1]،

➔

شَهِيدًا﴾» (صحيح البخاري ج٥: ص١٩١ كتاب تفسير القرآن، باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام). وأخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال: سمعت سهلاً يقول: سمعت النبيﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنّ على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح مسلم ج٧: ص٦٥ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّناﷺ وصفاته). وإلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في كتبهم بهذا المضمون. ومن تأمّل في في دلالة هذه الروايات يجد انّ دلالتها واضحة في ارتداد أكثر الصحابة، كما لا يخفى ذلك على أحد. وإذا كان الأمر كذلك فكيف يدّعي ابن تيميّة بأنّ المقصود بكلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ**...﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس ويشمل جميع الصحابة مع انّ اكثر الصحابة أهل النار؟!!

(١) البطانَة لغةً بمعنى ما يُبَطَّن به الثوب من الداخل، وجمعه البطائن وهي مشتقّة من البطن ضد الظهر من كلّ شيء، فيقال: بطنت ثوبي بقماش آخر أي جعلت تحت ثوبي قماش آخر، فبطانة الثوب داخله وما لا يبدو منه، وضدّ البطانة الظهارة بكسر الظاء، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (سورة آل عمران:١١٨). وفي هذه الآية الكريمة قد نهى

🡐

وخبر الثقلين[(١)]

➔

سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن اتّخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالاً أي: يسعون في مخالفتهم وما يضرّهم بكلّ ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودّون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشقّ عليهم. وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري، عن النبيﷺ، قال: «ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلاّ كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالشرّ وتحضّه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى» (صحيح البخاري ج٨: ص١٢١ كتاب الأحكام، باب الإمام وأهل مشورته، البطانة الدخلاء). وهذا الحديث صريح في أنّ لكلّ إنسان بطانتان بطانة الشرّ وبطانة الخير حتّى الأنبياء وأوصيائهم. ولذلك أهل السنّة يقولون: أنّ للنبيﷺ أيضاً كان بطانتان – والعياذ بالله – وإنّ عدم دخوله في الشرّ للعصمة، وكأنّما العصمة عندهم إجباري. وعلى كلّ تقدير فإنّ هذا البناء من أهل السنّة يلزمهم قبول دلالة هذا الحديث، والقول بأنّ الصحابة كان فيهم بطانتان: بطانة الشرّ وبطانة الخير. وهذا معناه: أنّ الصحابة على قسمين: قسم منهم اتّخذوا الخير، وقسم آخر اتخذوا بطانة الشرّ. وحيث أنّ جميع أهل السنّة متفقون على أنّ الصحابة غير معصومين فمعناه عدم وجود مانع من بطانة الشرّ فيهم التي تدعوهم إلى الشرّ وهم يجيبونها، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يدّعي ابن تيميّة بأنّ المقصود بكلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ**...﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس ويشمل جميع الصحابة؟!!

(١) إنّ حديث الثقلين الأخبار النبويّة المتّفق عليها بين المسلمين، وقد أخرجه الحفّاظ

➔

➔

وأئمة الحديث من علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، ونصّوا على صحّته ووثاقة رُواته، فالحديث في أعلى درجة الصحّة عندهم، وطرقه من أحسن الطرق التي نقلها علماء الإسلام جيلاً بعد جيل إلى عصر الصحابة والتابعين، بل أنّه متواتر عن النبي الأكرمﷺ، قال ابن حجر: وطرقها عن بضع وعشرين صحابيّاً متظافرة (انظر الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وقد أفرد العلاّمة السيد مير حامد حسين لكنهوي لهذا الحديث جزئين من موسوعته الموسوم بعبقات الأنوار وذكر فيه الحديث من طرق أهل السنّة إلى الصحابة والنبيﷺ فهي أكثر من بضع وعشرين صحابيّاً. وقد روى مسلم حديث الثقلين في صحيحه بسنده عن أبي حيان اليتمي، قال: حدّثني يزيد بن حيّان قال: انطلقت أنا وحصين بن سيرة وعمرو ابن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا، قال: لقد لقيت يا زيداً خيراً كثيراً، رأيت رسول اللهﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيداً خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهﷺ، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللهﷺ، فما حدّثتكم مسروق عن يزيد بن حيّان عن زيد بن أرقم عن النبيﷺ فاقبلوا ومالا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول اللهﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين، أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثمّ قال: «وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٢ كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالبعليه السلام). وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بطرق عديدة،

➔

➔

فقد روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص١٤). وبسنده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض عليّ» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١٨٢). وبسنده عن على بن ربيعة قال: لقيت زيد ابن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّي تارك فيكم الثقلين...»؟ قال: نعم (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٧١). وإلى غير ذلك ممّن روى هذا الحديث من علماء أهل السنّة في مصادرهم المعتبرة، فإنّهم رووا هذا الحديث في كتبهم بأسانيد عديدة وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

وأمّا دلالة الحديث فهي واضحة جدّاً كالشمس في رائعة النهار؛ حيث أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله حصر فيه وجوب اتّباع القرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام إلى يوم القيامة، فإنّ من له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربيّة وأساليبها يعرف أنّ الحديث صريح في انحصار وجوب التمسّك بالقرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام معاً؛ لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قرَن طاعة عترته الطاهرة عليهم السلام بمحكم الكتاب العزيز، فكما يجب الأخذ بالكتاب واتّباعه كذلك يجب اتّباع العترة الطاهرة عليهم السلام، حيث جعل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الأئمّة الطاهرين عليهم السلام من العترة الطاهرة عليهم السلام عدلاً للقرآن وشريكاً للوحي، وقد حصر الفوز بالسعادة بسبب التمسّك بهما معاً، ونصّ فيه على أنّ مخالفتهما أو مخالفة واحد منهما ضلالة إلى يوم القيامة. فالحديث صريح في وجوب اتّباع القرآن وأئمّة الطاهرين من العترة الطاهرة عليهم السلام.

➔

➔
ولا بأس هنا بذكر بعض النصوص والعبارات من بعض المحقّقين من أهل السُنّة والاعترافهم بمدلول الحديث: قال الزرقاني: أنّه قال الحكيم الترمذي: حضّ على التمسّك بهم، لأنّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة (انظر شرح المواهب اللدنيّة ج٧: ص٥ نقلاً عن نوادر الأصول للترمذي). وقال النووي: قولهﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين»، فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٥: ص١٨٠).

وقال ابن الأثير: فيه (أي في حديث): «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي»؛ سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما (انظر النهاية ج١: ص٢١٦ مادّة ثقل). وقال القاري: والمراد بالأخذ بهم: التمسّك بمحبّتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل بروايتهم، والاعتماد على مقالتهم (انظر مرقاة المفاتيح ج٥: ص٢٠٠).

وقال شهاب الدين الخفاجي: أي: تمسّكتم وعملتم واتّبعتموه (انظر نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض ج٢: ص٤١٠).

وقال المنّاوي: «إنّي تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين»، زاد في رواية: أحدهما أكبر من الآخر. وفي رواية بدل «خليفتين»: «ثقلين»، سمّاهما به لعظم شأنهما: «كتاب الله القرآن، حبل»، أي: هو «حبل ممدود ما بين السماء والأرض»، قيل: أراد به عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه. «وعترتي» – بمثنّاة فوقيّة –: «أهل بيتي». تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٣: ص١٤) وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم في شرح الحديث. وسيأتي بحث في فقه الحديث ويتبيّن
➔

وغيرها[(١)]، من كون الصحابة على قسمين: قسم منهم مطيعون لله ورسولهﷺ وخليفته من بعده، وجرت سيرتهم على عمل الصالحات وهم

➔

للقارئ الكريم دلالة حديث الثقلين من كلمات علماء أهل السنّة والمحقّقيهم ، فالحديث دالّ على إمامة أئمة أهل البيتعليهم السلام على جميع مباني أهل السنّة؛ لأنّ الحديث تام من حيث السند والدلالة ، ويكون حجّة شرعيّة عليهم، ويجب عليهم العمل بمقتضاه، ومقتضاه وجوب التمسّك بالثقلين معاً. وإذا كان الأمر كذلك فكيف يقول ابن تيميّة أنّ المقصود بكلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس مع أنّ أكثر الصحابة لم يتمسّكوا بحديث الثقلين، بل أنّ أكثرهم خرجوا عن طاعة الثقلين بنقضهم بيعة الغدير، وببيعتهم لخلفاء الجور. فحديث الثقلين يدلّ على أنّ أكثر الصحابة خرجوا عن طاعة الله ورسولهﷺ، وعليه فلا يمكن لابن تيميّة أن يدعي بأنّ كلمة"من" في الآية للجنس؟!!

(١) وذلك كحديث السفينة، وحديث الغدير، وحديث الراية، وحديث المؤاخات، وحديث «يا علي لا يحبّك إلاّ مؤمن ولايبغضك إلاّ منافق، وحديث خاصف النعل، وحديث الكساء، وحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وحديث «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ» وغيرها من الأحاديث التي تدلّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وقد تمسّك بعض الصحابة بهذه الأحاديث واعتقدوا بإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وأعرض بعض الآخر منهم عن العمل بمدلول هذه الأحاديث. وعليه كيف جاز لابن تيميّة أن يدّعي بأنّ المقصود بكلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس ويشمل جميع الصحابة؟!!

المتابعون للخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله علي عليه السلام[1]،

---

(١) وتوضيح المقام أنّ القرآن الكريم والسيرة النبويّة العطرة تدلاّن على أنّ الصحابة الذين أطاعوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله إلى آخر لحظة حياتهم فهم من أهل السعادة ومن الفرقة الناجية يوم القيامة التي تنفصل عن ثلاث وسبعين فرقة، كما جاء في الحديث النبوي المتواتر لدى الفريقين. وبعبارة أخرى: أنّ الآيات والروايات الواردة في مدح الصحابة مشروط باستمرارهم على الإيمان والطاعة والاتّباع الرسول صلى الله عليه وآله، فإذا كانوا قائمين على الحقّ، وآخذين بالكتاب والسنّة، وسائرين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله كانوا كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ (سورة البيّنة:٧). وقد ورد عن الفريقين في تفسير: ﴿**أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ الروايات الكثيرة الدالّة على أنّ المقصود بهم شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، واليك بعض ما ورد في تفسير الآية، منها: ما رواه الحاكم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل بسنده عن يزيد ابن شراحيل الأنصاري كاتب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري فقال: يا علي أما تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّة**﴾؟ هم أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا اجتمعت الأمم للحساب تدعون غراءً محجّلين» (انظر شواهد التنزيل ج٢: ص٤٥). ومنها: ما رواه السيوطي في تفسيره بسنده عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله، فأقبل عليّ عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّة**﴾ فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إذا أقبل عليّ عليه السلام قالوا جاء خير البرية (الدرّ المنثور ج٦: ص٣٧٩). ومنها: ما رواه عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

←

➔

الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُـم خَيـرُ البَرِيَّـةِ﴾ قـال رسـول اللهﷺ لعلـيّ؏: «هـو أنـت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين» (الـدرّ المنثـور ج٦: ص٣٧٩). ومنهـا مـا رواه ابن مردويه عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؏ قـال: «قـال لـي رسـول اللهﷺ: ألم تسمع قـول الله **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُـم خَيـرُ البَرِيَّةِ﴾**؟ أنت وشيعتك، وموعـدي وموعـدكم الحـوض إذا جثـت الأمـم للحساب تدعون غرّاً محجّلين» (الدرّ المنثور ج٦: ص٣٧٩). وإلـى غيـر ذلـك مـن الروايـات الواردة في المقام. وهناك آيـات وروايـات كثيـرة تـدلّ علـى هـذا المعنـى، فـالنبيّ الأكرمﷺ كان يعدّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبـي طالـب؏ إعـداداً رسـاليّاً خاصّاً، ليعرف المسلمون أنّ الفرقة الناجية الذين تمسّكوا بالكتاب والـسنّة النبويّـة، وساروا على نهج النبي الأكرمﷺ هم شيعة الإمـام أميـر المـؤمنين علـي بـن أبـي طالب؏ ولذلك عُرّف جماعة من كبار الصحابة في عصر رسول اللهﷺ بـشيعة علي بن أبي طالب؏، فإنّ هذا اللقب كان منذ عهد رسول اللهﷺ، وعلى رأس هذه الجماعة: سلمان الفارسي، وأبي ذرّ الغفاري، وعمّـار بـن ياسـر، والمقـداد ابـن الأسود، وغيرهم. وقد صرّح بذلك أبو حاتم السجستاني في كتابه الزينـة فـي كتابـه الزينة، وعقد فيه باباً لألفـاظ المتداولـة بـين أهـل العلـم، فقـال: أوّل اسـم ظهـر فـي الإسلام على عهد رسولﷺ هو الشيعة، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة، وهـم: أبو ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمّـار بـن ياسـر، إلى أوان صفّين، فانتشرت بين موالي علـي؏... (انظـر كتـاب الزينـة: مخطـوط). ومن هنا يعرف أنّ شيعة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبـي طالـب؏ كـانوا مـن عهـد النبـيﷺ متمـسّكين بمفـاهيم الرسـالة الـسماويّة وحقائقهـا، والتثقيـف بالمعارف الوحيانيّة، والعمل على طبـق المنـاهج الرسـالية وإنجـاز أهـداف الرسـالة

🡐

➔

السماويّة وتحقّق أغراضه إلى يم القيامة. ومن هنا روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي إسحاق، قال: سألتُ القاسم بن العبّاس، كيف وَرث عليّ رسول اللهﷺ؟ قال: لأنّه كان أوّلنا به لحوقاً وأشدّنا به لزوقاً... (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٦). وروى النسائي بسنده عن عبد الله بن يحيى عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أنّه قال: «كانت لي منزلة من رسول اللهﷺ لم تكن لأحدٍ من الخلائق؛ كنتُ أدخل على نبي اللهﷺ كلّ ليلة، فإن كان يصلّي سبّح فدخلت، وإن لم يكن يصلّي أذِنَ لي فدخلت» (السنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٤٠). وروى أيضاً عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قوله: «كان لي من النبيﷺ مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار...» (السنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٤١). وروى أيضاً عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أنّه كان يقول: «كنتُ إذا سألتُ رسول اللهﷺ أعطيت، وإذا سكتُّ ابتدأني...» (السنن الكبرى للنسائي ج٥: ص١٤٢). ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٥). وقال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في خطبته القاصعة الشهيرة، وهو يصف ارتباطه الفريد بالرسول القائد، وعناية النبيﷺ بإعداده وتربيته: «وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولدٌ، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجَدَ لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل... ولقد كنتُ أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كل يومٍ من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاورُ في كلّ سنة بحراء، فأراه ولايراه غيري، ولم يجمع بيتٌ واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله وخديجة

➔

وقسم منهم: عاصون لله ورسوله ﷺ وخليفته، وجرت سيرتهم على

➔

وأنا ثالثهما، أرى نورَ الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة...» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٩٢). وإلى غير ذلك من الروايات والشواهد الدالّة على أنّ النبي ﷺ كان يعدّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إعداداً خاصّاً لمواصلة قيادة الرسالة من بعده، وهكذا وُجد التشيّع في إطار الرسالة الإسلاميّة متمثّلاً في هذه الأطروحة النبويّة التي وضعها النبي ﷺ بأمرٍ من الله للحفاظ على مستقبل الأمّة والدعوة الرسميّة إلى الرسالة السماويّة وإمامة أئمة الهدى عليهم السلام من بعده ﷺ مباشرة. فهكذا وُجد التشيع لا كظاهرة طارئة على مسرح الأحداث، بل كنتيجة ضروريّة لطبيعة تكوّن الرسالة وحاجاتها وظروفها الأصليّة التي كانت الأمّة تحتاج إليها كحاجتها إلى وجود النبي ﷺ لهداية الناس نحو اجتثاث كلّ رواسب الماضي الجاهلي وجذوره، وبناء أمّة على مستوى متطلّبات الرسالة السماويّة ومسؤولياتها. فالصحابة الذين كانوا مطيعون لله ورسوله ﷺ وإمامة أئمة الهدى عليهم السلام من بعده فهم كما قال الله تعالى في حقّهم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾ (سورة فصّلت: ٣٠-٣٢) هذا هو القسم الأوّل. والقسم الثاني هم الذين اتّخذوا موقفاً على خلاف القسم الأوّل فخرجوا عن طاعة الله ورسوله ﷺ وإذا كان الأمر كذلك كيف جاز لابن تيميّة أن يدّعي بأنّ المقصود بكلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس ويشمل جميع الصحابة؟!!

عمل المبتدعات وفعل المناكير، فهم خارجون عن مقام طاعة الله والرسولﷺ والخليفة[(١)].

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى القسم الثاني من الصحابة وهم الذين أوصفهم القرآن الكريم بصفات ذميمة وسيّئة كما أنّ الروايات الواردة في المقام تكون كذلك. أمّا الآيات من القرآن الكريم فقد ذكرت الصحابة بهذه الأوصاف: بأنّهم فاسقون، أو خائنون، أو متخاذلون، أو ناكثون، أو منقلبون، أو شاكّون في الله وفي رسولهﷺ، أو فارّون من الزحف، أو معاندون للحقّ، أو عاصون أوامر الله ورسولهﷺ، أو مثبطون غيرهم عن الجهاد، أو منفضون إلى اللهو والتجارة وتاركون الصلاة، أو قائلون ما لا يفعلون، أو ممنّون على رسول اللهﷺ إسلامهم، أو قاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ، أو رافعون أصواتهم فوق صوت النبيﷺ، أو مؤذون لرسول الله ﷺ، أو سمّاعون للمنافقين. فالآيات التي جاءت في ذمّ الصحابة كثيرة جدّاً لا يسع المجال لاستقصائها. ونشير فيما يلي إلى بعض تلك الآيات تاركين التفصيل إلى الكتب التي اختصّت بهذا المجال. فمنها قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فإن أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ به وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾ (سورة الحجّ:١١). فإنّ هذه الآية المباركة نزلت في بعض من أسلم ورأى رسول اللهﷺ ذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم، بسنده عن ابن عبّاس قال: "كان ناس من الأعراب يأتون النبيﷺ فيسلّمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن، قالوا: إنّ ديننا هذا لصالح تمسّكوا به، وإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا: ما في ديننا هذا خير، فأنزل الله على نبيّه ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فإن أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ...**﴾ (انظر تفسير ابن كثير ج٣: ص٢١٩). وقد أخرج هذه الحادثة البخاري أيضاً في ←

➔

صحيحه بألفاظ أخرى لئلاّ يمسّ الصحابة بالسوء (انظر صحيح البخاري ج٥: ص٢٤١ كتاب التفسير، باب ومن الناس من يعبد الله على حرف شكّ، فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة إلى قوله ذلك هو الضلال البعيد). ولا شكّ أنّ الآية المباركة واضحة الدلالة في أشدّ أنواع الذمّ والتقريع والتوبيخ على الصحابة وعبادتهم السطحيّة ومعرفتهم الساذجة عن الإسلام، بل الآية صريحة في ارتداد أولئك الصحابة من الأعراب والحكم عليهم بالخسران المبين في الدنيا والآخرة، لأنّ الآية فيها دلالة واضحة على أنّ إيمان كثير من الصحابة لم يكن إيماناً حقيقياً. ومنها: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ (سورة الصف: ٢-٣). ولا يخفى أن المقت هو أشدّ البغض والغضب والبعد عن رحمة الله تعالى، كما هو صريح كلمات اللغويين (انظر صحاح اللغة للجوهري ج١: ص٢٦٦، ولسان العرب لابن منظور المصري ج٢: ص٩٠). والمفسّرين من أهل السنّة (انظر تفسير الطبري ج٢٢: ص١٧٢، ومعاني القرآن للنحاس ج٥: ص٤٦٢)، وغيرهما. وهل هناك تعبير أدلّ على الذمّ والتوبيخ من التعبير بألفاظ البغض والغضب والطرد عن الرحمة الإلهيّة؟!!! فالآية المباركة كما هو صريح كلمات المفسّرين قد نزلت في بعض الصحابة الذين كانوا يقولون ما لا يفعلون، ولا شكّ أنّ هذه الصفة الذميمة من صفات المنافقين عند أهل السنّة. قال الطبري في تفسيره: واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية، فقال بعضهم: أنزلت توبيخاً من الله لقوم من المؤمنين تمنّوا معرفة أفضل الأعمال فعرفهم الله إيّاه، فلمّا عرفوا فعوتبوا بهذه الآية... وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في توبيخ قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان أحدهم يفتخر بفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها، فيقول: فعلت

➔

➔

كذا وكذا، فعذلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذباً (انظر تفسير الطبري ج٢٨: ص١٠٧). وهذا البيان دالّ بوضوح على أن العتاب قد يتضمّن التوبيخ، بل أشدّ أنواع الذمّ كما هو واضح من معنى المقت الذي أشرنا إليه. وقال ابن كثير في هذا المجال: عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله عزّ وجلّ دلّنا على أحبّ الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيّه أنّ أحبّ الأعمال: إيمان به لا شكّ فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرّوا به، فلمّا نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشقّ عليهم أمره، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾. وهذا اختيار ابن جرير. وقال مقاتل بن حيان: قال المؤمنون لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به، فدلّهم الله على أحبّ الأعمال إليه، فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا**﴾، فبيّن لهم فابتلوا يوم أحد بذلك، فولّوا عن النبيﷺ مدبرين، فأنزل الله في ذلك، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ (تفسير ابن كثير ج٤: ص٣٨٢-٣٨٣). واختار ابن جرير في تفسيره أنّ الآية نزلت في المؤمنين دون المنافقين، معلّلاً ذلك بقوله: لأنّ الله جلّ ثناؤه خاطب بها المؤمنين، فقال: ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسمّوا ولم يوصفوا بالإيمان، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...**﴾ (انظر تفسير الطبري ج٢٨: ص١٠٨).
ومنها قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا**﴾ (سورة الأحزاب: ١٠-١٢). قال القرطبي في تفسيره للآية وبيان سبب نزولها: وذلك أن طعمة بن أبيرق ومعتب بن قشير وجماعة نحو من

➔

➔

سبعين رجلاً قالوا يوم الخندق: كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز؟ (انظر جامع الأحكام للقرطبي ج١٤: ص١٤٧). وقد عدّ أصحاب التراجم طعمة بن أبيرق الأنصاري من الصحابة وذكروا أن معتب بن قشير ممن شهد بدراً وأحداً وأدرجوه في عداد الصحابة أيضاً (لاحظ الإصابة لابن حجر ج٣: ص٤٢٠، والطبقات لابن سعد ج٣: ص٤٦٣). وعليه فإن كان أولئك الصحابة من المنافقين، فذمّهم وتقريعهم في القرآن لا يحتاج إلى بيان، حيث أنّ الله تبارك وتعالى ذمّ المنافقين في آيات عديدة. بل وأنزل الله تعالى سورة كاملة في ذمّهم ومسمّاة باسمهم، وإن كانوا من الذين في قلوبهم مرض، فقد قال الله تعالى في حقّهم: **﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾** (سورة التوبة: ١٢٤-١٢٥). ولا نجد أصرح في الذمّ من هذا البيان الوارد في الآية المباركة. ومنها: قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾** (سورة الأحزاب:٥٣). فهل يعد هذا البيان في الآية مجرد عتاب خال من كلّ أشكال القدح والذم والتأنيب؟ قال البغوي في تفسيره للآية: نزلت في رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وآله لأنكحنّ عائشة، قال مقاتل ابن سليمان: هو طلحة بن عبيد الله، فأخبره الله عزّ وجلّ أنّ ذلك محرّم، وقال: **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾**، أي: ذنباً عظيماً (انظر تفسير البغوي ج٣: ص٥٤١). وقال الآلوسي: **﴿أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ...﴾**، أي: تفعلوا في حياته فعلاً يكرهه ويتأذّى به **﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾**، من بعد وفاته أو فراقه، وهو كالتخصيص بعد التعميم، فإن نكاح زوجة الرجل بعد فراقه إيّاها من أعظم الأذى

➔

فعلم كون "من" للتبعيض فيما ذكر دون الجنس[1]. وليت شعري كيف

(انظر روح المعاني ج٢٢: ص٧٢). إذن كان بعض الصحابة ممّن له صحبة طويلة وهجرة وجهاد كطلحة وغيره يؤذون النبيﷺ بأقوالهم وأفعالهم ممّا أدّى إلى نزول الآية مباركة وتوبيخهم على ذلك. وقد ذمّت آيات قرآنيّة أخرى الذين يؤذون النبيﷺ ولعنتهم وتوعدتهم بالعذاب المهين، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧). هذه بعض الآيات المباركة التي ذمّت ووبخت جملة من الصحابة، وهناك آيات كثيرة أخرى، كما أن هناك آيات كثيرة نزلت بحقّ المنافقين الذين سيتبيّن حالهم وصحبتهم للقارئ الكريم في محلّه. ويضاف إلى ذلك الروايات المتضافرة والأحداث التاريخيّة الحافلة بتجاوزات بعض الصحابة وإيذائهم للنبيﷺ وأهل بيته عليهم السلام كما سنبيّنه إن شاء الله في محلّه. فهؤلاء الصحابة الذين كانوا يشكلون الأغلبيّة الساحقة منهم، وإذا كان الأمر كذلك كيف جاز لابن تيمية أن يدّعي بأنّ المقصود بكلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس ويشمل جميع الصحابة مع أنّ حالهم هذا؟!!

(١) وملخّص الكلام أنّه قد ثبت أنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥) للتبعيض لا للجنس، لأنّ تقسيم الصحابة في القرآن الكريم والروايات المعتبرة عند جميع المسلمين إلى قسمين: المؤمن وغير المؤمن. ومن جهة العدالة : إلى العادل والفاسق. فبهذه القرينة القطعيّة يعرف أنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥) للتبعيض لا للجنس، لأنّ التقسيم دالّ

يزعم أنّها للجنس بعد علمه بأنّ جماعة منهم خلقت الفرية العظيمة على الحرم المطهّر النبويصَلَّى‌اللهُ‌عَلَيْهِ‌وَآلِهِ فيافض الله فاهم، وجماعة نقمت عليه في تأميره زيد بن حارثة وابنه أسامة[1]

➔

على الشركة، والشركة تمنع من العموم والشمول. فعدم كون كلمة "مِن" للجنس في المقام عند أهل الخبرة من أوضح الواضحات، بل أنّ القرينة القطعية قائمة على التبعيض كما تقدمت الإشارة إليه، فراجع.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ من موارد مخالفة الصحابة للنبي الأكرمصَلَّى‌اللهُ‌عَلَيْهِ‌وَآلِهِ هي مخالفة كبار الصحابة للنبيصَلَّى‌اللهُ‌عَلَيْهِ‌وَآلِهِ في تأميره زيد بن حارثة على الجيش في غزوة تبوك. وقد ذكر أرباب التاريخ والسير أنّ النبيصَلَّى‌اللهُ‌عَلَيْهِ‌وَآلِهِ عقد لزيد بن حارثة في السنة الثامنة للهجرة لواء، في الرتبة الثالثة بعد جعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة، وجعله من قادة الجيش، وأوصى بترتيب القادة، وقالصَلَّى‌اللهُ‌عَلَيْهِ‌وَآلِهِ: «إنّ القائد الأوّل للجيش هو جعفر بن أبي طالب، فإذا استشهد جعفر فعبد الله بن رواحة، وإن استشهد عبد الله، فزيد بن حارثة هو القائد على الجيش». وبعدما وصل جيش المسلمين إلى منطقة معان تفاجئوا بالأعداد الهائلة للروم، حيث بلغ عددهم مأتي ألف مقاتلٍ، فتشاور قادة الجيش فيما بينهم، ثمّ قرّروا أن يواجهوا الكفّار مهما كانت النتيجة، فسار الجيش، فحمل جعفر بن أبي طالبعَلَيْهِ‌السَّلَامُ الأمانة وتقلّد المسئولية حتّى استشهد. فانطلق عبد الله بن رواحة وهو حامل لواء المسلمين وانقضّ على جيش العدوّ، فتكالب عليه العدوّ بالرماح، فسقط شهيداً، ثم حمل اللواء زيد بن حارثة وكان أحد الأمراء الذي أعطاه النبيصَلَّى‌اللهُ‌عَلَيْهِ‌وَآلِهِ إمارة الجيش وقد طعن الصحابة في إمارته كما جاء في الحديث. قال ابن خلدون في تاريخه: إنّ أقواماً تكلّموا في إمارة أسامة أن يطعنوا في إمارته لقد طعنوا في امارة أبيه من قبله (تاريخ ابن خلدون ج٢: ص٦١).

➔

➔

مثله في الطبقات لابن سعد ج٢: ص٢٤٨. وهناك روايات كثيرة رواها كبار علماء أهل السنّة من أنّ النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عقد لواء في أواخر عمره الشريف لواء لأسامة بن زيد وبعثه إلى ساحة الحرب وأمرصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كبار الصحابة أن يشتركوا في هذا البعث، فأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر: أنّ رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بعث بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمارته!! فقام رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقاً للامارة وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإنّ هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده (صحيح البخاري ج٥: ص١٤٥ كتاب المغازي، باب بعث النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أسامة بن زيد في مرضه الذي توفّي فيه). وقال ابن حجر: كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامة فقال: «سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش وأغر صباحاً على أبنى وحرّق عليهم وأسرع المسير تسبق الخبر، فإن ظفرك الله بهم فأقل الليث فيهم»، فبدأ برسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وجعه في اليوم الثالث، فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف، وكان ممّن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم، فتكلّم في ذلك قوم منهم عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي، فردّ عليه عمر وأخبر النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فخطب بما ذكر في هذا الحديث ثمّ اشتدّ برسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وجعه فقال: «أنفذوا بعث أسامة» فجهّزه (انظر فتح الباري ج٨: ص١١٥). وقال ابن سعد: ثمّ سرية أسامة بن زيد... لمّا كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من مهاجر رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أمر رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ الناس بالتهيّؤ لغزو الروم، فلمّا كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال:

➔

➔

«سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش فأغر صباحاً على أهل أبنى وحرّق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاّء، وقدّم العيون والطلائع أمامك». فلمّا كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله صلى الله عليه وآله فحم وصدع، فلمّا أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ثمّ قال: «أغز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله»، فخرج بلوائه وعقوداً فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأوّلين والأنصار إلاّ انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر وعمر ابن الخطّاب وأبو عبيدة بن الجرّاح وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وقتادة ابن النعمان وسلمة بن أسلم بن حريش، فتكلّم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أمّا بعد، أيّها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ، وإنهما لمخيلان لكلّ خير واستوصوا به خيراً، فإنّه من خياركم» (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢: ص١٨٩).

وإلى غير ذلك من الروايات الدالّة على أنّ كبار الصحابة تخلّفوا عن أمر النبي صلى الله عليه وآله في تنفيذ جيش أسامة وطعنوا في إمارته بعدما جعله النبي صلى الله عليه وآله أميراً على الجيش. وهذا معناه أنّ الصحابة كانوا على قسمين، قسم منهم: كان من المؤمنين الذين عملوا بشرائط الإيمان، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله ونفذوا أوامر النبي صلى الله عليه وآله، وقسم خرجوا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وعليه أنّ دعوى ابن تيميّة من أنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...﴾

🡐

وجماعات منهم طلبت منهﷺ جعل شجرة لهم يعكفون حولها مثل ما للمشركين شجرة يعبدونها، فقال لهم: «قلتم مثل ما قال قوم موسى **﴿ٱجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾**[1]»،

(سورة النور:٥٥) للجنس باطلة فلاحظ.

(١) سورة الأعراف:١٣٨، هذه الآية الكريمة تستعرض خصائص الصحابة الذين كانوا يصرّون على الانحراف وكانوا يتبعون خط النفاق، وتتراءى لهم أعمالهم بالتدريج بصورة طبيعة، وكأنّما كانوا يرون بأنفسهم ذووا عقل وتدبير، وأنّ المؤمنين سفهاء وأنّ اعتقاد الجاهليّة عندهم هو الأصل. فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي واقد الليثي قال: خرج أصحاب رسول اللهﷺ من مكّة مع رسول اللهﷺ إلى حنين، قال: وكان للكفّار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها "ذات أنواط" قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول اللهﷺ: «قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى **﴿ٱجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾**، إنّها لسنن لتركبنّ سنن من كان قبلكم سنّة سنّة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٢١٨)، ورواه الترمذي في سننه ج٣: ص٣٢١ ح٢٢١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: ص٢٤، والطيالسي في مسنده: ص١٩١، والحميدي في مسنده ج٢: ص٢٧٥، وابن أبي شيبة في المصنف ج٨: ص٦٢٤، وابن أبي عاصم في كتاب السنّة: ص٢٧، والنسائي في سننه الكبرى ج٦: ص٢٤٦، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج٣: ص٣٠ وغيره. ولايخفى أنّ هذه الواقعة كانت في العام الثامن من الهجرة، لأنّ غزوة حنين كانت بعد فتح مكّة بنحو شهر وقبل غزوة الطائف بأيّام معدودة أي قبل وفاة النبيﷺ بسنتين ونصف تقريباً. وفي تلك السنوات كان المسلمون يعلمون أنّ عبادة الشجرة

وغالبهم قد أسلموه للعدى يوم أحد وحنين منهزمين عن الزحف مخالفين لقوله سبحانه: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...**﴾[1]،

➔

شرك بالله العظيم، ومع ذلك طلبوا من النبيﷺ ذلك كما أنّ قوم موسى عليه السلام طلبوا من نبيّهم الترخيص في عبادة الأوثان، وهذا يدلّ على حال جماعة من الصحابة في أواخر حياة النبيﷺ من أنّهم كان فيهم رواسب الشرك والجاهلية، ولم يكن دخولهم في الإسلام عن عقيدة كاملة. وعليه كيف يدّعي ابن تيميّة أنّ جميع الصحابة كانوا مشمولين لآية ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥)؟!!

(١) سورة الأحزاب:٦، لقد ذكرت هذه الآية الكريمة أولويّة النبيّﷺ بالمسلمين بصورة مطلقة، ومعنى ذلك أن النبيﷺ له أولويّة بالنسبة إلى جميع المؤمنين، في جميع الصلاحيّات التي يمتلكها الإنسان في حقّ نفسه، وبعبارة أخرى يجب على جميع المؤمنين أن يعتقدوا بأنّ النبيّﷺ أولى من كلّ إنسان مسلم في جميع الحالات من الاجتماعيّة والفرديّة، وغير ذلك كالمسائل المتعلّقة بالحكومة والقضاء والدعوة. وإنّ إرادتهﷺ ورأيهﷺ مقدّم على إرادة جميع الناس والمسلمين. ولا ينبغي العجب من هذه المسألة، لأنّ النبيﷺ معصوم ووكيل لله سبحانه، ولا يفكّر ولايقرّر إلاّ فيه المصلحة للمجتمع والفرد، وأنّهﷺ لا يتّبع الهوى أبداً، ولا يعتبر مصالحه مقدّمة على مصالح الآخرين وأهمّ منها، بل على العكس من ذلك، فهو يؤثّر ويقدّم مصالح الأمّة على مصالحه دائماً. فهذه الأولويّة ناشئة من أولويّة المشيئة الإلهيّة، لأنّ كل ما لدينا من الله سبحانه. إضافة إلى أنّ الإنسان لا يصل إلى أوج الإيمان إلاّ عندما يضحي بأقوى العلائق والدوافع فيه، وهو حبّه لذات الله وخلفائه في الأرض، ولذلك نقرأ في حديث: «لا يؤمن أحدكم

➔

➔

حتّى يكون هواه تبعا لما جئت به» (انظر كتاب السنّة لابن أبي عاصم: ص١٢). وجاء في حديث آخر: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» (انظر صحيح البخاري ج١: ص٩ كتاب الإيمان، باب حبّ النبيﷺ من الإيمان). وكذلك روي عنهﷺ: «ما من مؤمن إلاّ وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة» (صحيح البخاري ج٦: ص٢٢ كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب). وقال العيني في شرح الحديث: قوله: «ما من مؤمن إلاّ وأنا أولى به في الدنيا والآخرة» يعني: أحقّ وأولى بالمؤمنين في كلّ شيء من أمور الدنيا والآخرة من أنفسهم، ولهذا أطلق ولم يعيّن، فيجب عليهم امتثال أوامره والاجتناب عن نواهيه قوله: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...**﴾» (الأحزاب:٦). وقد روي عن ابن عبّاس وعطاء: أنّه إذا دعاهم النبيﷺ إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبيﷺ أولى بهم من طاعة أنفسهم؛ وعن مقاتل: يعني طاعة النبيﷺ أولى من طاعة بعضكم لبعض؛ وقيل: إنّه أولى بهم في إمضاء الأحكام وإقامة الحدود عليهم لما فيه من مصلحة الخلق والبعد عن الفساد؛ وقيل: لأنﷺ يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم، وأنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم؛ وقيل: لأن أنفسهم تحرسهم من نار الدنيا والنبيﷺ يحرسهم من نار العقبى (عمدة القاري في شرح البخاري ج١٢: ص٢٣٥). وإلى غير ذلك مما جاء في الروايات وأقوال العلماء. فيجب على جميع أهل السنّة طاعة النبيﷺ بشكل عام وعلى نحو الإطلاق. ويقول القرآن الكريم: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ (سورة الأحزاب:٣٦). فهذه الأولويّة في الحقيقة هي منافع الناس في جوانب المختلفة من حياتهم وتدبير

←

ولقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ...﴾ إلى آخرها[1].

←

المجتمع الإسلامي، الإجتماعية، والشخصيّة والفرديّة. ويتبيّن من هذه الأدلّة أنّ هذه الأولويّة للنبي الأكرمﷺ كانت مستمرة حتّى بعد وفاتهﷺ. ولذلك سأل الناس يوم غدير خم: أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: نعم ، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه...(انظر المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ : ص ٥٣٣). فهذه الأولويّة تكون للإمام المعصوم بعد النبيﷺ. وقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن زيد بن أرقم قال: خرجنا مع رسول اللهﷺ حتّى انتهينا إلى غدير خمّ، فأمر بروح فكسح في يوم، ما أتى علينا يوم كان أشدّ حرّاً منه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا أيّها الناس، إنّه لم يبعث نبي قطّ إلاّ ما عاش نصف ما عاش الذي كان قبله، وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم ما لن تضلّوا بعده كتاب الله عزّ وجلّ»، ثمّ قام فأخذ بيد عليعليه السلام فقال: «يا أيّها الناس، من أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه». ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٥٣٣). وبعد وضوح معنى قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾ يتّضح معنى قولهﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه...». ومع ذلك كلّه أنّه اتّفق جميع المحدّثين والمؤرّخين وأهل السير على أنّ أكثر الصحابة انهزموا عن ساحة الحرب يوم أحد وحنين وخالفوا قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾، كما خالفوا قولهﷺ يوم غدير خم في حقّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فلاحظ.

(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ

←

➔

وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة:١١١)، فعرف سبحانه وتعالى نفسه في هذا المثال بأنّه مشترٍ، والمؤمنين بأنّهم بائعون، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾. ولما كانت كلّ معاملة تتكوّن في الحقيقة من خمسة أركان أساسيّة، وهي عبارة عن: المشتري، والبائع، والمتاع، والثمن، وسند المعاملة أو وثيقتها، فقد أشار الله سبحانه إلى كلّ هذه الأركان الخمسة، فجعل نفسه مشترياً، والمؤمنين بائعين، وأموالهم وأنفسهم متاعاً وبضاعةً، والجنّة ثمناً لهذه المعاملة. غاية ما في الأمر أنّه بين طريقة تسليم البضاعة بتعبير لطيف، فقال: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، وفي الواقع فإنّ يد الله سبحانه حاضرة في ميدان الجهاد لتقبل هذه البضاعة، سواء كانت روحاً أم مالاً يبذل في أمر الجهاد. ثمّ يشير بعد ذلك إلى سند المعاملة الثابت، والذي يشكل الركن الخامس فيها، فقال: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾. وإذا أمعنا النظر في قوله تعالى: في سبيل الله يتّضح جليّاً أنّ الله تعالى يشتري الأرواح والجهود والمساعي التي تبذل وتصرّف في سبيله، أي في سبيل إحقاق الحقّ والعدالة، والحرّيّة، وخلاص جميع البشر من قبضة الكفر والظلم والفساد. ثمّ من أجل التأكيد على هذه المعاملة، تضيف الآية: ومن أوفى بعهده من الله..: أي أنّ ثمن هذه المعاملة وإن كان مؤجلاً، إلاّ أنّه مضمون، لقدرة الله تبارك وتعالى واستغنائه عن الجميع، وكونه تعالى أوفى من الكلّ بعهده، فلا هو ينسى، ولا يعجز عن الأداء، ولا يفعل ما يخالف الحكمة لينـدم عليه ويرجع عنه، ولا يخلف وعده والعياذ بالله، وعلى هذا فلا يبقى أي مجال للشكّ في وفائه بعهده، وأدائه الثمن في رأس الموعد المقرّر. والأروع من كلّ شيء أنّه تعالى قد بارك للطرف المقابل

🡐

فهذه جملة من مخالفاتهم والرسول صلى الله عليه وآله حيّ موجود فيهم[١]،

➔

صفقته، ويتمنّى لهم أن تكون صفقة وفيرة الربح تماماً كما هو المتعارف بين التجّار، فيقول عزّ وجلّ: ﴿**فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ وبعد وضوح تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ...**﴾ لا بدّ لجميع الصحابة العمل بمقتضى الآية الكريمة. ولكن اتّفق جميع المؤرّخين والمحدّثين وأهل السير أنّ أكثر الصحابة انهزموا عن ساحة الحرب يوم أحد وحنين وخالفوا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ...**﴾، فلاحظ.

(١) وملخص الكلام أنّه قد ظهرت الحقيقة للباحثين في المقام بأجلى صورها، وثبت بأنّ كثيراً من الصحابة خالفوا أوامر النبي صلى الله عليه وآله في حياته صلى الله عليه وآله وبعد وفاته، رغم إذعانهم بوجوب طاعته صلى الله عليه وآله على الإطلاق. فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الكثيرَ من الآيات التي تدلُّ على حجيّة السنّة النبويّة، أعني القول والفعل وتقرير النبي صلى الله عليه وآله وأمر سبحانه وتعالى بطاعته صلى الله عليه وآله على الإطلاق، كما أمر سبحانه وتعالى بالاقتداء به صلى الله عليه وآله على نحو الإطلاق. فالخروج عن طاعته معناه الخروج عن طاعة الله عزّ وجلّ. والخروج عن طاعة الله إذا كان مستلزماً للخروج عن الإيمان فهو كفر ، وإذا لم يكن مستلزماً للخروج عن الإيمان فهو فسق. وقد تقدّم ذكر بعض موارد المخالفات للصحابة من خلال الأبحاث السابقة، ومن جملة تلك المخالفات، مخالفة عمر بن الخطّاب لأمر النبي صلى الله عليه وآله في حضور جميع الصحابة، عندما طلب النبيّ صلى الله عليه وآله الدواة والقلم ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعد ذلك أبداً، فقال عمر: إنّ رسول الله يهجر - والعياذ بالله - حسبنا كتاب الله... (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٩ كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عنّي). وقد روى هذا الحديث جميع أرباب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة، فرواه البخاري في

←

➔
صحيحه بسنده عن عبد الله بن عبّاس أنّه قال: لمّا احتضر النبيﷺ قال: وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطّاب، قال: «هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده»، فقال عمر: إنّ النبيﷺ غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول قرّبوا يكتب لكم رسول اللهﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف عند النبيﷺ، قال: «قوموا عنّي»، فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول اللهﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم (صحيح البخاري ج٨: ص١٦١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب كراهيّة الخلاف). ورواه في الحديث آخر وهو المشتمل على قول عمر بن الخطّاب: هجر رسول اللهﷺ - والعياذ بالله - فأخرجه البخاري بسنده عن ابن عبّاس أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتّى خضب دمعه الحصباء فقال: اشتدّ برسول اللهﷺ وجعه يوم الخميس فقال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول اللهﷺ، قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه» (صحيح البخاري ج٤: ص٣١ كتاب دعاء النبيﷺ إلى الإسلام، باب هل يستشفع إلى أهل الذمّة ومعاملتهم). فكما ترى أنّ البخاري عندما عرف أنّ صاحب الكلام في نسبة الهذيان إلى النبيﷺ هو عمر بن الخطّاب، وأنّه الذي صدّ عن كتابة النبيﷺ، فأراد أن يغيّر كلام عمر حيث وجد فيه الإسائة للنبيﷺ، فأبدله بالعبارة غلب عليه الوجع. وعندما وجد اسم عمر مذكور في الحديث فهذّب العبارة ونسب الهذيان إلى غيره فجاء في الحديث: فقالوا هجر رسول اللهﷺ، فمهما كانت محاولة البخاري وخيانة في أمانة النقل والتغطية على ما ارتكبه عمر بن الخطّاب من الإسائة بمقام الرسالة والنبوّةﷺ، فإنّ الناس
➔

وقد تقدّم جملة من مخالفاتهم بعد وفاته صلى الله عليه وآله[(١)].

←

يعلمون أنّ الإسائة صدرت منه. ويكفينا ما أخرجه البخاري في صحيحه للاحتجاج عليه وعلى جميع أهل السنّة؛ لأنّ لفظ يهجر معناه عند العرف والعقلاء الهذيان، فقوله: يهجر، أي: يهذي كما أنّ قوله: غلب عليه الوجع يؤدّي إلى نفس المعنى. لأنّ المتمعن في اللفظين يعرف أنّ النتيجة واحدة، لأنّ الناس حتّى اليوم يقولون: مسكين فلان غلبت عليه الحمى، أي أنّه وصل إلى حدّ أصبح يهذي. وخصوصاً إذا أضفنا إلى ذلك قوله: حسبنا كتاب الله، ومعنى ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله انتهى أمره وأصبح وجوده كالعدم– والعياذ بالله – فالمتمعّن في هذه الواقعة بدون رواسب، وبدون خلفيّات والتعصب المذهبي لو فهم ما أساء عمر بساحة النبي صلى الله عليه وآله سوف يثور ثائرته على عمر بن الخطّاب لهذه العبارة البائسة، وصدّه عن كتابة النبي صلى الله عليه وآله تلك كتابة التي كانت تحتوي لهداية الأمّة ودفع الضلالة عنها. فقد حرّم الأمّة من الهداية وكان سبباً مباشراً في ضلالتها. فهذا مورد واحد من تلك الموارد الكثيرة. وهناك مخالفات عديدة من الصحابة و الخلفاء الثلاثة وهي كثيرة جدّاً لا يسعنا المجال لاستقصائها. وعليه فإنّه مع هذه المخالفات الصريحة منهم كيف يدّعي ابن تيمية بأنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥) للجنس؟!!

(١) لا يخفى على الباحث الخبير المجرّد عن الرواسب والشوائب المذهبية، أنّ بيعة السقيفة كانت أوّل مخالفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله من الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. حيث أنّ المصادر الإسلاميّة مليئة بذكر االنصوص والروايات الواردة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لاسيمّا حديث الغدير الصريح في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وفيه أنّ الصحابة بما فيهم أبو

←

وخامس عشرها: ما زعمه من كون "من" في آية اجتناب الرجس[1]،

بكر وعمر وعثمان بايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والخلافة كما رواها نفس الخلفاء الثلاثة وفيها: أنّهم هنّئوا الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بإمرة المؤمنين (انظر الغدير للعلاّمة الأميني ج١: ص٢٧٠-٢٨٣) وسنذكرها إن شاء الله تعالى. ويعتبر ذلك اعترافاً منهم على أحقّية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والخلافة واختصاصه بالفضائل والمناقب التي امتاز بها عن غيره، وهي أيضاً تدلّ على إمامته وخلافته بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل، وقد تقدّم جملة منها ونذكرها إن شاء الله من خلال المباحث الآتية.

(١) وهي قوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ**﴾ (سورة الحجّ: ٣٠). هذه الآية الكريمة فيها نهي عامّ عن التقرّب إلى الأصنام ومعناه اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان. فكلمة "مِن" تكون بيانيّة (انظر عمدة القاري في شرح البخاري ج٢: ص٩). والأوثان جمع وثن وتعني الأحجار التي كانت تعبد زمن الجاهليّة، وهنا جاءت كلمة الأوثان إيضاحاً لكلمة الرجس التي ذكرت في الآية، حيث تقول: اجتنبوا الرجس. ثمّ تليها عبارة من الأوثان أي الرجس هو ذاته الأوثان، فكلمة "من" تكون زائدة. أو بملاحظة أن عبدة الأوثان في زمن الجاهلية كانوا يلطّخونها بدماء الأضاحي، فيحصل مشهد تقشعرّ الأبدان من بشاعته، فيكون الرجس عرضي، فالتعبير السابق إشارة إلى أحد هذين المعنيين. وفي الحديث عن ابن عبّاس، قوله: فاجتنبوا الرجس من الأوثان يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان (تفسير الطبري ج١٧: ص٢٠٢). فالقرينة القطعيّة في الآية الكريمة قائمة على أنّ الوثن كلّه رجس. وعليه فإنّ من الواضح أنّ كلمة "مِن" إمّا زائدة وإمّا تكون لبيان الجنس، لأنّ معناه أنّ الأوثان رجس، سواء كانت رجسيّتها من باب

وفي آية الزوجات[1] لبيان الجنس فإنّه من أعظم البهتان والجهل

➔

نجاسة الذاتيّة: أي قذارتها الذاتيّة، أو من باب النجاسة العرضيّة، وذلك بملاحظة أن عبدة الأوثان كانوا في الجاهليّة يلطّخون الأوثان بدماء الأضاحي. فقياس هذه الآية بقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥) قياس باطل، لأنّ كلمة "مِن" في الوعد الإلهي في الآية ليست للجنس بل للتبعيض، كما تقدّم البحث فيها. كذلك ما ادّعاه هنا في قوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ**﴾ فإنّ كلمة "مِن" في هذه الآية لا تدلّ على الشمول والجنس، بل أنّها إمّا أن تكون زائدة أو بيانية كما تقدّمت الإشارة إليها فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾ (سورة الأحزاب:٣١). فقد ادّعى ابن تيمية بأنّ كلمة "مِن" في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ...**﴾، للجنس والمقصود به جميع زوجات النبيﷺ ولا يخفى على الخبير بطلان هذا الزعم، لأنّ كلمة يقنت من القنوت، وهي بمعنى الطاعة المقرونة بالخضوع والأدب، فإنّ القرآن الكريم قد ذكر هذه الكلمة في الآية ليبيّن أنّ المطلوب من زوجات النبيﷺ هذا النوع من الطاعة. فبهذا التعبير أمرهنّ بأن يطعن الله ورسولهﷺ، ويراعين الأدب مع ذلك تماماً. والمستفاد من الآية الكريمة أن مجرّد ادّعاء الإيمان والطاعة لا يكفي لتطبيق الآية، بل يجب أن تلمس آثاره بمقتضى قوله تعالى: ﴿**وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾، فالقضية شرطيّة، والقضية الشرطيّة مرهونة لتحقّق الشرط في الخارج، فعند ذلك يكون موضوعها محققة في الخارج. ولذلك يقال: أنّ القضيّة الشرطيّة بشرط المحمول ضروري، أي بعد تحقّق موضوعها في الخارج تكون ضرورية. وهذا معناه عدم كون لفظ "مِن" للجنس، إذ لو كان للجنس فلا

➔

بالعربية، إذ معنى كون "من" لبيان الجنس أنّها يؤتي بها لبيان أنّ بعدها جنس لما قبلها، أي يكون ما قبلها فرداً من أفراد ما بعدها، ولازم ذلك أن يكون بعدها صادقاً على ما قبلها صدق الكلّي على فرده تحقيقاً لمعنى الجنسيّة كما تقول: خاتم من حديد، فإنّ لفظه من هنا تبين أنّ ما بعدها وهو "الحديد" جنس لما قبلها وهو الخاتم، أي أنّ الخاتم فرد من أفراد الحديد، بمعنى أنّ الحديد جنس عامّ وكلّي يصدق على الخاتم وعلى غيره من سائر أفراد الحديد كالسكين والمنشار والمسمار وغير ذلك[1]. ومن علامة كون

➔

معنى للشرطيّة، لأنّ الشرط معلق على تحقّق موضوعه في الخارج، فيلزم أن يكون له طرف آخر. فالآية تتحدّث عن نساء النبيﷺ التي أطعن الله فلهنّ أجر مضاعف، وإن ارتكبن ذنباً مبيناً، فلهنّ عذاب الضعف بما اكتسبن، إذ مثل هؤلاء الأفراد لا يرتبط سلوكهم وتصرّفاتهم بهم خاصّة، لأنّ لوجودهم بُعدين: بُعد يتعلّق بهم، وبُعد يرتبط بالمجتمع، ويمكن أن يكون نمط حياتهم سبباً لهداية جماعة من الناس، أو ضلالتهم. فبناءً على هذا أنّ لأعمالهم أثرين: أحدهما فردي، والآخر اجتماعي، ولكلّ منهما ثواب وعقاب بهذا اللحاظ. وعليه كيف جاز لابن تيمية أن يقول: أنّ المقصود بكلمة "مِن" في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ...﴾ للجنس، مع الآية ظاهرة في القضيّة شرطيّة، والقضية الشرطيّة لا تدلّ على الجنس، وإنّما تكون للتبعيض كما تبين من خلال البحث في الآية، فلاحظ.

(١) وملخّص الكلام أنّ كلمة "مِن" في القواعد العربيّة تكون لها معان عديدة، منها: التبعيض، ومنها: الإبتداء، ومنها: التقييد، إلى غير ذلك من المعاني. ولا يراد بها إلاّ بالقرينة المعينة في كلام المتكلّم كسائر الألفاظ المشتركة. وعليه لو كانت كلمة

➔

"من" لبيان الجنس هي أن يصحّ أن يحمل ما بعدها على ما قبلها، فتقول: الخاتم حديد، لوضوح أنّ الجنس والكلّي يحمل على فرده، كما يقال: الشيعي إنسان والسنّي حيوان، وكما مثل هو به حيث قال[1]، وإن قلت:

→

"مِن" في الآية الكريمة للجنس لا بدّ وأن تكون قرينة معيّنة واضحة في الآية بحيث يعرف المخاطب ما يقصده المتكلّم من كلمة "مِن"، بمعنى أن يكون مقصوده واضحاً فيما أراده بالقرينة. فإنّ ادّعاء معنى الجنس يقتضي أن يكون مدخول كلمة "مِن" العموم بظاهره، فعند ذلك يحمل على معنى الجنس أن أراده المتكلّم مع القرينة، كما يجوّز للمتكلّم أن يريد بكلامه سائر المعاني الأخرى بالقرينة. فلفظة "مِن" من الألفاظ المشتركة بين المعاني العديدة، ولا أولويّة لأحد المعاني إلاّ بالقرينة المعيّنة. وهذه القاعدة العامّة جارية هنا، ويعرفها كلّ من له أدنى معرفة بالقواعد العربيّة. وعليه فإنّ بطلان م ادعاه ابن تيمية في المقام أوضح من أن يخفى على أحد ؛ لأنّ العموم معناه الشمول، وأنّ كلمة "مِن" لو كانت دالّة على العموم فلا بدّ أن تبيّن المعنى في مدخولها، كما أنّ الحديد جنس لما قبلها، في قولك خاتم من الحديد، فإنّ الخاتم فرد من أفراد الحديد بمعنى أنّ الحديد جنس عامّ وكلّي يصدق على الخاتم وعلى غيره من سائر أفراد الحديد كالسكين والمنشار والمسمار. وفي المقام أنّ كلمة "مِن" في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ لا يمكن أن يكون للجنس، لأنّه يستلزم أن تكون القيود المذكورة في الآية لغواً، فالقرينة القطعيّة قائمة في الآية الكريمة على أن تكون كلمة "مِن" للتبعيض فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ السبّ والشتم فعلان وليسا خلقين. والفرق بين الفعل والخلق ظاهر، لأنّ الأخلاق لها موضعها الخاصّ، ولها حدودها وضوابطها وقواعدها في الشريعة ←

➔

المقدّسة. وأمّا السبّ والشتم فهما من الأفعال التي لها حكم خاصّ، ويترتّب عليها الأحكام الشرعيّة حسب الأدلّة الواردة في الشريعة المقدسة. فإنّ النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ كان في أعلى قمّة الأخلاق، وقد وصفه الله تعالى في الذكر الحكيم: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (سورة القلم:٤)، وعندما كان يواجه جماعة من الأوباش كابن الحكم الذي كان من سياسته محاربة الله ورسولهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ فكان رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ يلعنه وسبّه ليعرف الناس أنّه ساقط من جميع الجهات. وقد اشتهرت هذه المقولة من رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ في حقّ مروان بن الحكم وأبيه –طريد رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ – «اللّهم العن الوزغ بن الوزغ». فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف، قال: كان لا يولد لا حدّ مولود إلاّ أتى به النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ، فدعا له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: «هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٤٧٩). وأخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنّا مع النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ، فمرّ الحكم بن أبي العاص، فقال النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ: «ويل لأمّتي ممّا في صلب هذا» (تاريخ مدينة دمشق ج٥٧: ص٢١٧). وقال ابن أبي الحديد أنّه روى صاحب كتاب الاستيعاب بإسناد ذكره عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنّ رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ قال: «يدخل عليكم رجل لعين»، قال عبد الله: وكنت قد رأيت أبى يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ، فلم أزل مشفقاً أن يكون أوّل من يدخل، فدخل الحكم ابن أبي العاص (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص١٥٠)، ورواه ابن عبد البرّ في الاستيعاب ج١: ص٣٦٠. وقال ابن عقيل في النصائح الكافية: أنّه ذكر ابن حجر الهيثمي جملة أحاديث في هذا المعنى في كتابه تطهير الجنان منها ما قال: جاء

🡐

"ثوب من حرير" فهو مثل قولك "ثوب حرير"، إذا عرفت ذلك فانظر هل يمكن تطبيق هذه المعاني على آية اجتناب الرجس من الأوثان، وعلى آية الزوجات، وهل يستطيع من له أدنى خبرة بالعربيّة أن يدعي بأنّ من في

➔

بسند رجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عمر أنّهﷺ قال: «ليدخلنّ الساعة عليكم رجل لعين»، فوالله ما زلت أتشوّف داخلاً وخارجاً حتّى دخل فلان (يعني الحكم) كما صرّحت (النصائح الكافية: ص١٤٢). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، كما أنّ الله سبحانه وتعالى قد استعمل هذا الأسلوب في تعريف أعداء الله ورسولهﷺ فقال تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾، فأراد أن يبيّن نقص المنحرفين بالشتم والسبّ، وهما بيان لصفة بما هو ازدراء ونقص وأفعال مرديّة، كما ألحق سبحانه وتعالى بعضم بالأنعام كقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (سورة الأعراف:١٧٩). وعليه فإنّ للشرع المقدّس موقفاً من السبّ والشتم لا يمكن إنكاره، وإن كان الأصل في منهج الإسلام الدعوة إلى الحقّ، ولكن عندما يتخذ العدو طريقاً مخالفاً للحق ويريد اضلال الآخرين، لا بدّ أن يعرفه الله ورسولهﷺ للآخرين لئلاّ يتبعوه. إذن أنّ الإسلام لا يتّخذ السبّ والشتم منهجاً ودعوةً للممارسة وكثقافة عامّة تجاه المنحرفين، ولكن لا ينبغي أن لا يخلط بين الأمرين. وعلى كلّ تقدير فإنّ ما قاله المصنفرحمه الله في المقام بيان لما جاء في القرآن والسنّة النبويّة العطرة. وقد تبيّن من خلال ما تقدّم من هذا المقطع بذاءة لسان ابن تيميّة حسب الموازين الشرعيّة، كما بيّن أنّه من المنحرفين الذين تطابق عليهم منج القرآن الكريم والسنّة النبويّة، فلاحظ.

الآيتين هي لبيان الجنس؟!![1] وهل هذا إلاّ هذيان وسوء معرفة؟!! فإنّ الأوثان جمع وثن وليست جنساً والأوثان كلّ لا كلّي، وليس الرجس فرداً من الأوثان بل بالعكس، فإنّ الأوثان فرد للرجس والرجس جنس وكلّي يصدق على الأوثان وغيرها كالخمر والميسر والأنصاب والأزلام[2]، ولا

---

(١) لا يخفى على الخبير أنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (سورة الحجّ:٣٠) بيانيّة، وذلك لأنّ معنى الآية: كونوا على جانب من الأوثان إذ أنّها رجس، إذ تعليق حكم الاجتناب على الرجس يبيّن، بأنّ كلمة "من" بيان لقذارة الأوثان، وفيه إشعار بالعليّة كأنّه قيل: اجتنبوا الأوثان لأنّها رجس. وبعبارة أخرى أنّ معنى الآية: اجتنبوا الرجس الكائن من الأوثان. ففي تعليقه بنفس الأوثان يعرف أنّ الاجتناب يكون من جهة الرجسيّة. فأيّ ارتباط بين هذه الآية والمعنى الجنسيّة؟!! كما أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (سورة الأحزاب:٣١). فإنّ معناه التبعيض حيث أنّ معنى الآية: من يقنت من زوجات النبيﷺ لله، أي يطعن الله طاعةً واقعيّة، فلهنّ أجر مضاعف، ومن ارتكبن منهنّ ذنباً مبيناً فلهنّ عذاب الضعف بما اكتسبن. فالقرآن الكريم يريد بهذا التعبير أن يأمرهنّ بأن يطعن الله ورسولهﷺ طاعةً واقعيّة ويراعين الأدب تماماً. فمن كانت منهنّ قانتاً فلها الأجر ضعفين، وهذا معناه التبعيض، أي من كان منهن واجدة لهذه الشرائط. وعليه فأيّ ارتباط بين هذا المعنى والمعنى الجنسيّة؟!!!

(٢) هذه العبارة إشارة إلى كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة المائدة:٩٠). والآية الكريمة جعلت الخمر والقمار إلى جانب الأنصاب ←

يصحّ أن يحمل الوثن على الرجس، فلا يقال الرجس وثن إلاّ بنوع من التأويل بخلاف العكس، فإنّه يصحّ أن يحمل الرجس على الوثن، فيقال: الوثن رجس[1]. ومن الغريب العجيب قول السنّي فإنّها لن تدلّ على وجود

→

وهي قطع أحجار لا صورة لها كانت تتّخذ كالأصنام، للدلالة على أنّ الخمر والقمار لا يقلاّن ضرراً عن عبادة الأصنام، ولهذا ورد في حديث عن رسول الله ﷺ قال: «شارب الخمر كعابد الوثن» (انظر المصنف لابن أبي شيبة ج٥: ص٥٠٩). فالآية تقول: الخمر والقمار وعبادة الأصنام، والاستقسام والأزلام ضرب من اليانصيب كلّها قد اعتبرها القرآن رجساً وخبثا، وهذه الأعمال القبيحة كلّها من أعمال الشيطان، ومن الواجب أنّ عمل الشيطان، لا بدّ أن يجتنب منه. فقد أصدر سبحانه وتعالى أمراً قاطعاً بوجوب الاجتناب عن جميع هذه الموارد المذكرة في الآية. ولا بدّ من التنوية بأنّ لتعبير "فاجتنبوه" مفهوماً أبعد، إذ أنّ الاجتناب يعني الابتعاد والانفصال وعدم الاقتراب ممّا يكون أشدّ وأقطع من مجرد النهي عن شرب الخمر، أو لعب القمار، أو عبادة الصنم. فكلّ واحد من هذه الأمور التي اعتبرها القرآن رجساً فرد من أفراد الرجس، وجزء من أجزائه كزيد وعمرو وبكر بالنسبة إلى الإنسان، فإنّ كلّ واحد منهم جزء من الإنسان فيصحّ أن يقال: زيد إنسان، وأمّا عكسه فلا يصحّ. فلا يصحّ أن يحمل الوثن على الرجس، فلا يقال الرجس وثن إلاّ بنوع من التأويل، بخلاف العكس فإنّه يصحّ أن يحمل الرجس على الوثن، فيقال: الوثن رجس، كما تبيّن من خلال المباحث الماضية فلاحظ.

(١) وذلك لأنّ مفهوم الجزء لا ينطبق على مفهوم الكلّ بخلاف العكس، فإنّ مفهوم إنسان غير مفهوم حيوان، ولكن كلّ ما صدق عليه الإنسان صدق عليه الحيوان. وهذا النوع من الحمل، ويسمّى بالحمل الشايع الصناعي، فتقول: زيد إنسان، ولكن

←

وثن ليس برجس؛ لأنّ هذا المعنى يدلّ على أنّ الرجس للأوثان بعكس ما قاله السنّي من جنسيّة "من"[1]، وهكذا آية الزوجات، فإنّ مدخول "مِن" فيها

➔

لا يصحّ أن تقول: إنسان زيد. وإذا اتّضح هذا البيان يظهر الجواب عن ابن تيميّة من أنّ كلمة "مِن" في آية الاجتناب وآية زوجات النبيﷺ ليسا للجنس، لأنّ معنى الجنس أن يؤتى بقرينة معيّنة دالّة على أنّ ما بعد كلمة "مِن" يراد بها المعنى الجنس، لا أنّ كلمة "مِن" بلا قرينة تدلّ على بيان ما بعدها للجنس. وبعبارة أخرى أنّ معنى كلمة "مِن" عام منها الجنسية، فإذا قصد المتكلّم الجنسية أحد أجزاء معنى كلمة "مِن" في كلامه بالقرينة يتبيّن أنّ معنى مدخول من الجنسية. ولازم ذلك أن يكون بعدها صادقاً على ما قبلها صدق الكلّي على فرده تحقيقاً لمعنى الجنسيّة، كما تقول: خاتم من حديد، فإنّ لفظة من هنا تبيّن أنّ ما بعدها وهو الحديد جنس لما قبلها، وهو الخاتم أي أنّ الخاتم فرد من أفراد الحديد، فمعناه أنّ الحديد جنس عامّ وكلّي يصدق على الخاتم وعلى غيره من سائر أفراد الحديد كالسكين والمنشار والمسمار. وفي المقام أنّ الأمر كذلك، فإنّ الرجس كلّي ينطبق على جميع أفراده ومن أفراده الوثن، فتقول الوثن رجس، كقولك زيد انسان. ولكن لا يصحّ أن تقول الرجس وثن، كما لا يصحّ أن تقول الإنسان زيد، لأنّ الأوثان فرد من أفراد الرجس، ولا يصحّ أن يحمل الوثن على الرجس، كما هو واضح ظاهر فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ كلمة "مِن" لو كانت للجنس معناه أنّ الوثن رجس، ولكن ابن تيميّة يقول: أنّ مدخول كلمة "مِن" ليست فيها دلالة وقرينة على المعنى الحرفي، أي: معنى الجنسية ، وإنّما لفظ الرجس يدلّ على الجنسيّة. ولكن هذا خلاف الضرورة في القواعد العربيّة؛ لأنّ من ضروريات علم النحو أنّ كلمة "مِن" تدل

➔

➔

على المعنى الحرفي في مدخولها بالقرينة المعيّنة. فمن أين يعرف أنّ الأوثان رجس؟ من الواضح لدى الخبير أنّ كلمة "مِن" تدل على هذا المعنى. ثمّ أنّه على ما زعم ابن تيميّة هكذا يكون معنى الآية: ليس كل الأوثان برجس، حيث انّه يقول: الرجس عامّ يحمل على الأوثان فمعناه أنّ الرجسية والقذارة من الأوثان، أي: بعض الأوثان. والحال أنّ جميع المفسّرين من أهل السنّة يصرّحون بأنّ الرجسية والقذارة من جهة عبادة الأوثان، قال القرطبي في تفسيره: الرجس: الشيء القذر الوثن: التمثال من خشب أو حديد أو ذهب أو فضّة ونحوها، وكانت العرب تنصبها وتعبدها. والنصارى تنصب الصليب وتعبده وتعظمه فهو كالتمثال أيضاً. وقال عدي بن حاتم: أتيت النبيﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: «ألق هذا الوثن عنك» أي الصليب، وأصله من وثن الشيء أي أقام في مقامه. وسمّي الصنم وثنا لأنّه ينصب ويركّز في مكان فلا يبرح عنه. يريد اجتنبوا عبادة الأوثان، روى عن ابن عبّاس وابن جريج. وسمّاها رجساً لأنّها سبب الرجز وهو العذاب. وقيل: وصفها بالرجس، والرجس النجس فهي نجسة حكماً، وليست النجاسة وصفاً ذاتياً للأعيان وإنّما هي وصف شرعي من أحكام الايمان، فلا تزال إلاّ بالإيمان كما لا تجوز الطهارة إلاّ بالماء (تفسير القرطبي ج١٢: ص٥٤). وروى الطبري بسنده عن ابن عبّاس، قوله: فاجتنبوا الرجس من الأوثان يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان (تفسير الطبري ج١٧: ص٢٠٢). وروى أيضاً بسنده عن ابن جريج في قوله: الرجس من الأوثان قال: عبادة الأوثان (تفسير الطبري ج١٧: ص٢٠٢). ثمّ قال الطبري: ويجوز أن يكون مراداً به: اجتنبوا أن ترجسوا أنتم أيّها الناس من الأوثان بعبادتكم إيّاها، فإن قال قائل: وهل من الأوثان ما ليس برجس حتّى قيل: فاجتنبوا الرجس منها؟ قيل: كلّها رجس. وليس المعنى ما ذهبت إليه في

➔

ليس جنساً وكلّيّاً لما قبله وليس ما قبله فرداً ومصداقاً لما بعده بل هو بعض منه وما بعده كلّ ولذا لا يصحّ الحمل، فإنّ الكلّ لا يحمل على البعض، فلا يقال: الخمسة هي العشرة مثلاً، كما يقال: المؤمنون هم الصحابة، بل الخمسة بعض العشرة والمؤمنون بعض الصحابة[1]. فعلم ممّا ذكرناه أنّ آية

←

ذلك، وإنّما معنى الكلام: فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الأوثان أي عبادتها، فالذي أمر جلّ ثناؤه بقوله: فاجتنبوا الرجس منها اتّقاء عبادتها، وتلك العبادة هي الرجس على ما قاله ابن عبّاس ومن ذكرنا قوله قبل. القول في تأويل قوله تعالى (تفسير الطبري ج١٧: ص٢٠٤). فمن الواضح أنّ الأوثان لأنّ كلها رجس، فمعنى قوله تعالى: فاجتنبوا الرجس من الأوثان، أي اجتنبوا من الأوثان لأنها رجس من عمل الشيطان. فمعنى الآية على عكس ما قاله ابن تيميّة في بيان معنى الجنسية، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِه وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾ (سورة الأحزاب:٣١) ليست للجنس، لأنّ مدخولها ليس جنساً كليّاً لما قبلها ، بل هو بعض منه. ولا يصحّ حمل الكلّ على البعض، لأن المقصود في الآية بيان القانون الكلّي ووضع الميزان لتعيين من يحصل منهن على تلك المرتبة العالية بتحقّق الشرائط المذكرة في الآية، وبعد تحقيق تلك الشرائط تحصل لهن تلك النتيجة. وعليه فإنّ معنى الآية تكون هكذا: فمن تكن منكن قانتاً لله وتعمل صالحاً، فإنّ الله سيجزيها أجرها مرّتين. وليس معنى الآية أنّ جميع نساء النبيﷺ لهنّ الأجر مرّتين بلا ملاحظة القانون المذكور في الآية، وبلا توجّه إلى الشرائط المذكورة فيها. وعليه كيف يمكن القول بإرادة الجنس من كلمة "من" قبل تعيين ميزان القنوت والطاعة منهنّ؟!! فمن

←

الاستخلاف إنّما تدلّ على وعد الله سبحانه للذين آمنوا وهم بعض الصحابة المخاطبين لا كلّهم[١]. فالمفهوم منها أنّ الصحابة على قسمين: مؤمنين وغير

←

الواضح لدى الخبير أنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ...﴾ ليست للجنس وإنّما هي للتبعيض، فلاحظ.

(١) وملخّص الكلام أنّ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة النور:٥٥) فيه بشارة للذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يستخلفهم في الأرض، ويمكّن لهم نشر تعاليم الحقّ بشكل جذري وفي كلّ مكان. ويدفع عنهم جميع عوامل الخوف والاضطراب. فالآية تتحدّث عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله والتسليم لله تعالى والتصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله لساناً وقلباً على بصيرة مع امتثال جميع الأوامر والنواهي كما هي، ليستقرّ الدين الذي أراده الله تعالى على الأرض. ونتيجة هذه الطاعة هي الحكومة العالمية التي وعدها الله لعباده الصالحين. وبذلك يتبيّن كذب ما ادّعاه ابن تيميّة من أنّ هذه الآية تنطبق على جميع الصحابة، لأنّ الصحابة كان أكثرهم أهل النار كما دلّ على ذلك حديث الحوض وغيره. وكيف يمكن انطباق الآية على من غصب الخلافة من أهل البيت عليهم السلام؟!! بل ولم يكتفوا بذلك حتّى دبروها بالقضاء على آل البيت عليهم السلام والقضاء على آثارهم وأنصارهم وخلق دولة من الطلقاء بل وأشدّهم عداءً للإسلام من بني أميّة وأتباعهم أولئك الذين قتلوا ما شاءوا من الثقل الأصغر. فقتلوا الإمام الحسين عليه السلام وأولاده وإخوته وسبوا نساءه وسمّو الإمام الحسن عليه السلام وما عمله معاوية ويزيد من الفتك والقتل بالمؤمنين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وترك سنن

←

مؤمنين[١]، وإنّ الوعد المذكور إنّما هو لخصوص المؤمنين وبطل بـذلك مـا

➔

رسول اللهﷺ وتبديلها بالبـدع فـي ديـن الله، وسـبّ أوّل رجـل فـي الإسـلام بعـد رسول اللهﷺ على المنابر ودبر كلّ صلاة، وما تبعه الويلات والمصائب العظيمـة على المسلمين والبلاء الذي حلّ بالإسلام والمسلمين أثر السقيفة وخلافـة الخلفـاء الغاصبين الذين سماهم ابن تيميّة بصحابة الرسولﷺ. فكلّ الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان يشتركون فـي هـذه الجـرام مـع خلفـاء الجـور، لأنّهـم أعـانوا الظلمة على الإثم والعدوان. فكيف يصحّ أن يكون المقصود مـن الاسـتخلاف فـي الآية هؤلاء المجرمين؟!!

(١) وبعبارة أوضح أنّ المـؤمنين مـن الـصحابة هـم الـذين دخلـوا تحـت ضـابطة عامّـة المـستفادة مـن القـرآن الكـريم والـسنّة النبويّـة العطـرة، وهـم الـذين آمنـوا بـالله ورسولهﷺ حقّاً، وعملوا صالحاً ولـم يتبـدّلوا بعـد وفـاة رسـول اللهﷺ، فهـؤلاء يستحقّون مقام الأجر والقرب إلى الله ورسولهﷺ، ومن لم يكن كـذلك فـلا أثـر لصحبته، بل تكون صحبته حجّة عليه. مضافاً إلى أنّ الله تبارك وتعالى قد أعطانا الله تعالى الملاك للتقرّب إليه بالتقوى، في قوله تعـالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (سورة الحجرات:١٣)، هذه الآية الكريمة صـرّحت بـأنّ النـاس لا يتفاضـلون علـى الآخـرين إلاّ بـالتقوى دون اسـتثناء، فكـلّ النـاس يعلمـون منزلـة أبـي لهـب عـمّ النبيﷺ حسب قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَـبَّ**﴾ (سـورة المـسد:١). فلـم يكن للعنصر النَسَبي دورٌ في الحكم، والميـزان الحقيقـي عنـد الله تعـالى الـذي هـو التقوى. والصحابة ايضا كذلك ليس لهم شأن أعلى من نسب النبيﷺ. فإذا كـان نسب النبيﷺ يعامل معه معاملـة المـلاك القرآنـي، كـذلك الـصحابة، فالـصحابة الذين آمنوا بالله ورسولهﷺ وعملوا الصالحات، ولم يَتَبَدّلوا بعـد رسـول اللهﷺ

🡐

ذكره السنّي من أنّ الصحابة جميعاً مؤمنون وأنّه لم يخرج شيء من المجرور بـ"من" لبطلان إرادة الجنس على ما حرّرناه[1]، ومثلها آية اجتناب

➔

أولئك هم المؤمنون حقاً. وأمّا الذين انحرفوا عن هذه الضابطة القرآنية وخرجوا عن تلك الدائرة، فهم كغيرهم من المذنبين. بل وقد وردت في حقّهم أخبار تشير الى ارتدادهم عن الدين كما في حديث الحوض الذي رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أنّه كان يحدّث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾). فالقرآن الكريم والسنّة النبويّة أعطانا هذه الضابطة الكلّيّة، ولا يحقّ أحد أن يغيّر هذا القانون من تلقاء نفسه. وبعد وضوح هذا الأمر كيف يجوز لابن تيميّة أن يقول: بأنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ الجنس ويشمل جميع الصحابة مع إنّه يعلم أنّ أكثر الصحابة أهل النار، ويعلم أنّ في الصحابة المؤمن وغير المؤمن وفيهم الجيّد والردي فلاحظ؟!!

(١) وملخّص الكلام أنّ قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾، خطاب للمؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يتبدّلوا أبداً، ومن الواضح أنّ الآية الكريمة لا تنطبق على الصحابة الذين خرجوا عن دائرة طاعة الله ورسوله ﷺ، أو ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ على أعقابهم كما مرّ بيانه تفصلاً. بل أنّ الصحابة كان فيهم المنافقون الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ طرفة عين. وعليه فإنّ ما ذكره ابن تيمية من أنّ كلمة "مِن" في الآية

➔

الرجس من الأوثان[1]، وهكذا آية الزوجات المفهوم منها التبعيض قطعاً، خصوصاً بعد ملاحظة قوله سبحانه في سورة التحريم: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّـه فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾[2] مخاطباً لعائشه وحفصة حيث كذبتا على خير

➔

تدل على الجنس باطل عند جميع االمسلمين؛ لأنّ القرآن الكريم والسنّة النبويّة يدلاّن على خلاف ما زعمه فلاحظ.

(١) وملخص الكلام أنّ كلمة "مِن" في قوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ**﴾ (سورة الحجّ:٣٠) ليست للجنس، لأنّ معنى الجنس إنّما يكون إذا أراده المتكلّم في الجملة بالقرينة المعيّنة، ولازم ذلك أن يكون بعدها صادقاً على ما قبلها صدق الكلّي على فرده، وتحقيقاً لمعنى الجنسيّة، كما تقول: خاتم من حديد، فإنّ ما بعد كلمة "مِن" الحديد وهو جنس لما قبلها، وهو الخاتم. ومعناه: أنّ الخاتم يكون فرداً من أفراد الحديد، حيث أنّ الحديد جنس عامّ وكلّي يصدق على الخاتم وعلى غيره من سائر أفراد الحديد كالسكين والمنشار والمسمار وغير ذلك. كذلك في المقام أنّ الرجس والقذارة في الآية الكريمة عامّ وكلّي والأوثان من مصاديق ذلك العامّ ومن أفراد ذلك الكلّي، فمدخول كلمة "مِن" في الآية كلمة "الأوثان"، فكيف يمكن أن يكون المراد بها الجنس مع أنّ الأوثان من مصاديق الرجس كما تقدّم بيانه فلاحظ.

(٢) سورة التحريم:٤، وفي الآية دلالة واضحة على أنّ الله تبارك وتعالى ذمّ بعض أزواج النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لما ارتكبت من الذنب. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عبّاس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطّاب عن المرأتين من أزواج النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اللتين قال الله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ**

➔

الرسلصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ على ما يأتي بيانه، فهما لم يقنتا لله سبحانه ولم يعملن صالحاً[(١)]،

➔

قُلُوبُكُمَا﴾، حتّى حجّ وحججت معه وعدل وعدلت معه بإداوة، فتبرز ثمّ جاء فسكبت على يديه منها فتوضّأ فقلت له: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ اللتان قال الله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾؟ قال: واعجبا لك يا ابن عبّاس، هما عائشة وحفصة (صحيح البخاري ج٦: ص١٤٧ كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها). فالآية الكريمة بضميمة ما أخرجه البخاري في تفسيرها تدلّ على أنّ عائشة وحفصة تعاونتا على أذى النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ والقصّة مذكورة في كتب التفسير والحديث والتاريخ، وقد رواها كبار علماء أهل السنّة. وملخّصاً أنّ النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أسرّ إلى بعض أزواجه حديثاً، كما يقول سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ (سورة التحريم:٣). ومع قطع النظر عما كان السرّ، فإنّ المرأة التي أسرّ إليها النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لم تحتفظ بسرّه وأفشته. والمهمّ أنّ الأدلّة الصحيحة عند القوم تدلّ بالصراحة على أن عائشة وحفصة هما اللتين ذمّهما الله تعالى في هذه الآية الكريمة. وبعد ورود القدح في بعض نساء النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في القرآن الكريم والروايات الصحيحة المفسّرة للآية لا معنى لتزكية جميع أزواج النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه قد أجمع أهل التفسير على أنّ عائشه وحفصه تظاهرا على النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وأفشتا سرّهصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وقد شهد القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ**

🡐

➔
وَأَبْكَارًا﴾ (سورة التحريم: ٤-٥). فإنّ معنى " صَغَتْ قُلُوبُكُمَا " أي: زاغت قلوبكما، كما فى تفسير الطبرى وغيره عن ابن عبّاس، أي: زاغت قلوبكما، وزاغت أي أثمت قلوبكما وعن مجاهد قال: كنّا نرى أنّ قوله: فقد صغت قلوبكما، شيء هيّن، حتّى سمعت قراءه ابن مسعود: إن تتوبا إلى الله فقد زاغت قلوبكما (تفسير الطبري ج٢٨: ص٢٠٥). وقال البغوى: أى: زاغت ومالت عن الحقّ واستوجبتما التوبه. قال ابن زيد: مالت قلوبكما بأنّ سرّهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وآله (تفسير البغوي ج١: ص١٧٢). فمعنى "تظاهرا عليه" عند البغوى وغيره من المفسّرين: أى تتظاهرا وتتعاونا على أذى النبي صلى الله عليه وآله وفى الكشّاف: وإن تظاهرا وإن تعاونا عليه بما يسوءه (انظر الكشّاف ج٤: ص١٢٧). وقال ابن الجوزى: ثمّ خاطب عائشة وحفصة فقال: إن تتوبا إلى الله من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وآله بالإيذاء ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، قال ابن عبّاس: زاغت وأُثمت، قال الزجاج: عدلت وزاغت عن الحقّ. قال مجاهد: كنّا نرى قوله تعالى ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ شيئاً هيّناً حتّى وجدنا فى قراءه ابن مسعود: فقد زاغت قلوبكما... (وإن تظاهرا)... أي تعاونا على النبي بالإيذاء (زاد المسير في علم التفسير ج٨: ص٥٢). وقال القرطبى: قوله تعالى: وإن تظاهرا عليه أى: تتظاهرا وتتعاونا على النبي صلى الله عليه وآله بالمعصية والإيذاء (انظر تفسير القرطبي ج ١٨: ص١٨٩). وإلى غير ذلك من ممّا ورد في تفاسيرهم، ففي جميعها أنّ عائشة وحفصة هما المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله وتتعاونا على أذيّة رسول الله صلى الله عليه وآله فارتكبتا تلك المعصية العظيمة بشهادة القرآن والروايات المتواترة، أقوال المفسرين من أهل السنّة. وعليه فإنّ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ... ﴾ لا تدلّ على الجنس، لأنّ صريح القرآن والروايات تدلّ على أنّ عائشة وحفصة لم يقنتا لله سبحانه ولم يعملا صالحاً، بل كانت آثمين كما في صريح الآية الكريمة. وعليه
➔

فعلم من ذلك كون بعض الزوجات قانتات عملن الصالحات، وبعضهنّ غير قانتات، فـ"من" حينئذ للتبعيض، فتدبر[١].

وسادس عشرها: ما زعمه من كون المنافقين خارجين عن هذه الصفات[٢]،

فكيف أن يفتري ابن تيمية على الله ويقول: كلمة "من" في آية زوجات النبيصلى الله عليه وآله للجنس مع دلالة الآية الكريمة والروايات على أنّ المقصود بها بعض أزواج النبيصلى الله عليه وآله، لا كلهنّ فلاحظ.

(١) وملخّص الكلام أنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾ (سورة الأحزاب:٣١) ليست للجنس، لأنّ مدخولها ليس جنساً كلّياً لما قبلها، بل أنّ القرائن القطعيّة من الآيات والروايات تدلّ على أنّ المقصود بها بعض نساء النبيصلى الله عليه وآله، وكيف يمكن القول بإرادة الجنس من كلمة "من" مع أنّ المراد في الآية الكريمة بعض نساء النبيصلى الله عليه وآله، فمن الواضح لدى الخبير أنّ كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ...**﴾ للتبعيض لا للجنس، فلاحظ.

(٢) وتوضيح المقام أنّه قد ادعى ابن تيميّة أنّ بعض المنافقين من الصحابة كانوا يتّصفون بصفات المؤمنين المذكورة في الآية الكريمة: لأنّ الله تعالى قد مكّن لهم في الأرض، فكان لهم القدرة والحكومة، وهذا معناه أنّهم تابوا في عهد رسول اللهصلى الله عليه وآله وكانوا خارجين عن حكم النفاق. ولكن هذه الدعوى باطلة، لأنّ القرآن الكريم صريح في أنّ المنافقين في رتبة الكافرين كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (سورة

➔

التوبة:٧٣). فمقتضى العطف والاشتراك في العذاب دليل على وحدة الرتبة بينهما. كما أنّ القرآن الكريم صريح في أنّ المنافقين يستقرّون يوم القيامة في أحطّ وأسفل الدركات من الجهنّم، ولن يستطيع أحد أن ينقذهم من ذلك المصير أبداً، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾ (سورة النساء:١٤٥). ويتبيّن من خلال هذه الآية أنّ النفاق في نظر الإسلام أشدّ أنواع الكفر، لأنّ المستفاد من الآية الكريمة أنّ المنافقين يستحقّون أشدّ العذاب يوم القيامة، وهذا معناه أنّهم أبعد الخلق من الله، ولهذا السبب أنّ مستقرّهم ومكانهم النهائي في أحطّ نقطة من نقاط جهنّم، حيث أنّهم يستحقّون هذا العقاب، لأنّ ما يلحق البشريّة من ويلات إلى يومنا هذا كان من جانب هؤلاء. فهم أشدّ خطراً من كلّ الأخطار على الإسلام والمسلمين؛ حيث أنّ هؤلاء أنّ ظاهر هؤلاء والتباسهم بظاهر الإيمان كان سبباً لضلالة الناس، لأنّهم كانوا يحملون بصورة غادرة الإيمان الظاهري، وينهجون منهج الكفر بمطلق الحرّيّة في الباطن، ويطعنون المؤمنين من الخلف بخناجرهم المسمومة. فمن البديهي أن يكون حال هؤلاء المنافقين كالأعداء الذين يظهرون بلباس الأصدقاء. فهم أشدّ خطراً من الأعداء المعروفين الذين يعلنون عداوتهم صراحةً. وفي الواقع أنّ النفاق هو أسلوب وسلوك كلّ فرد أبتر ومنحط ومشبوه وجبان وملوّث بكلّ الخبائث ومن لا شخصيّة له. وبعد استقرار صفة النفاق لا يعقل التوبة إلاّ بالخروج عن هذه الصفة الذميمة. فإنّ توبة المنافق خروجه عن النفاق، والخروج عن النفاق يحتاج إلى الدليل القطعي، كخروج الكافر من كفره ودخوله في الإسلام. ولذلك قال الله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (سورة النساء:١٤٦). فأوضحت هذه الآية

🡐

فإنّه من بيّن كذبه على الله سبحانه؛ فإنّه تعالى قد خاطب نبيّهﷺ في فرقانه بما دلّ على وجود منافقين في المدينة ماردين على النفاق ليس يعلمهم بل الله سبحانه يعلمهم[(١)]،

بأنّ المجال مفتوح للتوبة حتّى لأكثر الناس تلوّثاً في الكفر والنفاق، فإنّ العودة إلى رحمة الله والتمسّك بحبله والإخلاص لله بالإيمان أمر ممكن، ولكن لا بدّ من إثباته بالدليل القطعي، فإنّ مجرد دعوى التوبة لا أثر لها. فلا بدّ من إثبات ذلك بما يوجب القطع واليقين. وعليه فإنّ قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...**﴾ (سورة النور:٥٥) لا يشمل المنافقين، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ (سورة التوبة:١٠١). والآية الكريمة تنصّ على وجود المنافقين بين أصحاب الرسولﷺ، فتقول: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ**﴾، أي: يجب أن لا ترتكزوا اهتمامكم على المنافقين الموجودين داخل المدينة، بل ينبغي أن تأخذوا بنظر الاعتبار أنّ المنافقين المتواجدون في أطراف المدينة أن يتحذّر منهم، ويترقب أعمالهم ونشاطاتهم الخطرة. فإنّ كلمة الأعراب في الآية الكريمة إشارة إلى سكّان البادية، وهم الذين كانوا متواجدين أطراف المدينة. ثمّ تضيف الآية بأنّ في المدينة نفسها قسماً منهم وصلوا في النفاق إلى أقصى درجاته في العداء والتمرّد والأذى كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾. مردوا بمعنى التمرّد المطلق، وهي في الأصل بمعنى التعرّي والتجرّد، ولهذا يقال لمن لم ينبت الشعر في وجهه أمرد، وشجرة مرداء أي خالية من أي ورقة، والمارد هو الشخص العاصي الذي خرج على القانون ويكون عاصيا بالنسبة إلى جميع القوانين

➔

؛ وحيث أنّ المنافقين قد انسلخوا من الحقّ وخرجوا عن الإسلام بجميع الجهات، وفي الحقيقة تسلّط النفاق على جميع أعمالهم إلى درجة أنّهم وإن كانوا يظهروا بصفات المؤمنين من دون أن ينتبه أحد إلى حقيقتهم ومراوغتهم، ولكنّهم في الباطن هم في أشدّ العداء للإسلام وللنبيﷺ ولأهل بيته عليهم السلام. وبالتالي فهم أشدّ خطراً على المسلمين، فكان على المسلمين أن يراقبوا هؤلاء بدقّة ولا يغفلوا عنهم، فتقول الآية: ﴿**لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**﴾. ومن الطبيعي أن هذا إشارة العلم الطبيعي للنبيﷺ، ولكن هذا لا ينافي أن يقف النبيﷺ كاملاً على أسرارهم عن طريق الوحي والتعليم الإلهي. وفي النهاية تبيّن الآية صورة العذاب الذي سيصب هؤلاء فتقول الآية: ﴿**سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾. ولا شكّ أنّ العذاب العظيم إشارة إلى عذاب يوم القيامة، إلاّ أن العذابين هو العقاب الاجتماعي لهؤلاء، المتمثّل في فضيحتهم وهتك أسرارهم، والكشف عمّا في ضمائرهم من خبيث النوايا، وهذا نوع من العذاب الاجتماعي. والدليل على ذلك ما قرأناه في الآيات السابقة، وقد ورد في بعض الأحاديث أنّ أعمال هؤلاء عندما كانت تبلغ حدّ الخطر، كان النبيﷺ يعرّف هؤلاء الناس بأسمائهم وصفاتهم، بل وربّما كان يطردهم من المسجد. قال الجصّاص في تفسير قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾: وهو عذاب جهنّم. وقال ابن عبّاس: في الدنيا بالفضيحة، لأنّ النبيﷺ ذكر رجالاً منهم بأعيانهم، والأخرى في القبر (انظر أحكام القرآن للجصّاص ج٣: ص١٨٨). وقال صاحب مجمع البيان: ﴿**سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ**﴾ فيه أقوال، أحدها: إنّ معنى قوله تعالى: ﴿**سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ**﴾ أي: نعذّبهم في الدنيا بالفضيحة، فإنّ النبيﷺ ذكر رجالاً منهم، وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته، وقال: «اخرجوا فإنّكم منافقون»، عن ابن عبّاس، والسدي، والكلبي (انظر مجمع البيان

➔

فعدم علمه بهم من حيث تظاهرهم بصفات المؤمنين وبأفعالهم الحسنة، فإنّه لو فرض عدم تحلّيهم بذلك لعلم بنفاقهم[1]،

➔

للعلاّمة الطبرسي ج٥: ص١١٤). وعلى كلّ حال فإنّ الله تبارك وتعالى قد أخبر نبيّهﷺ بوجود المنافقين في المدينة المنوّرة، وكان لهم صفات النفاق. فكيف يمكن أن يكون هؤلاء متّصفون بصفات النفاق ألآن يكونوا في درجة المؤمنين المذكرة في الآية الكريمة؟!!!

(١) وبعبارة أوضح أنّ المنافقين لو كانوا يظهرون للمسلمين صفاتهم السيّئة وأخلاقهم البذيئة ودسائسهم الماكرة ومؤامراتهم المنكرة لانفضحوا بينهم، ولكنّهم كانوا يتحذّرون من أن يعرفهم المسلمون، فكانوا دائماً بصدد إيجاد الخدعة والاحتيال لئلاّ ينعرفوا، فكانوا يظهرون الطاعة ويضمرون التمرّد. قال الله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ (سورة التوبة:١٠١). فقد عرّفهم الله تعالى في هذه الآية المباركة بصفاتهم اللئيمة وذلك لكي يعرفهم المؤمنون على سماتهم، حيث أنّهم كانوا يبرزون الإسلام ويضمرون الكفر والإلحاد، قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ طاعَةٌ فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾ (سورة النساء:٨١)، فهذه الآيات توضّح موضع المنافقين من النبيﷺ، حيث أنّهم كانوا يعلمون أنّ النبيﷺ مفترض الطاعة بنصّ القرآن الكريم، فكانوا يظهرون الطاعة بحسب الظاهر، ولكن في الواقع هم من ألدّ أعداء النبيﷺ. ومن الواضح لدى الخبير أنّ هذا ليس معناه الاتّصاف بصفة الإيمان، وليست مجرّد الطاعة الظاهريّة الإيمان الحقيقي، بل يلزم أن تكون الطاعة غير مناقضة بصفات

➔

فبان ممّا نبّهنا عليه من آية سورة التوبة فساد ما زعمه السنّي من عدم اتّصاف المنافقين بهذه الصفات[1].

➔

النفاق، فإذا كان متّصفاً بصفات النفاق التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم فإنّه من المنافقين، وذلك كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾ (سورة النساء:١٤٥). وعليه كيف يقول ابن تيميّة بأنّ المنافقين تابوا حيث أنّهم كانوا يتّصفون بصفات الإيمان؟!! فإنّ الله تعالى يقول أنّ إبرازهم الإيمان كان من مكائدهم وحيلهم، وحقيقة المنافق هي أن يظهر الإيمان ليخدع به المؤمنون، وليس ذلك من علامة التوبة كما هو واضح ظاهر.

(١) وتوضيح المقام أنّ الله تبارك وتعالى قد بيّن في كتابه العزيز أوصاف المنافقين كما في قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ (سورة التوبة:١٠١)، فمن أوصاف المنافقين أنّهم كانوا يدّعون الإيمان والإسلام، ولكن في الحقيقة كانوا يكرهون الإسلام ومبادئه، وكانوا يضمرون الكفر والإلحاد، وكانوا يسعون في العداوة والبغضاء لأهل الإيمان والإسلام. وبيّن سبحانه وتعالى صفاتهم في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة البقرة:٨)، فإنّهم وإن كانوا يظهرون الإسلام ويقيمون الشعائر الدينيّة أمام الناس ولكن قلوبهم لن تؤمن بالله أبداً؛ فأوضح سبحانه وتعالى صفاتهم وعرفهم بمكرهم وخدعتهم وحقدهم على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿**يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُم وَمَا يَشعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَض فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضا وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمُ بِمَا كَانُواْ يَكذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفسِدُواْ فِي ٱلأَرضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحنُ مُصلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُم هُمُ ٱلمُفسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا**

🡐

➔

يَشعُرُونَ﴾ (سورة البقرة: ٩-١٢). فكان الناس يعرفون المنافقين بهذه الصفات التي أوضحها الله سبحانه في كتابه العزيز، وبما عرفهم رسول الله ﷺ بصفات ذميمة أخرى التي من أهمّها العداوة لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما ورد في الأحاديث المتواترة لدى الفريقين، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن زرّ بن حبيش، قال: قال علي: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّي ﷺ إلى أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب الدليل على حبّ الأنصار والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). فهذا الحديث فيه المعيار العام لمعرفة المنافقين وتمييزهم عن المؤمنين، حيث أعطى رسول الله ﷺ معياراً عامّاً لأصحابه ليميّزوا به المنافقين عن المؤمنين، فجعل رسول الله ﷺ حب الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان وبغضه علامة الكفر والنفاق. ولذلك كان الصحابة يعرفون المنافقين بالصفة بغضهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما ورد ذلك في الروايات المتواترة الواردة في كتب القوم، منها: ما أخرجه الترمذي في سننه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: إن كنّا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب (سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٨). ومنها: ماأخرجه الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي ذرّ قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلي ابن أبي طالب (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٨). ومنها: ما أخرجه ابن عبد البرّ في الاستيعاب بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض لعلي بن أبي طالب (انظر الاستيعاب لابن عبد البرّ ج٣: ص١١١٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. فالقرآن الكريم

🡐

ولو قطعنا النظر عن ذلك فهذه الصفات لم يتّصف بها المنقلبون على العقب منذ فارقهم الرسول صلى الله عليه وآله في الباطن، لعلمه سبحانه بردّتهم فيما بعد[١].

←

والروايات المتواترة تبين حقيقة المنافقين وصفاتهم بوضوح. وإذا كان الأمر كذلك معناه أنّ المنافقين من الصحابة كانوا يمتازون عن غيرهم من المؤمنين، فكيف يقول ابن تيميّة بأنّ بعض المنافقين تابوا، لأنّهم كانوا يتّصفون بصفات المؤمنين. ونحن نسأله هل أنّ الصفات المميّزة بين المنافق والمؤمن كالحبّ والبغض لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان فيهم أم لا؟ فإذا كانوا يتّصفون بصفة النفاق كيف يصحّ دعوى توبتهم؟!! ومن الواضح أن صفة النفاق كانت واضحة فيهم، لاسيّما الذين بايعوا أبي بكر، فإنّهم كانوا معروفين ببغضهم وعداوتهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعليه فلا معنى لقول ابن تيمية في المقام فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه لو فرضنا أنّ الصحابة لم يتّصفوا بصفات المنافقين في حال حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ الانقلاب على الأعقاب مباشرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ممّا لا يمكن إنكاره، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٥). هذه الآية الكريمة تتحدّث عمّا سيقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من الانقلاب وارتداد الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعنى الانقلاب على الأعقاب الرجوع إلى الكفر والجاهليّة السابق. ومحصّل معنى الآية على ما فيها من سياق العتاب والتوبيخ بالنسبة إلى الصحابة، هو قوله تعالى مخاطباً لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله ما هذا مضمون كلامه تعالى: أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله مثل سائر الرسل، وشأنه تبليغ رسالة ربّ العالمين، وأمر

←

➔

الدين بيد الله عزّ وجلّ، وأنّ دينه باق ببقاء ملك الله عزّ وجلّ، فما معنى اتّكاء إيمانكم على حياته صلى الله عليه وآله، حيث يظهر من كلامكم أنّه صلى الله عليه وآله لو مات أو قتل تركتم القيام والدفاع الدين ورجعتم إلى أعقابكم القهقرى واتّخذتم الغواية بعد الهداية؟!! وأقوى شاهد على هذا السياق، الحوادث التي حدثت عند نزول هذه الآية الكريمة في غزوة أحد، وذلك عندما أذاع العدو قتل النبي صلى الله عليه وآله في ساحة القتال، ليهبّط نفوس ضعاف الإيمان من الصحابة، فانسلّت الصحابة انسلالاً من الأعداء وتولّوا عن القتال، وكانوا يقولون بأنّ الإسلام انتهى بموت النبي صلى الله عليه وآله وشهادته، ويؤيّد ذلك ما رواه ابن كثير في سيرته: من أنّ أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك انتهى إلى عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يحبسكم؟ قالوا: قتل رسول الله، قال: فما ذا تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّى قتل (سيرة ابن كثير ج٣: ص٦٨). وبالجملة فمعنى هذا الانسلال والإلقاء بالأيدي أنّ إيمانهم كان قائماً ببقاء النبي صلى الله عليه وآله وزائلاً بوفاته صلى الله عليه وآله، فعاتبهم الله عليه. ومن الواضح لدى الخبير أنّ الأصل في الآيات القرآنيّة أنّها صالحة لكلّ زمان إلاّ ما خرج بالدليل أو العكس. فلو أراد الله تخصيص هذه الآية فقطّ بمعركة أحد لقال: "فإن قتل" ولكن من جهة شموله لحالة الموت أيضاً قال تعالى: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ وهذه العبارة موحية بشكل لا لبس فيه، أنّ هذه الحالة ستكرّر عند وقوع موته صلى الله عليه وآله حقيقةً. كما أنّه لا معنى للترديد من قبل الله تعالى بحرف أو الذي يفيد الافتراق بين المعطوف والمعطوف عليه كما هو مجمع عليه عند أهل اللغة، وهو الله العالم بالغيب وعالم بكيفيّة موت نبيّه صلى الله عليه وآله، فما جاء به في الآية الكريمة إلاّ لإرادته شمول الواقعتين، واقعة شيوع قتله في أحد وواقعة وفاته صلى الله عليه وآله. فتركيز الآية على التوبيخ والاستنكار

➔

➔

على الانقلاب ناظر إلى الارتداد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كما يؤيده الروايات الكثيرة الواردة بهذا المعنى في المقام، منها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي زرعة عن جرير أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال له في حجّة الوداع: «استنصت الناس»، فقال: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (صحيح البخاري ج١: ص٣٨ كتاب العلم، باب حفظ العلم). ومنها: مارواه بسنده عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيّها الناس أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام، قال: «فأي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام، قال: «فأيّ شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام، قال: «فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا»، فأعادها مراراً، ثمذ رفع رأسه فقال: «اللهم هل بلّغت؟ اللهم هل بلّغت؟» قال ابن عبّاس: فوالذي نفسي بيده إنّها لوصيته إلى أمّته «فليبلّغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (صحيح البخاري ج٢: ص١٩١ كتاب الحجّ، باب الخطبة أيّام منى). وأخرج بسنده عن واقد بن محمد سمعت أبي قال: قال عبد الله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: «ألا أيّ شهر تعلمونه أعظم حرمة؟» قالوا: ألا شهرنا هذا، قال: «ألا أيّ بلد تعلمونه أعظم حرمة؟» قالوا: ألا بلدنا هذا، قال: «ألا أيّ يوم تعلمونه أعظم حرمة؟» قالوا: ألا يومنا هذا، قال: «فإنّ الله تبارك وتعالى قد حرّم دمائكم وأموالكم وأعراضكم إلاّ بحقّها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلّغت» ثلاثاً كلّ ذلك يجيبونه: ألا نعم، قال: «ويحكم» أو «ويلكم لا ترجعنّ بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (صحيح البخاري ج٨: ص١٥ كتاب الحدود، باب ظهر المؤمن حمى إلاّ في حدّ أو حقّ). وإلى غير ذلك من الروايات فإنّها تدلّ على أنّ الله تعالى أخبر بما سيحدث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من الإنقلاب على

🡐

وقد ثبت في الصحيحين على ما نبهّنا عليه سابقاً ما دلّ على كون العبرة بالخاتمة[١]،

➔

الأعقاب، فلاحظ.

(١) هذه العبارة اشارة إلى ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، فقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي، أنّ رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلمّا مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذّة ولا فاذّة إلاّ اتّبعها يضربها بسيفه فقال: ما أجزأ منّا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا إنّه من أهل النار!!!» فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه كلّما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابة بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول ﷺ فقال: أشهد أنّك رسول الله، قال: «وما ذاك؟» قال الرجل: الذي ذكرت آنفاً أنّه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابة بين ثدييه ثمّ تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إنّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنّة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإنّ الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنّة» (صحيح البخاري ج٣: ص٢٢٦ كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، وقال النبي ﷺ: «الله أعلم بمن يجاهد في سبيله الله أعلم بمن يكلّم في سبيله»). وأخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أنّ رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلمّا مال رسول الله ﷺ إلى عسكره

➔

➔

ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذّة إلاّ اتّبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منّا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا إنّه من أهل النار» فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبداً، قال: فخرج معه كلّما وقف وقف معه وإذا أسرع اسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثمّ تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنّك رسول الله، قال: «وما ذاك؟» قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنّه من أهل النار فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه حتّى جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثمّ تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إنّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنّة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإنّ الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنّة» (صحيح مسلم ج١: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه). وقد أخرج أحمد بن حنبل هذا الحديث بسنده عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنّه لمن أهل الجنّة، وإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنّة وإنّه لمن أهل النار وإنّما الأعمال بالخواتيم» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٣٥). والمستفاد من الحديث أنّ العبرة في إيمان الإنسان وعدمه هي الخاتمة. وقد يتسائل الإنسان أنّه لماذا غيّب الله خاتمة العمل عن العبد؟ ولماذا لم يُخبر كلّ واحد بما يختم له؟ والجواب أنّ في ذلك حكمة بالغة وتدبير لطيف من ربّ العالمين، لأنّه لو كان ناجيًا سيكسل ويصاب بالعجب، وإن كان هالكاً ازداد عتواً ونفوراً، ولذلك كان من رحمة الله على العبد إخفاء الخواتيم، ولأنّ الإنسان لا يصلح حاله إلاّ إذا صار بين الخوف والرجاء، فإذا صار في الخوف

➔

وقد عرفت حال خاتمة الجمهور من الصحابة سوى من تاب منهم بعد ذلك وحارب في صحبة إمامه يوم الجمل وصفين دون من خذله ومن حاربه[1].

فقطّ أيس من رحمة الله لا يصلح حاله، وإذا كان في الرجاء فقطّ يعتمد على رحمة الله لا يصلح حاله، حتّى يكون بين الخوف والرجاء، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه أحد طرق معرفة حال الصحابة من جهة حسن حالهم وعدمه هو ملاحظة خاتمة أعمالهم. إذ لا يخفى على الباحث الخبير أنّ جماعة كبيرة من الصحابة الذين رافقوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في الحروب، بل واستشهدوا في ركابه، أنّهم كانوا ممّن بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ثمّ تابوا ورجعوا إلى الحقّ ودانوا الله بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وقد اتّبعوا الهدى على بصيرة من أمرهم وأيقنوا أنّ فعلوه بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله من البيعة لخلفاء الجور كانت مخالفة قطعية لأوامر الله ورسولهصلى الله عليه وآله، لأنّ الآيات والروايات التي نزلت بحق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كانت مرتكزة في أذهانهم، وقد خالفوها وهم يعلمون، فكانوا يعلمون قول النبيصلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ» (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٣١٨، والمطالب العالية لابن حجر ج١٦: ص١٦٧، ومجمع الزائد للهيثمي ج٧: ص٢٣٥، وتاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦١ وغيرها من المصادر). وقولهصلى الله عليه وآله فيه: «عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى...» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ تاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وج٥: ص١٣٩ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، وصحيح مسلم ج٧: ص ١٢٠ كتاب المناقب، باب مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، ومسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٧٠، وغيرها من المصادر). وإلى غير ذلك من أحاديث النبويّة الواردة في شأن

وسابع عشرها: ما زعمه من أكثرية وجود النفاق في الرفضة[1]، فإن

➔

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؛ وقد أخرجها كبار علماء أهل السنّة. فالأدلّة القطعيّة من الكتاب والسنّة صارت سبباً لرجوع مجموعة من الصحابة وتوبتهم من تلك المخالفة. وقد صرّح كبار علماء أهل السنّة أنّ الصحابة الذين استشهدوا في صفّين تحت لواء مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام خمسة وعشرون بدريّاً، وثلاث وستّون من أصحاب بيعة الرضوان بالجنّة، فهؤلاء جميعاً كانوا في جيش الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فقتلهم أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وقد منّ الله عليهم بالهداية، فتابوا ورافقوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وتابعوهعليه السلام إلى آخر لحظة حياتهم، وبذلك أثبتوا حسن عاقبتهم وجميل خاتمتهم، والشهادة في سبيل الله كما سنذكر تفصيل الكلام في محلّه.

(١) لا يخفى أنّ ما زعمه ابن تيميّة في المقام يتوقّف على بيان أمور، الأوّل: بيان تعريف النفاق وحقيقته من القرآن الكريم والسنّة النبويّة القطعيّة المتّفق عليها بين جميع المسلمين. الثاني: بيان معنى الشيعة، وهل أنّه يقصد بالشيعة الاثني عشرية أو غيرهم؟ الثالث: بيان علائم النفاق من الكتاب والسنّة القطعية المتّفق عليها بين جميع المسلمين. ثمّ نصل إلى هذه المرحلة لنرى هل أنّ ما نسبه ابن تيميّة إلى الشيعة ينطبق على مجموعة من المسلمين أم لا؟ ولا بدّ من بيان إثبات انطباقها على من يتوفّر فيه هذه العلامات. وحيث أنّ ما زعمه ادّعاء بلا دليل، بل مخالف للقرآن والسنّة النبويّة فلا قيمة لزعمه وادّعائه. وأمّا ما يصحّ القول في ذلك هو في ما ينطبق عليه هذه المقولة بالدليل القطعي. وسيتّضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

قصد بهم غير اثني عشريّة الشيعة وهم الفرق التي تسمّت باسم الشيعة فهم ضالّون مضلّون ولو لم نسمّهم منافقين، والبحث ليس معه[1]، ولو قصد بهم

---

(١) لا يخفى على الباحث أنّ مصطلح الشيعة في الأخبار والروايات لا ينطبق إلاّ على الشيعة الاثني عشرية، لإنّ إطلاق الشيعة على غير الاثني عشري لا دليل عليه، وأشاعة تسمية بعض الناس بالشيعة غير الاثني عشري إنّما هي من كيد أعداء أهل البيت عليهم السلام، حيث أنّهم أرادوا تشويه سمعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام، فكانوا ينشرون هذا المصطلح بين الناس وينسبونها إلى غير الإثني عشري في عصر إمامة أئمة الهدى عليهم السلام ليتوهّم الناس أنّ الشيعة بينهم اختلاف، كما دلّ على ذلك ما رواه الكشي في رجاله بسنده عن المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يوماً ودخل عليه الفيض بن المختار، فذكر له آية من كتاب الله عزّ وجلّ تأوّلها أبو عبدالله عليه السلام فقال له الفيض: جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ قال عليه السلام: «وأيّ الاختلاف يا فيض؟» فقال له الفيض: إنّي لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أشكّ في اختلافهم في حديثهم، حتّى أرجع إلى المفضّل بن عمر، فيوقفني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي ويطمئنّ إليه قلبي. فقال أبو عبدالله عليه السلام: «أجل هو كما ذكرت يا فيض، إنّ الناس أولعوا بالكذب علينا، إنّ الله افترض عليهم لا يريد منهم غيره، وإنّي أحدّث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتّى يتأوّله على غير تأويله، وذلك أنّهم لا يطلبون بحديثنا وبحبّنا ما عند الله، وإنّما يطلبون به الدنيا، وكلّ يحب أن يدّعي رأساً، أنّه ليس من عبد يرفع نفسه إلاّ وضعه الله، وما من عبد وضع نفسه إلاّ رفعه الله وشرّفه. فإذا أردت بحديثنا فعليك بهذا الجالس» وأومأ بيده إلى رجل من أصحابه، فسألت أصحابنا عنه فقالوا: زرارة بن أعين (رجال الكشّي ج١: ص٣٤٧). والملفت للنظر هو كثرة الفِرق التي تسمّى باسم الشيعة، وتعدّدها بدرجة كبيرة حتّى تكاد تنفرد الشيعة بهذه السمة، أو

←

←

تقل: بهذا البلاء! فبعد وفاة كلّ إمام من الأئمة عليهم السلام عند الشيعة تظهر فرقة جديدة، وكلّ طائفة تذهب في تعيين إمام خاصّ وكانت السلطة تساعدهم على ترويج تلك الطائفة باسم الشيعة لإيجاد الحيرة بين أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الرجوع إلى الإمام المعصوم الذي نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله من الأئمة الاثني عشر الذين عيّنهم رسول صلى الله عليه وآله في الأحاديث متواترة بين المسلمين الدالّة على ذكر الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام بأسمائهم واحداً بعد واحد، وبها يتّم ما ذهب إليه الشيعة الاثني عشرية من أنّ الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الاثني عشر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام. وقد رواها علماء أهل السنّة في كتبهم، منها: ما رواه إبراهيم بن محمّد الحمويني الشافعي في كتابه فرائد السمطين بسنده عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله والحديث طويل جدّاً وفيه قوله صلى الله عليه وآله: «فنظرت فرأيت اثني عشر نوراً، وفي كلّ نور سطر أخضر عليه اسم وصيّ من أوصيائي، أوّلهم علي وآخرهم القائم المهدي» (فرائد السمطين ج٢: ص٧٩)، ورواه القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودّة ج٣: ص٣٧٧. وروى الحمويني أيضاً بسنده عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا (عليه التحية والثناء)، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحبّ أن يستمسك بديني ويركب سفينة النجاة بعدي فليقتد بعلي ابن أبي طالب وليعاد عدوّه وليوال وليّه، فإنّه وصيي وخليفتي على أمّتي في حياتي وبعد وفاتي، وهو إمام كلّ مسلم وأمير كلّ مؤمن بعدي، قوله قولي وأمره أمري ونهيه نهيي وتابعه تابعي وناصره ناصري وخاذله خاذلي». ثم قال صلى الله عليه وآله: «من فارق عليّاً بعدي لم يرني ولم أره يوم القيامة، ومن خالف عليه حرّم الله عليه الجنّة وجعل مأواه النار، ومن خذل عليّاً خذله الله يوم يعرض عليه، ومن نصر عليّاً نصره الله يوم

←

➔

يلقاه ولقّنه حجّته عند المسألة». ثم قالصلى الله عليه وآله: «والحسن والحسين إماما أمّتي بعد أبيهما، وسيّد شباب أهل الجنّة، وأمّهما سيدة نساء العالمين، وأبوهما سيّد الوصيّين. ومن ولد الحسين تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، إلى الله أشكو المنكرين لفضلهم والمضيّعين لحرمتهم بعدي وكفى بالله وليّاً وناصراً لعترتي أئمة أمّتي ومنتقماً من الجاحدين حقّهم، ﴿وَسَيَعلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾» (فرائد السمطين ج٢: ص٣١٣). وروى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده وعن عباية بن ربعي عن جابر قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «أنا سيّد النبيّين وعليّ سيّد الوصيّين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أوّلهم عليعليه السلام وآخرهم القائم المهدي (ينابيع المودّة ج٢: ص٣١٦). ومنها: ما رواه بسنده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: جاء يهودي من يهود المدينة إلى عليعليه السلام قال: إنّي أسألك عن ثلاث وثلاث وعن واحدة، فقال عليعليه السلام: «لم لا تقول أسألك عن سبع؟» قال: أسألك عن ثلاث فإن أصبت فيهنّ سألتك عن الثلاث الآخر، فإن أصبت فيهنّ سألتك عن الواحدة، فقال عليعليه السلام: «ما تدرى إذا سألتني فأجبتك أخطأت أم أصبت؟» فأخرج اليهودي من كمّه كتاباً عتيقاً قال: هذا ورثته عن آبائي وأجدادي عن هارون جدّي إملاء موسى بن عمران وخطّ هارون بن عمرانعليهما السلام وفيه هذه المسألة التي أسألك عنها، قال علي: «إن أجبتك بالصواب فيهنّ لتسلم»، فقال: والله أسلم الساعة على يديك إن أجبتني بالصواب فيهنّ، قال له: «سل»، قال: أخبرني عن اوّل حجر وضع على وجه الأرض، وعن اوّل شجرة نبتت على وجه الأرض، وعن أوّل عين نبعت على وجه الأرض. قال: «أمّا اوّل حجر وضع على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها صخرة بيت المقدّس وكذبوا، ولكن هو الحجر الأسود نزل به آدمعليه السلام من الجنّة فوضعه في ركن البيت

🡐

➔

والناس يتمسّحون به ويقبّلونه ويجدّدون العهد والميثاق، لأنّه كان ملكاً ابتلع كتاب العهد والميثاق وكان مع آدم في جنّة، فلمّا خرج آدم خرج هو فصار حجراً» قال اليهودي: صدقت، قال علي عليه السلام: «وأمّا أوّل شجرة نبتت على الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها الزيتونة وكذبوا، ولكنّها نخلة من العجوة نزل بها آدم عليه السلام من الجنّة فأصل كلّ النخلة العجوة»، قال اليهودي: صدقت، قال علي عليه السلام: «وأمّا اوّل عين نبعت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها العين التي كانت تحت صخرة بيت المقدّس وكذبوا، ولكنّها عين الحياة التي نسى عندها صاحب موسى السمكة المالحة، فلمّا أصابها ماء العين حييت وعاشت وشربت منه، فاتّبعها موسى وصاحبه الخضر عليهما السلام»، قال اليهودي: صدقت، قال علي عليه السلام: «سل عن الثلاث الآخر»، قال: أخبرني كم هذه الأمّة بعد نبيّها من إمام، وأخبرني عن منزل محمّد أين هو في الجنّة، وأخبرني من يسكن معه في منزله؟ قال علي عليه السلام: «لهذه الأمّة بعد نبيّها اثنا عشر إماماً لا يضرّهم خلاف من خالفهم» قال اليهودي: صدقت، قال علي عليه السلام: «ينزل محمّد صلى الله عليه وآله في جنّة عدن وهي وسط الجنان وأعلاها وأقربها من عرش الرحمن جلّ جلاله» قال اليهودى: صدقت، قال علي عليه السلام: «والذي يسكن معه في الجنّة هؤلاء الأئمة الاثنا عشر، أوّلهم أنا وآخرنا القائم المهدي»، قال: صدقت، قال علي عليه السلام: «سل عن الواحدة»، قال: أخبرني كم تعيش بعد نبيّك، وهل تموت أو تقتل؟ قال: «أعيش بعده ثلاثين سنة وتخضب هذه (أشار بلحيته) من هذا (أشار برأسه الشريف)»، فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وأشهد أنّك وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله (ينابيع المودة ج٣: ص٢٨٥). ومنها: ما رواه الحمويني بإسناده عن أبي نضرة قال: لمّا احتضر أبو جعفر محمّد بن علي عند الوفاة دعا بابنه الصادق ليعهد إليه عهداً، فقال له أخوه زيد بن علي: لو امتثلت في

🡐

➔

تمثال الحسن والحسين عليهما السلام لرجوت أن لا تكون أتيت منكراً، فقال له: «يا أبا الحسين، إنّ الأمانات ليست بالمثال ولا العهود بالسوم، وإنّما هي أمور سابقة عن حجج الله تبارك وتعالى». ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال له: «يا جابر حدّثنا بما عاينت من الصحيفة»، فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر، دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لأهنّئها بمولد الحسين عليه السلام فإذا بيدها صحيفة من درّة بيضاء، فقلت: يا سيدة النسوان ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: «فيها أسماء الأئمة من ولدي»، فقلت لها: ناوليني لأنظر فيها؟ قالت: «يا جابر، لولا النهي لكنت أفعل، لكنّه قد نهى أن يمسّها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ أو أهل بيت نبيّ، ولكنّه مأذون لك أن تنظر إلى بطنها من ظاهرها». قال جابر: فقرأت فإذا: «أبو القاسم محمّد بن عبد الله المصطفى وأمّه آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمّد الحسن بن علي وأبو عبد الله الحسين بن علي التقي أمّهما فاطمة بنت محمّد، أبو محمّد علي بن الحسين العدل أمّه شاه بانويه بنت يزدجرد بن شاهنشاه، أبو جعفر محمّد بن علي الباقر أمّه أمّ عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق أمّه أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، أبو إبراهيم موسى بن جعفر الثقة أمّه جارية اسمها حميدة، أبو الحسن علي بن موسى الرضا أمّه جارية اسمها نجمة، أبو جعفر محمّد بن علي الزكي أمّه جارية اسمها خيزران، أبو الحسن علي بن محمّد الأمين أمّه جارية اسمها سوسن، أبو محمّد الحسن بن علي الرفيق أمّه جارية اسمها سمانة، أبو القاسم محمّد بن الحسن هو حجّة الله القائم أمّه جارية اسمها نرجس (صلوات الله عليهم أجمعين)» (فرائد السمطين ج٢: ص١٤٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام الدالّة على أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام اثني عشر قد جاء ذكرهم

🡐

من جعل يردّ عليهم فقد تبيّن بحمد الله سبحانه وتوفيقه بالبيّنات الساطعات إلى هنا كونهم هم المؤمنين حقّاً دون غيرهم من فرق أهل القبلة وهم الفرقة الناجية من بين ثلاث وسبعين فرقة[1]، ووصفهم بالرفضة ليس بذمّ

➔

بأسمائهم وجميع خصوصياتهم في الروايات التي رواها الفريقين. فالشيعة هم الذين يوالون الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، فتسمية الشيعة بغير الاثني عشري لا دليل عليه من الشرع. فما ذكره بعض علماء الفرق في كتبهم لا دليل عليه من الشرع، بل الدليل قائم على خلاف ما ادعوه. فحال غير الإثني عشرية عند الشيعة كحال المخالفين لأهل البيت عليهم السلام إن لم نقل أنّهم من المنافقين وأعداء أهل البيت عليهم السلام الذين رسخوا بين الشيعة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المتواتر بين الفريقين وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: «ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلاّ واحدة، وهي الناجية من النار»، فقد أخرج ابن ماجة في سننه بسنده عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنّة، وسبعون في النار. وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فاحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنّة. والذي نفس محمّد بيده! لتفترقنّ أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنّة واثنتان وسبعون في النار» (سنن ابن ماجة ج٢: ص١٣٢٢). وأخرج أبو داود في سننه بسنده عن معاوية بن أبي سفيان: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام فينا فقال: «ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة، وإنّ هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعين في النار، واحدة في الجنّة» (سنن أبي داود ج٤: ص١٩٧). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتبهم ومصادرهم المعتبرة. وقد أكّد كبار علماء أهل السنّة على صحّة هذا الحديث

➔

➔

وتواتره، قال عبد القاهر البغدادي في كتابه الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرقة الناجية: للحديث الوارد في افتراق الأمّة أسانيد كثيرة، وقد رواه عن النبيﷺ جماعة من الصحابة... وهذا الحديث حديث ثابت صحيح (انظر الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية: ص٥). وقال المناوي: أنّه قال جلال الدين السيوطي الشافعي: هذا الحديث متواتر، ذكره المُناوي في كتابه فيض القدير (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٢: ص٢٧). وقال الكتاني في كتابه نظم المتناثر في حديث المتواتر نقلاً عن السيوطي: أنّ حديث تفترق الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، أخرجه أبو داود، والترمذي، والحاكم، وابن حبّان، والبيهقي، وصحّحوه من حديث أبي هريرة وغيره، وعدّه المؤلّف من المتواتر (انظر نظم المتناثر في حديث المتواتر: ص٤٨٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم. ولا يخفى على الخبير أنّ الفرقة الناجية لا بدّ وأن تكون مميزة عن جميع الفرق بما يقطع جميع أهل الإسلام بكونها أهل النجاة من النار. وبعبارة أخرى يستفاد من ظاهر الحديث أنّ قولهﷺ: ستفترق أمتي...، أنّ مدار النجاة يوم القيامة ليس الإيمان وقبول الإسلام وحده، لأنّ النبيﷺ قد استعمل لفظ أمّتي لجميع الفرق المنتسبة إلى أمّته، ومعناه أنّ جميع من آمن برسول اللهﷺ هم من أمته، ولكن ليس كل من آمن برسول اللهﷺ هو من الفرقة الناجية. وعليه لا بدّ أن تكون لفرقة الناجية مميزات تعرف بها الفرقة الناجية عن غيرها. ومن هنا يعرف أهميّة كبرى في فهم الحديث. وأمّا معرفة الفرقة الناجية من أمّة رسول اللهﷺ لا بدّ أن تكون من خلال القرآن والروايات المتّفق عليها بين جميع المسلمين. وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أنّ الله تبارك وتعالى قد أشار إلى هذه الحقيقة بصورة واضحة وهي قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة

🡐

➔

التغابن:٨). فمضافاً إلى أنّ الله سبحانه وتعالى أمر الناس بالإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله، أمرهم باتّباع النور الذي أنزله الله. والمقصود بالنور الذي أنزله الله تعالى هو القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة الأعراف:١٥٦). فمن الواضح أنّ القرآن الكريم هو النور الذي يهتدي به الناس من ظلمات الضلال إلى نور الهداية الربانية. ثم إنّ معارف القرآن الكريم تحتاج إلى من التبيين من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كما قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (سورة النحل:٤٤). فرسول الله صلى الله عليه وآله كان مبيّناً لكتاب الله عزّ وجلّ. وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله أمّته بالرجوع إلى الثقلين، في حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين. فقال صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (سنن الترمذي ج٥: ص٣٢٩). فجعل عترته الطاهرة عدلاً للقرآن الكريم، ويعرف من خلال قوله صلى الله عليه وآله: لن يفترقا، أنّ العترة الطاهرة عليهم السلام كالقرآن مرجع لهداية الناس على نحو الإطلاق، ومعناه: أي فكما أنّ القرآن نور يهتدي به الناس على نحو الإطلاق، كذلك العترة الطاهرة عليهم السلام كذلك هم النور الذي يجب أن يهتدي بهم الناس. ومن هنا يعرف حقيقة الفرقة الناجية، حيث أنّ من تمسّك بالقرآن والسنّة النبويّة المتّفقة بين جميع المسلمين، يجب عليه أن يتمسّك بحديث الثقلين. ومن

➔

➔

خلال الحديث الثقلين يعرف أنّ العترة الطاهرةعليهم السلام كاقرآن مرجع لهداية الناس. فالفرقة الناجية هي التي تمسّكت بالقرآن والعترة الطاهرةعليهم السلام. ومن هنا يعرف أنّ كلام عترته الطاهرةعليهم السلام نوركالقرآن الكريم به الناس في عقائدها، وعباداتها، وأحكامها، وأخلاقها. ومن الواضح حيث أنّ الشيعة الاثني عشريّة تمسّكوا بالثقلين فهم الفرقة الناجية في كلام رسول اللهصلى الله عليه وآله؛ إذ أنّهم تمسكوا بالقرآن وبإمامة العترة الطاهرةعليهم السلام، وهم آل بيت النبي المصطفىصلى الله عليه وآله أئمة أهل البيتعليهم السلام؛ ولذلك قال علماء أهل السنّة أنّ الشيعة هم الذين يوالون الأئمة الاثني عشر من أهل البيتعليهم السلام ولا يخرجون منها، وإليك جانباً من هذه الأقوال:

١. قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: الشيعة هم الذين شايعوا عليّاًعليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيّة، إمّا جليّاً وإمّا خفيّاً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص١٤٦).

٢. وقال ابن منظور في لسان العرب، والفيروزآبادي في القاموس المحيط، والزبيدي في تاج العروس: وقد غلَب هذا الاسم (أي الشيعة) على من يتوالى عليّاً وأهل بيتهعليهم السلام حتّى صار لهم اسماً خاصّاً، فإذا قيل: (فلان من الشيعة) عُرف أنّه منهم (انظرلسان العرب ج٨: ص١٨٩، والقاموس المحيط ج٣: ص٤٩، تاج العروس ج٢١: ص٣٠٣).

٣. وقال الزهري: والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبيصلى الله عليه وآله ويوالونهم (انظر لسان العرب ج٨: ص١٨٩، وتاج العروس ج٢١: ص٣٠٣).

٤. قال ابن خلدون: اعلم أنّ الشيعة لغةً: الصَحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلّمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيهعليهم السلام (انظر مقدّمة ابن خلدون: ص١٩٦).

➔

لهم ونقص فيهم بل مدحة شريفة لما بعثهم للحقّ ورفضهم عن البيّنات الشرعيّة اليقينيّة للباطل طلباً لرحمة الله ومرضاته، فأي عار يلحقهم في هجر

➔

٥. وجاء عن ابن القيّم الجوزيّة في كتابه الصواعق المرسلة: الوجه التاسع: إنّ فقهاء الإماميّة من أوّلهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنّه لا يقع الطلاق المحلوف به وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت، وهب أنّ مكابراً كذبهم كلّهم، وقال: قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة، فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلّهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم واحتجّ به المسلمون (انظر الصواعق المرسلة ج١: ص٦١٦).

٦. وعن عامر عبد الله فالح، من كتاب السلفيّة المعاصرين، في كتابه معجم ألفاظ العقيدة الذي قال في مقدّمته: (اخترت أوثق الأقوال في كثير من المسائل لعلماء متقدمين ومتأخرين ومعاصرين)... قال معرّفاً بالشيعة: الشيعة: هم الذين شايعوا عليّاً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصاية إمّا جلياً وإما خفيّاً، وقالوا: أنّ الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقيّة من عنده (انظر معجم ألفاظ العقيدة: ص٢٤٧).

والنتيجة: أنّ الشيعة باعتراف مؤرّخي الفرق والمذاهب الإسلاميّة، هي الفرقة الوحيدة التي تولت إمامة أهل البيت عليهم السلام وأخذت دينها عنهم فقهاً واعتقاداً. وإذا أضفنا إلى حديث الثقلين حديث اثني عشر خليفة تخرج جميع الفرق المنتسبة إلى الشيعة كالزيديّة والإسماعيليّة والواقفيّة وغيرهم لعدم اعتقادهم بأئمة الاثني عشر فلاحظ.

الباطل ورفضه؟[١]

---

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ مصطلح الرافضة من المصطلحات سياسيّة التي استخدمها طواغيت بني أميّة وبني العبّاس ضدّ الشيعة الاثني عشريّة، لأنّ معنى الرافضة أو الروافض في اللغة هو كلّ جماعه ترفض مبدأ من المبادي الدينيّة، فسمّوا شيعة أهل البيت عليهم السلام بهذا الاسم ليتخيّل لأوّل وهلة أنّ هؤلاء رفضوا قواعد الإسلام ولم يعملوا بها، أو أنّهم رفضوا رسالة النبيّ محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يقبلوا بها، في حين أنّه لو سألتهم عن وجه التسمية لقالوا لك أنّ ذلك باعتبار أنّهم رفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وجميع خلفاء بني أميّة وبني العبّاس ومن كان تابعاً لخلافة السقيفة. فكان أتباع السقيفة يرون شيعة أهل البيت عليهم السلام من معارضيهم والثائرين على ظلمهم، فكانوا يسمّون الشيعة بالروافض ليتخيّل الناس أنّ هؤلاء رفضوا قاعدة من قواعد الإسلام ولم يعملوا بها، فأصبح مصطلح الرافضة مصطلحاً خاصّاً بالشيعة الاثني عشريّة يستخدمه خصومهم على نحو التعريض والذمّ، فاستخدمه ابن تيميّة في المقام لهذه الجهة. ولكن الشيعة تفتخر بهذا الاسم على نحو العزّة والفخر، لأنّ هذا الاسم دليل على رفضهم لكلّ الطواغيت الذين تحكّموا على الأمّة الإسلامية على امتداد تاريخها. وهذا ما نقف عليه في الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد روى أحمد بن محمّد بن خالد البرقي بسنده عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، اسم سمّينا به استحلّت به الولادة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: «وما هو؟» قال: الرافضة، فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى عليه السلام فلم يكن في قوم موسى عليه السلام أحد أشدّ اجتهاداً ولا أشدّ حبّاً لهارون منهم، فسمّاهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى: أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإنّي نحلتهم، وذلك اسم قد نحلكموه الله» (المحاسن ج١: ص١٥٧). وروى العلامة المجلسي في ←

➔

بحار الأنوار بسنده عن عتيبة بياع القصب، عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: «والله لنعم الاسم الذي منحكم الله ما دمتم تأخذون بقولنا، ولا تكذبون علينا»، قال: وقال لي أبو عبد اللهعليه السلام: «هذا القول، أنّي كنت خبرته أنّ رجلاً قال لي: إيّاك أن تكون رافضيّاً» (بحار الأنوار ج٦٥: ص٩٦). وروى البرقي في المحاسن بسنده عن أبي الجارود قال: قلت له: أنّ فلاناً سمّانا باسم، قال: «وما ذاك الاسم؟» قال: سمّانا الرافضة، فقال أبو جعفرعليه السلام وضرب بيده إلى صدره: «وأنا من الرافضة وهو منّي» قالها ثلاثاً (المحاسن ج١: ص١٥٧). وورد في التفسير الإمام الحسن العسكريّعليه السلام، أنّه قيل للإمام الصادقعليه السلام: إنّ عمّاراً الدهنيّ شهد اليوم عند ابن أبي ليلي قاضي الكوفة بشهادة. فقال له القاضي: قم يا عمّار فقد عرفناك، لا تقبل شهادتك لأنّك رافضيّ. فقام عمّار وقد ارتعدت فرائصه، واستفرغه البكاء. فقال له ابن أبي ليلي: أنت رجل من أهل العلم والحديث، إن كان يسؤك أن يقال لك "رافضيّ" فتبرّأ من الرفض، فأنت من إخواننا، فقال له عمّار: يا هذا ما ذهبتُ والله حيثُ ذهبتَ، ولكنّي بكيتُ عليك وعليّ: أمّا بكائي على نفسي فإنّك نسبتني إلى رتبة شريفة لست من أهلها، زعمت أنّي رافضيّ، ويحك لقد حدّثني الصادقعليه السلام «أنّ أوّل من سميّ الرافضة: السحرة الذين لمّا شاهدوا آية موسي في عصاه، آمنوا به واتّبعوه، ورفضوا أمر فرعون، واستسلموا لكلّ ما نزل بهم فسمّاهم فرعون: الرافضة لمّا رفضوا دينه». فالرافضي من رفض كلّ ما كرهه الله تعالى، وفعل كلّ ما أمره الله، فأين في الزمان مثل هذا؟ فإنّما بكيتُ على نفسي خشية أن يطّلع الله تعالى على قلبي، وقد تقبّلت هذا الاسم الشريف على نفسي، فيعاتبني ربّي عزّ وجلّ ويقول: يا عمّار، أكنتَ رافضاً للاباطيل، عاملاً للطاعات كما قال لك؟ فيكون ذلك تقصيراً بي في الدرجات إن سامحني، وموجباً لشديد العتاب عليّ إن ناقشني، إلاّ

➔

➔
أن يتداركني مواليّ بشفاعتهم. وأمّا بكائي عليك، فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي، وشفقتي الشديدة عليك من عذاب الله تعالي أن صرفت أشرف الأسماء إليّ أن جعلته من أرذلها، كيف يصبر بدنك على عذاب الله، وعذاب كلمتك هذه؟! فقال الصادق عليه السلام: «لو أنّ على عمّار من الذنوب ما هو أعظم من السماوات والأرضين، لمحيت عنه بهذه الكلمات، وإنّها لتزيد في حسناته عند ربّه عزّ وجلّ حتّى يجعل كلّ خردلة منها أعظم من الدنيا ألف مرّة» (التفسير إمام العسكريّ عليه السلام: ص٣١٠) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام عنهم عليهم السلام.

ويستنتج من جميع ما تقدّم أنّ ابن تيمية كأسلافه أراد بهذا الاسم أن يذمّ الشيعة، ولكن غفل أنّ الشيعة تفتخر بهذا الإسم وبهذا الرفض، حيث أنّ معناه الرفض عن جميع الحكومات الظالمة والطواغيت المستبدة التي غصبت الخلافة من أهل البيت عليهم السلام، ابتداءً من يوم السقيفة وإلى يومنا هذا. وقدكما نبّه أئمة أهل البيت عليهم السلام بأنّ هذا اللقب بحدّ ذاته ليس ذماً بل يكون مدحاً للشيعة ومحبي البيت عليهم السلام ونابذي الباطل وأهله. ولذلك قال الشافعي: إنّ هذا اللقب وإطلاقه على محبي اهل البيت عليهم السلام لا يمنع من احترامهم ولا يؤدّي إلى ترك حبّهم وأتباعهم، فقال: إن كان رفضاً حبّ آل محمّد **** فليشهد الثقلان أنّي رافضي. وقد نقله الآلوسي في تفسيره، ثمّ قال: فقال: فمودّة العلويّين الفاطميّين ألزم من محبّة العباسيّين على القول بعموم ″القربى″ وهي على القول بالخصوص قد تتفاوت أيضاً باعتبار تفاوت الجهات والاعتبارات وآثار تلك المودّة التعظيم والاحترام. والقيام بأداء الحقوق أتمّ قيام، وقد تهاون كثير من الناس بذلك حتّى عدّوا من الرفض السلوك في هاتيك المسالك....ثم قال الآلوسي مصرّحاً: وأنا أقول قول الشافعي: إن كان رفضاً حبّ آل محمّد **** فليشهد الثقلان إني رافضي (انظر تفسير الآلوسي ج٢٥:
➔

وثامن عشرها: ما زعمه من توبة جماعة من المنافقين على عهد

➔

ص٣٢). وقد ذكر الذهبي هذه الأبيات في تاريخ الإسلام وقصّتها، من إنّها كانت في رحلة الشافعي للحجّ، فكان الشافعي يبكي وينشد ويردد باستمرار في الطريق هذه الابيات... (انظر تاريخ الإسلام ج١٤: ص٣٤٢). وعليه فما بال إنّ ابن تيمية أن قصد بهذا الإسم والعنوان معنىً سيّئاً وإدانة بعد أن كان كبار أهل نحلته يفتخرون بالانتساب إليه.

ثم إنّ معنى الرفض لو كان الرفض من الظلم والاستبداد ومحاربته، وقبول الحقّ فهو عنوان صحيح للشيعة ويتبنّاه أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام بكلّ إجلال واعتزاز، كما أنّ كلمة الشيعة جاءت من الفعل "شاعَ يشيعُ" بمعني المطاوعة، والمشايعة بمعني: المتابعة؛ ومعنى المتابعة هنا هي المتابعة لسنّة الرسولصلى الله عليه وآله الذي قال رسول اللهصلى الله عليه وآله في الحديث متفق عليه بين الفريقين: «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (انظر صحيح مسلم ج٧: ص١٢٢ كتاب الفضائل، باب فضائل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام). مضافاً إلى أنّ جماعة من أفاضل الصحابة ممّن ذكرهم التاريخ بكلّ إجلال واعتزاز كانوا يلقبون بهذا اللقب ويسمّون بشيعة عليعليه السلام: وهم: سلمان الفارسي وأبي ذرّ الغفاري والمقداد بن أبي الأسود وعمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر وجابر بن عبد الله الأنصاري وابن عبّاس وغيرهم، وهم الذين ترحّم عليهم الامام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام وذكرهم بكلّ بخير وأثنى عليهم كما نقلت كتب التاريخ والأخبار، وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

الرسول صلى الله عليه وآله[(١)]

---

(١) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيميّة في المقام يترتب على معرفة عدّة أمور: الأمر الأول معرفة حقيقة التوبة. الأمر الثاني: معرفة حقيقة النفاق وما يترتّب عليه من الأحكام حسب الأدلّة النصوص. الأمر الثالث هل أنّ توبة المنافق تكون مقبولة أم لا؟

أمّا حقيقة التوبة: فهي عبارة عن الرجوع إلى الله بعد ارتكاب المعصية، مع الإرادة والطلب الجازم، أو الرجوع إلى صراط الله المستقيم بعد الانحراف عنه. ولا بدّ من احترازها، قال الله تعالى: ﴿**تُوبُوا إلى الله توبةً نَصُوحاً عَسى ربُّكُمْ أن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سيّئاتكُم**﴾ (سورة التحريم:٨)، وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَاده وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَات وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ (سورة الشورى:٢٥)، وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَاده وَيَأْخُذُ الصَّدَقَات وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (سورة التوبة:١٠٤). والمستفاد من الآيات أنّ التوبة هي العودة عن الذنب وهي تغسل جميع الذنوب والمعاصي، والمراد بها إمكان شمول العفو الإلهي، يعني الذين ارتكبوا المعاصي ثم ندموا من ذنبهم فهم فإنّهم قد يشملهم العفو الإلهي. ثمّ إنّ العفو الإلهي الذي يشمل الأشخاص اللائقين له، كما مرّ في تفسير الآيات مشروطة ومقيّدة بأمور: الأوّل: أنّ العفو الإلهي مشروط ومقيّد بالمشيئة الإلهية، أي أنّ العفو الإلهي يكون خاصاً بالأشخاص الذين يثبتون بصورة عملية لياقتهم وصلاحيتهم لهذه الهبة الإلهية بنحو من الأنحاء. الثاني: أنّ الندم من الذنب مشروط ومقيد بعدم العود إلى الذنب، أي الالتزام العملي بعدم العودة للذنب بعد التوبة. الثالث: أنّ التوبة مشروطة ومقيدة بالشفاعة. وسنذكر توضيح هذه الأمور في محله ان شاء الله تعالى. وهناك روايات كثيرة في باب التوبة وردت في المقام، منها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أسامة بن سلمان أنّ أباذر

←

➔
حدّثهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ الله يقبل توبة عبده أو يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب»، قالوا: يا رسول الله وما الحجاب؟ قال: «إن تموت النفس وهي مشركة» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١٧٤). ومنها: ما رواه العلاّمة المجلسي في كتابه بحار الأنوار عن كتاب الدعوات للراوندي قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر، توبوا إلى ربّكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالاعمال الزاكية قبل أن تشتغلوا، وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إيّاه» (بحار الأنوار ج٦: ص١٩). وإلى غير ذلك من الروايات.

أمّا الأمر الثاني: فإنّ حقيقة النفاق قد بيّنها الله سبحانه في كتابه العزيز، لاسيّما بعد ثبوت النفاق ووجود علائمه فيه؛ فإنّ القرآن الكريم أخبر عن مصير المنافقين يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾ (سورة النساء:١٤٥). ويتبيّن من هذه الآية أنّ النفاق من نظر الإسلام أشدّ أنواع الكفر، وإنّ المنافقين أبعد الخلق من الله، لأنّ مستقرّهم ومكانهم النهائي في أحطّ نقطة من نقاط جهنّم، فاستحقاقهم هذا العقاب من جهة شدّة مخالفتهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله، لأنّ ما يلحق البشريّة من الويلات من جانب هؤلاء هو أشدّ خطراً من كلّ الأخطار، لأنّ هؤلاء بسبب إظهارهم الإيمان وإضمارهم الإلحاد والعداء، يحملون صورة غادرة على المؤمنين بمطلق الحرّيّة، ويطعنونهم من الخلف بخناجرهم المسمومة، وبديهي أن يكون حال أعداء - كهؤلاء - الذين يظهرون أنفسهم بلباس الأصدقاء أشدّ خطراً من الأعداء المعروفين الذين يعلنون عداوتهم صراحة، وفي الواقع فإنّ النفاق هو أسلوب وسلوك كلّ فرد أبتر ومنحطّ ومشبوه وجبان وملوّث بكلّ الخبائث ومن لا شخصيّة له.

أمّا الأمر الثالث وهو هل أنّ توبة المنافق تكون مقبولة أم لا؟ فقد أوضح سبحانه
➔

فإنّه ليس يجديه نفعاً من حيث عدم توبة جميعهم[1]، وقد روى مسلم في

➔

وتعالى بأنّ إزالة العذاب عن المنافقين مشروطة بشرائط خاصّة، فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء:١٤٦). فقد اشترط سبحانه فى إزالة العقاب عن المنافقين أموراً أربعة، أوّلها: التوبة، والتوبة عبارة عن ترك الذنب، والبناء على عدم العود واقعاً خوفاً من الله. وثانيها: يشترط إصلاح العمل، وذلك بالاستمرار في العمل الصالح وما يصلح به حاله في دينه وسمّي عملاً صالحاً، لأنّه العمل الصالح هو ما يصلح به حاله في دينه. وثالثها: الاعتصام بالله، وهو أن يكون غرضه من التوبة وإصلاح العمل طلباً لمرضاة الله، لا لطلب مصلحة خاصّة. ورابعها: الإخلاص في العمل، بأن يكون توبته لطلب مرضاة الله خالصاً وأن لا يمتزج به غرض آخر. فالمنافقون ليس لهم منقذ من عذاب الله، ولا ناصر لهم ليدفع عنهم العذاب العظيم، إلاّ بالتوبة مع الشرائط المذكورة في الآية الكريمة. ومن الواضح أنّه لا بدّ من إحراز هذه التوبة بصورة واضحة شفافة ليعلم الكل، أنّ المنافق دخل في زمرة التائبين حقيقةً. حيث أنّ النفاق أمر حادث لا يرفعه إلاّ التوبة الخاصّة، وهي المشروطة بالشرائط المذكورة في الآية الكريمة، ولا بدّ من إحراز التوبة بشرائطها ليصح دعوى خروجه عن النفاق. وعليه فإنّ دعوى ابن تيميّة من أنّ بعض المنافقين من الصحابة تابوا باطلة، لأنّه لا بدّ من تحقّق التوبة المنافق مع إحراز تحقّق شرائطها في الخارج، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه بعد ثبوت أنّ الصحابة كان فيهم أهل المعصية والنفاق، فلا بدّ من إحراز توبتهم، لأنّ التوبة من الأمور الحادثة ومسبوقة بالعدم فيحتاج إلى الإثبات، وحيث لم يرد دليل على ثبوت توبتهم فلا أثر لدعوى ابن تيميّة، بل أنّ

➔

صحيحه ما دلّ على وجود أربعة عشر منافقاً فيهم[1].

➔

الآيات القرآنية صريحة في ضلالة بعض الصحابة ونفاقهم كما تقدّمت الإشارة إلى بعضها. وكذلك الروايات المتواترة الدالّة على أنّ أكثر الصحابة كانوا من أهل النار كحديث الحوض وحديث «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر» وغيرهما من الأحاديث الدالّة على أنّ أكثر الصحابة أهل النار التي تقدّمت الإشارة إليهما، وسنذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى. وعليه ما زعمه ابن تيميّة في المقام باطل بالأدلّة القطعية من الكتاب والسنّة. ثمّ إنّ للذنب مراتب ودرجات، وكلّما كانت درجتها أشدّ فتكون توبتها أصعب وأشدّ بمقتضى أهمية الذنب، حيث أنّ بعض الذنوب لا يمكن الاستغفار عنها إلاّ برضا صاحب الحقّ. فتوبة الصحابة والمنافقين من هذا القبيل، لأنّ مكرهم واحتيالهم لإغواء المؤمنين لا يسقط عنهم العذاب إلاّ بإحراز قبول توبتهم ، لأنّهم كانوا سبباً لإضلال لأمّة وانحرافهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وعليه ما ادّعاه ابن تيمية من أنّ جميع الصحابة تابوا بعد ارتكابهم المعاصي باطل كما لايخفى على أحد.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي الطفيل قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم: أخبره إذ سألك، قال: كنّا نخبر أنّهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة، قالوا: ما سمعناه منادي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا علمنا بما أراد القوم وقد كان في حرّة، فمشى فقال: إنّ الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ (صحيح مسلم ج٨: ص١٢٢ كتاب التوبة، باب صفات المنافقين وأحكامهم). وقد

➔

➔

جاء ذكر عدد أربعة عشر من المنافقين في هذه الرواية، وكان حذيفة بن اليمان يعرفهم بأسمائهم، ولكن أخفى أساميهم بأمر النبيﷺ، وحيث أنّ الصحابة كانوا يعلمون أنّ حذيفة يعرف جميع المنافقين الذين اغتالوا النبيﷺ في العقبة فكانوا يأتون إليه ويستوثقون، فيسألونه هل أنّه وجدهم في المنافقين أم لا؟ حتّى أنّ عمر ابن الخطّاب كان يخاف من أن يفتضح فسأل حذيفة، كما ورد في الحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة المصنف بسنده عن زيد بن وهب قال: مات رجل من المنافقين فلم يصل عليه حذيفة، فقال له عمر: أمن القوم هذا؟ قال: نعم، قال: بالله أمنهم أنا؟ قال: لا، ولن أخبر به بعدك أحداً (المصنف ج٨: ص٦٣٧). وقال ابن حجر في مقدّمة كتابه فتح الباري: أنّ من رواية يعقوب بن سفيان الفسوي: قول عمر في حديثه: يا حذيفة بالله أنا من المنافقين؟ (مقدّمة ابن حجر: ص٤٠٢). وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أمّ سلمة قالت: قال النبيﷺ: «من أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبداً»، قال: فبلغ ذلك عمر قال: فأتاها يشتدّ أو يسرع شكّ شاذان، قال: فقال لها: أنشدك بالله أنا منهم؟ قالت: لا ولن أبرئ أحداً بعدك أبداً (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٢٩٨). وأخرج بسنده عن مسروق قال: دخل عبد الرحمن على أمّ سلمة فقالت: سمعت النبيﷺ يقول: «إنّ من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبداً»، قال: فخرج عبد الرحمن من عندها مذعوراً حتّى دخل على عمر فقال له: اسمع ما تقول أمّك؟ فقام عمر: حتّى أتاها فدخل عليها فسألها ثمّ قال: أنشدك بالله أمنهم أنا؟ فقالت: لا، ولن أبرئ بعدك أحداً (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٣١٢). والظاهر أن عمر بن الخطّاب كان خائفاً جدّاً من هذا الموضوع بحيث سأل عنه حذيفة وأمّ سلمة! كما جاء في الحديث المتقدم ذكره. ولقد وقع حذيفة وأمّ سلمة في حرج شديد من سؤال عمر

🡐

➔

الخطير لهما وبأنّ هذا الحرج من قولهما: لن أبرئ بعدك أحداً.

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي نضرة عن قيس قال: قلت لعمّار: أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي، أرأياً رأيتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً لم يعهده إلى الناس كافّة، ولكن حذيفة أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم، ثمانية لا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة وأربعة لم احفظ ما قال شعبة فيهم (صحيح مسلم ج٨: ص١٢٢ كتاب التوبة، باب صفات المنافقين وأحكامهم). هذه الرواية إشارة إلى عدد المنافقين الذين أرادوا اغتيال النبي صلى الله عليه وآله في العقبة عند رجوعه صلى الله عليه وآله من تبوك إلى المدينة، وقد ذكر الواقدي في مغازيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله أخذ العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إلاّ النفر الذين أرادوا المكر به، فقد استعدّوا وتلثموا، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر فمشيا معه مشياً، وأمر عمّاراً أن يأخذ بزمام الناقة وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم، قد غشّوهم. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر حذيفة أن يراهم ويتعرّف عليهم، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم وضربها بالمحجن، وأبصر القوم وهم متلثمون، فأُرعبوا حين أبصروا حذيفة، وظنّوا أنّ مكرهم قد ظهر، فأسرعوا حتّى خالطوا الناس. وأقبل حذيفة حتّى أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا أدركه، قال صلى الله عليه وآله: «اضرب الناقة يا حذيفة، وامش أنت يا عمّار، فأسرعوا»، وخرجوا من العقبة، ينتظرون الناس. فقال النبي صلى الله عليه وآله: «يا حذيفة هل عرفت أحداً منهم؟» فقال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان، وكانت ظلمة الليل قد غشيتهم وهم متلثّمون، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هل عرفت ما شأنهم وما يريدون؟» قال حذيفة: لا يا رسول الله، قال النبي صلى الله عليه وآله: «فإنّهم

🡐

➔

فكّروا أن يسيروا معي حتّى إذا صرت في العقبة طرحوني فيها!» فقال حذيفة: فلا ترأف بهم إذا جاءك الناس، قال: «أكره أن يتحدّث الناس، ويقولوا: إنّ محمّداً قتل أصحابه، ثمّ سمّاهم بأسمائهم» (انظر كتاب المغازي للواقدي ج٢: ص١٠٤٢). وإلى غير ذلك من الروايات، الواردة في المقام. ومن المهاجمين للنبيﷺ ليلة العقبة! أبو موسى الأشعري، فقد أخرج المتذقي الهندي في كنز العمّال بإسناده عن أبي نجاء حكيم قال: كنت جالساً مع عمّار فجاء أبو موسى فقال: ما لي ولك؟ ألست أخاك؟ قال: ما أدري ولكن سمعت رسول اللهﷺ يلعنك ليلة الجبل، قال: إنّه قد استغفر لي، قال عمّار: قد شهدت اللعن ولم أشهد الاستغفار (كنز العمّال ج١٣: ص٦٠٨)، ورواه الذهبي في سير الأعلام النبلاء ج٢: ص٣٩٤، والفسوي في تاريخه ج٢: ص٧٧١ وغيرهم. وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب: فنزل أبو موسى حينئذ بالكوفة وسكنها، فلمّا دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولّوا أبا موسى، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه، فأقرّه عثمان على الكوفة إلى أن مات، وعزله عليّعليه السلام عنها، فلم يزل واجداً منها على عليّ، حتّى جاء منه ما قال حذيفة، فقد روى فيه لحذيفة كلام كرهت ذكره، والله يغفر له (الاستيعاب ج٣: ص٩٨٠). وفي رواية أخرى: روى جرير بن عبد الحميد الضبي عن الأعمش عن شقيق أبي وائل قال: قال حذيفة بن اليمان: والله ما في أصحاب رسول اللهﷺ أحد أعرف بالمنافقين منّي، وأنا أشهد أن أبا موسى الأشعري منافق (انظر الإيضاح لفضل ابن شاذان: ص٢٠). وقد سمع عبد الله بن عمر ذلك لكنّه قال لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري: إنّ أباك كان خيراً من أبي (انظر مشكاة المصابيح لأبي عبدالله محمّد الخطيب: ص٤٥٨).

ومن جملة المهاجمين للرسولﷺ في العقبة أبو بكر وعمر وعثمان، فقد أخرج

🡐

➔

المتّقي الهندي في كنز العمّال بإسناده عن حذيفة قال: مرّ بي عمر بن الخطّاب وأنا جالس في المسجد فقال لي: يا حذيفة، إنّ فلاناً قد مات فاشهده، ثمّ مضى حتّى إذا كاد أن يخرج من المسجد التفت إلى فرآني وأنا جالس فعرف فرجع إلى فقال: يا حذيفة أنشدك الله أمن القوم أنا؟ قلت: اللّهم لا ولن أبرئ أحداً بعدك فرأيت عيني عمر جاءتا (كنز العمّال ج١: ص٣٦٩). ويذكر أنّ الذي مات في زمن عمر وحذيفة هو أبو بكر، فالمقصود بفلان أي: أبي بكر، وهذه عادة معروفة عند علماء أهل السنّة مع الشيخين أبي بكر وعمر، وقد ذكر ابن عساكر بأنّ حذيفة لم يصل على أبي بكر (انظر مختصر تاريخ مدينة دمشق ج٦: ص٢٥٣). لكنّه ذكر لفظة فلان بدل اسم أبي بكر. وعلى كلّ تقدير قد عرف عمر بعدم رغبة حذيفة بالصلاة على جثمان أبي بكر، لتحريم الصلاة على المنافقين كما قال تعالى: ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أحَدٍ منهُم مَّاتَ أبَداً وَلاَ تَقُم عَلَى قَبره**﴾ (سورة التوبة:٨٤). وقال ابن حزم: وأمّا حديث حذيفة فساقط لأنّه من طريق الوليد بن جميع وهو هالك ولا نراه يعلم من وضع الحديث، فإنّه قد روى أخباراً فيها أنّ أبا بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وسعد بن أبي وقّاص أرادوا قتل النبيﷺ وإلقاءه من العقبة... (المحلّى لابن حزم ج١١: ص٢٢٤). ولكن أخرج الطبراني في توثيق حذيفة ما ورد عن أبي حرب ابن أبي الأسود عن أبيه وعن رجل عن زاذان الكندي قالا: كنّا ذات يوم عند عليعليه السلام، فوافق الناس منه طيب نفس ومزاج فقالوا: يا أمير المؤمنين، حدّثنا عن أصحابك، قال: «عن أيّ أصحابي؟» قال: عن أصحاب محمدﷺ... قلنا: فحدّثنا عن حذيفة بن وابنه، قال: «علم أسماء المنافقين وسأل عن المعضلات حتّى غفل عنها تجدوه بها عالماً» (المعجم الكبير ج٦: ص٢١٤). وقال حذيفة: لو كنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي لأغرف، فحدّثتكم بكلّ ما أعلم ما وصلت يدي إلى

←

وفي الدرّ المنثور روى زيادة على ذلك[(١)]، بل عرفت حال المنقلبين على العقب[(٢)].

➔

فمي حتّى أقتل (انظر مختصر تاريخ مدينة دمشق ج٦: ص٢٥٩). أي لو أخبر حذيفة بأسماء المنافقين الأحياء منهم والأموات لقتلوه بسرعة، لذلك لم يخبر بأسمائهم في زمن حكم أبي بكر وعمر ولكنّه كان لا يصلّي عليهم وهذه إشارة إلى هذه الحقيقة. وعن حذيفة أنّه قال: خذوا عنّا فإنّا لكم ثقة، ثمّ خذوا عن الذين يأخذون عنّا، فإنّهم لكم ثقة، ولا تأخذوا عن الذين يلونهم. قالوا: لم؟ قال: لأنّهم يأخذون حلو الحديث ويدعون مرّه، ولا يصلح حلوه إلاّ بمرّه (انظر مختصر تاريخ مدينة دمشق ج٦: ص٢٥٩). وقال حذيفة: لقد حدّثني رسول اللهﷺ بما يكون حتّى تقوم الساعة، غير أنّي لم أسأله ما يخرج أهل المدينة منها (انظر مختصر تاريخ مدينة دمشق ج٦: ص٢٤٩). وإلى غير ذلك من الروايات وهي تدلّ على أنّ حذيفة كان يعلم أسماء المنافقين من الصحابة، فلاحظ.

(١) انظر الدرّ المنثور للسيوطي ج٣: ص٢٦٠، في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ (سورة التوبة:٧٤).

(٢) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤). فالآية الكريمة تشير إلى قضية ارتداد بعض الصحابة في غزوة أحد عندما سمعوا شايعة استشهاد النبيﷺ في

🡐

←

ساحة الحرب، فقال بعضهم: لقد انتهى الإسلام بموت النبيﷺ فارتدّ أكثر الصحابة ورجعوا إلى الجاهليّة الأولى، فالآية الكريمة: إنّ وفاة النبيﷺ أو استشهاده لا تؤثّر في هدف الإسلام والرسولﷺ لأنّ الإسلام لا ينتهي بموت النبيﷺ أو استشهاده حتّى إذا قتل النبيﷺ ونال الشهادة في المعركة – افتراضاً – لا ينتهي كلّ شيء ولا يسقط واجب الجهاد والنضال عن كاهل المسلمين، بل إنّ هذا الواجب مستمرّ، وعليهم أن يواصلوه، لأنّ الإسلام هو الدين الحقّ الذي أنزل ليبقى خالداً إلى الأبد. وهذا دليل على حقّانيّة الإسلام والنبي الأكرمﷺ، لأنّ قيامه ودعوته لو كانت لنفسه وبهدف تحقيق مصالحه الشخصية للزم أن يعمق في الأذهان والقلوب هذه الفكرة التي أذاعها بعض الصحابة في غزوة أحد، وحيث أنّ الإسلام دين لا يرتبط بشخص، بحيث إذا غاب عنهم ذهب وانتهى كلّ شيء، فإنّه دليل على حقانيته. فالنبي الأكرمﷺ كان يكافح هذه الأفكار بقوّة ويقول: إنّ أهدافنا أعلى من أشخاصنا وهي لا تنتهي بموتنا وبغيابنا واغتيالنا، ولهذا ما يقوله القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ؟**﴾. والجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم استخدم للتعبيرعن الردّة إلى الجاهليّة بكلمة ﴿**انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾، والأعقاب جمع عقب بمعنى التراجع إلى الوراء والارتداد الواقعي، وهو أكثر إيحاءاً وأقوى تصويراً من لفظة الردّة والرجوع والعودة، لأنّه بمعنى السير القهقرى، أي الرجوع إلى الوراء. وبالجملة فمعنى هذا الانسلال والإلقاء بالأيدي أنّ إيمانهم كان قائماً ببقاء النبيﷺ وزائلاً بوفاتهﷺ، فعاتبهم الله عليه. ومن الواضح لدى الخبير أنّ الأصل في الآيات القرآنيّة أنّها صالحة لكلّ زمان إلاّ ما خرج بالدليل أو العكس. فلو أراد الله تخصيص هذه الآية

←

➔

فقطّ بمعركة أحد لقال: "فإن قتل" ولكن من جهة شموله لحالة الموت أيضاً قال تعالى: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ وهذه العبارة موحية بشكل لا لبس فيه، أنّ ذات الحالة ستكرّر عند وقوع موت النبي صلى الله عليه وآله حقيقةً. كما أنّه لا معنى للترديد من قبل الله تعالى بحرف أو الذي يفيد الافتراق بين المعطوف والمعطوف عليه كما هو مجمع عليه عند أهل اللغة، وهو الله العالم بالغيب وعالم بكيفيّة موت نبيّه صلى الله عليه وآله، فما جاء به في الآية الكريمة إلاّ لإرادته شمول الواقعتين، واقعة شيوع قتله في أحد وواقعة وفاته صلى الله عليه وآله. فتركيز الآية على التوبيخ والاستنكار على الانقلاب ناظر إلى الارتداد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا معناه الإخبار عمّا سيقع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، لأنّ الله تبارك وتعالى عالم بالغيب، ويعلم كلّما سيتحقّق في المستقبل، فقد أخبر سبحانه وتعالى عمّا سيقع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله من انقلاب الصحابة على أعقابهم. ثمّ يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾، يعني أنّ العودة إلى الكفر والوثنية تضرّكم أنتم دون الله سبحانه، لأنّ أمثال هذا التراجع معناه التوقّف في طريق الخير وعدم السعي نحو السعادة الكاملة، بل فقدان كلّ ما حصلتموه من العزّة والكرامة والمجد في الإسلام. وفي الأخير يبيّن القرآن حقيقة الشاكرين وهم الأقليّة من الصحابة الذين جاهدوا في الله وتحمّلوا الصعوبات في للدفاع عن الإسلام والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فوصفهم الله بالشاكرين، فقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، وبذلك مدح القرآن الكريم استقامتهم وصمودهم ووصفهم بالشاكرين، لأنّهم أحسنوا الاستفادة والانتفاع بالنعم في سبيل الله، وهذا أفضل مصاديق الشكر. وعلى هذا الأساس أنّ الآية الكريمة تبيّن بأنّ أكثرية الصحابة ارتدّوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وكانوا في زمرة المنافقين وشملهم آية انقلبتم...، ومع ذلك كلّه يقول ابن تيميّة: "أنّ هؤلاء المنافقين من الصحابة الذين قد تابوا" فكيف

🡐

وأمّا ما استدلّ به من آية ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾[1]، فقد فسّرها بنظره

➔
يمكن لأهل السنّة قبول هذه الأكاذيب؟!!

(١) وهو قوله تعالى:﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الأحزاب:٦٠). لقد نزلت هذه الآية بعد وقوع إيذاء من الأراذل والأوباش للنبي الأكرمﷺ والمسلمين بأساليب مختلفة، فتقول الآية: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾. والمرجفون من مادّة الرجف، وإرجاف، وهي إشاعة الأباطيل بقصد إيذاء الآخرين وإحزانهم، وأصل الإرجاف: الاضطراب والتزلزل، ولما كانت الإشاعات الباطلة تحدّث اضطراباً عامّاً. ويستفاد من سياق الآية أنّ ثلاث فئات في المدينة كانت مشتغلة بأعمال التخريب والهدم، وكلّ منها كان يحقّق أهدافه بأسلوب خاصّ، فظهر ذلك كتيّار ومخطّط جماعي ولم تكن له صبغة فرديّة، وهم الذين كانوا يسعون لاقتلاع جذور الإسلام عبر مؤامرتهم ضدّ النبيﷺ، فالفئة الأولى: هم المنافقون الذين في قلوبهم مرض كما عبّرت الآية: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾. والثانية : هم " الأراذل " الذين يعبر عنه القرآن: "الذين في قلوبهم مرض" كما أن هذا التعبير قد ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (سورة الأحزاب:١٢). فعبّرت في الآية عنهم بقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾. فالآية الكريمة ذمّت جميع الذين كانوا يؤذون النبيﷺ والمسلمين من المنافقين والمرجفين. والفئة الثالثة: هم الذين كانوا يبثّون الإشاعات في المدينة، وخاصّة عندما كان النبيﷺ وجيش المسلمين يتهجمون
➔

وهواه[١]، ففي الدرّ المنثور عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال: ذكر لنا أنّه عزم جماعة من المنافقين على التظاهر بالنفاق الذي هو مكنون في صدورهم، فتوعّدهم سبحانه بآية المقام فلم يظهروه بل تركوه مكتوماً في صدورهم. وقد نصّ بنفسه على صحّة ما في تفسيري عبد ابن حميد وابن أبي حاتم فيما يأتي، بل وقد ناقض نفسه بنفسه في تفسيره لها في كتاب إيمانه بعين ما نقلناه هنا عن الدرّ المنثور[٢].

إلى الغزوات، لإضعاف معنوياتهم، وكانوا ينشرون الأخبار الكاذبة عن هزيمة النبيﷺ والمؤمنين، وهؤلاء هم أراذل الصحابة الذين كانوا بين المسامين. وعليه ما ذكره ابن تيمية باطل بجميع احتمالاته فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى تفسير ابن تيمية الآية الكريمة حسب رأيه ومشتهاه، فيقول: أنّ الدليل على أنّ جميع المنافقين تابوا هو قوله تعالى: ﴿**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**﴾ (سورة الأحزاب:٦٠)، والحال أنّ هذه الآية نزلت في الأراذل والأوباش من المنافقين، وقد هدّدهم سبحانه تعالى بتهديد شديد، حيث أنّهم كانوا يؤذون النبيﷺ والمسلمين، فأين هذا من معنى أنّهم تابوا ؟!!!

(٢) قال السيوطي في الدرّ المنثور: أنّه أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية، قال: الإرجاف الكذب الذي كان يذيعه أهل النفاق ويقولون قد أتاكم عدد وعدّة، وذكر لنا أنّ المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فأوعدهم الله بهذه الآية ﴿**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...**﴾ (إلى قوله) ﴿**لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ**﴾ أي لنحملنّك عليهم ولنحرشنّك

وروى في الجامع الصغير عن الترمذي حديثاً عن ابن عبّاس وصحّحه دلّ على أنّ من قال في كتاب الله بغير علم مقرّه النار[١]. ومثله روى عن مسند إمامه أحمد[٢].

وتاسع عشرها: ما زعمه من دخول المبايعين تحت الشجرة جميعهم

بهم، فلمّا أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسرّوه ﴿**ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**﴾ أي بالمدينة ملعونين، قال: على كلّ حال أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً، قال: إذا هم أظهروا النفاق سنّة الله في الذين خلوا من قبل يقول هكذا سنّة الله فيهم إذا أظهروا النفاق (انظر الدرّ المنثور ج٥: ص٢٢٢). وقال: وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب في قوله: ﴿**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ**﴾، قال: يعني المنافقين بأعيانهم والذين في قلوبهم مرض شكّ، يعني المنافقين أيضاً (انظر الدرّ المنثور ج٥: ص٢٢٣). وأخرج ابن سعد عن عبيد بن حنين في قوله ﴿**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ**﴾، قال: عرف المنافقين بأعيانهم ﴿**وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ**﴾ هم المنافقون جميعاً (انظر الدرّ المنثور ج٥: ص٢٢٣). وقال: وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مالك بن دينار قال: سألت عكرمة عن قول الله ﴿**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾، قال: أصحاب الفواحش (انظر الدرّ المنثور ج٢: ص٢٢٣). فقد نقل هذه الأقوال في تفسير الآية الكريمة، فلاحظ.

(١) انظر الجامع الصغير ج٢: ص٦٢٨، وفيه: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار».

(٢) انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٣٣، وفيه: عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار».

الجنّة سوى الجد بن قيس[١]، فإنّه دعوى منه بدون دليل[٢]،

---

(١) لقد استدلّ ابن تيميّة على زعمه الباطل بما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن جابر قال: كان العبّاس آخذاً بيد رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يواثقنا، فلمّا فرغنا قال رسول الله ﷺ: «أخذت وأعطيت»، قال: فسألت جابراً: يومئذ كيف بايعتم رسول الله ﷺ أعلى الموت؟ قال: لا، ولكن بايعناه على أن لا نفرّ، قلت له: أفرأيت يوم الشجرة؟ قال: كنت آخذاً بيد عمر بن الخطّاب حتّى بايعناه، قلت: كم كنتم؟ قال: كنّا أربع عشر مائة، فبايعناه كلّنا إلاّ الجد بن قيس اختبا تحت بطن بعير ونحرنا يومئذ سبعين من البدن لكلّ سبعة جزور (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣٩٦). فزعم أنّ هذه الرواية تدلّ على عدم وجود المنافقين بين الصحابة، حيث أنّهم بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة. ولكن هذا الاستدلال باطل، أوّلاً: لأنّ هذه الرواية لا تكون حجّة عند الشيعة، لأنّ الإحتجاج بالرواية من المصادر السنّية على الشيعة احتجاج باطل؛ فيلزم عليه أنّ يحتجّ على الشيعة بما هو حجّة عندهم. وثانياً: أنّ قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ (سورة الفتح:١٨) أكبر دليل على أنّه ليست كلّ بيعة موجبةً للرضا عند الله عزّ وجلّ، بل البيعة المقبولة عند الله عزّ وجلّ هي البيعة المشروطة بشرائط خاصّة، كالثبات على الإيمان، وعدم نكث البيعة، والبقاء على العهد الذي عاهد في البيعة وغير ذلك من الشرائط، والبيعة التي رضي الله عنها في الآية الكريمة هي البيعة المشروطة. ولا تقبل البيعة من أحد إلاّ أن تكون واجدة لهذه الشرائط. وعليه فلا يدخل الجنّة من الصحابة إلاّ من كان بيعته موجبة للرضا كما صرّحت الآية المباركة بذلك فلاحظ.

(٢) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيميّة في المقام باطل، لأنّ الحديث المذكور لا يصلح للاحتجاج به على الشيعة؛ لأنّ الحديث اشارة إلى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ**
←

➔

اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (سورة الفتح:١٨)، وهذه الآية المباركة تدلّ على أنّ البيعة المقبولة هي البيعة المشروطة بشرائط خاصّة، فلا تقبل البيعة الفاقدة لتلك الشرائط، أوّلاً: لأنّ هذه الآية الكريمة تدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى قد رضي عن المؤمنين الذين بايعوا النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وكانت بيعتهم عن إيمان وصدق وإخلاص، وذلك لقوله تعالى: ﴿**فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ...**﴾ فبقرينة هذه الجملة أنّ الرضا عن المؤمنين إنّما يكون صادقاً إذا كانت البيعة من المؤمنين الصادقين في إيمانهم بالله ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وبالطبع أنّ الذي لم يكن إيمانه مستقرّاً، لم تكن بيعته عن صدق وإخلاص وهو خارج موضوع الآية. وبعبارة أخرى أنّ البيعة الصحيحة على ضوء القرآن الكريم هي البيعة المشروطة باستقرار الإيمان في القلب، ولا بدّ من إحرازها بعدم صدور المنافي للإيمان منه، ومن الواضح إذا لم يحرز هذا الشرط ينتفي المشروط. فإذا لم يكن الإيمان مستقرّاً في قلبه، لم تتحقّق البيعة الصحيحة، وإذا لم تتحقّق البيعة لم يتحقّق الرضا من الله عزّ وجلّ. فيبدوا أنّ هناك جماعة من الصحابة قد بايعوا النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ولم يكن إيمانهم مستقرّاً في قلوبهم، حيث اشترط سبحانه وتعالى هذا الشرط احترازاً عمّن لا يطابق بيعته مع ما في قلبه، وذلك ليعلم المنافقين الحاضرين تحت الشجرة أنّهم وإن بايعوا النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بشكل ظاهري وصوري إلاّ أنّ بيعتهم لا أثر لها ، لعدم استقرار الإيمان في قلوبهم.

وثانياً: أنّ البيعة الصحيحة على ضوء القرآن الكريم هي البيعة المشروطة بعدم النكث، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّه فَوقَ أَيديهِم فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفسه وَمَن أَوفَىٰ بمَا عَٰهَدَ عَلَيهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤتيه أَجرًا عَظيماً**﴾ (سورة الفتح:١٠). فالآية الكريمة تشترط استمراريّة البقاء على البيعة، إلى آخر

➔

➔
لحظة حياته، فلا تشمل الذين نكثوا بيعتهم. ولا يخفى على الخبير أنّ الروايات المتواترة كحديث الحوض وغيره تدلّ بوضوح على أنّ أكثر الصحابة ارتدّوا بعد وفاة النبيﷺ نكثوا بيعتهم، كما ستبين ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

وثالثاً: أنّ بيعة الشجرة كانت عهداً من الصحابة للنبيﷺ أن لا يفرّوا من ساحة الحروب والمعارك، ولكن نقضوا عهدهم وهرب كثيراً منهم من ساحة القتال في الغزوات التي تحقّقت بعد هذه البيعة. فقد أخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أنّه قال: «رأيت رسول اللهﷺحين دعا أبا بكر فعقد له وبعثه إلى القوم فانطلق ثمّ جاءه بالناس وقد هزموا، فقال: بلى، قال: ثمّ بعث إلى عمر فعقد له ثمّ بعثه إلى القوم، فانطلق ولقي القوم، فقاتلهم ثمّ رجع وقد هزم، فقال رسول اللهﷺ عند ذلك: لأعطينّ الراية اليوم رجلاً يحبّه الله ورسوله يفتح عليه غير فرّار، فدعاني فأعطاني الراية ثمّ قال: انطلق، فقلت: يا رسول اللهﷺ إنّي أرمد والله ما أبصر، فتفل في عيني ثمّ قال: اللّهم أكفه الحرّ البرد، فما وجدت بعد يومي ذلك برداً ولا حرّاً» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١٠٦). وأخرج ابن أبي شيبه في كتابه المصنف بسنده عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم عن عليعليه السلام قال: «سار رسول اللهﷺ إلى خيبر، فلمّا أتاها بعث عمر ومعه الناس إلى مدينتهم أو إلى قصرهم، فقاتلوهم فلم يلبثوا أن انهزم عمر وأصحابه، فجاء يجبنهم ويجبنونه، فساء ذلك رسول اللهﷺ فقال: لأبعثنّ إليهم رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يقاتلهم حتّى يفتح الله له، ليس بفرّار، فتطاول الناس لها، ومدّوا أعناقهم يرونه أنفسهم رجاء ما قال، فمكث ساعة ثمّ قال: أين علي؟ فقالوا: هو أرمد، فقال: ادعوه لي، فلما
➔

فإنّ ما رووه من الخبر في ذلك ممّا تفرّد أهل مذهبه بنقله فهو ليس بحجّة على الشيعة[1].

➔

أتيته فتح عيني، ثمّ تفل فيهما ثمّ أعطاني اللواء، فانطلقت به سعياً خشية أن يحدث رسول اللهﷺ فيهم حدثاً أوفي حتّى أتيتهم فقاتلتهم، فبرز مرحب يرتجز، وبرزت له أرتجز كما يرتجز حتّى التقينا، فقتله الله بيدي، وانهزم أصحابه فتحصّنوا وأغلقوا الباب، فأتينا الباب، فلم أزل أعالجه حتّى فتحه الله» (المصنف ج٨: ص٥٢٥). إلى غير ذلك من الروايات الدالّة على فرار الصحابة من ساحة الحروب. فإذا كان أبو بكر وعمر ومن معهما انهزموا عن ساحة القتال يوم خيبر، وهم ممّن حضوا البيعة تحت الشجرة كيف يمكن أن يقال بأنّ كلّ من بايع النبيﷺ تحت الشجرة فهو أهل الجنّة؟!!! من الواضح أنّ من هرب من ساحة القتال فقد نقض عهده وبيعته، بذلك خرج عن مدلول الآية المباركة، وعليه ليس كلّ من بايع النبيﷺ تحت الشجرة يكون من أهل الجنّة، وإن ارتكبوا عظيم الجرائم. فهذا الزعم من ابن تيميّة باطل وعليه فلا معنى للقول بأنّ جميع من بايع رسول اللهﷺ تحت الشجرة أهل الجنّة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى أحد شرائط المناظرة، وهو لزوم الاحتجاج على الخصم بما يكون حجّة عليه. ولا يخفى على الخبير أنّ هذا الشرط من الأمور المسلّمة عند جميع العلماء ، فمن له أدنى إلمام بالمعارف العلميّة وأقلّ نصيب من الإنصاف يعرف لزوم رعاية هذا الشرط في المناظرة. فلم يراعي ابن تيميّة هذا الشرط المتسالم عليه عند الكلّ. والحقّ أنّ الباحث لو نظر في كتب ابن تيميّة لوجدها غير منطبقة على الأساليب العلميّة المتداولة عند العلماء، وإنّما تكون مليئة بالعصبيّة والمراء والجدل، ما أنزل الله بها من سلطان. فعلى المسلمين أن يتعلّموا آداب

➔

➔

المناظرة والحوار من القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾ (سورة البقرة:٢٥٨). فإنّ قوله تعالى: حاجّ، أي: ناظَر، وموضوع المناظرة: إثبات إبراهيم عليه السلام أنّ الله تعالى هو الربّ، وقد استدلّ على ذلك بأنّ الله تعالى هو الذي يُحيي ويُميت، أي: يهب الحياة لمن يشاء، وينزع الحياة عمّن يشاء وهكذا. وحيث أنّ خصمه كان لا يعرف معنى الحياة والممات إلاّ بصورة ظاهريّة من الموت، فقال: أنا أُحيي وأُميت؛ لأنّي أعفو عمّن يستحقّ الإعدام فأكون قد أحييتُه، أي: وهبتُه الحياة، وأعدِم من أشاء من الناس فأكون قد أمتّه، أي: سلبتُ منه الحياة. فتخيّل أنّ هذا هو حقيقة الحياة والممات. ولمّا وجد إبراهيم عليه السلام أنّ نمرود لا يعرف معنى الحياة والممات، أبطل مغالطة خصمه باستدلال آخر، فقال: إنّ الله يأتي بالشمس من المشرق، (أي) وكلّ من يأتي بالشمس من المشرق فهو الربّ، والنتيجة: (أنّ الله هو الربّ)، فإنْ كنتَ ربّاً فأت بها من المغرب، لكنّك لا تقدر على ذلك فلستَ بربّ، وهو قياس استثنائي اقتراني، ومن الأقيسة المنطقيّة الصحيحة. وحيث أنّ هذا أمر مسلّم، إذ أنّه من فعل الله تعالى، فلم يره خصمه طريقاً لاستمرار الجدل، فتسلّم أمام هذا المنطق، حيث كان يعلم أنّ الشمس تطلع من المشرق، وهو غير قادر على تبديله. فبهت الذي كفر، أي انقطع احتجاجه وسكت وتحيّر. فإنّه كما ترى أنّ نبي الله إبراهيم عليه السلام احتجّ على طاغوت زمانه بما هو مقبول عنده. وهذا معناه أنّ القرآن يؤكّد على أنّ الاحتجاج لا بدّ أن يكون بما هو مقبول وحجّة عند الخصم، مهما أن يكون الخصم معانداً. وعليه فإنّ استدلال ابن تيمية بحديث من المصادر السنية للاحتجاج

➔

مضافاً إلى معلوميّة فرية الخبر على سيد البشرﷺ، فإنّ الكثير من المبايعين تحت الشجرة قد ثبتت ردّتهم بعد خير الرسلﷺ[(١)]

على الشيعة باطل عند جميع علماء فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ الرواية التي استدلّ بها ابن تيميّة على مدّعاه مكذوبة، لأنّ الروايات المتواترة الدالّة على ارتداد أكثر الصحابة بعد وفاة النبيﷺ تنفي هذه الرواية المكذوبة، ومن جملة تلك الروايات التي تكذب ما استدل به ابن تيميّة حديث الحوض الذي أخرجه كبار علماء أهل السنّة. فقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس قال: خطب النبىﷺ فقال: «إنّكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾، ثمّ إنّ أوّل من يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا إنّه يجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾ (إلى قوله) ﴿**شَهِيدٌ**﴾، فيقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (صحيح البخاري ج٥: ص٢٤٠ كتاب التفسير، باب ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا**﴾). وأخرج بسنده عن أبي هريرة أنّه كان يحدّث أنّ رسول اللهﷺ قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى» (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾، وقال عبد الله بن زيد: قال النبيﷺ: «اصبروا حتّى تلقوني على الحوض»). وأخرج بسنده عن سهل بن سعد قال: قال النبيﷺ: «إنّي فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنّ على أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثمّ يحال بيني

➔

وبينهم»، قال: أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: «فأقول: إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي» (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٧ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾، وقال عبد الله بن زيد: قال النبي صلى الله عليه وآله: «اصبروا حتّى تلقوني على الحوض»). وأخرج أيضاً بسنده عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يضمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثمّ يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال: «إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي» (صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، ما جاء في قول الله تعالى ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾ وما كان النبي صلى الله عليه وآله يحذر من الفتن). ومن جملة تلك الروايات التي تكذب ما استدلّ به ابن تيميّة الروايات المتواترة الدالّة على أنّ أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله ستتبع سنن من قبلها. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «لتتّبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو سلكوا حجر ضبّ لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» (صحيح البخاري ج٤: ص١٤٤ كتاب بدء الخلق، باب ما ذكر عن بني اسرائيل). وقال المباركفوري في شرح الحديث ما هذا نص عبارته: وفي حديث أبي سعيد عند البخاري «لتتّبعنّ سنن من قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتّى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم» قلنا: يا رسول الله، اليهود

🡐

من حيث تقدّم جماعة منهم عنهم وتركهم لكثير من السنن وجعلهم في محلّها المبتدعات[(١)]،

➔

والنصارى؟ قال: «فمن؟» ورواه الحاكم عن ابن عبّاس وفي آخره «وحتّى لو أنّ أحدكم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه» قال: المناوي إسناده صحيح والسنّة لغة الطريقة حسنة كانت أو سيّئة والمراد هنا طريقة أهل الهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل. وقال النووي: المراد الموافقة في المعاصي والمخالفات... (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج٦: ص٣٤٠). فالحديث واضح الدلالة، ومقبول عند علماء أهل السنّة. وهناك أحاديث أخرى تدلّ على المقام لم نذكرها رعاية للاختصار. فهذه الروايات صريحة في ارتداد أكثر الصحابة بعد وفاة النبيﷺ، وعليه لا مجال للاستدلال برواية أحمد بن حنبل المتقدّم ذكره؛ إذ غاية ما في الباب أنّه يعارض هذه الروايات المتواترة. والخبير يعلم أنّه لا يصحّ الاستدلال بالخبر المتعارض، لاسيّما أنّ الأخبار المعارضة لرواية أحمد بن حنبل متواترة لدى جميع المسلمين، ورواية أحمد بن حنبل خبر واحد والخبر الواحد لا يمكن أن يعارض الأخبار المتواترة. وعليه فإنّ الروايات المتواترة الدالّة على أنّ أكثر الصحابة الذين بايعوا النبيﷺ تحت الشجرة هم أصحاب النار، ينفي ما زعمه ابن تيمية من الاستدلال على مدّعاه فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير الباحث في الآثار والأخبار أنّ البدع التي أحدثها الصحابة بعد وفاة النبيﷺ، لا سيّما الخلفاء الثلاثة كثيرة جدّاً، وقد أخرجها كبار علماء أهل السنّة، وهي تنفي دلالة الرواية التي استدلّ بها ابن تيمية على مدّعاه. فمن تلك البدع التي أحدثها خلفاء الجور وتبعهم أكثر الصحابة: منع تدوين حديث رسول

➔

➔
اللهﷺ وسنّتهﷺ، حتّى أنّ أبا بكر أحرق أحاديث رسول اللهﷺ التي جمعت في عهده لئلاّ تنتشر فضائل أهل البيتعليهم السلام بين الصحابة والمسلمين، لأنّها كانت تدلّ على إمامتهم وخلافتهم بعد النبيﷺ. فقد روى الذهبي عن ابن أبي مليكة: أنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة رسول اللهﷺ فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول اللهﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول اللهﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه (تذكرة الحفّاظ ج١: ص٢). وبذلك منع الصحابة من نقل حديث رسول اللهﷺ شفاهاً وتدويناً. فأصاب مدرسة الصحابة الركود والجمود في نقل حديث رسول اللهﷺ عدا مدرسة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والعترة الطاهرةعليهم السلام. حيث أنّ مدرسة أهل البيتعليهم السلام كانت عامرة في كلّ عصر وزمان بأخذ سنن رسول اللهﷺ والمعارف الدينيّة عن طريق أهل البيتعليهم السلام، الذين كانوا ينشرون معارف الإسلام من القرآن والسنّة النبويّة في كلّ عصر وزمان. وأمّا أتباع خلافة السقيفة حيث أنّهم كانوا تابعين لسياسة خلفائهم ، فقد جمدوا الأحاديث وسنن رسول اللهﷺ شفاهاً وتدويناً. وفي رواية قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول اللهﷺ، وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلّب كثيراً، فلمّا أصبح قال: أي بنيّة، هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها! فقلت: لم احرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدّثني، فأكون قد نقلت ذاك! (تذكرة الحفّاظ ج١: ص٥). وعلى أثر هذا العمل الذميم والبدعة السيّئة التزم الحكّام التابعين لخلافة السقيفة بمنع نشر أحاديث رسول اللهﷺ وتدوينها، لا سيّما في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب الذي منع تدوين الحديث بأسلوبه
➔

➔

المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوّعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث وكتابته. والأدلّة المتّفق عليها تدلّ على أنّ موقفه البائس من المنع لم يكن مختصّاً بعصر خلافته، بل كان هذا موقفه الكريه حتى في حيات رسول اللهﷺ، وذلك عندما طلب رسول اللهﷺ من الصحابة الدواة والقلم والقرطاس، ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً. فمنع عمر الصحابة من أن يأتوا رسول اللهﷺ بالداوة والقلم وقال: حسبنا كتاب الله (انظر صحيح البخاري ج١: ص٣٧ كتاب العلم، باب كتابة العلم). فإذا كان الصحابة في حياة النبيﷺ وقفوا أمام رسول الله رسول اللهﷺ موقفاً سيئاً وبأفكار هدامة، وتعاملوا مع النبيﷺ هذه المعاملة السيّئة، فلم يأتوا النبيﷺ بما طلب منهم من الدواة والقلم حمايةً عن عمر بن الخطّاب، فمتابعتهم له بعد وفات النبيﷺ والسير على نهجه أمر متوقّع منهم، حتّى أنّ عمر ابن الخطّاب قال لقرظة بن كعب: جرّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن رسول اللهﷺ (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٠٢). وقد كتب عمر بن الخطّاب إلى الآفاق: إنّ من كتب حديثاً فليمحه (انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي: ص٥٣). ثمّ نهى عن التحدّث فتركت عدّة من الصحابة الحديث عن رسول اللهﷺ (راجع المستدرك للحاكم النيسابوري ج١: ص١٠٢). وبقي هذا الجمود سارياً قرناً كاملاً بين الصحابة والتابعين بسبب الحظر الذي فرضه عمر ابن الخطّاب إلاّ ما أمرهم بمتابعة أمثال كعب بن الأحبار وعبد الله بن سلام وعبد الله ابن أُبيّ وغيرهم، وأطلق لهم عنان في نقل الحديث وبثّ الإسرائيليات الضالّة بين المسلمين. والتزم الحكّام من بعد عمر بهذه البدعة والسياسته الضالّة إلى سنين متمادية. وقد أعلن عثمان ومعاوية عن اتّباعهما لعمر في منع الحديث النبوي إلاّ حديثاً كان على عهد عمر (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٩٩). وقد ظلّت هذه

➔

➔

السياسة العمياء من عمر في منع الحديث سارية في الأجيال حتّى بلغ الأمر إلى أن الحجّاج الثقفي - سفّاك العراق - قام بالاعتداء على كبار صحابة الرسولصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، الذين كانوا يرون أحاديث النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بالخفاء، فختم على أيديهم وأعناقهم حذراً من أن يحدّثوا الناس أو يسمع الناس حديثهم (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج٢: ص٤٧٢ في ترجمة سهل الساعدي). فلم يكن القيام بأمر رواية الحديث في مثل هذه الفترة بالذات، وفي مثل هذه الأجواء أمراً سهلاً ولا هيّناً. ولكن أتباع مدرسة أهل البيتعَلَيْهِمُالسَّلَامُ كانوا يأخذون الحديث من أئمة أهل البيتعَلَيْهِمُالسَّلَامُ وكانت هذه المدرسة هي الأولى والأخيرة في نشر معارف الدين من الكتاب والسنّة النبويّة، وهي الوحيدة التي كانت متكفّلة لهداية البشر. فكانوا إلى جانب كتابتهم للحديث، وإيداعه المؤلّفات يبادرون بحزم إلى رواية الحديث ونشره وبثّه على طول تلك الفترة! عملاً بوصية رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وكانوا يأخذون حديث رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من أهل بيتهعَلَيْهِمُالسَّلَامُ، ولا شكّ أنّ أهل البيت أدرى بما في البيت.

ومن هنا يتّضح أنّه ماذا كان يريد رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من كتابة وصيّته في آخر لحظات حياته؟ فلو عُلم ذلك، لعُلم وجه منع عمر عن كتابة وصيّتهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، كما عُلم أيضاً وجه المنع عن تدوين سنّته بعد رحيلهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. فنقول: لم يكن هدف النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إلاّ دعم موقفه من الوصيّة وتعيين الخليفة من بعده، ويعلم هذا من المقارنة بين هذا الحديث وحديث الثقلين المتّفق عليه بين جميع المسلمين، وذلك لأنّ النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال في شأن الكتاب الذي مُنع عن كتابته: «ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٣١ كتاب دعاء النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إلى الإسلام، باب هل يستشفع إلى أهل الذمّة ومعاملتهم، وج٥: ص١٣٧ كتاب مرض النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، باب مرض النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ووفاته). وقد جاءت هذه العبارة بعينها في

➔

فشملهم قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾[1].

➔

حديث الثقلين، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا كتاب الله وعترتي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٥٩). ونتيجة هذه المقارنة مرجعية العترة الطاهرة كمرجعيّة القرآن بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وملخّص الكلام أنّ بدعة خلفاء الجور في منع تدوين الحديث من الأمور المسلّمة في التاريخ الإسلامي، وبذلك خالفوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله حيث أمر الله في كتابه العزيز: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر:٧). فأحدثوا هذه البدعة الضالّة ومنعوا الناس حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ليستتب لهم الأمر في مؤامرتهم، فمنعوا الناس من الحديث الذي كان المسلمون يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهم صلى الله عليه وآله وبذلك أرادوا أن يبدّلوا دين الله كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ..﴾ (سورة الفتح:١٥). وهكذا هؤلاء كانوا أهل البدعة في الدين في بقية أمورهم، فلاحظ.

(١) سورة النساء:١١٥، هذه الآية المباركة تشير إلى حقيقة هامّة ألا وهي مصير العداء لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما قامت لديهم الحجّة الإلهية والأدلّة الباهرة والبراهين القاطعة من الرسالة الربانية، ولكن مع ذلك اتّبعوا سبيل الغيّ، وخالفوا ما جاءهم من الهدى مخالفة مقرونة بالعداء والحقد والضغينة. وفي الحقيقة أنّ هذه الآية المباركة تؤكّد على مصير المنكرين والمعاندين لإمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولايته الإلهيّة، لأنّ هذه الآية تؤكّد على أنّ مخالفة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مستمرّة حتّى بعد ما جاءهم الدليل والحجّة، فتقول الآية : ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾، وفي الحقيقة مدلول هذه العبارة نفس مدلول قوله تعالى:

➔

العشرون: ما قاله من ذلّة المنافقين وعزّة المؤمنين[(١)]،

➔

﴿**وجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ.**.﴾ (سورة النمل:١٤)، فإنّها ترجع إلى العداء مع رسول اللهﷺ في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؈، حيث أنّ هذه المخالفة كانت مستمرّة من أوّل بعثة الرسولﷺ وحتّى بعد وفاتهﷺ، مع أنّهم كانوا يعلمون بأنّ مخالفة رسول اللهﷺ مخالفة الله عزّ وجلّ. وفي الحقيقة أنّ العداء لرسول اللهﷺ عداء لله تعالى كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الأنفال:١٣). فمعنى قوله تعالى: شاقّوا الله ورسولهﷺ أي: خالفوا أمر الله ورسولهﷺ وعصوهما، وأطاعوا أمر الشيطان. ومعنى قوله ومن يشاقق الله ورسولهﷺ أي: ومن يخالف أمر الله وأمر رسولهﷺ وفارق طاعتهما. ومن الواضح أنّ من خرج من طاعة الله ورسولهﷺ فلن يلقى مصيراً خيراً في هذه الدنيا وله الآخرة عذاب أليم. فهو في الدنيا – كما تقول الآية – يستمرّ منجرفاً في الطريق الأعوج الذي اختاره، فتتوسّع بذلك زاوية انحرافه عن جادّة الحقّ والصواب، فتقول الآية: ﴿**نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ**﴾، وهي إشارة إلى حرمان هؤلاء من التوفيق المعنوي ووقوعهم في العذاب الشديد في الدنيا، وخلودهم في نار جهنّم في الآخرة. وهذا مصير ينتظره أهل الظلم والجور، وأهل نصب العداء لأهل البيت؈. وعلى أثر هذه المخالفة القطعيّة في الدين تتحقّق إحياء المنكر وإماتة للمعروف كما لا يخفى على الخبير، فمن الواضح أنّ المقصود بالرضا هم المؤمنون الذين بايعوا رسول اللهﷺ تحت الشجرة وكانوا من المتّقين والصالحين والمهتدين والمتورّعين والمخلصين، لا كلّ من بايع رسول اللهﷺ فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ حقيقة العزّة والشرافة والكرامة في الإسلام هي ما ترتبط بالإيمان بالله

➔

➔

ورسولهﷺ لا المظاهر المادّيّة من الحياة الدنيوية. ولذلك يقول سبحانه وتعالى: **﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾** (سورة النساء:١٣٩) تشير هذه الآية إلى وضح المنافقين الذين كانوا يقفون يوماً بجانب المؤمنين وفي اليوم الآخر يقفون بجانب الكفّار، وفي النهاية كانوا من الكافرين والمعاندين. وكان هدفهم اكتساب العزّة والفخر عبر هذه المواقف المتشتّتة، فتقول الآية: **﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾**. فإنّ العزّة والشرف كلّها لله، **﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾**. فحقيقة العزّة التي يعتزّ بها المرء هي العزّة بدينه، ويرتفع بصفاته الحميدة، فيبقى موفور الكرامة، مرتاح الضمير، مرفوع الرأس، شامخ العرين، سالماً من ألم الهوان، متحرّراً من رقّ الأهواء، ومن ذلّ الطمع، لا يسير إلاّ وفق ما يمليه عليه إيمانه، والحقّ الذي يحمله ويدعو إليه، فقد قال تعالى: **﴿مَن كانَ يُريدُ العزّةَ فَللّه العزّةُ جميعاً﴾** (سورة فاطر:١٠). وقال الله تعالى: **﴿ولا يَحْزُنْك قَولُهم، إنّ العزّةَ لله جميعاً، هُوَ السميعُ العليم﴾** (سورة يونس:٦٥). فالعزّة هي حالة للرجال الواعين الذين أخذوا مبادئ الدين ومنهج التربية الإسلاميّة، ولذلك قال تعالى: **﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** (سورة آل عمران:١٣٩). وفي قبال العزّة هي الذلّة، وقد وصفها الله تعالى للذين لم يتّبعوا آيات الله، فقال تعالى: **﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾** (سورة طه:١٣٤). فالمنافقون كانوا يزعمون أنّ العزّة في النفاق والمال والعشيرة والسلطة، والمسائل المادّية بشكل عامّ، فكانوا يسعون إلى تحصيلها. وقد بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقة بصورة واضحة بانّ العزّة والشرافة والكرامة في الإسلام هي ما ترتبط بالإيمان بالله ورسولهﷺ كما قوله تعالى: **﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا**

←

➔

الْأَذَلَّ وَلِلَّه الْعِـزَّةُ وَلِرَسُـوله وَلِلْمُـؤْمنينَ وَلَكِـنَّ الْمُنَـافقينَ لَـا يَعْلَمُـونَ﴾ (سورة المنافقين:٨). فقد أشار سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة إلى سوء مقاصد المنافقين ونواياهم اللئيمة ومقاصدهم السيّئة، إذ أنّهم كانوا يقولون: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، حيث أنّهم كانوا يريدون من وراء هذا الكلام أنّهم أهل المدينة الأصليّون الذين سيخرجون منها الرسولﷺ وأصحابه من المهاجرين بعد عودتهم من غزوة بني المصطلق، ولم يكن منافقو المدينة وحدهم الذين تكلّموا بهذا الكلام البائس، بل سبقهم إلى ذلك رؤساء قريش عندما قالوا: سينتهي أمر هذه المجموعة القليلة الفقيرة من المسلمين إذا حاصرناهم اقتصاديّاً أو أخرجناهم من مكّة. فهؤلاء هم الذين طُبع على قلوبهم، واتّخذوا منهجاً واحداً على مدى التاريخ، وظنّوا أنّ ما لديهم باق، ولم يعلموا أنّ الله قادر على إزالته وإزهاقه بلمحة بصر. فيقول تعالى: **﴿أيَبتغونَ عندَهُمُ العزّةَ فإنّ العـزّةَ لله جميعـاً﴾** (سورة النساء:١٣٩)، وحيث أنّ المنافقين كانوا غارقين في التكبّر والغرور وكانوا يتوهّمون أنّ العزّة في عدم الإيمان بالله والاستقلال عن الله عزّ وجلّ، فيلحقهم الله ذلّة الطغيان. فلو أنّهم كانوا يؤمنون بالله ويدركوا حقيقة العبوديّة ومالكيّة الله لكلّ شيء، فمن المحال أن يقعوا في ذلك التوهّم الخطير وهذا النمط من التفكير. وقد ورد في الحديث عن الإمام الحسن المجتبىعليه السلام، أنه قال: «وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ» (مستدرك الوسائل ج١١: ص٢٥٨). وتتّضح هذه الحقيقة من خلال التأمّل فيما رواه ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب، قال: قَدِم معاويةُ المدينة، فجلس في أوّل يوم يُجيز من دخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف. فدخل عليه الإمام الحسنعليه السلام في آخر الناس، فقال له معاوية: أبطأت يا أبا محمّد، فلعلّك أردت أن

➔

➔

تبخلني عند قريش، فانتظرت يفنى ما عندنا! يا غلام، أعط الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا، يا أبا محمّد وأنا ابن هند! فقال الإمام الحسنعليه السلام: «لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن، ورددتها وأنا ابن فاطمة بنت محمّد رسول الله» (مناقب آل أبي طالب ج٣: ص١٨٣). فأراد معاوية أن يفتخر بأخزى نَسَب وأحطّه، فافتخر بأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة الأمويّة، آكلة الأكباد، المعروفة في الجاهليّة بذوات الأعلام، وكان لها دور في تحريض المشركين يوم أُحد على قتل المسلمين، وهي التي مثّلت بجسد أسد الله وأسد رسوله حمزة سيّد شهداء زمانهعليه السلام. ثمّ كان لها بعد إظهارها الإسلام وقاحات وأفاعيل، وقد جاءت مع النساء اللواتي جئن يبايعن رسول اللهصلى الله عليه وآله، فأخذ النبيّصلى الله عليه وآله عليهنّ شروط آية الممتحنة: ﴿**يا أيُّها النبيُّ إذا جاءَكَ المؤمِناتُ يُبايِعْنَك على أن لا يُشْرِكنَ باللهِ شيئاً ولا يَسْرِقْنَ ولا يَزْنِين...**﴾ (انظر سبل الهدى والرشاد ج٥: ص٢٢٥، والسيرة الحلبيّة ج٣: ص٩٤، وتاريخ الخميس ج٢: ص٩٤، واحتجاج ج١: ص٢٦٥، وسيرة ابن إسحاق ج٣: ص٣١٢، والبحار ج٢٠: ص٥٥، وشجرة طوبى ج٢: ص٢٨٣، ونهج السعادة ج٣: ص١٦١، والسيرة النبويّة لابن هشام ج٣: ص٦٠٧، وفتح الباري ج٧: ص٢٧٢، وعمدة القاري ج١٧: ص١٤٣، والبداية والنهاية ج٤: ص٤٢، وشرح النهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٥: ص١٢ و٢٣٧، وغير ذلك من المصادر). ولا ندري كيف تجرّأ معاوية وجهُ القباحة والعار أن يفتخر بأمّه، والأعجب من هذا أن يُفاخر بذلك سيّد شباب الجنّة الإمام الحسن المجتبىعليه السلام وهو ابن سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وبضعة سيّد الخلائق أجمعين!! فكان فخر الإمام الحسن الزكيّعليه السلام وافتخاره بأمّه الزهراءعليها السلام مبيّناً للعزّة والعظمة والكرامة المرتبطة بالإيمان بالله تعالى، وأن يُظهر عزّه الأعزّ، وفخره الأفخر، فيردّ دريهمات معاوية في وجهه، ويفتخر أنّه

🡐

فإنّه ليس يجديه نفعاً لمعلوميّة كون غالب المنافقين على عهد الرسول صلى الله عليه وآله متظاهرين بالدين الحنيف ومبطنين للكفر وحسبهم بذلك ذلّة [1].

ابن فاطمة عليها السلام، ومَن هي فاطمة، صلوات الله وسلامه على فاطمة، هي التي فُطِم الخلق عن معرفتها.

ومن الملفت للنظر أنّ معاوية لم يفتخر بأبيه، حيث كلّ الناس يعلمون أنّ أبا سفيان كان شحيحاً وبخيلاً، كما ورد في كتب الأخبار فقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة: أنّ هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلاّ ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» (صحيح البخاري ج٦: ص١٩٣ كتاب النفقات، باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف). فذلّ المنافق هو ذلّ معصية الله كما قال مولانا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. ومن هنا يعرف أنّ أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله كانوا دائماً في ذلّ وخذلان وهزيمة في الحياة الدنيا، وإن كانوا ذا عشيرة عريقة. وأيضاً كانوا في من جهة الجهل والحقارة في ذلّ، وإن كانوا من جهة المال أغنياء. وكانوا في ذلّ من جهة الجاه والمقام، لأنّهم لم يوالوا ولاية لله وولاية رسوله صلى الله عليه وآله. وأمّا الذين أمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وآله فهم في عزّ طاعة الله، فإنّ العزّة كلّها بيد الله عزّ وجلّ كما قال تعالى: ﴿**مَن كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلّه العِزَّةُ جميعاً**﴾ (سورة فاطر:١٠)، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ المنافقين كانت لهم علائم خاصة يعرفون بها، وإن كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر إلاّ أنّ تلك الحالات والخصائص كانت تفضحهم، والقرآن الكريم بيّن هذه حقيقة في الحال الانفرادي والاجتماعي منهم بأحسن أسلوب وأعلى طريقة وأقصر الكلام حيث قال تعالى: ﴿**مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذي**

➔

اسْتَوقَدَ نَاراً فلمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَـهُ ذَهَـب الله بِنُـورِهِمْ وَتَـرَكَهُم فـي ظُلُمَـات لا يُبْصُرون صُمٌ بُكُم عُميٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ (سورة البقرة:١٧)، فقد مثّل سبحانه حالة المنافقين كنايةً بمثال جميل ينطبق عليهم تماماً، وذلك مثل الذي استوقد نـاراً فـي ليلة مظلمة، ليهتدي بها إلى طريق ويبلغ مقصده. فلمّا أضاءت النار ما حولـه ذهـب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون. إذ قد ظنّ هؤلاء أنّهم قادرون على أن يحقّقوا أهدافهم بما لديهم من الإمكانـات المحـدودة، ولكـن سـرعان مـا أطفـأ الله نارهم بسبب عوامـل جوّيـة، أو بـسبب نفـاد الوقـود، فكـانوا يتحيّـرون ولا يهتـدون سبيلاً. ثمّ تضيف الآية الكريمة أنّ هؤلاء فقـدوا كـلّ وسـيلة لـدرك الحقـائق فقـال تعالى: ﴿صُمٌ بُكُم عُميٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾. فإنّ عمل المنافقين على سـاحة حيـاتهم كانت مليئة بطرق الانحراف والضلال والمزالق والأعاصير، ولم يستطيع أحد مـنهم أن يهتدي من بين الطرق الملتوية إلى الصراط المستقيم. كما لم يستطيع أحد منهم أن يتجنّب المزالق ويقاوم أمام الأعاصير، حيث أنّهم سـلكوا طريـق النفـاق، وظنّـوا أنّهــم قــادرون بــذلك أن يحــافظوا علــى مكــانتهم ومــصالحهم لــدى المــؤمنين والكافرين، وأن ينضمّوا إلى الفئة الغالبـة بعـد نهايـة المعركـة. فكـانوا يتخيّلـون أنّ عملهم هذا من الذكاء والحنكة، ولكن طريـق النفـاق كـان يوصّـلهم إلـى مـآربهم خاصّة فكانوا يغضبون لعدم وصولهم إلى الهدف ويفشلون، ثـمّ يفتـضحون، وإلـى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: ذهب الله بنورهم... أي: فضحهم الله...، وكمـا قال تعالى لرسولهﷺ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّـه وَاللَّـهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُـولُهُ وَاللَّـهُ يَـشْهَدُ إِنَّ الْمُنَـافِقِينَ لَكَـاذِبُونَ﴾ (سـورة المنـافقين:١). فالقرآن الكريم قد يبيّن كذب المنافقين ونكولهم وفضحهم إذ يقول تعـالى ﴿أَلَـمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَـئِنْ أُخْـرِجْتُمْ

🡐

ومن الضروري كون العزّ، عزّ القوم الذين ناصرهم الله وهم أهل دينه، تبعة رسوله صلى الله عليه وآله ومن صدق به بالقلب واللسان وتابعه في العمل[1]

➔

لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ (سورة الحشر: ١١-١٢).

والجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم استعمل عبارة استوقد ناراً أي إنّهم استفادوا للإنارة من النار ذات الدخان والرماد والحريق، بينما يستنير المؤمنون بنور الإيمان الخالص وبضوئه الساطع. فباطن المنافقين كان ينطوي على النار، وإن يتظاهروا بنور الإيمان، حيث أسدلت عليه ستائر مظلمة على أثر التقليد الأعمى والتعصّب المقيت واللجاج والعداء، فتحوّلت ساحة حياتهم إلى ظلمات في التعبير القرآني. وهؤلاء سيفقدون في النهاية قدرة الرؤية الصحيحة، والاستماع الصحيح، والنطق الصحيح، وهذه نتيجة طبيعية للاستمرار على الانحراف والإصرار على الغيّ، حيث يؤدّي إلى إضعاف آليات الإدراك لدى الإنسان فيرى الحقائق مقلوبة، فيكون الخير في نظره شرّاً، والملك شيطاناً، وهكذا...

وعلى أي حال فهذا التشبيه يوضّح واحدة من حقائق النفاق، وهي أنّ عمر النفاق قصيرة لا يستطيع أن يتمتّع بمصونيّة الإسلام والإيمان، بل سيلحقهم ذلّة الكفر الذي كانوا يبطنونه وتهلكهم وتبيدهم وتحطم شخصيّتهم، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ العزّة الحقيقيّة مختصّة بالله تعالى، لأنّ العزّة الدائمة والثابتة والباقية هي العزّة الإلهيّة، فإنّ الله سبحانه وتعالى هو الغالب والقاهر، وليس لسواه نصيب فيها. فمن أراد العزة الحقيقيّة فلا بدّ وأن يطلبها عن طريق العبوديّة، آملاً أن يفيضها عليه سبحانه وتعالى من رحمته الواسعة. ويتّضح هذا المعنى من خلال الرجوع إلى

🡐

➔

القرآن والروايات الواردة في المقام. قال الملاّ أحمد النراقي في كتابه جامع السعادات في بيان سريان هذه الصفة للإنسان المؤمن: إنّ المؤمن يرتقي إلى الله تعالى، ويتحلّى بالصفات الإلهيّة تبعاً لروح العبوديّة، والتسلّط على النفس، والاتّصاف بالقناعة، والتخلّص من الطمع في هذا العالم الذي لا يجلب سوى الذلّة، والاتّصال بمنبع فيض الرحمة الإلهيّة؛ ولهذا تتجلّى فيه العزّة كالأنبياء ورسل الحقّ، وتُضفي على قلبه القوّة والثبات والاستقامة، وتصبح حياته بعزّته، فلا يأذن الله له أن يتخلّى عن عزّته، وأن يتقبّل الذلّ بأيّ حال من الأحوال (انظر جامع السعادات ج١: ص٢٣٥). وقد ورد في الحديث عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن كلّ شيء إلاّ إذلال نفسه» (الكافي ج٥: ص٦٣). وفي رواية أخرى عن سماعة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى المؤمن أموره كلّها ولم يفوّض إليه أن يذلّ نفسه، ألم ير قول الله عزّ وجلّ ههنا: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾. والمؤمن ينبغي له أن يكون عزيزاً» (الكافي ج٥: ص٦٤). وعليه فإنّ الطريق الوحيد للنيل إلى العزّة والكرامة هو الاعتقاد القلبي والارتباط القوي بالله سبحانه وتعالى والطاعة لرسوله صلى الله عليه وآله والتمسّك بأهل بيته المعصومين عليهم السلام، فعزّة أهل الإيمان ناتجة عن هذا الاعتقاد القلبي والارتباط القوي بساحة الكبرياء الإلهي، وبأنوار مقام الرسالة وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، فيكتسب بذلك العزّة والقدرة في الدنيا والآخرة.

وهنا نقطة جديرة بالالتفات، وهي أنّ معيار في العزة والذلّة في كلمات أهل البيت عليهم السلام هي حاصلة مع كرامة الإنسان عندالله، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (سورة الحجرات:١٣). فالمعيار في العزّة هي الكرامة عند الله لا في أعين الخلق، والمعيار في الذلّة هي الذلة أمام الله تعالى، لا عند الناس. فإنّ أهل

🡐

فهم حزب الله الغالبون[1]،

البيتعليهم السلام كانوا يعيشون في منتهى التذلّل والخضوع أمام الله سبحانه، كما أنّ سيرتهم وأدعيتهم ومناجاتهم مع الله في جميع الأحوال كانت مبيّنة لهذا المعنى. فكانوا يتعاملون مع الناس بمنتهى التواضع، وبتعبير القرآن: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة الشعراء:٢٤١)، وفي الوقت ذاته يتّصفون بالعظمة والمهابة والعزّة، فلم يطؤوا رؤسهم أمام الظلمة والقتلة ولم يستسلمون لهم أبداً. كما اتّخذ بعضهمعليه السلام نقشاً على خواتمه: العزّة لله. ولا يألون جهداً في توجيه هذا المعنى إلى أصحابهم بأن يتّصفوا بهذه الصفات الحسنة عن طريق الإيمان بالله وطاعته والعبوديّة لله عزّ وجلّ ليصبحوا بعيدين عن الذلّة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ (سورة المائدة:٥٦)، فإنّ الآية الكريمة صريحة في أنّ حزب الله هم المنصورون. لأنّ سنّة الله اقتضت أن ينصر من يتولى ولاية الله ورسولهصلى الله عليه وآله. وأيضاً تبيّن الآية بأنّ حزب الله هم جند الله الذين يتولون ولاية الله ورسولهصلى الله عليه وآله. ومعنى ذلك قبول ولاية أولياء الله، لأنّ الآية الكريمة تؤكّد على وجود التلازم بين ولاية الله تعالى وولاية أوليائه، وتعلن للمسلمين بأنّ النصر سيكون حليف أولئك الذين يقبلون القيادة المتمثّلة في الله ورسولهصلى الله عليه وآله، وهي ولاية أولياء الله تعالى وولاية رسولهصلى الله عليه وآله، وولاية الأبرار الأخيار الّذين أوجب سبحانه علينا ولايتهم وحقوقهم ، وفرض علينا طاعتهم والتبرّي من أعدائهم، فإنّ ولاية الله تعالى ملازمة لولاية أوليائه، وهم الّذين اختارهم لنا أئمّة، وأمرنا بالاقتداء بهم، فهم شجرة النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي، فهم حزب الله المنصورون دائماً، ولذلك لقول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ**

➔
يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُـمُ الْغَـالِبُونَ﴾. فإنّ من صفات حزب الله الذين مدحهم الله تعالى في القرآن الكريم وخصّهم بهذا العنوان، هم أهل الطاعة والولاية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَـاءَهُمْ أَوْ أَبْنَـاءَهُمْ أَوْ إِخْـوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِـرُوحٍ مِنْـهُ وَيُـدْخِلُهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِـكَ حِـزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ﴾ (سورة المجادلة:٢٢). فقد ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية أوصاف أهل الولاية وحزب الله تحت عنوان واحد، فأوضح بأنّ القوم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ليس في قلوبهم أي ودّ أو محبة لأعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله حتّى ولو كانوا أخصّ أهلهم من الآباء أو الأبناء أو الإخوان أو الأقرباء...، فأهل الولاية هم حقيقةً أهل الطاعة لله، وهم جنود الله وحزبه، فليس لهم أي ارتباط ورابطة مع أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله، لأنّ الإيمان بالله تعالى لا يجتمع مع محبّة أعداء الله. وقد أكّدت على ذلك الآيات والروايات، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (سورة الأحزاب:٤). أي ليس للإنسان إلا قلب واحد، ولا يحتوي هذا القلب ولا يختزن إلا عشق معبود واحد، وعلى هذا فإنّ كلّ إنسان بحكم امتلاكه قلباً واحداً يجب أن يكون له كيان عاطفي واحد، وأن يخضع لقانون واحد، ولا يدخل قلبه إلاّ حبّ معشوق واحد. ويسلك طريقاً معيّناً في حياته، بأن يتآلف مع فريق واحد، ومجتمع واحد، وإلاّ فإنّ التعدّد والتشتّت والطرق المختلفة والأهداف المتفرقة ستقوده إلى اللا هدفيّة والانحراف عن المسير التوحيدي الفطري. والمستفاد من الآية الكريمة أنّ كل انسان إمّا أن يكون قلبه محلاً لقبول ولاية الله وولاية أوليائه، أو يكون محلاً لقبول ولاية
➔

←

الشيطان وأتباعه لا ثالث لهما. وأمّا الروايات الواردة عن أهل بيتعليهم السلام في المقام، فهي كثيرة، منها: ما وردت عن الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم لأصحابه: أخبروني بأوثق عرى الإسلام؟ فقالوا: يا رسول الله الصلاة، قال: إن الصلاة، قالوا: يا رسول الله الزكاة، قال: إن الزكاة، قالوا: يا رسول الله الجهاد، قال: إن الجهاد»، قال: «فقالوا: يا رسول الله فأخبرنا، قال: الحبّ في الله والبغض في الله» (انظر بحار الأنوار ج٦٦: ص٢٥٠). ومنها: ما وردت عن الإمام أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: «هل الدين إلاّ الحبّ؟ إنّ الله عزّ وجلّ يقول ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾» (بحار الأنوار ج٦٦: ص٢٣٧). ومنها ما رواه بريد بن معاوية العجليّ قال: كنت عند الإمام أبي جعفرعليه السلام، إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشي، فأخرج رجليه وقد تفلقتا (تشقّقتا) وقال: أما والله ما جاءني من حيث جئت إلاّ حبّكم أهل البيت، فقال: الإمام أبو جعفرعليه السلام: «والله لو أحبّنا حجرٌ حشره الله معن، وهل الدِّين إلاّ الحبّ!؟ إنّ الله يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾» وقال: «يحبّون من هاجر إليهم وهل الدين إلاّ الحبّ» (مستدرك الوسائل ج١٢: ص٢٢٤). ومنها: ما ورد عن النبيّصلى الله عليه وآله قال: «إنّ من عباد الله لأُناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء لمكانهم من الله»، فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «الّذين يتحابّون بروح الله من غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطون بينهم، وإنّ على وجوههم لنور، وإنّهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزنوا»، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (مستدرك الوسائل ج١٢: ص٢٢٤). فوإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهمعليهم السلام في المقام. فحزب الله الغالبون هم الذين تولّوا ولاية الله ورسولهصلى الله عليه وآله وأولياء الله تعالى الّذين اصطفاهم الله تعالى للإمامة، وهم

←

والمنافقون حزب الشيطان[1]،

←

الذين أورثهم الله الكتاب كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ (سورة فاطر:٣٢). وقد ورد في تفسير هذه الآية روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الدالّة على أنّ المقصود من الذين اصطفاهم الله تعالى هم الأئمة الأطهار عليهم السلام وولايتهم المتّصلة بولاية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فمن تولّى الله والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وبعد ذلك تولى الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة المعصومين عليهم السلام من ولده عليهم السلام، فهو من حزب الله الذين قال الله في حقّهم: ﴿**فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾، وفي مقابلهم هم حزب الشيطان وهم الذين يعادون أولياء الله، فلاحظ.

(١) لقد حذّرنا الله تعالى في قرآنه العظيم عن حزب الشيطان ومصيرهم الأسود، وعاقبة أمرهم بسبب أعمالهم السيئة، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (سورة فاطر:٦). ومن الواضح أنّ المقصود بحزب الشيطان هم الذين يسعون في تحقّق مقاصد الشيطان وإضلال الناس وإغوائهم وإبعادهم عن طريق الحقّ وطاعة الله. فهؤلاء يتّصفون بالصفات الشيطانيّة. وقد بيّن القرآن الكريم هذه حقيقة بعبارة حزب الشيطان وجنوده، فقال الله تعالى: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (سورة المجادلة:١٩). فحزب الشيطان هم الذين استحوذ عليهم الشيطان، أي: تسيطر عليهم الشيطان بحيث يسوقهم إلى حيث ما يريد. وهم منشغلين عن الله بسواه، فترى قلوبهم متعلّقة بالشيطان ومسخرة له. وأيضاً من صفات حزب الشيطان أنّهم ينفقون الأموال الطائلة للصدّ عن سبيل الله ولكنّها في النهاية تكون حسرة وندامة عليهم وسبباً في هزيمتهم كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ**

←

➔

الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة الأنفال: ٣٦-٣٧).

وأيضاً من صفات حزب الشيطان أنّهم لا يتورّعون عن أيّ وسيلة للقضاء على أولياء الله وحزبه، سواء كانت الوسيلة للقضاء عليهم: السجن أو القتل أو إخراج من البلاد، وذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة الأنفال:٣٠) والشاهد على ذلك أنّ قريش تدارست هذه الأساليب الثلاثة للقضاء على النبيﷺ ودعوته ليلة الهجرة، فاستقرّ رأيهم على قتلهﷺ كما هو معلوم في أحاديث الهجرة وأخبارها، ولكنّ الله سبحانه عصمهﷺ منهم وأنجاه وأتمّ نوره ولو كره الكافرون.

وأيضاً من صفات حزب الشيطان أنّهم يمكرون والله جلّ وعلا يرجع مكرهم إليهم ويحفظ أوليائه من شرّ أعدائهم. والعاقبة للمتّقين والنصر للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة الأنفال:٣٠)، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة المجادلة:٢١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ * يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (سورة غافر:٥١-٥٢). فهذه الآيات صريحة في أنّ الله تعالى هو ينصر أوليائه ويرجع كيد أعدائهم إليهم. فالذين يتولّون الشيطان ويسلّمون إليه زمام أمورهم بيده ويعبدونه، هم الذين يتعرّضون لأهداف أولياء الله ليقضوا عليهم ويجعوا السلطة للشياطين وحزبه، ولكن

➔

وهم المغلوبون، وقد عرفت وجود منافقين بين الصحابة مختفين فهم ذليلون[1]، فأمّا من هو ليس بمنافق ففي غاية العزّة من حيث قيام الحجّة له

←

الله يأبى أن تكون السلطة للشياطين وحزبه. وهذه الحقيقية تتّضح من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (سورة النحل:١٠٠). فأولياء الشيطان وحزبه يجمعون كيدهم ويشدّدون في خصومتهم لحزب الله وأوليائه ليتسلّطوا ويقضوا عليهم، ولكن الله تعالى يأبى ذلك ويجعل سلطانه في الذين يتولون أولياءه. ومع ذلك كلّه فإنّ حزب الشيطان لمّا يرون أنفسهم مغلوبين في مقابل الحقّ يتخبّطون ويسلكون على خلاف ما يقتضيه العقل السليم والتصوّر، ويلعب بعقولهم إلى حدّ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (سورة الأنفال:٣٢). فإنّ مقتضى العقل السليم أن يقولوا: اللّهم إن كان هذا الحقّ من عندك فاهدنا إليه. ولكن يتخبّطون من حيث يرون أنّهم مغلوبين، فلا يتحمّلون سيطرة الحقّ عليهم، فيتمنّون الموت لئلاّ يروا سيطرة الحقّ عليهم. والشاهد أنّ المنافقين الذين هم حزب الشيطان حيث كانوا يرون أنفسهم مغلوبين في مقابل الحقّ فانوا يطلبون أشدّ نوع الموت لئلاّ يروا الحقيقة. فهذا معنى الذلّ الذي سينتهي إليه مصير المنافقين فلاحظ.

(١) لقد وصف الله تعالى المنافقين من الصحابة في أكثر من آية نزلت من أنّهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (سورة آل عمران:١٦٧). بل وكانوا يستهزئون بالقرآن الكريم

←

➔
ويسخرون من آياته، فيصفهم الله بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَماتُوا وَهُمْ كافِرُونَ * أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة التوبة: ١٢٥-١٢٧). والباحث إذا درس هذا الموضوع يجد أنّ القرآن الكريم أكثر حرباً مع هذه الفئة التي أظهرت الإيمان وأبطنت الكفر. ومن السور التي فضحهم الله فيها هي سورة البقرة، والنساء، والتوبة، والنور، والأحزاب، والمنافقون، وغيرها. ولعلّ من أشدّ الإنكار عليهم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (سورة النساء:١٤٥). وذلك ليعرفهم المسلمون ولا يقعوا تحت تأثير وسائل إعلامهم وخططهم الخبيثة وسمومهم وخطورة أمرهم وخداعهم، لأنّ العدوّ الظاهر معروف، وبإمكان المسلمين أن يقضوا عليهم بينما هؤلاء الأعداء كانوا يعيشون بين المسلمين ويتظاهرون بالإسلام، ويثبطون ويعيقون، ويبثّون الشبهات والإشاعات والدسائس، ويمكرون بالإسلام والمسلمين، وفوق هذا يدّعون الإسلام والإيمان والنصح والحرص على الأمّة. فخطورة هؤلاء من أعظم الخطورات، بل أنّ خطورة المنافقين في كلّ عصر وزمان من أهمّ وأعظم الخطورات في عصرهم. ولا نبالغ إن قلنا أنّ معظم التآمر مع الأعداء والتهيئة لغزو المسلمين كان عن طريقهم. ولعلّ إكثار القرآن من ذكر صفاتهم الخادعة وأقوالهم الكاذبة، لنحذرهم ونعرف كيف نتعامل معهم، ونتجنّب خطرهم ومسلكهم. ففي زمن النبيّ صلى الله عليه وآله بدأت حركة النفاق في الظهور والتشكّل في المدينة بعد أن أصبح للمسلمين دولة قويّة، وقد تعرّض القرآن لذكر المنافقين وبيّن مواقفهم وصفاتهم في السور المدنيّة. أمّا في
🡐

➔

مكّة وقبل الهجرة لم يكن هناك مبرّر للنفاق طالما كان المسلمون يعيشون حالة الاستضعاف، ومع ذلك هناك من يثبت وقوع النفاق في مكّة قبل الهجرة أيضاً بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُم فِي المُنَافقينَ فئَتَين وَاللَّهُ أَركَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهدُوا مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجدَ لَهُ سَبِيلاً * وَدُّوا لَو تَكفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخذُوا منهُم أَولِيَاءَ حَتَّى يُهَاجرُوا فِي سَبِيلِ اللَّه فَإِن تَوَلَّوا فَخُذُوهُم وَاقتُلُوهُم حَيثُ وَجَدتُمُوهُم وَلاَ تَتَّخذُوا منهُم وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ (سورة النساء: ٨٨-٨٩). وقد جاء في تفسير هذه الآية في روايات أهل السنّة أنّ المقصود بهم هم الذين تخلّفوا عن الهجرة مع الرسول ﷺ بعد أن أعلنوا إيمانهم. قال الضحّاك: هم ناس تخلّفوا عن نبيّ الله ﷺ وأقاموا بمكّة وأعلنوا الإيمان ولم يهاجروا، فاختلف فيهم أصحاب رسول الله ﷺ فتولاّهم ناس من أصحاب رسول الله ﷺ وتبرّأ من ولايتهم آخرون، وقالوا: تخلّفوا عن رسول الله ﷺ ولم يهاجروا! فسمّاهم الله منافقين، وبرّأ المؤمنين من ولايتهم، وأمرهم أن لا يتولّوهم حتّى يهاجروا (انظر تفسير الطبري ج٨: ص١١-١٢). وبناءً على هذا التفسير قد حصل النفاق من بعض الصحابة في مكّة بعد ما أعلنوا الإيمان، ثمّ رفضوا الهجرة مع رسول الله ﷺ أو هاجروا مع رسول الله ﷺ ليستخبروا عن حاله ويتجسّسوا عليه كعمود الخامس بين الصحابة، وكان النبي ﷺ يتعامل مع المسلمين حسب ظواهرهم ولا يتابعهم ولا يعلن أسماء المنافقين الذين يعرفهم، فعن أبي الدرداء أنّ رجلاً يقال له حرملة... قال: يا رسول الله، إنّه كان لي أصحاب من المنافقين، وكنت رأساً فيهم، أفلا آتيك بهم؟ قال ﷺ: «من أتانا استغفرنا له ومن أصرّ على ذنبه فالله أولى به ولا تخرقنّ على أحد ستراً» (تفسير ابن كثير ج٢: ص٣٩٩). وعلى كلّ تقدير فإنّ المنافقين كانوا متواجدين بين الصحابة كما قال تعالى: ﴿وَممَّن

🡐

➔

حَولَكُم مِّنَ الأَعرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِن أَهلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعلَمُهُم نَحـنُ نَعلَمُهُم سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَينِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـذَابٍ عَظِـيمٍ﴾ (سـورة التوبـة:١٠١). وقـد أكّدت الآية على وجودهم من بين أهل المدينة، والأعراب الذين يسكنون حولها. غير أنّ المنافقين كانوا لا يعلمون ما سيلحقهم من الذلّ ولذلك قال تعـالى: ﴿ذَلِـكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُـونَ﴾ (سـورة المنـافقين:٣). أو أنّهم لا يعلمون، كقوله تعـالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَـةِ لَيُخْـرِجَنَّ الأَعَـزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِـنَّ الْمُنَـافِقِينَ لا يَعْلَمُـونَ﴾ (سـورة المنافقين:٨)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُـؤْمِنُ كَمَـا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُـونَ﴾ (سـورة البقـرة:١٣). وبمـا أنّ الكذب رأس مال المنافقين، كانوا يبـرّرون مـا فـي حيـاتهم مـن متناقـضات. ولهـذا أشار القرآن في ختام الآية إلى هذه الحقيقة ويقول سبحانه وتعـالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾. ثمّ تستعرض الآية خصائص المنـافقين، وتـذكر علائمهـم وتقول: أنّ من علائمهم اعتدادهم بأنفسهم واعتقادهم بأنّهم ذووا عقل وتدبير، وأنّ المؤمنين سفهاء وبسطاء: وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس، قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء؟!! وهكذا تنقلب المعايير لدى هـؤلاء المنحـرفين، فيـرون الانـصياع للحـقّ واتّباع الدعوة الإلهيّة سفاهة، بينما يرون شيطنتهم وتذبذبهم تعقّلاً ودراية!! غيـر أنّ الحقيقة عكس ما يرون: ألا إنّهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون. ألـيس مـن الـسفاهة أن لا يضع الإنسان لحياتـه خطّاً معيّنـاً، ويبقـى يتلـوّن بـألوان مختلفـة؟! ألـيس مـن السفاهة أن يضيع الإنسان وحدة شخصيّته، ويتّجه نحو ازدواجيّـة الشخـصيّة وتعـدّد الشخصيات في ذاته، ويهدر بذلك طاقاته على طريق التذبذب والتـآمر والتخريـب، وهو مع ذلك يعتقد برجاحة عقله؟! ومن بعد هذه الآية ذكر سبحانه وتعـالى علامـة

➔

على من خالفه، ومن حيث نصرة الله سبحانه له في الدنيا وفي العقبى على

➔

أخرى للمنافقين وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة البقرة:١٤)، وهذه العلامة لهؤلاء، هي تلوّنهم بألوان معيّنة تبعاً لما تفرضه عليهم مصالحهم، فهم انتهازيّون يظهرون الولاء للمؤمنين ولأعدائهم من الشياطين. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنّا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنّا معكم، إنّما نحن مستهزءون. فيؤكّدون لشياطينهم أنّهم معهم، وأنّ ولاءهم للمؤمنين ظاهري، وهدفهم الاستهزاء. ثمّ يقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٥-١٩).

وملخّص الكلام أنّ الإنسان لو تمادى في الغي والضلال يفقد قدرة التشخيص، بل تنقلب لديه الموازين، ويصبح الذنب والإثم عنده جزء من طبيعته. فالمنافقون أيضاً بإصرارهم على انحرافهم كانوا يتطبّعون بخطّ النفاق، وتتراءى لهم أعمالهم بالتدريج وكأنّهم أعمال إصلاحيّة، وتغدو بصورة طبيعة ثانية لهم، فهم لا يعرفون الله ولا يفكّرون في مآل ولا آخرة، وقلوبهم متحجّرة ونفوسهم خبيثة وأهواؤهم عريضة وشياطينهم كثيرة، متردّدون متحيّرون متلوّنون، يظنّون أنفسهم أذكياء لا يعرفهم أحد، بينما صفاتهم تدلّ عليهم، فيعرفهم الناس بسيماهم وفي لحن القول، فلا يمكن أن يبقى هؤلاء مختفين، بل قد فضحهم الله بيّن حقيقتهم، وهذا معنى الذلّة التي قد لحقتهم وليس فوقها ذلّة فلاحظ.

المنافق[١]. فعلم ممّا مضى وجود منافقين في الصحابة بالفرقان العزيز والسنّة، فمن زعم استحالة وجود المنافقين فيهم فقد ردّ على الله سبحانه وعلى رسولهﷺ قولهما بوجودهم في الصحابة بأخسّ ردّ وبأشنعه عليه من حيث زعمه أنّ وجود المنافقين فيهم ممتنع بعد علمه بأخبار الله

---

(١) وتوضيح المقام أنّ الصحبة بمجردها وإن كانت فضيلة جليلة، لكنها - بما هي ومن حيث هي- غير عاصمة من الزلل والخطأ والمعصية. فالصحابة كغيرهم من الناس فيهم العدول، والهداة والتقاة، وهم الذين عرفوا الله ورسولهﷺ وأطاعوا الله ورسولهﷺ وتفانوا في حبّه الله ورسولهﷺ وضحّوا في سبيل الله ورسولهﷺ، وبايعوا الرسولﷺ على الموت وصاحبوه بصدق في القول وبإخلاص في العمل ولم ينقلبوا بعده، بل ثبتوا على عاهدوا الله ورسولهﷺ عليه، وقد مدحهم الله جلّ جلاله في كتابه العزيز في العديد من الآيات، منها: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (سورة الفتح:١٠). فهؤلاء يمثّلون الأقليّة من الصحابة، الذين سمّاهم القرآن: ﴿**الشَّاكِرِينَ**﴾ في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤)، وهؤلاء هم الفائزون، لأنّهم أهل الإيمان والتقوى والورع، ومقامهم عند الله ورسولهﷺ في أعلى درجاتها، بحيث يحبهم المؤمنون ويتولاّهم في الدنيا والآخرة، وهذا المقام والشأن العظيم للمؤمنين من الصحابة الأجلاء عزّة لهم في الدنيا والآخرة فلاحظ.

ورسولهﷺ بأنّ فيهم منافقين[1].

---

(١) وملخّص الكلام أنّ رأي الشيعة في الصحابة مطابق لما أنزل الله تعالى في حقّهم من المدح والقدح، في القرآن الكريم ولما ورد في حقّهم من الأحاديث النبويّة الشريفة المتّفقة بين جميع المسلمين، ولو أنصف الباحث ودرس الآيات والروايات مجرّدة من العصبيّته المذهبيّة لوجد أنّ هذا الرأي وسط الآراء. كما قال السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله: رأي الإمامية في هذه المسألة... أوسط الآراء، إذ لم يفرطوا تفريط الغلاة، ولا أفرطوا إفراط الجمهور (انظر الفصول المهمة للسيّد عبدالحسين شرف الدين: ص١٨٩). وإن تهجموا عليهم أهل الإفراط والتفريط وحاولوا محاولات كثيرة للنيل من علماء الشيعة والأجلاّئهم، ولكن لم يعد لهم سوى الفشل والخسران المبين في كلّ الأدوار. وقد افتضحوا بأكاذيبم وأباطيلهم وافتراءاتهم التي ألصقوها بالشيعة، ونحن نمثّل لكم هنا مثالاً واحداً من القرآن الكريم في ما جرى بين الصحابة من المشادّة، ليعرف الباحث حقيقة الأمر في هذا المجال. فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**أَفَمَن كانَ مُؤمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لايَستَوونَ**﴾ (سورة السجدة:١٨). وقد روى كبار علماء أهل السنّة بأنّ هذه الآية نزلت في الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام والوليد بن عقبة؛ حيث قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط للامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام: أنا أحدّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، فقال له الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام: «اسكت، فإنّما أنت فاسق». يقصد به الإمامعليه السلام ما نزل في حقّه من قوله تعالى: ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إن جاءكُمْ فاسِقٌ بِنَبأ فَتَبَيَّنُوا أن تُصيبُوا قَوماً بجهالةٍ**﴾ (سورة الحجرات:٦). كما اتّفق المفسّرون على أنّ المراد بالفاسق هو الوليد بن عقبة (انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي: ص٣٦٣). وقد ورد في تفسير الآية عن عبد الله ابن عبّاس أنّه قال: نزل قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كانَ مُؤمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لايَستَوونَ**﴾،

←

الحادي والعشرون: ما زعمه من أكثريّة النفاق والزندقة في الرفضة من سائر الفرق[(١)]،

←

يعني بالمؤمن عليّاً عليه السلام، وبالفاسق الوليد بن عقبة (انظر الكشّاف للزمخشري ج٣: ص٥١٤، وأسباب النزول للسيوطي: ص٢٩٣، والدرّ المنشور له ج٣: ص٥١٤). فوجود المنافقين بين الصحابة ممّا لا يمكن إنكاره على أحد، لأنّ الآيات والروايات المتّفقة بين الفريقين على ذلك. وسوف يأتي بحث في ذلك مفصّلاً.

(١) لا يخفى أنّ الزنديق بالكسر، على ما ذكره العلماء هو أظهر كفراً من المنافق، لأنّ المنافق يظهر الإيمان ويبطن الكفر، والزنديق يدّعي الالتزام بما وصل إليه من ملاحدة، وهو يبرز مخالفته للإسلام بالاستهانة بكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله والفرائض الدينية كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ والجهاد وتكذيب النبيّ صلى الله عليه وآله أوتكذيب أوصيائه عليهم السلام. قال الخليل الفراهيدي في العين: الزنديق: ألاّ يؤمن بالآخرة، وبالربوبيّة (العين ج٥: ص٢٥٥). وقال الجوهري في الصحاح: الزنديق من الثنويّة، وهو معرّب، والجمع الزنادقة، والهاء عوض من الياء المحذوفة، وأصله الزناديق. وقد تزندق والاسم الزندقة (الصحاح ج٤: ص١٤٨٩). وأمّا الزنديق عند علماء أهل السنّة هو من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، قال الدسوقي: وهو المسمّى في الصدر الأوّل منافقاً، ويسمّيه الفقهاء زنديقاً (انظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج٤: ص٣٠٦). وعند الحنفيّة وبعض الشافعيّة: الزندقة: عدم التديّن بدين، أو هي القول ببقاء الدهر واعتقاد أنّ الأموال والحرم مشتركة. وقيل: الزندقة: إبطان الكفر والاعتراف بنبوّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ويعرف ذلك من أقوال الزنديق وأفعاله. وقيل: هو من لا دين له (انظر انظر مجمع المصطلحات والألفاظ الفقهيّة لمحمود عبد الرحمن عبد المنعم ج٤: ص٢١٤). فالمستفاد من مجموع الأدلّة والأقوال أنّ

←

➔

الزنديق هو الملحد والمنكر للمبدأ والمعاد الذي لا يتمسّك بالشريعة المقدّسة. ويعبّر عنه قديماً بالدهري، وهو الذي ينسب الأمور إلى الدهر، والدهر هو الزمان ومرور السنين والأيّام كقوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**﴾ (سورة الدهر:١). ومن جملة معتقداتهم الخاطئة إنكار الربّ جلّ جلاله والجنّة والنار وقولهم ما يهلكنا إلاّ الدهر كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ (سورة الجاثية:٢٤). وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه ذكرهم ضمن الكفّار الجاحدين، فقد روى الشيخ الكليني رحمه الله بسنده عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ، قال عليه السلام: «الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله؛ وكفر البراءة، وكفر النعم. فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالربوبيّة وهو قول من يقول: لا ربّ ولا جنّة ولا نار وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم: الدهرية وهم الذين يقولون: وما يهلكنا إلاّ الدهر وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبت منهم ولا تحقيق لشيء ممّا يقولون، قال الله عزّ وجلّ: إن هم إلاّ يظنون أنّ ذلك كما يقولون وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾، يعني بتوحيد الله تعالى، فهذا أحد وجوه الكفر. وأمّا الوجه الآخر من الجحود على معرفة وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنّه حقّ، قد استقرّ عنده وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾، فهذا تفسير وجهي الجحود. والوجه الثالث من الكفر كفر النعم

➔

➔

وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان عليه السلام ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عزّ وجلّ به وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾. فكفرهم بترك ما أمر الله عزّ وجلّ به ونسبهم إلى الايمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. والوجه الخامس من الكفر كفر البراءة وذلك قوله عزّ وجلّ يحكي قول إبراهيم عليه السلام: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾. يعني تبرأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرئته من أوليائه من الإنس يوم القيامة: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، يعني يتبرّء بعضكم من بعض» (الكافي ج٢: ص٣٨٩).

وبعد وضوح معنى الزنديق يعرف بهتان ما زعمه ابن تيميّة، وما نسبه إلى الشيعة، وحكمه معلوم عند جميع المسلمين كما هو صريح الآيات القرآنيّة والسنّة النبويّة، ومن جملة الآيات قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (سورة النور:١٥)، وقوله تعالى:

➔

فإنّه من عظيم تدليسه على الغفلة، وبهتانه على من زعمهم رفضة[(١)]، فأمّا

➔

﴿والَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْماً مُّبِينًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٨)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (سورة النحل:١٠٥). فالآيات والروايات الواردة في المقام الدالّة على معنى الزنديق أكبر شاهد على كذب ابن تيمية وافترائه على الشيعة فيما نسبه إليهم. بل أنّ ما نسبة إلى الشيعة ينطبق عليه كما سيتّضحه للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) وتوضيح المقام أنّه لو كان مراد ابن تيميّة من الرفضة الشيعة الاثني عشريّة فإنّه تكذيب لما ورد عن النبيﷺ في كتبهم في وصف الشيعة الاثني عشرية، حيث أخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبيﷺ فأقبل علي بن أبي طالبعليه السلام، فقال النبيﷺ: «قد أتاكم أخي»، ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال: «والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ثمّ قال: «إنّه أوّلكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية»، قال: ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال: فكان أصحاب محمّدﷺ إذا أقبل عليعليه السلام قالوا: قد جاء خير البرية (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٧١). وأخرج الآلوسي في تفسيره عن ابن مردويه عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قال: «قال لي رسول اللهﷺ: ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ هم أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب يدعون غرّاً محجّلين» (تفسير الآلوسي ج٣٠: ص٢٠٧). وأخرج السيوطي في تفسيره بسنده عن عن ابن

🡐

➔

عبّاس قال: لمّا نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين» (الدرّ المنثور ج٦: ص٣٧٩). وأخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بسنده عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: «هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، ويأتي عدوّك غضابا مقمحين» قال علي: «يا رسول الله، ومن عدوّي؟» قال: «من تبرّأ منك ولعنك»، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قال "رحم الله علياً" يرحمه الله» (شواهد التنزيل ج٢: ص٤٦١). وأخرج الخوارزمي في مناقبه بسنده عن يعقوب بن يزيد، عن صفوان بن يحيى، عن داود بن الحصين، عن عمر ابن أذينة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، مثلك في أمّتي مثل المسيح عيسى بن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون وهم الحوّاريّون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وإنّ أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق: فرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة أعداؤك وهم الناكثون، وفرقة غلوا فيك وهم الجاحدون السابقون، فأنت يا علي وشيعتك في الجنّة، ومحبّوا شيعتك في الجنّة، وعدوّك والغالي فيك في النار» (المناقب للخوارزمي: ص٣١٧). وأخرج ابن المغازلي بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يدخل من أمّتي الجنّة سبعون ألفاً لا حساب عليهم»، ثمّ التفت إلى علي عليه السلام فقال: «هم من شيعتك وأنت إمامهم» (المناقب لابن المغازلي: ص٢٩٣). وأخرج ابن حجر في الصواعق المحرقة بسنده عن ابن عبّاس: أنّ هذه الآية لمّا نزلت قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: «هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين ويأتي عدوّك غضابا

➔

➔

مقمحين»، قال: «ومن عدوّي؟» قال: «من تبرّأ منك ولعنك، وخبر السابقون إلى ظلّ العرش يوم القيامة طوبى لهم»، قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «شيعتك يا علي ومحبّوك» (الصواعق المحرقة: ص١٦١). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتب أهل السنّة فإنّها صريحة في أنّ شيعة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام هم الفائزون. ومن الواضح أنّ أنّ القرآن الكريم بيّن من هم الفائزون في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ (سورة النور:٥٢)، وفي قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ (سورة الحشر:٢٠)، وفي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ (سورة التوبة:٢٠)، وفي قوله تعالى: ﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ (سورة المؤمنون:١١١). كما أنّ الروايات المتواترة بين الفريقين قد بيّنت معنى الشيعة وهم الذين يوالون الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت عليهم السلام للإمامة والخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرةً. الروايات التي تقول: بأنّ شيعة علي عليه السلام هم الفائزون بقرينة الروايات المتواترة الدالّة على أنّ الأئمة من بعد النبي صلى الله عليه وآله اثني عشر، وبقرينة الروايات المتواترة بأنّ شيعة علي عليه السلام هم الفائزون، وبقرينة معنى الفائزون في القرآن والروايات أنّ الشيعة لهم مقام عظيم عند الله ورسوله، فما بال ابن تيمية يهجم عليهم وينسب إليهم الرفض؟ فإن كان مقصود ابن تيمية بالرفضة الشيعة الاثني عشريّة فإنّه قد كذّب على رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شيعة علي عليه السلام هم الفائزون، وإن كان مقصوده غير الاثني عشري فكلامه باطل أيضاً، حيث لا يوجد في الروايات عنوان الشيعة ويراد بها غير الاثني عشري كما تقدّم.

➔

التدليس فإنّ الغفلة يعتقدون أنّ مقصود السنّي من كون الرفضة الزنادقة والمنافقين هم خصوص من جعل يردّ عليهم وهم اثني عشريّة الشيعة، فإنّهم هم الذين قابلهم بالردّ عليهم وقد عرفت بحمد الله إلى هنا كون هذه الفرقة هي الفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة، فهم منزّهون عن النفاق والزندقة ومطلق المخالفة للشريعة[1]. نعم قد تسمّت فِرق عديدة باسم الشيعة وقد

➔

ومن هنا يعرف افتراء ابن تيمية على الله ورسولهﷺ وتدليسه على الغفلة من أهل نحلته بما يخالف النصوص المتواترة عندهم، ولكن الخبير يعلم أنّ ما ذكره بهتان عظيم على رسول ربّ العالمينﷺ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المتواتر بين الفريقين وهو قول النبيﷺ «ستفترق أمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النار إلاّ فرقة واحدة، وهي الفرقة الناجية»، فقد أخرج ابن ماجة في سننه بسنده عن عوف بن مالك، قال: قال رسول اللهﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنّة، وسبعون في النار. وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنّة. والذي نفس محمّد بيده! لتفترقنّ أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنّة وثنتان وسبعون في النار» (سنن ابن ماجة ج٢: ص١٣٢٢). وأخرج أبو داود في سننه بسنده عن معاوية بن أبي سفيان: إنّ رسول اللهﷺ قام فينا فقال: «ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة، وإنّ هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعين في النار واحدة في الجنّة» (سنن أبي داود ج٤: ص١٩٧). وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن عوف ابن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: «ستفترق أمّتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها

➔

➔
فرقة قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرّمون الحلال ويحلّلون الحرام» (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٤٣٠). وأخرج ابن أبي عاصم في كتابه السنّة بسنده عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جدّه قال: كنّا حول رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد، فأتاه جبريل عليه السلام بالوحي، فتغشى بردائه ثمّ مكث طويلاً حتى سري عنه، ثمّ كشف عنه فإذا هو يعرق عرقاً شديداً، وإذا هو قابض على شيء في يده فقال: «أيّكم يعرف كلّ ما يخرج من النخل؟» قالت الأنصار: نحن يا رسول الله نعرف كلّ ما يخرج من النخل، قال :« ما هذه؟» ففتح يده، قالوا: هذه نواة، فقال: «نواة أي شيء؟» قالوا: نواة سنة، قال: «صدقتم، جاءكم جبريل عليه السلام يتعهّد دينكم: لتسلكنّ سبل من قبلكم حذو النعل بالنعل، فمثل أحدهم إن شبر فشبر فإن ذراع فذراع، وإن باع فباع، حتّى لو دخلوا في حجر ضبّ لدخلتم فيه، ألا إنّ بني إسرائيل افترقت على موسى عليه السلام على سبعين فرقة، كلّها ضلالة إلاّ فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، وإنّها افترقت على عيسى عليه السلام على إحدى وسبعين فرقة، كلّها ضلالة إلاّ فرقة الإسلام وجماعتهم، ثمّ إنّكم تفترقون على اثنتين وسبعين فرقة كلّها ضلالة إلاّ فرقة الإسلام وجماعتهم» (السنّة لابن أبي عاصم: ص٢٥). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتبهم ومصادرهم. وقد أكّد كبار علماء أهل السنّة على صحّة الحديث وتواتره. قال عبد القاهر البغدادي في كتابه الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرقة الناجية: للحديث الوارد في افتراق الأمّة أسانيد كثيرة، وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وآله جماعة من الصحابة... هذا الحديث حديث ثابت صحيح (الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية: ص٥). بل نقل عن جلال الدّين السيوطي الشافعي: أنّه متواتر ذكره المناوي المصري الشافعي في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير (انظر فيض القدير ج٢: ص٢٧). وكذلك الكتاني في كتابه نظم المتناثر في حديث
➔

➔

المتواتر نقلاً عن السيوطي أنّه قال: حديث «تفترق الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة» أخرجه أبو داود، والترمذي، والحاكم، وابن حِبّان، والبيهقي، وصحّحوه من حديث أبي هريرة وغيره، وعدّه المؤلّف من المتواتر (انظر نظم المتناثر في حديث المتواتر: ص٤٨٤). وإلى غير ذلك من أقوالهم ممّا ورد في كتبهم. وقال الفخر الرازي في تفسيره: إنّ قولنا "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" لا شكّ أنّ المراد منه الاستعاذة بالله من جميع المنهيّات والمحظورات، ولا شكّ أنّ المنهيّات إمّا أن تكون من باب الاعتقادات، أو من باب أعمال الجوارح. أمّا الاعتقادات فقد جاء في الخبر المشهور قولهﷺ: «ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلّهم في النار إلاّ فرقة واحدة»، وهذا يدلّ على أنّ الاثنتين والسبعين موصوفون بالعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة (تفسير الفخر الرازي ج١: ص٣). والباحث إذا درس المصادر الإسلامية يعرف حقيقة الفرقة الناجية من خلال الروايات التي رواها علماء أهل السنّة في المقام، حيث أنّ من كان يسلك سبل الأمم من قبلهم حذو النعل بالنعل معناه أنّه من الفرق التي تكون في النار؛ لأنّ الأمم السابقة كلّها في النار إلاّ فرقة واحدة. ومن الواضح أنّ الفرقة الناجية لا بدّ وأن تكون ملتزمة بمنهاج النبوّة والرسالة السماوية. فإنّ الإيمان بالنبيﷺ يلزم التصديق بما جاء به النبيﷺ، ومن الواضح أنّ التصديق بالنبيﷺ غير الإيمان به ظاهراً، فإنّ قولهﷺ: «ستفترق أمّتي...» معناه أنّ من آمن بهﷺ ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، لأنّ ظاهر كلامهﷺ أنّ أمّتهﷺ ستفترق إلى ثلاث وسبعين... والأمّة معناه من آمن بهﷺ ولو بشكل ظاهري. ومن هنا يعرف أنّ الحديث يدلّ على أنّ الإيمان برسول اللهﷺ وحده لا يكفي للدخول في الجنّة. وبعبارة أخرى يستفاد من ظاهر الحديث من خلال نسبة المفترقين إليهﷺ أنّ مدار النجاة لا يدور مدار

←

مضى التنبيه على عقايد بعضها وهم خارجون عن مقام البحث مثل خروجهم عن الدين الحنيف[١]. وأمّا بهتانه فإنّ الفرق الضالّة المنتسبة إلى

➔
الإيمان بما يثبت إسلامهم من التوحيد ونحوه على أهميّة هذه الأمور وضرورة الإيمان بالنبوة، بل يدور على شيء آخر معها، كما أنّ القرآن الكريم أشار إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿**فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (سورة التغابن:٨). فالحقّ الذي لا يشوبه غموض هو أنّ النور الذي جاء ذكره في الآية الكريمة، هو المعارف القرآنيّة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبيّنها للأمّة. وقد أوصى جميع المسلمين بأن يأخذوا هذه المعارف والنور من أهل بيته عليهم السلام وذلك في قوله صلى الله عليه وآله «إنّي تارك فيكم الثقلين...»، وقوله صلى الله عليه وآله: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح»، وقوله صلى الله عليه وآله: «شيعة علي هم الفائزون»، وغير ذلك من من الروايات والأحاديث المتواترة، فبيّن لهم بأنّ الفرقة الناجية هي الفرقة التي صدّق بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، وهُم الشيعة الاثني عشريّة، الذين تمسّكوا بالقرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام. وعليه فما نسب ابن تيميّة إلى الشيعة من الرفض باطل بالروايات المتواترة في كتب أهل السنّة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الفرق التي سمّيت باسم الشيعة ليست في الحقيقة من الشيعة التي سمّاهم النبي صلى الله عليه وآله: «شيعة علي عليه السلام» ووصفهم صلى الله عليه وآله بأنّهم هم الفائزون يوم القيامة، إذ المقصود بالشيعة في الروايات المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله هم الشيعة الإثني عشرية الذين يعتقدون بإمامة الاثني عشر أئمة من أهل البيت عليهم السلام، حيث أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد نصّ على إمامة اثني عشر من الأئمة من بعده صلى الله عليه وآله بلا فصل ليكونوا خلفائه وأوصيائه على أمّته، وقد جاء ذكر عددهم في صحاح أهل السنّة، وأنّهم اثنا عشر، وكلّهم من قريش، وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما هذه
←

➔

الروايات (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٧ كتاب الأحكام، باب قبل باب إخراج الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة، وصحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ومسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٣). كما جاء ذكرهم في الروايات المتواترة والتي روى بعضها كبار علماء أهل السنة في مصادرهم مُوضحاًﷺ بأنّ أوّلهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وبعده ابنه الحسنعليه السلام، ثمّ أخوه الحسينعليه السلام، ثمّ تسعة من ذريّة الحسينعليه السلام وآخرهم المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف. ومن تلك الروايات ما رواه الحمويني الجويني في كتابه فرائد السمطين: أنّه قدم يهوديّ يقال له "نعثل" فقال: يا محمّد، أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمتُ على يديك، قال: «سل يا أبا عمارة»، فسأله عن أشياء إلى أن قال: صدقت، ثمّ قال: فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبي إلاّ وله وصيّ، وإنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال: «إنّ وصيّي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين»، قال: يا محمّد فسمّهم لي، قال: «إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر»، قال: فأسلم اليهودي وحمد الله على الهداية (انظر فرائد السمطين ج٢: ص١٣٢)، ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج٣: ص٢٨١. ولو أردنا تصفّح كتب الشيعة وما فيها من الروايات بخصوص هذا الموضوع لوجدنا روايات كثيرة بالغة عن حدّ التواتر. ولكن يكفينا دليلاً أنّ علماء أهل السنّة والجماعة يعترفون بعدد الأئمة الاثني عشرة، ولا وجود لهؤلاء الأئمّة

🡐

أهل السنّة أعظم زندقة ونفاقاً من الفرق المنتسبة إلى الشيعة، فإنّ غاية زندقة من ينتسب إلى الشيعة قولهم بألوهيّة أهل البيتعليهم السلام ونبوّتهم، وأمّا المنتسبون إلى أهل السنّة ففرقة منهم زعمت وحدة الوجود بمعنى كون الله

➔

غير ما ذكره الشيعة الإماميّة من الأئمة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله. ولذلك كان كبار الصحابة يسمّون أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام بشيعة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام، حيث أنّهم كانوا ملتزمين بما نطق به النبي الأكرمصلى الله عليه وآله فكانوا يعتقدون بإمامة الأئمة الإثني عشر، ولذلك عرفوا بشيعة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام، لأنّ النبيصلى الله عليه وآله قد نصّ على إمامتهم في الروايات المتواترة التي رواها علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة. فأتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام هم الذين عملوا بوصية رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني: إنّ لفظ الشيعة على عهد رسول اللهصلى الله عليه وآله كان لقب أربعة من الصحابة... سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمّار بن ياسر (انظر كتاب الزينة لأبي حاتم السجستاني في ملحق كتاب الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية للدكتور عبد الله سلوم السامرائي: ص٢٥٩). فالشيعة من زمن الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا هم الذين يوالون الأئمة الاثني عشر من أهل البيتعليهم السلام والأحاديث الواردة في المقام متّفقة بين الفريقين. وأمّا التي تسمّى باسم الشيعة غير الاثني عشري فهم فرق الضالّة ومنحرفة عن الإسلام، فضلاً عن أن يكونوا داخلين في المفهوم الشيعة والتشيّع، لأنّ مفهوم الشيعة في الروايات هو من يعتقد بإمامة الإثني عشر من العترة الطاهرةعليهم السلام، على ما سيتّضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

تعالى وتنزّه وجلّ وعظم عمّا يقول الظالمون عين كلّ موجود[١]!

---

(١) وبعبارة أوضح أنّ القائلين بوحدة الوجود يعتقدون: بأنّ الموجود في هذا العالم من الخالق والمخلوق واحد لا فرق بينهما. وبعبارة أخرى يعتقدون أنّه ليس هناك موجود إلاّ الله، فليس غيره في الكون، وما هذه الظواهر المخلوقات التي نراها كالماء والجبال والأنهار والإنسان والحيوانات والأرض والسماء كلّها مظاهر لحقيقة واحدة، وهي الحقيقة الإلهية – تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً– فهذا الاعتقاد الفاسد يسمّى بوحدة الوجود. وهو عين الكفر والزندقة، لأنّ هذا الاعتقاد الباطل معناه أنّ الخالق الذي هو واجب الوجود، والمخلوق الذي هو ممكن الوجود عندهم موجود واحد!!! وقد قرّره ابن عربي الأندلسي في جرأة وصراحة في مواضع عديدة من الفصوص والفتوحات، منها قوله: العبد ربّ، والربّ عبد * يا ليت شعري من المكلّف. إن قلت عبد فذاك ربٌّ * وإن قلت رب أنّى يكلّف (انظر فصوص الحكم ج٢: ص٩٣).

أقول: ولا يخفى على الخبير أنّ هذه الفكرة قديما كانت قائمة بشكل جزئي عند اليونانيين والقدماء من الفلاسفة اليونانية كأفلاطون، وكذلك في الهندوسيّة الهنديّة. وانتقلت الفكرة إلى المتصوّفة من أهل السنّة كابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني وغيرهم. ثمّ انتشرت في الغرب الأوروبي على يد برونو النصراني وسبينوزا اليهودي، وقد أحياها ابن عربي في كتبه. وذلك من أعظم المصائب التي أصابت الأمّة الإسلاميّة، حيث أنّ ظهور مثل ابن عربي وأئمة الضلال الذين نشروا هذه الأفكار الباطلة والعقائد المنحرفة باسم الإسلام والدين، فقد هدموا بها أركان الإسلام ومبادئه. فابن عربي الصوفي هو المشهور بالقول بالحلول، ووحدة الوجود، وكان له أنصار في كل زمان ومكان يروّجون لهذه الأباطيل، وينشرون مذهبه، حتّى يُلبِّسوا على الناس الحقائق الدينية، ليستنتجوا منها التساوي بين العاصي ←

وهم مميت الدين ابن عربي ومتابعوه وغيرهم ممّن تقدّم عليهم وهذه الزندقة ليس لها مثيل[1].

➔

والمطيع وبين الخير والشرّ وبين الخالق والمخلوق. وهذا معناه عدم وجود حساب وجزاء لأهل الذنب والكبائر، حيث إذا فرضنا عدم الفرق بين الخالق والمخلوق في الأعمال السيّئة معناه عدم وجود العقاب والجزاء على العمل، حيث أنّ الجزاء مترتب على الفعل المنسوب إلى العبد، وإذا كان الفعل منسوباً إلى العبد والخالق فلا معنى للزوم العقاب على فعل العبد، إذ بحسب هذا الزعم أنّ منشأ الفعل لم يكن شخصاً واحداً، لأنّهم يقولون أنّ الفعل صادر من الخالق والمخلوق، فبهذا الزعم الباطل ينهدم العقاب على الفعل، بل ينهدم جميع أركان الدين من الأصول والفروع، فلاحظ.

(١) لقد بالغ أتباع ابن عربي وأصحابه في تعظيمه وتقديسه حتّى لقّبوه بمحي الدين، الذي هو في الحقيقة مميت الدين، لأنّ أفكاره كانت باطلة وهدامة بالنسبة إلى أركان الدين ومبادئه. وبالجملة أنّ أراجيفه المذكورة في كتبه مثل فصوص الحكم والفتوحات المكّية واضحة البطلان كما لا يخفى ذلك على أحد. وإليك بعض ما ذكره في كتبه: فمنها: قوله في الفتوحات: سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها...(الفتوحات ج ٢ : ص ٦٠٤). ومنها: قوله في الفصوص في فصّ حكمة سبّوحية في كلمة نوحية: اعلم أنّ التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمنزّه إمّا جاهل وإمّا صاحب سوء - إلى أن قال-: فالحقّ محدود بكلّ حدّ، لأنّ كلّ ما هو محدود بحدّ مظهر من مظاهره، ظاهره من اسمه الظاهر وباطنه من اسمه الباطن، والمظهر عين الظاهر باعتبار الأحديّة - إلى أن قال -: فهو المثنى والمثنى عليه: فإن قلت بالتنزيه كنت مقيّداً، وإن قلت بالتشبيه كنت

➔

➔

محدّداً، وإن قلت بالأمرين كنت مسدّداً، وكنت إماماً في المعارف سيّداً. - إلى أن قال -: فلو أنّ نوحاً جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه - إلى أن قال -: فعلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح في حقّ قومه من الثناء عليهم بلسان الذمّ، وعلم أنّهم إنّما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان والأمر في القرآن لا فرقان. - إلى أن قال -: ﴿**مِّمَّا خَطِيئَٰتِهِمْ**﴾ فهي التي خطّت به، فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة ﴿**فَأُدْخِلُوا نَاراً**﴾ في عين الماء - إلى أن قال -: ﴿**فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا**﴾ فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد. - إلى أن قال -: وإن كان الكلّ لله وبالله بل هو الله - الخ -. وقال في فصّ هارونيّة : فكانت عتب موسى أخاه هارون لمّا وقع الأمر في إنكاره وعدم اتّساعه، فإنّ العارف من يرى الحقّ في كلّ شيء، بل يراه عين كلّ شيء. وقال في تفسير سورة النساء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ أمّا اليهود فبالتعمّق في الظاهر ونفي البواطن وحط عيسى عن درجة النبوّة ومقام الاتّصاف بصفات الربوبيّة. فأمّا النصارى فبالتعمّق في البواطن ونفي الظواهر، ورفع عيسى إلى مقام الألوهيّة. ﴿**وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**﴾ بالجمع بين الظواهر والبواطن والجمع والتفصيل - إلى أن قال -: ﴿**وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ**﴾ بزيادة الحياة والعلم على الذات فيكون الإله ثلاثة أشياء... وفي سورة نوح: ﴿**لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ**﴾ أي معبوداتكم التي عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذي عبدتموه بشهواتكم وأحببتموه، وسواع النفس ويغوث الأهل ويعوق المال ونسر الحرص. ﴿**مِّمَّا خَطِيئَٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ**﴾ في بحر الهيولي - الخ -. وفي سورة الكوثر: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ أي معرفة الكثرة بالوحدة وعلم التوحيد التفصيلي، وشهود الوحدة في عين الكثرة بتجلّي الواحد الكثير والكثير الواحد... وإن شئت أزيد من ذلك فارجع إلى كتاب "تاريخ فلسفه وتصوّف" للشيخ علي النمازي الشاهرودي.

←

←

وقد تأثّر بعض أهل السنّة بمذهب ابن عربي ونشروا عقائده الفاسدة لاسيّما قوله بوحدة الوجود، وما جاء من أباطيل في كتابه الفتوحات المكّيّة. فأحاطه جماعة من الأسرة الأيّوبيّة الحاكمة في دمشق في سنة ٥٩٨ من الهجرة، فلمّا وجد ملاذاً لدى عائلة ابن الزكي وأفراد من الأسرة الأيّوبيّة الحاكمة بدأ بنشر أفكاره الهدامة والمنتجة إلى الكفر والزندقة، وفي السنين التالية عندما وجد استقبال بعض الجلهة من أهل السنّة بالنسبة إلى كتبه لاسيّما كتابه فصوص الحكم فانتشر آرائه المضلة. وقد كفّره جماعة من علماء المسلمين، وألّفوا في ردّه الرسائل، منهم السخاوي والتفتازاني والمولى علي القارى، وغيرهم. وقد حكى القاضي نور الله التستري في كتابه إحقاق الحق عن نجم الوهاج للدميري في شرح منهاج النووي في بحث الوصايا أنّه قال: ومن كان من هؤلاء الصوفيّة كابن العربي والقطب البونوي العفيف التلمساني، فهؤلاء ضلاّل جهّال خارجون عن طريقة الإسلام... (انظر إحقاق الحقّ: ص٢٠٣). وذكر الدميري في حياة الحيوان عن الذهبي عن أبي الفتح القشيري عن عزّ الدين عبد السلام وقد سئل عن أبي عربي فقال: شيخ سوء كذّاب، فقال: وكذّاب أيضاً؟ قال: نعم، تذاكرنا يوماً نكاح الجنّ، فقال: الجنّ روح لطيف والإنس جسم كثيف فكيف يجتمعان؟ ثمّ غاب عنّا مدّة وجاءوا في رأسه شجّة، فقيل له في ذلك، فقال: تزوّجت امرأة من الجنّ فحصل بيني وبينها شيء فشجّتني هذه الشجّة... (حياة الحيوان للدميري ج١: ص٣٠٥). وإلى غير ذلك من أقوالهم في ضلالة ابن عربي.

أقول: بعد اتّفاق الشيعة وجماعة كبيرة من أهل السنّة على ضلالة الرجل وأفكاره الباطلة المنتهية إلى الكفر والزندقة كيف يمكن لمسلم أن يلقّبه بمحي الدين؟!!! وقد حكى الشيخ عباس القمي قدس سره عن الشعراني أنّه قال: إنّ جماعة ممّن كانوا

→

ومنهم فرقة زعمت أنّه سبحانه وتنزّه يتّحد مع بعض مخلوقاته، وفرقة منهم زعمت أنّه سبحانه يحلّ في بعض مخلوقاته، وهذه الفرق فرق الصوفيّة منهم وهم فرق عظيمة[1].

→

ينكرون عليه كانوا يبولون على قبره... (انظر الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ج٣: ص١٦٦).

(١) لا شكّ أنّ الحلول ووحدة الوجود عقيدتان كُفريّتان، لا يمكن تأويلهما بعد معرفة بمعناهما. أمّا الحلول فمعناه أنّ الله سبحانه وتعالى يحلّ في جسم بعض مخلوقاته ويتّحد معها، كاعتقاد النصارى بحلوله سبحانه وتعالى في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام – والعياذ بالله –، وأمّا وحدة الوجود فمعناه أنّ الله تعالى عين المخلوقات في الوجود – والعياذ بالله – كقول ابن عربيّ في كتابه فصوص الحكم، وصاحبه القونوي والتلمساني وابن سبعين والششتري وابن الفارض وأتباع هذا المذهب الباطل، فيعتقدون: بأنّ الوجود في العالم واحد، ويزعمون أنّ وجود الخالق عين وجود المخلوقات، وكلّ ما يتّصف به المخلوقات من حسن وقبيح ومدح وذمّ، إنّما المتّصف به عندهم هو عين الخالق. فيسمّونهم أهل وحدة الوجود، ويدّعون أنّهم أهل التحقيق والعرفان. ويعتقدون أنّه ليس للخالق وجود مباين لوجود المخلوقات ومنفصل عنها أصلاً، فعُبّاد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم، لأنّهم يقولون: إنّ الربّ متّحد مع الصنم – والعياذ بالله– ولهذا جعلوا قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ (سورة الإسراء:٢٣)، بمعنى قدّر ربّك أن لا تعبدوا إلاّ إياه، إذ ليس عندهم غير هذا الوجود وجود آخر كي يتصوّر الفرق بين العبادتين، فيقولون: كلّ عابد صنم إنّما يكون عابداً لله، لأنّهم يعتقدون أنّ وجود واحد للعابد والمعبود. كما أنّهم قائلون بالحلول بمعنى أنّ ذات الله سبحانه وتعالى يمكن حلوله

←

الثاني والعشرون: ما زعمه من كون التقيّة نفاقاً فإنّه من عظيم جرئته على الله ورسوله صلى الله عليه وآله[1]، فإنّه سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله قد فرضا على العباد

➔

في جميع أجزاء الكون، من البحار والجبال والصخور والأشجار والإنسان والحيوان و... الخ، أو بمعنى أنّ المخلوق عين الخالق، فكلّ الموجودات المحسوسة والمشاهدة في هذا الكون هي ذات الله تعالى وعينه. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ولا شكّ أنّ هذا القول كفر صريح يخالف عقائد الأمّة الإسلامية من الشيعة وأهل السنّة. وعليه حيث أنّ ضلالة هؤلاء وكفرهم من المتّفق عليه بين جميع المسلمين نكتفي بهذا المقدار من الوقوف للرد عليه، لوضوح الأمر عند كلّ ومن له أدنى معرفة بمعارف الدين ومعالمه فراجع.

(١) لا يخفى أنّ التقيّة من المفاهيم الإسلاميّة الثابتة عقلاً وشرعاً. أمّا عقلاً فلأنّها ثابتة بالضرورة العقليّة المتّفقة مع الفطرة الإنسانيّة، كما سنوضّحه في محلّه. وأمّا شرعاً فقد نطق بمشروعيتها القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، أمّا القرآن الكريم، فآيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ**﴾ (سورة غافر:٢٨). هذه الآية الكريمة تشير إلى قصّة مؤمن آل فرعون الذي كان من المقرّبين إلى فرعون، ولكنّه اعتنق دعوة موسى عليه السلام التوحيديّة من دون أن يكشف عن إيمانه، وإنّما كتم إيمانه لمصلحة وشدّة الضرر، والخطر الذي كان يمكن أن يتهدّد من قِبل فرعون وجلاوزته، فاعتبر نفسه من موقعه في بلاط فرعون مكلّفاً بحماية موسى عليه السلام، وعندما شاهد أنّ حياة موسى عليه السلام في خطر بسبب غضب فرعون، بادر بأسلوبه المؤثّر للقضاء على هذا المخطّط. يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي**

➔

➔

يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾. فالشاهد أنّ الله تعالى أشار إلى قصة الرجل الذي كتم إيمان تقيّةً، وقد أيّد سبحانه وتعالى فعله، ولم يستنكر عليه تأييداً لمشروعيّة التقيّة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ باللّه من بَعْد إيمَانه إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإِيمَان وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّه وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة النحل:١٠٦). لقد أجمع المفسّرون في أنّ هذه الآية المباركة نزلت في ما فعله عمّار بن ياسر، وذلك بعد ما أكرهه جماعة من كفّار قريش وأكرهوا أبوه ياسر وأمّه سميّة وبلال وخباب، وعذّبوا وقتلوا أبو عمّار وأمّه، وقد أعطاهم عمّار بلسانه ما أرادوا منه، ثمّ أخبر سبحانه بذلك رسولهﷺ، وجاء قوم، وكفر عمّار، فقال النبيﷺ: «إنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه دمه...». ثم جاء عمّار إلى رسول اللهﷺ وهو يبكي، فقال النبيﷺ: «ما وراءك؟» فقال: شرّ يا رسول الله، ما تركت حتّى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فجعل رسول اللهﷺ يمسح عينيه ويقول: «إن عادوا لك فعُد لهم بما قلت»، فنزلت الآية: ﴿إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾. وهذه القصّة مذكورة في كتب المفسّرين (انظر تفسير السمرقندي ج٣: ص٢٩٣، وتفسير السمعاني ج٣: ص٢٠٤، وتفسير البغوي ج٣: ص٨٤، والدرّ النثور للسيوطي ج٤: ص١٣٢، وفتح القدير للشوكاني ج٣: ص١٩٨، وروح المعاني للآلوسي ج١٤: ص٢٣٧، وغيرها من التفاسير). وقد قال ابن سعد في الطبقات الكبرى: أنّ هذه الآية نزلت في عمّار (الطبقات الكبرى ج٣: ص٢٥٠). وقال الواحدي النيسابوري: قال ابن عبّاس: نزلت في عمّار بن ياسر، وذلك أنّ المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأمّه سميّة وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً، فأمّا سميّة فإنّها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة، وقيل لها: إنّك أسلمت من

🡐

➔

أجل الرجال، فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أوّل قتيلين قتلاً في الإسلام، وأمّا عمّار فإنّه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فأخبر النبيﷺ بأنّ عمّاراً كفر، فقال: «كلاّ، إنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه»، فأتى عمّار رسول اللهﷺ وهو يبكي، فجعل رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يمسح عينيه وقال: «إن عادوا لك فعد لهم بما قلت»، فأنزل الله تعالى هذه الآية (أسباب نزول الآيات: ص١٩٠). وأخرج الطبري في تفسيره بسنده عن أبي عبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمّار بن ياسر، فعذّبوه حتّى باراهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبيﷺ، فقال النبيﷺ: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئناً بالإيمان، قال النبيﷺ: «فإن عادوا فعد» (تفسير الطبري ج١٤: ص٢٣٧). ومن الطريف أنّ النبيﷺ علّق على هذه الحادثة قائلاً: «فإن عادوا فعد» أي إن عادوا إليك الإرهابيّين من قريش للترهيب والتهديد والتخويف، فعد... ومن الواضح لدى الخبير أنّ معنى ذلك بيان الحكم العامّ في قصة عمار، وليس مختصّاً بقضية عمّار، لأنّ المستفاد من الآية الكريمة جريان هذا الموضوع على نحو قاعدة عامّة، حيث قال رسول اللهﷺ : «فإن عادوا فعد» ومعناه: أنّه حكم ثابت شرعي قد أنزله الله سبحانه في هذه الحادثة.

ومنها قوله تعالى: ﴿**لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ**﴾ (سورة آل عمران:٢٨). هذه الآية الكريمة فيها درس سياسي واجتماعي مهم للمسلمين، فتقول: لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ولو ارتكب أحد المؤمنين ذلك فإنّه يقطع ارتباطه مع الله تماماً، ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ**﴾. وقد نزلت هذه الآية في وقت كانت هناك روابط بين

➔

➔

المسلمين والمشركين، ومع اليهود والنصارى، فحذرهم الله سبحانه من اتّخاذ الأجنبي صديقاً أو حامياً أو عوناً ورفيقاً في أي عمل من أعمالهم، وذلك لانخداعهم بكلام الكافرين لتظاهرهم بالمحبّة الحميمة الجذّابة، لأنّ التاريخ قد أثبت بأنّ أقسى الضربات التي تلقاها المؤمنون جاءت من هذا الطريق، لأنّ العدوّ يستعمل أسلوب الارتباط الحسن في الظاهر ليخدع به المؤمنين، ويستغلّوهم في الفرص المناسبة ليقضوا على المؤمنين بضرباتهم المهلكة، وذلك عندما تمكّنوا من إنشاب مخالبهم في جذور المجتمع، فيبدأون بامتصاص دماء المسلمين بكلّ قسوة وبغير رحمة. فالآية تحذر المؤمنين وتقول لهم لا بدّ لكم أن لا تتّخذوا الكافرين الأولياء والأصدقاء، حيث أنّ من عقد أواصر صداقته وولائه مع أعداء الله، قد تنقطع علاقته بالجماعة المؤمنة الموحّدة، كما ينقطع ارتباطهم من الله لعدم طاعتهم أوامر الله... ثمّ يقول تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾. هذا استثناء من الحكم المذكور، وهو أنّه إذا اقتضت الظروف التقيّة، فللمسلمين أن يظهروا الصداقة لغير المؤمنين الذين يخشون منهم على حياتهم لا بأس بالارتباط معهم مع مراعاة التقيّة. فالآية تبيّن أنّ التقيّة هي الدرع الواقي مشروع للإنسان. وهذا الدرس الذي يعلّمنا القرآن الكريم بأنّ الإنسان قد يضحّي بحياته من أجل هدف كبير ونصرة الحقّ وقمع الباطل، ولكن هل يجوز له أن يجعل نفسه في تعرض الخطر دون أن يكون أمامه هدف هامّ؟ فالقرآن الكريم يشير إلى هذا الأمر العقلي الضروري الذي أوضحه الله تعالى بشكل جميل أن يستعمل المؤمن التقيّة في موارد التي لتضحية نفسه. ومن هنا يعرف أنّ جميع عقلاء العالم حين يرون أنفسهم أمام طريقين: إمّا الإعلان عن عقيدتهم والمخاطرة بالنفس والمال والكرامة، أو إخفاء معتقداتهم، يمعنون النظر في الظروف القائمة. فإن كان الإعلان عن العقيدة يستحقّ كلّ هذه

➔

➔

التضحية بالنفس والمال والكرامة اعتبروا إعلانها عملاً صحيحاً، وإن لم يكن للإعلان نتيجة تركوا ذلك.

وأمّا السنّة النبويّة: فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن ميناء قال: سمعت عبدالله بن الزبير يقول: حدّثتني خالتي عائشة قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا عائشة، لولا أنّ قومك حديث وعهد بشرك لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض وجعلت لها بابين بابا شرقيّاً وباباً غربياً وزدت فيها ستّة أذرع من الحجر، فإنّ قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة (صحيح مسلم ج٤: ص٩٨ كتاب الحجّ، باب نقض الكعبة وبنائها). هذا الحديث فيه دلالة واضحة على أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يداري قريش في القضية المذكورة، والمدارة من التقيّة. وهناك أحاديث أخرى سنذكرها من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

وأمّا حكم العقل، فإنّ الحكم العقلي الضروري الحاكم بالاستقلال على حسن هذا العمل، فإنّها من الضرويّات البديهة التي تحكم بلزوم التقيّة في الموارد الاضطرارية، بل من الأمور الفطريّة والجبليّة التي تدفع الإنسان إلى حفظ النفس من المهالك، والتحذّر عن المخاطر. وهذا الحكم العقلي إمّا لدفع الضرر عن النفس أو لارتكاب أهون الشرّين أو أقلّ القبيحين أو لغير ذلك من المصالح التي يجوّزها العقل. ولا شكّ في هذا الحكم العقلي بحسن التقية، بل لزومه كرامة الانسان واحترام نفسه إكراماً له، بل إنّ فطرة الإنسان وغريزته الطبيعية مجبولة على حفظ النفس والدفاع عنها وصيانتها عمّا يضرّها ويُهلكها. وهذا ما يدركه جميع الناس بجميع فئاتهم وطبقاتهم وبجميع أديانهم ومذاهبهم، ولذلك قال النووي: لا مبالات بإثبات التقيّة وجوازها وإنّما تكره عامّة الناس لفظها لكونها من معتقدات الشيعة، وإلاّ فالعالم مجبول على استعمالها، وبعضهم يسمّيها "مداراة" وبعضهم يسمّيها

➔

التقوى بقدر ما يستطيعون، فمتى حصل الخوف لهم فليس عليهم تقوى بقدر الخوف[1]، فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة قالت: استأذن

➔

"مصانعة" وبعضهم يسمّيها "عقلاً معاشيّاً"، ودلّ عليها الشرع (انظر شرح الأربعين النووية: ص٣٦). وأيضاً أنّها داخلة تحت قاعدة لا ضرر التي ذكرها الفقهاء من القواعد العقلائيّة التي أمضاها الشارع الأقدس. فالتقيّة أمر ثابت بالأدلّة الشرعيّة، فما ذكره ابن تيمية من أنّ التقيّة نفاق افتراء عظيم على الله ورسوله صلى الله عليه وآله فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ التقيّة يستخدمها الإنسان في حال الخوف والضرر، مثل ما لو كان المؤمن يعيش تحت قبضة إنسان ظالم يتربّص به ليقتله وليفتك به، كما لو كان المسلمون يعيشون تحت قبضة الحجّاج الثقفي مثلاً فهم يضطرّون لاستخدام التقيّة من أجل المحافظة على أنفسهم، فما يقوم به المؤمن اتّجاه الظالم يسمّى بالتقيّة. ومن الواضح أنّ أدلة هذه التقيّة موجودة في الكتاب العزيز وفي السنّة الشريفة، كما تقدّم ذكر بعض الآيات الدالّة عليها، ومنها قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾، فكلّ شخص يكره على عمل وقلبه مطمئن بالإيمان فعمله مشروع، سواء أتقى من مسلم أو أتقى من كافر؛ إذ أنّ الآية مطلقة، لم تفصّل بين التقيّة من المسلم، أو التقيّة من الكافر، وكذلك الروايات الواردة في المقام وقد روى بعضها علماء أهل السنّة في كتبهم، وهي كثيرة منها: ما أخرجه ابن أبي شيبة بسنده عن عبد الأعلى عن ابن الحنفيّة قال: سمعته يقول: لا إيمان لمن لا تقيّة له (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٦٤٣).

وهناك قسم آخر من التقية تسمى بالتقيّة المداراتيّة فهي ليست مسألة خوف، بل هي مسألة المداراة، وتستعمل هذا النوع من التقية للمداراة الاجتماعيّة مع المخالفين. وهذا النوع من التقيّة أيضاً مشروع بأدلّة من الروايات في كتب الفريقين الشيعة

🡐

رجل على النبيﷺ فذمّهﷺ، فلمّا دخل عليه احترمه وجعل يحادثه، فلمّا مضى الرجل قلت: يا رسول الله، ذممت الرجل ولمّا دخل أقبلت عليه تحادثه؟ فقالﷺ: «شرّ الناس من يتّقي خوف لسانه...»[1] انتهى نقله

➔

وأهل السنّة. أمّا ما ورد في كتب أهل السنّة من الروايات، فمنها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أخبرته قالت: استأذن رجل على رسول اللهﷺ فقال: «ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة»، فلمّا دخل الآن له الكلام، قلت: يا رسول الله قلت الذي قلت ثمّ ألنت له الكلام، قال: «أي عائشة، إنّ شرّ الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتّقاء فحشه» (صحيح البخاري ج٧: ص٨٦ كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم الدالّة على المقام. فكلا القسمين من التقيّة مشروعة في الشريعة المقدّسة، غير أنّ الحكم العقلي الدالّ على لزوم التقيّة إنّما يكون في موارد الخطر، إذ أنّ جميع عقلاء العالم عند ما يرون أنفسهم أمام طريقين: إمّا الإعلان عن عقيدتهم والمخاطرة بالنفس والمال والكرامة، أو إخفاء معتقداتهم، يمعنون النظر في الظروف القائمة، فإن كان الإعلان عن العقيدة يستحقّ كلّ هذه التضحية بالنفس والمال والكرامة اعتبروا إعلانها عملاً صحيحاً، وإن لم يكن للإعلان نتيجة تركوا ذلك. فإذا فرضنا أنّ الدليل العقلي لا يستقيم إلاّ بقدر ما يستطيع الإنسان من خلاص نفسه، فعند ذلك يكون الموضوع في التقيّة رفع الخوف والضرر، فمتى حصل الخوف لهم يلزم عليهم التقيّة بقدر الخوف. فهذا المقدار من القدر المتيقّن في مشروعية التقيّة أمر مسلّم عند كل من له معرفة بالأدلّة الشرعية، فلاحظ.

(١) انظر صحيح البخاري ج٧: ص٨٦ كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل

➔

بالمعنى سوى بعض آخره وهو «شرّ الناس» وحده، فإنّا نقلناه بلفظه[١]. فانظر إلى ما يروونه من تقيّة خير البشرﷺ في كتبهم الذي هو في غاية الصحّة لديهم والسنّي يزعم أنّ التقيّة نفاق، فيلزم -والعياذ بالله- من قوله المتناهي بالشناعة أمره سبحانه عباده ورسوله بالنفاق[٢]، بل في الدرّ المنثور عن سعيد

➔

الفساد والريب.

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أخبرته قالت: استأذن رجل على رسول اللهﷺ فقال: «ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة»، فلما دخل الآن له الكلام، قلت: يا رسول الله، قلت الذي قلت ثمّ ألنت له الكلام، قال: «أي عائشة، إنّ شرّ الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتّقاء فحشه» (صحيح البخاري ج٧: ص٨٦ كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب).

(٢) وتوضيح المقام أنّ إنكار التقيّة إنكار لما جاء به رسول اللهﷺ، وإليك بعض الموارد التي حدثت فيها التقيّة في زمن رسول اللهﷺ وأجازهم رسول اللهﷺ عليها، وهي كثيرة؛ منها: أنّ النبيﷺ أرسل مجموعة من المسلمين لقتل كعب ابن الأشرف، فقالوا: يا رسول الله، أتأذن لنا أن ننال منك؟ فأذن لهم (انظر أحكام القرآن لابن العربي ج٢: ص١٢٥٧). يقول الطبري: إنّ الحجّاج بن غلاط السليمي وبعد فتح المسلمين لخيبر استأذن رسول اللهﷺ للذهاب إلى مكّة لجمع أمواله، وأذن له النبيﷺ، فلمّا قرب من مكّة رأى رجالاً من المشركين يتصيّدون الأخبار ولم يعلموا بإسلامه، فسألوه عن ذلك فقال لهم: وعندي من الخبر ما يسرّكم، قال: فالتاطوا بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حجّاج، قال: قلت: هزيمة لم تسمعوا بمثلها قطّ،
➔

بن منصور والصحيحين وسنن الترمذي وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي حديث فيه طلب عمر من النبيﷺ قتل المنافق فأمره بعدم قتله خوفاً من تحدّث الناس بأنّه يقتل أصحابه[1]. فانظر إلى تقيّتهﷺ فلم يرض بقتل

➔

وأخبرهم بأنّ المسلمين قد هزموا في خيبر، وأُسِر رسول اللهﷺ (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٣٠٥، في حوادث السنة السابعة بعد الهجرة)، ورواه ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٢: ص٢٢٣. وقد عمل أحمد بن حنبل بالتقيّة كما جاء في المصادر التاريخيّة، فقد أخرج اليعقوبي في تاريخه أنّه استدعى المعتصم العبّاسي أحمد بن حنبل، وقد كان المعتصم يقول بخلق القرآن، بينما لا يقول أحمد ابن حنبل بذلك، فقال له المعتصم: قل بخلق القرآن، فرفض أحمد بن حنبل، فأمر المعتصم بجلده ٢٥ جلدة، فتدخّل أحد الحاضرين لحفظ حياة أحمد بن حنبل، فقال له: قل: أقول بمقالة أمير المؤمنين، فقال المعتصم: هذا لا يكفي بل لا بدّ من أن يصرّح صراحة واضحة، فيقول: أقول بمقالة أمير المؤمنين بخلق القرآن، وفعلاً قال أحمد بن حنبل ما أراد المعتصم ونجا. إذن فقد عمل أحمد بن حنبل بالتقيّة الخوفيّة، مع أن المعتصم مسلم وليس كافرًا، ولولا أنّها مشروعة لما عمل بها أحمد ابن حنبل (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص٤٧٢). وإلى ذلك مما جاء في كتبهم. وعليه فإذا أمر الله ورسولهﷺ بالتقيّة، وقد فعلها كبار الصحابة وأئمة أهل السنّة كأحمد بن حنبل، فما بال ابن تيمية يقول: التقيّة نفاق؟!!

(١) قال السيوطي في تفسيره: وأخرج سعيد بن منصور والبخاري ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله قال: كنّا مع النبيﷺ في غزاة، قال سفيان: يرون أنّها غزوة بني المصطلق فكسع رجل من المنافقين رجلاً من الأنصار فسمع ذلك النبيﷺ، فقال: «ما بال دعوى الجاهليّة؟»

➔

رجل قد هدر الله سبحانه دمه خوفاً وتقيةً من قيل الناس بأنّهصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقتل أصحابه[١]، فتدبّر[٢].

←

قالوا رجل من المهاجرين: كسع رجلاً من الأنصار فقال النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «دعوها فإنّها منتنة»، فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال: أوقد فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فبلغ النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «دعه لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه»، زاد الترمذي فقال له ابنه عبد الله: والله لا تنقلب حتّى تقر أنّك الذليل ورسول الله العزيز ففعل (الدرّ المنثور ج٦: ص٢٢٥).

(١) هذه العبارة قد جاءت في الرواية المتقدّمة التي رواها السيوطي في تفسيره (انظر الدرّ المنثور ج٦: ص٢٢٥). وكذلك في الرواية التي رواها البخاري في صحيحه بسنده عن سفيان، قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله قال: كنّا في غزاة قال سفيان مرّة في جيش: فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول اللهصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقال: «ما بال دعوى جاهليّة؟» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنّها منتنة»، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فبلغ النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «دعه لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه» (صحيح البخاري ج٦: ص٦٥ كتاب التفسير، باب تفسير سورة المنافقين). فالحديث صريح في الدلالة على أنّ النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ استعمل التقيّة خوفاً من أن يقول أحد أنّ محمّداً صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقتل أصحابه، فلاحظ.

(٢) ولعلّ الوجه في التدبّر اشارة إلى بعض الأدلّة والروايات التي وردت في التقيّة

←

➔

المداراتيّة، ومن الواضح أنّ التقيّة المداراتيّة ليس فيها خوف النفس وأمثال ذلك، بل تكون من أجل دفع الضرر المحتمل. وتوضيح المقام أنّه لا ريب في أنّ رسول اللهﷺ متكفّل لهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في مختلف أدوارهم الضامن لهم نيل السعادة الكبرى في العاجل والآجل، وهذا المنهج منهﷺ سار وجار في جميع الأمور الدينيّة. وفي المقام أنّ الروايات الدالّة على التقيّة الواردة في كتب أهل السنّة فيها دلالة واضحة على أنّ التقيّة كانت أمراً متداولاً عند الصحابة، ولذلك لمّا يقول النبيﷺ: «دعه لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه» (صحيح البخاري ج٦: ص٦٥ كتاب التفسير، باب تفسير سورة المنافقين). معناه أنّ الصحابة فهموا من فعل النبيﷺ التقيّة، فلو كانت التقيّة غير مشروعة وغير متداولة لسأل الصحابة من رسول اللهﷺ استفساراً عن ذلك. ومن تلك الروايات ما رواه السيوطي في الدرّ المنثور تفسير قوله تعالى: ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ (سورة المنافقين:٧). وقد ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية، أنّه أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة في قوله ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ قال: إنّ عبد الله بن أبي قال لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول اللهﷺ، فإنّكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضّوا، وفي قوله يقولون: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، قال: قد قالها منافق عظيم النفاق في رجلين اقتتلا أحدهما غفاري والآخر جهني، فظهر الغفاري على الجهني وكان بين جهينة وبين الأنصار حلف، فقال رجل من المنافقين وهو عبد الله بن أبي: يا بني الأوس والخزرج عليكم صاحبكم وحليفكم، ثمّ قال: والله ما مثلنا ومثل محمّد إلاّ كما قال القائل سمن كلبك يأكلك، والله لئن

➔

الثالث والعشرون: ما زعمه من كون النفاق مطلق القبول اللساني المخالف لما في القلب، فإنّه مناف لنصوص الفرقان العظيم والسنّة الشريفة، فإنّهما قد بيّنا النفاق وخصّاه بالتظاهر باللسان بشهادة التوحيد لله والنبوّة لرسوله وجحد ذلك بالقلب(١). وبعبارة غيرهما هو التظاهر بالحقّ لساناً دون

➔

رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فسعى بها بعضهم إلى نبي الله ﷺ، فقال عمر: يا نبي الله، مر معاذ أن يضرب عنق هذا المنافق، فقال: «لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه» وذكر لنا أنّه كثر على رجلين من المنافقين عنده، فقال عمر: هل يصلّي؟ قالوا: نعم ولا خير في صلاته، قال: نهيت عن المصلّين، نهيت عن المصلّين، نهيت عن المصلّين (الدرّ المنثور ج ٦: ص٢٢٥). فكما ترى أنّ التقيّة كانت أمراً شائعاً بحيث عندما استعملها النبي ﷺ عرف الصحابة أنّ فيها الخير، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ معنى النفاق والمنافق قد جاء في القرآن والسنّة النبويّة بشكل واضح، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّه وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة البقرة: ٨-١٤). هذه الآيات تبيّن حقيقة المنافقين وخصائصهم الروحيّة وأعمالهم البائسة، حيث أنّ الإسلام واجه في عصر انبثاق الرسالة مجموعة لم

➔

→

يؤمنوا بالله ورسولهﷺ إلاّ بشكل ظاهري، ولم تكن لهم القدرة اللازمة للمعارضة مع المسلمين. هذه المجموعة المذبذبة المصابة بازدواج الشخصيّة توغلت في أعماق المسلمين، وشكلت خطراً كبيراً على الإسلام والمسلمين. وكان تشخيصهم صعباً، لأنّهم متظاهرون بالإسلام، غير أنّ القرآن بيّن بدقّة مواصفاتهم وأعطى للمسلمين في كلّ القرون والأعصار معايير حية لمعرفتهم. فالآيات المذكورة بيّنت في مطلعها الخطّ العام للنفاق والمنافقين كما في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾، فأحد أوصاف هؤلاء أنّهم يظهرون الإيمان بالله، وكانوا يعتبرون لأعمالهم المذبذبة نوعاً من الشطارة والدهاء وقد فضحهم الله بقوله تعالى: ﴿**يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ فهؤلاء كانوا لا يشعرون بأنّهم يسيئون بعملهم هذا إلى أنفسهم، ويبددون بانحرافهم هذا طاقاتهم، ولا ينتجون من ذلك إلاّ الخسران والعذاب الإلهي، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾. وفي الآية التالية يبيّن القرآن الكريم أنّ النفاق في حقيقته نوع من المرض، حيث أنّ الإنسان السالم له وجه واحد فقط، وفي ذاته انسجام تامّ بين الروح والجسد، لأنّ الظاهر والباطن، والروح والجسم، يكمل أحدهما الآخر. إذا كان الفرد مؤمناً فالإيمان يتجلّى في كلّ وجوده، وإذا كان الشخص منحرفاً فظاهره وباطنه يدلاّن على انحرافه، فازدواجيّة الجسم والروح مرض آخر وعلّة إضافية. وهذا نوع من التضاد والانفصال الذي كان مشهوداً في شخصيّتهم، كما قال تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾. وبما أن سنّة الله في الكون اقتضت أن يتيسّر الطريق لكلّ سالك، وأن تتوفّر سبل التقدّم لكلّ من يجهد في وضع قدمه على طريق بشكل عادي. وبعبارة أخرى: إنّ تكريس أعمال الإنسان وأفكاره في خطّ معيّن تدفعه نحو الانغماس والثبات في ذلك الخطّ، فقد أضاف

←

➔

القرآن قوله: ﴿فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً﴾. وبما أنّ الكذب رأس مال المنافقين يبرّرون به ما في حياتهم من متناقضات، ولهذا أشار القرآن في ختام الآية إلى هذه الحقيقة: ﴿وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾. ثمّ تستعرض الآيات خصائص المنافقين، وتذكر أوّلاً أنّهم كانوا يتشدّقون بالإصلاح، بينما هم يتحرّكون على خط التخريب والفساد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾. ومن الحقائق التي بيّنها هذه الآية أنّه لو تمادى الإنسان في الغيّ والضلال يفقد قدرة التشخيص، بل تنقلب لديه الموازين ويصبح الذنب والإثم جزء من طبيعته. فالمنافقون كانوا كذلك حيث بإصرارهم على انحرافهم يتطبّعون بخطّ النفاق، وتتراءى لهم أعمالهم بالتدريج وكأنّهم أعمال إصلاحيّة، وتغدو بصورة طبيعة ثانية لهم. وأيضاً من علائم المنافقين: اعتدادهم بأنفسهم واعتقادهم بأنّهم ذووا عقل وتدبير وأنّ المؤمنين سفهاء وبسطاء كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾. وهكذا تنقلب المعايير لدى هؤلاء المنحرفين، فيرون الانصياع للحقّ واتّباع الدعوة الإلهيّة سفاهة، بينما يرون شيطنتهم وتذبذبهم تعقّلاً ودراية!! غير أنّ الحقيقة عكس ما يرون كما قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾. أليس من السفاهة أن لا يضع الإنسان لحياته خطّاً معيّناً ويبقى يتلوّن بألوان مختلفة؟! أليس من السفاهة أن يضيع الإنسان وحدة شخصيّته، ويتّجه نحو ازدواجيّة الشخصيّة وتعدّد الشخصيّات في ذاته، ويهدر بذلك طاقاته على طريق التذبذب والتآمر والتخريب، ومع ذلك يعتقد برجاحة عقله؟!! وأيضاً من علائم المنافقين هي تلوّنهم بألوان معيّنة تبعاً لما تفرضه عليهم مصالحهم، فهم انتهازيون يظهرون الولاء للمؤمنين ولأعدائهم من الشياطين ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا

➔

➔
وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾. فكانوا يؤكّدون إلى شياطينهم أنّهم معهم، وأنّ ولاءهم للمؤمنين ظاهري، وأنّ هدفهم الاستهزاء. وبلهجة قويّة حاسمة يرد القرآن الكريم على هؤلاء ويقول: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ (سورة البقرة:١٥). فالآية الأخيرة توضّح المصير الأسود المظلم لهؤلاء المنافقين، وخسارتهم في سيرتهم الحياتيّة الضالّة: ﴿**أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ (سورة البقرة:١٦). وهناك آيات كثيرة في أوصاف المنافقين وعلائمهم وهي تكشف عن عدم إيمانهم بالله ورسولهﷺ، كما أنّ الروايات الكثيرة الواردة عن الفريقين تدلّ على أنّ المنافقين كانوا كفّاراً حقيقةً وإن أسلموا بشكل ظاهري. وممّا يشهد على ذلك ما ورد من أنّ النبيﷺ لمّا أراد الخروج إلى غزوة تبوك استخلف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في أهله وولده، فقالﷺ: «يا علي، إنّ المدينة لا تصلح إلاّ بي أو بك». وقد أرادﷺ الاحتياط خوفاً من المنافقين الموجودين في المدينة لئلاّ يفتحوا الطريق لهجوم الأعداء غفلةً. ومن الواضح أنّه لم يكن أحد يستطيع ردّ كيد المنافقين إلاّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. ولمّا علم أهل النفاق باستخلاف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على المدينة حسدوه لذلك وساءهم الأمر، فأخذوا يبثّون الدعايات الكاذبة والقول بأنّ النبيﷺ لم يستخلف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إكراماً وإجلالاً له، وإنّما خلّفه استثقالاً له، فلمّا بلغ الأمر إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ذلك عمل على الفور على فضح أكاذيبهم، فلحق بالنبيﷺ وقال له: «يا رسول الله، إنّ المنافقين يزعمون أنّك إنّما خلّفتني استثقالاً ومقتاً»، فقال النبيﷺ: «ارجع يا أخي إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلاّ بي أو
➔

القلب. وأمّا التقيّة فهي: عبارة عن التظاهر بالباطل بأيّ وجه يتصوّر من القول باللسان ومن العمل وغير ذلك بدون متابعة من القلب[1]، بل هو معتقد

بك، فأنت خليفتي في أهل بيت ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي؟» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٢: ص٣٣٧). وهذا النصّ صريح في أنّ النبيﷺ كان في صدد دفع مؤامرة المنافقين في المدينة المنوّرة بسبب وجود الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وتثبيتهعليه السلام للإمامة والخلافة لما بعده، حيث أنّ النصّ دالّ على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، كما يدلّ على دفع شرّ المنافقين بسبب وجود الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في المدينة. وهذا من فضائلهعليه السلام، التي لا يشترك فيها أحد سوى النبيﷺ. وعليه لا بدّ لابن تيميّة أن يدرس أوّلاً معنى النفاق في الآيات والروايات، ثمّ يطبق العلائم المذكورة من الكتاب والسنّة على الصحابة، وبعد ذلك يطبقه على من جاء بعدهم ثم يذكر من ينطبق عليه هذه العلائم فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ التقيّة في الشريعة المقدّسة عبارة عن التظاهر بما يتصوّر المخالف موافقته معهم باللسان أو بالعمل أوغير ذلك بدون متابعة من القلب لهم؛ وذلك للاحتراز والتجنّب عن شرّهم. والخبير يعلم أنّ الأدلّة الشرعية قائمة على مشروعيّة التقيّة وفوائدها كما تقدمت الإشارة إليها. وهذه لا تنطبق على حقيقة النفاق لأنّ الأدلّة الشرعية من الكتاب والسنّة النبويّة تدلّ على أنّ النفاق من أخسّ الصفات وأسوءها، بينما تكون التقيّة من صفات المؤمنين، ضرورة أنّ التقيّة عزّ المؤمن والنفاق ذلّ المنافق. ومع ذلك فقد ذكر علماء الإسلام فروقاً شاسعاً بين التقيّة والنفاق. منها: أنّ التقيّة يلمّ شمل المسلمين وتأتلف قلوبهم، وأنّ النفاق سبب

➔

لتفرقتهم وزرع العداوة والبغضاء في ما بينهم. ومع وضوح هذا الأمر أنّا سنبيّن باختصار بعض الفروق بين التقيّة والنفاق فيما ما يلي، الفرق الأوّل: أنّ التقيّة ثبات في القلب على الإيمان وإظهار خلافه باللسان فقطّ، لضرورة مقبولة شرعاً وعقلاً. والنفاق عكس ذلك تماماً فهو ثبات القلب على الباطل وإظهار الحقّ على اللسان فقطّ، بحيث لا يتعدى فعل المنافق إلى فعل المؤمن، وأين هذا من ذاك؟

الفرق الثاني: التقيّة لا تكون من غير ضرورة أو مصلحة معتدّ بها شرعاً، وأمّا النفاق فهو خالٍ من كلّ ذلك تماماً، فهو مرض في قلب المنافق الذي يحسب كلّ صيحة عليه، فكيف يستويان؟ وهذا من قبيل دخول المنافق على سلاطين الجور والأمراء الفسقة وإطرائهم بما ليس فيهم وتزكيتهم من دون أدنى ضرورة وبلا إكراه وإنّما لأجل التزلّف إليهم ثمّ ذمّهم عند الخروج منهم كما كان يفعله عريف الهمداني، وعروة بن الزبير، وناس من التابعين، ممّا حمل بعض الصحابة على تنبيههم على هذا النفاق (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٥١ كتاب الأحكام، باب ما يُكرَه من ثناء السلطان، وإذا خرج قال غير ذلك، والسنن الكبرى للبيهقي ج٨: ص١٦٤، وفتح الباري لابن حجر ج٣: ص١٧٠).

الفرق الثالث: هو ما اعتنى القرآن الكريم بشأن التقيّة وقد بيّن موردها في مقام رفع الحرج والعسر والشدّة والضرر، وكذلك السنّة النبويّة، زيادة على طرح الفقهاء لجملة من القواعد الفقهيّة المبيّنة لذلك وكلّ هذا يدخل في دائرة التقيّة وبيان حكمها الشرعي، وفي المقابل جاء التحذير الشديد بشأن النفاق وبيان مساوئه، فلم يعدّ القرآن الكريم مَن اتّقى إلاّ بكلّ خير، بينما وعد المنافقين بكلّ عذاب مهين.

الفرق الرابع: جواز التقيّة ثابت بنصّ القرآن الكريم، وحرمة النفاق ثابتة بعشرات النصوص القرآنيّة، ولو جاز القول بأنّ التقيّة نفاق، فلم يبق إلاّ القول بأنّ الشريعة

➔

بـالحقّ، وقـد عرفـت عمـل خيـر الرسـلﷺ بهـا بإقبالـه علـى الرجـل ذمّـه بالحديث، وبقوله لعمر لمّا طلب منه ضرب عنق المنـافق: «دعـه»[1]، وبـأمره الصحابة بها حسبما روى ذلك البخاري في صحيحه في حديث عن حذيفة، قـال: قلنـا: تخـشى علينـا ونحـن ألـف وخمـسمائة؟[2] ومـسلم روى: ونحـن

➔

الإسلاميّة أحلّت للمسلمين النفاق ثمّ نُسخ هذا الحكم بالحرمة، وهو كما ترى قول مضحك لا يقوله إلاّ السفيه الأحمق.

الفرق الخامس: التقيّة فـضيلة كمـا مـرّ والنفـاق رذيلـة بـلا شـكّ، فكيـف يجـوز حمـل أحدهما على الآخر.

الفرق السادس: قولهم بنظريّة عدالة الصحابة يثبّت الفـرق بـين التقيّـة والنفـاق بأوضـح وجه؛ لثبوت عمل الصحابة بالتقيّة كما سنبرهن عليه في المباحث الآتية إن شـاء الله تعالى، أمّا النفاق كالكفر. فمعنى قـولهم أنّ التقيّـة نفـاق يعنـي أنّ عـدول الـصحابة منافقون، وهذا ما لا يرتضي به علماء أهل السنّة، فكيف يقول ابـن تيميّـة أنّ التقيّـة نفاق؟!! ونكتفي هنا بذكر هذه الفروق ولنبيّن حقيقة الأمر في التقيّـة وفوائـد التقيّـة ومساويء النفاق في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) انظر الدرّ المنثور ج٦: ص٢٢٥

(٢) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن حذيفة قال: قال النبيﷺ: «اكتبوا لي من تلفّظ بالاسلام من الناس» فكتبنا له ألفاً وخمـسمائة رجـل فقلنـا نخـاف ونحـن ألف وخمـسمائة، فلقـد رأيتنـا ابتلينـا حتّـى أن الرجـل ليـصلّي وحـده وهـو خـائف (صحيح البخاري ج٤: ص٣٤ كتاب دعاء النبيﷺ إلى الإسلام، باب كتابة الإمام للناس).

سبعمائة؟ فقال: «أخشى أنّكم تبتلون»، قال: فابتلينا فصرنا نصلّي مختفين، نقلناه بالمعنى[١]. وقد عمل بها جملة من علمائهم في زمان المحنة بزعمهم حسبما نقل ذلك جماعة[٢] منهم السبكي في طبقاته والقاضي ابن خلكان

---

(١) لقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن حذيفة قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فقال: «أحصوا لي كم يلفظ الإسلام» قال: فقلنا: يا رسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: «إنّكم لا تدرون، لعلّكم أن تبتلوا»، قال: فابتلينا حتّى جعل الرجل منّا لا يصلّي إلاّ سرّاً (صحيح مسلم ج١: ص٩١ كتاب الإيمان، باب تألّف قلب من يخاف على إيمانه).

(٢) لا يخفى على الخبير أنّ من الحوادث المهمّة في تاريخ المذاهب السنّيّة فتنة خلق القرآن، حيث بلغ الخلاف العقائدي فيها إلى درجة التكفير وقتل من يتبنى القول بقدم القرآن، فالتجأ الكثير من علماء السنّة ومحدّثيهم إلى التقيّة، لحماية أنفسهم وأعراضهم وأموالهم. وملخّص الكلام في مسألة خلق القرآن الكريم هو أنّ هذه المسألة فروع أصل التوحيد وصفات الله عزّ وجلّ، ولقد أثيرت بشكل واسع خلال عقود من الزمن في العصر العبّاسي، وبلغ الصراع ذروته في عصر المأمون العبّاسي فأحدث الخوض في هذا الموضوع ضجّة كبيرة ونقاشاً واسعاً، واستمرّ زمناً طويلاً فأعقبته فتنة ومحنة عمّت العلماء وأصحاب الرأي في مختلف البلاد الإسلاميّة. فاستخدم بعض علماء أهل السنّة التقيّة في هذا المجال دفعاً للضرر الذي قد كان يتوجّه إليهم من السلطة. ومن أمثلة ذلك، أحدهم: تقيّة سعدويه سعيد بن سليمان حول محنة خلق القرآن، حيث قال الذهبي عند ترجمته لسعدويه: وأمّا أحمد ابن حنبل فكان يغضّ منه ولا يرى الكتابة عنه، لكونه أجاب في المحنة تقيّة – إلى أن قال – قيل لسعدويه بعدما انصرف من المحنة: ما فعلتم؟ قال: كفرنا ورجعنا (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٠: ص٤٨٢). ثانيهم: تقيّة أبي نصر التمّار، حيث ←

➔
أجاب في محنة خلق القرآن تقيّة أيضاً، فقال الذهبي في حقّه: أجاب تقيّة وخوفاً من النكال وهو ثقة بحاله ولله الحمد (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٠: ص٥٧٣). ثالثهم: تقيّة إبراهيم بن المنذر بن عبد الله في تلك المحنة، حيث قال السبكي في حقّه: كان حصل عند الإمام أحمد منه شيء، لأنّه قيل: خلط في مسألة القرآن كأنّه مجمج في الجواب، قلت: وأرى ذلك منه تقيّة وخوفاً (انظر طبقات الشافعيّة: ج٢: ص٨٢، نقلاً عن حاشية تهذيب الكلام للمزي، بقلم الدكتور بشّار عواد معروف ج٢: ص٢١١). رابعهم: تقيّة يحيى بن معين، أخرج الذهبي عن الحافظ أبي زرعة الرازي قوله: كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمّار، ولا عن يحيى بن معين ولا عن أحد ممّن امتحن فأجاب. ثمّ يُعلّق الذهبي على ذلك قائلاً: قلت: هذا أمر ضيق ولا حرج على من أجاب في المحنة، بل ولا على من أكره على صريح الكفر عملاً بالآية، وهذا هو الحقّ، وكان يحيى من أئمة السنّة، فخاف من سطوة الدولة وأجاب تقيّة (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج١١: ص٨٧). خامسهم: تقيّة إسماعيل بن حمّاد في محنة القرآن، قال ابن حجر في لسان الميزان: قال يوسف في المرآة: وكان إسماعيل بن حمّاد ثقة، صدوقاً لم يغمزه سوى الخطيب، فذكر المقالة في القرآن، قال السبط: إنّما قاله تقيّة كغيره (انظر لسان الميزان ج١: ص٣٩٩). سادسهم: تقيّة الجمّ الغفير من العلماء وعامة الناس في محنة خلق القرآن، وتقدّم بعض شواهدها، ومن هنا قال الذهبي في تلك المحنة: من أجاب تقيّة فلا بأس عليه (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٣: ص٣٢٢). سابعهم: ومن تلك المواقف أيضاً فتنة الأسود العنسي، حيث قال ابن كثير وغيره في تلك الفتنة: واستوثقت اليمن بكاملها للأسود العنسي، وجعل أمره يستطير استطارة الشرارة... واشتدّ ملكه واستغلظ أمره، وارتدّ خلق من أهل اليمن، وعامله
➔

في وفياته والسيوطي في تاريخه وغيرهم، وذلك لما امتحن المأمون الناس في خلق الفرقان العزيز فأجابه سبعة من عظمائهم إلى خلقه تقيّة وهم: محمّد بن سعيد ويحيى بن معين وإسماعيل بن أبي مسعود وأحمد ابن ابراهيم الدورفي إلى آخرهم[1].

←

المسلمون الذين هناك بالتقيّة (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٦: ص٣٣٩، وتاريخ ابن خلدون ج٢: ص٦٠). فإذا كانت التقيّة غير مشروعة عند علماء أهل السنّة فلماذا استعملها كبار علمائهم؟!!

(١) وإليك نصّ الحديث الذي رواه السبكي، قال: كان القاضى أحمد بن أبى دؤاد ممّن نشأ فى العلم وتضلع بعلم الكلام، وصحب فيه هياج بن العلاء السلمي صاحب واصل بن عطاء أحد رؤوس المعتزلة. وكان ابن أبى دؤاد رجلاً فصيحاً. قال أبو العيناء: ما رأيت رئيساً قطّ أفصح ولا أنطق منه، وكان كريماً ممدحاً. وكان معظماً عند المأمون، يقبل شفاعاته ويصغى إلى كلامه وأخباره فى هذا كثيرة. فدسّ ابن أبى دؤاد له القول بخلق القرآن، وحسّنه عنده وصيّره يعتقده حقّاً مبيناً، إلى أن أجمع رأيه فى سنة ثمان عشرة ومائتين على الدعاء إليه، فكتب إلى نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعي ابن عمّ طاهر بن الحسين فى امتحان العلماء كتاباً كان فيه: فاجمع من بحضرتك من القضاة، فاقرأ عليهم كتابنا، وامتحنهم فيما يقولون، واكشفهم عمّا يعتقدون فى خلق الله وإحداثه، وأعلمهم أنّي غير مستعين فى عمل ولا واثق بمن لا يوثق بدينه، فإذا أقرّوا بذلك ووافقوا فمُرهم بنصّ من بحضرتهم من الشهود ومسألتهم عن علمهم فى القرآن، وترك شهادة من لم يقر أنّه مخلوق، واكتب إلينا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك فى مسألتهم والأمر لهم بمثل ذلك.

وكتب المأمون إليه أيضاً فى إشخاص سبعة أنفس وهم: محمّد بن سعد كاتب

→

➔

الواقدي، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن إبراهيم الدورقي. فأشخصوا إليه، فامتحنهم بخلق القرآن، فأجابوه فردّهم من الرِقّة إلى بغداد، وسبب طلبهم أنّهم توقّفوا أوّلاً ثمّ أجابوه تقيّة. وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث، ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة، ففعل ذلك فأجابه طائفة وامتنع آخرون، فكان يحيى بن معين وغيره يقولون أجبنا خوفاً من السيف.

ثمّ كتب المأمون كتابًا آخر من جنس الأوّل إلى إسحاق، وأمره بإحضار من امتنع، فأحضر جماعة منهم أحمد بن حنبل، وبشر بن الوليد الكندي، وأبو حسان الزيادي، وعلي بن أبى مقاتل، والفضل بن غانم، وعبيد الله بن عمر القواريري، وعلي بن الجعد، وسجادة، والذيال بن الهيثم، وقتيبة بن سعيد –وكان حينئذ ببغداد–، وسعدويه الواسطي، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن علية الأكبر، ومحمّد بن نوح العجلي، ويحيى بن عبد الرحمن العمري، وأبو نصر التمّار، وأبو معمّر القطيعي، ومحمّد بن حاتم بن ميمون وغيرهم، وعرض عليهم كتاب المأمون، فعرضوا وورّوا ولم يجيبوا ولم ينكروا.

فقال لبشر بن الوليد: ما تقول؟ قال: قد عرّفت غير مرّة، قال: والآن، فقد تجدّد من المأمون كتاب. قال: أقول كلام الله، قال: لم أسألك عن هذا، أمخلوق هو؟ قال: ما أُحسِن غير ما قلت لك، وقد استعهدت الخليفة أن لا أتكلّم فيه.

ثمّ قال لعلي بن أبى مقاتل ما تقول؟ قال: القرآن كلام الله، وإن أمرنا المأمون بشيء سمعنا وأطعنا. وأجاب أبو حسان الزيادى بنحو من ذلك. ثمّ قال لأحمد بن حنبل: ما تقول؟ قال: كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله لا أزيد على هذا. ثمّ امتحن الباقين وكتب بجواباتهم. وقال ابن البكاء الأكبر أقول: القرآن مجعول

➔

وبالجملة فالتقيّة من المتّفق على رجحانها في مقام الخوف عند عّامة المليّين ومنكرها من المبدعين لما عرفته[1].

←

ومُحدَث لورود النصّ بذلك، فقال له إسحاق بن إبراهيم: والمجعول مخلوق، قال: نعم، قال: فالقرآن مخلوق، قال: لا أقول مخلوق. ثمّ وجّه بجواباتهم إلى المأمون، فورد عليه كتاب المأمون: بلغنا ما أجاب به متصنّعة أهل القبلة، وملتمسو الرياسة فيما ليسوا له بأهل، فمن لم يجب أنه مخلوق فامنعه من الفتوى والرواية. ثمّ توجّه لكلّ من هؤلاء العلماء بكلام قاس فيه مسبة، ثمّ قال: ومن لم يرجع عن شركه ممّن سمّيت بعد بشر وابن المهدي، فاحملهم موثوقين إلى عسكر المأمون ليسألهم، فإن لم يرجعوا حملهم على السيف. قال: فأجابوا كلّهم عند ذلك إلاّ أحمد بن حنبل وسجادة ومحمّد بن نوح والقواريري، فأمر بهم إسحاق فقُيّدوا، ثمّ سألهم من الغد وهم فى القيود فأجاب سجادة، ثم عاودهم ثالثاً، فأجاب القواريرى ووجّه بأحمد ابن حنبل ومحمّد بن نوح المضروب إلى طرسوس، ثمّ بلغ المأمون أنّهم أجابوا مكرهين؛ فغضب وأمر بإحضارهم إليه، فلمّا صاروا إلى الرقّة بلغتهم وفاة المأمون، وكذا جاء الخبر بموت المأمون إلى أحمد. وأمّا محمّد بن نوح فكان عديلاً لأحمد بن حنبل فى المحمل، فمات فغسّله أحمد بالرحبة وصلّى عليه ودفنه. وكان المأمون قد كتب وصيّة تطول حكايتها ضمنها تحريض الخليفة بعده على حمل الخلق على القول بخلق القرآن، ثمّ تُوفّي فى رجب، ودُفن بطرسوس، واستقلّ المعتصم بالخلافة (انظر طبقات الشافعية للسبكي ج٢: ص٤٢)، ورواه الذهبي في تاريخ الإسلام ج١٥: ص٢٤، وأبو الفداء في تاريخه ج٢: ص٣٢، وابن كثير في البداية، والنهاية ج١٠: ص٣٠٠ وغيرهم.

(١) وبعبارة أوضح أنّه قد أقرّ بعض علماء أهل السنّة بمشروعيّة التقيّة ومطلوبيّتها في

→

➔

الشريعة المقدسة، منهم الفخر الرازي قال في تفسير قوله تعالى ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (سورة آل عمران:٢٨): واعلم أنّ نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (سورة آل عمران:١٠٦) أي أنّها تدلّ على مشروعيّة التقيّة في الإسلام....(ثمّ قال): المسألة الرابعة: اعلم أنّ للتقيّة أحكاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها الحكم الأوّل: أنّ التقيّة إنّما تكون إذا كان الرجل في قوم كفّار، ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمحبّة والموالاة، ولكن بشرط أن يضمر خلافه، وأن يعرض في كلّ ما يقول، فإنّ التقيّة تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب. الحكم الثاني للتقيّة: هو أنّه لو أفصح بالإيمان والحقّ حيث يجوز له التقيّة كان ذلك أفضل، ودليله ما ذكرناه في قصة مسيلمة. الحكم الثالث للتقيّة: أنّها إنّما تجوز فيما يتعلّق بإظهار الموالاة والمعاداة، وقد تجوز أيضاً فيما يتعلّق بإظهار الدين، فأمّا ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال والشهادة بالزور وقذف المحصنات واطّلاع الكفّار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتّة. الحكم الرابع: ظاهر الآية يدلّ أنّ التقيّة إنّما تحلّ مع الكفّار الغالبين إلاّ أنّ مذهب الشافعي أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلّت التقيّة محاماة على النفس. الحكم الخامس: التقيّة جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال يحتمل أن يحكم فيها بالجواز، لقولهﷺ: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه»، ولقولهﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد» ولأنّ الحاجة إلى المال شديدة والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء، وجاز الاقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال، فكيف لا يجوز ههنا؟ والله أعلم. الحكم السادس: قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في أوّل الإسلام لأجل ضعف المؤمنين

🡐

الرابع والعشرون: ما زعمه بقوله "والرفضة تجعل التقيّة من أصول دينها"[(١)]، فإنّه من عجيب بهتانه عليهم من حيث مناقضته لما سبق من قوله:

➔

فأمّا بعد قوّة دولة الإسلام فلا، وروى عوف عن الحسن: أنّه قال التقيّة جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة وهذا القول أولى، لأنّ دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان (تفسير الفخر الرازي ج٨: ص١٦). وإلى غير ذلك من أقوال كبار علماء أهل السنّة. إذن ما ذكره ابن تيميّة من أنّ التقيّة نفاق مرجعه إلى أنّ كبار علماء أهل السنّة من أهل النفاق لقبولهم مشروعيّة التقيّة، وهل يرضى بذلك علماء أهل السنّة؟ فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ المراد من أصول الدين هو العقائد الأساسيّة التي تُشيّد البناء عليه، وكأنّ الدين كلّه متوقّف على هذه الأصول، ولولاها لا يمكن الإقرار بحكم من الأحكام الشرعيّة. فأصول الدين هي التي ترتبط بعقيدة الإنسان وسلوكه الفكري والتي تبتني عليها فروع الدين التي تتعلّق بأفعال المكلفين وسلوكهم العملي. وعليه فما يرتبط من تعاليم وإرشادات بتوجيه الجانب النظري للإنسان - أي المعرفة والعقيدة - تسمّى بأصول الدين، وما شرعت لتوجيه سلوك الإنسان العملي سمّيت بفروع الدين، فالدين معرفة وعمل، معرفة بأصول الدين، وعمل بفروع الدين، وقد قال الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ (سورة النحل:٩٧). فالحياة الطيّبة هي نتاج الإيمان الصادق، والعمل الصالح هذا خلاصة ما يعتقد به الشيعة الاثني عشريّة. ولكن ابن تيميّة كذب على الشيعة، وزعم أنّ الشيعة تعتقد بأنّ التقيّة من أصول الدين. في حين أنّ التقيّة من المسائل الفرعيّة التي لها أحكام خاصّة في الشريعة المقدّسة، وهذا من الضروريات لدى جميع المسلمين. والعجيب من جهل ابن تيميّة وأمثاله حيث لم

➔

إنّ أصول الدين عند الشيعة أربعة[١]، وعدّها هناك فلم تكن التقيّة منها، وههنا جعلها منها فتصير إذن أصول الدين خمسة، وفي ما سبق جعلها أربعة[٢]. ومناقضته أيضاً لنفس معناها الشرعي عندهم وعند عامّة المسلمين،

➔

يصلوا إلى حقيقة التقيّة التي أوضحها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم والروايات الواردة في السنّة النبوية، وما ورد عن أئمة أهل البيتعليهم السلام في تعاليمهم الدينيّة والأحكام الشرعيّة، وقد تعلّم منهم علماء الشيعة فبيّنوا حقيقة التقيّة بشكل واضح في كتبهم، كما بيّنوا أحكامها من خلال الروايات المتواترة. ومع ذلك نجد أهل العناد أمثال ابن تيميّة وأضرابه الذين هجموا على الشيعة كالعوام هجمة جهل وعناد من دون مراجعة إلى كتبهم الفقهيّة الاستدلاليّة، ونسبوا أمثال هذه الأباطيل للشيعة وسيتّضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) انظر منهاج السنّة ج١: ص٩٩، حيث قال: أصول الدين عند الإماميّة أربعة: التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة ولم يذكر التقيّة منها. وقد تقدّم البحث فيه في هذا الكتاب (انظر منهاج الشريعة في الردّ على ابن تيميّة ج١: ص٣٨٦).

(٢) وبعبارة أوضح أنّه لو كانت التقيّة عند الشيعة الإماميّة من أصول الدين، فلا بدّ أن يذكروها في عدادها، وحيث لا يكون كذلك حتّى ابن تيميّة نفسه عندما أراد أن يذكر أصول الدين عند الشيعة، قال: أصول الدين عند الإماميّة أربعة: التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة (انظر منهاج السنّة ج١: ص٩٩). ولم يذكر التقيّة في عداد أصول دينهم يعرف أنّ ما ذكره هنا افتراء على الشيعة، ليدلس على الغفلة من أهل أهل السنّة، ولكن كما يقال: حَبل الكذب قصير، فلا بدّ أن ينكشف ولو بعد حين. أومَنْ كَذَبْ كَذَبْ على نفسه، أي أن الكذّاب لا بدّ أن ينفضح. وهو في معنى حبل الكذب قصير فلاحظ.

فإنّ معناها التظاهر بما خالف الحقّ خوفاً من الظلم[١]، فهي حكم ظاهري

---

(١) وتوضيح المقام أنّه قد نصّ أهل العلم على أنّ فروع الدين عبارة عما: ترتبط بأفعال الإنسان وسلوكه العملي، وبناءً على هذا التعريف أنّ التقيّة تكون من فروع الدين، لأنّها عبارة عن التظاهر على فعل باطل خوفاً من الظلم، من دون الاعتقاد بالعمل باطل. فالمراد بالتقيّة: الإتيان بعمل لا يهدم حقّاً، ولا يبني باطلاً مخالفاً للحقّ، ولا يترك عملاً موافقاً للحقّ، بل حقيقتها كتمان المذهب الحق تحفّظاً عن ضرر الغير على الشخص أو الإسلام أو التشيّع، أو إعزازاً للدين وإعلاءً لكلمة الإسلام والمسلمين وتقويةً لشوكتهم. وتفصيل هذا التعريف الجامع أنّه ربّما يخاف الإنسان على النفس أو العرض من إتيان العمل الموافق لمذهب الحقّ أو ترك ما يخالفه أو إظهار ما يعتقده، وربّما لا يخاف على ذلك. والأوّل على قسمين: إذ الخوف قد يكون مع سبق الإكراه، وقد يكون بدونه. والثاني أيضاً على قسمين: إذ ربّما يترتّب على التقيّة إعلاء كلمة الإسلام، وقد لا يترتّب عليها. والأخير خارج عن التقيّة، وما قبله من أقسام التقيّة. وعليه فإنّ التقيّة تنقسم إلى أقسام أربعة: ١- التقيّة الخوفيّة ٢- والتقيّة الإكراهيّة ٣- والتقيّة الكتمانيّة ٤- والتقيّة المداراتيّة. وبعبارة أخرى، أنّ الشارع الأقدس اهتمّ بحفظ النفس من التهلكة إلى أقصى الغاية حتّى عدّه من أهمّ الواجبات. فإنّ الوظائف الفردية الدينية لا بدّ من إتيانها إذا يقع التزاحم بينها بين حفظ النفس، وأمّا إذا وقع التزاحم بين الوظيفة الفرديّة وحفظ النفس لا بدّ من سقوط الوظيفة الفرديّة، وليست التقيّة إلاّ ذلك. وإنّ الأدلّة من الكتاب والسنّة تدّل على مشروعيّة هذه التقيّة في الجملة، وقد اعترف بها كبار علماء أهل السنّة كما تقدّمت الإشارة إليه. فلنستعرض الآن مفهوم التقيّة عند أهل السنّة من خلال أقوال بعض علمائهم حتّى يتبيّن للقارئ الكريم أنّهم يعترفون بمشروعيّة التقيّة، وإليك نماذج من أقوالهم: قال أحمد مصطفى المراغي في تفسيره ←

➔
لقوله تعالى: ﴿لاَ يَتَّخذ الْمُؤْمنُونَ الْكَافرينَ أَوْليَاءَ منْ دُون الْمُؤْمنينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلكَ فَلَيْسَ منَ الله في شَيْء إلاَّ أَنْ تَتَّقُوا منْهُمْ تُقَاةً﴾ (سورة آل عمران:٢٨)، قال: أيّ إنّ ترك موالاة المؤمنين للكافرين حتم لازم في كلّ حال إلاّ في حال الخوف من شيء تتّقونه منهم، فلكم حينئذ أن تتّقوهم بقدر ما يتقى ذلك الشيء، إذ القاعدة الشرعيّة أن ردّ المفاسد مقدّم على جلب المصالح، وإذا جاز موالاتهم لاتّقاء الضرر فأولى أن تجوز لمنفعة المسلمين، وإذاً فلا مانع من أن تحالف دولة إسلاميّة دولة غير مسلمة لفائدة تعود إلى الأولى، إمّا بدفع ضرر أو جلب منفعة، وليس لها أن تواليها في شيء يضرّ بالمسلمين، ولا تختصّ هذه الموالاة بحال الضعف، بل هي جائزة في كلّ وقت، وقد استنبط العلماء من هذه الآية جواز التقيّة: بأن يقول الإنسان أو يفعل ما يخالف الحقّ لأجل توقّي الضرر من الأعداء يعود إلى النفس أو العرض أو المال، فمن نطق بكلمة الكفر مكرهاً وقاية لنفسه من الهلاك وقلبه مطمئن بالإيمان لا يكون كافراً بل يُعذر، كما فعل عمّار بن ياسر حين أكرهته قريش على الكفر، فوافقها مكرهاً وقلبه مليء بالإيمان، وفيه نزلت الآية ﴿مَنْ كَفَرَ بالله منْ بَعْد إيمَانه إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئنٌّ بالايمَان وَلكنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْر صَدْراً فَعَلَيْهمْ غَضَبٌ منَ الله وَلَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ﴾ (سورة النحل:١٠٦) (تفسير المراغي ج٣: ص١٣٦– ١٣٧). وقال ابن العربي المالكي: وقد اختلف الناس في التهديد، هل هو إكراه أم لا؟ والصحيح إنّه إكراه، فإنّ القادر الظالم إذا قال لرجل: إن لم تفعل كذا وإلاّ قتلتك أو ضربتك أو أخذت مالك أو سجنتك، ولم يكن له من يحميه إلاّ الله، فله أن يقدّم على الفعل ويسقط عنه الإثم في الجملة إلاّ في القتل، فلا خلاف بين الأمّة أنّه إذا أُكره عليه بالقتل لا يحلّ له أن يفدي نفسه بقتل غيره ويلزمه أن يصبر على البلاء الذي ينزل به... واختلف في الزنا، والصحيح
➔

➔

أنّه يجوز له الإقدام عليه ولا حدّ عليه... وأمّا الكفر بالله فذلك جائز له بغير خلاف على شرط أن يلفظ بلسانه وقلبه منشرح بالإيمان... (انظر أحكام القرآن لابن العربي ج٣: ص١١٧٧). قال القرطبي: لمّا سمح الله عزّ وجلّ بالكفر به وهو أصل الشريعة عند الإكراه ولم يؤاخذ به، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلّها، فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤاخذ به ولم يترتّب عليه حكم، وبه جاء الأثر المشهور عن النبيﷺ: «رُفع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه...». روى ابن القاسم عن مالك أن من أكره على شرب الخمر وترك الصلاة أو الإفطار في رمضان أنّ الإثم عنه مرفوع... (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٠: ص١٨١). وقال أبو حيّان: صحّة التقيّة من كلّ غالب يكره بجور منه، فيدخل في ذلك الكفّار وجورة الرؤساء والسلابة وأهل الجاه في الحواضر، كما تصحّ التقيّة عنده في حالة الخوف على الجوارح والضرب بالسوط والوعيد وعداوة أهل الجاه الجورة، وأنّها تكون بالكفر فما دونه من بيع وهبة ونحو ذلك (انظر البحر المحيط ج٢: ص٤٢٤). وقال فخر الدين الرازي: التقيّة جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقولهﷺ: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه»، ولقولهﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد»، ولأنّ الحاجة إلى المال شديدة، والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمّم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال، فكيف لا يجوز ههنا والله أعلم. قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في أوّل الاسلام لأجل ضعف المؤمنين، فأمّا بعد قوّة دولة الإسلام فلا. روى عوف عن الحسن أنّه قال: التقيّة جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة، وهذا القول أولى، لأنّ دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان (انظر تفسير الفخر الرازي ج٨: ص١٤). وقال الجصّاص: قال أصحابنا فيمن أُكره بالقتل وتلف بعض الأعضاء على شرب الخمر

➔

➔

وأكل الميتة لم يسعه أن لا يأكل ولا يشرب، وإن لم يفعل حتّى قُتل كان آثماً، لأنّ الله تعالى قد أباح ذلك في حال الضرورة عند الخوف على النفس فقال ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (انظر أحكام القرآن للجصّاص ج٣: ص١٩٣). وقال ابن الجوزي: الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها، وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان: إحداهما أنّه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أُمر به. والثانية أن التخويف لا يكون إكراهاً حتّى ينال العذاب، وإذ ثبت جواز التقيّة، فالأفضل ألاّ يفعل، نصّ عليه أحمد في أسير خُيِّر بين القتل وشرب الخمر فقال: إن صبر على القتل فله الشرف، وإن لم يصبر فله الرخصة، فظاهر هذا الجواز (انظر زاد المسير ج٤: ص٤٩٦). وقال الآلوسي: وفي هذه الآية ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالايمَانِ﴾ دليل على مشروعيّة التقيّة، وعرّفوها لمحافظة النفس أو العرض أو المال من شرّ الأعداء (انظر روح المعاني ج ٣ : ص ١٢١). وقال الشافعي في حكم المكره على الردّة: لو شهد عليه شاهدان أنّهما سمعاه يرتدّ وقالا: ارتدّ مكرهاً أو ارتدّ محدوداً أو ارتدّ محبوساً، لم يغنم ماله، وورثه ورثته من المسلمين (كتاب الأمّ للشافعي ج٦: ص١٦٢). وقال الغزالي في بيان ما رخّص فيه من الكذب: الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكلّ مقصود محمود يمكن التوصّل إليه بالصدق والكذب جميعاً، فالكذب فيه حرام، وإن أمكن التوصّل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان محصّل ذلك القصد مباحاً، وواجب إن كان المقصود واجباً، كما أنّ عصمة دم المسلمين واجبة، فمهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب (انظر إحياء العلوم ج٣: ص١٣٧). وقال السرخسي: والتقيّة أن يقي نفسه من العقوبة بما يظهره وإن كان يضمر خلافه، وقد كان بعض الناس يأبى ذلك ويقول إنّه من النفاق، والصحيح أنّ

➔

سببه الضرورة وليست بحكم شرعي أوّلي، بل هي نظير حلّيّة الميتة والدم والخمر غيرها عند الضرورة[1]،

➔
ذلك جائز، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، وإجراء كلمة الشرك على اللسان مكرهاً مع طمأنينة القلب بالإيمان من باب التقيّة (انظر المبسوط ج٢٤: ص٤٥). وقال ابن حزم في كتاب الإكراه: الإكراه ينقسم قسمين: إكراه على الكلام، وإكراه على فعل، فالإكراه على الكلام لا يجب به شيء وإن قاله المكره كالكفر والقذف والنكاح والإنكاح والرجعة والطلاق والبيع والابتياع والنذر والإيمان والعتق والهبة... فصحّ أنّ كلّ من أُكره على قول ولم ينوه مختاراً له فإنّه لا يلزمه (انظر المحلّى ج٨: ص٣٢٩). هذا ما قاله بعض المفسّرين والفقهاء من علماء أهل السنّة على اختلاف مذاهبهم حول مفهوم التقيّة في حالة الخوف وترك بعض الواجبات وإتيان بعض المحرّمات دفعاً للضرر، وهذا هو نفس مفهوم التقيّة عند الشيعة، فلماذا يشنّع ابن تيمية على الشيعة؟!

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ كلّ واقعة من أفعال الإنسان لها حكم شرعي، ولا بدّ أن يكون لكلّ حكم شرعي حجّة قائمة من الشرع الأقدس عليه، فلا تخلو واقعة من الوقائع من الحكم الإلهي، غير أنّ الأحكام الشرعية تنقسم إلى أقسام بحسب عناوينها الأولية والثانوية، والواقعية والظاهرية. فإنّ الحكم الشرعيّ إمّا الواقعيّ وإمّا الظاهري، والحكم الواقعيّ هو: كلّ حكم مأخوذ من لسان الدليل بعناوينه الأوليّة، أي أنّ العناوين المأخوذة في لسان الدليل الشرعي بأنفسها موضوعات للأحكام الواقعيّة. وأمّا الحكم الظاهري فهو عبارة عن: كلّ حكم افترض في موضوعه الشكّ في الحكم الشرعيّ المسبق، وذلك من قبيل إجراء إصالة الحلّ في ما لو شك في حلّيت شيء ، فيتمسّك بقوله عليه السلام: «كلّ شيء لك حلال حتّى تعلم أنّه حرام»
➔

➔

(الكافي ج٥: ص٣١٣). فالأحكام الشرعية تتبع عناوين موضوعاتها.

فإنّ كان العنوان المأخوذ في لسان الدليل، بلا ملاحظة ظرف خاصّ أو حالة خاصّة، مثل: الاضطرار والإكراه والحرج والضرر حتّى السهو والنسيان، بل العلم والجهل والشكّ في ذلك، فهو عنوان أوّلي، أو الحكم الواقعي، وإن كان العنوان المأخوذة في الدليل لحالة خاصّة كالضرورة والاضطرار والشكّ ونحو ذلك فيسمّى هذا الحكم بالعنوان الثانوي أو الحكم الظاهري. وهناك ترتّب طولي بين الحكمين، فلا يجوز تطبيق العنوان الثانوي في صورة تماميّة الموضوع للعنوان الأوّلي ومنجزيّة الحكم فيه مع عدم المانع من تطبيقه. كما لا يجوز تطبيق العنوان الأوّلي في صورة منجّزية الحكم الثانوي، ووجود المانع من الأولي. فإنّ لكلّ واحد من الحكمين موضوعه الخاص ومورده الذي تجب مراعاة التقدّم والتأخّر الرتبي بينهما، فيمتنع تطبيق أحدهما في موضع الآخر. كما أنّ النسبة بينهما في مواقع الاجتماع هي الورود لتقدّم العناوين الثانوية على العناوين الأوليّة في صورة التعارض، وذلك لأنّ العناوين الثانويّة إنّما هي لحالة الضرورات والاستثناءات، وهي تقدر بقدرها فلا مجال لتقديم العنوان الأوّلي عليه كما قرّر في محلّه.

وبناءً على ما تقدّم حيث أنّ التقية من الأحكام التي أخذ الاضطرار والضرورة في عنوانها، فهي من العناوين الثانويّة كحلّيّة الميتة والدم وغيرهما في حال الإضطرار، وهو مقدّم على العنوان الأوّلي. وبعبارة أخرى أنّ الحكم الاضطراري يقدم على الحكم الواقعي، لأنّه وارد عليه، إذ الحكم الإضطراري ينفي موضوع الحكم الواقعي وهذا ما يسمى في إصطلاح علم الأصول بالورود. وعليه كيف يفتري ابن تيميّة على الشيعة وينسب إليهم بأنّ التقيّة عندهم من أصول الدين مع أنّ الشيعة يصرّحون بأنّ التقية من الأحكام الثانويّة والاضطراريّة؟ فأين الأحكام الثانوية

🡐

فهل يتصوّر صيرورة مثل ذلك من أصول الدين؟!! وهل يتوهّم جاهل كون حلّيّة الميتة ونحوها عند الضرورة من أصل الدين[1].

أما علم السنّي بل وليّه قد تعلّم من طلبة العلم المبتدئين معنى أصول الدين وغيرها، فإنّ أصل الشيء هو ما يبتني عليه ذلك الشيء حسبما تقدّم منافي بيان أصول الدين[2]،

➔

والاضطراية من أصول الدين؟ فما نسبه إلى الشيعة افتراء واضح.

(١) وبعبارة أوضح أنّ أصول الدين هي العقائد الأساسيّة التي تُشيّد بناء الدين عليه، وكأنّ الدين كلّه متوقّف على هذه الأصول، ولولاها لا يمكن الإقرار بحكم من الأحكام الشرعيّة. وأمّا فروع الدين فهي التي ترتبط بأفعال الإنسان أي سلوكه العملي، لا بعقيدة الإنسان وسلوكه الفكري. فأين أصول الدين من الحكم الفرعي الظاهري المأخوذ في لسان الدين مع ملاحظة ظرف خاص أو حالة خاصّة، مثل: الاضطرار والإكراه والحرج والضرر وأمثال ذلك كحلية أكل الميتة عند الاضطرار أو كالتقيّة، التي هي من العناوين الثانوية المختصّة بحالات طارئة كما تقدم تعريفها عند الشيعة. وعليه فما زعمه ابن تيميّة من أنّ التقية من أصول الدين عند الشيعة افتراء واضح لا يقبلها أحد، بل ولا يصدر من أصاغر الطلاّب فضلاً عن العلماء، لأنّ وضوح الكذب والافتراء إلى حدّ يستهزء به من له أدنى معرفة بالأحكام الشرعية عند الشيعة الاثني عشرية فلاحظ.

(٢) وتوضيح المقام أنّ المسائل الدينية على قسمين: القسم الأول أصول الدين، ويراد بها: لعقائد الأساسيّة التي تُشيّد بناء الدين عليه، ولولاها لا يمكن الإقرار بحكم من الأحكام الشرعيّة. والقسم الثاني: فروع الدين، ويُراد بها : المسائل التي ترتبط

➔

➔

بأفعال الإنسان وسلوكه العملي، فإنّ ذلك لا يؤثر على انتمائه الديني، بحيث يوجب خروجه عن دائرة الدين، كالصلاة والصيام والحج و...

فأصول الدين هي التي ترتبط بعقيدة الإنسان والتي تبتني عليها فروع الدين التي ترتبط بأفعال الإنسان أي سلوكه العملي، وهذا خلاصة ما يعتقد به جميع المسلمين. ولكن ابن تيميّة لم يعرف الفرق بين أصول الدين وفروعه، فزعم أنّ الشيعة تعتقد بأنّ التقيّة من أصول الدين، في حين أنّ موقف الشيعة من التقيّة واضح ومذكور في كتبهم. فإنّ التقيّة من المسائل الفرعيّة التي لها أحكام خاصّة في الشريعة المقدّسة. والعجيب منه أنّه لم يعرف حقيقة التقيّة التي أوضحها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، كما جاء تعريفها في السنّة النبويّة وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد ذكرها علماء الفريقين في كتبهم، فلم يعرف ما جاء في كتب العلماء. كما لو كان يراجع إلى كتب الشيعة يعرف معنى التقيّة من الروايات التي رواها علماء الشيعة في باب التقيّة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، منها: ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قائلاً لبعض أصحابه: «يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيّانا وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا، ثمّ تداولتها قريش واحداً بعد واحد، حتّى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتّى قُتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثمّ غُدر به وأُسلم ووثب عليه أهل العراق حتّى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاخيل أمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حقّ قليل. ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثمّ غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه، ثمّ لم نزل

➔

بل التقيّة على ما عرفت من معناها ليست من فروع الدين ، بل من فروع فروعه لكونها حكماً ثانوياً مترتّباً على خوف الضرر من العمل على مقتضى الدين، فهي حكم ديني ثانوي سبب جعله الخوف من الغير[1].

➔

- أهل البيت - نُستذلّ ونُستضام ونُقصى ونمتهنّ ونُحرم ونُقتل ونُخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا. ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغّضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقُتلت شيعتنا بكلّ بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله أو هُدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيدالله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظنة وتهمة، حتّى أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شيعة علي، وحتّى صار الرجل الذي يُذكر بالخير - ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً - يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع...» (بحار الأنوار ج٤٤: ص٦٨). وهناك روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في باب التقيّة. فلو كان ابن تيميّة يلاحظ كتب الشيعة وروايات الواردة في كتبهم لعرف معنى التقيّة عند الشيعة، وإذا كان يعرف معنى التقيّة عند الشيعة لم يكن يفتري عليهم، فلاحظ.

(١) وملخّص الكلام أنّ التقيّة من الأحكام الظاهريّة والعناوين الثانويّة والضرورات التي تتقدر بقدرها، كحلّيّة أكل الميتة والدم وغيرهما عند الضرورة والاضطرار

➔

➔

إليهما. وبعبارة أوضح أنّ الأحكام الشرعيّة على نوعين، الأحكام أوليّة: وهي الأحكام المشروعة لكافّة الناس طبقاً لشروط عامّة او خاصّة، إذا توفّرت وجب الإتيان بها. والأحكام ثانويّة: وهي التي جاءت تسهيلاً على المسلم وذلك في حالة عدم تمكّن الإنسان من الحكم الأوّلي، وهي طبق قواعد عامّة جعلها الشارع للإنسان عند فقدان التمكّن من الحكم الأوّلي. فمثلاً... قد شرع في الشريعة المقدّسة أنّ الانسان لا بدّ أن يتوضّأ لكلّ صلاة على نحو الوجوب، فاذا حصل للإنسان مانع لا يستطيع معه من الإتيان بالوضوء - كالجرح مثلاً - فقد أوجد قاعدة الحرج والعسر والضرر للانتقال إلى حكم آخر يشرّعه نفس الشارع طبقاً لهذه القواعد، فإذا لزم من الوضوء بالماء ضرر للإنسان فقد أمره الشارع بالانتقال من الحكم الأوّلي إلى التيمّم الذي ليس فيه ضرر بالنسبة إلى مثل هذا الشخص وموقفه. فالتيمّم هو الحكم الثانوي لحالة طارئة عند الاضطرار. ومثال آخر... لقد حرّم الله تعالى على المكلّف أكل لحم الميتة لما فيه من الضرر على الإنسان عند تناوله... لكن في حالة وجود الضرر على الإنسان، وذلك عندما لو ترك أكل الميتة يصل إلى الهلاك، أي أنّ حياته متوقّفة على هذا الأكل... فإنّ الشارع أباح له ذلك لحفظ نفسه حيث قال تعالى: ﴿**إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ**﴾ (سورة الأنعام:١١٩)، وقال: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ**﴾ (سورة البقرة:١٧٣)، ولهذا اشتهر في ألسن العلماء من الخاصّة والعامّة: أنّ الضرورات تبيح المحذورات... ومن الواضح أنّ التقيّة من الأحكام الثانويّة الاضطراريّة، والأحكام الثانويّة قد جاءت تسهيلاً على المسلم في حالات طارئة، لأنّ التقيّة هي التحفّظ عن ضرر الآخرين... أو الحذر من شرّه... فهي ليست حكماً أوّلياً فضلاً عن أن تكون من أصول الدين فما نسبه ابن تيميّة إلى الشيعة من أنّهم يعتقدون بالتقيّة وهي من أصول الدين عندهم بهتان واضح.

وممّا بيّناه في التقيّة علمت صحّة ما روته الشيعة عن إمامهم الصادق عليه السلام من أنّ التقيّة دينه ودين آبائه إلى أن يتّصل النقل إلى النبي صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل إلى الله سبحانه[1].

---

(١) لقد روى أحمد بن محمّد البرقي في كتابه المحاسن بسنده عن معلّى بن خنيس عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «يا معلّى اكتم أمرنا ولا تذعه، فإنّه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله في الدنيا، وجعله نوراً بين عينيه في الآخرة يقوده إلى الجنّة، يا معلّى من أذاع حديثنا وأمرنا ولم يكتمها أذلّه الله به في الدنيا، ونزع النور من بين عينيه في الآخرة، وجعله ظلمة تقوده إلى النار، يا معلّى إن التقيّة ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيّة له، يا معلّى إنّ الله يحبّ أن يعبد في السرّ كما يجب أن يعبد في العلانيّة، يا معلّى إنّ المذيع لأمرنا كالجاحد به» (المحاسن للبرقي ج١: ص٢٥٥). والمستفاد من الحديث أنّ التقيّة من الأحكام الشرعيّة التي أكّد عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأنّ أهميّتها عند الشارع في صورة وجوبها إلى حدّ بحيث أنّ تركها بمثابة ترك الأحكام الواجبة. وقد عدّ تاركها في الحديث ممّن لا دين له. وهذا معنى قوله التقيّة ديني ودين آبائي: أي أنّ مشروعيّتها كمشروعيّة بقيّة الأمور الدينيّة. وبعبارة أخرى أنّها من الدين الذي كان يدين به الإمام الصادق عليه السلام وآبائه الطاهرين عليهم السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الله عزّ وجل، لا أنّها من أصول الدين. فمعنى أنّ التقيّة ديني ودين آبائي: أي أنّ التقيّة من الدين أمر مشروع، لا كما يزعم البعض أنّها ليست من الدين. فقوله عليه السلام: أنّ «التقية ديني» أي أنّها من الإسلام الذي شرّعها الله تعالى في كتابه العزيز وأمر بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فهذا معنى قوله عليه السلام: أنّ التقية «ديني ودين آبائي» إلى يتّصل النقل إلى النبي صلى الله عليه وآله وإلى جبرئيل عليه السلام وإلى الله سبحانه.

وعلمت ببهتان السنّي على أهل البيت عليهم السلام حيث نسب إليهم البعد عن بعض دين الله وهو التقيّة[1].

---

(١) لا يخفى أنّ ابن تيمية من أشدّ الناس عداءً لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ويتبيّن شدة عدائه من إفتراءاته الكثيرة على أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك كثرة أكاذيبه على الشيعة ، فإنّها ممّا لا تُعدّ ولا تحصى، وقد ملأت الآفاق والأنفس من أكاذيبه، ونكتفي هنا بما قاله العلامة الأميني رحمه الله في كتابه الغدير في شأن الرجل، فإنّه بمناسبة قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ (سورة الجاثية:٢٣). ذكر بعض ما ورد في وصف ابن تيمية وكتابه منهاج السنّة، فقال رحمه الله: إذا أردت أن تنظر إلى كتاب سمّاه بضدّ معناه فانظر إلى هذا الكتاب الذي استعير له اسم منهاج السنّة وهو الحرى بأن يسمّى منهاج البدعة، وهو كتاب حشوه ضلالات وأكاذيب وتحكّمات، وإنكار المسلّمات، وتكفير المسلمين، وأخذ بناصر المبدعين، ونصب وعداء محتدم على أهل بيت الوحي عليهم السلام، فليس فيه إلاّ تدجيل محض، وتمويه على الحقائق، وتحريف الكلم عن مواضعه، وقول بالبذاء، ورمي بالمقذعات، وقذف بالفواحش، وتحكّك بالوقيعة، وتحرّش بالسباب... (انظر الغدير ج٣: ص١٤٧). وهناك ما ورد في هذا المجال من الذمّ في الرجل من علماء الإسلام في كتبهم، ولو أردنا أن نذكر جميعها لطال بنا المقام. ولكن لا بأس أن نذكر بعض ما قاله علماء المتعصبين من أهل السنة في حقّه، لصدق ما قيل في المثل: ويل لمن كفّره نمرود. وإليك نماذج من أقوالهم: قال ابن حجر العسقلاني: افترق الناس فيه شيعاً: فمنهم من نسبه إلى التجسيم لما ذكر في العقيدة الحمويّة والواسطيّة وغيرهما من ذلك، كقوله: إنّ اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقيّة، وإنّه مستو على العرش بذاته. ومنهم من ينسبه إلى الزندقة ←

➔

لقوله: إنّ النبيﷺ لا يستغاث به. ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي: ...فإنّه شنع في ذلك فألزموه بالنفاق لقولهﷺ: «ولا يبغضك إلاّ منافق» ونسبه قوم إلى أنّه كان يسعى في الإمامة الكبرى، فإنه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه (الدرر الكامنة ج١: ص١٥٥). وقال صاحب كتاب سيف الجبار المسلول على أعداء الأبرار نقلاً عن أقوال علماء مكّة فيه ما نصّه: الشقي ابن تيميّة، أجمع علماء عصره على ضلاله وحبسه، ونودي: من كان على عقيدة ابن تيميّة حلّ ماله ودمه (سيف الجبّار المسلول على أعداء الأبرار: ص٤٢). وقال ابن حجر الهيثمي في كتابه فتاوى الحديثة: وأدّى اعتقاد ابن تيميّة إلى قيامه بتبديع كلّ من خالفه، ولا يزال يتتبّع الأكابر حتّى تمالأ عليه أهل عصره ففسّقوه وبدّعوه بل كفّره كثير منهم (انظر فتاوى الحديثة لابن حجر الهيثمي: ص١١٦). وقال اليافعي في مرأة الجنان: فيها (أي في سنة خمس وسبع مائة) وقعت فتنة شيخ الحنابلة ابن تيميّة وسؤالهم عن عقيدته، وعقدوا له ثلاث مجالس، وقرنت عقيدته الملقّبة بالواسطية وضايقوه، وثارت غوغاء الفقهاء له وعليه، ثمّ إنّه طلب على البريد إلى مصر، وأقيمت عليه دعوى عند قاضي المالكيّة، فاستخصمه ابن تيميّة المذكور وقاموا، فسجن هو وأخوه بضعة عشر يوماً، ثمّ أخرج، ثمّ حبس بحبس الحاكم، ثمّ أبعد إلى الإسكندريّة، فلمّا تمكّن السلطان سنة تسع طلبه، فاحترمه وصالح بينه وبين الحاكم، وكان الذي ادّعى به عليه بمصر أنّه يقول: إنّ الرحمن على العرش استوى حقيقة، يتكلّم بحرف وصوت، ثمّ نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيميّة حلّ ماله ودمه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج٤: ص١٨٠). وقد رفض مجموعة من علماء المذاهب المختلفة آرائه ومعتقداته مثل: ابي حيّان وعزّ الدين ابن جماعة وملاّ علي القاري الحنفي وشهاب الدين الخفاجي الحنفي ومحمّد

🡐

الخامس والعشرون: ما زعمه من أنّ التقية المأمور بها إنّما هي التقيـة من الكفرة، فإنّه مناقض لما فعله النبـيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه، لأنّ تحـدّث النـاس بأنّـه يقتـل أصحابه عامّ للمسلمين وغيرهم[1]، وأمّا الرجـل الـذي ذمّـهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه حيـث قـال

➔

الزرقاني المالكي وكمال الدين الزملكاني الشافعي وتقـي الـدين الـسبكي الـشافعي وابن حجر العسقلاني الشافعي وعبد الـرؤوف المنـاوي الـشافعي والـشيخ مـصطفى الحنبلي الدمشقي وشهاب الدين أحمـد بـن حجـر المكّـي الـشافعي (انظـر شـواهد الحقّ للنبهاني: ص١٧٧). وممّا بقي فـي التـاريخ شـاهداً علـى انحرافـات ابـن تيميّـة الرسالة التي بعثها الذهبي إليه، وإشارة فيها إلى انحرافته وضلالاته ثمّ ينصحه فيهـا. والرسالة طويلة، بيانها يخرجنا عـن إطـار البحـث (انظـر الـسيف الـصقيل للـسبكي: ص٢١٧). وعليه فإنّ علماء الشيعة وأهل السنّة متّفقون على ضلالة الرجل وانحرافه. ومن كان حاله هذا لا يتعجّب من افترائه على الله ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه، إذ من كان لا يأبى من البهتان علـى الله ورسـولهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه وأهـل البيـتعَلَيهِمُالسَّلَامُ لا يهمّـه أن يقـول فـي مقابـل النصّ بأنّ التقيّة نوع من النفاق، أو يفتري على أهل البيتعَلَيهِمُالسَّلَامُ وينسب إليهم بـأنّهم يقولون: أنّ التقيّة من أصول الـدين، وإلـى غيـر ذلـك مـن افترائاتـه علـى الله وعلـى رسولهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه وعلى أهل البيتعَلَيهِمُالسَّلَامُ فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى مـا رواه الـسيوطي فـي تفـسيره عـن البخـاري فـي صـحيحه بسنده عن سفيان قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله قال: كنّا في غزاة، قـال سـفيان مرّة في جيش فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنـصار، فقـال الأنـصاري: يـا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه فقال: «مـا بـال دعوى جاهليّة»، قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجـلاً مـن الأنـصار، فقال: «دعوها فإنّها منتنة» فسمع بذلك عبد الله بن أبـي فقـال: فعلوهـا، أمـا والله لـئن

➔

فيه:«بئس الرجل ابن العشيرة»، ولمّا دخل عليه أقبل عليه يحادثه[1]، فقال في الفتح الباري: لم يقل أحد في المبهم في حديث عائشة بأنّه منافق، بل إمّا مخرمة بن نوفل، وإمّا عيينة بن حصين وهما مسلمان، ومخرمة قيل فيه

➔

رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فبلغ النبيﷺ، فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبيﷺ: «دعه لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه» (صحيح البخاري ج٦: ص٦٥ كتاب التفسير، باب تفسير سورة المنافقين والدّر المنثور للسيوطي ج ٦ : ص٢٢٢). والحديث دالّ على أنّ النبيﷺ استعمل التقيّة في المورى المذكور. ومن الواضح أنّ التقيّة في المورد المذكور لم تكن من الكفّار، بل كانت من قول الناس حيث كانوا يقولون بأنّ النبيﷺ يقتل أصحابه. فهذا الحديث صريح في ردّ ادّعاء ابن تيمية وزعمه بأنّ التقيّة إنّما تكون مع الكفّار.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أخبرته قالت: استأذن رجل على رسول اللهﷺ فقال: «ائذنوا له بئس أخو العشيرة (أو ابن العشيرة)» فلمّا دخل الآن له الكلام قلت: يا رسول الله قلت الذي قلت ثمّ ألنت له الكلام، قال: «أي عائشة أنّ شرّ الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتّقاء فحشه» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص٨٦ كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب). والحديث يدلّ بوضوح على مشروعيّة التقيّة حتى من المسلمين، بل أنّها تدلّ على مشروعيّة التقيّة المداراتيّة، إذ ليس فيها مسألة الخوف الذي هو موضوع التقيّة الخوفيّة، بل موضوعها المداراة الاجتماعيّة مع المخالفين. وهذا النوع من التقيّة أيضاً مشروعة بالروايات الصحيحة عند أهل السنّة. وهناك أدلّة أخرى من الروايات في كتبهم تدلّ على المقام فلاحظ.

لكونه بذيء اللسان، وعيينة كان إيمانه ضعيفاً، لكنّه كان مطاعاً في قومه[(١)]، انتهى. فعلم من قوله كونهم متّفقين على تقيّتهﷺ في الخبر المذكور من المسلم[(٢)]، وقد مرّ نقل التقيّة سبعة من معاريف أهل العلم منهم من المأمون

---

(١) انظر فتح الباري ج١٠: ص٤٣٨

(٢) هذه العبارة إشارة إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن حذيفة قال: كنّا مع رسول اللهﷺ فقال: «أحصوا لي كم يلفظ الإسلام» قال: فقلنا: يا رسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: «إنّكم لا تدرون، لعلّكم أن تبتلوا»، قال: فابتلينا حتّى جعل الرجل منّا لا يصلّي إلاّ سرّاً (صحيح مسلم ج١: ص٩١ كتاب الإيمان، باب تألّف قلب من يخاف على إيمانه). وهذا الحديث أيضاً يدلّ على أنّ النبيﷺ استعمل التقيّة. وقد تقدّم أنّ من الحوادث المهمّة في تاريخ المذاهب السنّيّة فتنة خلق القرآن، حيث بلغ الخلاف العقائدي فيها إلى درجة التكفير وقتل من يتبنى القول بقدم القرآن، فالتجأ الكثير من علماء السنّة ومحدّثيهم إلى التقيّة، لحماية أنفسهم وأعراضهم وأموالهم. وملخّص مسألة خلق القرآن الكريم أنّها مسألة كلاميّة ترتبط بالعقيدة الإسلاميّة، وهي من فروع أصل التوحيد وصفات الله عزّ وجلّ، ولقد أثيرت هذه المسألة بشكل واسع خلال عقود من الزمن في العصر العبّاسي، وبلغ الصراع ذروته في عصر المأمون العبّاسي، فأحدث الخوض في هذا الموضوع ضجّة كبيرة ونقاشاً واسعاً واستمرّ زمناً طويلاً فأعقبته فتنة ومحنة عمّت العلماء وأصحاب الرأي في مختلف البلاد الإسلاميّة. فاستخدم بعض علماء أهل السنّة التقيّة ومن أمثلة ذلك، أحدهم: تقيّة سعدويه سعيد بن سليمان حول محنة خلق القرآن، حيث قال الذهبي عند ترجمته لسعدويه: وأمّا أحمد بن حنبل فكان يغضّ منه ولا يرى الكتابة عنه، لكونه أجاب في المحنة تقيّة - إلى أن قال - قيل لسعدويه بعدما انصرف من المحنة: ما فعلتم؟ قال: كفرنا ←

➔

ورجعنا (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٠: ص٤٨٢). ثانيهم: تقيّة أبي نصر التمّار، حيث أجاب في محنة خلق القرآن تقيّة أيضاً، فقال الذهبي في حقّه: أجاب تقيّة وخوفاً من النكال وهو ثقة بحاله ولله الحمد (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٠: ص٥٧٣). ثالثهم: تقيّة إبراهيم بن المنذر بن عبد الله في تلك المحنة، حيث قال السبكي في حقّه: كان حصل عند الإمام أحمد منه شيء، لأنه قيل: خلط في مسألة القرآن كأنّه مجمج في الجواب، قلت: وأرى ذلك منه تقيّة وخوفاً (انظر طبقات الشافعيّة: ج٢: ص٨٢ نقلاً عن حاشية تهذيب الكلام للمزي بقلم الدكتور بشّار عواد معروف ج٢: ص٢١١). رابعهم: تقيّة يحيى بن معين، أخرج الذهبي عن الحافظ أبي زرعة الرازي قوله: كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمّار، ولا عن يحيى بن معين ولا عن أحد ممّن امتحن فأجاب. ثم يُعلّق الذهبي على ذلك قائلاً: قلت: هذا أمر ضيق ولا حرج على من أجاب في المحنة، بل ولا على من أكره على صريح الكفر عملاً بالآية، وهذا هو الحقّ، وكان يحيى من أئمة السنّة، فخاف من سطوة الدولة وأجاب تقيّة (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج١١: ص٨٧). خامسهم: تقيّة إسماعيل بن حمّاد في محنة القرآن، قال ابن حجر في لسان الميزان: قال يوسف في المرآة: وكان إسماعيل بن حمّاد ثقة، صدوقاً لم يغمزه سوى الخطيب فذكر المقالة في القرآن، قال السبط: إنّما قاله تقيّةً كغيره (انظر لسان الميزان ج١: ص٣٩٩). سادسهم: تقيّة الجمّ الغفير من العلماء وعامّة الناس في محنة خلق القرآن، وتقدّم بعض شواهدها، ومن هنا قال الذهبي في تلك المحنة: من أجاب تقيّةً فلا بأس عليه (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٣: ص٣٢٢). سابعهم: ومن تلك المواقف أيضاً فتنة الأسود العنسي، حيث قال ابن كثير وغيره في تلك الفتنة: واستوثقت اليمن بكاملها للأسود العنسي، وجعل أمره يستطير

➔

➔

استطارة الشرارة... واشتدّ ملكه واستغلظ أمره، وارتدّ خلق من أهل اليمن، وعامله المسلمون الذين هناك بالتقيّة (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٦: ص٣٣٩، وتاريخ ابن خلدون ج٢: ص٦٠). قال السبكي: كان القاضى أحمد بن أبى دؤاد ممّن نشأ فى العلم وتضلع بعلم الكلام، وصحب فيه هياج بن العلاء السلمى صاحب واصل بن عطاء أحد رؤوس المعتزلة. وكان ابن أبى دؤاد رجلاً فصيحاً. قال أبو العيناء: ما رأيت رئيساً قطّ أفصح ولا أنطق منه، وكان كريماً ممدحاً. وكان معظماً عند المأمون، يقبل شفاعاته ويصغى إلى كلامه، وأخباره فى هذا كثيرة. فدسّ ابن أبى دؤاد له القول بخلق القرآن، وحسّنه عنده وصيّره يعتقده حقّاً مبيناً، إلى أن أجمع رأيه فى سنة ثمان عشرة ومائتين على الدعاء إليه، فكتب إلى نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعى ابن عمّ طاهر بن الحسين فى امتحان العلماء كتاباً كان فيه: فاجمع من بحضرتك من القضاة، فاقرأ عليهم كتابنا، وامتحنهم فيما يقولون، واكشفهم عمّا يعتقدون فى خلق الله وإحداثه، وأعلمهم أنّي غير مستعين فى عمل ولا واثق بمن لا يوثق بدينه، فإذا أقرّوا بذلك ووافقوا فمُرهم بنصّ من بحضرتهم من الشهود ومسألتهم عن علمهم فى القرآن، وترك شهادة من لم يقرّ أنّه مخلوق، واكتب إلينا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك فى مسألتهم والأمر لهم بمثل ذلك.

وكتب المأمون إليه أيضاً فى إشخاص سبعة أنفس وهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن إبراهيم الدورقي. فأشخصوا إليه، فامتحنهم بخلق القرآن، فأجابوه فردّهم من الرقّة إلى بغداد، وسبب طلبهم أنّهم توقّفوا أوّلاً ثمّ أجابوه تقيّةً. وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث، ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة، ففعل ذلك فأجابه

➔

➔
طائفة وامتنع آخرون؛ فكان يحيى بن معين وغيره يقولون أجبنا خوفاً من السيف.
ثمّ كتب المأمون كتابًا آخر من جنس الأوّل إلى إسحاق، وأمره بإحضار من امتنع، فأحضر جماعة منهم أحمد بن حنبل، وبشر بن الوليد الكندي، وأبو حسان الزيادي، وعلي بن أبى مقاتل، والفضل بن غانم، وعبيد الله بن عمر القواريري، وعلي بن الجعد، وسجادة، والذيال بن الهيثم، وقتيبة بن سعيد –وكان حينئذ ببغداد–، وسعدوية الواسطي، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن علية الأكبر، ومحمّد بن نوح العجلي، ويحيى بن عبد الرحمن العمري، وأبو نصر التمّار، وأبو معمر القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، وغيرهم، وعرض عليهم كتاب المأمون، فعرضوا وورّوا ولم يجيبوا ولم ينكروا. فقال لبشر بن الوليد: ما تقول؟ قال: قد عرّفت أمير المؤمنين غير مرّة. قال: والآن، فقد تجدّد من أمير المؤمنين كتاب. قال: أقول كلام الله. قال: لم أسألك عن هذا، أمخلوق هو؟ قال: ما أُحسِن غير ما قلت لك، وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلّم فيه. ثم قال لعلي بن أبى مقاتل ما تقول؟ قال: القرآن كلام الله، وإنّ أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا.
وأجاب أبو حسان الزيادى بنحو من ذلك. ثمّ قال لأحمد بن حنبل: ما تقول؟ قال: كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله لا أزيد على هذا. ثمّ امتحن الباقين وكتب بجواباتهم. وقال ابن البكاء الأكبر أقول: القرآن مجعول ومُحدَث لورود النصّ بذلك، فقال له إسحاق بن إبراهيم: والمجعول مخلوق، قال: نعم، قال: فالقرآن مخلوق، قال: لا أقول مخلوق. ثم وجّه بجواباتهم إلى المأمون، فورد عليه كتاب المأمون: بلغنا ما أجاب به متصنّعة أهل القبلة، وملتمسو الرياسة فيما ليسوا له بأهل، فمن لم يجب أنّه مخلوق فامنعه من الفتوى والرواية. ثمّ توجّه لكلّ من هؤلاء العلماء بكلام قاس فيه مسبة، ثمّ قال: ومن لم يرجع عن شركه ممّن سمّيت
➔

وهو مسلم، وقد مضى من السنّي ما دلّ على تجويزه لها من المسلم وهي مسألة تجويزه الصلاة خلف من جعله السلطان إماماً وغيره أحقّ بذلك منه[1]. ومسألة تجويزه المحاكمة إلى القاضي الذي غيره أولى منه وقيّم الصغار الذي غيره أحقّ بذلك منه، وقد جعلهما السلطان في هذه المنزلة فليس على من لم يقدر على ترك الصلاة والمحاكمة والقيمومة ذنب، بل

➔

بعد بشر وابن المهديّ، فاحملهم موثوقين إلى عسكر أمير المؤمنين ليسألهم، فإن لم يرجعوا حملهم على السيف. قال: فأجابوا كلّهم عند ذلك إلاّ أحمد بن حنبل وسجادة ومحمّد بن نوح والقواريري، فأمر بهم إسحاق فقُيّدوا، ثمّ سألهم من الغد وهم فى القيود، فأجاب سجادة، ثمّ عاودهم ثالثاً، فأجاب القواريرى، ووجّه بأحمد ابن حنبل ومحمّد بن نوح المضروب إلى طرسوس، ثمّ بلغ المأمون أنّهم أجابوا مكرهين، فغضب وأمر بإحضارهم إليه؛ فلمّا صاروا إلى الرقّة بلغتهم وفاة المأمون، وكذا جاء الخبر بموت المأمون إلى أحمد. وأمّا محمّد بن نوح فكان عديلاً لأحمد بن حنبل فى المحمل، فمات فغسّله أحمد بالرحبة وصلّى عليه ودفنه. وكان المأمون قد كتب وصيّة تطول حكايتها، ضمنها تحريض الخليفة بعده على حمل الخلق على القول بخلق القرآن، ثم تُوفّي فى رجب، ودُفن بطرسوس، واستقلّ المعتصم بالخلافة (انظر طبقات الشافعية للسبكي ج٢: ص٤٢)، ورواه الذهبي في تاريخ الإسلام ج١٥: ص٢٤، وأبو الفداء في تاريخه ج٢: ص٣٢، وابن كثير في البداية والنهاية ج١٠: ص٣٠٠ وغيرهم.

(١) انظر طبقات الشافعية للسبكي ج٢: ص٤٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ج١٥: ص٢٤، وتاريخ أبي الفداء ج٢: ص٣٢، والبداية والنهاية لابن كثير ج١٠: ص٣٠٠ وغيرهم

الذنب على من جعلهم بهذه المنزلة[١]، انتهى معنى قوله. ومعنى عدم القدرة من جهة الخوف من السلطان فهم يصلّون خلف غير المستحقّ إمامة الصلاة[٢]، ويتحاكمون عند غير من يستحقّ القضاوة[٣]، ويجعلون القيّم على

(١) انظر منهاج السنّة ج١: ص٦٣، ومنهاج الشريعة ج١: ص٣١٢

(٢) انظر منهاج السنّة ج١: ص٥٤٩

(٣) لا يخفى على الخبير أنّ الرجوع إلى من لا أهلية له للقضاء معناه إمضاء حكمه وتصديق قضائه ، فالرجوع إليه يؤدي إلى إضلال الناس، ويسوقهم نحو الضلالة. قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكّله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هدي من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته ورجل قمش جهلاً، موضع في جهّال الأمّة عاد في أغباش الفتنة، عمّ بما في عقد الهدنة قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به، بكّر فاستكثر من جمع، ما قلّ منه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتوى من آجن، واكتنز من غير طائر. جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشواً رثّاً من رأيه ثمّ قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، جاهل خبّاط جهالات، عاش ركّاب عشوات، لم يعضّ على العلم بضرس قاطع. يذري الروايات إذراء الريح الهشيم، لا ملئ والله بإصدار ما ورد عليه، ولا هو أهل لما فوّض إليه، لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكره ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهباً لغيره، وإن أظلم أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعجّ ←

➔

منه المواريث. إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالاً ويموتون ضلاّلاً، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٧). فقد صنّف الإمام عليه السلام في هذه الخطبة هؤلاء الأفراد إلى صنفين: الصنف الأوّل: من يشقّ طريق الضلال عن علم ويحكم هوى النفس ويبتدع في الدين فهو ضالّ لنفسه مضلّ لغيره؛ والصنف الثاني: الجاهل المتشبه بالعالم ويجهل بجهله فهو يعيش الجهل المركب، وليس له ذرّة ممّا يؤهله للتصدّي للقضاء، فهو فريسة للخطأ والزلل والشبهات، يخرج الحقّ بالباطل ويريق دماء الأبرياء بغير حلّها ويهدر الأموال لغير أصحابها. ويحتمل أن يكون المراد بالصنف الأوّل حكّام الظلم والجور والبدعة والضلالة، والصنف الثاني القضاة الجهّال. وعليه فكلمة الحكم الواردة في الخطبة ذات معنى عامّ واسع تشمل القضاء والحكومة. ويختتم الإمام عليه السلام خطبته بالشكوى إلى الله من هؤلاء الأفراد الذين ولّوا ظهورهم للقرآن وحسبوا المعروف منكراً والمنكر معروفاً. فالخطبة على ثلاثة أقسام، يختصّ الأوّل والثاني منها بوصف هذين الصنفين والثالث بالشكوى إلى الله منهم ومن كان على شاكلتهم.

أمّا أبغض الخلائق، فاستهلّ الإمام عليه السلام كلامه بتصنيف أبغض الخلائق إلى صنفين: «إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان»، ومن البديهي أنّ للحبّ والبغض بالنسبة لله مفهوم يختلف عمّا هو عليه بالنسبة للإنسان، لأنّ الحبّ والبغض من قبيل الحالات والتغيّرات التي تطرأ على روح الإنسان إثر رغبته واشمئزازه تجاه بعض الأشياء، بينما يكتسب الحبّ بالنسبة لله معنى الشمول بالرحمة والبغض معنى الطرد منها. ثمّ يخوض الإمام عليه السلام في صفات الصنف الأول، أي أصحاب الأهواء من الحكّام،

➔

➔
فيشير قبل أي شيء إلى أصل بؤسهم وشقائهم، فقال عليه السلام: «رجل وكّله الله إلى نفسه»، فروح الإنسان حيّة بالتوكّل على الله والوثوق بما عنده، أي أنّه يسعى سعيه ويبذل قصارى جهده. من أجل النهوض بعمله وتطوير حياته، مع ذلك لا بدّ أن يعلم بأنّ الذات الإلهيّة هي مصدر كلّ خير وبركة ونعمة وعطاء، إلاّ أنّ الغرور والكبر وحبّ الذات قد يجعل الإنسان غافلاً عن هذه الحقيقة فيرى نفسه مستقلاً في مقابل الله، فتتشوه بنظره جميع الأشياء. هذا الانقطاع عن الله هو إيكال الإنسان إلى نفسه، وهو أساس بؤس الإنسان وشقائه. ومن هنا ترى رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينفكّ عن التضرّع إلى ربّه منادياً: «اللّهم... لاتكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً». وهو ذات المعنى الذي صرّح به الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام «إلهي كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً». كما ورد ذلك عن المعصوم عليه السلام قوله: «إنّك إن وكّلتني إلى نفسي تقرّبني من الشر وتباعدني من الخير». وما أن يفرغ الإمام عليه السلام من بيان السبب الرئيسي لشقوة هؤلاء حتّى يتطرّق إلى إفرازات ذلك الشقاء ليوجزها في ثمانية ارتبطت مع بعضها برباط العلّة والمعلول، فقال عليه السلام: «فهو حائر عن قصد السبيل»، والمراد بقصد السبيل هو الحدّ الوسط الفاصل بين الإفراط والتفريط والذي يوصل الإنسان إلى الله؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿**وَعلى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ (سورة النحل:٩). ومن البديهي أنّ الإنسان إنّما يستطيع تمييز السبيل– الذي صوّرته الروايات بأنّه أرفع من الشعرة وأحدّ من السيف – من بين آلاف السبل الانحرافيّة إذا شملته الألطاف والعنايات الإلهيّة؛ أمّا إذا انفصل عن الله ووكّل إلى نفسه فإنّه سيعيش الحيرة والقلق التي تنتهي به إلى الضلال والسقوط في الهاوية.

الإفراز الثاني من كلامه عليه السلام: «مشغوف بكلام بدعة»، ومن هنا ينطلق نحو الإفراز
➔

➔

الثالث: ودعاء ضلالة. و"شغف" من مادّة شَغاف على وزن كلاف بمعنى المولع بالشيء حتّى بلغ حبّه شغاف قلبه، وهو غلافه؛ وهو التعبير الذي أورده القرآن الكريم بشأن حبّ زليخا لنبي الله يوسف عليه السلام على لسان طائفة من نساء مصر: ﴿**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾ (سورة يوسف: ٣٠). فالعبارة إشارة إلى أنّ مثل هؤلاء الأفراد من ذوي حبّ الذات يتعلّقون بشدّة بأحاديثهم المبتدعة، التعلّق الذي يؤدّي إلى دعوة الآخرين إلى الضلال والانحراف، القرآن أيضاً يقول: ﴿**وَما دُعاءُ الكافِرينَ إلّا في ضَلال**﴾ (سورة غافر: ٥٠). وسنتطرق في الأبحاث القادمة - تأمّلات - إلى حقيقة البدعة ودوافعها ونتائجها. أمّا الوصف الرابع: فهو فتنة لمن افتتن به، وفي الصفة الخامسة والسادسة: «ضالّ عن هدي من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته». المراد بمن كان قبله الأنبياء عليهم السلام وأوصيائهم بالحقّ، في إشارة إلى اتّضاح سبيل الهداية مسبقاً بما لا يدع من مجال لسلوك طريق الضلال؛ مع ذلك فقد ولّى ظهره لسبيل الهداية وألقى بنفسه في ظلمات الضلال. والأنكى من ذلك أنّ إضلال هؤلاء الأفراد للآخرين لا يقتصر على حياتهم فهم مدعاة للضلالة حتّى بعد وفاتهم، فهم شركاء في هذه الضلالة، حيث ورد في الحديث النبوي المشهور: «من سنّ سنّة حسنة عمل بها من بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سنّ سنّة سيّئة فعمل بها بعده كان عليه وزره ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزراهم شيئاً» (ميزان الحكمة ج٤: ص٥٦٦). كما ورد مضمون هذا الحديث في مصادر الشيعة وأهل السنّة. فالعبارة تحذير حادّ لأولئك الذين يحثّون الخطى نحو البدع ويشيدون صروح الضلالة، في أنّ شقائهم وبؤسهم سوف لن يقتصر على حياتهم بل قد يتجاوز حتّى مماتهم بآلاف السنين وعليهم أن يدفعوا كفّارة تلك البدع ويستعدّوا لتحمّل تبعاتها. كما ورد عن الإمام

🡐

➔

أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في خطبة أخرى تحذير شديد حيث قال: «وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به فأمات سنّة مأخوذة وأحيى بدعة متروكة» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٦٠). وأمّا الوصفان الأخيران المترتّبان على الصفات السابقة فهما: «حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته». فالعبارة ليست كلاماً تعبّدياً، بل هى منطقيّة تماماً. وذلك لأنّ أية معونة ومساعدة في ارتكاب الذنب تعدّ شركة فيه؛ ولما كان أتباع هؤلاء المضلّين يقارفون الذنوب بمحض إرادتهم فلا ينقص من ذنبهم شيئاً، وهذا ما أشار له القرآن الكريم صراحة إذ قال تعالى: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ**﴾ (سورة النحل:٢٥). والتعبير الآخر الذي اعتمده القرآن بشأن ارتهان الإنسان بذنبه هو تعبير في غاية الروعة والدقّة: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهينَةٌ**﴾ (سورة المدّثر:٣٨). فكما أنّ المحجوز لا يطلق من العذاب ما لم يكفّر عن ذنوبه، كما أنّ التعبير بإكمال بالنسبة لذنوب الآخرين هو الآخر تعبير عميق، كأنّ الذنوب (كما يفهم من كلمة وزر) حمل عظيم بثقل صاحبها ومن أسّس لها وتصدّه عن القرب الإلهي وتلقى به في قعر جهنّم. ومن هنا تتّضح مدى خطورة الوادي الذي يسقط فيه من وكّله الله إلى نفسه، وأي مصير مشؤوم ينتظره. ولقد ورد الذمّ في هذه الخطبة للبدعة والمبتدع الذي يسوق الناس إلى الضلال، كما تضافرت الروايات الإسلاميّة - إلى جانب سائر خطب نهج البلاغة - التي تذمّ البدعة وأصحابها، ومن ذلك ما روي عن رسول اللهصلى الله عليه وآله انّه قال: «كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار» (الكافي ج١: ص٥٦). كما ورد عنهصلى الله عليه وآله أنّه قال: «كلّ بدعة ضلالة وكلّ محدثة بدعة وكلّ ضلالة في النار» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٢٦). وكما ورد عنهصلى الله عليه وآله أنّه قال: «أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة» قيل: يا

➔

اليتامى غير من يستحقّ القيمومة تقية من السلطان[١]، وجعل الدليل على تجويز هذه من الفرقان العظيم والسنّة الشريفة وهو ما دلّ منهما على وجوب العمل بالتقوى بقدر ما يستطيعون[٢].

←

رسول الله وكيف ذاك؟ قال: «إنّه قد أشرب قلبه حينها» (الكافي ج١: ص٥٤). ولما كانت المعارف والأحكام الإلهيّة واجبة الثبوت عن طريق الوحي والأدلّة المعتبرة، فإنّ البدعة من الكبائر، وهى أساس الفساد والانحراف. فالبدعة ما أحلّت حراماً أو حرمت حلالاً وأضافت دين الله أو انقصت منه ممّا ليس فيه دون قيام دليل معتبر على تلك الإضافة أو النقصان أو الإتيان بدين جديد ودعوة الناس إليه دون الاستناد إلى الوحي أو الدليل، هذه هى البدعة، وهى من الكبائر التي توعّد الله عليها بالعذاب.

(١) لا يخفى الخبير أنّ دعوى القيمومة ممن لا يستحقّ أن يكون قيّماً لا أثر له شرعاً، حيث أنّ المحجور لا بدّ وأنّ يكون جميع تصرّفاته ومعاملاته تحت إذن الوليّ والقيّم الشرعي، فإذا كان المباشر للقيمومة من لا يستحقّ لهذا الشأن فلا أثر لتصرّفاته، بل أنّ تصرّفاته على خلاف الشرع. كذلك من لا يستحقّ الولاية، فإنّ سلطته على الغير تصرّف غير شرعي كما هو واضح ظاهر، وسيتضح ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(٢) لا شكّ ولا شبهة في أنّ الولاية والحكومة الشرعيّة لها تعريف خاصّ الشريعة المقدّسة. ولا يمكن ادّعائها لأحد إلاّ بالدليل القطعي من جانب الشرع الأقدس. أمّا بالنسبة إلى أصل الولاية والحكومة الشرعيّة فيدلّ عليها الأدلّة من القرآن الكريم والسنّة النبويّة. نشير إجمالاً إلى ما جاء في القرآن الكريم، من الآيات الواردة حول موضوع الولاية والإمامة والخلافة، وهي كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ**

←

➔
وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (سورة المائدة:٥٥). فإنّ كلمة "إنّما" تدلّ على الحصر، ومعناه أنّ الولاية في الآية الكريمة منحصرة في الثلاثة المذكورة في هذه الآية لا غير، وهم: الله عزّ وجلّ، ورسول الله صلى الله عليه وآله، والمؤمن الذي أعطى الزكاة في حال الركوع، الذي بإجماع جميع المسلين هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ بالطبع أنّه ليس المراد به جميع المؤمنين بل بعضهم الذي يتمتّع بالشروط المذكورة في نفس الآية. وكأنّما عيّنه الآية الكريمة بأوصاف مختصة به عليه السلام أعني إيتاء الزكاة في حال الركوع. وبعبارة أخرى أنّ التعليق على الحكم مشعر بالعليّة أي إذا ورد حكم لوصف، فمفهومه أنّ هذا الوصف علّة لهذا الحكم، مثلاً لو قيل: أكرم العلماء، فمعنى ذلك أنّ العلم في هؤلاء الأشخاص هو السبب في لزوم الإكرام. وعليه فإنّ الآية الشريفة تبيّن انحصار الولاية في ثلاثة. فالولاية في الآية الشريفة لم تستعمل إلاّ لمعنى القيّم والقائد وصاحب الاختيار، لأنّ ولاية الله تعالى وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا لا اختلاف فيها على معنى صاحب الاختيار. كذلك الولاية لمن توفّر فيه الشرائط المذكورة في الآية بدليل العطف وإطلاقه. وشاهد على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ﴾ (سورة المائدة:٥٦). فهو قرينة على أنّ المراد من الولاية صاحب الإختيار. وكذلك الولاية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو المقصود بالمؤمن الذي أعطى الزكاة في حال الركوع. وهناك روايات كثيرة وردت في تفسير الآية عن طرق الشيعة وأهل السنّة وهي تدلّ على أنّ المقصود بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ هو الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وسنذكر الروايات في محلّه إن شاء الله تعالى. وقد روى
➔

➔

المحدّث البحرانيقدس سره في كتابه "غاية المرام" أربع وعشرين حديثاً من منابع أهل السنّة، وتسعة عشر حديثاً من منابع الشيعة فتشكّل بمجموعها ثلاثة وأربعين حديثاً في شأن هذه الآية بأنّ المراد من قوله تعالى: ﴿**والَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ**﴾ هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام (انظر غاية المرام ج٢: ص٦). فالروايات الواردة في شأن هذه الآية متواترة. كما روى العلاّمة الأمينيقدس سره في كتابه "الغدير" الروايات الواردة في تفسير الآية عن عشرين مصدراً من المصادر الروائيّة المعروفة لدى أهل السنّة وهي تتحدّث في شأن نزول الآية الشريفة في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من قبيل تفسير الطبري، تفسير أسباب النزول، تفسير الفخر الرازي، التذكرة لسبط ابن الجوزي، الصواعق لابن حجر، نور الأبصار للشبلنجي، وكذلك تفسير ابن كثير وغيرها من المصادر المعتبرة لدى أهل السنّة. وأمّا رواة هذه الأحاديث فهم عشرة أشخاص من الصحابة المعروفين: ١- ابن عبّاس ٢- عمّار بن ياسر ٣- جابر بن عبد الله الأنصاري ٤- أبو ذرّ الغفاري (الذي نقل أدقّ وأطول رواية في هذا المجال) ٥- أنس بن مالك ٦- عبد الله بن سلام ٧- سلمة بن كهيل ٨- عبد الله بن غالب ٩- عقبة بن حكيم ١٠- عبد الله ابن أُبي (انظر الغدير ج٣: ص١٥٥). ثمّ إنّ الآية الشريفة محلّ البحث مضافاً إلى أنّها تثبت ولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فإنّها تتضمّن توصية مهمّة لجميع المسلمين بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يكون وليّاً شرعياً وإماماً للمسلمين وخليفة للنبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله، لأنّ الآية حصرت الولاية في ثلاثة، ومن الواضح أنّ من له الولاية والإمامة بعد النبيصلى الله عليه وآله مباشرة هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بنصّ القرآن والسنّة النبويّة فلاحظ.

فيالهفي عليه حيث جرّه حبّه لتشييد الباطل حتّى إلى المناقضة لنفسه بعد المناقضة لقول الله ورسوله ﷺ [1].

---

(١) فإنّ الولاية درجة رفيعة يختصّ الله بها من يشاء الله من عباده المخلصين، وهي من أعظم نعم الله على جميع الخلائق، حيث أنعم الله عليهم ولاية النبيّين وأوليائه الصالحين، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ (سورة النساء:٦٩). هذه الآية تبيّن أنّ من أراد الطاعة والعبودية لله تعالى فلا بدّ أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين.... وقد أكدّ المفسّرون بأنّ النعمة إذا أطلقت في عرف القرآن يراد بها الولاية الإلهيّة، لأنّ النعمة الحقيقية هي الولاية الإلهيّة، حيث لا غنى عنها في مجتمع من المجتمعات البشريّة سيّما المجتمع الإسلامي الذي أسّس على اتّباع الحقّ وبسط العدل الإلهي، فالمناصب النبويّة والولويّة قد خصّها الله لعباده المخلصين، ﴿**مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾. لأنّ الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالاته. قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ (سورة الأنعام:١٢٤). وعليه فإنّ رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرين المعصومين عليهم السلام لهم الولاية ومن له الولاية فإنّه يشيد الدين من قبل الله عزّ وجلّ. ولذلك أنّ من له الولاية الإلهيّة له الحكومة الإلهيّة، لأنّ الحكومة الإلهيّة مستقرّة على العدل والقسط في المجتمع، كما قال الله تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾ (سورة ص:٢٦)، لا كما زعمه ابن تيميّة من أنّ من تصدّى الحكومة موجب للولاية كائناً من كان، وإن كان من المجرمين يكون له الولاية!!! والمثير للعجب والضحك أكثر من ذلك أنّه يقول أنّ مقتضى التقوى والقرآن والسنّة النبويّة ولاية المجرمين على الناس، فأين الثرى من ثريّا؟!!

السادس والعشرون: ما زعمه بقوله "ولم يكره أحد من أهل البيت عليهم السلام على شيء"[١]

---

(١) لا يخفى على من له أدنى معرفة بالتاريخ أنّ سيرة الخلفاء والحكّام التابعة لسياسة السقيفة كانت جارية على الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام، فإنّ ما لقيه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من الظلم والجور والاضطهاد والتنكيل والقتل والتشريد أمر مشهور لا يخفى على أحد. ولأهمية ذلك قد أخبر النبي صلى الله عليه وآله بما سيجري على أهل بيته عليهم السلام من الظُّلامات واضطهاد بعد رحيله. وكأنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يوص بهم، ولم ينوّه إلى عظمة منزلتهم، مع أنّ حديث الثقلين الذي فيه: (الأمر بالتمسّك بالكتاب والعترة) لوحده كاف في معرفة قدر أهل البيت عليهم السلام وعظيم منزلتهم، فكيف إذا أضفنا إليه العديد من الآيات والروايات الدالّة على جلالتهم، بل ووجوب اتّباعهم، لكن الضمائر الميتة أبت إلاّ أن تعمل على تغييب الحقيقة وطمسها بشتى الوسائل، والآن نشير إلى بعض ماجرى على أهل البيت عليهم السلام من مآسي وويلات بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، فبينما كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مشغولاً بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله انقلبت الأمّة على أعقابها، فعقدت مجلس سقيفة بني ساعدة واجتمعت فيها المنقلبين على الأعقاب، وبايعوا أبا بكر وتناسوا وصيّة النبي صلى الله عليه وآله بحقّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وإلى ذلك يشير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: «حتّى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتّكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودّته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٥٠). فظهرت حركة النفاق، فجاءت الفتن كقطع الليل المظلم! فكان يوم رحيله صلى الله عليه وآله هو يوم الإعلان عن بداية ظهور حركة النفاق، لتظهر هذه المرّة بثوبها الجديد وبصورتها الخادعة، ليهدم الإسلام باسم الإسلام. ←

➔

وكانت هدف حركة النفاق إقصاء أهل البيتعليهم السلام، وعلى رأسهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لئلاّ يصل منصب القيادة التي تعتبر أهمّ موقع في الحكومة الإسلاميّة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وبغصب هذا المنصب من أهله اعتدوا على أحكام الإسلام بحذف ما تمكّنوا من محوه وتحريف أكثر أحكامه وتأويل محكمه بمتشابهه، وكما قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «لُبِسَ الإسلام لُبْس الفَرْو مقلوباً» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٠٨). وأخبر النبيصلى الله عليه وآله عن تلك الحركة، التي كانت حركة حزب النفاق ضدّ أهل بيتهعليهم السلام من بعد رحيلهصلى الله عليه وآله في روايات عديدة رواها علماء أهل السنّة في كتبهم، منها: ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن أبي رافع إسماعيل ابن رافع عن أبي نضرة قال: قال أبو سعيد الخدري: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمّتي قتلاً وتشريداً وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضاً بنو أميّة وبنو المغيرة وبنو مخزوم» (ثمّ قال الحاكم): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٤٨٧). ومنها: ما رواه الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن جلوس عند رسول اللهصلى الله عليه وآله فأقبل نفر من بني هاشم أو فتية من بني هاشم، فلمّا رآهم رسول اللهصلى الله عليه وآله احمرّ وجهه واغرورقت عيناه، فقلنا: يا رسول الله، ما نزال نرى في وجهك الشيء تكرهه، فقال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي هؤلاء سيلقون من بعدي تطريداً وتشريداً حتّى يجئ قوم من ها هنا من قبل المشرق وأصحاب رايات سود، فيسألون الحقّ فلا يعطونه، ثمّ يسألون الحقّ فلا يعطونه (قال ذلك مرّتين أو ثلاثاً)، فيقاتلون فيعطون ما يسألوا فلا يقبلون حتّى يدفعونها إلى رجل روى من أهلي بيتي يملأها عدلاً كما ملؤوها جوراً، فمن أدرك

➔

➔

ذلك الزمان فليأتهم ولو حبواً على الثلج» (المعجم الأوسط للطبراني ج٦: ص٣٠). ومنها: ما رواه في معجمه الكبير بسنده عن بن مسعود قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل نفر من بني هاشم، فلمّا رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله احمرّ وجهه واغرورقت عيناه، فقلنا: يا رسول الله، ما نزال نرى بوجهك شيئاً نكرهه، فقال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاء وتطريداً» (المعجم الكبير ج١٠: ص٨٥). ومنها ما رواه الهيثمي بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا**﴾ عن علي عليه السلام: «﴿**الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾ الآية نزلت في الأفخرين من بني مخزوم وبني أميّة فقطع الله دابرهم يوم بدر وأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين» (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٤). ومنها: ما رواه المتّقي الهندي من مسند عمر بن الخطّاب قال: المقصود من قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا**﴾: هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أميّة (انظر كنز العمّال ج٢: ص٤٤٤). وفي تفاسير الشيعة أنّ المقصود بالآية قريش قاطبة، كالذي رواه العيّاشي في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «هي قريش قاطبة، إنّ الله خاطب نبيّه فقال: إنّي قد فضّلت قريشاً على العرب، وأتممت عليهم نعمتي، وبعثت إليهم رسولاً فبدّلوا نعمتي، وكذّبوا رسولي» (انظر تفسير العياشي ج٢: ص٢٢٩). وروى العلاّمة المجلسي رحمه الله في البحار في حديث طويل معروف بحديث اللوح بسنده عن قدامة بن زايدة، عن أبيه قال: قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «بلغني يا زايدة أنّك تزور قبر أبي عبد الله عليه السلام أحياناً؟» فقلت: إنّ ذلك لكما بلغك، فقال لي: «فلمّا ذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبّتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا، والواجب على هذه الأمّة من حقّنا؟» فقلت: والله ما أريد

➔

➔

بذلك إلاّ الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: «والله إنّ ذلك لكذلك» (يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً)، فقال: «أبشر ثمّ أبشر ثمّ أبشر فلأخبرنّك بخبر كان عندي في النخب المخزونة؛ إنّه لمّا أصابنا بالطف ما أصابنا، وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وإخوته وساير أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فيعظم ذلك في صدري، ويشتدّ لمّا أرى منهم قلقي فكادت نفسي تخرج، وتبيّنت ذلك منّي عمّتي زينب بنت علي الكبرى، فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع ولا أهلع، وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مصرعين بدمائهم مرمّلين بالعراء، مسلّبين لا يكفّنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقرّبهم بشر، كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر، فقالت: لا يجز عنك ما ترى، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيد الشهداء عليه السلام لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيّام وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً وأمره إلاّ علوّاً، فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟ فقالت: حدثتني أمّ أيمن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيّام، فعملت له حريرة صلى الله عليه وآله، وأتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر، ثمّ قالت أمّ أيمن: فأتيتهم بعس فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرة، وشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وشربوا من ذلك اللبن، ثمّ أكل وأكلوا من ذلك

➔

➔

التمر والزبد، ثمّ غسل رسول الله صلى الله عليه وآله يده وعلي عليه السلام يصبّ عليه الماء، فلمّا فرغ من غسل يده مسح وجهه، ثمّ نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام نظراً عرفنا فيه السرور في وجهه، ثمّ رمق بطرفه نحو السماء مليّاً، ثمّ وجّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا، ثمّ خرّ ساجداً وهو ينشج، فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه، ثمّ رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنّها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهبناه أن نسأله حتّى إذا طال ذلك، قال له علي وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك، فقد أقرح قلوبنا ما ترى من حالك؟ فقال: يا أخي سررت بكم سروراً ما سررت مثله قطّ، وإنّي لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته عليّ فيكم، إذ هبط علي جبرئيل فقال: يا محمّد، إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهناك العطية بأن جعلهم وذريّاتهم ومحبّيهم وشيعتهم معك في الجنّة لا يفرّق بينك وبينهم يحبون كما تحبى، ويعطون كما تعطى، حتّى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا؛ ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملّتك ويزعمون أنّهم من أمّتك براء من الله ومنك خبطاً خبطاً، وقتلاً قتلاً، شتى مصارعهم، نائية قبورهم، خيرة من الله لهم، ولك فيهم، فاحمد الله عزّ وجلّ على خيرته وارض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم، ثمّ قال جبرئيل: يا محمّد، إن أخاك مضطهد بعدك، مغلوب على أمّتك، متعوب من أعدائك، ثمّ مقتول بعدك يقتله أشرّ الخلق والخليقة، وأشقى البرية، نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كلّ حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم، وإنّ سبطك هذا وأومأ بيده إلى الحسين عليه السلام مقتول في عصابة من ذريّتك وأهل

➔

➔

بيتك، وأخيار من أمّتك، بضفة الفرات، بأرض تدعى كربلاء من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريّتك، في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفني حسرته، وهي أطهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة، وإنّها لمن بطحاء الجنّة، فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللعنة، تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال وكثر اضطرابها واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها، غضباً لك يا محمّد ولذريّتك واستعظاما لما ينتهك من حرمتك، ولشرّ ما تكافى به في ذريّتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك إلاّ استأذن الله عزّ وجلّ في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجّة الله على خلقه بعدك فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار من فيهن: إنّي أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب، ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام، وعزّتي وجلالي لأعذبنّ من وتر رسولي وصفيّي، وانتهك حرمته وقتل عترته، ونبذ عهده وظلم أهله عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين؛ فعند ذلك يضجّ كلّ شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك واستحلّ حرمتك، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها، تولّى الله عزّ وجلّ قبض أرواحها بيده، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة، معهم آنية من الياقوت والزمرّد، مملوءة من ماء الحياة، وحلل من حلل الجنّة، وطيب من طيب الجنّة، فغسّلوا جثثهم بذلك الماء، وألبسوها الحلل، وحنّطوها بذلك الطيب وصلّى الملائكة صفّاً صفّاً عليهم، ثمّ يبعث الله قوماً من أمّتك لا يعرفهم الكفّار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نيّة، فيوارون أجسامهم، ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحقّ، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفّه ملائكة من كلّ سماء مائة ألف ملك في كلّ يوم وليلة، ويصلّون عليه ويسبّحون

←

➔

الله عنده ويستغفرون الله لزوّاره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمّتك متقرّباً إلى الله وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ويسمّون في وجوههم بميسم نور عرش الله: "هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء" فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار يدلّ عليهم ويعرفون به. وكأنّي بك يا محمّد بيني وبين ميكائيل وعليّ أمامنا، ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عدده، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتّى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمّد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك، لا يريد به غير الله عزّ وجلّ، وسيجد أناس حقّت عليهم من الله اللعنة والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً. ثمّ قال رسول الله ﷺ: فهذا أبكاني وأحزنني، قالت زينب: فلمّا ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي عليه السلام ورأيت أثر الموت منه، قلت له: يا أبه حدّثتني أمّ أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال: يا بنيّة الحديث كما حدّثتك أمّ أيمن، وكأنّي بك وبنات أهلك سبايا بهذا البلد، أذلاّء خاشعين، ﴿**تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ**﴾، فصبراً، فوالذي فلق الحبّة وبرء النسمة، ما لله على الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبّيكم وشيعتكم، ولقد قال لنا رسول الله ﷺ حين أخبرنا بهذا الخبر: أنّ إبليس في ذلك اليوم يطير فرحاً، فيجول الأرض كلّها في شياطينه وعفاريته، فيقول: يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرّية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثنا هم السوء إلاّ من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وبأوليائهم، حتّى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ**﴾ وهو كذوب، أنّه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا

➔

حتّى على بيعة أبي بكر[١] فإنّك قد عرفت بهتانه في هذه الدعوى، لما ثبت

➔

يضرّ مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر». قال زائدة: ثمّ قال علي ابن الحسين عليه السلام بعد أن حدّثني بهذا الحديث: «خذه إليك، وأمّا لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً». بيان: الطفّ اسم لكربلاء، قال الفيروزآبادي: الطفّ موضع قرب الكوفة والصرع الطرح على الأرض، والتصريع الصرع بشدّة، ورمل الثوب لطّخه بالدم، وأرمل السهم تلطّخ بالدم، والعراء الفضاء لا يستر فيه بشيء، والتعريج على الشيء الإقامة عليه، وتضرّج بالدمّ أي تلطّخ، وضرّج أنفه بدمّ بالتشديد أي أدماه ودرس الرسم دروساً عفا، ودرسته الريح لازم ومتعد، والحريرة دقيق يطبخ بلبن، والعس بالضم القدح العظيم، ورمق بطرفه أي نظر، ونشج الباكي كضرب نشيجاً إذا غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتخاب، ونشج بصوته نشيجاً ردده في صدر، والصوب الانصباب، ومجيء السماء بالمطر، وخبطه ضربه شديداً، والقوم بسيفه جلدهم، والمضطهد بالفتح المقهور المضطرّة، وضفة النهر بالكسر جانبه والكتيبة الجيش، والتزعزع التحرّك، وكذلك الميت، والاصطفاق الاضطراب، والموثور من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، وضرب آباط الإبل كناية عن الركض والاستعجال (بحار الأنوار ج٢٨: ص٥٥). وإلى غير ذلك من الروايات الوادة في المقام. فأوّل الظُلامات التي حدثت بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله هي حادثة السقيفة وغصب الخلافة، ثمّ استمرّت السياسات الظالمة المنحرفة من أتباع السقيفة ضدّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم إلى يومنا هذا.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله توفي يوم الاثنين ٢٨ من صفر المظفّر العام الحادي عشر من الهجرة، ولم يكن حوله في اللحظات الأخيرة من حياته سوى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام

➔

➔

والإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وبعض بني هاشم. وقد علم الناس بوفاته من الضجيج والعويل، فأسرعوا وتجمعوا في المسجد وخارجه، وإذا بموقف غريب يصدر عن عمر بن الخطّاب إذ هزّه سيفه وقال: إنّ رسول الله والله ما مات ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٢٣). وهذه أول خطوة كانت في جهة غصب الخلافة، إذ على الرغم من أنّ الصحابة كانوا يقرؤون القرآن وكانوا يعلمون بقوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ (سورة الزمر:٣٠). وعلى الرغم من الجهود العظيمة التي بذلها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في تربية الأمّة وإعداد أفرادها لتحمّل المسؤوليّات ولكن خط النفاق التحريفي في المجتمع الإسلامي برز نفاقه آن ذاك. مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يألُ جهداً في تهيئة الأرضيّة السياسيّة والاجتماعيّة اللازمة للخليفة من بعده، وتأكيده الدائم على الولاية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأمر من الله تعالى، لكن ذلك كلّه لم يمنع من نشوء وظهور عوامل يُخشى معها أن تؤدّي إلى انهيار الدولة الإسلاميّة وسعيهم في ضياع الرسالة المطهّرة. ففي نفس الوقت الذي كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام يعملون على تجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وتغسيله صلى الله عليه وآله تمهيدًا لدفن جثمانه الشريف صلى الله عليه وآله، اجتمع عدد من الصحابة في مكان يُعرف بـ"سقيفة بني ساعدة"، لتدبير أمر الخلافة برئاسة سعد بن عبادة زعيم الخزرج (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٢٣٣). وخرج إليهم أبو بكر وعمر ومعهما أبو عبيدة ومن لحقهم من بطون قريش، وانقسم الناس إلى فريقين: الحزب القرشي أو المهاجرين، والأنصار، وتنازعوا في أمر الخلافة، وكلّ فريق كان يدّعي بأنّ الأحقيّة له. وكانت حجّة الحزب القرشي في السقيفة ضدّ الأنصار مبنيّة على أمرين:

⬅

➔

١- أنّ المهاجرين أوّل الناس إسلاماً.

٢- أنّهم أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمسّهم به رحماً. وقد أدان هؤلاء أنفسهم بهذه الحجّة، وذلك لأنّ الخلافة إذا كانت بالسبق إلى الإسلام والقرابة القريبة من رسول الله صلى الله عليه وآله - كما يدّعون - فهي للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وحده، لأنّه أوّل الناس إسلاماً وإيماناً وتصديقاً بالرسالة الإسلاميّة، وأخوه بمقتضى المؤاخاة، وابن عمّه نسباً وأقرب الناس إلى نفسه وقلبه بلا شكّ في ذلك. أمّا الأنصار فلم يكونوا على رأي واحد، ولم يحضر في هذا اللقاء خيارهم، وهم البدريّون من أمثال: أبي أيوب الأنصاري، حذيفة بن اليمان، عبادة بن الصامت.

ونقل عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال في شأن الخلافة، بعد ما وصله خبر السقيفة: «واعجباً، أتكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقرابة؟» ويروى عنه عليه السلام شعر في هذا المعنى: «فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم * فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ. وإن كنت بالقُربى حججت خصيمهم * فغيرك أولى بالنبي وأقرب» (نهج البلاغة: كلمات القصار رقم:١٩٠). هذا مع العلم بأنّ الأنصار والمهاجرين كلّهم كانوا يعلمون جيّداً النصوص النبويّة وكانوا يحفظونها في شأن العترة الطاهرة عليهم السلام، وقد شهدوا تنصيب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خمّ، وأوصاهم النبي صلى الله عليه وآله به وبأهل بيته عليهم السلام. لكن موقفهم ولقاءهم في السقيفة فتح باب الصراع على مصراعيه بعيداً عن القيم والأحكام الإسلاميّة، إذ قدمت فيه الحسابات القبليّة على الحسابات الشرعيّة، وعلى مصلحة الرسالة. وعلى كلّ حال، فإنّ النتيجة التي أسفر عنها اجتماع السقيفة هي تحويل مسار الخلافة عن صاحبها بعد جدال طويل ونقاش بين الفريقين، وملامح مخطّط إقصاء الإمام عليه السلام عن الخلافة. وقد استفاضت النصوص الواردة عن

🡐

←

الإمامعليه السلام التي تفصح عن حقيقة ما جرى بعد النبيصلى الله عليه وآله من الانحراف السياسي، وتكشف النقاب عن أسباب هذا الانحراف بشكل لا يدع مجالاً للريب في صحّة ما ذكرناه، فمن هذه النصوص قولهعليه السلام في الخطبة الشقشقيّة: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلَمُ أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٣). وحين ما سأله بعض أصحابه: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟! قالعليه السلام: «أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً والأشدّون برسول اللهصلى الله عليه وآله نوطاً، فإنّها كانت أثرةً شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، والحَكَم الله، والمعْوَد إليه القيامة» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٦٢). وقالعليه السلام: «اللّهم إنّي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٧٢). وتضمّنت هذه النصوص التصريح بعدّة حقائق مهمّة: أحدها: أنّ الخلافة هي حقّ الإمامعليه السلام دون غيره، ثانيها: أنّ هناك من حاول تقمّص منصب الخلافة بغير حقّ، ثالثها: أنّ قريشاً مع من أعانهم هم الذين خطّطوا للاستيلاء على الخلافة ومنازعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، رابعها: أنّهم أبعدوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن شؤون الخلافة واستأثروا بها. هذا فضلاً عن غيرها من النصوص الكثيرة التي تضمنت مثل هذه المعاني والحقائق. ومن هنا يتّضح للباحث أنّ أساس السقيفة كانت على الإكراه ومخالفة النصوص وسحق القيم من أجل الوصول إلى السلطة واستلامها بأيّ صورة أمكن. فحاول القوم إرغام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وقسره على البيعة، فأرسلوا قوّة عسكريّة أحاطت بداره ودخلوها بعنف (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٣). وأخرجوه منها بصورة لا تليق بمكانة أيّ إنسان، فضلاً عن أن يكون مسلماً، وفضلاً

→

➔

عن مقام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وجيء به إلى أبي بكر، فصاحوا به بعنف: بايع أبا بكر، فأجابهم عليه السلام بمنطق الواثق: «أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي... نحن أولى برسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً وميّتاً، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون...» (الإمامة والسياسة:١٣). فوقف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عند مفترق طرق، في كلّ منها حرج شديد على نفسه:

١- أن يبايع أبا بكر دون ممانعة، فيحفظ وجوده ويسلم من أذاهم، وهذا غير ممكن، لأنّه يعني إمضاءه عليه السلام لبيعة أبي بكر وخلافته.

٢- أن يسكت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، ويصبر ما دام الجور عليه خاصّة.

٣- أن يعلن الثورة على خلافة أبي بكر.

فما كان للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سوى أن يختار الطريق الثاني ليحقّق أكبر قدر ممكن من الأهداف الرساليّة التي جعله الرسول صلى الله عليه وآله وصيّاً عليها. ولا ينبغي للباحث أن يغفل عن موقف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أبي سفيان الذي عرض على الإمام عليه السلام البيعة له، فواجهه عليه السلام بالرفض وذلك لعلم الإمام عليه السلام بنواياه الخبيثة. وكان للأمويّين مطمع سياسي كبير في نيل نصيب مرموق من الحكم، واسترجاع شيء من زعامتهم في الجاهليّة، ومن هنا فإنّهم عندما عارضوا نتائج السقيفة لم يعبأ الحاكمون بمعارضتهم ولا بتهديدات أبي سفيان وما أعلنه من كلمات الثورة لعلمهم بطبيعة النفس الأمويّة وشهواتها السياسيّة والماديّة، فكان من السهل كسب الأمويّين إلى جانب الحكم القائم كما صنع أبوبكر فأباح لنفسه، أو أباح لعمر بتعبير أصحّ كما يذكر المؤرّخون، أن يدفع لأبي سفيان جميع ما في يده من أموال المسلمين وزكواتهم ثم جعل للأمويّين بعد ذلك حظّاً من العمل الحكومي في عدّة من المرافق الهامّة (راجع شرح نهج البلاغة لابن

➔

➔
أبي الحديد ج٢: ص٤٨).
وعلى هذا الأساس تسلم أبو بكر السلطة بعد وفاة النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه على أساس ما تمّ من الفوضى في مجلس السقيفة ببيعة سماه عمر فلتة. ثمّ تولّى الخلافة عمر بنصّ محدّد من أبي بكر، وخلّفهما عثمان بنصّ غير محدّد من عمر. وكان من نتائج هذا الاغتصاب بعد ثُلث قرن من وفاة الرسولصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه تسلّلت القيادة إلى أبناء الطلقاء الذين حاربوا الإسلام بالأمس إلى مراكز السلطة. هذا فيما يتّصل بالمرجعيّة القياديّة التي تمارس السلطة.
وكان تخطيط الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيهِالسَّلَامُ لمواجهة هذا الانحراف الحفاظ على أصل الإسلام وسلامة الرسالة الإسلاميّة وديمومتها في الحياة، ومن هنا حاول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيهِالسَّلَامُ في تعميق الرسالة فكريّاً وروحيّاً وسياسيّاً في صفوف أبناء الأمّة الإسلاميّة وتقديم الوجه المشرق للرسالة الإسلاميّة عبر أساليب عديدة منها:
١- التدخّل الإيجابي لتوجيه الزعامة المنحرفة، بعد أن كانت لا تحسن معالجة كثير من القضايا البسيطة فضلاً عن المعقّدة، فكان دورهعَلَيهِالسَّلَامُ دور الرقيب الرسالي الذي يتدخّل كلّما لزم الأمر.
٢- كان الإمامعَلَيهِالسَّلَامُ يتصدّى للردّ على شبهات المنحرفين بعد اتّضاح عجز المتصدّين للزعامة.
٣- تقديم المثل الأعلى للإسلام والصورة الناصعة للحكم الإسلامي والمجتمع الرسالي.
٤- تربية ثلّة صالحة من المسلمين تُعين الإمامعَلَيهِالسَّلَامُ في حركته الإصلاحيّة والتغييريّة.
٥- إحياء سُنّة رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه بالحثّ على تداولها وتدوينها والاهتمام بالقرآن تلاوةً
➔

في الصحيحين من عدم بيعة علي عليه السلام مدّة وجاهته عند الناس، وهي ستّة أشهر مدّة حياة فاطمة عليها السلام بعد أبيها صلى الله عليه وآله، فلمّا ماتت استنكره الناس فالتمس مبايعته[1].

➔

وحفظاً وتفسيراً وتدويناً، إذ أنّهما عماد الشريعة، فلا بدّ أن تتفهم الأُمّة حقائق القرآن الكريم ومفاهيم السنّة الشريفة.

ولولا هذا العمل الجبار لاندرست الأحكام الشرعيّة ولما كُتب للرسالة الإسلاميّة الاستمرار والبقاء. وهذا كان بنظر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أهمّ بكثير من خلافة وزعامة لفترة زمنيّة محدودة ما تلبث أن تنتهي... حيث أنّ الحقّ هو الأحقّ بالاتّباع دون غيره، كما قال تعالى: ﴿**مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ (سورة يونس:٣٥) وعليه ما زعمه ابن تيمية من أنّه لم يكره أحد من أهل البيت عليهم السلام على شيء، ولا على بيعة أبي بكر باطل كما لا يخفى على أحد.

(١) لقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما وبسندهما عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورّث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد في هذا المال وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها

➔

ولما نقله جماعة من عمد مشيدي مذهبهم من بعث أبي بكر عمر وجماعة من متابعيه معه النار والحطب إلى بيت أهل البيت عليهم السلام(١)

➔
أبا بكر، وصلّى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفّيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر... (صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٣ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وآله لا نورّث ما تركناه صدقة). فالحديث حجّة عند جميع أهل السنّة، ودلالته واضحة وصريحة عندهم. وهو يدلّ على انقلاب الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ قضيّة الهجوم على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام وإحراق باب دارها وإيذائها وهتك حرمتها من المسلّمات التاريخيّة ومن الضروريّات التي ذكرها المصادر التاريخيّة والروائيّة من الصدر الأوّل وحتى القرون المتأخّرة، وهي مذكورة في الكتب المعتمدة التي رواها كبار علماء أهل السنّة. ونحن نذكر هنا بعض ما رواه علمائهم في هذا المجال ليعرف الباحث حقيقة الأمر في هذا المجال، فمنها: ما رواه البلاذري في كتابه أنساب الأشراف بسنده عن ابن عون إنّه قال: أنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع. فجاء عمر ومعه فتيلة فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: «يا ابن الخطّاب، أتراك محرّقاً عليّ بابي؟» قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك (أنساب الأشراف ج١: ص٥٨٦). ومنها: ما رواه ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله! والله ما من أحد أحبّ إلينا من
➔

➔

أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت، قال: فلمّا خرج عمر جاؤوها فقالت: «تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقنّ عليكم البيت» (المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص٥٧٢). ومنها: ما رواه الطبري في تاريخه بسنده عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطّاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه (تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٣). ومنها: ما رواه ابن عبد ربّه الأندلسي في كتابه العقد الفريد قال: ومن حديث حذيفة قال: كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ عظيم، فقال: إنّي لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدُوا بالذين من بعدي - وأشار إلى أبي بكر وعمر -، واهتدوا بهدي عمّار، وما حدّثكم ابن مسعود فصدّقوه. الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر: علي والعبّاس والزبير وسعد بن عُبادة. فأمّا عليّ والعبّاس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يُضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة، فقالت: «يا بن الخطّاب، أجئت لتحرق دارنا؟» قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمّة (العقد الفريد ج٢: ص٧٣). ومنها: ما رواه ابن عبد البرّ في الاستيعاب بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه: أنّ عليّاً والزبير كانا حين بويع لأبي بكر يدخلان على فاطمة فيشاورانها ويتراجعان في أمرهم فبلغ ذلك عمر، فدخل عليها عمر، فقال: يا بنت رسول الله، والله ما كان من الخلق أحد أحبّ إلينا من أبيك وما أحد أحبّ إلينا بعده منك، ولقد بلغني أن هؤلاء النفر يدخلون عليك ولئن بلغني لأفعلنّ ولأفعلنّ. ثمّ خرج وجاءوها فقالت لهم: «إنّ عمر قد جاءني

🡐

➔

وحلف لئن عدتم ليفعلنّ، وأيم الله ليفين بها، فانظروا في أمركم ولا ترجعوا إليّ». فانصرفوا فلم يرجعوا حتّى بايعوا لأبي بكر. تحريف كلمة من لأحرقنّ عليكم إلى لأفعلنّ ولأفعلنّ (الاستيعاب لابن عبد البرّ ج١: ص٢٩٨). ومنها: ما رواه ابن قتيبة الدينوري في كتابه الإمامة والسياسة عند ذكره الوقائع الحادثة بعد السقيفة منها: الغارة على بيت الوحي قال في حديث طويل: إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليعليه السلام، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لاحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن!! ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا فاطمة فدقّوا الباب، فلّما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبتاه يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة»، فلمّا سمع القوم صوتها وبكائها انصرفوا. وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟» فقالوا: إذاً والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك...! (الإمامة والسياسة: ص٣٠). ومنها ما رواه المتّقي الهندي في كنز العمّال: عن أسلم أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله كان علي والزبير يدخلون على فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله ويشاورونها ويرجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله، ما من الخلق أحد أحبّ إلى من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بهم أن يحرق عليهم الباب ، فلمّا خرج عليهم عمر جاؤها قالت: «تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم بايعوا لأبي بكر» (كنز العمّال ج٥: ص٦٥١). ومنها: ما رواه مقاتل بن عطية في كتابه الإمامة والسياسة: إنّ أبا بكر بعد أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب

➔

➔

والسيف والقوّة أرسل عمر وقنفذاً وجماعة إلى دار علي وفاطمةعليها السلام وجمع عمر الحطب على دار فاطمة وأحرق باب الدار... (انظر كتاب الإمامة والخلافة: ص١٦٠). ومنها: ما رواه أبو عبيد في كتابه الأموال بسنده عن عبد الرحمن ابن عوف قال: دخلت على أبي بكر في مرضه عائداً... فقال بعد كلام طويل: أجل، إنّي لا آسى عن شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددت أنّي فعلتهنّ – إلى أن قال –: فأمّا الثلاث التي فعلتهنّ وددت إنّى تركتهنّ.. – منها –: فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته وأن أغلق على الحرب (انظر الأموال: ص١٤٤). ومنها: ما رواه الطبراني في كتاب المعجم الكبير في كلام حول أبي بكر وخطبه ووفاته: ودّ أبو بكر عند موته أموراً: ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركته ثلاث تركتهنّ، وددت أنّي فعلته أمّا الثلاث اللائي وددت أنّي لم أفعلهنّ، فوددت أنّي لم أكن أكشف بيت فاطمة وتركته... (المعجم الكبير للطبراني ج١: ص٦٢). ومنها: ما رواه المسعودي في مروج الذهب: أنّه لمّا احتُضِرَ – أي أبو بكر – قال: أجل، إنّي لا آسى عن شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ – منها – وددت أنّي لم أكن فتّشت بيت فاطمة، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً (مروج الذهب ج٣: ص٣٠١). ومنها: ما رواه الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد: عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه: ...ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لم أفعلهنّ وثلاث لم أفعلهنّ وددت أنّي فعلتهن وثلاث وددت أنّي سألت رسول اللهصلى الله عليه وآله عنهنّ، فأمّا الثلاث التي وددت أنّي لم أفعلهن، فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أعلق على الحرب (مجمع الزوائد للهيثمي ج٢: ص٣٥٣). ومنها: ما رواه ابن أبي دارم على ما رواه الذهبي في كتابه ميزان

➔

➔
الاعتدال، فإنّه نقل أحمد بن محمّد المعروف بـ"ابن أبي دارم" المحدّث الكوفي (المتوفي ٣٥٧) إذ يقول محمّد بن أحمد بن حمّاد الكوفي في مدحه كان مستقيم الأمر، عامّة دهره، ونظراً إلى مكانته هذه يقول، قُرأ هذا الحديث في محضره: إنّ عمر رفس فاطمة حتّى اسقطت بمحسن (ميزان الاعتدال ج١: ص١٣٩). ومنها: ما رواه الشهرستاني عن إبراهيم بن سيّار النظّام، فإنّه قد روى إنّ عمر ضرب فاطمة يم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها وكان عمر يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها! وما كان بالدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٥٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أنّه دخل على أبي بكر يعوده في مرضه الذي مات فيه: .....ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أني لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهنّ، وثلاث وددت أنّي سألت رسول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عنهنّ، فأمّا الثلاث التي وددت أني لم أفعلهنّ: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أغلق علي الحرب (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤١٨). وقال: فأمّا التي وددت أنّي تركتهنّ فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤٢٠). وقال: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وأنّي أغلق على المحارب (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤٢١). وقال: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وإن أغلق على الحرب (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤٢٢). وقال الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام: عن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف، عن أبيه، وقد رواه الليث ابن سعد، عن علوان، عن صالح نفسه قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه.... ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ، وثلاث وددت أنّي سألت رسول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عنهنّ: وددت
➔

➔

أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وأن أغلق علي الحرب (تاريخ الإسلام للذهبي ج١: ص٣٨٥). ومنها: ما رواه الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد: عن عبد الرحمن ابن عوف قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه: ...ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لم أفعلهنّ وثلاث لم أفعلهنّ وددت أنّي فعلتهنّ وثلاث وددت أنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهنّ، فأمّا الثلاث التي وددت أنّي لم أفعلهنّ فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أعلق على الحرب (مجمع الزوائد للهيثمي ج٢: ص٣٥٣). ومنها: ما رواه الذهبي في ميزان الاعتدال: بسنده عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر أعوده، ثمّ قال عبد الرحمن: ما أرى بك بأساً والحمد لله، فلا تأس على الدنيا، فوالله إن علمناك إلاّ كنت صالحاً مصلحاً فقال: إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث وددت أنّي لم أفعلهنّ: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته، وأن أغلق على الحرب وددت أنّي يوم السقيفة كنت قذفت الأمر في عنق أبي عبيدة أو عمر، فكان أميراً وكنت وزيراً... (ميزان الاعتدال للذهبي ج٣: ص١٠٩). ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين: عن الإمام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام قال: «لمّا ولدت فاطمة الحسن جاء النبي صلى الله عليه وآله، فقال: أروني ابني ما سمّيتموه؟» قال: «قلت: سمّيته حرباً، قال: بل هو حسن، فلمّا ولدت الحسين جاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أروني ابني ما سمّيتموه؟» قال: «قلت: سمّيته حرباً، فقال: بل هو حسين، ثمّ لمّا ولدت الثالث جاء رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أروني ابني ما سمّيتموه؟ قلت: سمّيته حرباً، قال: بل هو محسن، ثمّ قال: إنّما سمّيتهم باسم ولد هارون شبّر وشبير ومشبّر». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٦٥). وقال الذهبي في الهامش:

➔

➔
صحيح رواه إسرائيل عن جدّه (انظر التلخيص على المستدرك للذهبي ج٣: ص١٦٥). منها ما رواه المحبّ الطبري في ذخائر العقبى قال: ذكر تسميتهما يوم سابعهما عن عليعليه السلام قال: «لمّا ولد الحسن سمّيته حرباً، فجاء النبيصلى الله عليه وآله، فقال: أروني ابني ما سمّيتموه؟ قلنا: حرباً، قال: بل هو حسن، فلمّا ولد الحسين سمّيته حرباً، فجاء النبيصلى الله عليه وآله قال: أروني ابني ما سمّيتموه، فقلنا: سمّيناه حرباً، فقال: بل هو حسين فلمّا ولد الثالث سمّيته حرباً، فجاء النبيصلى الله عليه وآله فقال: أروني ابني ما سمّيتموه؟ فقلنا سمّيناه حرباً فقال: بل هو محسن، ثمّ قال: إنّما سمّيتهم بولد هرون شبّر وشبير ومشبّر». خرجه أحمد وأبو حاتم (انظر ذخائر العقبى ج١: ص١١٩). وأيضاً: ذكر ولد فاطمةعليها السلام عن الليث بن سعد قال: تزوّج على فاطمة فولدت له حسناً وحسيناً ومحسناً وزينب وأمّ كلثوم ورقيّة فماتت رقيّة ولم تبلغ، وقال غيره ولدت حسناً وحسيناً ومحسناً، فهلك محسن صغيراً وأمّ كلثوم وزينب ولم يتزوّج عليها حتّى ماتتعليها السلام (انظر ذخائر العقبي ج١: ص٥٥). ومنها: ما رواه البلاذري في أنساب الأشراف قال: المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التيمي، وعن ابن عون أنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه قبس فتلقته فاطمةُ على الباب، فقالت فاطمة: «يا بن الخطّاب، أتراك محرّقاً علي بابي؟» قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك. وجاء علي فبايع وقال: كنتُ عزمتُ أن لا أخرج من منزلي حتّى أجمع القرآن (أنساب الأشراف للبلاذري ج١: ص٢٥٢). ومنها: ما رواه اليعقوبي في تاريخه: وبلغ أبا بكر وعمر أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار، وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر، فصارعه عمر فصرعه، وكسر سيفه، ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: «والله لتخرجنّ أو
➔

➔

لأكشفنّ شعري ولأعجنّ إلى الله!» فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم، ثمّ قام عمر، فمشى معه جماعة، حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة»، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٦). ومنها: ما رواه الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال قال: أحمد بن محمّد بن السري بن يحيى المعروف بابن أبي دارم: قال محمّد بن أحمد بن حمّاد الكوفي فيما قال: ...ثمّ كان في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن! (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج١: ص١٣٩). وعنه أيضاً قال الحاكم: وقال محمّد بن حماد الحافظ، كان مستقيم الأمر عامّة دهره، ثمّ في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه أنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت محسناً! (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج١٥: ص٥٧٨). ومنهما: ما رواه الشهرستاني في كتابه الملل والنحل قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام! (الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٥٧). ومنها: ما رواه المسعودي في كتابه الأسرار الفاطميّة قال: وقال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت المحسن من بطنها. وعن لسان الميزان: إنّ عمر رفس فاطمة عليها السلام حتّى أسقطت بمحسن! (الأسرار الفاطميّة: ص١٢٣). منها: ما رواه الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات قال: استدرك على كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان، وقد ترجم فيه النظام المعتزلي إبراهيم بن سيار البصري (١٦٠–

➔

➔

٢٣١هـ). وقال: قالت المعتزلة إنّما لقّب ذلك النظّام لحسن كلامه نظماً ونثراً، وكان ابن أخت أبي هذيل العلاّف شيخ المعتزلة، وكان شديد الذكاء، ونقل آراءه، فقال: أنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت المحسن في بطنها! (الوافي بالوفيات ج١: ص٥٧). وأيضاً قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم لبيعة حتّى ألقت المحسن من بطنها! (الوافي بالوفيات ج٦: ص١٥). ومنها: ما رواه المحبّ الطبري في كتابه الرياض النضرة قال: فجاء عمر في عصابة، منهم أسيد بن خصير، وسلمة ابن سلامة بن وقش، وهما من بني عبد الأشهل، فصاحت فاطمة عليها السلام وناشدتهم الله، فأخذوا سيفي علي والزبير، فضربوا بهما الجدار حتّى كسروهما، ثمّ أخرجهما عمر يسوقهما! (الرياض النضرة ج١: ص٢١٤). ومنها: ما رواه ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه شرح نهج البلاغة قال: ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميّات وغيرهنّ، فخرجت إلى باب حجرتها ونادت: «يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلّم عمر حتّى ألقى الله» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٤٩). ومنها: ما رواه الخليلي قال: كما نقل صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في الوافي بالوفيات ضمن حرف الألف كلمات وعقائد إبراهيم بن سيّار بن هاني البصري المعروف بالنظّام المعتزلي إلى أن قال النظّام: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت المحسن من بطنها، وهكذا تجد ممّا أخرجه البلاذري والطبري وابن خزاية وابن عبد ربّه والجوهري والمسعودي والنظّام وابن أبي الحديد وابن قتيبة وابن شحنة والحافظ إبراهيم وغيرهم تثبت أنّ علياً وبني هاشم وأخصّ الصحابة إنّما بايعوا بعد التهديد وبعد إجبارهم قسراً، وأنّ أبا بكر وعمر بالغا بالظلم والقسر لأخذ البيعة (أبو بكر بن أبي قحافة: ص٣١٧). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها

🡐

الذين حبّهم إيمان وبغضهم نفاق[(١)]

➔

علماء أهل السنّة. ومن البديهي أنّ كلّ من يقرأ هذه الروايات والوثائق التاريخيّة والمصادر المعتبرة عند أهل السنّة سوف يذعن بأنّ قضية الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام والإرهاب وعصابات العنف، كان من أجل أخذ البيعة من أهل البيت عليهم السلام بالإكراه، وإن كانت فتنتهم فاشلة، حيث أنّ الله تبارك وتعالى رفع شأن أهل البيت عليهم السلام إلى أعلى درجة لم يمكنهم إلاّ نصب العداء لهم ولشيعتهم. وعليه ما ذكره ابن تيميّة واضح البطلان، إذ ما زعمه بقوله: ولم يكره أحد من أهل البيت عليهم السلام على شيء تبيّن كذبه وافترائه، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله من أنّ حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان وبغضه علامة الكفر والنفاق، حسبما جاء في الروايات الصحيحة في كتب علماء أهل السنّة، ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّي صلى الله عليه وآله إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب أنّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلاماته). وقال النووي في شرح الحديث: أنّ من عرف علي بن أبي طالب عليه السلام وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وحبّ النبي صلى الله عليه وآله له وما كان منه من نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ثمّ أحبّ علياً لهذا كان ذلك من دلائل صحّة ايمانه وصدقه في إسلامه، لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ومن أبغضه كان بضد ذلك واستدلّ به على نفاقه وفساد سريرته (شرح صحيح مسلم للنووي ج٢: ص٦٤). ومن الواضح أنّ مخالفة هذه النصوص الصحيحة عن عمد عند جميع أهل

🡐

وأذيّتهم أذيّة خير الرسلﷺ[1]

→

السنة موجب لخروجهم عن طاعة الله ورسولهﷺ والخروج العمدي عن طاعة الله ورسولهﷺ طغيان وضلالة فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات المتواترة الواردة في المصادر الإسلاميّة عن النبيﷺ من آذى فاطمة، أو آذى علياً فقد آذاني، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أنّ رسول اللهﷺ قال: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّما فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها» (صحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبيﷺ). ومنها: ما رواه أيضاً بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول اللهﷺ: «فإنّما ابنتي فاطمة بضعة منّي، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها» (صحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبيﷺ). منها: رواه البخاري في تاريخه الكبير بسنده عن عمرو بن شاس: قال لي النبيﷺ: «آذيتني»، قلت: ما أحبّ أن أوذيك، قال: «من آذى عليّاً فقد آذاني» (انظر التاريخ الكبير ج٦: ص٣٠٦). ومنها: ما رواه أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن عمرو بن شاس الأسلمي قال: وكان من أصحاب الحديبيّة قال: خرجت مع علي إلى اليمن فجفاني في سفري ذلك حتّى وجدت في نفسي عليه، فلمّا قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتّى بلغ ذلك رسول اللهﷺ، فدخلت المسجد ذات غدوة ورسول اللهﷺ في ناس من أصحابه، فلمّا رآني أبدني عينيه - يقول: حدّد إليّ النظر - حتّى إذا جلست قال: «يا عمرو، والله لقد

←

➔

آذيتني»، قلت: أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله، قال: «بلى، من آذى عليّاً فقد آذاني» (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٨٣). ومنها: ما أخرجه ابن حبّان في صحيحه بسنده عن عمرو بن شاس قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «قد آذيتني»، قلت: يا رسول الله، ما أحبّ أن أوذيك، قال: «من آذى عليّاً فقد آذاني» (صحيح ابن حبّان ج١٥: ص٣٦٥). ومنها: ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن محمد ابن إسحاق، وكان من أصحاب الحديبيّة قال: خرجنا مع عليّ عليه السلام إلى اليمن فجفاني في سفره ذلك حتّى وجدت في نفسي، فلمّا قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتّى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله صلى الله عليه وآله في ناس من أصحابه، فلمّا رآني أبدني عينيه - قال: يقول حدّد إليّ النظر - حتّى إذا جلست قال: «يا عمرو، أما والله لقد آذيتني»، فقلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله، قال: «بلى، من آذى عليّاً فقد آذاني». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٢). ومنها: ما رواه الهيثمي بسنده عن سعد بن أبي وقّاص قال: كنت جالساً في المسجد أنا ورجلين معي، فنلنا من علي، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله غضبان يعرف في وجهه الغضب، فتعوّذت بالله من غضبه، فقال: «ما لكم وما لي؟ من آذى عليّاً فقد آذاني» (مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٩). ومنها: ما رواه ابن عقيل في النصائح الكافية نقلاً عن مسند أحمد بن حنبل من عدّة طرق أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من آذى علياً بعث يوم القيامة يهوديّاً أو نصرانيّاً» (النصائح الكافية لابن عقيل: ص٩٣). ومنها: ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة عن أبيه قال: جاء رجل من أهل الشام فسبّ عليّاً عند ابن عبّاس، فحصبه ابن عبّاس فقال: يا عدوّ الله آذيت رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا**

➔

ليحرقوهم لو لم يبايعوه[(١)].

وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً لآذيته. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢١). ومنها: ما رواه الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين بسنده عن زيد ابن خالد وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني الحسين بن علي وهو آخذ بشعره، قال: «حدّثني علي بن أبي طالب وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بشعره، قال: من آذى شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله، قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾» (نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص١٠٥). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذه المضامين فإنّها تدلّ على أنّ إيذاء فاطمة الزهراء عليها السلام وإيذاء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإيذاء أهل البيت عليهم السلام إيذاء للنبي صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ واقعة الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام وإحراق باب دارها كسر ضلعها وإسقاط جنيها لأخذ البيعة من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، من الروايات المتواترة لدى جميع علماء الإسلام. وهي تعتبر من أهمّ الرزيا التي حدثت في الإسلام حيث أنّ هذه الفاجعة المؤلمة التي صدرت من أتباع السقيفة قد غيّرت مصير الأمّة وصارت سبباً لانحرفها عن خطّ الرسالة الإلهيّة وانغماسها في هاوية النفاق والخذلان ، وقد روى هذه الحادثة المفجعة كبار علماء أهل السنّة وقبل ذكر الروايات لا بدّ أن نشير هنا إلى نقاط مهمّة لا بدّ من معرفتها في المقام وهي:

النقطة الأولى: هي عصمة الزهراء عليها السلام في القرآن وكلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

➔

النقطة الثانية: هي مكانة دار الزهراءعليها السلام في القرآن والسنّة النبوية.

النقطة الثالثة: هي ما يترتب على هتك حرمة دار الزهراءعليها السلام بعد رحيل أبيها رسول الله عليها السلام. وبعد بيان هذه النقاط الثلاث ينفتح المجال للباحثين عن أهمية الرويات الواردة في إيذاء الزهراءعليها السلام في المصادر المعروفة السنّية.

أمّا عصمة الزهراءعليها السلام فيدلّ عليها آية التطهير، وسنذكر الآية وتفسيرها عن المصادر السنية في محلّه إن شاء الله تعالى. وأمّا في كلام النّبي الأكرمصلى الله عليه وآله، فقد كانت فاطمةعليها السلام بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله تتمتّع بمكانة عالية عند الله وعند أبيهاصلى الله عليه وآله، والأحاديث الواردة في عصمتها وطهارتها بالغة عن حدّ التواتر، منها: ما قال رسول اللهصلى الله عليه وآله في شأنها: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). وقالصلى الله عليه وآله: «إنّما فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها» (صحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبيصلى الله عليه وآله). وقالصلى الله عليه وآله: «فإنّما ابنتي فاطمة بضعة منّي، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها» (صحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبيصلى الله عليه وآله). ومن الواضح أنّ غضب رسول اللهصلى الله عليه وآله موجب لأذاه ومن يسبّب الأذى لرسول اللهصلى الله عليه وآله يقع مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (سورة التوبة:٦١). وأي دليل أقوى على عصمتهاعليها السلام من أنّ رضاهاعليها السلام رضى رسول اللهصلى الله عليه وآله، حيث أنّ رضى رسول اللهصلى الله عليه وآله، رضى الله عزّ وجلّ، وأنّ غضبهاعليها السلام غضب رسول اللهصلى الله عليه وآله، وغضب رسول اللهصلى الله عليه وآله، غضب الله عزّو جلّ كما ورد في النبويّ الشريفصلى الله عليه وآله: «يا فاطمة إنّ الله يغضبُ لغضبك ويَرضى لرضاك» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النسابوري ج٣: ص١٥٤، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص٢٠٣). ولعلّ هذا المقام الرفيع،

➔

➔

للزهراء عليها السلام دعى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلقّبها بسيّدة نساء العالمين، إذ يقول في حقّها: «يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٨٣ كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام). وفي رواية أخرى: «سيّدة نساء المؤمنين» أو «سيّدة نساء هذه الأمّة» (انظر صحيح البخاري ج٧: ص١٤٢ كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس ولم يخبر بسرّ حاجته فإذا مات أخبر به). وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وآله: أنّها «سيّدة نساء العالمين» (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النسابوري ج٣: ص١٥٦). فإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين معناه أنّها معصومة، لأنّ في نساء العالمين مريم ابنة عمران عليها السلام التي كانت معصومة، وبهذا الحديث يتضح أنّ مقام الزهراء عليها السلام أعلى من مقام مريم عليها السلام حتّى في العصمة.

وأمّا مكانة دار الزهراء عليها السلام في القرآن والسنّة فقد ذكر المفسّرون والمحدّثون، أنّه عندما نزل قوله تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾ (سورة النور:٣٦). قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية في المسجد فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: «بيوت الأنبياء»، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله أهذا البيت منها؟ - مشيراً إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام - قال صلى الله عليه وآله: «نعم من أفاضلها!» (انظر الدرّ المنثور ج٥: ص٥٠، وتفسير روح المعاني للآلوسي ج١٨: ص١٧٤). وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة أشهر بعد نزول هذه الآية ينادي عند مروره من جانب بيت فاطمة عليها السلام - وعلي عليه السلام - وهو ذاهب إلى صلاة الصبح ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (الدرّ المنثور ج٥: ص١٩٩). فهذه مكانة دار الزهراء عليها السلام التي كانت مهبط الوحي، ومنبع النور الإلهيّ، وقد أمر الله تعالى بأن ترفع ويذكر فيها اسمه...

➔

←

أجل هذه الدار التي تضمّ أصحاب الكساء عليهم السلام وقد ذكرها الله عزّ وجلّ بتبجيل وإجلال، فيجب أن تكون محلّ تقدير واحترام عند المسلمين قاطبة، ولكن لنرى كم روعيت حرمة هذه الدار بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟ وكيف تجرؤوا على هتك حرمتها؟ فقد اعترف كبار علماء أهل السنّة بالصراحة، بعدم مراعاة الصحابة حرمة هذا الدار، وذكروا أسماء أولئك الهتّاكون لذلك البيت العظيم، وما كانت بغيتهم!!! مع انّ الصحابة كانوا يعلمون عظمة بيت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، حيث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ هذه الآية ومشيراً إلى بيتهما: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾ (انظر الدرّ المنثور للسيوطي ج٥: ص١٩٩). وإلى غير ذلك ممّا رواه كبار المحدّثين والمفسّرين من أهل السنّة.

وأمّا هتك حرمة دار الزهراء عليها السلام بعد رحيل والدها الكريم صلى الله عليه وآله وبعد الوصايا العديدة والمؤكّدة التي صدرت من النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله لعظمة ذلك البيت الرفيع، ومع الأسف قد تجرّأ جماعة من الصحابة إلى هتك حرمة ذلك الدار. وليست هذه المسألة بالتي يمكن إنكارها إطلاقاً ونحن نورد نصوصاً في هذه المجال من كتب أهل السنّة ومصادرهم المعتبرة عندهم، ليتّضح أنّ مسألة هتك حرمة بيت الزهراء عليها السلام والأحداث التي تعقّبت بعد هذا الحادث إنّما هي حقيقة تاريخيّة مسلّمة، بالرغم من أن عصر الخلفاء الثلاثة كانت تعاني الشدّة والإرهاب والعنف لأصحاب التدوين، ومع ذلك أنّ هذه الحقيقة التاريخيّة حُفظت بصورة حيّة في الكتب التاريخ والمصادر الحديثيّة. وعلى هذا فنحن نأخذ بنظر الاعتبار في نقلنا التاريخي من الوثائق والمصادر المعتبرة عند أهل السنّة، ثمّ نضيف إليها ما ورد في كتب الشيعة من باب التأكيد. أمّا ما جاء في كتب أهل السنّة، فمنها: ما رواه ابن

←

➔

أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله! والله ما من أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت، قال: فلمّا خرج عمر جاؤوها فقالت: «تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقنّ عليكم البيت» (المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص٥٧٢). ومنها: ما رواه الطبري في تاريخه بسنده عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطّاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلّتاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه (تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٣). ومنها: ما رواه ابن عبد ربّه الأندلسي في كتابه العقد الفريد قال: ومن حديث حذيفة قال: كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله عظيم، فقال: إنّي لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدُوا بالذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّار، وما حدّثكم ابن مسعود فصدّقوه. الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر: علي والعبّاس والزبير وسعد بن عُبادة. فأمّا عليّ والعباس والزبير، فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يُضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة، فقالت: «يا بن الخطّاب، أجئت لتحرق دارنا؟» قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمّة (العقد الفريد ج٢: ص٧٣). ومنها: ما رواه ابن عبد البرّ في الاستيعاب بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه: أنّ عليّاً والزبير كانا حين بويع لأبي

←

➔
بكر يدخلان على فاطمة فيشاورانها ويتراجعان في أمرهم فبلغ ذلك عمر، فدخل عليها عمر، فقال: يا بنت رسول الله، والله ما كان من الخلق أحد أحبّ إلينا من أبيك وما أحد أحبّ إلينا بعده منك، ولقد بلغني أن هؤلاء النفر يدخلون عليك ولئن بلغني لأفعلنّ ولأفعلنّ. ثمّ خرج وجاءوها فقالت لهم: إنّ عمر قد جاءني وحلف لئن عدّتم ليفعلنّ، وأيم الله ليفين بها، فانظروا في أمركم ولا ترجعوا إليّ. فانصرفوا فلم يرجعوا حتّى بايعوا لأبي بكر. تحريف كلمة من لأحرقنّ عليكم إلى لأفعلنّ ولأفعلنّ (الاستيعاب لابن عبد البرّ ج١: ص٢٩٨). ومنها: ما رواه ابن قتيبة الدينوري في كتابه الإمامة والسياسة عند ذكره الوقائع الحادثة بعد السقيفة منها: الغارة على بيت الوحي قال في حديث طويل: إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليعليه السلام، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لاحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن!! ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا فاطمة فدقّوا الباب، فلّما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبتاه يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة»، فلمّا سمع القوم صوتها وبكائها انصرفوا. وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟» فقالوا: إذاً والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك...! (الإمامة والسياسة: ص٣٠) ومنها: ما رواه المتّقي الهندي في كنز العمّال: عن أسلم أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله كان علي والزبير يدخلون على فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله ويشاورونها ويرجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله، ما من الخلق أحد أحبّ إلى من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما
➔

➔

ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بهم أن يحرق عليهم الباب ، فلمّا خرج عليهم عمر جاؤها قالت: «تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم بايعوا لأبي بكر» (كنز العمّال ج٥: ص٦٥١). ومنها: ما رواه مقاتل بن عطية في كتابه الإمامة والسياسة: إنّ أبا بكر بعد أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب والسيف والقوّة أرسل عمر وقنفذاً وجماعة إلى دار علي وفاطمة عليهما السلام وجمع عمر الحطب على دار فاطمة وأحرق باب الدار... (انظر كتاب الإمامة والخلافة: ص١٦٠). ومنها: ما رواه أبو عبيد في كتابه الأموال بسنده عن عبد الرحمن ابن عوف قال: دخلت على أبي بكر في مرضه عائداً... فقال بعد كلام طويل: أجل، إنّي لا آسى عن شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددت أنّي فعلتهنّ – إلى أن قال –: فأمّا الثلاث التي فعلتهنّ وددت إنّي تركتهنّ.. – منها –: فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته وأن أغلق على الحرب (انظر الأموال: ص١٤٤). ومنها: ما رواه الطبراني في كتاب المعجم الكبير في كلام حول أبي بكر وخطبه ووفاته: ودّ أبو بكر عند موته أموراً: ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركته ثلاث تركتهنّ، وددت أنّي فعلته أمّا الثلاث اللائي وددت أنّي لم أفعلهنّ، فوددت أنّي لم أكن أكشف بيت فاطمة وتركته... (المعجم الكبير للطبراني ج١: ص٦٢). ومنها: ما رواه المسعودي في مروج الذهب: أنّه لمّا احتُضِرَ – أي أبو بكر – قال: أجل، إنّي لا آسى عن شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ – منها – وددت أنّي لم أكن فتّشت بيت فاطمة، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً (مروج الذهب ج٣: ص٣٠١). ومنها ما رواه الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد: عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه: ...ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لم

🡐

➔

أفعلهنّ وثلاث لم أفعلهنّ وددت أنّي فعلتهن وثلاث وددت أنّي سألت رسول اللهﷺ عنهنّ، فأمّا الثلاث التي وددت أنّي لم أفعلهن، فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أعلق على الحرب (مجمع الزوائد للهيثمي ج٢: ص٣٥٣). ومنها: ما رواه ابن أبي دارم على ما رواه الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال، فإنّه نقل أحمد بن محمّد المعروف بـ"ابن أبي دارم" المحدّث الكوفي (المتوفي ٣٥٧) إذ يقول محمّد بن أحمد بن حمّاد الكوفي في مدحه كان مستقيم الأمر، عامّة دهره، ونظراً إلى مكانته هذه يقول، قُرأ هذا الحديث في محضره: إنّ عمر رفس فاطمة حتّى اسقطت بمحسن (ميزان الاعتدال ج١: ص١٣٩). ومنها: ما رواه الشهرستاني عن إبراهيم بن سيّار النظّام، فإنّه قد روى إنّ عمر ضرب فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها وكان عمر يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها! وما كان بالدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٥٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أنّه دخل على أبي بكر يعوده في مرضه الذي مات فيه: ...ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أني لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهنّ، وثلاث وددت أنّي سألت رسول اللهﷺ عنهنّ، فأمّا الثلاث التي وددت أني لم أفعلهنّ: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أغلق على الحرب (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤١٨). وقال: فأمّا التي وددت أنّي تركتهنّ فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤٢٠). وقال: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وأنّي أغلق على المحارب (انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤٢١). وقال: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وإن أغلق على الحرب

➔

➔

(انظر تاريخ دمشق ج٣٠: ص٤٢٢). وقال الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام: عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، وقد رواه الليث ابن سعد، عن علوان، عن صالح نفسه قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه... ثمّ قال: أمّا إني لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ، وثلاث وددت أنّي سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله عنهنّ: وددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وأن أغلق علي الحرب (تاريخ الإسلام للذهبي ج١: ص٣٨٥). ومنها ما رواه الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد: عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه: ...ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لم أفعلهنّ وثلاث لم أفعلهنّ وددت أنّي فعلتهنّ وثلاث وددت أنّي سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله عنهنّ، فأمّا الثلاث التي وددت أنّي لم أفعلهنّ فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أغلق على الحرب (مجمع الزوائد للهيثمي ج٢: ص٣٥٣). ومنها: ما رواه الذهبي في ميزان الاعتدال: بسنده عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر أعوده، ثمّ قال عبد الرحمن: ما أرى بك بأساً والحمد لله، فلا تأس على الدنيا، فوالله إن علمناك إلاّ كنت صالحاً مصلحاً فقال: إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث وددت أنّي لم أفعلهنّ: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته، وأن أغلق على الحرب وددت أنّي يوم السقيفة كنت قذفت الأمر في عنق أبي عبيدة أو عمر، فكان أميراً وكنت وزيراً... (ميزان الاعتدال للذهبي ج٣: ص١٠٩). ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين: عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «لمّا ولدت فاطمة الحسن جاء النبي صلّى الله عليه وآله، فقال: أروني ابني ما سمّيتموه؟» قال: «قلت: سمّيته حرباً، قال: بل هو حسن، فلمّا ولدت الحسين جاء رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: أروني

🡐

➔

ابني ما سمّيتموه؟» قال: «قلت: سمّيته حرباً، فقال: بل هو حسين، ثمّ لمّا ولدت الثالث جاء رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أروني ابني ما سمّيتموه؟ قلت: سمّيته حرباً، قال: بل هو محسن، ثمّ قال: إنّما سمّيتهم باسم ولد هارون شبّر وشبير ومشبّر». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٦٥). وقال الذهبي في الهامش: صحيح رواه إسرائيل عن جدّه (انظر التلخيص على المستدرك للذهبي ج٣: ص١٦٥). منها ما رواه المحب الطبري في ذخائر العقبى قال: ذكر تسميتهما يوم سابعهما عن علي عليه السلام قال: «لمّا ولد الحسن سمّيته حرباً، فجاء النبي صلى الله عليه وآله، فقال: أروني ابني ما سمّيتموه؟ قلنا: حرباً، قال: بل هو حسن، فلمّا ولد الحسين سمّيته حرباً، فجاء النبي صلى الله عليه وآله قال: أروني ابني ما سمّيتموه، فقلنا: سمّيناه حرباً، فقال: بل هو حسين فلمّا ولد الثالث سمّيته حرباً، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: أروني ابني ما سمّيتموه؟ فقلنا سمّيناه حرباً فقال: بل هو محسن، ثمّ قال: إنّما سمّيتهم بولد هرون شبّر وشبير ومشبّر». خرجه أحمد وأبو حاتم (انظر ذخائر العقبى ج١: ص١١٩). وأيضاً: ذكر ولد فاطمة عليها السلام عن الليث ابن سعد قال: تزوّج علي فاطمة فولدت له حسناً وحسيناً ومحسناً وزينب وأمّ كلثوم ورقيّة، فماتت رقيّة ولم تبلغ، وقال غيره ولدت حسناً وحسيناً ومحسناً، فهلك محسن صغيراً وأمّ كلثوم وزينب ولم يتزوّج عليها حتّى ماتت عليها السلام (انظر ذخائر العقبي ج١: ص٥٥). ومنها ما رواه البلاذري في أنساب الأشراف قال: المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التيمي، وعن ابن عون أنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه قبس فتلقته فاطمةُ على الباب، فقالت فاطمة: «يا بن الخطّاب، أتراك محرّقاً علي بابي؟» قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك. وجاء علي فبايع وقال: كنتُ عزمتُ أن لا أخرج من منزلي حتّى أجمع

➔

←

القرآن (أنساب الأشراف للبلاذري ج١: ص٢٥٢). ومنهم اليعقوبي في تاريخه: وبلغ أبا بكر وعمر أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول اللهﷺ، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار، وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر، فصارعه عمر فصرعه، وكسر سيفه، ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: «والله لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري ولأعجنّ إلى الله!» فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم، ثمّ قام عمر، فمشى معه جماعة، حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة»، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٦). ومنها: ما رواه الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال قال: أحمد ابن محمّد بن السري بن يحيى المعروف بابن أبي دارم: قال محمّد بن أحمد بن حمّاد الكوفي فيما قال: ...ثمّ كان في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن! (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج١: ص١٣٩). وعنه أيضاً قال الحاكم: وقال محمّد بن حماد الحافظ، كان مستقيم الأمر عامّة دهره، ثمّ في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه أن عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت محسناً! (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج١٥: ص٥٧٨) ومنهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمةعليها السلام يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام! (الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٥٧) وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم.

→

➔

وأمّا ما رواه الشيعة الإمامية، فمنها: ما رواه المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام: فقال: يا مولاي، ما في الدموع من ثواب؟ قال: «ما لا يحصى...» إلى أن تقول الرواية: فقال له الإمام الصادق عليه السلام: «ولا كيوم محنتنا في كربلاء، وإن كان يوم السقيفة، وإحراق النار على باب أمير المؤمنين، والحسن والحسين، وفاطمة، وزينب، وأمّ كلثوم عليهم السلام، وفضّة، وقتل محسن بالرفسة أعظم وأدهى وأمر، لأنّه أصل يوم العذاب» (انظر الهداية لابن حمدان الخصيبي: ص٤١٧). وقال عليه السلام: «ويأتي محسن مخضّباً محمولاً تحمله خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين» الخ (انظر نوائب الدهور للعلاّمة السيد ميرجهاني: ص١٩٤). ومنها: ما رواه المفضل أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام وهو يتحدّث فيه عن الإمام الحجّة عجّل الله فرجه، ورجعة بعض الأموات فكان ممّا قاله عليه السلام: «ضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة عليها السلام، والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام لإحراقهم بها، وضرب يد الصديقة الكبرى فاطمة عليها السلام بالسوط، ورفس بطنها وإسقاطها محسناً...» إلى أن تقول الرواية: «وجمعهم الجزل والحطب على الباب لإحراق بيت أمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة عليها السلام، والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام، وزينب عليها السلام، وأمّ كلثوم عليها السلام، وفضّة، وإضرامهم النار على الباب، وخروج فاطمة عليها السلام، وخطابها لهم من وراء الباب وقولها: ويحك يا عمر، ما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه، وتطفئ نور الله والله متّم نوره». ثم تذكر الرواية جواب عمر لها وفيه: «فاختاري إن شئت خروجه لبيعة أبي بكر أو إحراقكم جميعاً» (بحار الأنوار ج٥٣: ص١٧). وتقول هذه الرواية أيضاً: «وإدخال قنفذ يده (لعنه الله) يروم فتح الباب، وضرب عمر لها بالسوط على عضدها حتّى صار كالدملج الأسود، وركل الباب برجله حتّى أصاب بطنها، وهي حامل بالمحسن

➔

➔

لستّة أشهر وإسقاطها إيّاه وهجوم عمر، وقنفذ وخالد بن الوليد، وصفقة خدّها حتّى بان قرطها تحت خمارها، وهي تجهر بالبكاء، وتقول: "وا أبتاه وا رسول الله، ابنتك فاطمة تكذّب، وتضرب، ويقتل جنينها في بطنها" وخروج أمير المؤمنين عليه السلام من داخل الدار محمرّ العين حاسراً...»، إلى أن قال: «فقد جاءها المخاض من الرفسة، ورد الباب، فأسقطت محسناً» (انظر بحار الأنوار ج٥٣: ص١٤). ومنها: ما رواه سليم ابن قيس، عن سلمان وعبد الله بن عبّاس، فذكرا: إنّه بعد أن بويع أبو بكر، بعثا – أبو بكر وعمر – مراراً، وأبى علي عليه السلام أن يأتيهم، فوثب عمر غضبان، ونادى خالد ابن الوليد وقنفذاً، فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً، ثمّ أقبل حتّى انتهى إلى باب علي وفاطمة عليها السلام قاعدة خلف الباب، وقد عصبت رأسها، ونحل جسمها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل عمر حتّى ضرب الباب، ثمّ نادى: يا ابن أبي طالب، افتح الباب. فقالت فاطمة عليها السلام: «يا عمر، ما لنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه؟!» قال: افتحي الباب، وإلاّ أحرقنا عليكم، فقالت: «يا عمر، أما تتّقي الله عزّ وجلّ؟ تدخل على بيتي وتهجم على داري؟» فأبى أن ينصرف، ثمّ دعا بالنار، فأضرمها في الباب فأحرق الباب، ثمّ دفعه عمر، فاستقبلته فاطمة وصاحت: «يا أبتاه يا رسول الله» الخ... (بحار الأنوار ج٤٣: ص١٩٧، وكتاب سليم بن قيس: ص٢). وثمّة تفصيلات أخرى لما جرى فراجع (انظر بحار الأنوار ج٢٨: ص٢٦٨). وفي رواية الشيخ المفيد رحمه الله: أنفذ عمر بن الخطّاب قنفذاً وقال له: أخرجهم من البيت، فإن خرجوا وإلاّ فاجمع الأحطاب على بابه، وأعلمهم أنّهم إن لم يخرجوا أضرمت عليهم البيت ناراً. ثمّ قام بنفسه في جماعة منهم المغيرة بن شعبة الثقفي وسالم مولى أبي حذيفة حتّى صاروا إلى باب علي عليه السلام، فنادى: يا فاطمة بنت رسول الله، أخرجي من اعتصم ببيتك ليبايع ويدخل فيما دخل فيه المسلمون، وإلاّ – والله – أضرمت عليهم ناراً...

➔

➔

وفي حديث مشهور (الجمل: ص١١٧). وفي نصّ آخر: أنّه حين بويع لأبي بكر كان علي عليه السلام والزبير يدخلون على فاطمة عليها السلام ويشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فبلغ ذلك عمر فجاء إلى فاطمة فقال: يا بنت رسول الله، والله ما من الخلق أحبّ إليّ من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله، ما ذلك بمانعي إن اجتمع النفر عندك أن آمر بهم أن يحرق عليهم الباب. فلمّا خرج عمر جاءوها، قالت: «تعلمون أنّ عمر قد جاءني، وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقنّ عليكم الباب، وأيم الله ليمضين ما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فرّوا رأيكم» الخ... فانصرفوا عنها...(الشافي ج٤: ص١١٠). وقد روى جماعة عن عمر أنّه قال: فلمّا انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمة عليها السلام أغلقت الباب في وجوههم، وهي لا تشكّ أن لا يدخل عليها إلاّ بإذنها، فضرب عمر الباب برجله فكسره وكان من سعف، ثمّ دخلوا فأخرجوا علياً عليه السلام ملبّباً (انظر البحار ج٢٨: ص٢٢٨، وفي تفسير العياشي ج٢: ص٦٨، والاختصاص للشيخ المفيد: ص١٨٥). وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وآله قال في وصيّته لعلي عليه السلام عن فاطمة: «وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقّها وبارزها» (انظر بحار الأنوار ج٢٢: ص٤٨٥، وخصائص الأئمة عليهم السلام: ص٧٢). وفي حديث مروي عن الزهراء عليها السلام نفسها تقول: «فجمعوا الحطب الجزل على بابنا، وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفت بعضادة الباب، وناشدتهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنّا وينصرونا، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ مولى أبي بكر، فضرب به عضدي، فالتوى السوط على عضدي حتّى صار كالدملج، وركل الباب برجله، فردّه علي وأنا حامل، فسقطت لوجهي والنار تسعر، وتسفع وجهي، فضربني بيده حتّى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض، فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم» (بحار الأنوار ج٣٠: ص٣٤٨). وقد ذكر

🡐

←

المجلسي رحمه الله: أنّه عهداً كان كتبه الخليفة الثاني إلى معاوية يحكي فيه له ما جرى لهم مع الزهراء عليها السلام، وقد جاء فيه قوله: فأتيت داره مستيشراً لإخراجه منها، فقالت الأمة فضّة... وقد قلت لها قولي لعلي: يخرج إلى بيعة أبي بكر فقد اجتمع عليه المسلمون، فقالت: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مشغول، فقلت: خلي عنك هذا وقولي له: يخرج وإلاّ دخلنا عليه وأخرجناه كرهاً. فخرجت فاطمة عليها السلام فوقفت من وراء الباب فقالت: «أيّها الضالون المكذّبون! ماذا تقولون؟ وأيّ شيء تريدون؟» فقلت: يا فاطمة، فقالت فاطمة: «ما تشاء يا عمر؟!» فقلت: ما بال ابن عمّك قد أوردك للجواب وجلس من وراء الحجاب؟ فقالت لي: «طغيانك - يا شقي - أخرجني وألزمك الحجّة، وكلّ ضالّ غوي»، فقلت: دعي عنك الأباطيل وأساطير النساء وقولي لعلي يخرج، فقالت: «لا حبّاً ولا كرامة، أبحزب الشيطان تخوّفني يا عمر؟! وكان حزب الشيطان ضعيفاً»، فقلت: إن لم يخرج جئت بالحطب الجزل وأضرمتها ناراً على أهل هذا البيت وأحرق من فيه، أو يقاد علي إلى البيعة. وأخذت سوط قنفذ فضربت وقلت لخالد بن الوليد: أنت ورجالنا هلمّوا في جمع الحطب، فقلت: إنّي مضرمها، فقالت: «يا عدوّ الله وعدوّ رسوله وعدوّ أمير المؤمنين»، فضربت فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه فرمته فتصعب عليّ، فضربت كفّيها بالسوط فآلمها، فسمعت لها زفيراً وبكاء، فكدت أن ألين وأنقلب عن الباب فذكرت أحقاد عليّ وولوعه في دماء صناديد العرب، إلى أن قال: فركلت الباب وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه، وسمعتها وقد صرخت صرخة حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها، وقالت: «يا أبتاه يا رسول الله! هكذا كان يفعل بحبيبتك وابنتك، آه يا فضّة! إليك فخذيني، فقد والله قتل ما في أحشائي من حمل»، وسمعتها تمخض وهي مستندة إلى الجدار، فدفعت الباب ودخلت فأقبلت إليّ بوجه أغشى بصري،

←

➔

فصفقت صفقة على خدّيها من ظاهر الخمار فانقطع قرطها وتناثرت إلى الأرض، وخرج علي، فلمّا أحسست به أسرعت إلى خارج الدار، وقلت لخالد وقنفذ ومن معهما: نجوت من أمر عظيم. وفي رواية أخرى: قد جنيت جناية عظيمة لا آمن على نفسي، وهذا علي قد برز من البيت وما لي ولكم جميعاً به طاقة. فخرج علي وقد ضربت يديها إلى ناصيتها لتكشف عنها وتستغيث بالله العظيم ما نزل بها، فأسبل علي عليها ملاءتها وقال لها: «يا بنت رسول الله! إنّ الله بعث أباك رحمة للعالمين...»، إلى أن قال: «فكوني - يا سيّدة النساء - رحمة على هذا الخلق المنكوس ولا تكوني عذاباً». واشتدّ بها المخاض ودخلت البيت فأسقطت سقطاً سمّاه علي "محسناً"، وجمعت جمعاً كثيراً لا مكاثرة لعلي ولكن ليشدّ بهم قلبي، وجئت - وهو محاصر - فاستخرجته من داره... إلى أن قال: وأبو بكر يقول: ويلك يا عمر، ما الذي صنعت بفاطمة (بحار الأنوار ج٣٠: ص٢٩٣). وقال الفيض الكاشاني: ...ثمّ إنّ عمر جمع جماعة من الطلقاء المنافقين وأتى بهم إلى منزل أمير المؤمنين عليه السلام، فوافوا بابه مغلقاً، فصاحوا به: أخرج يا علي، فإنّ خليفة رسول الله يدعوك، فلم يفتح لهم الباب. فأتوا بحطب فوضعوه على الباب، وجاؤا بالنار ليضرموه، فصاح عمر وقال: والله لئن لم تفتحوا لنضرمنّه بالنار. فلمّا عرفت فاطمة عليها السلام أنّهم يحرقون منزلها، قامت وفتحت الباب، فدفعوها القوم قبل أن تتوارى عنهم. فاختبأت فاطمة عليها السلام وراء الباب والحائط، ثمّ إنّهم تواثبوا على أمير المؤمنين وهو جالس على فراشه، واجتمعوا عليه حتّى أخرجوه سحباً من داره، ملبّباً بثوبه، يجرّونه إلى المسجد، فحالت فاطمة عليها السلام بينهم وبين بعلها، وقالت: «والله، لا أدعكم تجرّون ابن عمّي ظلماً...» إلى أن تقول الرواية: فتركه أكثر القوم لأجلها. فأمر عمر قنفذ بن عمران أن يضربها بسوطه، فضربها قنفذ بالسوط على

🡐

➔

ظهرها وجنبيها إلى أن أنهكها، وأثر في جسمها الشريف، وكان ذلك الضرب أقوى ضرر في إسقاط جنينها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله سمّاه محسناً، وجعلوا يقودون أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد حتّى أوقفوه بين يدي أبي بكر، فلحقته فاطمة عليها السلام لتخلصه فلم تتمكّن من ذلك، فعدلت إلى قبر أبيها، فأشارت إليه... الخ (علم اليقين للفيض الكاشاني: ص٦٨٦). وقد أشار إلى ذلك معاوية في كتابه إلى أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: وما يوم المسلمين منك بواحد، لقد حسدت أبا بكر...! والتويت عليه، ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك عنه، واستغويت عصابة من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته... (انظر بحار الأنوار ج٣٣: ص٦٢). وفي رواية الطبرسي في الاحتجاج عن أبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني: ...فذهب إليهم عمر في جماعة ممّن بايع فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة، فألفوهم مجتمعين، فقالوا لهم: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس! فوثب الزبير إلى سيفه، فقال عمر: عليكم بالكلب فاكفونا شرّه، فبادر سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يده، فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره، وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم ومضوا بجماعتهم إلى أبي بكر، فلمّا حضروا قالوا: بايعوا أبا بكر! فقد بايعه الناس، وأيم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنّكم بالسيف... فلمّا رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل رجل فجعل يبايع، حتّى لم يبق ممّن حضر إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: بايع أبا بكر، فقال علي عليه السلام: «أنا أحقّ بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً؟! ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطوكم المقادة، وسلّموا لكم الإمارة؟ وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، أنا أولى برسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً وميّتاً، وأنا وصيّه ووزيره،

➔

➔

ومستودع سرّه وعلمه، وأنا الصدّيق الأكبر، أوّل من آمن به وصدقه، وأحسنكم بلاء في جهاد المشركين، وأعرفكم بالكتاب والسنّة، وأفقهكم في الدين، وأعلمكم بعواقب الأمور، وأذربكم لساناً، وأثبتكم جناناً، فعلام تنازعونا هذا الأمر..؟! أنصفونا - إن كنتم تخافون الله - من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفته الأنصار لكم، وإلاّ فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون»، فقال عمر: أما لك بأهل بيتك أسوة؟! فقال علي عليه السلام: «سلوهم عن ذلك...»، فابتدر القوم الذين بايعوا من بني هاشم، فقالوا: ما بيعتنا بحجّة على علي عليه السلام... ومعاذ الله أن نقول أنا نوازيه في الهجرة وحسن الجهاد والمحلّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: إنّك لست متروكاً حتّى تبايع طوعاً أو كرهاً، فقال علي عليه السلام: «احلب حلباً لك شطره، اشدد له اليوم ليرد عليك غداً، إذاً والله لا أقبل قولك، ولا أحفل بمقامك ولا أبايع»، فقال أبو بكر: مهلاً يا أبا الحسن! ما نشدد عليك ولا نكرهك، فقام أبو عبيدة إلى علي عليه السلام فقال: يا ابن عمّ! لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك، ولكنّك حدث السنّ - وكان لعلي عليه السلام يومئذ ثلاث وثلاثون سنة - وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك، وهو أحمل لثقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه فسلّم له، فإن عمّرك الله لسلّموا هذا الأمر إليك، ولا يختلف عليك اثنان بعد هذا إلاّ وأنت به خليق وله حقيق... ولا تبعث الفتنة قبل أوان الفتنة، قد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا معاشر المهاجرين والأنصار! الله الله لا تنسوا عهد نبيّكم إليكم في أمري ولا تخرجوا سلطان محمّد من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم وتدفعوا أهله عن حقّه ومقامه في الناس، يا معاشر الجمع! إنّ الله قضى وحكم ونبيّه أعلم وأنتم تعلمون إنّا أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم، أما كان منّا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، المضطلع بأمر الرعية؟ والله إنّه لفينا

🡐

فمن النقلة عبد الله وعثمان ابنا أبي شيبة[١]، وابن عبد البرّ[٢]، وابن قتيبة[٣]، وصاحب العقد الفريد[٤]، وصاحب كتاب السقيفة[٥]، وابن عساكر[٦]، والقاضي جمال الدين[٧]،

لا فيكم، فلا تتّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعداً، وتفسدوا قديمكم بشرّ من حديثكم»، فقال بشير بن سعد الأنصاري (الذي وطأ الأمر لأبي بكر، وقالت جماعة الأنصار): يا أبا الحسن! لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك قبل الانضمام لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان... فقال علي عليه السلام: «يا هؤلاء أكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله مسجّى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه؟» (بحار الأنوار ج٢٨: ص١٧٥). وبعد ملاحظة هذه الروايات وغيرها وضوح دلالتها يتبيّن للباحث أي حرمة انتهكت من أهل البيت عليهم السلام، فلاحظ.

(١) انظر المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص٥٨٢

(٢) انظر الاستيعاب لابن عبد البرّ ج١: ص٢٩٨

(٣) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ص١٢

(٤) انظر العقد الفريد لابن عبد ربّه ج٢: ص٧٣

(٥) السقيفة وفدك للجوهري: ص٧٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٥٧، وج١١: ص١١١

(٦) تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٤١٨

(٧) وهو عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن موسى القاضي الخطيب جمال الدين أبو بكر البخاري ثمّ التبريزي ثم الحرّاني ثم الدمشقي الشافعي في كتابه فوات الوفيات ج٢: ص١٩١.

وإبراهيم بن عبد الله اليمنى[١]، والسيوطي[٢] وغيرهم في كتبهم المعروفة المعتمدة[٣]. فهذه سيرتهم في حقّ من طهّرهم الله سبحانه من الرجس[٤].

---

(١) وهو إبراهيم بن عبدالله اليمني الوصابي الشافعي من علماء قرن العاشر ذكره في كتابه الاكتفاء، راجع تشييد المطاعن للسيد محمد اللكهنوي ج١: ص٤٤٠ نقلاً عن كتاب الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء.

(٢) انظر مسند فاطمة: ص٢٠

(٣) انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ج١: ص٣٨٥، وأنساب الأشراف ج١: ص٢٥٢، والإمامة والخلافة لمقاتل بن عطيّة: ص١٦٠، وكتاب الأموال لأبي عبيد: ص١٤٤، والملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٥٩، ومروج الذهب للمسعودي ج٣: ص٣٠١، وتاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٦، وكنز العمّال ج٥: ص٦٥١ وغير ذلك.

(٤) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الأحزاب:٣٣). وفي الحقيقة مفاد الآية عصمة أهل البيت عليهم السلام، أي تنزهّهم عن جميع أشكال الرجس والموبقات. وقد روى كبار علماء أهل السنّة الروايات المتواترة في تفسير هذه الآية، من أنّها نزلت في وصف أهل بيت النبي عليهم السلام بعد أن جمعهم النبيّ صلى الله عليه وآله تحت الكساء، وقال صلى الله عليه وآله: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي» (انظر تفسير الطبري ج٢٢: ص١٠، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي ج٩: ص٣١٢٩، وتفسير الثعلبي ج٨: ص٤٢، وتفسير السمعاني ج٤: ص٢٨١، وتفسير البغوي ج٣: ص٥٢٩، وتفسير القرطبي ج١٤: ص١٨٤ وغيرهم). وبضميمة ما دلّ على أنّها نزلت قبل ذلك يظهر أنّ الله تعالى أنزلها مرّتين قبل وبعد الكساء. وإليك بعض الروايات الواردة في المقام، منها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة أنّها قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء ←

➔

الحسن بن علي فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء علي فأدخله ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (صحيح مسلم ج٧: ص١٣٠ كتاب الفضائل، باب فضائل أهل بيت النبيﷺ). قال الفخر الرازي: اعلم أنّ هذه الروية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث (انظر تفسير الفخر الرازي ج٨: ص٨٥). ومنها: ما رواه الترمذي في سننه بسنده عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيﷺ قال: لمّا نزلت هذه الآية على النبيﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وفي بيت أمّ سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وعلى خلف ظهره فجلّله بكساء ثمّ قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير» (سنن الترمذي ج٥: ص٣١). ومنها ما رواه الحاكم في مستدرك الصحيحين، بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال: لمّا نظر رسول اللهﷺ إلى الرحمة هابطة قال: «ادعوا لي، ادعوا لي»، فقالت صفيّة: من يا رسول الله؟ قال: «أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين»، فجيئ بهم فألقى عليهم النبيﷺ كساءه، ثمّ رفع يديه ثمّ قال: «اللّهم هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وعلى آل محمّد»، وأنزل الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٤٨). ومنها ما رواه السيوطي في تفسير الآية الشريفة قائلاً: وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع، قال: جاء رسول اللهﷺ إلى فاطمةعليها السلام، ومعه الحسن والحسين وعليّعليه السلام حتّى دخل،

🡐

والسنّي يفتري ويزعم أنّ عليّاًعليه السلام لم يكره على بيعة أبي بكر!! وهل يتصوّر وجود رضا منه بها والحال هذه[1].

➔

فأدنى عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منها على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوباً ثمّ تلا هذه الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، اللّهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» (الدرّ المنثور ج٥: ص١٩٩). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في تفسير الآية. وهناك روايات كثيرة بهذه المضامين رواها كبار أهل السنّة، لم نذكرها رعايةً للاختصار.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ ابن تيميّة نفسه لم يستطع أن ينكر هجوم أصحاب السقيفة على بيت الزهراءعليها السلام، لكثرة الروايات الواردة في كتبهم، وإنّ ردّها يكون من الكذب المفضوح، كما لم يستطع أن ينكر أمر أبي بكر بالهجوم على بيت الزهراءعليها السلام، مع ما كان من شدة التقية في نقل أمثال هذه الأخبار. حيث أنّ أبا بكر نفسه أكّد على هذه الحقيقة المرّة في فراش موته، فقال: فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٣٧، تاريخ الطبري ج٢: ص٦١٩ في حوادث سنة ١٣، والعقد الفريد لابن عبد ربّه ج٥: ص٢١ في باب استخلاف أبي بكر لعمر، ومروج الذهب للمسعودي ج٢: ص٣٠١ باب: ذكر خلافة أبي بكر، والمعجم الكبير للطبراني ج١: ص٦٢، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٣٠: ص٤١٨-٤٢٣ ترجمة أبي بكر، والأحاديث المختارة للمقدسي ج١: ص٨٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣: ص١١٧ في أحداث سنة ثلاث عشر، وكنز العمّال للمتّقي الهندي ج٥: ص٦٣١). ومع ذلك كلّه أنّه لم يستطع هنا إلاّ أن يتمسّك بالعصبيّته الجاهلية دفاعاً عن أبي بكر، وحرّر أكاذيبه

➔

على تقدير صدور البيعة من علي عليه السلام[(١)] فإنّ ابن قتيبة نقل عنه في كتاب

سخيفة وافتراءاته الدالّة على نصبه وعدائه لأهل البيت عليهم السلام. ولكن لا يخفى على الخبير أنّ قضية الهجوم على بيت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ممّا لا يمكن إنكاره، كما لا يمكن إنكار الغاية من الهجوم على بيت الإمام عليه السلام كان لأخذ البيعة منه عليه السلام ومن أهل البيت عليهم السلام قهراً، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه لم يثبت في مصدر من المصادر الشيعة أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بايع أبا بكر حتّى تقيةً، نعم جاء في بعض كتب أهل السنّة أنّه عليه السلام بايع مكرهاً بعد ستّة أشهر، ومن الواضح لدى الخبير أنّه مردود عند الشيعة الإماميّة، أولاً: لأنّ ما رواه أهل السنّة ليس بحجّة عند الشيعة. وثانياً: أنّ البيعة الشرعيّة في الإسلام إنّما هي البيعة الاختيارية، كبيعة النبي صلى الله عليه وآله مع الصحابة، لا البيعة الإكراهية. فإنّ سنّة الرسول صلى الله عليه وآله في البيعة كانت جارية على أخذ البيعة من المسلمين اختياراً ، فإنّ الروايات التي رواها علماء أهل السنّة صريحة في أنّ البيعة كانت عن اختيار كما سيأتي بيانها في محلّه. وأمّا بيعة أبي بكر كانت عن إجبار وإكراه وإرهاب وعنف كما صرّحت بذلك الروايات التي رواها علماء أهل السنّة؛ فقد روى ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر ابن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله! والله ما من أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت، قال: فلمّا خرج عمر جاؤوها فقالت: تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم

➔

ليحرقنّ عليكم البيت وأيم الله ليمضين لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فروا رأيكم ولا ترجعوا إليّ. فانصرفوا عنها فلم يرجعوا إليها حتّى بايعوا لأبي بكر (المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص٥٧٢). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم الدالّة على إجبار والإكراه في أخذ البيعة من الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام. وثالثاً: أنّ الروايات أهل السنّة قد صرّحت بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لم يبايع أبا بكر إلاّ بعد ستّة أشهر كما هو صريح حديث البخاري، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أنّ فاطمةعليها السلام بنت النبيصلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول اللهصلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: لا نورّث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد في هذا المال وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول اللهصلى الله عليه وآله عن حالها التي كان عليها في عهد رسول اللهصلى الله عليه وآله ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول اللهصلى الله عليه وآله. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت وعاشت بعد النبيصلى الله عليه وآله ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها على ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفّيت استنكر على وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر (صحيح البخاري ج٥: ص٨٣ كتاب الغزوات باب غزوة خيبر). فإنّها صريحة في أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لم يبايع أبا بكر مدّة ستّة، وكيف يمكن القول بتأخير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إلى بعد ستّة أشهر، مع أنّ علماء أهل السنّة رووا متواترةً عن النبيصلى الله عليه وآله: من مات وفي عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهليّة (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٨٧ كتاب الفتن، باب

➔

السياسة أنّه حلف على عدم بيعته، بل قال له: «أنا أولى بالبيعة منك»، وتهدّده عمر بالقتل فلم يعتني بذلك، وذلك بعدما بعث إليه رسوله فقال له: "خليفة رسول الله يدعوك"، فقال له: «ما أسرع ما كذبتم على رسوله»، فرجع الرسول إلى أبي بكر فأخبره بذلك، فقال له: عد إليه وقل له: أمير المؤمنين يدعوك، فأتاه وقال له ذلك، فقال له علي عليه السلام: «لقد تسمى بغير اسمه»، فعاد إليه فأخبره بقوله، فقال له: عد إليه وقل: إنّ أبابكر يدعوك... إلى آخر الخبر[1].

➔

قول النبي صلى الله عليه وآله ستـرون بعدي أموراً تنكرونها، وصحيح مسلم ج٦: ص٢٠ كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن). فكيف يمكن لأهل السنّة أن يعتقدوا بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يعمل بهذه الرواية المتواترة. مضافاً إلى أنّ روايات الشيعة دالةّ على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام لن يبايع أبا بكر أبداً كما سنذكرها في محلّه. وعليه فما يذكر في كلام الشيعة من البيعة فإنّها من باب فرض التسليم في مقام البحث فلاحظ.

(١) وإليك نصّ العبارة من كتاب الإمامة والسياسة: قال الراوي: وإنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي عليه السلام، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن! فخرجوا فبايعوا إلاّ عليّاً فإنّه زعم أنّه قال: «حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن»، فوقفت فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: «لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم

➔

➔

تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً»، فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادع لي عليّاً، قال: فذهب إلى علي فقال له: «ما حاجتك؟» فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: «لسريع ما كذبتم على رسول الله»، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانيّة: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ، فأدّى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: «سبحان الله! لقد ادّعى ما لبس له»، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثمّ قام عمر، فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة»، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا عليّاً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟» قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال: «إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله»، قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يصيح ويبكي، وينادي: «يا بن أمّ، إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»، فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلمّا عليها فلم تردّ عليهما السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده،

➔

➔

أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله إلاّ أنّي سمعت أباك رسول اللهﷺ يقول: لا نورّث، ما تركنا فهو صدقة؟ فقالت: «أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول اللهﷺ تعرفانه وتفعلان به؟» قالا: نعم، فقالت: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول اللهﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟» قالا: نعم، سمعناه من رسول اللهﷺ، قالت: «فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه»، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى منّي سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: «والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أصلّيها»، ثمّ خرج باكياً فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي... (الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ص٣٠). وملخّص الكلام أنّ هذه الرواية وغيرها من الروايات الواردة في كتب القوم تدلّ على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام رفض بيعة أبي بكر وأعلن سخطه على المؤامرين الذين تسلطوا على الناس بالإرهاب والعنف فأعرض الإمامعليه السلام عن البيعة لأبي بكر لأنّه لم يكن عنده خليفة رسول الله، وكذلك الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام اعترضت على أبي بكر وأعلمت الناس بأنّها ساخطة على أبي بكر ومن تبعه من الصحابة، ومعناه أنّ رسول اللهﷺ ساخط عليهم. وإنّ مصادر أهل السنّة صريحة في عدم مبايعتها إلى آخر لحظة حياتها باتّفاق جميع المسلمين. وإذا كان الأمر كذلك لا بدّ لأهل السنّة من قبول عدم مشروعيّة بيعة أبي بكر، لأنّ الروايات المتواترة عندهم تدلّ على أنّ بيعة أبي بكر

➔

➔

كانت سبباً لسخط الله ورسولهﷺ. ثمّ إنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بدأ بجهاد في مقابل الغاصبين للحقّ الشرعيّ جهاداً تبليغياً شاخصة لبصيرة الناس، ووقف بجانبه عدد من أجلاّء الصحابة من المهاجرين والأنصار وخيارهم وممّن أشار النبيّﷺ بفضلهم مع إدراكهم لحقائق الأمور مثل: العبّاس ابن عبد المطّلب، وعمّار بن ياسر، وأبي ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد ابن الأسود، وخزيمة ذي الشهادتين، وعبادة بن الصامت، وحذيفة بن اليمان، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبي أيّوب الأنصاري وغيرهم، من الذين لم تستطع أن تسيطر عليهم الغوغائيّة، ولم ترهبهم تهديدات الجماعة التي مسكت بزمام الخلافة. وقد قام عدد منهم معترضاً على بيعة أبي بكر باحتجاجهم عليه، وجرت عدّة محاورات على أبي بكر في مسجد النبيّﷺ وفي أماكن عديدة، ولم يهابوا من إرهاب السلطة ممّا ألهب مشاعر الكثيرين الذين أنجرفوا مع التيّار. ثمّ عاد بعضهم إلى الرشد، وندموا على ما ظهر منهم من تسرّعهم واندفاعهم لعقد البيعة بصورة ارتجاليّة لأبي بكر. بالإضافة إلى ما ظهر منهم من العداء السافر تجاه أهل بيت النبوّة عليهم السلام. وكانت هناك بعض العشائر المؤمنة المحيطة بالمدينة مثل: أسد، وفزارة، وبني حنيفة وغيرهم، ممّن شاهد بيعة يوم الغدير التي عقدها النبيّﷺ وبايعوا لإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بإمرة المؤمنين، فلم يطل بهم المقام حتّى سمعوا بالتحاق النبيّﷺ إلى الرفيق الأعلى والبيعة لأبي بكر، فاندهشوا لهذا الحادث فرفضوا بيعة أبي بكر (انظر تاريخ الطبري ج٤: ص٦١). ثمّ امتنع جماعة منهم عن أداء الزكاة للحكومة الجديدة باعتبارها غير شرعيّة حتّى ينجلي ضباب الموقف، وكانوا على إسلامهم يقيمون الصلاة ويؤدّون جميع الشعائر، ولكنّ السلطة الحاكمة رأت أنّ من مصلحتها أن تجعل حدّاً لمثل

➔

➔

هؤلاء الذين يشكّلون خطراً للحكم القائم، ما دامت معارضة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وصحابته تمثّل خطراً داخلياً لدولتهم الظاهرية، وعندما أحسّ أبو بكر وأنصاره بالخطر المحيط بهم وبحكمهم من خلال تصاعد المعارضة إن لم يبادروا فوراً إلى إيقاف هذا المعارض لانهارت حكومتهم، فعمدوا إلى إجبار رأس المعارضة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للبيعة أبي بكر (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ص٢٩-٣٠). ولكن الظاهر من النصوص ورواياتهم فشلهم من الوصول إلى أهدافهم. وقد ذكر بعض المؤرّخين: أنّ عمر ابن الخطّاب أتى أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك علي! فابعث إليه حتّى يبايعك، فبعث أبو بكر قنفذاً، فقال قنفذ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: أجب خليفة رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في الجواب: «لسريع ما كذبتم على رسول اللهصلى الله عليه وآله»، فرجع فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر ثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه فقل له: خليفة رسول اللهصلى الله عليه وآله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدّى ما أمر به، فرفع الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام صوته وقال: «سبحان الله! لقد ادّعى ما ليس له»، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر: قم إلى الرجل، فقام أبو بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وأبو عبيدة بن الجرّاح وسالم مولى أبي حذيفة، وظنّت فاطمةعليها السلام أنّه لا يدخل بيتها أحد إلاّ بإذنها، فلمّا أتوا باب فاطمةعليها السلام ودقّوا الباب وسمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول اللهصلى الله عليه وآله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة، لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول اللهصلى الله عليه وآله جنازة بأيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم

➔

➔

تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً؟» فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، ودعا عمر بالحطب ونادى بأعلى صوته: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ص٢٩-٣٠). فوقفت فاطمة عليها السلام خلف الباب وخاطبت القوم: «ويحك يا عمر، ما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفئ نور الله؟ والله متمّ نوره»، فركل عمر الباب برجله فاختبأت فاطمة عليها السلام بين الباب والحائط رعاية للحجاب، فدخل القوم إلى داخل الدار ممّا سبّب عصرها عليها السلام، وكان ذلك سبباً في إسقاط جنينها، وتواثبوا على أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس على فراشه، واجتمعوا عليه حتّى أخرجوه ملبّباً بثوبه يجرّونه إلى السقيفة، فحالت فاطمة عليها السلام بينهم وبين بعلها وقالت: «والله لا أدعكم تجرّون ابن عمّي ظلماً، ويلكم ما أسرع ما خنتم الله ورسوله فينا أهل البيت، وقد أوصاكم رسول الله صلى الله عليه وآله باتّباعنا ومودّتنا والتمسّك بنا»، فأمر عمر قنفذاً بضربها فضربها قنفذ بالسوط فصار بعضدها مثل الدملج (انظر مرآة العقول للعلاّمة المجلسي ج٥: ص٣٢٠). فأخرجوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يسحبونه إلى السقيفة حيث مجلس أبي بكر، وهو ينظر يميناً وشمالاً وينادي «واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم، واجعفراه ولا جعفر لي اليوم!!» وقد مرّوا به على قبر أخيه وابن عمّه رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى «يا ابن أمّ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني». وروي عن عدي بن حاتم أنّه قال: والله ما رحمت أحداً قطّ رحمتي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حين أتي به ملبّباً بثوبه، يقودونه إلى أبي بكر وقالوا له: بايع! قال: « فإن لم أفعل فمه؟» قال له عمر: إذن والله أضرب عنقك، قال عليّ: «إذن والله تقتلون عبد الله وأخا رسوله»،

➔

➔

فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسول الله فلا، فقال: «أتجحدون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بيني وبينه؟!»، وجرى حوار شديد بين الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وبين الحزب الحاكم. وعند ذلك وصلت السيّدة فاطمة عليها السلام وقد أخذت بيد ولديها الحسن والحسين عليهما السلام وما بقيت هاشميّة إلاّ وخرجت معها يصحن ويولولن، فقالت فاطمة عليها السلام: «خلّوا عن ابن عمّي!! خلّوا عن بعلي!! والله لأكشفنّ رأسي ولأضعنّ قميص أبي على رأسي ولأدعونّ عليكم، فما ناقة صالح بأكرم على الله منّي، ولا فصيلها بأكرم على الله من ولدي» (انظر الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج١: ص٢٢٢). وجاء في رواية العياشي أنّها قالت: «يا أبا بكر، أتريد أن ترملني عن زوجي وتيتّم أولادي؟ والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعري ولأشقّنّ جيبي ولآتينّ قبر أبي ولأصرخنّ إلى ربّي»، فأخذت بيد الحسن والحسين عليهما السلام تريد قبر أبيها، عند ذلك تصايح الناس من هنا وهناك بأبي بكر: ما تريد إلى هذا؟ أتريد أن تنزل العذاب على هذه الأمّة؟ وراحت الزهراء عليها السلام وهي تستقبل المثوى الطاهر لرسول الله صلى الله عليه وآله تستنجد بهذا الغائب الحاضر: «يا أبت يا رسول الله صلى الله عليه وآله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة؟ فما تركت كلمتها إلاّ قلوباً صدعها الحزن وعيوناً جرت دمعاً» (انظر الغدير للعلاّمة الأميني ج٣: ص١٠٤، والإمامة والسياسة لابن القتيبة: ص٣٠، وتاريخ الطبري ج٣: ص١٩٨، والعقد الفريد لابن عبد ربّه ج٢: ص٢٥٧، وتاريخ أبي الفداء ج١: ص١٦٥، وتاريخ ابن شحنة في حوادث سنة ١١ من الهجرة، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص١٩ وغير ذلك). فالروايات متفقة على عدم مشروعية بيعة أبي بكر . وإذا ثبت عدم المشروعية ثبت عدم مشروعية الخلافة عندهم . وعليه كيف يصح نسبة فعل غير مشروع للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلاحظ.

السابع والعشرون: ما زعمه من إظهار عليعليه السلام وأهل بيتهعليهم السلام فضائل الصحابة والترحّم عليهم فإنّه من غريب عجائبه لعلمه وعلم أهل مذهبه بعدم وجود شيء من الفضل في الثلاثة[1]،

---

(١) لا يخفى على الباحث الخبير كذب ما زعمه ابن تيميّة في المقام، لأنّ الخبير يعلم أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأهل البيتعليهم السلام لا يقولون إلاّ ما قاله الله ورسولهصلى الله عليه وآله وإنّ القرآن الكريم مشحونة بذم أكثر الصحابة والعن فيهم كما أنّ السنّة النبوية مشحونة بذلك لاسيّما بالنسبة إلى مطاعن الخلفاء الثلاثة، فإنّ الروايات الواردة الدالّة على هذا المعنى كثيرة، وقد ملئت الكتب بذكرها. ولذلك قامت بنو أميّة وبنو العبّاس بالدفاع المستميت من خلفاء الجور فأعطوا الدراهم والدنانير لجعل الأحاديث المكذوبة في افتراض الفضل لهم وأخذوا الألفاظ من روايات الرسولصلى الله عليه وآله في فضل أهل بيتهعليهم السلام، ولكن قد افتضحوا بكذبهم. ومن أجل وضوح الأمر في المقام نذكر بعض الروايات التي جاء فيها تبيين كذب ما رواه أهل السنّة في الفضائل المزعومة لخلفائهم عن طريق أئمة أهل البيتعليهم السلام لكونها مخالفة للكتاب والسنّة النبويّة والعقل، ومن تلك الروايات ما نقله الطبرسيرحمه الله في الاحتجاج من أنّ المأمون العبّاسي بعدما زوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر الجوادعليه السلام، كان في مجلس وعنده أبو جعفرعليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة، فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي أنّه نزل جبرئيلعليه السلام على رسول اللهصلى الله عليه وآله وقال: يا محمّد، إنّ الله عزّ وجلّ يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عنّي راض؟ فإنّي عنه راض، فقال الإمام أبو جعفرعليه السلام: «...يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول اللهصلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عنّي فاعرضوه على كتاب الله ←

➔

وسنّتي، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتّى سأل عن مكنون سرّه، هذا مستحيل في العقول». ثمّ قال يحيى بن أكثم: وقد روي: أنّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء! فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه، لأنّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قطّ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيّامهما الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما». قال يحيى: وقد روي أيضاً: أنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة، فما تقول فيه؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا الخبر محال أيضاً، لأنّ أهل الجنّة كلّهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أميّة لمضادّة الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسن عليهما السلام: بأنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة»، فقال يحيى بن أكثم: وروي: أنّ عمر بن الخطّاب سراج أهل الجنّة، فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهذا أيضاً محال، لأنّ في الجنّة ملائكة الله المقرّبين، وآدم ومحمّد صلى الله عليه وآله، وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضئ الجنّة بأنوارهم حتّى تضئ بنور عمر!» فقال يحيى: وقد روي: أنّ السكينة تنطق على لسان عمر، فقال أبو جعفر عليه السلام: «لست بمنكر فضل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال على رأس المنبر: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسدّدوني»، فقال يحيى: قد روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: لو لم أبعث لبعث عمر، فقال أبو جعفر عليه السلام: «كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾، فقد

➔

➔

أخذ الله ميثاق النبيّين، فكيف يمكن أن يبدّل ميثاقه؟ وكلّ الأنبياءعليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوّة من أشرك وكان أكثر أيّامه مع الشرك بالله؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نبّئت وآدم بين الروح والجسد»، فقال يحيى بن أكثم: وقد روي أيضاً أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: ما احتبس عنّي الوحي قطّ إلاّ ظننته قد نزل على آل الخطّاب؟ فقال أبو جعفرعليه السلام: «وهذا محال أيضاً، لأنّه لا يجوز أن يشكّ النبي صلى الله عليه وآله في نبوّته، قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**﴾، فكيف يمكن أن ينتقل النبوّة ممّن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟» قال يحيى: روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلاّ عمر، فقال أبو جعفرعليه السلام: «وهذا محال أيضاً، لأنّ الله تعالى يقول ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾، فأخبر سبحانه أنّه لا يعذّب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وما داموا يستغفرون» (الاحتجاج ج٢: ص٢٤٥). وهناك روايات كثيرة في مطاعن الخلفاء التي تبين مخالفتهم للكتاب والسنّة النبويّة، ولو أردنا أن نذكرها هنا لطال بنا المقام. وعليه كيف يمكن لأهل البيتعليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس... أن يذكروا ما يخالف قول الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

وهنا نستعرض بعض مطاعن أبي بكر ليعرف الباحث مدى كذب الأخبار الرواردة في الروايات المدسوسة. الطعن الأول: تأمّره على الناس من دون أن يبيح الله تعالى له ذلك ولا رسوله صلى الله عليه وآله ومطالبة جميع الأمّة بالبيعة له والانقياد إلى طاعته طوعاً وكرهاً، فكان ذلك منه أوّل ظلم ظهر في الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ كان هو وأولياؤه مقرّين بأنّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله لم يولياه ذلك ولا أوجبا طاعته ولا أمرا ببيعته. فقد ورد في حديث أنّ أعرابياً جاء إلى أبي بكر فقال: أنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، قال: فما أنت؟ قال: أنا الخالفة بعده، أنا القاعد بعده (انظر تاريخ

➔

←

مدينة دمشق ج١٩: ص٤٩٧). فلما انقاد الناس له طالبهم بالخروج إليه ممّا كان يأخذه رسول الله ﷺ من الصدقات والأخماس وما شاكلها، ثمّ سمّى نفسه خليفة رسول الله ونفذت بذلك كتبه إلى الأمصار من خليفة رسول الله، فكانت هذه الحالة منه جامعة للظلم والمعصية والكذب على النبيّ الأعظم ﷺ، وذلك أنّه لما طالبهم بالخروج إليه ممّا كان يأخذه منهم رسول الله ﷺ من الصدقات وغيرها كان ذلك منه ظلماً ظاهراً إذ كان يعلم أنّ الله ورسوله ﷺ لم يجعلا له ولا إليه شيئاً منه ولم يجعل الله ولا رسوله ولا ولاته شيئاً من ذلك، كان ظالماً في مطالبته لهم به فظهرت منه المعصية لله ولرسوله ﷺ إذ طالب بما ليس له بحقّ، ولدعواه أنّه خليفة رسول الله وقد علم وعلم معه الخاصّ والعامّ أنّ الرسول ﷺ لم يستخلفه كان ظالماً كاذباً بذلك على الله وعلى رسوله، وصدق عليه قول النبيّ ﷺ: «من كذب عليّ فليتبوّأ مقعده من النار» (انظر السنن الكبرى للبيهقي ج٣: ص٢٧٥).

الطعن الثاني: أنّ النبيّ ﷺ لم يولّ أبا بكر شيئاً من الأعمال مع أنّه كان يولّيها غيره، ولمّا أنفذه لأداء سورة براءة إلى أهل مكّة عزله وبعث ﷺ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليأخذها منه ويقرأها على الناس، ولمّا رجع أبو بكر إلى النبيّ ﷺ قال ﷺ: «لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي» (انظر مسند أحمد ابن حنبل ج١: ص٣). فمن لم يصلح لأداء سورة واحدة إلى أهل بلدة كيف يصلح للرئاسة العامّة المتضمّنة لأداء جميع الأحكام إلى عموم الرعايا في البلاد؟

الطعن الثالث: لمّا انقاد لأبي بكر الناس طوعاً وكرهاً امتنعت عليه قبيلة من العرب في دفع الزكاة إليه وقالوا له: إنّ الرسول ﷺ لم يأمرنا بالدفع إليك ولا أمرك بمطالبتنا به، فعلام تطالبنا بما لا يأمرك الله به ولا رسوله؟ فسمّاهم أهل الردّة، وبعث إليهم خالد بن الوليد في جيش فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وجعله فيئاً

←

➔

قسّمه بين المسلمين، فقبلوا ذلك منه مستحلّين له إلاّ نفر كرهوا ذلك منهم عمر ابن الخطّاب، فإنّه عزل سهمه منهم وكان عنده إلى أن ملك الأمر ثمّ ردّه عليهم، فكانت خولة بنت جعفر بن قيس والدة محمد بن الحنفيّة منهم، فبعث بها إلى أمير المؤمنين عليه السلام فتزوّجها ولم يتملّكها، واستحلّ الباقون فروج نسائهم، وقتل خالد ابن الوليد رئيس القوم مالك بن نويرة وأخذ امرأته فوطأها من ليلته تلك من غير استبراء لها، ولا وقعت عليها قسمة، فأنكر عمر ذلك من فعله عليه وقال لأبي بكر في أمره، فاحتجّ عليه بأنّ خالداً تأوّل فأخطأ، فلمّا أكثر عليه عمر قال أبو بكر: ما كنت لأشيم سيفاً سلّه الله تعالى. ولقد نصر أبو بكر خالداً ولم ينكر عليه مع أنّ القوم الذين كانوا مع خالد قالوا: إنّ جماعة مالك أذّن مؤذّنهم وصلّينا وصلّوا وشهدنا الشهادتين وشهدوا، فأيّ ردّة لهؤلاء؟ (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٥٠٣، وتاريخ اليعقوبي ج٢: ص٨٩، وتاريخ أبي الفداء ج١: ص٢٢١، وللاطّلاع أكثر لاحظ ما ذكره العلاّمة الأميني رحمه الله في كتابه الغدير ج٧: ص١٥٨-١٦٥ رأي الخليفة في قصّة مالك). وفي لفظ ابن الأثير: قال عمر لأبي بكر: إنّ سيف خالد فيه رهَق، وأكثر عليه في ذلك، فقال: هيه يا عمر! تأوّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين، وودى مالكاً وكتب إلى خالد أن يقدم عليه، ففعل، ودخل المسجد وعليه قباء، وقد غرز في عمامته أسهماً، فقام إليه عمر فنزعها وحطّمها وقال له: قتلت امرأً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنّك بأحجارك... (انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٥٨). وليت شعري كيف تأوّل أبو بكر فعل خالد ولم يتأوّل لمولاتنا بضعة المصطفى السيدة الزهراء عليها السلام عندما طالبته بحقّها من الخمس وفدك، وإنكارها عليه اغتصابه الخلافة؟!!

➔

➔
ونحن نسأل أتباع السقيفة: كيف يسوغ لكم أن تتّبعوا رجلاً أفتى بدون علم بقتل الأبرياء وبالاعتداء على الأعراض، وهل يمكن الجمع بين هذه المطاعن والفضائل المزعومة في كتب القوم؟!!! فكيف تصدّقوهم لمجرّد كونه صحابيّاً؟!!!

الطعن الرابع: التخلّف عن جيش أسامة، فمن بدع التي أحدثها أبو بكر أنّه لم يمتّل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله اجتهاداً منه في مقابل النصّ قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ (سورة الأحزاب:٣٦)، فالأمّة مجمعة في روايتها على أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد ضمّه قبل وفاته إلى أسامة بن زيد مع صاحبه وجماعة من رؤساء المهاجرين والأنصار وأمرهم بالمسير معه إلى الشام، وخرج أسامة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله فعسكر خارج المدينة واعتلّ الرسول صلى الله عليه وآله علّته التي توفّي فيها، وكرّر لهم النبي صلى الله عليه وآله مقالته «نفّذوا» أي «جهّزوا جيش أسامة، لعن الله المتخلّف عن جيش أسامة» (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٥٢، والمواقف للإيجي ج٣: ص٦٥٠). إلى أن ارتحل النبي صلى الله عليه وآله ولم ينفذوا جيش أسامة، ثمّ أقبلا (أي: أبو بكر وعمر) يخاصمان الأنصار في طلب البيعة، فبايع الناس أبا بكر، وأسامة على حال معسكره خارج المدينة يراسلهم فلا يلتفتون إليه حتّى إذا استوى لهم الأمر، بعث أبو بكر إلى أسامة: أنّ الناس نظروا في أمورهم فلم يجدوا لهم غنى عنّي، وقد نظرت في أمري فلم أجد عن عمر غنى، فخلّفه عندي وامض في الوجه الذي أمرك به الرسول صلى الله عليه وآله بالمضي فيه. فكتب إليه أسامة: مَن الذي أذن لك في نفسك بالتخلّف عنّي حتى تطلب منّي الإذن لغيرك إن كنت طائعاً لله ولرسوله، فارجع إلى معسكرك ومركزك الذي أقامك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي ج١: ص٢١). ولم يكتف القوم بتخلّفهم عن جيش
➔

➔

أسامة حتّى طعنوا بإمارته وقدحوا برسول الله صلى الله عليه وآله مدّعين أنّه أمّر عليهم غلاماً (انظر صحيح مسلم ج٤: ص٢١٣ كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن حارثة). فغضب الرسول صلى الله عليه وآله غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة، وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أمّا بعد، أيّها الناس، فما مقالة بلغني عن بعضكم في تأمير أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إنّه كان للإمارة لخليقاً، وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ فاستوصوا به خيراً فإنّه من خياركم...» (انظر المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج١١: ص٢٣٤). ولا يخفى على الفطن: أنّ تثاقلهم عن السير وتخلّفهم عن الجيش ليحكموا قواعد سياستهم في سقيفة بني ساعدة ترجيحاً منهم على النصوص القرآنيّة والسنّة النبويّة صلى الله عليه وآله، ولو ذهبوا مع أسامة لكان فاتهم ما كانوا يرومونه من الطمع بالخلافة، فتخلّفوا حتّى مات النبيّ صلى الله عليه وآله، فهمّوا بإلغاء البعث وحلّ اللواء تارة، وبعزل أسامة أخرى. فإذا كان حال القوم مع نبيّهم حال حياته من العصيان وعدم الاحترام وقلّة الإيمان، فكيف بهم بعد وفاته صلى الله عليه وآله مع بضعته الطاهرة عليها السلام وزوجها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يدور الحقّ معه حيثما دار (انظر مسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص٣١٨). وهل يمكن أن نحسّن بهؤلاء الأوباش الظنّ بحجّة أنّ القوم من الصحابة، أوَليس الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام قد شهد الله ورسله بأفضليّتهما على جميع العالمين، وهل يمكن أنّ الله تعالى يشهد بأفضليّة من يؤيّد أهل التمّرد على الله ورسوله صلى الله عليه وآله؟!! فإنّ تقديم أهل الطغيان والتمّرد أمر قبيح شرعاً وعقلاً، وهل يمكن نسبة هذا القبح إلى أهل بيت أذهب الله عنهم والرجس وطهّرهم تطهيراً؟!!

وفي من بايعهم وتابعهم عن ميل ورضى[(١)]،

---

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ القرآن الكريم حذّر المؤمنين من الانقلاب على الأعقاب، والارتداد والرجوع إلى الجاهليّة كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٤). وكما أنّ النبيﷺ حذّر أصحابه عن الارتداد والرجوع إلى الكفر والجاهليّة، في أحاديث صحيحة متّفق عليها بين الفريقين، منها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي زرعة عن جرير أنّ النبيﷺ قال له في حجّة الوداع: «استنصت الناس»، فقال: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (صحيح البخاري ج١: ص٢٨ كتاب الإيمان، باب الإنصات للعلماء). وفي بعضها أخبرهم بأنّ مصير أكثر صحابته النار فليحذروا الفتن التي سيوصيبهم كما ورد في حديث الحوض، فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «بينا أنا قائم فإذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم» (صحيح البخاري ج٧: ص٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ**﴾). وإلى غير ذلك من الروايات، ورغم التحذير من الله ورسولهﷺ فإنّ أكثر الصحابة دخلوا في الفتن بمخالفتهم لأوامر الله ورسولهﷺ بعد وفاة النبيﷺ، حيث اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وما حدث فيها من الأحداث من غصب الخلافة، وغصب حقوق أهل البيتعليهم السلام، وإحداث البدع في الدين وإلى غير ذلك من الفتن التي كانت سببها إجتماع السقيفة. في حين أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وبني هاشم وعدّة من الصحابة كانوا مشغولين بتجهيز النبيﷺ فوقف ←

لما تقدّم من معلوميّة مشاقاتهم لله ولرسولهﷺ بجعلهم المبتدعات عوض الشرعيّات وصيرورتهم المناكير والمبتدعات شعارهم ودثارهم(١).

←

أبو بكر وعمر على اجتماع الأنصار في السقيفة للمشاجرة في مسألة الخلافة، فتخاصموا فيها، وكان مجلس السقيفة أشبه بميدان الحرب والقتال لا المفاهمة والمشاورة، ففي هذه الأجواء تمت البيعة لأبي بكر. وأمّا ما جرى بعد السقيفة فحدّث عنه ولا حرج، فقد خرج الخليفة من السقيفة مع من بايعوه فلم يلاقوا أحداً في الطريق إلاّ وضعوا يده على يد الخليفة بيعة له، وبدت لهم البدع في الدين والانحراف والتخلّف عمّا أمرهم الله ورسولهﷺ. إذن أنّ الصحابة الذين بايعوا أبابكر عن رغبة وأتباع خلافة السقيفة يشتركون في الجريمة مع أبي بكر في غصب الخلافة، وسيلحقهم ما يستحقّه أبو بكر من الذم والقدح في الدنيا والعذاب في الآخرة. حيث كان لهم دوراً كبير في ضلالة الأمة والمسلمين في جميع الأعصار. مع أنّ الغاصب للخلافة، كان له مثالب خاصّة كثيرة، ويعلمها الصحابة، حتّى أنّ بعض العلماء من أهل السنّة صنّفوا كتباً في مثالبهم عن لسان هؤلاء الذين عاصروا خلفاء الغاصبين، كما صنّف في ذلك هشام بن محمّد بن السائب الكلبي النسّابة (المتوفّى سنة ٢٠٥ من الهجرة)، فلاحظ.

(١) فإنّ البدع التي أحدثها الخلفاء الثلاثة كثيرة وبالغة عن حدّ الإحصاء، فلا يمكننا استقصائها في المقام. وإنّ المصادر السنّيّة فيها استعراض واسع لأعمال الخلفاء وأقوالهم المخالفة للقرآن والسنّة النبويّة وتلاعبهم بالدين والأحكام الشرعيّة، ونحن نذكر هنا جملة يسيرة من تلك المخالفات الكثيرة للدين الحنيف، فمن تلك المخالفات مخالفة أبي بكر للقرآن والسنّة النبويّة في منع صديقة الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام فدكاً، رغم أنّ النصوص العديدة أكّدت على أنّ فدك كانت نحلة

←

➔

للزهراء عليها السلام، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أعطاها إيّاها خالصة قبل وفاته. فقد أخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٧: ص٤٩، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٣٩، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤: ص١٧٧، والشوكاني في فيح القدير ج٣: ص٢٢٤، وغيرهم. ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ص٩٩). ففي هذا الكلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام دلالة واضحة على أنّ فدكاً كانت في أيديهم ملكاً، لأنّ اليد إمارة على الملكية، ولكن غصبها أبوبكر رغم هذه الملكيّة. وعليه فما ادّعاه أبو بكر من أنّ الأنبياء لا يورثون، ممّا يعني أنّها كانت ميراثاً لها في غير محلّه، وباطل بالنصوص التي أخرجها الفريقين. وعلى فرض الإغماض بأن يكون الفدك إرثاً، فإنّ منع فاطمة عليها السلام الفدك أيضاً كانت مخالفة صريحة من أبي بكر للنصّ القرآني. وقد احتجّت الزهراء عليها السلام على أبي بكر في خطبتها المعروفة قائلاً: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾؟» ثمّ قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد صلى الله عليه وآله والموعد القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون»، ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت:

🡐

➔

«يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام ما هذه الغميزة في حقّي، والسنة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). ثم إنّ أبا بكر لم يكتفه بمخالفة النص في غصب الفدك، بل خالف سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنّ صريح الروايات من أهل السنّة دالّة على أنّ غصب الفدك من الزهراء عليها السلام صار سبباً لسخط الزهراء عليها السلام وغضبها (انظر صحيح البخاري ج ٥ : ص ٨٢ كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر). فإنّ أبا بكر أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام مع علمه بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في شأنه: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). من أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وآذاه فقد أغضب الله عزّ وجلّ، وهذا ما أقرّت به عائشة حينما قالت للنبي صلى الله عليه وآله: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص١٧٥). وروى ابن ماجة عن عائشة أيضاً أنّها رأت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: من أغضبك؟ أغضبه الله (سنن ابن ماجة ج٢: ص٩٩٣).

ومنها: مخالفة الخلفاء الثلاثة للقرآن والسنّة النبويّة في منعهم تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أبو بكر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي جمعت في عهده (انظر تذكرة الحفّاظ للذهبي ج١: ص٥، والرياض النضرة للمحبّ الطبري ج٢: ص١٤٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢: ص٦٠١، وكتاب حجّيّة السنّة لعبد الغني عبد الخالق: ص٣٩٤ وغيرهم). والغاية من ذلك عدم إنتشار أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله عند الصحابة وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتلهّفون لمعرفة سنّة نبيّهم صلى الله عليه وآله! وتابعه عمر متوخياً نفس السياسة بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فهدّد وتوّعد وضرب من خالف منع تدوين الحديث!! (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥: ص١٤٢ في

➔

ترجمة القاسم بن محمّد، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٥: ص٥٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٩٣، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢: ص٣٣٠ وغيرهم). والحقيقة أنّ منع كتابة الحديث من أبي بكر وعمر وعثمان ومن تابعهم كان من أجل عدم انتشار أحاديث الإمامة التي كانت نصّاً جلياً في إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام. حيث أنّهم كانوا يعلمون أنّ القرآن الكريم يحتاج إلى تفسير. فوجدوا أنّ باب التفسير والتأويل بحسب مشتهاهم مفتوحة، لأنّ كتاب الله ذو وجوه كثيرة، أمّا السنّة النبويّة فلا يجد أحد عنها محيصاً.

ومنها: مخالفة أبي بكر وأتباعه لكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله في قتل المسلمين الأبرياء كمالك بن نويرة الصحابي الجليل؛ الذي قال ابن الأثير في ترجمته: مالك بن نويرة المقتول المزني بزوجته في نفس الليلة ما يلي... إلاّ أنّه لم تظهر عليه ردّة (يقصد مالك بن نويرة الصحابي الجليل) وأقام بالبطاح، فلمّا فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح، فلم يجد به أحداً، كان مالك قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع (لو كان مالك مرتدّاً فعلاً لأعدّ العدّة لقتال خالد) (انظر أسد الغابة ج٤: ص٢٩). وذكر المؤرّخون: أنّه لمّا قدم خالد بن الوليد البطاح بث سراياه، فأتى بمالك بن نويرة ونفر من قومه. فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، وكان فيمن شهد أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد فنادى: أدفئوا أسراكم – وهي في لغة كنانة القتل – فقتلوهم (انظر الى مكر خالد وغدره)، فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا، فتزوّج خالد امرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأوّل فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكاً، وقدم خالد على أبي بكر فقال له عمر: يا عدوّ الله قتلت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، لأرجمنّك وأبو قتادة يشهد أنّهم

➔
أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يردّ السبي ويعطي دية مالك من بيت المال (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٥٠٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٢٥٩، وأبو الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج١٥: ص٢٠٣، وتاريخ الاسلام للذهبي ج٣: ص٣٦ وغيرهم). فقد أجمع المؤرّخون على أنّ مالكاً كان من المسلمين غير أنّه امتنع عن إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة لعدم وثوقه بخلافة أبي بكر حتّى ورد أنّ عمر الذي كان معروفاً بالغلظة، قال له: يا أبا بكر، كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله، فمن قال لا إله إلاّ الله عصم منّي ماله ونفسه إلاّ بحقّه وحسابه على الله (انظر صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة).

والملفت للنظر أنّ في هذه القصة اعتراف ضمني من أبي بكر على أنّ عمله كان مخالفاً للسنّة النبويّة، إذ أنّه دفع ديّة مالك من بيت المال واعتذر عن قتله بعد ذلك، والمرتدّ لا يعتذر عن قتله (انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦).

ومنها: مخالفة أبي بكر لكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله في عدم إقامته الحدّ على خالد ابن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة وزنى بزوجته من ليلته، وعندما وصل خبر ذلك إلى أبي بكر لم يجري عليه القصاص ولم يقم عليه حدّ الزاني ولم يضربه حدّ المفتري ولم يعزّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي المسلمين! بل وقد دافع عنه دفاعاً حتّى اعترض عليه جلاوزته، بل أنّه غضب على بعض الصحابة الذين أنكروا على خالد (انظر الإصابة لابن حجر ج٥: ص٧٥٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص٣٦٦، وتاريخ الطبري ج٣: ص٢٧٨، وتاريخ أبي الفداء ج١: ص٢٢١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٥٨ وغيره).
➔

➔

ومنها: مخالفة أبي بكر لسنّة رسول الله، بأمره بإحراق فجاءة السلمي بالنار وقد قال رسول الله ﷺ «لا يعذّب بالنار إلاّ ربّ النار» (انظر سنن أبي داود ج٢: ص٤٠٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص٢٥١، ومسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٤٩٤ وغيرهم).

ومنها: مخالفة عمر للكتاب والسنّة في بدعة صلاة التراويح، مع اعترافه بأنّها بدعة في الدين (صحيح البخاري ج٢: ص٢٥٢ كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان). وقد أخرج أصحاب الصحاح والسنن في باب نوافل الليل، «إنّ خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة»، فروى البخاري في صحيحه بسنده عن زيد ابن ثابت قال: احتجر رسول الله ﷺ حجيرة مخصفة أو حصيراً، فخرج رسول الله ﷺ يصلّي إليها فتتبع إليه رجال وجاؤا يصلّون بصلاته، ثمّ جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما زال بكم صنيعكم حتّى ظننت أنّه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة» (صحيح البخاري ج٧: ص٩٩ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدّة لأمر الله عزّ وجلّ). وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتّخذوها قبوراً» (صحيح مسلم ج٢: ص١٨٧ كتاب الصلاة، باب استحباب النافلة في البيت وجوازها في المسجد). وإلى غير ذلك من الروايات التي تدلّ على أنّ رسول الله ﷺ كان يؤكّد على الإتيان بصلاة النوافل عموماً في البيوت؛ لأنّ هذا الأمر أقرب للإخلاص وأدعى للقبول، بل قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة النوافل جماعةً لمّا رأى بعض الأصحاب يصلّون خلفه خلسةً، ووجّههم إلى إخفاء النوافل وعدم تشريع الجماعة

➔

➔

فيها كما سيأتي بيانه إن شاء الله في محلّه.

ومنها: مخالفة أبي بكر لسنّة الرسولﷺ وتغييره لها في الطلاق من الثلاث إلى الواحدة، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس قال: كان الطلاق على عهد رسول اللهﷺ وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطّاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم (انظر صحيح مسلم ج٤: ص١٨٤ كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امراته ولم ينو الطلاق). وبهذا غيّر عمر سنّة رسول اللهﷺ وخالف الكتاب، حيث يقول الله تعالى: ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ... تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ**﴾ (سورة البقرة:٢٢٩). وفسّرت هذه الآية بأنّ المرأة لا تحرم على زوجها إلاّ بعد ثلاث تطليقات، ولكن عمر بن الخطّاب تجاوز حدود الله بحكمه أن طلقة واحدة بلفظ الثلاثة توجب حرمة الزوجة على الزوج، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ابن عبّاس قال: طلّق ركانة بن عبد يزيد أخو بني مطّلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً، قال: فسأله رسول اللهﷺ: «كيف طلّقتها؟» قال: طلّقتها ثلاثاً، قال: فقال: «في مجلس واحد؟» قال: نعم، قال: «فإنما تلك واحدة فارجعها إن شئت»، قال: فرجعها فكان ابن عبّاس يرى إنّما الطلاق عند كلّ (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢٦٥). وفي رواية أنّ رجلاً طلّق في عهد رسول اللهﷺ ثلاثاً في مجلس واحد، فقامﷺ غضبان وقال: «يلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم» (انظر سنن النسائي ج٦: ص١٤٢). وإلى غير ذلك من مخالفاتهم لكتاب الله وسنّة رسول اللهﷺ. وعليه فلا معنى للقول بوجود فضيلة في الخلفاء الثلاثة مع وجود المطاعن الكثيرة فيهم، فلاحظ.

فلو فرض صدور شيء من مدحهم من أهل البيت عليهم السلام من باب التقيّة قطعاً[(١)].

---

(١) وتوضيح المقام أنّ التقيّة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام في حالة الابتلاء والإكراه والاضطرار أمر مشروع بنصّ القرآن والروايات الواردة في هذا الباب، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (سورة البقرة:١٣٧)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ (سورة الحجّ:٧٨)، وقوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ (سورة البقرة:١٨٥). هذه الآيات وغيرها جوّزت التقيّة بشكل عامّ عند الضرورة، وذلك لأنّ حفظ النفس واجب في الشريعة المقدّسة، أو أنّ إلقاء النفس إلى التهلكة محرّمة لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ (سورة البقرة:١٩٥). فإنّ مفهوم الآية واسع يشمل جميع الموارد الخطرة، ومنها التقيّة. فإنّ الإنسان مسؤول عن نفسه، وليس له الحق يقع نفسه في الهلاكة بلا وجه شرعي، لأنّ الآيات تدلّ على وجوب العمل الإضطراري، ومن الواضح أنّ من مصاديق العمل الاضطراري التقيّة وضرورتها عند اللزوم، كما أنّ الروايات الصحيحة تدلّ على مشروعيّتها. وهي طوائف: الطائفة الأولى: ما تدلّ على أنّ الأحكام الشرعيّة الأوليّة ترتفع عند الضرورة من قبيل حديث الرفع الذي رواه الخاصّة والعامّة، فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رفع عن أمّتي تسعة، الخطأ والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يطيقون، وما لا يعلمون، وما اضطرّوا إليه، والحسد والطيرة والتفكّر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة» (التوحيد: ص٣٥٣). فقوله صلى الله عليه وآله: «وما اضطرّوا إليه» فيه دلالة واضحة على أنّ الضرورات تبيح المحظورات، وموارد التقيّة كلّها من هذا القبيل. وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «ليس شيء ممّا حرّم الله إلاّ وقد أحلّه لمن اضطرّ إليه» ←

➔

(انظر تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي رحمه الله: ص١٧٧). ومن هذه الطائفة: حديث «لا ضرر ولا ضرار» المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر ميزان الحكمة ج٢: ص١٧٠٠). وفي بعضها زيادة في الإسلام أو على المؤمن وكلّها تؤدّي المطلوب وهو انتفاء الضرر، ولا شكّ بأن تحمل الإنسان القتل والسجن والاعتداء عليه وعلى أعراضه وأمواله ضرر منفي بهذا الحديث، فله اتّقاؤه.

الطائفة الثانية: ما ورد في الترخيص بالكذب والتورية لدفع الظلم، فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا كذب على مصلح»، ثمّ تلا: ﴿**أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ**﴾، فقال: «والله ما سرقوا وما كذب»، ثمّ تلا: ﴿**بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ**﴾، ثمّ قال: «والله ما فعلوه وما كذب» (الكافي ج٢: ص٣٤٣). وروي عن الحسن الصيقل قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّا قد روينا عن أبي جعفر عليه السلام في قول يوسف عليه السلام: ﴿**أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ**﴾ فقال: والله ما سرقوا وما كذب، فقال أبوعبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ الله أحبّ اثنين وأبغض اثنين، أحبّ الخطر فيما بين الصفّين، وأحبّ الكذب في الإصلاح، وأبغض الخطر في الطرقات، وأبغض الكذب في غير الإصلاح، إنّ ابراهيم عليه السلام قال: ﴿**بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا**﴾ إرادة الإصلاح، ودلالة على أنّهم لا يفعلون، وقال يوسف عليه السلام إرادة الإصلاح» (الكافي ج٢: ص٣٤٢). ونفي الكذب هنا إمّا باعتبار كونه مع قصد التأويل، فيخرج من الكذب ويدخل في التورية، أو لكونه خارجاً عن الكذب المحرّم، وكلاهما يؤدّي الغرض. وقد ورد في قوله ﴿**فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ**﴾ قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «والله ما كان سقيماً وما كذب، وإنّما عنى سقيماً في دينه مرتاداً...» (انظر الكافي ج٢: ص٣٢).

وأمّا الروايات الواردة عن طريق علماء أهل السنّة فمنها: ما رواه أبو حامد الغزالي قال:

➔

➔

قال ميمون بن مهران: الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، أرايت لو أنّ رجلاً سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل داراً فانتهى إليك، فقال: أرأيت فلاناً؟ ما كنت قائلاً؟ ألست تقول: لم أره، وما تصدق به؟ وهذا الكذب واجب (انظر إحياء العلوم ج٣: ص١٣٧). وقال أبو حامد: كما أنّ عصمة دم المسلم واجبة، فمهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب، ومهما كان لا يتمّ فيه مقصود الحرب أو اصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلاّ بكذب فالكذب مباح (انظر إحياء العلوم ج٣: ص١٣٧). وعليه فإذا كان الكذب يباح لدفع الظلم والإصلاح، وقد يكون واجباً في بعض الأحيان، كما إذا توقّف عليه انقاذ النفس وحقن الدم، وهو نوع من التقية. لأنّ معنى التقية الاتّقاء من الضرر، ولو توقّف على الكذب فلا يكون حراماً، لأنّه في موارد الإصلاح، بل هي من أبرز مصاديق الإصلاح، لأنّ فيه انقاذ النفس من الهلاكة وحقن الدم. والعجيب ممّن يشنع على الشيعة فيجعل التقيّة كذباً محضاً، بل يتمادى فيقول: إنهم (أي الشيعة) سمّوا الكذب تقيّة، وغاب عنه أنّ الكذب إنّما يكون حراماً إذا لم يكن لأجل الإصلاح، ولا لأجل دفع الظلم والجور، ولا لحقن دماء المسلمين، بل غاب عنه أنّ المحرّمات إذا زاحمت ما هو أهمّ منها في الشريعة الإسلاميّة تسقط ويباح ارتكابها ، لتقدم الأهم في المزاحمة. يقول السيد محمد بن عقيل العلوي: اتّفق أصحابنا على جواز الكذب عند الضرورة بل وللمصلحه وهو عين التقيّة، لكن إن عبّرت عنه بلفظ التقيّة منعه كثير منهم، لكونه من تعبيرات الشيعة، فالخلاف فيما يظهر لفظيّ، والله أعلم (انظر النصائح الكافية: ص٢٢٧).

الطائفة الثالثة: الروايات الخاصّة المستفيضة في الأمر بالتقيّة والحثّ عليها: فقد روي عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام أنّه قال: «إنّ التقيّة ترس المؤمن ولا إيمان لمن لا

➔

➔

تقيّة له»، وقال: «اتّقوا على دينكم فاحجبوه بالتقيّة، فإنّه لا إيمان لمن لا تقيّة له» (الكافي ج٢: ص٢١٨). وقال عليه السلام: «ما عبد الله بشيء أحبّ إليه من الخبء»، قيل: وما الخبء؟ قال عليه السلام: «التقيّة» (الكافي ج٢: ص٢١٩). وقال عليه السلام: «التقية ترس الله بينه وبين خلقه» (الكافي ج٢: ص٢٢٠). وقال العلاّمة: المجلسي قدس سره: «ترس الله»: أي ترس يمنع الحقّ من عذاب الله أو من البلايا النازلة من عنده (انظر بحار الأنوار ج٧٢: ص٤٣٥، ومرآة العقول ج٩: ص١٨٤). وروي أنه عليه السلام قال: «كان أبي عليه السلام يقول: وأي شيء أقرّ لعيني من التقيّة؟! إنّ التقيّة جنّة المؤمن» (انظر الكافي ج٢: ص٢٢٠). وسئل أبا الحسن عليه السلام عن القيام للولاة، فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: «التقيّة من ديني ودين آبائي ولا ايمان لمن لا تقيّة له» (انظر الكافي ج٢: ص٢١٩). وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «خالطوهم بالبرّانيّة وخالفوهم بالجوّانيّة إذا كانت الإمرة صبيانيّة» (انظر الكافي ج٢: ص٢٢٠). وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «يا مدرك، رحم الله عبداً اجترّ مودّة الناس إلى نفسه، فحدّثهم بما يعرفون، وترك ما ينكرون» (انظر الكافي ج٢: ص٢٢٢). وعنه عليه السلام قال: «... عليكم بمجاملة أهل الباطل، تحمّلوا الضيم منهم، وإيّاكم ومماظّتهم، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام بالتقيّة التي أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم» (الكافي ج٨: ص٢). وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... وآمرك أن تستعمل التقيّة في دينك، فإنّ الله يقول: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا علينا إن ألجأك الخوف إليه، وفي إظهار البراءة إن حملك الرجل عليه...» (انظر الاحتجاج للشيخ الطبرسي رحمه الله ج١: ص٣٥٤). وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا

➔

➔

صَبَرُواْ﴾ قال: «بما صبروا على التقيّة»، ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ قال: «الحسنة: التقيّة، والسيّئة: الإذاعة» (الكافي ج٢: ص٢١٧). فالتقيّة من الضرورات التي فرضها الإسلام بالأدلّة النقليّة والعقليّة، حيث أنّ القرآن الكريم حثّ عليها، حتى في الأمم السابقة منها: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (سورة الكهف:١٩-٢٠). وهي صريحة في تقيّة أصحاب الكهف، وقد أفاض المفسّرون في بيان قصّتهم وكيف أنّهم كانوا في ملّة كافرة وأنّهم كانوا يكتمون إيمانهم قبل أن يدعوهم ملكهم إلى عبادة الأصنام، فلجأوا إلى الكهف بدينهم. كذلك روايات المعصومين عليهم السلام كما تقدّم، وأيضاً روايات أهل السنّة كما تقدّمت الإشارة إليها. وعليه فلو فرض صدور شيء في مدحهم من أهل البيت عليهم السلام فهو من باب التقيّة قطعاً، لأنّها تقتضي الاتّقاء من الحكّام الظلمة.

الثامن والعشرون: ما زعمه من وجود خلق عظيم دون علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام في الديانة في دولة بني العبّاس وبني أميّة ينكرون عليهم المناكير ولم يمدحوهم بشيء، فإنّه من عجيب تدليسه على الغفلة[1]. إنّ

(١) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيمية من أنّ كثيراً من المعارضين لدولة بني أمية وبني العبّاس كانوا أهل الديانة ولم يكونوا من التابعين لأهل البيت عليهم السلام. ولكن هذا الزعم باطل. أوّلاً: أنّ كثيراً من المعارضين لدولة بني أميّة أو دولة العبّاس أو المعارضين لخلافة السقيفة لم يكونوا أهل الديانة، فلم تكن معارضتهم من جهة عدم مشروعية الخلافة الغاصبة، بل كانوا متفقين مع الحكام في هذا الأصل، وإنّما كانوا يعارضون من أجل وصولهم إلى القدرة السياسية. وثانياً من أين يدّعي ابن تيميّة بأنّ المعارضين في عصر دولة بني أميّة وبني العبّاس كانوا من أهل الديانة؟ فإنّ أهل الديانة لهم علامة واضحة وهي تعرف من أهدافهم، حيث أنّ من كان هدفه الدين لا بدّ وأن يكون أعماله مطابقاً لما أمره الله ورسوله صلى الله عليه وآله، لا مطابقاً لأغراضه الشخصية وأمياله النفسانية. وعندما نأتي إلى المعارضين لخلفاء الجور، نجد أنّ كثيراً منهم كانوا تابعين لخلافة السقيفة، فكان كلا الطرفين من النزاع هم أتباع خلافة الجور، ومعناه أنّ كلا الطرفين كانوا يتنازعون من أجل الوصول إلى القدرة والحكومة بلا رعاية للجهات الدينيّة، بل أنّ أغراضهم كانت شخصيّة وفي غير ما أمر به الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وعليه ما ذكره ابن تيميّة في المقام خبط عشوائي وتدليس على الغفلة والجهّال من أهل السنّة. ولكي يتّضح المقام نقول: أنّه لا شكّ في أنّ اجتماع الصحابة في السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كان نقضاً صريحاً لعهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ، حيث أنّهم بايعوا فيه الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة والإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرةً. ولكن نقضوا عهدهم ونكثوا بيعتهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وتركوا النصوص وأخذوا طريق ←

➔

الضلال والتحريف في الدين، وبدّلوا الإمامة الإلهيّة بالسلطة السياسيّة والاستيلاء بالقدرة الظاهريّة على الناس. وقد أحدثوا بذلك الشقاق والاختلاف في صفوف الأمّة الإسلامية. فقسم كبير من الناس تركوا سفينة نجاتهم أعني أهل البيت عليهم السلام وتاهوا في أمواج الفتن والضلالات، فلم يستقم منهم على الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله، سوى نفر قليل الذين كانوا شيعة أهل البيت عليهم السلام، وما عداهم كانوا يتربّصون المطامع الدنيوية من المال والجاه. وعليه كثيراً ممن خالف بيعة أبي بكر لم يكن هدفه أهل البيت عليهم السلام وإنّما كانوا يرون أنفسهم أولى بالسلطة من أبي بكر، ولم تكن معارضتهم من جهة الاعتبارات الدينة. بل وبعضهم كان يترصّد الأسباب للقضاء على الإسلام كأبي سفيان، وإلى غير ذلك من أسباب المخالفة (انظر السيرة النبويّة لابن هشام ج٤: ص٢٣٧). وعليه إذا كان مقصود ابن تيميّة من أهل الديانة جميع من عارض خلافة السقيفة أو خلافة بني أميّة وخلافة بني العبّاس فهذا كلام باطل لأنّ كثيراً منهم كان له أغراض شخصيّة دنيويّة فليس هؤلاء من أهل الديانة. نعم المعارضين لخلافة السقيفة الذين كانوا من شيعة الامام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام هم أهل الديانة لكونهم بقوا على عهدهم مع الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وهم الذين كانوا ينكرون خلافة السقيفة وأتباعهم وبقوا على عهدهم مع الله ورسوله صلى الله عليه وآله ولم يتغيّروا، فهؤلاء كانوا أهل الديانة. نعم هؤلاء كانوا ينكرون حكومة الجائرة أعمّ من السقيفة والدولتين التابعتين للسقيفة بني أميّة وبني العبّاس، ولكن كانت مخالفتهم من أجل الدين، والأوامر الإلهيّة والانقياد إلى التكاليف الشرعيّة. وقد حثّ الله تعالى في كتابه العزيز الحميد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه على مودّة ذوي القربى وتعظيمهم والإحسان إليهم والتبرّي من أعدائهم بشرط رعاية التقيّة. وأمّا إذا كان مقصوده من المخالفة هي مخالفة من

🡐

البحث مختصّ بالقول والفعل المخالفين للشريعة من جهة التقيّة وهي الخوف من الغير[1]، فإن صدر شيء من ذلك من أهل التقوى والديانة علم

←

كان يصارع أهل السقيفة والدول التابعة لها للسيطرة على القدرة السياسيّة والحكومة الظاهريّة فحينئذ لا معنى لتقييده بالديانة، لأنّ أهدافهم وأغراضهم ونيّة عملهم يلبسهم لباس أعمالهم الماديّة وظواهرها الدنيويّة فتكون مخالفتهم تابعةً لأهدافهم وأغراضهم المشؤومة. فالدين والشرع المقدّس إنّما يؤيد المخالفة التي تكون بأمر الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، وأمّا غير ذلك فلا تكون من الدين كما هو واضح ظاهر. وعليه فما ذكره ابن تيميّة من مخالفة أتباع الخلافة الجائرة للحكومة الغاصبة خبط عشوائي في كلامه وتدليس على الغفلة والجهّال من أهل نحلته، فاستعمال التقيّة من أتباع أهل البيت عليهم السلام موضوعه الخوف من الحكومة الجائرة، كما هو مقتضى الأدلّة فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ مقتضى الأدلّة الشرعية في المخالفة للحكومة الجائرة هو العمل بالتقيّة، لأنّ موضوع التقية هو الخوف والاضطرار كما ورد في لسان الأدلّة التي استدلّ بها علماء الشيعة على مشروعيّة التقيّة ووجوب العمل بها، فالمناط في التقيّة هو حصول الضرر، لأنّ الضرر موضوع مأخوذ في لسان أدلّة التقيّة. وممّا يدل على ذلك هو ما رواه الكليني، بسنده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «التقيّة في كلّ ضرورة وصاحبها أعلم بها حين تنزل به» (الكافي ج٢: ص٢١٩). وما رواه البرقي بسنده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «التقيّة في كلّ شيء يضطرّ إليه ابن آدم فقد أحلّه الله» (المحاسن ج١: ص٢٥٩). فموضوع التقيّة هو الخشية والخوف من القتل، أو من التعذيب وما ينتهي إلى التعرض بشخصيّة الإنسان من الاستهزاء والتحقير والإهانة وهتك الحرمات، وعلى تقدير ما يصحّ تعبير الاضطرار

←

بأنّ سببه التقيّة، فأمّا لو لم يصدر شيء من ذلك من أهل الديانة وغيرهم فهو بمعزل عن البحث، إمّا لعدم حصول الخوف، فليس لهم باعث إلى مخالفة ما يزعمه ديناً، وإمّا لعدم جريهم على مقتضى التقيّة مثل المارقة[1]، وأمّا من

➔

والضرر. فالبحث هنا يرجع إلى هذا الموضوع. فإنّ أهل الديانة يجب عليه العمل مطابقاً لما جاء في الشريعة المقدّسة، فالشيعة الإمامية حيث أنّهم ملتزمين بالعمل بالنصوص الشرعية، فيرون لزوم العمل بالتقيّة عند تحقّق موضوعه، فلاحظ.

(١) وتوضح المقام أنّ أهل الديانة لو وجد موضوع الحكم الشرعي محققاً فلا بدّ أن يعمل حسب الحكم الشرعي، فمثلاً إذا وجد الخوف الذي هو موضوع للتقيّة فلابدّ من العمل به لأنّ ثبوت الأحكام الشرعيّة بتحقّق موضوعها في الخارج فإذا ثبت الموضوع ترتّب عليه الحكم الشرعي قهراً. والأحكام الشرعية حسب ما جاءت أدلّتها في كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله لا بدّ وأن يعمل بها، والتقيّة تكون كذلك. فإنّه بعد تحقّق موضوعها بتمام شرائطها وقيودها، يترتّب الحكم الشرعي على الموضوع. فتكون التقيّة واجبة عند تحقّق الخوف والضرر. وأمّا إذا لم يتحقّق لديه موضوع التقيّة، فإنّ عمله لا يكون مخالفاً للشريعة، لأنّه لم يتحقّق لديه الخوف فلا موضوع لوجوب التقيّة. فعدم العمل بالتقيّة ليس دائماً من جهة عدم الالتزام بالعمل بالأدلّة، والعصيان بالنسبة إلى الحكم الشرعي. وفي المقام إن كان مقصود ابن تيميّة من عدم عمل أهل الديانة بالتقيّة مع الاعتقاد بالتقيّة كالشيعة الإمامية فإنّ ادّعاه كذب محض، لأنّ الشيعة الإمامية هم أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم ملتزمون بما أمرهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام وقد أمرهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بها. وكيف يمكن للشيعة القول بالتقيّة مع أنّهم لم يعملوا بها؟!!

➔

حيث عدم وجود مورد للتقيّة لديهم مثل تظاهر أسارى المسلمين عند الكافرين بدينهم من حيث علمهم بأنّهم مسلمون، فأيّ ثمرة لهم في عدم التظاهر بدينهم بينهم؟[١] فالتقيّة منشأها الخوف دون قوّة الديانة ودون ضعفها[٢]. أما علم السني بتقيّة من هو في منتهى غاية درجات الديانة من

➔

وأمّا إذا كان مقصوده بأهل الديانة غير الشيعة، فجوابه أيضاً واضح، لأنّ غير الشيعة لا يرى التقيّة واجبة. وعليه لا بدّ أن يوضّح مقصوده من أهل الديانة.

(١) وتوضيح المقام أنّ أهل الديانة الذين يرون وجوب التقية مع تحقّق موضوعه أمراً مشروعاً في الإسلام، فعلى فرض عدم العمل بها بعد تحقّق موضوع التقيّة، كما أنّ الأسير المسلم في يد الكفّار لم يتظاهر بمخالفة الإسلام ولم يراعي موضوع التقيّة، فهل يصحّ أن يقال بأنّه لم يعمل بالوظيفة الشرعية أم لا؟

والجواب عن هذا الفرع أيضاً واضح، لأنّه كما تقدّم إذا كان موضوع التقيّة الخوف والاضطرار، وكان الخوف والاضطرار محقّقاً، بحيث أنّ العرف يقرّ بذلك، لا محالة تجب التقيّة على من تحقّق موضوعها عنده، ولو لم يعمل بالتقيّة فلم يكن عاملاً بوظيفته شرعاً. إلاّ على القول بأنّ حديث رفع الضرر والخوف امتناني، وهناك بحث آخر. وأمّا إذا لم يكن الموضوع محقّقاً فإنّ هذا التمثيل خروج عن موضوع البحث، لأنّ البحث في مشروعية التقيّة في فرض تحقّق موضوعها، فالقول بالمشروعيّة يقتضي لزوم تحقّق الموضوع، ومع عدم تحقّق الموضوع لا معنى بالقول بوجوب التقيّة. فإنّ عدم عمل الأسير بالتقيّة عند عدم تحقّق الموضوع لا يكون مربوطاً بالبحث هنا ولاثمرة لهذا البحث في المقام، فلاحظ.

(٢) وبعبارة أوضح أنّ العمل بالتقيّة منوط بتحقّق موضوعه، فإذا تحقّق موضوعه وعمل

➔

الرجل الذي دخل عليه حفظاً لنفسه من لسانه حسبما تقدّم ذلك بيان غيره[(١)].

التاسع والعشرون: ما زعمه بقوله "فكلّ ما في الفرقان العظيم من خطاب المؤمنين...(إلى آخره)" فإنّك قد عرفت بهتانه في هذه الدعوى بأدلّة عديدة وهذه منه سرقة بيّنة ظلم بها إمام الخلق ودليلهم إلى الحقّ عليّاًعليه السلام[(٢)]، لما ثبت صحيحاً عن ابن عبّاس أنّ عليّاًعليه السلام أمير وشريف كلّ

←

الإنسان بها يعرف بأنّه أهل الديانة، لأنّ علامة أهل الديانة العمل بما أمر الله ورسولهصلى الله عليه وآله، لا العمل بالتقيّة من دون لحاظ تحقّق موضوعه، فإنّ وجوب التقيّة متوقف على تحقّق الموضوع في الخارج ، فإذا تحقّق موضوع في الخارج يجب على المكلف العمل بما أمره الشارع الأقدس في هذا المقام. فالتقيّة تكون كذلك إذ بعد تحقق موضوعها مع شرائطها وقيودها في الخارج يكون ترتب الحكم الشرعي عليها قهري، فيجب على المكلّف العمل بها، لتحقّق موضوعها في الخارج، وأمّا مع عدم تحقّق موضوعها في الخارج فلا معنى لوجوب العمل بها، فإنّ موضوع التقية الخوف والاضطرار، ومع عدم تحقّق ذلك لا معنى للحكم بوجوبها، فلاحظ.

(١) وخلاصة الكلام أنّ العمل بالتقيّة مع فرض تحقّق موضوعها في الخارج من علائم التدّين، لأنّ من عمل بها من الوظائف الشرعيّة التي أمر بها الله ورسولهصلى الله عليه وآله، ومن الواضح أنّ العمل بالوظيفة الشرعيّة أي بحسب ما أمر الله ورسولهصلى الله عليه وآله من التقوى والورع وإخلاص المؤمن، فلاحظ.

(٢) لا يخفى أنّ الحديث عن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والآيات

←

➔

التي نزلت بحقّه وولايته حديث طويل، وإنّ وجود الإمامعليه السلام يُعدّ درساً خالداً لا يُنسى لكلّ الأجيال البشريّة من الجهات العديدة، وفي الظروف والأوضاع المختلفة، سواءٌ في عمله الفرديّ والشخصيّ أم في محراب عبادته أم في مناجاته أم في زهده أم في فنائه في ذكر الله، أم في جهاده مع الأعداء وجهاده مع النفس والشيطان والدوافع النفسانيّة والماديّة؛ ما زالت الكلمات تملأ آفاق عالم الخلقة والحياة الإنسانيّة. من تلك المدائح والمناقب أنّ كلّ ما ذكر القرآن بعد كلمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ من المدح والفضل فهو ثابت للامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، بل أنّهعليه السلام في ذاك المدح والفضل أمير وسيّد الممدوحين، لما ورد عن ابن عبّاس مفسّر القرآن وحبر الأمّة أنّه قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «ما أنزل الله عزّ وجلّ آية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ إلاّ وعلي رأسها وأميرها وشريفها»، ولقد عاتب الله أصحاب محمّدصلى الله عليه وآله في غير مكان وما ذكر عليّاً إلاّ بخير (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١١٢)، ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج١١: ص٢١١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ج١: ص٦٥، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٦٤، ومحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٨٠، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١٣: ص١٠٨، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٦٣ وغيرهم. وقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن محمّد بن هارون الحضرمي قال: سمعت محمّد بن منصور الطوسي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالبعليه السلام (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٧). وأخرج الخوارزمي في مناقبه بسنده، عن الإمام الصادقعليه السلام، مسنداً عن آبائه، قال: «قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: إن الله تعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب فضائل لا يحصي عددها غيره، فمن ذكر فضيلة من

🡐

←

فضائله، مقرّاً بها، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائل علي بن أبي طالب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن نظر إلى كتابة في فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر» (المناقب للخوارزمي: ص١١٩). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في فضائل مولانا الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما ورد في قبال ذلك الروايات الكثيرة في مطاعن أعداء الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والغاصبين لحقوقه وأتباعهم، وللباحث أن يراجع كتاب محاكمات الخلفاء وأتباعهم للدكتور جعفر الخليلي، وقد جاء في بعضها على لسان سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، أنّ بعض أعداء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أهل التابوت في النار، وهو مكان في نار جهنّم وأشدّ الناس عذاباً، ففي كلام لمولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد احداث السقيفه والبيعه لأبي بكر، قال الإمام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ تابوتاً من نار فيه اثنا عشر رجلاً، ستّة من الأوّلين وستّة من الآخرين، في جبّ قعر جهنم في تابوت مقفّل، على ذلك الجبّ صخرة. فأذا أراد الله أن يسعر جهنّم، كشف تلك الصخرة عن ذلك الجبّ، فأستعرت جهنّم من وهج ذلك الجبّ ومن حرّه». وقال الإمام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: «فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنتم شهود به (يقصد سلمان وأبي ذرّ والزبير والمقداد)، عن الأوّلين، فقال: أمّا الأولون فابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون الفراعنة، والذي حاجّ إبراهيم في ربّه، ورجلان من بني اسرائيل بدّلا كتابهم وغيّرا سنّتهم، أمّا أحدهما فهوّد اليهود، والآخر نصر النصارى، وعاقر الناقة، وقاتل يحيى بن زكريا، وفي الآخرين الدجال، وهؤلاء الخمسة أصحاب الصحيفة والكتاب، وجبتهم وطاغوتهم الذي تعادوا عليه وتعاقدوا على عداتك يا أخي

→

آية خوطب فيها المؤمنون، ولقد عاتب الله سبحانه أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله غير مرّة ولم يذكره لغير الخير[١]، روى ذلك الطبري[٢]، وابن أبي حاتم[٣] وغيرهما عنه[٤].

➔

وتظاهروا عليك بعدي، هذا وهذا حتّى سماهم وعدّهم لنا». قال سلمان: فقلنا: صدقت، نشهد أنّا سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله (كتاب سليم بن قيس الكوفي الهلالي صاحب الإمام أمير المؤمنين: ص٨٢). وإلى غير ذلك من الروايات.

(١) انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١١٢، والمعجم الكبير للطبراني ج١١: ص٢١١، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج١: ص٦٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٦٤، والرياض النضرة للمحبّ الطبري ج٣: ص١٨٠، وكنز العمال للمتّقي الهندي ج١٣: ص١٠٨، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢: ص٣٦٣ وغيرهم.

(٢) انظرالرياض النضرة للمحبّ الطبري ج٣: ص١٨٠

(٣) قد روى ابن أبي حاتم وهو أبو محمّد عبد الرحمن بن محمّد بن إدريس ابن المنذر التميميّ الحنظليّ الرازيّ ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) في تفسيره بسنده عن ابن عبّاس قال: ما في القرآن آية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ إلاّ أنّ عليّاً شريفها وأميرها وسيّدها، وما من أصحاب محمّد إلاّ قد عوتب في القرآن إلاّ علي بن أبي طالب فإنّه لم يعاتب في شيء منه (تفسير ابن أبي حاتم ج٣: ص٧١٨). وقال ابن تيميّة حول تفسير ابن أبي حاتم: هو من المفسّرين الكبار الذين لا يروون الموضوعات... (انظر منهاج السنّة ج٧: ص١٣).

(٤) لقد روى أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة بسنده عن عكرمة أنّه قال: سمعت ابن عبّاس، يقول: ليس من آية في القرآن: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ إلاّ

➔

فعلم كون باقي المؤمنين متابعيه دون المتقدّمين عليه وظالميه[(١)]،

→

وعلي رأسها وأميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في القرآن، وما ذكر عليّاً إلاّ بخير (انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٦٥٤). وروى أبو نعيم الإصبهاني في حلية الأولياء بسنده عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ما أنزل الله آية فيها ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ إلاّ وعليّ رأسها وأميرها» (حلية الأولياء ج١: ص٦٤). وروى الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن محمّد ابن مروان عن جعفر بن محمّد قال: قال ابن عبّاس: ما ذكر الله جلّ ثناؤه في كتابه ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ إلاّ وعلي أميرها (انظر شواهد التنزيل ج١: ص٧١). وروى ابن عساكر بسنده عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عبّاس قال: ما أنزل الله من آية فيها ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ دعاهم فيها إلاّ وعلي بن أبي طالب كبيرها وأميرها (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٦٢). وإلى غير ذلك من المصادر التي روت هذا الحديث.

(١) وخلاصة الكلام أنّ المؤمن الحقيقي هو من كان تابعاً للإمام أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بجميع معنى الكلمة، لأنّ أصل الإيمان: هو الاذعان بالحقّ على سبيل التصديق واليقين. ولذلك لمّا سئل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه بأي شيء علم المؤمن أنه مؤمن؟ فقال عليه السلام: «التسليم لله والرضا بما ورد عليه من سرور أو سخط» (انظر المحاسن للبرقي ج٢: ص٣٢٨). وقريب من هذا المضمون ما أخرجه الهيثمي بسنده عن عمرو بن الحمق، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «لا يحقّ العبد حقيقة الإيمان حتّى يغضب لله ويرضى لله، فإذا فعل ذلك استحقّ حقيقة الإيمان، وإنّ أحبابي وأوليائي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم» (مجمع الزوائد ج١: ص٥٨). ومن هنا يعرف معنى قوله: «هل الدين إلاّ الحبّ والبغض» فقد أخرج الشيخ

←

➔

الصدوق رحمه الله بسنده عن سعيد بن يسار قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «هل الدين إلاّ الحب؟ إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾» (الخصال للشيخ الصدوق: ص٢١). فأصل الإيمان هو الحبّ والبغض لله، فإنّ أساس الإيمان هو الحبّ لله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (سورة آل عمران:٣١)، لأنّ الحبّ لله ليس بالعلاقة القلبيّة فحسب، بل يجب أن تظهر آثاره في عمل الإنسان، فإنّ من يدّعي حبّ الله فعليه أوّلاً اتّباع رسوله صلى الله عليه وآله فيقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾. وفي الواقع أنّ من آثار الحبّ الطبيعيّة انجذاب المحبّ نحو المحبوب والاستجابة له، فلا شكّ أن للحبّ الحقيقيّ آثاراً عمليّة تربط المحبّ بالحبيب وتدفعه للسعي في تحقيق طلباته، فحبّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان، لأنّ من أحبّ الإمام عليه السلام كمن أحبّ النبي صلى الله عليه وآله، ومن أحبّ النبي صلى الله عليه وآله كمن أحبّ الله عزّ وجلّ، ولذلك قال تعالى عن لسان النبي صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾. ومن هنا يعرف معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان وبغضه علامة الكفر والنفاق، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن زر قال: قال علي عليه السلام: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأمّي صلى الله عليه وآله إليّ لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق» (انظر صحيح مسلم ج١: ص٦١ كتاب الإيمان، باب أنّ حبّ الأنصار والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الإيمان وعلائمه). وكما جاء في الروايات المتّفقة بين جميع المسلمين، فقد أخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أنس بن مالك، هو يحلف ويقول: والله الذي لا إله إلاّ هو سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام» (تاريخ مدينة

🡐

➔

دمشق ج٥: ص٢٣٠)، ورواه السيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص١٨٤، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦٠١، والمناوي في فيض القدير ج٤: ص٤٨١، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج٥: ص١٧٧ وغيرهم. فعلى كلّ مسلم أنّ يفكّر في هذا الحديث، والمعنى الظاهر منه. فإنّ الأوّل ما يستفاد من هذه الرواية هو أنّ عنوان المؤمن في يوم القيامة يطلق على من يُختتم على صحيفته حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فهذا العنوان الرئيسي لتسجّل أعمال المؤمنين يوم القيامة قبل الصلاة والصوم والحجّ وسائر العبادات والأعمال الصالحة. ولتوضيح معنى الحديث نأتي بروايات أخرى إلى جانب هذا الحديث، فقد أخرج المتّقي الهندي في كنز العمّال بسنده عن محمد بن الحنفيّة عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لولاك يا علي ما عرف المؤمنون من بعدي» (كنز العمّال ج١٣: ص١٥٢). فإنّما يعرف المؤمنين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بمحبّتهم للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنّه لا يوجد معيار لمعرفة المؤمن لولا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فحينما يقول النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: «عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام»، أو يقول صلى الله عليه وآله: «لولاك يا علي ما عرف المؤمنون من بعدي»، معناه أنّ لقب المؤمن يختصّ بشيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل المعيار هذا العنوان حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بأن يكون عنوان صحيفة كلّ مؤمن يوم القيامة حبّه عليه السلام. وبهذه العلامة يعرف معنى قوله صلى الله عليه وآله: «لولاك يا علي ما عرف المؤمنون من بعدي»، ولهذا اختصّ الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لقب أمير المؤمنين كما ورد ذلك في الروايات الكثيرة، منها: ما رواه

🡐

➔

الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي بسنده عن ابن زاهر أنّه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن القائم يسلَّم عليه بإمرة المؤمنين؟! قال: «لا، ذاك اسم سمّى الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسم به أحد قبله، ولا يتسمّى به بعده إلاّ كافر»، قلت: جعلت فداك كيف يسلّم عليه؟! قال: يقولون: «السلام عليك يا بقية الله»، ثمّ قرأ: ﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الكافي ج١: ص٤١٢). ومنها: ما أخرجه العلاّمة المجلسي رحمه الله في حديث طويل بسنده عن مكحول، قال: قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: «لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمّد صلى الله عليه وآله أنّه ليس فيهم رجل له منقبة إلاّ وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم»، قلت: يا أمير المؤمنين، فأخبرني بهن، فقال عليه السلام: «إنّ أوّل منقبة لي أنّي لم أشرك بالله طرفة عين، ولم أعبد اللات والعزى... وأمّا السابعة والستّون: فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أن أدعى بإمرة المؤمنين في حياته وبعد موته ولم يطلق ذلك لأحد غيري» (بحار الأنوار ج٣١: ص٤٣٢). ومنها: ما أخرجه العياشي في تفسيره بسنده عن محمد بن إسماعيل الرازي عن رجل سماه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رجل على أبي عبد الله فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقام على قدميه فقال: «مه، هذا اسم لا يصلح إلاّ لأمير المؤمنين عليه السلام، الله سمّاه به ولم يسمّ به أحد غيره فرضى به إلاّ كان منكوحاً وإن لم يكن به ابتلى به، وهو قول الله في كتابه ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾»، قال: قلت: فماذا يدعى به قائمكم؟ قال: «يقال له السلام عليك يا بقيّة الله، السلام عليك يا بن رسول الله» (تفسير العيّاشي ج١: ص٢٧٦). ومنها: ما أخرجه الشيخ الطوسي رحمه الله في أماليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لمّا أسرى بي إلى السماء كنت من ربّي كقاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليّ ربّي ما أوحى، ثمّ قال: يا محمّد، اقرأ علي بن أبي طالب

🡐

فمن زعمه السنّي من الثلاثة ومتابعيهم ليس لهم نصيب في الخطابات المشار إليها لما عرفته من مشاقاتهم للرسولصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ[1]،

➔

أميرالمؤمنين السلام، فما سمّيت بهذا أحداً قبله، ولا أسمّي بهذا أحداً بعده» (الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٩٥). وإلى غير ذلك من الروايات. فالمستفاد من مجموع هذه الروايات أنّ المؤمن الحقيقي هو شيعة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ وأتباعه دون غيرهم، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الحشر:٤). فإنّ كلمة شاقّوا من مادّة شقاق وهي بمعنى الفصل بين شيئين، وبما أن العدوّ يكون دائماً في الطرف المقابل، وبمعاداته يريد الانشقاق والانفصال فسمّي بالشقاق تنبيهاً على أنّ مخالفة أعداء الله ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ليس لديهم أي منطق سوى الإنشقاق بين الأمّة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾، يعني ذلك بأنّهم عادوا الله ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، ومن يعادي الله ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فإنّ الله شديد العقاب. والشيء الجدير بالملاحظة أنّ بداية الآية الكريمة طرحت مسألة العداء لله ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وفي ذيل الآية اقتصر على العداء لله سبحانه فقطّ، وهو إشارة إلى أنّ العداء لرسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ مساوق للعداء مع الله، لأنّ ما جاء به الرسولصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ هو نفس ما أمر به الله عزّ وجلّ. ومن هنا يعرف أنّ عداء أهل السقيفة والتابعين لهم لأهل البيتعَلَيْهِمُالسَّلَامُ عداء لرسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، لأنّ غصب الخلافة، والبدعة في الدين وانحراف فيه معاداة لرسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، ومن الواضح أنّ ما جاء به رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فهو من الله عزّ وجلّ، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾، وعليه فإنّ العداء لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ، عداء لله ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. ويؤيّد ذلك ماورد عن رسول

➔

➔

الله صلى الله عليه وآله حيث قال للامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي حربك حربي وسلمك سلمي» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٢٩٧). وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله: «يا علي حربك حربي وسلمك سلمي وحزبك وحزبي وحزبي حزب الله» (انظر تفسير فرات الكوفي: ص٢٦٦). فجميع المخالفات الصادرة من الخلفاء الثلاثة تدخل تحت عنواق الشقاق، المذكور في الآية الكريمة، حيث أنّها عداء لمولانا الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فغصب الخلافة من الخلفاء الثلاثة محاربة لله ورسوله صلى الله عليه وآله فهم خرقوا بذلك حدود الله ومحقوا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأصبح الناس التابعين لهم يتّخذون طريقة أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله طريقاً ومنهجاً لمحاربة الله ورسوله صلى الله عليه وآله. فالغاصبين للخلافة أئمة الضلال، وأهل البدع في الدين والتابعين لهم أيضاً يدخلون تحت عنوان عبدة الطاغوت، إذ بمتابعتهم لأئمة الضلال، لأنّه قد قامت لديهم الحجّة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهم قد رفضوها وذلك لقوله تعالى: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ (سورة النساء:١٦٥)، وقد أتمّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله الحجّة عليهم بأوضح البيان. وهذا معنى الإمامة الإلهيّة، حيث أنّها استمرار للرسالة السماويّة. فغصب الخلافة غيّرت المصير الأمّة، ودفعت الأمّة إلى أجواء خطرة بسبب معاداة أبي بكر وعمر وعثمان لله ورسوله صلى الله عليه وآله، وكانت مخالفاتهم ومعارضاتهم للدين فتحاً لباب العداء والشقاق بين الناس ضدّ أهل البيت عليهم السلام، ونحن نذكر هنا بعض مخالفاتهم من باب المثال، فمنها: مخالفة أبي بكر للقرآن والسنّة النبويّة في منعه فاطمة الزهراء عليها السلام فدكاً، فإنّه مع وجود العديد من النصوص والروايات التي تؤكّد بصراحة على أنّ فدك كانت نحلة للزهراء عليها السلام، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أعطاها إيّاها خالصة قبل وفاته صلى الله عليه وآله. إذ قد أخرج الهيثمي بسنده

🡐

➔

عن أبي سعيد الخدري قال لمّا نزلت ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٤٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٧: ص٤٩، وابن كثير في تفسيره ج٣: ص٣٩، والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤: ص١٧٧، والشوكاني في فيح القدير ج٣: ص٢٢٤ وغيرهم. والرواية صريحة في أنّ فدك كانت نحلة للزهراء عليها السلام. وقد جعلت الزهراء عليها السلام الفدك بيد إمام زمانها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليعطي ثمرتها للفقراء والمساكين، ولذلك قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «بلى، كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين» (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥: ص٩٩). ففي هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام تصريح بأنّ فدك كانت ملكاً لهم في أيديهم، وذلك بقرينة تسلّط اليد عليها حيث أنّها قاعدة شرعيّة وعقلائيّة، فأكدّ الإمام عليه السلام بأنّ الفدك كانت في أيدينا، أي تحت تسلّطنا الشرعيّ والعقلائيّ، قبل أن يستولي عليها أبو بكر وعمر وخلفاء الجور وذلك ممّا يعني أنّها كانت نحلة، لا ميراثاً، وعليه فأخذ أبي بكر الفدك من الزهراء عليها السلام كان مخالفة صريحة للنصوص الشرعيّة من كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعلى فرض كون الفدك إرثاً، فأيضاً أخذ أبي بكر الفدك من الزهراء عليها السلام من أوضح مخالفاته ومعارضات للنصوص القرآنيّة والسنّة النبويّة، لأنّ الزهراء عليها السلام قد أوضحت معاداتهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله في احتجاجها على أبي بكر في خطبتها المعروفة بقولها: «يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا، إذ قال:

➔

ومتابعتهم غير سبيل المؤمنين[1]،

➔

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾»، ثمّ قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟! فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد صلى الله عليه وآله والموعد القيامة وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون»، ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: «يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي، والسنّة عن ظلامتي؟» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). ولكن أبا بكر قد تمرّد على ما جاء في الشريعة المقدّسة ليفتح باب العناد والتمّرد في الدين على الآخرين وذلك بطريق المحاربة لله ورسوله صلى الله عليه وآله. ومن الواضح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد نصّ على أنّ غضب ابنته الزهراء عليها السلام بأنّ غضبها غضبه صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم). فأراد أبو بكر أن يعلن عداوته للرسول صلى الله عليه وآله بغصب الفدك إغضاب فاطمة عليها السلام ليروّج هذه المحاربة والعداء لله ورسوله صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام بين الأمة. ثمّ إنّ هناك مشاقات لله ورسوله صلى الله عليه وآله من الخلفاء الثلاثة كثيرة ولو أردنا أن نقف عندها ونذكرها لطال بنا المقام.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ذيل الآية الكريمة: **﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** (سورة النساء:١١٥). وقد بيّن سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة أنّ من تمرّد على الرسول صلى الله عليه وآله وعاداه، سوف يجد أثر تمرّده وعدائه وعناده ومخالفته لرسول الله صلى الله عليه وآله، لاسيّما بعد ما تبيّن له الحقّ بأحسن الوضوح، حيث أعلنت الآية الكريمة أنّ مخالفتهم وعنادهم تكون بعد وضوح الحقّ لهم، فقال تعالى: **﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ**

➔

➔

لَهُ الْهُدَى﴾، أي من بعد ما قامت لهم الحجّة وصحّت لهم الأدلّة، ومع ذلك أخذوا طريق العداء لله ورسوله صلى الله عليه وآله، وهو غير طريق المؤمنين، كما قال تعالى: **﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**، فإنّ الله سوف لن يهديه إلى الطريق الحقّ، فتقول الآية: **﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** فسيرسله الله يوم القيامة إلى جهنّم، وما أسوأ هذا المكان الذي ينتظره!

فالآية تلزم على جميع المؤمنين بأن لا يسلكوا سبيل المخالفين والمعاندين للدين، وأشارت إلى الآثار والعواقب السيّئة التي ستكون لهذا الطريق. وبعبارة أخرى أنّ الآية أعلنت أنّ من يواجه النبي صلى الله عليه وآله بالعناد والمخالفة بعد وضوح الحقّ له، معناه أخذ طريق العداء لله ورسوله صلى الله عليه وآله، فهو ممّن يشاقق الرسول صلى الله عليه وآله من بعدما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين، فنولّه ما تولّى ونصله جهنّم وساءت مصيراً. فيجب انتباه التابعين لخلافة السقيفة إلى هذه عبارة من الآية الكريمة: ومن يشاقق... حيت أنّ هذه القضية مستمرّة، بل وقد تتوسّع بذلك زاوية انحرافه عن جادّة الحقّ والصواب، إلى أن يصل إلى محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وأنّ من يختار هذا الطريق إنّما يكون سلبياته عليه، لأنّه هو الذي اختاره لنفسه والبناء الذي وضع أساسه بيده، فالآية تنطبق أولاً على مخالفة الخلفاء الثلاثة وعنادهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله. وثانياً تنطبق على من تبعهم في هذه المحاربة والمشاقة، فشمول الآية لهم من جهة متابعتهم لغير سبيل المؤمنين ووقوفهم أمام الله ورسوله صلى الله عليه وآله ولذلك قال الله تعالى: **﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ...﴾** وهي إشارة إلى حرمانه ما اختاروا لأنفسهم من الأولياء واستحقاقهم العقاب الإلهي، لمواصلتهم السير في طريق الضلالة، كما قال تعالى: **﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا...﴾** فهي تشير إلى مصير هؤلاء يوم القيامة، فلاحظ.

فإنّ سبيل المؤمنين عبارة عن متابعة عليّ عليه السلام لما نقله ابن عبّاس[١]. ويشهد له خبر «وليّ كلّ مؤمن بعدي»[٢]،

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المتقدّم ذكره وهو ما رواه أبو نعيم في حلية الأولياء من طريق ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أنزل الله آية فيها ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ إلاّ وعلي رأسها وأميرها» (حلية الأولياء ج١: ص٦٤). وفي لفظ الطبراني وابن أبي حاتم: إلاّ وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في غير مكان وما ذكر علياً إلاّ بخير (انظر المعجم الكبير للطبراني ج١١: ص٢١١، وتفسير ابن أبي حاتم ج٣: ص٧١٨). وروى السيوطي بسنده عن ابن عبّاس أنّه قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي نزلت في علي ثلثمائة آية (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٨٩). وهنا بلاغة قرآنيّة وإعجاز قرآني، حيث أنّه تعالى ذكر سبيل المؤمنين لكي يكونوا قدوة للمؤمنين من بعدهم، فالمقصود من سبيل المؤمنين الواردة في الآية هم أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم الذين قال في حقّهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تتقدّموهم فتهلكوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم». وقال صلى الله عليه وآله: «وإنّي سائلكم غداً عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». وإلى غير ذلك من الروايات التي سيأتي ذكرها في محلّه فلاحظ.

(٢) هذه العبارة إشارة إلى الرواية التي رواها علماء الإسلام بأسناد صحيحة. فرواها كبار المحدّثين من أهل السنّة في كتبهم بطرق صحيحة. وفيها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عدّ عشرة خصال لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، منها: «أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي»، فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عمران ابن حصين، قال في حديث طويل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «دعوا علياً دعوا علياً، إنّ علياً منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤:
←

وخبر المنزلة[1]،

➔

ص٤٢٨)، ورواه الترمذي في سننه ج٥: ص٢٩٢ ح٣٧٩٦ والنسائي في فضائل الصحابة: ص١٥، والطيالسي في مسنده: ص١١١، وابن أبي شيبة في كتابه المصنف ج٧: ص٥٠٤، والضحاك في الآحاد والمثاني ج٤: ص٢٧٩، وابن أبي عاصم في كتاب السنّة: ص٥٥٠ وغيرهم.

والاستدلال بها على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل واضح، لأنّ قوله صلى الله عليه وآله: «ولي كلّ مؤمن بعدي» بمعنى: الأولى بالقيام بالأمر من بعدي على نحو الإطلاق، كما هو المراد من الولي في قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ (سورة الأحزاب:٦)، فقوله صلى الله عليه وآله: «ولي كلّ مؤمن بعدي» بمعنى أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وليّكم وصاحب أمركم من بعدي، فكما في الآية الولي بمعنى الأولى بالتصرّف، كذلك في الحديث، والشاهد على ذلك ما قاله النحّاس في معنى الولي، ما هذا نص عبارته: وحقيقة معنى الآية -والله جلّ وعزّ أعلم- أنّ النبي صلى الله عليه وآله إذا أمر بشيء أو نهى عنه، ثمّ خالفته النفس كان أمر النبي صلى الله عليه وآله ونهيه أولى بالاتّباع من الناس (انظر معاني القرآن للنحّاس ج٥: ص٣٢٥). فالحديث يدلّ بالصراحة على أنّ طريق النجاة منحصر في ولاية مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) إنّ حديث المنزلة من الأحاديث الصحيحة المعروفة المشهورة عند أهل السنّة، وقد أخرجها جميع أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد، كما أنّ أهل السير والأخبار أرسله إرسال المسلّمات، لأنّه رواه أكثر من ثلاثين صحابيّاً عن النبي صلى الله عليه وآله، وربّما يبلغون الأربعين إن أضفنا اليهم النساء كأمّ سلمة، وأسماء بنت عميس ونحوهما من الصحابيّات وأمّهات المؤمنين. يقول ابن عبد البرّ: هذا

🡐

➔

الحديث من أثبت الأخبار وأصحّها، وطرق حديث سعد بن أبي وقّاص كثيرة جداً... (ثمّ ذكر) عدّة من الصحابة الذين رووا هذا الحديث عن النبيﷺ...، ثمّ قال: وجماعة يطول ذكرهم (انظر الاستيعاب لابن عبد البرّ ج٣: ص١٠٩٧).

وذكر ابن حجر – عند شرح الحديث – أسماء عدّة من الصحابة الذين رووا حديث المنزلة، (ثمّ قال): وقد استوعب طرقه ابن عساكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام... (لاحظ فتح الباري في شرح البخاري ج٧: ص٦٠). ويقول الحاكم النيسابوري: وهذا الحديث دخل حدّ التواتر... (انظر كفاية الطالب للحافظ الكنجي: ص٢٨٣، نقلاً عن الحاكم النيسابوري). وقد أخرجه البخاري ومسلم بإسنادهما عن سعد بن أبي وقّاص عن النبيﷺ قال للإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي؟» (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ كتاب المناقب، باب فضائل المهاجرين وفضلهم، وج٥: ص١٢٥ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، وصحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالبعليه السلام)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص١٧٧، وابن ماجة في سننه ج١: ص٤٣ ح١١٥، والترمذي في سننه ج٥: ص٣٠٢ ح٣٨٠٨ وغيرهم.

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه هذا الحديث، وقالﷺ: ...«أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي، ولو كان كنته؟» (انظر تاريخ بغداد ج٤: ص٥٦)، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١٧٦. وأخرج الخطيب البغدادي أيضاً بسنده عن عمر بن الخطّاب: أنّه رأى رجلاً يسبّ علياًعليه السلام، فقال عمر: إنّي أظنّك منافقاً، سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إنّما علي منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي» (انظر تاريخ بغداد

➔

➔

ج٧: ص٤٥٣)، فالحديث من جهة السند في غاية الصحة عند أهل السنّة.

وأمّا من جهة الدلالة، فهو نصّ قاطع في خلافة مولانا أمير المومنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل، لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بيّن في هذا الحديث: أنّ جميع منازل هارون من موسى عليهما السلام، أي جميع الفضائل والمناقب الثابتة لهارون من موسى عليهما السلام في بني إسرائيل، تكون ثابتة للإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بالنسبة إلى نفسه صلى الله عليه وآله إلاّ النبوة، فلا بدّ أن نبحث عن جميع تلك المنازل لنعرف معنى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ لفظ الحديث عامّ، والاستثناء يدلّ على الانحصار فقوله صلى الله عليه وآله: «إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» يؤكّد هذا المعنى، حيث أنّ عموم الحديث دالّ على أنّ الاستثناء أمر منحصر به، أي ما استثناه النبي صلى الله عليه وآله بعد العموم دليل على انحصار تلك المنازل للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وعلى هذا الأساس يمكن أن يستفاد من هذا الحديث الأمور التالية:

١- إنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله كما أنّ هارون عليه السلام كان له مثل هذا المقام، لأنّ هارون عليه السلام كان أفضل الناس بعد موسى عليه السلام، كما قال الله تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا**﴾ (سورة مريم:٥٣).

٢- إنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وزير النبي صلى الله عليه وآله ومعاونه الخاصّ وعضده وشريكه في قيادته، لأنّ القرآن الكريم أثبت هذا المنصب لهارون عليه السلام عندما يقول تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام: ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾ (سورة طه: ٢٩-٣٢).

٣- إنّه كان للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مضافاً إلى الأخوة الإسلاميّة العامّة مقام الأخوّة الخاصّة والمعنويّة للنبي صلى الله عليه وآله. كما قال تعالى عن لسان

➔

وخبر العدد[1]،

➔

موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي﴾.

٤- إنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ أحد منازل التي ذكرها القرآن تكون لهارون عليه السلام الوزارة وهي الخلافته، كما قال تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي﴾ ومع وجودهذه المناصب لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يصلح أحد غيره لهذا المنصب.

ثم إنّ هذه المنازل التي يخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث المنزلة جميعها تكون للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والفارق الوحيد بين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهارون عليه السلام هو أنّ هارون كان نبيّاً، والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان إماماً بعد النبي الإسلام صلى الله عليه وآله، لأنّ النبوة ختمت بنبي الإسلام صلى الله عليه وآله، ولذلك ورود في الحديث الذي رواه الخطيب البغدادي: «ولو كان كنته» (انظر تاريخ بغداد ج٤: ص٥٦). أي لولا هذه الجهة لشارك الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله حتّى في النبوّة. فحديث المنزلة بضميمة الآيات يدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث الدالّ على أنّ عدد الأئمة والخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وآله اثنى عشر، وقد رواه علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم بسياقات وعبارات مختلفة، وإليك بعض ما جاء في كتبهم: منها ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن شعبة عن عبد الملك قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «يكون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه يقول: «كلّهم من قريش» (صحيح البخاري ج٨: ص١٢٨ كتاب الأحكام، باب قبل باب إخراج

🡐

➔
الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة). ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع النبيﷺ فسمعته يقول: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة»، ثمّ تكلّم بكلام خفي عليّ، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج٦: ص٢ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). ومنها: ما أخرجه أ مسلم في صحيحه بسنده عن سمّاك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، ثمّ قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: قال النبيّﷺ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، قال: ثمّ تكلّم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). ومنها : ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول اللهﷺ، قال: فكتب إليّ: سمعت رسول اللهﷺ يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول: «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ج٦: ص٤ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن سفيان بن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»، ثمّ تكلّم النبيّﷺ بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول اللهﷺ؟ فقال: «كلّهم
➔

➔

من قريش». ورواه أيضاً عن قتيبة بن سعيد عن أبي عوانه عن سمّاك عن جابر ابن سمرة عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ولم يذكر «لا يزال أمر الناس ماضياً» (صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش). ومنها: ما أخرجه أبو داود في سننه بسنده عن عامر، عن جابر ابن سمرة، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، قال: فكبّر الناس وضجّوا، ثمّ قال كلمة خفيّة، قلت لأبي: يا أبة ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» (سنن أبي داود ج٢: ص٣٠٩). ومنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عامر عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» فكبّر الناس وضجّوا، ثمّ قال كلمة خفيت، قلت لأبي: يا أبة ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٩٨). ومنها: ما أخرجه الحاكم في المستدرك بسنده عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال: كنّا جلوساً ليلة عند عبد الله يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا با عبد الرحمن هل سألتم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كم يملك هذه الأمّة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألناه فقال: «اثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل» (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٥٠١). ومنها: ما أخرجه أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن عامر عن جابر بن سمرة السوائي قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول في حجّة الوداع: «لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه لا يضرّه مخالف ولا مفارق حتّى يمضي من أمّتي اثنا عشر أميراً كلّهم»، ثمّ خفي من قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قال: وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ منّي، فقلت: يا أبتاه، ما الذي خفي من قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قال: يقول: «كلّهم من قريش» (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٨٧). ومنها: ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق

➔

➔
بسنده عن الشعبي عن مسروق قال: سأل رجل عبد الله بن مسعود: هل حدّثكم نبيّكمﷺ بعدّة الخلفاء من بعده؟ قال: نعم وما سألني عنها أحد قبلك، قال: «إن عدّة الخلفاء بعدي عدّة نقباء موسىعليه السلام» (تاريخ مدينة دمشق ج١٦: ص٢٨٦). ومنها: ما أخرجه القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة بسنده عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: كنت مع أبي عند رسول اللهﷺ فسمعته يقول: «بعدي اثنا عشر خليفة»، ثمّ أخفى صوته فقلت لأبي: ما الذي قال في ما أخفى صوته؟ قال: قال: «كلّهم من بني هاشم» (ينابيع المودّة ج٢: ص٣١). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم بهذه المضامين. ولو أضفنا إليها غيرها من الروايات الواردة في كتب أهل السنّة الدالّة على ذكر الأئمّة الاثني عشر من أهل البيتعليهم السلام بأسمائهم واحداً بعد واحد، يتمّ ما ذهبت إليه الشيعة الاثنا عشرية من أنّ خلفاء رسول اللهﷺ هم الأئمّة الاثنا عشر من أهل البيتعليهم السلام. فقد أخرج إبراهيم ابن محمّد الحمويني الشافعي في فرائد السمطين بسنده عن مجاهد، عن ابن عبّاس قال: قدم يهودي يقال له نعثل، فقال: يا محمّد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك؟ قالﷺ: «سل يا أبا عمارة» فقال: يا محمّد صف لي ربّك، فقالﷺ: «لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز العقول أن تدركه والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار أن تحيط به، جلّ وعلا عمّا يصفه الواصفون، نائي في قربه، وقريب في نأيه، هو كيف الكيف، وأين الأين، فلا يقال له أين هو؟ وهو منقع الكيفيّة والأينونيّة، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد». قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن قولك إنّه واحد لا شبيه له، أليس الله واحد والإنسان واحد؟ فقالﷺ: «الله عزّ
➔

➔

وعلا واحد حقيقي، أحدي المعنى، أي لا جزء ولا تركب له، والانسان واحد ثنائي المعنى، مركّب من روح وبدن». قال: صدقت، فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبيّ إلاّ وله وصي، وإنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون، فقال: «إنّ وصيي عليّ بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين»، قال: يا محمّد فسمّهم لي؟ قال: «إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه علي، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر»، قال: أخبرني كيفيّة موت علي والحسن والحسين؟ قال صلى الله عليه وآله: «يقتل علي بضربة على قرنه، والحسن يقتل بالسمّ والحسين بالذبح»، قال: فأين مكانهم؟ قال: «في الجنّة في درجتي»، قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله، وأشهد أنّهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدّمة، وفيما عهد إلينا موسى بن عمران عليه السلام إنّه إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له أحمد ومحمّد، هو خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، فيكون أوصياؤه بعده اثنا عشر: أوّلهم ابن عمه وختنه، والثاني والثالث كانا أخوين من ولده، ويقتل أمّة النبي: الأوّل بالسيف، والثاني بالسمّ، والثالث مع جماعة من أهل بيته بالسيف وبالعطش في موضع الغربة، فهو كولد الغنم يذبح ويصبر على القتل لرفع درجاته ودرجات أهل بيته وذرّيّته، ولإخراج محبّيه وأتباعه من النار، وتسعة الأوصياء منهم من أولاد الثالث، فهؤلاء الاثنا عشر عدد الأسباط قال صلى الله عليه وآله: «أتعرف الأسباط؟» قال: نعم كانوا اثنا عشر، أوّلهم لاوي بن برخيا، وهو الذي غاب عن بني إسرائيل غيبة ثمّ عاد، فأظهر الله به شريعته بعد اندراسها، وقاتل قرسطيا الملك حتّى قتل الملك،

➔

وخبر الغدير[(١)]،

➔

قالﷺ: «كائن في أمّتي ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وإنّ الثاني عشر من ولدي يغيب حتّى لا يرى، ويأتي على أمّتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلاّ اسمه ولا يبقى من القرآن إلاّ رسمه، فحينئذ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج، فيظهر الله الإسلام به ويجدّده، طوبى لمن أحبّهم وتبعهم، والويل لمن أبغضهم وخالفهم، وطوبى لمن تمسّك بهداهم»، فأنشأ نعثل شعراً: صلّى الإله ذو العلى عليك يا خير البشر * أنت النبي المصطفى والهاشمي المفتخر. بكم هدانا ربّنا وفيك نرجو ما أمر * ومعشر سمّيتهم أئمة اثنا عشر. حباهم ربّ العلى ثمّ اصطفاهم من كدر * قد فاز من والاهم وخاب من عادى الزهر. آخرهم يسقي الظما وهو الإمام المنتظر * عترتك الأخيار لي والتابعين ما أمر. من كان عنهم معرضاً * فسوف تصلاه سقر (انظر فرائد السمطين للحمويني الجويني ج٢: ص١٣٢ ح٤٣١، وينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ج٣: ص٢٨١). فحديث اثني عشر خليفة يدل على إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام وعلى رأسهم مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلاحظ.

(١) إنّ حديث الغدير من أشهر الأحاديث المتواترة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، بل ويكون تواتره في أعلى درجة عند الباحثين والمحقّقين حيث صرّح بذلك كبار علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة. فمن أهل السنّة جماعة كشمس الدين الذهبي قال في ترجمة المطلب بن زياد: هذا حديث (حديث الغدير) حسن عال جدّاً ومتنه فمتواتر (سير أعلام النبلاء ج٨: ص٣٣٥)، وغيره من أعلامهم وسنذكر أقوالهم في محلّه إن شاء الله تعالى.

وقد جمعها العلاّمة الأميني قدس سره في كتابه الغدير ثمّ رواة الحديث قرناً بعد قرن فرواه

➔

➔

عن مائة وعشرين صحابياً وتسع وثمانين تابعياً وثلاثة آلاف وخمسمائة من العلماء والمحدّثين من المصنفين من أهل السنّة والجماعة الذين رووا هذا الحديث الشريف (انظر الغدير ج١: ص١٢-٤١٠). فحديث الغدير من هاتيك الحقائق لا يمكن إنكاره حتى للناصب المعلن بعداوة أهل البيت عليهم السلام.

وقال الملاّ علي القاري في المرقاة في شرح المشكاة: وعن زيد بن أرقم: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، رواه أحمد والترمذي قال: وفي الجامع: رواه أحمد وابن ماجة عن البراء، وأحمد عن بريدة، والترمذي والنسائي والضياء عن زيد بن أرقم، ففي إسناد المصنف الحديث عن زيد بن أرقم إلى أحمد والترمذي مسامحة لا تخفى، وفي رواية لأحمد والنسائي عن بريدة بلفظ: «من كنت وليّه فعلي وليّه»، وروى المحاملي في أماليه عن ابن عباس ولفظه: «علي بن أبي طالب مولى من كنت مولاه»، والحاصل: أنّ هذا الحديث صحيح لا مرية فيه، بل بعض الحفّاظ عدّه متواتراً، إذ في رواية لأحمد: أنّه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله ثلاثون صحابيّاً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته (انظر المرقاة في شرح المشكاة ج٥: ص٥٦٨).

قال ابن حجر العسقلاني: وأمّا حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جداً وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحيح وحسان... (فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج٧: ص٦١).

وقال في كتاب الإصابة: قد روى ابن عقدة عن مائة وخمس صحابياً رووا حديث الغدير في كتاب الولاية.... (انظر الإصابة لإن حجر ج٤: ص٣٢٦). ومثله ابن الأثير في أسد الغابة ج٣: ص٢٧٤. وقد طبع أخيراً كتاب الولاية لابن عقدة وجاء فيه ذلك

➔

➔

(انظر الولاية: ص١٣٨).

وقال ابن حجر الهيثمي: إنّه حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي، والنسائي، وأحمد، وطرقه كثيرة جدّاً، ومن رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبيﷺ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي لما نوزع أيّام خلافته كما مرّ وسيأتي، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحّته ولا من ردّه بأن عليّاً كان باليمن، لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحجّ مع النبيﷺ، وقول بعضهم: إنّ زيادة "اللّهم وال من والاه... الخ" موضوعة، مردود، فقد ورد ذلك من طرق صحّح الذهبي كثيراً منها (الصواعق المحرقة ج١: ص١٠٧).

وقال الألباني في صحيحته بعد أن ذكر الكثير من الطرق لهذا الحديث وصحّح العديد منها: وللحديث طرق أخرى كثيرة جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في المجمع ج٩: ص١٠٣، وقد ذكرت وخرجت ما تيسّر لي منها ممّا يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحّة الحديث يقيناً وإلاّ فهي كثيرة جدّاً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ ابن حجر: منها صحاح وحسان. وجملة القول أن حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه، الأوّل منه متواتر عنهﷺ كما يظهر لمن تتبّع أسانيده وطرقه وما ذكرت منها كفاية (سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج٤: ص٣٤٣).

ولا يخفى على الباحث أنّ حديث الغدير من الآثار الثابتة الذي رواه أرباب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة بأسناد صحيحة طبقة بعد طبقة من الرواة إلى الرسول الأعظمﷺ وقد أحصى العلامة الأمينيقدس سره في كتابه الغدير مائة وعشرة من الصحابة الذين رووا حديث الغدير عن النبيﷺ على ترتيب الحروف

🡐

وخبر «فاليتولّ عليّاًعليه السلام»[1]،

➔

الهجائيّة ابتداءً من أبي هريرة وانتهاءً بأبي مرازم يعلى بن مرّة وكلّها من مصادر أهل السنّة والجماعة... (لاحظ الغدير ج١: ص١٥١). كما أنّ السيّد عبد العزيز الطباطبائي استدرك بعضاً آخر وأضافهم إلى من روى حديث الغدير من الصحابة (لاحظ كتاب على ضفاف الغدير).

ثمّ إنّ دلالة حديث الغدير على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام واضحة، لا يقبل التوجيه، لأنّ بالقرائن الحالية والمقالية تدلّ على أنّ المقصود بالولاية الإمامة والخلافة، لأنّ قولهصلى الله عليه وآله: وأنا أولى بهم من أنفسهم قرينة على أنّ معنى ولاية الرسولصلى الله عليه وآله وولاية الله تعالى هو الولاية الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام النفس فما ثبت للرسولصلى الله عليه وآله يثبت للإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام وذلك لقوله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، وسنذكر إن شاء الله تفصيله في محلّه.

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث المعروف الذي رواه علماء أهل السنّة بطرق متعدّدة، منها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن زياد بن مطرف عن مطرف عن زيد بن أرقم قال: سمعت يقول: «من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي فليتول عليّاً وذريته من بعده، فإنّهم لن يخرجوكم باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلالة» (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢: ص٢٤٢)، ورواه المتّقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦١٢، وابن حجر في الإصابة ج٢: ص٤٨٥، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج١: ص٣٨٢، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص١٦٨ وغيرهم. والحديث صريح في أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله جعل فوز كلّ إنسان وسعادته ودخوله الجنّة بموالاة الإمام

➔

وخبر الثقلين[1]،

→

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام، وهو صريح في إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

(١) إنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتّفق عليها بين المسلمين، وهو من الآثار التي ثبت صدورها عن النبي صلى الله عليه وآله من طرق الفريقين. والكتب التي نقلت هذا الحديث أكثر من أن تحصى، فقد أخرجه الحفّاظ وأئمة الحديث من علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، ونصّوا على صحّته ووثاقة رُواته. فالحديث في أعلى درجة الصحّة، وطرقه إلى الصحابة كثيرة جدّاً، فإنّه متواتر في جميع طبقاته، قال ابن حجر: وطرقها عن بضع وعشرين صحابيا متظافرة ... (انظر الصواعق المحرقة: ص١٣٦). وقد أفرد العلاّمة السيّد مير حامد حسين اللكنهوي رحمه الله لحديث الثقلين جزئين من موسوعته الموسوم بعبقات الأنوار وذكر فيه طرق الحديث من طرق أهل السنّة إلى الصحابة فهي أكثر من بضع وعشرين صحابيّاً.

وممّن روى هذا الحديث، إمام الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده بطرق عديدة، فقد روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص١٤).

وروى بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض عليّ» (مسند أحمد ابن حنبل ج٥: ص١٨٢).

وروى بسنده عن على بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو

←

➔

خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّي تارك فيكم الثقلين....»؟ قال: نعم (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٧١).

وروى بسنده عن علي بن زيد عن أنس بن مالك قال: أنّ قوماً ذكروا عند عبيد الله ابن زياد الحوض فأنكره، وقال: ما الحوض؟ فبلغ ذيك أنس بن مالك، فقال: لا جرم والله لأفعلنّ فأتاه، فقال: ذكرتم الحوض؟ فقال عبيدالله: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكره؟ فقال: نعم، يقول: أكثر من كذا وكذا مرّة، إنّ ما بين طرفيه كما بين أيلة ومكة، أو بين صنعآء ومكة، وآنيته لأكثر من عدد نجوم السماء (مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص٢٣٠).

وروى أيضاً بسنده عن أبي حيان اليتمي، قال: حدّثني يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سيرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا قال: لقد لقيت يا زيداً خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيداً خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً، بماء يدعى خُمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثمّ قال: «أمّا بعد، ألا أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي» (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٦٧). وإلى غير ذلك من الطرق التي جاءت في مسند أحمد بن حنبل. وهذا مصدر واحد من مصادر أهل السنّة وهناك مصادر

🡐

➔
عديدة من الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة والجماعة قد رووا هذا الحديث في كتبهم بأسانيد عديدة وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

وأمّا دلالة الحديث فهي واضحة جداً وكالشمس في أفق السماء، حيث أنّ النبي الأكرمﷺ حصر في الحديث وجوب اتّباع القرآن والعترة الطاهرة من أهل البيتعليهم السلام إلى يوم القيامة، فإنّ من له أدنى معرفة بألفاظ اللغة العربيّة وأساليبها يعرف أنّ النبي الأكرمﷺ قرَن طاعة عترته الطاهرة بمحكم الكتاب العزيز، فكما يجب الأخذ بكتاب الله عزّ وجلّ واتّباعه كذلك يجب اتّباع العترة الطاهرةعليهم السلام، حيث حصر النبي الأكرمﷺ الفوز بالسعادة بالتمسّك بهما معاً، وقال: أنّ مخالفتهما أو مخالفة واحد منهما، موجب للضلالة والانحراف. فالحديث صريح في وجوب اتّباع القرآن والأئمّة الطاهرين من أهل البيتعليهم السلام.

ولا بأس هنا بذكر بعض النصوص والعبارات التي ذكرها علماء أهل السنّة في شرح الحديث والاعترافهم بما قلناه: قال الزرقاني: قال الحكيم الترمذي: حضّ على التمسّك بهم، لأنّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة (انظر شرح المواهب اللدنية ج٧: ص٥ نقلاً عن نوادر الأصول للترمذي).

وقال النووي: قولهﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين، فذكر كتاب الله وأهل بيته». قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج١٥: ص١٨٠).

وقال ابن الأثير: فيه (أي في حديث): «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي»؛ سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل. ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما (انظر النهاية ج١: ص٢١٦ مادة ثقل).
➔

وخبر السفينة[1]،

➔

وقال القاري: والمراد بالأخذ بهم: التمسّك بمحبّتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل برواياتهم، والاعتماد على مقالتهم (انظر مرقاة المفاتيح ج٥: ص٢٠٠).

وقال شهاب الدين الخفاجي: أي: تمسّكتم وعملتم واتّبعتموه (انظر نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض ج٢: ص٤١٠).

وقال المنّاوي: «إنّي تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين». زاد في رواية: أحدهما أكبر من الآخر. وفي رواية بدل خليفتين: ثقلين، سمّاهما به لعظم شأنهما: كتاب الله القرآن، «حبل»، أي: هو حبل ممدود ما بين السماء والأرض، قيل: أراد به عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه. وعترتي -بمثنّاة فوقيّة-: أهل بيتي. تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٣: ص١٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم في شرح الحديث. فالحديث دال على إمامة العترة الطاهرة عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرةً، وسيأتي البحث فيه مفصّلاً إن شاء الله.

(١) لا شكّ أنّ حديث السفينة من الأحاديث النبويّة الشهيرة المتواترة، وقد رواه الكثير من علماء الفريقين الشيعة والسنّة، من المفسّرين والمحدّثين والمؤرّخين بطرق عديدة، عن عدّة من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذرّ يقول، وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك» (انظر كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٧٨٥)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٣٤٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨،
➔

➔

والطبراني في المعجم الأوسط ج٤: ص١٠ وغيرهم.

وأخرج الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال سمعت النبيصلى الله عليه وآله يقول: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له» (مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨)، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٨٥، وابن كثير في تفسيره ج٤: ص١٢٣، والمناقب لابن المغازلي: ص٣٢٤ وغيرهم.

ومن الطبيعي أنّه لا يسعنا المجال لاستقصاء طرق الحديث وذكر جميع المصادر التي روت هذا الحديث، والمهمّ اعتراف كبار علماء أهل السنّة بأنّ الحديث ورد بطرق عديدة، قال ابن حجر المكّي: جاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً: «إنّما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا». وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق». وفي رواية: «هلك» (انظر الصواعق المحرقة: ص٢٣٤). وسنذكر طرق الحديث من مصادر المعتبرة من أهل السنّة.

وأمّا دلالة الحديث فهي واضحة، لأنّه يدلّ على لزوم متابعة أئمة أهل البيتعليهم السلام على الإطلاق، وما أروعه من تشبيه دالّ وموقظ، يبعث على التيقّظ والحذر، فرسول اللهصلى الله عليه وآله يتطلّع صوب المستقبل من وراء حجب الغيب، فيبصره مليئاً بالفتن والضلالات التي يشبّهها بالأمواج المتلاطمة العاتية، فقد شبّهصلى الله عليه وآله الدنيا ببحر يموج بأمواجه الجبليّة، وبأمواج الثقافات البشريّة، والناس في وسط هذا البحر يبحثون عن لوح يتشبّثون به من أجل النجاة. قد يلجأ الإنسان في وسط هذه المعمعة، وفي هذه اللجّة، قد يلجأ إلى سفن النجاة، وفيه من يأخذون بيد كلّ انسان متحيّر في تلك الأمواج الجبليّة وفي حال الغرق! فيهتدي الإنسان إلى مثل هذه السفينة، ففي تلك الأمواج المتناقضة من كلّ حدب وصوب: من الغرب ومن الشرق، من الخارج

➔

➔

ومن الداخل، من الماضي والحاضر، كلّ ما يدلي بدلائه الفكريّة، وكلّ يدعي الصواب، فتأتي سفينة النجاة، وهي سفينة أهل البيت عليهم السلام فينجو من ركبها، وترسو بهم على شاطئ بر الأمان والسلام.

وإذا أراد الإنسان أن يتصوّر تلك الحالة لا بدّ له أنّ يعرف حال قوم نوح في وسط المعمعة، في لجة ظلماء يحتاج الإنسان فيها إلى بصيص نور، يمسك به لكي يركب تلك السفينة.

إذن ينبغي أن تُدرك أنّ طريق هذا المعنى من الحديث، والنجاة الوحيد التي تحصل من الركوب "في السفينة"، واللوذ بأهل البيت عليهم السلام، والاعتصام بحجزتهم، والتمسّك بتعاليمهم وسنّتهم. وليس هناك شكّ في دلالة الحديث على وجوب إطاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام. وهل لعاقل أن يأخذه أمواج عاتية، فيشرف حتماً على الغرق والضياع، ثمّ يتردّد في النجاة، ولا يركب سفينة الانقاذ.

وقد اعترف بذلك شراح الحديث من أهل السنّة قال الطيّبي: بشرح الحديث عن أبي ذرّ الغفاري: قوله: وهو آخذ باب الكعبة؛ أراد الراوي بهذا مزيد توكيد لإثبات هذا، وكذا أبو ذرّ اهتمّ بشأن روايته، فأورده في هذا المقام على رؤوس الأنام ليتمسّكوا به. وفي رواية له بقوله: من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «ألا: إنّ مثل أهل بيتي...» الحديث. أراد بقوله: فأنا أبو ذرّ، المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية، وأنه هذا حديث صحيح لا مجال للردّ فيه. وهذا تلميح إلى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاصّ يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء، أصدق من أبي ذرّ» وفي رواية أبي ذرّ: من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذرّ شبه عيسى بن مريم، فقال عمر بن الخطّاب كالحاسد: يا رسول الله أفتعرف ذلك؟! قال: «ذلك فاعرفوه».

🡐

➔

أخرجه الترمذي وحسنه الصنعاني في كشف الحجاب شبه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات، والبدع والأهواء الزائغة، ببحر لجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، وقد أحاط بأكنافه وأطرافه الأرض كلّها، وليس فيه خلاص ومناص إلاّ تلك السفينة، وهي: محبّة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر كتاب شرح المشكاة للطيبي المسمى بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) المخطوط). وقال القاري بمثل كلمات الطيبي واستشهد بها (انظر المرقاة في شرح المشكاة ج٥: ص٦١٠).

وقال السمهودي: قوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه» الحديث. ووجه: إنّ النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح عليه السلام... ومحصّله: الحثّ على التعلّق بحبلهم وحبّهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وآله، والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم. فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة، وأدّى شكر النعمة الوافرة، ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان، فاستوجب النيران (انظر كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي، لعلي بن عبد الله الحسني السمهودي: مخطوط).

وقال المناوي «إنّ مثل أهل بيتي» فاطمة وعلي وابنيهما، وبينهما أهل العدل والديانة «فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك»، وجه التشبيه: أنّ النجاة ثبت لأهل السفينة من قوم نوح، فأثبت المصطفى صلى الله عليه وآله لأمّته بالتمسّك بأهل بيته النجاة، وجعلهم وصلة إليها. ومحصوله: الحثّ على التعلق بحبّهم وحبلهم وإعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم، والأخذ بهدي علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة، وأدّى شكر النعمة المترادفة، ومن تخلّف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان فاستحقّ النيران، لما أنّ بغضهم يوجب النار كما جاء في

🡐

➔

عدّة أخبار، كيف وهم أبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتجّ الله بهم على عباده، وهم فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة، الذين أذهب عنكم الرجس وطهّرهم، وبرأهم من الآفات، وافترض مودّتهم في كثير من الآيات، وهم العروة الوثقى، ومعدن التقى. واعلم أن المراد بأهل بيته في هذا المقام العلماء منهم، إذ لا يحثّ على التمسّك بغيرهم وهم الذين لا يفارقون الكتاب والسنّة حتّى يردوا معه على الحوض (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٢: ص٥١٩). وقال ابن حجر المكي مثل ذلك (انظر الصواعق المحرقة: ص٢٣٤). وإلى غير ذلك مما جاء في شرح الحديث في كتبهم.

ولا يخفى على الخبير أنّه إذا جعنا هذا الحديث جنب حيث «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلاّ فرقة واحدة» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٠٢). نستنتج أنّ الفرقة الناجة هم الذين ركبوا سفينة أهل البيت عليهم السلام، ولذلك أشار الشافعي في أشعاره: ولمّا رأيتُ الناس قد ذهبت بهم * مذاهبهم في أبحر الغي والجهل. ركبت على اسم الله في سفن النجا * وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل. وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم *كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبل. ولم يك ناج منهم غير فرقة * فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل. أفي الفرق الهلاك آل محمّد * أم الفرقة اللائي نجت منهم قل لي. فإن قلت في الناجين فالقول واحد * وإن قلت في الهلاك حدت عن العدل. إذا كان مولى القوم منهم فإنّني * رضيت بهم لا زال في ظلّهم ظلّي. فخل عليّاً لي إماماً ونسلهُ * وأنت من الباقين في أوسع الحلّ. ويحكى عن الشافعي أنّه أنشد هذه الأبيات في جواب من سأله عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي شهادة صريحة، وقد روى القّصة والأبيات العلامة الأميني قدس سره في كتابه الغدير ج٢: ص٤٢٣. فحديث السفينة من

➔

وخبر «أنّ الله اختار من الدنيا رجلين»[(١)] وخبر «بك يهتدي المهتدون من بعدي»[(٢)]

➔

الأدّلة البيّنة والواضحة على بيان أنّ طريق الهدى والنجاة من الهلكة والضلال منحصر في أهل البيت عليهم السلام.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث الذي رواه علماء أهل السنّة في كتبهم بأسناد صحيحة منها: ما رواه ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان بسنده عن ابن عبّاس قال: لمّا زوّج النبي صلى الله عليه وآله فاطمة من علي قالت فاطمة عليها السلام: «يا رسول الله زوّجتني من رجل فقير ليس له شيء؟» فقال: «أما ترضين أنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين أباك وزوجك» (انظر لسان الميزان لابن حجر ج١: ص٤٥). ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١٣٥. ومنها: ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن ابن عبّاس أنّ فاطمة قالت: «يا رسول الله زوّجتني من رجل ليس له شيء!» قال: «أما ترضين أنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك، والآخر بعلك» (تاريخ بغداد ج٤: ص٤١٨). وإلى غير ذلك علماء أهل السنّة ممّن روى هذا الحديث، أو قريب من هذا المضمون. والحديث واضح من جهة الدلالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنّه يدلّ على أنّ الله تعالى اختار مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما اختار النبي صلى الله عليه وآله من الأوصاف والصفات المميّزة لكلّ نبي وولي. إلاّ أنّ الفرق بينهما أنّ النبي صلى الله عليه وآله اختاره الله للنبوّة، وأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام اختاره الله للإمامة، فلاحظ.

(٢) لقد أخرج الحمويني الجويني في فرائد السمطين بسنده عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عبّاس قال: لمّا نزلت: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله:

➔

إلى غيرها[١]، فتدبّر في معرفة الحقّ، فإنّه بهذه السنن المعروفة قد تبيّن وتجلّى فظهر لمن يوحّد الله وينصف نفسه ويخشاه يوم الحشر[٢]،

«أنا المنذر وعلي الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون بعدي» (انظر فرائد السمطين: ج١: ص١٤٧ الحديث ١١٠ الباب الثامن والعشرون). أخرج الفخر الرازي بسنده عن ابن عبّاس قال: وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال: «أنا المنذر» ثمّ أومأ إلى منكب علي وقال: «أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي» (تفسير الفخر الرازي ج١٩: ص١٤). وأخرج الطبري في تفسيره بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ وضع ﷺ يده على صدره، فقال: «أنا المنذر ولكلّ قوم هاد»، وأومأ بيده إلى منكب علي، فقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون بعدي» (تفسير الطبري ج١٣: ص١٤٢). وقال ابن حجر: أخرجه الطبري بإسناد حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت هذه الآية وضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: «أنا المنذر» وأومأ إلى علي وقال: «أنت الهادي بك يهتدي المهتدون بعدي» (انظر فتح الباري ج٨: ص٢٨٥).

(١) وذلك كحديث الراية، وحديث سدّ الأبواب، وحديث المؤاخات، وحديث «خاصف النعل»، وحديث «أنا مدينة العلم»، وحديث «الحقّ مع علي»، وحديث الكساء، وحديث صاحب الحوض واللواء وغيرها من أحاديث.

(٢) فإنّ السنن الصحيحة الواردة في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مصادر أهل السنّة والجماعة كثيرة جدّاً، ومن الطبيعي أنّه لا يسعنا المجال لنقل جميعها في المقام، فنقتصر هنا بذكر بعض الروايات التي رواها خلفائهم بأسانيدهم عن رسول الله ﷺ فقطّ، ونترك التعليق عليها للقارئ الكريم،

➔

وذلك ليكون اعتراف من خلفائهم بعدم صلاحيّتهم للخلافة، وأنّ الخلافة بعد النبيﷺ منحصرة في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وإليك بعض ما ورد في هذا المجال: أمّا ما رواه أبوبكر عن رسول اللهﷺ، فقد أخرج أحمد ابن حنبل بسنده عن أبي بكر: إنّ النبيﷺ بعثه بالبراءة لأهل مكة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة، وفيها -أيضاً- لا يحجّ بعد العامّ مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلاّ نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول اللهﷺ مدّة فأجله إلى مدّته، والله بريءٌ من المشركين ورسوله. فسار بها ثلاثاً متوجّهاً نحو مكّة، ثمّ قالﷺ لعليعليه السلام: «ألحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلّغها أنت»، قال: ففعل عليعليه السلام ما أمر. فلمّا قدم أبو بكر على النبيﷺ بكى فقال: يا رسول الله، حدث في شيء؟ قالﷺ: «ما حدث فيك إلاّ خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلاّ أنا أو رجل منّي» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣). وقال العلامة الأمينيقدس سره: هذه الإثارة أخرجها كثير من أئمة الحديث وحفّاظه، وعدد منهم ٧٣ نسمة (لاحظ الغدير ج٦: ص٣٣٨ — ٨٨٦).

وأخرج الحافظ ابن حجر العسقلاني باسناده عن أبي الأسود الدؤلي قال سمعت أبا بكر يقول: أيّها الناس، عليكم بعلي بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول اللهﷺ يقول: «علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي» (انظر لسان الميزان ج٦: ص٧٨ في ترجمة المغيرة بن سعد البجلي).

وأخرج المحب الطبري بسنده عن ابن عبّاس قال جاء أبو بكر وعلي يزوران قبر النبيﷺ بعد وفاته بستّة أيام... فقال أبو بكر: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «علي منّي كمنزلتي من ربّي» (انظر الرياض النضرة ج١: ص١٢٤). وأخرج المحبّ الطبري بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالبعليه السلام،

🡐

➔

فتبسّم أبو بكر في وجه علي عليه السلام، فقال عليه السلام له: «مالك تبسّمت؟» قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له علي عليه السلام الجواز» (انظر الرياض النضرة ج١: ص٢٠٧). وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن أنس ابن مالك قال: قال أبو بكر عند موته: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلاّ بجواز من علي بن أبي طالب» (انظر تاريخ بغداد ج١٠: ص٢٥٥ في ترجمة عبيدالله بن لؤلؤ بن جعفر بن حموي). وأخرج ابن عساكر بسنده عن أبي رافع، قال: كنت قاعداً بعد ما بايع الناس أبا بكر، فسمعت أبا بكر يقول للعبّاس: أنشدك الله هلان رسول الله صلى الله عليه وآله جمع بني عبد المطّلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش، فقال صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطّلب، إنّه لم يبعث الله نبيّاً إلاّ جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفة في أهله، فمن منكم -يقوم و- يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيي وخليفتي في أهلي؟» فلم يقم منكم أحد فقال صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطّلب، كونوا في الإسلام رؤساء ولا تكونوا أذناباً، والله ليقومنّ قائمكم أو لتكوننّ في غيركم ثمّ لتندمنّ»، فقام علي من بينكم، فبايعه على ما شرط له ودعا إليه، أتعلم هذا له من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال العبّاس: نعم (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٠). وأخرج اليعقوبي بسنده عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه كان عند أبي بكر إذ جاء علي والعبّاس، فقال العبّاس: أنا عمّ رسول الله ووارثه وقد حال علي بيني وبين تركته، فقال أبو بكر: فأين كنت يا عبّاس حين جمع النبي صلى الله عليه وآله بني عبد المطّلب وأنت أحدهم فقال: «أيّكم يؤازرني ويكون وصيي، وخليفتي في أهلي، وينجز عدتي، ويقضي ديني؟» فقال له العبّاس: بمجلسك تقدّمته وتأمّرت عليه؟ أي إن كان هكذا كما تقول: لماذا تقدّمت عليه وغصبت أمره؟ فقال أبو بكر: أغدراً يا بني

🡐

➔

عبد المطّلب؟ أي إنّكما يا علي ويا عبّاس أردتما بدعواكما هذه المصطنعة على إرث النبي صلى الله عليه وآله وتركته أن تأخذوا منّي الاقرار والاعتراف بحقّ علي عليه السلام وأولويته للخلافة، وتحكّموا علي بما أتفوه به وأقوله بنفسي ولساني، يعني: تدينانى وتلزماني من فمي (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٥٨).

وأمّا ما رواه عمر بن الخطّاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أخرج جمال الدين الموصلي الحنفي المشهور بابن حسنويه بسنده عن أنس بن مالك، قال: لما كان يوم المؤاخاة وآخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، وعلي عليه السلام واقف يراه ويعلم مكانه لم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف علي عليه السلام باكي العين قال صلى الله عليه وآله: «يا بلال، اذهب فائتني به». فمضى بلال وأتى علياً وقد دخل منزله، فرأته فاطمة عليها السلام فقالت: «ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟» قال عليه السلام: «يا فاطمة، آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعلم مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد» قالت عليها السلام: «لا يحزنك، لعلّك إنما أخّرك لنفسه» فطرق بلال الباب وقال: يا علي، أجب رسول الله صلى الله عليه وآله فأتى علي إلى النبي صلى الله عليه وآله. فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما يبكيك، يا أمير المؤمنين؟» فقال علي عليه السلام: «آخيت بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف تعرف مكاني لم تؤاخ بيني وبين أحد». فقال صلى الله عليه وآله: «يا علي، إنما أخّرتك لنفسي كما أمرني ربّي، قم، يا أبا الحسن»، فأخذ بيده ورقى المنبر وقال: «اللّهم إنّ هذا منّي وأنا منه، ألا إنّه بمنزلة هارون من موسى، أيّها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى. قال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليّه فعلي وليّه، اللّهم إنّي قد بلّغت ما أمرتني به». ثمّ نزل وقد سرّ علي عليه السلام، فجعل الناس يبايعونه وعمر بن الخطّاب يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولانا ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، امرأة من يعاديك طالق طلقة (انظر احقاق الحقّ ج٦: ص٤٦٨ نقلاً عن كتاب بحر

➔

➔

المناقب لابن حسنويه: ص٤٢). وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن سويد ابن غفلة عن عمر بن الخطّاب: أنّه رأى رجلاً يسبّ عليّاًعليه السلام فقال عمر: إنّي أظنّك منافقاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما علي منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي» (انظر تاريخ بغداد ج٧: ص٤٦٢ في ترجمة الحسن بن يزيد ابن معاوية أبوعلي الجصّاص). وأخرج الخطيب الخوارزمي بسنده عن عمر ابن الخطّاب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره» فبات المسلمون كلّهم يستشرفون لذلك، فلمّا أصبح قال صلى الله عليه وآله: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا : أرمد العين، قال صلى الله عليه وآله: «آتوني به»، فلم أتاه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ادن منّي»، فدنا منه، فتفل في عينيه ومسحهما بيده، فقام علي بن أبي طالبعليه السلام بين يديه وكأنّه لم يرمد وأعطاه الراية، فقتل مرحب وأخذ مدينة خيبر (انظر المناقب للخوارزمي: ص١٧٠ ح٢٠٣). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لو اجتمع الناس على حبّ عليّ بن أبي طالب لما خلق الله النار» (ينابيع المودّة ج٢: ص٢٩٠). أخرج الحافظ ابن عساكر الدمشقي عن طريقين وروى غيره بطرق مختلفة: أتى عمر بن الخطّاب (في عهده) رجلان سألاه عن طلاق الأمّة (كم عدده للبينونة)؟ فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال عمر: أيّها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة، فرفع رأسه إليه ثم أوما إليه بالسبابة والوسطى، فقال له عمر: تطليقان، فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أوما إليك، فقال لهما عمر: ما تدريان من هذا؟ قالا: لا، قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول

➔

←

اللهﷺ لسمعته وهو يقول: «لو أنّ السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفه ميزان ووضع إيمان علي في كفة ميزان لرجح إيمان عليعليه السلام» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٤٠). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر ابن الخطّاب، قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول لعلي: «لو كان البحر مداداً، والرياض أقلاماً، والإنس كتّاباً، والجنّ حسّاباً، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن» (انظر ينابيع المودّة ج٢: ص٢٨٥). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عبّاس، قال: مشيت وعمر بن الخطّاب في بعض أزقة المدينة فقال لي: يا ابن عبّاس، أظنّ أنّ القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم، فقلت: والله! ما استصغره الله إذ اختاره لسورة براءة مع عزل أبي بكر يبلّغها أهل مكّة، فقال لي: الصواب تقول!! والله لسمعت رسول اللهﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبّك أحبّني، ومن أحبّني أحبّ الله، ومن أحبّ الله أدخله الجنّة مدلاً» (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص٤). وأخرج السيد محمّد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول لعلي بن أبي طالبعليه السلام: «من أحبك يا علي كان مع النبيّين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهوديّاً أو نصرانيّاً» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٨٥). وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: قال رسول اللهﷺ لمّا عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي ووصيي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له منّي ما لي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضري، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر ينابيع المودة ج٢: ص٢٨٢). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن إبراهيم بن سعيد الجوهري وصي المأمون العباسي قال: حدّثني المأمون قال: حدثني أبي هارون الرشيد خامس قال: حدّثني المهدي ثالث

←

➔

الخلفاء العباسيين قال: حدّثني المنصور ثاني الخلفاء العباسيّين عن أبيه، عن جدّه، عن عبد الله بن العبّاس، قال: سمعت عمر بن الخطّاب وعنده جماعة، فتذاكروا السابقين إلى الاسلام فقال عمر: أمّا علي فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه ثلاث خصال لوددت أنّ لي واحدة منهنّ فكان أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب النبي صلى الله عليه وآله بيده على منكب علي فقال له: «يا علي، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٨٦). وأخرج السيّد محمّد بن محمد الدرگزيني في كتابه نزل السائرين في أحاديث سيّد المرسلين بسنده عن عمر بن الخطّاب قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب بيده على منكب علي عليه السلام فقال: «يا علي، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، يا علي، إنّما أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإذا أتاك هؤلاء القوم فسلّموا إليك هذا الأمر فاقبله منهم، فإن لم يأتوك فلا تأتهم» (انظر احقاق الحقّ ج١٧: ص٧٩ نقلاً عن السيد محمد بن محمد الدرگزيني في كتابه نزل السائرين). وأخرج الخطيب البغدادي وابن عساكر الدمشقي بسندهما عن عمر بن الخطّاب، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «أنا خاتم الانبياء، وأنت خاتم الأولياء» (انظر تاريخ بغداد ج١٠: ص٣٦٥، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٤: ص٢٥٤) وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عمر قال: لمّا طعن عمر وأمر بالشورى فقال: ما عسى أن يقولوا في علي عليه السلام؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يا علي، يدك في يدي تدخل معي الجنّة يوم القيامة حيث أدخل» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٢٨). وأخرج ابن أبي الحديد حواراً دار بين ابن عبّاس وبين عمر بن الخطّاب بما يمت بأمر الخلافة

🡐

➔

والإمامة بعد النبيﷺ... وملخّص الحوار أنه قال ابن عبّاس: دخلت على عمر في أوّل خلافته، فقال عمر: من أين جئت، يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلفت ابن عمّك... إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟ قلت: خلّفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أن رسول اللهﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عمّا يدعيه، فقال: صدق، قال عمر: لقد كان من رسول اللهﷺ ذرو من قول في إعلان خلافة عليعليه السلام.. وقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه عليعليه السلام فمنعته من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام لا وربّ هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها — أي: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام – لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٢٠).

وأمّا ما رواه عثمان عن رسول اللهﷺ فقد أخرج القندوزي الحنفي بسنده عن عثمان ابن عفّان، قال: قال رسول اللهﷺ: «خلقت أنا وعلي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بأربعة آلاف عام، فلمّا خلق الله آدم ركب فيه ذلك النور في صلبه، فلم يزل شيئاً واحداً حتّى افترقنا في صلب عبد المطّلب، ففيّ النبوّة وفي علي الوصيّة» (انظر ينابيع المودة ج٢: ص٣٠٧). وأخرج ابن عساكر الدمشقي بسنده عن يونس مولى الرشيد، قال: كنت واقفاً على رأس المأمون وعنده يحيى بن أكثم القاضي فذكروا علياًعليه السلام وفضله، فقال المأمون: سمعت الرشيد يقول: سمعت المهدي يقول: سمعت المنصور يقول: سمعت أبي يقول: سمعت جدّي يقول: سمعت ابن عبّاس يقول: رجع عثمان إلى عليعليه السلام فسأله المصير إليه، فصار إليه فجعل يحدّ

➔

➔

النظر إليه، فقال له علي عليه السلام: يا عثمان، مالك تحدّ النظر إليّ؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «النظر إلى وجه علي عبادة» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١٤٠). وخرج الحافظ أحمد بن محمّد بن علي بن أحمد العاصمي عن أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاد قال: انّ رجلاً أتى عثمان بن عفّان وبيده جمجمة إنسان ميّت، فقال: إنّكم تزعمون أنّ النار تعرض على هذا وأنّه يعذّب في القبر، وأنا قد وضعت عليها يدي فلم أحسّ منها حرارة النار! فسكت عثمان وأرسل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام يستحضره، فلمّا أتاه وهو في ملأ من أصحابه قال عثمان للرجل: أعد المسألة، فأعادها ثم قال عثمان لعلي عليه السلام: أجب الرجل عنها، يا أبا الحسن فقال علي عليه السلام: «ائتوني بزند وحجر» - والرجل السائل والناس ينظرون إليه- فأتي بهما فأخذهما وقدح منهما النار، ثمّ قال للرجل: «ضع يدك على الحجر»، فوضعها عليه، ثم قال عليه السلام: «ضع يدك على الزند»، فوضعها عليه. فقال عليه السلام: «هل أحسست منهما حرارة النار؟» فبهت الرجل - لأنّه رأى النار ولم يحسّ بالحرارة- فقال عثمان: ″لولا علي لهلك عثمان″ (انظر زين الفتى في تفسير سورة هل أتى: ص٣١٤).

وأمّا ما رواه معاوية في المقام قال الحافظ المناوي الشافعي: إنّ معاوية كان يرسل أناساً يسأل علياً عليه السلام عن المشكلات - سواءاً معضلاته أو معضلات غيره -، فكان علي عليه السلام يجيبه، فقال أحد بنيه: تجيب عدوّك!؟ قال عليه السلام: «أما يكفينا أن احتاجنا وسألنا؟» (انظر فيض القدير ج٤: ص٣٥٦). فقد أخرج أحمد بن حنبل وآخرون من حفّاظ أهل السنّة ومفسّريهم بأسنادهم عن قيس بن أبي حازم - وهو من ثقات الرواة عند أهل السنّة - أنّه قال: إنّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: اسأل عنها عليّاً فهو أعلم فقال: يا أمير المؤمنين، جوابك فيها أحبّ إلي من جواب عليّ، قال

➔

والحمدلله على توفيقه إلى معرفة دينه وتسديده إلى متابعته فإنّ ذلك نعمة

➔

معاوية: بئس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغرّه بالعلم غرّاً، ولقد قال له: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه ويلجأ إلى علي في حلّ مسائله، ثمّ قال معاوية للرجل: قم لا أقام الله رجليك، ومحا اسمه من الديوان (انظر فضائل الصحابة لأحمد ابن حنبل ج٢: ص٦٧٥ ح٥٥٩٣). وأخرج الحافظ ابن عساكر بسنده عن عبيد الله ابن عبد الله المديني قال: حجّ معاوية بن أبي سفيان فمرّ بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، فالتفت إلى عبد الله ابن عباس فقال: يا ابن عبّاس، إنّك لم تعرف حقّنا من باطل غيرنا، وقرعه ابن عبّاس بجواب فحار منه معاوية، فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق، أنت الذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، فقال سعد: فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «أنت مع الحقّ والحقّ معك حيثما دار»، فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة، فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقاموا جميعاً فدخلوا على أمّ سلمة فقالوا: يا أم المؤمنين، إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق، ما كان ألوم الآن - أي إنّك يا سعد ألوم الناس عندي - إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وجلست عن علي عليه السلام، لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله لكنت خادماً لعلي عليه السلام حتّى أموت (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦٠). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها خلفاء أهل السنّة والتي تدلّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

عظمى ليس مثلها نعمة[١].

---

(١) وملخّص الكلام أنّ نعمة ولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام من أعظم النعم الإلهيّة التي مَنّ الله تعالى بها على المؤمنين، وجعلها من تمام الدين وكماله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾ (سورة المائدة:٣). هذه الآية الكريمة نزلت يوم "غدير خمّ" بعد ما نصب النبي صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للإمامة والخلافة. وقد روى علماء الإسلام الروايات المتواترة في تفسير الآية الكريمة اوفيها تصريح بأنّ إكمال الدين وإتمام النعمة إنّما كان بولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد روى هذه الروايات كبار علماء أهل السنّة في كتبهم بطرق عديدة وبأسناد صحيحة إلى الصحابة المعروفين، وهم عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وقد تحدّثت الروايات الواردة في تفسير الآية عن أخذ البيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خمّ ليصبح الدين كاملاً، إذ لو لم يتمّ تعيين الخليفة للنبي صلى الله عليه وآله لأحاط بالمسلمين اليأس من كلّ جانب، وفقدوا الأمل فيما توقّعوه لمستقبل الإسلام والمسلمين، لأنّ الشريعة بدون الإمام والخليفة غير كامل كما أنّ القرآن بدون النبي صلى الله عليه وآله غير كامل. نعم في يوم غدير خمّ أكمل الله دينه وأتمّ نعمته على العالمين بولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا الشخصيّة اللائقة الكفؤ قائداً وزعيماً للأمّة بعد النبي صلى الله عليه وآله وفي هذا اليوم أيضاً رضي الله بالإسلام ديناً، بل خاتماً للأديان، بعد أن اكتملت مشاريع هذا الدين. واجتمعت فيه جهات التأثير في كمال الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة. وهذه هي النعمة العظيمة التي قال سبحانه وتعالى: ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ (سورة التكاثر:٨)، هي النعمة الشاملة، والمقصود بها نعمة ولاية مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام بقرينة قوله تعالى: ﴿**وَأَتْمَمْتُ**

←

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾. فقد أخرج الحاكم الحسكاني في تفسيره بسنده عن أبي حفص الصائغ قال: قال عبد الله بن الحسن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: يعني عن ولايتنا والله يا أبا حفص (انظر شواهد التنزيل ج٢: ص٤٧٧). وقال القندوزي الحنفي في الينابيع أخرج الحاكم في صحيحه عن علي ابن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام إنّهم قالوا: «السلم ولايتنا». وفي تفسير ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (انظر ينابيع المودّة ج١: ص٣٣٢). وروى الشيخ الطوسي قدس سره في تفسيره في حديث طويل، قال: سأل أبو حنيفة أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن هذه الآية، فقال له : «ما النعيم عندك يا نعمان؟» قال: القوت من الطعام، والماء البارد، فقال: «لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتّى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها، وشربة شربتها، ليطولنّ وقوفك بين يديه!» قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: «نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألّف الله بين قلوبهم، وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله للإسلام، وهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم الله به عليهم، وهو النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام» (انظر تفسير مجمع البيان للشيخ الطوسي قدس سره ج١٠: ص٤٣٣). وفي حديث رواه الشيخ الصدوق قدس سره في العيون بسنده عن إبراهيم بن عبّاس الصولي الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين ومأتين قال: كنّا يوماً بين يدي علي بن موسى عليه السلام فقال لي: «ليس في الدنيا نعيم حقيقي»، فقال له بعض الفقهاء ممّن يحضره: فيقول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أمّا هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد، فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: «كذا فسّرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب»، فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب وقال آخرون: هو النوم الطيّب، قال الرضا عليه السلام: «ولقد

➔

حدّثني أبي عن أبيه أبي عبد الله الصادقعليه السلام: أنّ أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، فغضبعليه السلام وقال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به ولا يمنّ بذلك عليهم والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عزّ وجلّ ما لا يرضى المخلوق به؟! ولكن النعيم حبّنا أهل البيتعليهم السلام وموالاتنا يسأل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوّة، لأنّ العبد إذا وفا بذلك أداه إلى نعيم الجنّة الذي لا يزول، ولقد حدّثني بذلك أبي عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنينعليه السلام أنّه قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا علي، إن أوّل ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّك وليّ المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك، فمن أقرّ بذلك وكان يعتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له»، فقال أبو ذكوان بعد أن حدّثني بهذا الحديث مبتدئاً من غير سؤال: أحدثك بهذا من جهات منها لقصدك لي من البصرة ومنها أنّ عمّك أفادنيه ومنها إنّي مشغولاً باللغة والأشعار ولا أعول على غيرهما فرأيت النبيصلى الله عليه وآله في النوم والناس يسلّمون عليه، ويجيبهم فسلّمت فما ردّ علي فقلت: أما أنا من أمّتك يا رسول الله؟ قال لي: «بلى ولكن حدث الناس بحديث النعيم الذي سمعته من إبراهيم»، قال الصولي: وهذا حديث قد رواه الناس عن النبيصلى الله عليه وآله إلاّ أنّه ليس فيه ذكر النعيم والآية وتفسيرها، إنّما رووا أنّ أوّل ما يسأل عنه العبد يوم القيامة الشهادة والنبوة وموالاة علي بن أبي طالبعليه السلام (عيون أخبار الرضاعليه السلام ج٢: ص١٣٦). وفي حديث آخر روى الطبرسي : روي العياشي بإسناده – في حديث طويل – قال : سأل أبو حنيفة أبا عبد الله الصادقعليه السلام عن هذه الآية، فقال له: «ما النعيم عندك يا نعمان؟» قال: القوّت من الطعام والماء البارد. فقال: «لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولنّ

➔

➔

وقوفك بين يديه»، قال : فما النعيم جعلت فداك؟ قال: «نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله إلى الإسلام، وهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم الله به عليهم، وهو النبي صلى الله عليه وآله وعترته» (بحار الأنوار ج٢٤: ص٤٩). وفي حديث آخر روى الشيخ الكليني بسنده عن أبي حمزة قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة، فأتينا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذة وطيّباً، وأتينا بتمر ننظر فيه إلى وجوهنا من صفائه وحسنه. فقال رجل: لتسألنّ عن هذا النعيم الذي نعمتم به عند ابن رسول الله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «الله أكرم وأجل من أن يطعمكم طعاماً، فيسوغكموه، ثمّ يسألكم عنه، ولكن يسألكم عمّا أنعم عليكم بمحمّد وآل محمّد» (الكافي ج٦: ص٢٨٠). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، ربّنا اجعلنا من شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، وأنصارهم قولاً وعملاً، آمين يا ربّ العالمين.

قال السنّي:

الوجه الثاني في بيان كذبه على الصحابة بقوله: بعضهم طلب سلطانه لنفسه بغير حقّ... إلى آخره يشير به إلى أبي بكر، فإنّه هو الذي بايعه أكثر الناس. ومن المعلوم أنّه لم يطلب ذلك لنفسه، بل قال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبي عبيدة، فلم يرض عمر بذلك، ثبت ذلك في الصحيحين. وقد روي عنه أنّه قال: "أقيلولني"، فالمسلمون اختاروه وبايعوه، لعلمهم بأنّه خيرهم، كما قال له عمر: "أنت سيّدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ". قال ذلك عمر بمحضر الصحابة في السقيفة ولم ينكر عليه أحد. ثمّ ذكر حديث عائشة ادّعى لي أباك وأخاك... إلى آخره، تأمّل. فالله هو الذي أمره وأمر المؤمنين بمتابعته فلم يطلب ذلك هو لنفسه، انتهى ملخّصاً[١].

---

(١) منهاج السنّة ج٢: ص٥٠

قلت:

في هذه من البهتان وجوه، أحدها: ما زعمه من عدم طلب ابن أبي قحافة للسلطنة[١]، فإنّه قد تقدّم ما دلّ على بهتانه على إمامه بهذه الدعوى

---

(١) لا ريب أنّ الباحث الخبير لو درس التاريخ دراسة علمية مجرّدة عن التعصّب والأهواء والميول النفسيّة والوساوس الشيطانيّة، يجد بوضوح أنّ من حضر السقيفة من المهاجرين والأنصار بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، كان من أجل الوصول إلى السلطة والحرص على المطامع الدنيويّة، لأنّ الصراع الذي برز هناك بين كبار الصحابة الذين كان لهم الدور في السياسة والعلاقات العامّة للأمّة دون العقيدة والمسائل الشرعية. فهم ممّن تخلّفوا عن جيش أسامة، وبادروا إلى السقيفة في الفترة التي انشغل فيها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام وبنو هاشم والموالون لهم في تجهيز النبيّ صلى الله عليه وآله والاستعداد لمراسم دفنه، فاستغلّوا هذه الفرصة، لإجراء مؤامرتهم وكيدهم في السقيفة للوصول إلى القدرة السياسية وتحقيق أهدافهم والسيطرة على المسلمين. فما ادّعاه ابن تيمية من عدم طلب ابن أبي قحافة للسلطنة باطل بالأخبار والنصوص الصحيحة التي رواها علماء أهل السنّة. وهذا ما يتبيّن من الأخبار والروايات الصحيحة عند القوم، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس في حديث طويل يذكر فيه حوادث السقيفة عن لسان عمر بن الخطّاب، قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطّاب في آخر ←

➔
حجّة حجّها إذ رجع إلي عبد الرحمن، فقال: لو رأيت رجلاً.. يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلاّ فلتة فتمّت. فغضب عمر ثمّ قال: إنّي إن شاء الله لقائم العشيّة في الناس فمحذّرهم... قال ابن عبّاس فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجّة، فلمّا كان يوم الجمعة... خرج عمر بن الخطّاب... فجلس عمر على المنبر، فلمّا سكت المؤذّنون قام ثمّ قال: أمّا بعد... بلغني أنّ قائلا ًمنكم يقول "والله لو مات عمر بايعت فلاناً" فلا يغترنّ امرؤ أن يقول "إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت" ألا وإنّها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرّها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه؛ تغرّةً أن يقتلا، وإنّه قد كان من خبرنا حين توفّى الله نبيّه صلى الله عليه وآله أنّ الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنّا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم فلمّا دنونا منهم لقينا رجلان منهم صالحان، فذكرا ما تمالئ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينّهم، فانطلقنا حتّى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمّل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ماله؟ قالوا: يوعك فلمّا جلسنا قليلاً تشهّد خطيبهم، فأثنى على الله لما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفّت دافّة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر. فلمّا سكت أردت أن أتكلّم وكنت زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدّ، فلمّا أردت أن أتكلّم قال
➔

➔

أبو بكر: على رسلك فكرهت أن أغضبه، فتكلّم أبو بكر فكان هو أحلم منّي وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري، إلاّ قال في بديهته مثلها أو أفضل حتّى سكت فقال: ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل ولم يعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيّهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجرّاح وهو جالس بيننا، فلم أكره ممّا قال غيرها كان والله ان أقدّم فتضرب عنقي لا يقرّبني ذلك من إثم أحبّ إليّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر، اللّهم إلاّ أن تسوّل إليّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن، فقال قائل الأنصار: أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتّى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثمّ بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة، قال عمر: وإنّا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإمّا بايعناهم على ما لا نرضى وإمّا نخالفهم، فيكون فساد فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين، فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا (صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت). والمستفاد من الحديث أنّ اجتماع الأنصار في السقيفة كانت لاتّخاذ التدابير اللازمة في المسائل السياسية، ليكون لهم الدور في القدرة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، وربّما أنّ أكثر الأنصار بما فيهم سعد بن عبادة لم يضعوا في حسابهم غير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله كما كان الاعتقاد السائد بين عامّة المسلمين أنّها لن تعدوه، ولكن بعد أن تبيّن للأنصار

🡐

➔

حرص عدة من المهاجرين وبطون قريش للوصول إلى القدرة والاستيلاء على رقاب المسلمين، فقد طرت مسالة خلافة رسول الله ﷺ. وممّا زاد على ذلك تحالف الحزب القرشي الجديد على الرجوع إلى الروح الجاهلية وإحياء النزعات القبليّة بين الناس. فقد أبرزت للأنصار روح التنافس على الدنيا والغلبة وتحيّل القدرة، فاجتمع فريق منهم بزعامة سعد بن عبادة في السقيفة للتداول بشأن الخلافة، وهتف هؤلاء الجماعة باسم سعد بن عبادة، وفريق آخر كانوا يريدون الخلافة للحزب القرشي، فوقف كلّ من الطرفين في قبال الآخر، فتنازعوا نزاعاً شديداً، وتجاهلوا النصوص النبويّة ﷺ، بعد أن تبيّن لهم الهدى، الشيطان سوّل لهم وأملى لهم، فظهرت أحداث السقيفة. وقد نجح مكر الفئة من المهاجرين بانضمام الحزب القرشي والتعامل مع الأمويّين وكسب الموقف منهم ضدّ الأنصار. ولكنّ هذا النجاح جرّه إلى تناقض سياسي واضح، لأنّ ظروف السقيفة كانت تدعو الحاكمين إلى أن يجعلوا للقرابة من رسول الله ﷺ حساباً في مسألة الخلافة ويقرّوا مذهب الوراثة للزعامة الدينيّة. غير أنّ الحال تبدّلت بعد موقف السقيفة، فاتّخذت المعارضة لوناً جديداً وواضحاً بكلّ الوضوح، وكان يتلخّص في أنّ قريشاً إذا كانت أولى برسول الله ﷺ من سائر العرب لأنّه ﷺ منها، فبنو هاشم أحقّ بالأمر من بقيّة قريش. وهذا ما أعلنه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حين قال: إذا احتجّ عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله ﷺ كانت الحجّة لنا على المهاجرين بذلك قائمة!! فإن فلجت حجّتهم كانت لنا دونهم وإلاّ فالأنصار على دعوتهم. وأوضحه العبّاس لأبي بكر في حديث له معه إذ قال له: وأمّا قولك: "نحن شجرة رسول الله ﷺ" فإنّكم جيرانها ونحن أغصانها (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٥). والمهمّ أنّ بيعة أبي بكر تمّت في السقيفة في أجواء

🡐

من وجوه: عديدةونقول هنا قد علم إمامه بأنّ الخليفة بعد الرسولﷺ هو عليعليه السلام بما سمعه هو بنفسه[(١)]،

➔

فوضى، وقد اتّفق المؤرّخون والمحدّثون بأنّ أبا بكر وعمر وغيرهما ممّن حضر السقيفة كانوا يتسابقون لغصب الخلافة والوصول إلى أهدافهم السياسيّة، فما ادّعاه ابن تيمية من عدم طلب ابن أبي قحافة للسلطنة باطل بالأخبار والنصوص الصحيحة التي رواها علماء أهل السنّة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ لا شكّ ولا شبهة في أنّ النصوص والروايات التي صدرت من النبي الأكرمﷺ في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وخلافته ممّا شاعت وذاعت بين الإمة بحيث لم يختلف فيها اثنان قد سمعها جميع الصحابة بما فيهم الخلفاء الثلاثة ونحن نذكر هنا الروايات التي رواه أبو بكر من رسول اللهﷺ ووعاها وحفظها وحدّث بها وهي الكثيرة ، وقد رواها كبار علماء أهل السنّة في كتبهم، وإليك نبذة من تلك الروايات: فمنها: ما رواه ابن حجر في كتابه لسان الميزان بسنده عن إسحاق بن إبراهيم الرازي عن المغيرة بن سعيد عن أبي ليلى النخعي عن أبي الأسود الدؤلي سمعت أبا بكر يقول: أيّها الناس عليكم بعلي بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول اللهﷺ يقول: «علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي» (لسان الميزان ج٦: ص٧٨). ومنها: ما رواه زيني دحلان بسنده عن أبي بكر عن رسول اللهﷺ أنّه قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار» (انظر فتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين بهامش السيرة النبويّة لزيني دحلان ج٢: ص١٦١). ومنها: ما رواه المحبّ الطبري بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: التقى أبو بكر وعلي بن أبي

🡠

➔
طالبعليه السلام، فتبسّم أبو بكر في وجه عليّعليه السلام، فقالعليه السلام له: «مالك تبسّمت؟» قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له عليّ الجواز» (الرياض النضرة ج٣: ص١٣٧)، ورواه في ذخائر العقبى: ص٧١، وأخرجه ابن حجر المكي في الصواعق: ص١٢٦، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج٣: ص٢٣٠. ومنها: ما رواه ابن المغازلي الشافعي بسنده عن عائشة قالت: رأيت أبا بكر يكثر النظر إلى وجه عليعليه السلام، فقلت: «يا أبه أراك تكثر النظر إلى وجه عليعليه السلام؟ فقال: يا بنيّة، سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «النظر إلى وجه علي عبادة» (المناقب لابن المغازلي: ص٢١٠). ومنها: مارواه ابن عساكر الدمشقي عن الحبشي بن جنادة قال: كنت جالساً عند أبي بكر، فقال: من كانت له عند رسول الله عِدة، فليقم، فقام رجل فقال: إنّه قد وعدني ثلاث حثيات من تمر، فقال أبو بكر: أرسلوا إلى عليعليه السلام، فجاء، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّ هذا يزعم أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له، فحثاها، فقال أبو بكر: عدّوها، فوجدوا في كلّ حثية ستّين تمرة لا تزيد واحدة على الأخرى، فقال أبو بكر: صدق الله ورسولهصلى الله عليه وآله، قال لي رسول اللهصلى الله عليه وآله ليلة الهجرة ونحن خارجون من الغار نريد المدينة : «يا أبا بكر، كفّي وكفّ علي في العدل سواء» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٦٩)، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج٥: ص٢٤٠، والخوارزمي في المناقب: ص١٢٩، والمحبّ الدين الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٠، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج٢: ص٢٣٦ وغيرهم. ومنها: ما رواه ابن عساكر عن الدارقطني بسنده عن أبي رافع، قال: كنت قاعداً بعد ما بايع الناس أبا بكر، فسمعت أبا بكر يقول للعبّاس: أنشدك الله هل أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله جمع بني عبد المطّلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش، فقالصلى الله عليه وآله: «يا
➔

➔
بني عبد المطّلب، إنّه لم يبعث الله نبيّاً إلاّ جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفة في أهله، فمن منكم - يقوم و- يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أهلي؟» فلم يقم منكم أحد، فقال صلى الله عليه وآله: «يا بني عبد المطّلب، كونوا في الإسلام رؤساء ولا تكونوا أذناباً، والله ليقومنّ قائمكم أو لتكوننّ في غيركم، ثم لتندمنّ»، فقام علي عليه السلام من بينكم، فبايعه على ما شرط له ودعا إليه، أتعلم هذا له من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال العبّاس: نعم (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٠). ومنها: ما رواه المحبّ الطبري بسنده عن أبي بكر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله خيّم خيمة وهو متّكئ عل قوس عربيّة وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: «يا معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجدّ، طيب الولادة، ولا يبغضهم إلا شقي الجدّ، ردئ الولادة» (انظر الرياض النضرة ج٣: ص١٥٤)، ورواه الخوارزمي في المناقب: ص٢٩٦. ومنها: ما رواه السيوطي عن البخاري بسنده عن أبي بكر في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أنّه قال: ارقبوا محمّداً صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام (انظر الدرّ المنثور ج٦: ص٧)، ورواه في تاريخ الخلفاء: ص٩٨، وابن حجر في الصواعق: ص١٧٦. ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن الحارث الأعور صاحب راية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: بلغنا أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان في جمع من أصحابه فقال: «أيّكم آدم في علمه، ونوح في فهمه، وإبراهيم في حكمته؟» فلم يكن بأسرع من أن طلع علي عليه السلام، فقال أبو بكر: يا رسول الله أقست رجلاً بثلاثة من الرسل، بخ بخ لهذا الرجل، من هو يا رسول الله؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: «أو لا تعرفه يا أبا بكر؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال صلى الله عليه وآله: «هو أبو الحسن علي بن أبي طالب»، قال أبو بكر: بخ بخ
➔

➔

لك يا أبا الحسن، وأين مثلك يا أبا الحسن (المناقب للخوارزمي: ص٨٨). ومنها: ما رواه عبيد الله الآمرتسري الحنفي عن ابن مردويه الأصفهاني بإسناده عن سالم مولى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كنت مع علي عليه السلام في أرض نعمل، إذ جاء أبو بكر وعمر إلى علي عليه السلام وقالا: «السلام عليك يا أمير المؤمنين»، فقيل لهما: أكنتما تسلمان عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بإمرة المؤمنين؟ قال عمر: هكذا أمرنا النبي صلى الله عليه وآله (انظر أرجح المطالب لعبيد الله الآمرتسري: ص١٥). ومنها: ما رواه ابن أبي الحديد عن الشعبي قال: قال الإمام الحسن ابن علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو يخطب على المنبر فقال له: «انزل عن منبر أبي»، فقال أبو بكر: صدقت، والله إنّه لمنبر أبيك لا منبر أبي (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٤٢). ومنها: ما رواه المحبّ الطبري بسنده عن الشعبي قال: إنّ أبا بكر نظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: من سرّه أن ينظر إلى أقرب الناس قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعظمهم عنه غنى، وأحظّهم عنده منزلة فلينظر - وأشار - إلى علي بن أبي طالب (الرياض النضرة ج٣: ص١١٩). ومنها: ما رواه العلاّمة الأديب ابن دريد البصري في كتابه المجتنى بسنده عن أنس بن مالك قال: أقبل يهودي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله حتّى دخل المسجد فقال: أين وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فأشار القوم إلى أبى بكر، فوقف عليه فقال: أريد أن أسالك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ، قال أبو بكر: سل عمّا بدا لك، قال اليهودي: أخبرني عمّا ليس لله؟ وعمّا ليس عند الله؟ وعمّا لا يعلمه الله؟ فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي. وهمّ أبو بكر والمسلمون باليهودي، فقال ابن عبّاس: ما أنصفتم الرجل. فقال أبو بكر: أما سمعت ما تكلّم به؟ فقال ابن عبّاس: إن كان عندكم جوابه وإلاّ فاذهبوا به إلى علي عليه السلام يجيبه، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي

➔

فلِمَ مَدّ يده إلى يد عمر لمّا مدّها إليه ليبايعه؟[١]

➔

طالبعليه السلام: «اللّهم اهد قلبه، وثبّت لسانه». قال أنس: فقام أبو بكر ومن حضره حتّى أتوا علي بن أبي طالبعليه السلام فاستأذنوا عليه، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّ هذا اليهودي سألني مسائل للزنادقة، فقال عليعليه السلام: «ما تقول يا يهودي؟» قال: أسالك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ، فقالعليه السلام له: «قل»، فردّ اليهودي المسائل فقال عليعليه السلام: «أمّا ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود: إنّ عزيزاً ابن الله، والله لا يعلم أنّ له ولداً، وأمّا قولك: أخبرني بما ليس عند الله، فليس عنده ظلم للعباد، وأمّا قولك: أخبرني بما ليس لله، فليس لله شريك». فقال اليهودي: أشهد أن لا إله الله، وأنّ محمّداًصلى الله عليه وآله رسول الله، وأنّك وصيّ رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر والمسلمون لعليعليه السلام: يا مفرّج الكرب (انظر المجتبى لابن دريد: ص٣٥). وجاء في رواية ابن حسنويه الحنفي في كتابه دُر بحر المناقب - بعد ما شهد اليهودي الشهادتين- فضجّ الناس عند ذلك، فقال أبو بكر: يا كاشف الكربات، أنت يا علي فارج الهمّ، قال أنس: فعند ذلك خرج أبو بكر ورقى المنبر وقال: أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم. قال أنس: فخرج عليه عمر وقال: يا أبا بكر، ما هذا الكلام، فقد ارتضيناك لأنفسنا؟! ثمّ أنزله عن المنبر (انظر درّ بحر المناقب لابن حسنويه: ص٧٦). وإلى غير ذلك من الروايات التي رواها علماء أهل السنّة بسندهم عن أبي بكر وهي تدلّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فإذا كان أبو بكر ينقل هذه الروايات عن النبيصلى الله عليه وآله معناه أنّه جحد بها واستيقنتها نفسه فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس في حديث طويل يذكر فيه حوادث السقيفة عن لسان عمر بن الخطّاب، وفيه، أنّه قال:
➔

➔

كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطّاب في آخر حجّة حجّها إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً... يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلاّ فلتةً فتمت. فغضب عمر ثمّ قال: إنّي إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذّرهم... قال ابن عبّاس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجّة، فلمّا كان يوم الجمعة... خرج عمر بن الخطّاب... فجلس عمر على المنبر، فلمّا سكت المؤذّنون قام... ثمّ قال: أمّا بعد... بلغني أنّ قائلاً منكم يقول "والله لو مات عمر بايعت فلاناً"، فلا يغترنّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرّها وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه، تغرّةً أن يقتلا، وإنّه قد كان من خبرنا حين توفّى الله نبيّه ﷺ: أنّ الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنّا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلمّا دنونا منهم لقينا رجلان منهم صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينّهم، فانطلقنا حتّى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمّل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ماله؟ قالوا: يوعك فلمّا جلسنا قليلاً تشهّد خطيبهم فأثنى على الله لما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفّت دافّة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر، فلمّا سكت أردت أن أتكلّم وكنت

🡐

←

زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحدّ، فلمّا أردت أن أتكلّم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلّم أبو بكر فكان هو أحلم منّي وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلاّ قال في بديهته مثلها أو أفضل حتّى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل ولم يعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجرّاح وهو جالس بيننا فلم أكره ممّا قال غيرها، كان والله أن أقدّم فتضرب عنقي، لا يقرّبني ذلك من إثم أحبّ إليّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر، اللّهم إلاّ أن تسوّل إليّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن. فقال قائل الأنصار: أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتّى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثمّ بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة، قال عمر: وإنّا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإمّا بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا (صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت). والشاهد أنّ عمر بن الخطّاب قال لأبي بكر: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثمّ بايعته الأنصار... هذا وبأيّ وجه شرعي قال عمر لأبي بكر: ابسط يدك لأبايعك؟!! فإنّ البيعة إمّا بالنصّ أو بناءً على قول أهل السنّة بالشورى. فبأيّ وجه شرعي قال

→

فإن مدّ يده إليه للبيعة بعد علمه بأنّ الخليفة غيره طلب بغير حقّ[1]، فعلم فرية السنّي على إمامه بنفس ما ثبت لديه ولدى أهل مذهبه من السنن،

عمر لأبي بكر أبسط يدك لأبايعك؟ ولذلك قال عمر بن الخطّاب نفسه: "كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّةً أن يقتلا..." ويبدو، أنّ حرص عمر على الأمّة من الفرقة والاختلاف كان أكثر من رسول اللهﷺ، عند أهل السنّة، حيث يدّعون أنّ رسول اللهﷺ لم يوص بالإمامة ولم يعيّن الخليفة لما بعده. وأمّا عمر كأنّما أحرص على الأمّة من رسول اللهﷺ بحيث لما وجد الفوضى والنزاع الشديد في السقيفة، قال لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك!!! وعند ذلك أبسط يده أبو بكر ، فبايعه عمر! فإذا كان أبو بكر غير حريص على السلطة لماذا أبسط يده سريعاً بعد طلب عمر؟!!

(١) وبعبارة أوضح أنّ الأمر لايخلو من الحالتين: إذ عندما مدّ عمر بن الخطّاب يده ليبايع أبا بكر إمّا أنّ أبا بكر كان عالماً بأنّ الخليفة يكون غيره، أو كان يعلم أنّه هو الخليفة. فإذا كان يعلم بأنّ الخليفة غيره، فكان مدّ يده للبيعة طلباً للسلطة التي لايستحقّها. وإذا كان عالماً بأنّه هو الخليفة، فلماذا قال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم، فقال عمر: أخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجرّاح وهو جالس بيننا... (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت). ومن هنا يعرف فرية ابن تيمية للدفاع عن إمامه أبي بكر بالأدلّة الصحيحة عند جميع أهل السنّة، فلا بدّ له من الجواب المقنع لأهل نحلته فلاحظ.

والنقول التي تقدّم نقل جملة منها[١]، بل الناقد يعلم بأنّ نفس مسارعته إلى مدّ يده إلى يد عمر بمجرّد قول عمر له: "بل نحن نبايعك، مدّ يدك"، ولم ينتظر ما يقول الحاضرون في ذلك شدّة حرصه عليها[٢]،

---

(١) وبعبارة أوضح أنّ مدعي للخلافة، إذا كانت خلافته شرعيّة لا يجوز له أن يحولها للآخرين، كما لا يجوز للآخرين أن يطمعوا فيها. فإذ كانت خلافة أبي بكر شرعيّة، كيف جاز له أن يحوّلها إلى عمر أو إلى أبي عبيدة كما جاء في الحديث المتقدّم ذكره الذي رواه البخاري في صحيحه؟! ثم أنّه كيف جاز له الاستقالة عن الخلافة، بقوله: "أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم" (انظر السير الكبير للسرخسي ج١: ص٣٦). فياللعجب إذا كان مستحقّاً للخلافة كيف يكون مستقيلاً منها؟!!! وإذا كان لا يرى نفسه مستحقّاً للخلافة كيف مدّ يده ليبايع عمر عندما مدّ عمر يده للبيعة في السقيفة؟! فلا بدّ لابن تيمية وأتباعه أن يجيبوا عن هذه الأسئلة.

(٢) وتوضيح المقام أنّ الأدلّة قائمة على أنّ أبا بكر كان معترفاً بأنّه لا يرى نفسه مستحقّاً للخلافة، كما صرّح بذلك نفسه أوّل يوم خلافته عندما خطب في المسجد فقال: أمّا بعد، أيّها الناس، فإنّي قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني... (تاريخ الطبري ج٢: ص٤٥٠). قال ابن حزم: قد صحّ أنّ أبا بكر خطب الناس حين ولي بعد موت رسول الله ﷺ، فقال: أيّها الناس، إنّي ولّيتكم ولست بخيركم، فقد صحّ عنه، أنّه أعلن بحضرة جميع الصحابة أنّه ليس بخيرهم، ولم ينكر هذا القول منهم أحد (الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٤: ص١٠٥). وإذا كان أبوبكر معترفاً بأنّه لا يستحقّ الخلافة كيف جاز له أن يمدّ يده للبيعة عندما قال له عمر: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده... (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت). وأيضاً من الأدلّة والقرائن الدالّة على أنّ أبا بكر كان حريصاً على السلطة الظاهريّة ←

ويشهد لهذه الشدّة بعثه بالنار والحطب إلى أهل البيت عليهم السلام ليحرقهم لو لم

➔

هو قول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فيا عجباً، بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٣ المعروف بالخطبة الشقشقيّة). لقد أشار الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة إلى عهد الخليفة الثاني فقال: «حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده، (ثمّ تمثّل بقول الأعشى:) شتّان ما يومي على كورها...». قال ابن أبي الحديد المعتزلي: وعمر هو الذي شدّ بيعة أبي بكر، ورغم المخالفين فيها فكسر سيف الزبير لمّا جرّده، ودفع في صدر المقداد، ووطىء في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً. وحطم أنف الخباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكّك، وغذيقها المرجّب. وتوعّد من لجأ إلى دار فاطمة عليها السلام من الهاشميّين، وأخرجهم منها، ولولاه لما يثبت لأبيبكر أمر، ولا قامت له قائمة (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٧٤). ومن هنا تتضح روعة تعبير الإمام عليه السلام بأدلى البيان، في التمثيل بقول الأعشى: «شتان ما يومي على كورها * ويوم حيّان أخي جابر». حيث أراد الإمام عليه السلام أن يقول كنت أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعظمهم منزلة وحرمة، بل كنت نفس رسول الله صلى الله عليه وآله غير أنّهم أقصوني بعده وأخذوا يتلاقفون الخلافة التي لا تصلح إلاّ لي، فيرمون بها لمن يشاؤون. ثمّ يعبّر الإمام عليه السلام عن اندهاشه وذهوله لما حصل فقال عليه السلام: «فيا عجباً، بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها»، والواقع أنّ هذه العبارة إشارة إلى الحديث معروف الذي نقلناه عن أبي بكر أنّه خاطب به الناس أوائل خلافته حيث قال: ولّيتكم ولست بخيركم... فالقرائن القطعيّة في روايات القوم تدّل بوضوح على أنّ أبا بكر كان حريصاً على طلب السلطة الظاهريّة، فلاحظ.

يبايعوه[(١)].

وثانيها: ما نقله عن عمر، من عدم رضاه بالتقدّم على أبي بكر[(٢)]

---

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ من الأدلّة القطعية الدالّة على أنّ أبا بكر كان حريصاً على السلطة الدنيويّة والحكومة ، الهجوم على بيت فاطمةعليها السلام بعد امتناع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن البيعة لأبي بكر واعتدائهم على ذلك البيت العظيم ، وعلى أهل البيتعليهم السلام، وقد اعترف بذلك أبو بكر نفسه في حديث معروف رواه كبار علماء أهل السنّة، منهم ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن عبد الرحمن بن عوف أنّه دخل على أبي بكر في مرضه فأصابه مفيقاً، فقال له عبد الرحمن: كيف أصبحت؟ فقال أبو بكر: أجل، لا آسى على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لو تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددت أنّي فعلتهنّ وثلاث وددت لو أنّي سألت عنهنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله، فأمّا التي وددت أنّي تركتهنّ فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وقتلته سريحاً أو خليته نجيحاً ووددت لو أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قدمت الأمر في عنق أحد الرجلين يريد عمراً وأبا عبيدة، فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً... (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٤١٩)، ورواه الطبري في تاريخه ج٢: ص٦١٩، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٦: ص٥١، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج٥: ص٦٣١ وغيرهم.

(٢) وتوضيح المقام أنّه لا بدّ من البحث هنا عن ملاك التقدّم عند أهل السنّة ليعرف أوّلاً ما هو الملاك الشرعي عندهم بالنسبة إلى تقدّم الخليفة؟ وثانياً: هل يجوز للخليفة الشرعي عندهم أن يقدّم الآخرون على نفسه أم لا ؟ وعندما نراجع إلى كتب أهل السنة نجدها فوضى فإنّهم وإن ذكروا عدّة شرائط للإمامة ، ولكن ليس هناك دليل ولا نصّ شرعي على تلك الشرائط المذكورة. ولا ملاك للتقدّم سوى ←

➔

عدّة صلاحيّات مذكورة في كتبهم بلا وجه معتبر. وبصورة عامّة يقولون: تشترط في الخلافة ما تشترط في عامّة الرؤساء من الإمور المتعارفة. وإليك بعض ما ورد في كتبهم: قال الباقلاني: يشترط أن يكون الإمام قُرَشيّاً من صميم، وأن يكون في العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قُضاة المسلمين، وأن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب، وتدبير الجيوش والسرايا، وسدّ الثغور، وحماية البيضة، وحفظ الأُمّة، والانتقام من ظالمها، والأخذ لمظلومها... (انظر التمهيد: ص١٨١). وقال عبد القاهر البغدادي: قال أصحابنا إنّ الّذي يصلح للإمامة ينبغي أن يكون فيه أربعة أوصاف: أحدها: العلم، وأقلّ ما يكفيه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام. الثاني: العدالة والورع، وأقلّ ما يجب له من هذه الخصلة أن يكون ممّن يجوز قبول شهادته تحمّلاً وأداءً. والثالث: الاهتداء إلى وجوه السياسة وحسن التدبير، وأن يعرف مراتب الناس، فيحفظهم عليها، ولا يستعين على الأعمال الكبار، بالعمّال الصغار، ويكون عارفاً بتدبير الحروب. الرابع: النسب من قريش... (أصول الدين، لأبي منصور البغدادي: ص٢٧٧). وقال أبو الحسن البغدادي الماوردي: الشروط المعتبرة في الإمامة سبعة: أحدها: العدالة على شروطها الجامعة، الثاني: العلم المؤدّي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، الثالث: سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان، الرابع: سلامة الأعضاء، الخامس: الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، السادس: الشجاعة والنجدة، السابع: النسب، وهو أن يكون من قريش (انظر الأحكام السلطانيّة: ص٦). وقال ابن حزم: يشترط فيه أمور: الأوّل: أن يكون صلبه من قريش، الثاني: أن يكون بالغاً مميّزاً، الثالث: أن يكون رجلاً، الرابع: أن يكون مسلماً، الخامس: أن يكون متقدّماً لأمره، السادس: عالماً بما يلزمه من فرائض الدين، السابع: متّقياً لله بالجملة، غير معلن

➔

➔

الفساد في الأرض، الثامن: أن لا يكون مولّىً عليه (انظر الفِصَل في الأهواء والملل والنحل ج٤: ص١٨٦). وقال القاضي سراج الدين الأرمَوي: صفات الأئمّة تسع: الأوّل: أن يكون مجتهداً في أصول الدين وفروعه، الثاني: أن يكون ذا رأي وتدبير، الثالث: أن يكون شجاعاً، الرابع: أن يكون عدلاً، الخامس: أن يكون عاقلاً، السادس: أن يكون بالغاً، السابع: أن يكون مذكّراً، الثامن: أن يكون حرّاً، التاسع: أن يكون قرشيّاً (انظر مطالع الأنوار: ص٤٧٠). وقال التفتازاني: قد ذكرنا في كتبنا الفقهيّة أنّه لا بدّ للأُمّة من إمام يحيي الشريعة، ويُقيم السنّة، وينتصف للمظلومين، ويستوفي الحقوق، ويضعها مواضعها، ويشترط أن يكون مكلّفاً، مسلماً، عدلاً، حُرّاً، ذَكَراً، مجتهداً، شجاعاً، ذا رأي وكفاية، سميعاً، بصيراً، ناطقاً، قريشيّاً، فإن لم يوجد من قريش من يستجمع هذه الصفات المعتبرة، وُلِّي كنانيّ، فإن لم يوجد فرجل من ولد اسماعيل، فإن لم يوجد فرجل من العجم (شرح المقاصد ج٢: ص٢٧١). وقال الفضل بن روزبهان: وشروط الإمام أن يكون مجتهداً في الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين، ذا رأي وبصارة بتدبير الحرب، وترتيب الجيوش، شجاعاً، قويّ القلب ليقوى على الذبّ عن الحوزة (انظر دلائل الصدق ج٢: ص٤).

ويلاحظ على هذه الشروط المذكورة في كتبهم ما يلي من الأمور: أوّلاً: إنّ اختلافهم في عدد الشرائط قلّة وكثرة ناشئ من افتقادهم النصّ الشرعي في مجال الإمامة واعتقادهم أنّ منصب الإمامة - مع عظمته - لم ينص فيه النبي الأكرمﷺ بنصّ، وإنّما الموجود عندهم نصوص كليّة لا تتكفّل بتعيين هذه الشروط، ولا تتكفّل بتبيين صيغة الحكومة الإسلاميّة بعد النبيﷺ، والمصدر لهذه الشروط عندهم هو الاستحسان، والاعتبارات العقلائيّة، وملاحظة الأهداف الّتي يمارسها الإمام والخليفة بعد النبي الأكرمﷺ. وهذا ممّا يقضي منه العَجَب، وهو أنّ النبيﷺ

🡐

←
كيف ترك بيان هذا الأمر المهمّ، شرطاً وصفةً، مع أنّه بيّن أبسط الأشياء وأدناها من المكروهات والمستحبات.

وثانياً: إنّ اعتبار العدالة لا ينسجم مع ما ذهبوا إليه من أنّ الإمام لا ينخلع بفسقه وظلمه، وغيره ممّا نقلناه عنهم، كما أنّهم يعتقدون أنّ القهر والاستيلاء أحد الأمور الّتي تنعقد بها الإمامة وتجعل المستولي والقاهر ولي الأمر، فيزعمون أنّه يشمله قوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ (سورة النساء:٥٩). ومن المعلوم أنّ القاهر والمستولي بالحرب لا يهمّه إلاّ السلطة وإعمال القدرة، وهذا لا ينسجم مع وجوب طاعة الإمام وأولى الأمر الذي فرض الله طاعته في كتابه العزيز، فإنّ من فرض الله طاعته على الناس هو أولى الناس بالإمامة، باعتبار وجود الشرائط من العلم والفضل والعدالة والشجاعة والتدبير وسائر الأمور فيه. هذا لا ينسجم مع وجوب طاعة كل من غلب بالقهر والغلبة.

وثالثاً: إنّ التاريخ الإسلامي يشهد بأنّ الخلفاء بعد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانوا يفقدون أكثر هذه الصلاحيّات، ومع ذلك كانوا يمارسون الخلافة. فهذه صحائف تاريخهم من لدن تَسَنُّم معاوية عرش الخلافة إلى آخر خلفاء بني مروان، فإنّهم قد خضبوا وجه الأرض بدماء الأبرياء، وقتلوا الصحابة والتابعين، ونهبوا الديار والأموال، وقد بلغ جورهم وظلمهم الذروة، حتّى ثارت عليهم الأمّة، وقتلت صغيرهم وكبيرهم، فلم يبق منهم إلاّ من فرّ إلى الأندلس. وبعدهم تسلّط العباسيّون باسم حماية أهل البيت عليهم السلام، ولكن حدث ما حدث، ولم تكن سيرتهم أحسن حالاً من سيرة الأمويّين، بل وحتّى قال القائل: وليت عدل بني العبّاس في النار * يا ليت جور بني مروان دام لنا. وقال الآخر: تالله ما فعلت أميّة
→

فإنّه وبال عظيم عليه من حيث تقديمه له على من قدّمه الله ورسولهﷺ على عامّة الخلق بعد رسولهﷺ[(١)]،

➔

فيهم * معشار ما فعلت بنو العبّاس. فتبيّن أنّه لا يوجد ملاك شرعي عند أهل السنّة في تقديم الخليفة.

ومن هنا يتّضح الجواب عن السؤال الثاني أيضاً، إذ لمّا كان القوم يفتقدون النصّ الشرعي في مجال الإمامة والخلافة وعدم اعتقادهم بأنّ منصب الإمامة منصب إلهي ، فلا محالة ليس لديهم شرط لتعيين الخليفة شرعاً. فيجوز لخيقتهم أن يقدّم الآخرون على نفسه؛ والشاهد على ذلك أنّه لو كان أهل السقيفة يسمعون كلام أبي بكر عندما قال لهم: بايعوا عمر أو أبا عبيدة، فإن كانوا يبايعون أحدهما لقال أهل السنّة: هو الإمام. فجواز التقدّم عندهم من جهة افتقادهم النصّ الشرعي في مجال الإمامة ينسجم مع اعتقادهم في باب الإمامة، إذ لا يتكفّل دليل شرعي عندهم بتبيين صيغة إسلاميّة لشرائط الإمامة. وهذا ممّا يقضي منه العَجَب، إذ كيف يمكن لهم أن يجمعوا بين مهمة الإمام والخلافة بعد النبيﷺ وعدم لزوم وجود شرائط وجوب الطاعة فيه. وكيف يمكن أنّ الإسلام الذي له القانون والشرائط لأبسط الأشياء وأدناها من المكروهات والمستحبّات قد بيّنها النبي الأكرمﷺ للناس، ولم يبيّن للإمامة شيئاً؟! فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام قد نزلت فيها آيات كثيرة، ووردت فيها روايات كثيرة عن النبي الأكرمﷺ رواها علماء الإسلام في كتبهم، وأرسلوها إرسال المسلّمات. كما وردت الروايات الكثيرة في كتب أهل السنّة ممّا لا يمكن إحصائها، وبالطبع لا مجال في هذه العجالة لاستقصائها، فنكتفي هنا بذكر بعض الأدلة من باب النموذج. فمن الآيات قوله

➔

➔

تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (سورة المائدة:٥٥)، وقد اتّفق المفسّرون والمحدّثون من الشيعة وأهل السنّة على أنّها نزلت في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عندما تصدّق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة. وقد ذكر هذه الواقعة كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم، وإليك عدّةً من النصوص من الكتب المعتبرة عندهم: فقد أخرج ابن الأثير بسنده عن عبد الله بن سلام قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورهط من قومي، فقلنا: إنّ قومنا حادّونا لمّا صدّقنا الله ورسوله، وأقسموا لا يكلّمونا، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾، ثمّ أذّن بلال لصلاة الظهر، فقام الناس يصلّون، فمن بين ساجد وراكع، إذا سائل يسأل، فأعطاه عليّ خاتمه وهو راكع. فأخبر السائل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ**﴾ (انظر جامع الأصول ج٨: ص٦٦٤). وأخرج أبن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن عتبة بن أبي حكيم في قوله: ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾، قال: نزلت في علي بن أبي طالب حين تصدّق بخاتمه وهو راكع (تفسير أبي حاتم ج٤: ص١١٦٢). وأخرج السمرقندي في تفسيره بسنده عن ابن عبّاس أنّه قال: أنّ بلالاً لمّا أذّن وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله والناس في المسجد يصلّون بين قائم وراكع وساجد، فإذا هو بمسكين يسأل الناس، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «هل أعطاك أحد شيئاً؟» قال: نعم، قال: «ماذا؟» قال: خاتم فضّة، قال: «ومن أعطاك؟» قال: ذلك المصلّي، قال: «في أي حال أعطاك؟» قال: أعطاني وهو راكع، فنظر فإذا هو علي ابن أبي طالب عليه السلام، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله على عبد الله بن سلام: ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ**

🡐

➔
الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾، يعني يتصدّقون في حال ركوعهم، حيث أشار علي بخاتمه إلى المسكين حتّى نزع من أصبعه وهو في ركوعه، ويقال يراد به جميع المسلمين أنّهم يصلّون ويؤدّون الزكاة ثم قال: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...**﴾ (تفسير السمرقندي ج١: ص٤٢٤). وأخرج الطبري في تفسيره بسنده عن غالب ابن عبيد الله، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...**﴾ الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدّق وهو راكع (تفسير الطبري ج٦: ص٢٩٥). وأخرج الفخر الرازي في تفسيره بسنده عن أبي ذرّ، أنّه قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللّهم اشهد أنّي سألت في مسجد الرسول ﷺ فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتّى أخذ الخاتم بمرأى النبي ﷺ، فقال: «اللّهم إنّ أخي موسى سألك، فقال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ (إلى قوله) ﴿**وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾ (سورة طه: ٢٥-٣٢)، فأنزلت قرآناً ناطقاً: ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا**﴾ (سورة القصص:٣٥)، اللّهم وأنا محمّد نبيّك وصفيّك، فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً، اشدد به ظهري». قال أبو ذر: فوالله ما أتمّ رسول الله هذه الكلمة حتّى نزل جبريل فقال: «يا محمّد اقرأ: ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾ (إلى آخرها)» (تفسير الفخر الرازي ج١٢: ص٢٦). وأخرج الآلوسي في تفسيره عن الحاكم وابن مردويه وغيرهما عن ابن عبّاس بإسناد متّصل قال: أقبل ابن سلام ونفر من قومه آمنوا بالنبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله إنّ منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدّث دون هذا المجلس، وإنّ قومنا لمّا رأونا آمنّا بالله تعالى ورسوله ﷺ وصدّقناه، رفضونا وآلوا على نفوسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا
➔

➔

ولا يكلّمونا فشقّ ذلك علينا، فقال لهم النبيﷺ: ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾، ثمّ أنّهﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع، فبصر بسائل فقال: «هل أعطاك أحد شيئاً؟» فقال: نعم خاتم من فضّة، فقال: «من أعطاكه؟» فقال: ذلك القائم، وأومأ إلى عليعليه السلام، فقال النبيﷺ: «على أي حال أعطاك؟» فقال: وهو راكع، فكبّر النبيﷺ ثمّ تلا هذه الآية، فأنشأ حسان يقول: أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي * وكلّ بطيء في الهدى ومسارع. أيذهب مدحيك المحبر ضائعاً * وما المدح في جنب الإله بضائع. فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً * زكاة فدتك النفس يا خير راكع. فأنزل فيك الله خير ولاية * وأثبتها اثنا كتاب الشرائع (انظر تفسير الآلوسي ج٦: ص١٦٧)، وروى السيوطي بأسانيد كثيرة في الدرّ المنثور ج٢: ص٢٩٣، والزمخشري في تفسيره ج١: ص٢٦٤، والبيضاوي في تفسيره: ص١٥٤، والنيشابوري في تفسيره ج٢: ص٢٨، وغيرهم من علماء أهل السنّة أكثر من أربعين كتاباً من كتب التفسير رووا بأنّ الآية إنّما نزلت في الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام كما تظافر نقل الحديث من كبار علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم ومجامعهم الحديثيّة. والآية الكريمة كما أثبتت الولاية لله تعالى وللرسولﷺ أثبتت الولاية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أيضاً، ومن ثبتت ولايته بالنصّ من الله تعالى ثبتت أمامته باتّفاق المسلمين، إذ معنى الولاية الإلهية أنّ الله تعالى قدّمه للإمامة كما أنّ ما ورد من الروايات على أولويّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بالإمامة تدلّ على أنّ النبيﷺ قدّمه للإمامة. ومن المعلوم أنّ من قدّمه الله ورسولهﷺ للإمامة فهو مقدم على الكلّ بالإجماع. وهناك آيات وروايات كثيرة تنصّ على إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، سنذكرها إن شاء الله في محلّه فلاحظ.

وقد علم عمر مثل غيره من الصحابة بذلك من السنن التي سمعوها من رسول الله ﷺ في إمامة علي عليه السلام ووعوها، ولكن حلّت الدنيا بأعينهم فخالفوها وتركوها خلف ظهورهم[1].

---

(١) لا شكّ أنّ النصوص والروايات التي صدرت من النبي الأكرم ﷺ في إمامة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته ممّا لا تعدّ ولا تحصى، وقد رواه كبار الصحابة عن النبي ﷺ منهم عمر بن الخطّاب فإنّه روى عن رسول الله ﷺ الروايات التي سمعها من رسول الله ﷺ ووعاها وحفظها وحدّث بها. ونحن نذكر هنا بعض ما رواها عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ فقط، فمنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عثمان بن عفّان قال : سمعت عمر بن الخطّاب قال: سمعت أبا بكر بن أبي قحافة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله تعالى خلق من نور وجه علي بن أبي طالب ملائكة يسبّحون الله، ويقدّسون الله، ويكتبون ثواب ذلك لمحبّيه ومحبّي ولده» (المناقب للخوارزمي: ص٣٢٩). ومنها: ما رواه أحمد ابن حنبل بسنده عن عمر بن الخطّاب قال: إنّ النبي ﷺ آخى بين الناس وترك علياً حتّى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال عليه السلام: «آخيت بين الناس وتركتني؟» قال ﷺ: «ولم تراني تركتك؟ إنّي تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك – ناقشك – أحد فقل: أنا عبد الله، وأخو رسوله، لا يدعيها بعدي إلاّ كذّاب» (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢: ص٦١٧)، ورواه المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٢٥. ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عمر ابن الخطّاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ علياً وفاطمة والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبّة بيضاء، سقفها عرش الرحمن عزّ وجلّ» (المناقب للخوارزمي: ص٣٠٢)، ورواه الحمويني في فرائد السمطين ج١: ص٤٩، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج١٢: ص٣٣٩ وغيرهم. ومنها: مارواه المتّقي الهندي بسنده عن ←

➔

الخليفة العبّاسي المأمون عن الرشيد، حدّثني المهدي، حدّثني المنصور، حدّثني أبي، حدّثني عبد الله بن عبّاس، قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه خصالاً لإن تكون لي واحدة منهن في آل الخطّاب أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فانتهيت إلى باب أمّ سلمة وعلي قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: «يخرج إليكم»، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فسرنا إليه فاتّكأ على علي بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ ضرب بيده منكبه ثمّ قال: «إنّك مخاصم تخاصم، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيّام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي وغاسلي ودافني، والمتقدّم إلى كلّ شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدّمني بلواء الحمد، وتذود عن حوضي» (كنز العمّال ج١٣: ص١١٧)، ورواه الإسكافي في نقض العثمانيّة: ص٢٩٢، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٨، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٣: ص٢٣٠ وغيرهم. ومنها: ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن سويد بن غفلة عن عمر بن الخطّاب: إنّه رأى رجلاً يسبّ علياً عليه السلام فقال عمر: إنّي أظنّك منافقاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» (تاريخ بغداد ج٧: ص٤٥٣). ومنها: ما رواه بهاء الدين أبو القاسم القفطي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال عمر بن الخطّاب: كنت أجفو علياً عليه السلام، فلقيني النبي صلى الله عليه وآله فقال: «آذيتني يا عمر»، فقلت: بأيش؟ قال صلى الله عليه وآله: «تجفو عليّاً! من آذى عليّاً فقد آذاني»، فقلت: والله لا أجفو عليّاً أبداً (الأنباء المستطابة: ص٦٤). ومنها: ما رواه ابن شيرويه الديلمي الهمداني بسنده عن عمر

🡐

➔

ابن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «حبّ علي عليه السلام براءة من النار» (انظر فردوس الأخبار ج٢: ص١٤٢)، ورواه المناوي في كنز الحقائق: ص٦٧ وغيره. ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره». فبات المسلمون كلّهم يستشرفون لذلك، فلمّا أصبح قال صلى الله عليه وآله: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا: أرمد العين، قال صلى الله عليه وآله: «آتوني به»، فلم أتاه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ادن منّي»، فدنا منه، فتفل في عينيه ومسحهما بيده، فقام علي بن أبي طالب عليه السلام بين يديه وكأنّه لم يرمد وأعطاه الراية، فقتل مرحب وأخذ مدينة خيبر (المناقب للخوارزمي: ص١٧٠)، ورواه المتّقي الهندي في كنز العمّال ج١٣: ص١٢٣ وغيره. ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لو اجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب لمّا خلق الله النار» (انظر ينابيع المودّة ج٢: ص٢٩٠). ومنها: مارواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن عمر بن الخطّاب - في عهده - رجلان سألاه عن طلاق الأمّة - كم عدة للبينونة -؟ فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال عمر: أيّها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة، فرفع رأسه إليه ثمّ أومأ إليه بالسبابة والوسطى، فقال له عمر: تطليقان، فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أومأ إليك!! فقال لهما عمر: ما تدريان من هذا؟ قالا: لا، قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله لسمعته وهو يقول: «لو أنّ السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفّه ميزان ووضع إيمان علي في كفّة ميزان لرجح

➔

➔

إيمان علي عليه السلام» (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٤٠)، ورواه الخارزمي في مناقبه: ص١٣٠، وابن المغازلي في مناقبه: ص٢٨٩ وغيرهم. ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «لو كان البحر مداداً، والرياض أقلاماً، والإنس كتّاباً، والجنّ حُساباً، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن» (ينابيع المودّة ج٢: ص٢٨٥). ومنها: ما رواه محبّ الدين الطبري بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي، يهدي صاحبه إلى الهدى، ويرده عن الردى» (ينابيع المودّة ج٢: ص١٤٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عبّاس، قال: مشيت وعمر بن الخطّاب في بعض أزقة المدينة فقال لي: يا ابن عبّاس، أظنّ أنّ القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم!! فقلت: والله! ما استصغره الله إذ اختاره لسورة براءة مع عزل أبي بكر يبلغها أهل مكّة، فقال لي: الصواب تقول!! والله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبّك أحبّني، ومن أحبّني أحبّ الله، ومن أحبّ الله أدخله الجنّة مدلاً» (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص٤). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر ابن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «من أحبّك يا علي كان مع النبيّين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهوديّاً أو نصرانيّاً» (الكوكب الدرّي: ص١٢٥). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي حديث الغدير بعدّة طرق وإضافات عن عمر بن الخطّاب قال: نصب رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام علماً فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللّهم أنت شهيدي عليهم»، قال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله، وكان في جنبي شابّ حسن الوجه

➔

➔

طيب الريح، قال لي: «يا عمر، لقد عقد رسول الله صلى الله عليه وآله عقداً لا يحلّه إلاّ منافق»، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فقال: «يا عمر، إنّه ليس من ولد آدم لكنّه جبرائيل يؤكّد عليكم ما قلته في علي» (ينابيع المودّة ج٢: ص٢٨٤). لا يخفى أنّ حديث الغدير من الأحاديث المتواترة، بل في أعلى درجات التواتر، وقطعيّ الصدور، وواضح الدلالة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالرغم من محاولات التعتيم عليه، وطمس معالمه، وكتم الكاتمين!! فقد قاله النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عند منصرفه من حجّة الوداع في الثامن عشر من شهر ذي الحجّة من السنة العاشرة للهجرة، ورواه عنه أكثر من مائة صحابيّ. وعندما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله من مراسم الغدير والخطبة الغرّاء، ونصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علماً للخلافة والإمامة من بعده، وقوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسائر فقرات الخطبة ودعائه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أمر الحاضرين رجالاً ونساءً أن يبايعوا علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمرة والخلافة من بعده، فكان الحاضرون يتهافتون على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويبايعونه على ذلك حسب ما أمرهم النبي صلى الله عليه وآله حتّى النساء بايعنه حيث وضع لهن طست فيه ماء - كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وآله فكنّ يدخلن أيديهنّ فيه وكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واضعاً يده أيضاً في الطست وهو جالس في الخيمة - احترازاً من ملامسة الأجنبيّات والتسليم عليهنّ مصافحة، وهكذا تمّت البيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأذعن الجميع بأنه عليه السلام مولاهم، وأقرّوا له بالاتّباع والطاعة والتزام أوامره ونواهيه. والجدير بالذكر أنّ هذا الحديث المتواتر رواه أكثر من أربعين حافظاً ومؤرّخاً بسندهم عن أبي بكر وعمر، وأنّهما قالا للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وأمره بالبيعة للإمام أمير

➔

➔
المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: "بخ بخ..." أو "هنيئا لك..." وأمثال هذه العبارات الدالّة على التهنئة والتبريك وتعظيم منصب الولاية العظمى والخلافة الكبرى للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام تهنئة أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. وإليك - أيّها القارئ العزيز - بعض النماذج من تلكم العبارات التهنويّة التي رويت عن أبي بكر وعمر معاً أو انفرد به أحدهما ممّا روي في مصادر أهل السنّة المعتمد عليها عندهم: أمّا ما اشترك فيه أبو بكر وعمر، وقولهما: "أصبحت وأمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة..." وقد أخرجه العلاّمة الأمينيرحمه الله عن ستّين مصدراً من مصادر أهل السنّة (انظر الغدير ج١: ص٢٧٢-٢٨٣). وأمّا المصادر والمراجع التي أخرجت فيها حديث الغدير على لسان عمر بن الخطّاب واعترافه بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مولاه ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، فهي كما يلي، أحدها: ما رواه أحمد ابن حنبل في مسنده بسنده عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول اللهصلى الله عليه وآله تحت شجرتين، فصلّى الظهر، وأخذ بيد عليعليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٢٨١). وثانيها: ما رواه ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن عن البراء، قال: كنّا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله في سفر، قال: فنزلنا بغدير خمّ، قال: فنودي الصلاة جامعة، وكسح لرسول اللهصلى الله عليه وآله تحت شجرة، فصلّى الظهر، فأخذ بيد علي فقال:
➔

➔
«ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٥٠٣). وثالثها: ما رواه المحبّ الطبري في كتابه الرياض النضرة في باب خاصّ بعنوان: ذكر ما رواه عمر في علي، وروى عنه مختصراً وقد تقدّم جميع ذلك مفرّقاً في أبوابه، فمنه حديث الراية يوم خيبر، وحديث ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ، وحديث أنّه قال: في علي ثلاث خلال لوددت أنّ لي واحدة منهنّ، وحديث: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، وحديث رجحان إيمانه بالسموات السبع والأرضين، وحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقوله: ما أحببت الإمارة إلاّ يومئذ لمّا قال لعلي: لأبعثنّه إلى كذا كذا، وقوله: أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقوله: علي مولى من النبيﷺ مولاه، وقوله في علي: إنّه مولاي، وإحالته في المسألة عليه غير مرّة في القضاء، وقوله: أقضانا علي، ورجوعه إلى قوله في مسائل كثيرة؛ كلّ ذلك في الخصائص والفضائل مفرّقاً في بابه (الرياض النضرة ج٣: ص٢٣٣). رابعها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة كتب الله له صيام ستّين شهراً وهو يوم غدير خمّ لمّا أخذ رسول اللهﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألست مولى المؤمنين؟» قالوا: نعم يا رسول الله، فأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال له عمر ابن الخطّاب: بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٣٤). خامسها: ما رواه الفخر الرازي في تفسيره نزلت الآية في
➔

➔
فضل علي بن أبي طالبعليه السلام، ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة (تفسير الفخر الرازي ج١٢: ص٤٩). سادسها: ما قاله الباقلاني في كتابه تمهيد الأوائل: ويدلّ على ذلك أيضاً ويؤكّده ما يروونه من قول عمر: أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن، فأخبر أنّه قد ثبت كونه مولى له ولكم مؤمن، فلم ينكر ذلك النبيصلى الله عليه وآله، فدلّ أنّه قد أثبت له الولاية عليهم ولزوم طاعتهم له (تمهيد الأوائل: ص٤٠٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد بهذا المضمون. وقد أخرج أحمد بن عقدة الكوفي في كتابه الولاية حديث الغدير عن أبي بكر وعمر بأسناد عديدة وبطرق مختلفة (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج٧: ص٢٨٨ في ترجمة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام نقلاً عن ابن عقدة). وذكر المناوي في كتابه فيض القدير في شرح الحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» كلاماً لابن حجر في تغيير وجهي أبي بكر وعمر، ثمّ تطرّق إلى سرد مصادر واسناد حديث الغدير فقال: ذكره الحافظ في اللسان بنصّه ولم أذكره إلاّ للتعجّب من هذا الضلال وأستغفر الله، ثمّ قال: أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقّاص عنهما قالا: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (انظر فيض القدير ج٦: ص٢١٧).

أقول : ألا يتعجّب الإنسان من هذه العصبيّة والعناد، فإنّه مع تصديقه بأنّ ابن حجر بوثاقة ابن حجر، وتصديقه لما رواه من حديث الغدير وتصحيحه له، بل وتواتره عنده، مع ذلك ينكره ويقول: ولم أذكره إلاّ للتعجّب من هذا الضلال وأستغفر الله... أليس هذا من مصاديق الجهل والعصبيّة العمياء؟!! ولا شكّ أنّ العصبيّة الجاهليّة قد تنجرّ إلى الكفر. والسؤال الهامّ: في المقام أنّه لو لم تكن كلمة رسول اللهصلى الله عليه وآله في
🡐

➔

غدير خمّ «من كنت مولاه فعلي مولاه» مع كلّ ما احتوته من الميزات الظرفيّة والوقائع مثل الظروف المحلّيّة والتاريخيّة واجتماع الحجّاج وإبلاغهم أمر الخلافة وأخذ البيعة منهم رجالاً ونساءً الدالّة على أهميّة مسألة الإمامة والخلافة المتّصلة بالنبوّة المحمديّة وأهميّتها في مصير الأمّة الاسلاميّة، وقلنا أنّها موضوع عادي مثل أكثر المسائل التي تفقد الأهمية الدينيّة، فكيف يفسّر الرجل تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقولهما له عليه السلام: بخ بخ لك يا علي، أو: طوبى لك يا أبا الحسن، أو: هنيئاً لك يا بن أبي طالب؟

وهذا هو السؤال المطروح الذي يحتاج إلى جواب صريح من دون اللفّ والنشر والتزوير والتهرّب والتخرّص، بأنّ الاجتماع الكبير في غدير خمّ، وما صدر من رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الجمع الغفير من الصحابة، وقد بيّن صلى الله عليه وآله بأبلغ البيان خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذكرها كبار الصحابة حتى عمر ابن الخطّاب وقد نقلها كبار علمائهم، فرواه ابن حجر العسقلاني عن ابن الجوزي فقال: أنّه حضر مجلسه بالكوفة فقال: لمّا قال النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» تغيّر وجه أبي بكر وعمر، فنزلت ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ (لسان الميزان لابن حجر ج١: ص٣٨٧). وعندئذ يختلج السؤال في الذهن: أنّه لو كانت الغاية من قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه...» هي مجرّد إبلاغ الناس وأمرهم بالمودّة والمحبّة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقطّ ولم تكن تتعلّق بما هو أهمّ من ذلك من مسألة الخلافة والإمامة فلماذا تغير وجه أبي بكر وعمر بمجرّد سماعهما ذلك من النبي صلى الله عليه وآله؟

ومنها: ما رواه ابن كثير في تاريخه بسنده عن أبي بكر وعمر وعثمان بن عفّان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبي ذرّ

➔

➔
وجابر أنّ رسول الله ﷺ قال: «النظر إلى وجه علي عبادة» (البداية والنهاية ج٧: ص١٩٤). ومنها: مارواه أحمد بن حنبل بإسناده، قال: قال رسول الله ﷺ لوفد ثقيف حين جاءوا: «والله لتسلمنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً منّي»، أو قال: «مثل نفسي فليضربنّ أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذنّ أموالكم»، قال عمر: فوالله ما اشتهيت – تمنّيت – الإمارة إلاّ يومئذ جعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هذا، فالتفت ﷺ إلى علي عليه السلام فأخذ بيده ثمّ قال: «هو هذا، هو هذا» – مرّتين – يعني أنّ الذي يقاتلكم ويسبي ذراريكم هو علي عليه السلام (فضائل الصحابة لأحمد ابن حنبل ج٢: ص٥٩٣). ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطّاب، عن سلمان قال: دخلت على رسول الله ﷺ في غمرات الموت فقلت: يا رسول الله، هل أوصيت؟ قال: «يا سلمان، أتدري من الأوصياء؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «آدم عليه السلام وكان وصيّه شيث، وكان أفضل من تركه بعده وكان من ولده، وكان وصي نوح عليه السلام سام، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصيّ موسى عليه السلام يوشع، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصيّ سليمان عليه السلام آصف بن برخيا، وكان أفضل من تركه بعده، وكان وصيّ عيسى عليه السلام شمعون بن نرخيا، وكان أفضل من تركه بعده، وإنّي أوصيت إلى علي عليه السلام، وهو أفضل من أتركه بعدي (انظر الكوكب الدرّي على جامع الترمذي: ص١٣٣). ومنها: ما رواه علي بن شهاب الدين الهمداني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: قال رسول الله ﷺ لمّا عقد المؤاخاة بين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصيي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، له منّي ما لي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر المناقب المرتضويّة: ص١٢٩). ومنها: ما رواه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن
➔

➔

إبراهيم بن سعيد الجوهري وصي المأمون قال: حدّثني المأمون العبّاسي قال: حدّثني الرشيد العبّاسي قال: حدّثني المهديّ العبّاسي قال: حدّثني المنصور الدوانيقي عن أبيه عن جدّه عبد الله بن العبّاس، قال: سمعت عمر بن الخطّاب وعنده جماعة، فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أمّا علي فسمعت رسول اللهﷺ يقول فيه ثلاث خصال لوددت أنّ لي واحدة منهنّ فكان أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب النبيﷺ بيده على منكب علي فقال له: «يا علي، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى» (تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢: ص١٦٧). وزاد ابن الصباغ المالكي بعد أن نقل الحديث عن الخصائص العلويّة على سائر البرية لأبي الفتح محمّد النطنزي إنّ النبيﷺ قال لعليعليه السلام: «كذب من زعم أنّه يحبّني وهو مبغضك، يا علي من أحبّك فقد أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله تعالى وأدخله النار» (انظر الفصول المهمّة: ص١٢٦). ومنها: ما رواه محمد ابن محمّد الدركزيني في كتابه نزل السائرين في أحاديث سيّد المرسلين بسنده عن عمر بن الخطّاب قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضربﷺ بيده على منكب عليعليه السلام فقال: «يا علي أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى. يا علي، إنّما أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإذا أتاك هؤلاء القوم فسلّموا إليك هذا الأمر فاقبله منهم، فإن لم يأتوك فلا تأتهم» (انظر إحقاق الحقّ ج١٧: ص٧٩، نقلاً عن كتاب درر المناقب). ومنها: ما رواه العيني بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: قال النبيﷺ لعليعليه السلام: «أنا خاتم الانبياء، وأنت خاتم الأولياء» (مناقب سيّدنا علي

🡐

➔

للعيني: ص٢٦)، ورواه ابن عساكر في تاريخه ج٤٢: ص٣٢٨، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٨٢، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ج١١: ص٦٢٧ وغيرهم. ومنها: ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وذكر قصّة حوار دار بين ابن عبّاس وبين عمر بن الخطّاب بما يمت بأمر الخلافة والإمامة بعد النبيﷺ... وملخّص الحوار أنّه قال ابن عبّاس: دخلت على عمر في أوّل خلافته... فقال عمر: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلّفت ابن عمك... إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟ قلت: خلّفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن، قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أنّ رسول اللهﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق، قال عمر: لقد كان من رسول اللهﷺ ذرو من قول في إعلان خلافة عليعليه السلام لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، ولقد كان النبيﷺ يربع في أمره وقتاً ما أي كان يترقّب الفرصة لذلك - ولقد أراد أن يصرّح باسمه عليعليه السلام- فمنعته من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام - وذلك بقوله: إنّ الرجل ليهجر - لا وربّ هذه البنية - أي خلافة علي - لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها - علي - لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فامسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٢٠). وأضاف ابن أبي الحديد: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني في كتابه تاريخ بغداد مسنداً (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٧٩). وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ - وهو قول عمر -: إنّ رسول اللهﷺ أراد أن يذكره للأمر - الخلافة - في مرضه فصددته عنه خوفاً من

➔

فلهفي عليهم من هذه الخاتمة السيّئة[١].

➔

الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٧٩).

أقول : مع قطع النظر عن دلالة هذه النصوص في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام فقد وردت روايات صحيحة عن عمر بن الخطّاب في موضوع غدير خمّ، الذي يدلّ على أنّ عمر بن الخطاب كان يعلم بأولويّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامته والخلافته بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرةً. ومع ذلك أنّه خالف رسول الله صلى الله عليه وآله ومعناه أنّه قدم رأيه على إرادة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا أمر واضح من كلامه. والعجيب من علماء أهل السنّة الذين رووا هذه الروايات عن عمر بن الخطاب، وهم يعلمون أنّها اعتراف منه على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومع ذلك لم يقتنعوا بما فيها من الدلالة على ما اعترف به عمر من أولويّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامته والخلافته بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرةً. بل وقد اشتركوا مع عمر في مخالفته الصريحة لرسول الله صلى الله عليه وآله فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ تمّرد الصحابة عن أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وتكذيبهم لآيات الله وانغماسهم في الذنوب والآثام كانت سبب لسوء عاقبتهم كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ (سورة الروم:١٠). هذه الآية الكريمة تبيّن حقيقة هامّة ألا وهي أنّ الذنب أو الإثم قد يقع على روح الإنسان كالمرض الخبيث، فيأكل إيمانه ويعدمه، ويبلغ الأمر حدّاً يكذّب الإنسان آيات الله. وأبعد من ذلك، إذ قد يحمل الذنب صاحبه على الاستهزاء بالأنبياء عليهم السلام والسخرية بآيات الله، ويبلغ مرحلة لا ينفع معها

➔

➔
وعظ ونصيحة أبداً، ولا تؤثّر فيه أيّة آية، ولا يبقى طريق سوى أسواط عذاب الله المؤلمة له. وإنّ نظرة واحدة في صفحات تاريخ تكشف هذه الحقيقة بوضوح، إذ كثير من الجناة والبغاة كان بداية أمرهم ضعف الإيمان، ولكن بسبب ارتكابهم للذنوب المتتابعة يوماً بعد آخر قد انفصلوا عن الإيمان والتقوى، وبلغوا آخر أمرهم إلى الكفر، ونستجير بالله من سوء العاقبة وخاتمة السوء. وعندما يراجع الباحث إلى تاريخ عمر بن الخطّاب يجد أنّ الرجل كان لا يبالي من مخالفة الله ورسوله ﷺ فقد خالف رسول الله ﷺ في مواضع عديدة في حياته الشريفة، منها: مخالفته لرسول الله ﷺ عندما طلب من الصحابة أن يقدّموا له ﷺ الدواة والقلم، ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، قال عمر: إنّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١٣٨ كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته). ولا يمكن تفسير هذا الكلام للمؤمن الغيور إلاّ ببيان أنّ الرجل كان يريد حذف السنّة النبويّة والمعارضة مع الله ورسوله ﷺ. فيا عجباً! هل كان رسول الله ﷺ لا يعلم مكان كتاب الله؟!!! أو أنّه كان يرى نفسه أعلم من رسول الله ﷺ بما في الكتاب وفوائده؟!!! حتّى يخالف طلب رسول الله ﷺ ويقول: حسبنا كتاب الله، فما أقبح هذا الموقف منه لمنع كتابة فيها هداية جميع الناس بعد رسول الله ﷺ. وإنّ معنى قوله: حسبنا كتاب الله، أي: نحن غير محتاجين إلى وصيّتك يا رسول الله ويكفينا القرآن بعد وفاتك – والعياذ بالله – فما هذا الإنكار واللفّ والدوران إلاّ التي صدرت منه وتبعه شرذمة من الصحابة ممن تواطأ معه، ليدبروا بعد ذلك لغصب الخلافة من أهلها. ولا يخفى أنّه لم يهمّه مخالفة الرسول ﷺ في أيّ حال من الحالات، سواء كان النبي ﷺ في فراش موته، أو في غير هذه الحالة؛ فلم يبالي من مخالفة الرسول ﷺ على رؤوس
➔

➔

الأشهاد وإليك بعض تصريحاته: فمنها: ما أخرجه ابن عبد البر في كتابه الاستذكار بسنده عن مالك بن أنس وغيره عن نافع عن ابن عمر قال: قال عمر ابن الخطّاب: متعتان كانتا على عهد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، متعة النساء ومتعة الحجّ (الاستذكار لابن عبد البر ج٥: ص٥٠٥). فإنّ هذه المخالفة الصريحة تدلّ على عدم الإيمان بالرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لأنّ الإيمان الصحيح بالرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقتضي تصديقه. والقول بعدم مشروعية ما شرعه الرسول الأعظم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ معناه عدم الإذعان بما جاء به رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعدم الإذعان بما جاء به رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ معناه عدم التصديق برسالته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. والجدير بالذكر أنّ هذه الشخصية الذي أنكر التصديق برسول رب العالمين صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان لم يعرف أوضح المسائل الدينيّة الأوليّة باعترافه نفسه، فقد أخرج الهيثمي بسنده عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطّاب منبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثمّ قال: يا أيّها الناس، ما أكاثركم في صدق النساء وقد كان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأصحابه، وإنّما الصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، فلو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفنّ ما زاد رجل على أربعمائة درهم، قال: ثمّ نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهم على أربعمائة درهم؟ قال: نعم، قال: أما سمعت ما أنزل الله عزّ وجلّ في القرآن؟ فقال: فأنّى ذلك؟ قالت: أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول ﴿**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾، فقال عمر: كلّ الناس أفقه من عمر، قال: ثمّ رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس إنّي كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهنّ على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحبّ، قال أبو يعلى: قال: وأظنّه قال: فمن طابت نفسه فليفعل (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٤: ص٢٨٣). وقال ابن أبي الحديد في شرح

🡐

وثالثها: ما زعمه من أنّ المسلمين اختاروه لعلمهم بأنّه خيرهم فبايعوه[(١)]،

→

نهج البلاغة: مرّ عمر بشاب من الأنصار وهو ظمآن فاستسقاه فخاض له عسلاً فردّه ولم يشرب، وقال: إنّي سمعت الله سبحانه يقول ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا**﴾، فقال الفتى: إنّها والله ليست لك، فاقرأ يا ما قبلها: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا**﴾، أفنحن منهم فشرب؟ فقال عمر: كلّ الناس أفقه من عمر (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص١٥). وهذا ممّا اتفق عليه من رجوعه إلى غيره واستفتائه الناس من الصغير والكبير، وقوله "كلّ الناس أفقه من عمر"، وفيه كفاية لمن أراد أن يعرف شخصيّة الرجل. وعليه فإنّ الخاتمة السيّئة التي لحقت حياته إنّما كان سببها مخالفته لله ورسولهﷺ. وعليه من كان حاله هذا، أي لم يبالي بمخالفة الله ورسولهﷺ فإنّ القول بعدم رضاه بالتقدّم على أبي بكر من مضحكات الدهر، إذ التفاضل إنّما يكون في فرض وجود الفضل فيه، وأمّا العكس فالترجيح بالقدح. فما ذكره ابن تيميّة لا بدّ أن يفسر الفضل في كلامه بالقدح فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه لا بدّ أن يعرف أوّلاً: ما هو معنى الخير، وثانياً: لا بدّ أن يعرف هل أنّ أبا بكر كان فيه خير أم لا؟ وثالثاً لا بدّ أن يعرف هل أنّ الناس اختاروا أبا بكر أم كانت حادثة السقيفة مؤامرة؟

أمّا بالنسبة إلى معنى الخير فإنّ لفظ الخير جاء في القرآن بمعنى ما كان فيه الصلاح في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ (سورة آل عمران:١٠٤)، أي أنّ صلاح الأمة في إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ**

←

➔
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة:١٨٤)، أي: أنّ الصيام أفضل من الفطر إذا كان السفر غير ضرورة، لأنّ الصيام يكون فيه الصلاح للمؤمن في الدنيا والآخرة. وكما ورد عن مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «فتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى» (نهج البلاغة: الخطبة رقم٩٨). فمعنى الجامع للخير في القرآن والروايات هو ما يكون فيه الصلاح في الدنيا والآخرة. ولذلك قال العلاّمة المجلسي رحمه الله في كتابه مرآة العقول: والخير والشرّ يطلقان على الطاعة والمعصية وعلى أسبابهما ودواعيهما، وعلى المخلوقات النافعة كالحبوب والثمار والحيوانات المأكولة، والضارّة كالسموم والحيّات والعقارب، وعلى النعم والبلايا (مرآة العقول ج٢: ص١٧١). وتوضيح المقام أنّ الشيعة الإماميّة تعتقد بأنّ الأحكام الشرعيّة مبنيّة على المصالح والمفاسد الواقعيّة. فمعنى قوله: الخير هو الطاعة، معناه: أي مافيه المصلحة. وعليه فإنّ معرفة الخير والشرّ من الأمور الفطريّة، حيث أنّ فطرة كلّ انسان – مهما كان انتماؤه العقيدي وإطاره الفكري والمذهبي – تستطيع تحديد حسن الخير وجماله كما أنّ فطرة كلّ انسان يستحسن جمال الوردة ورائحتها الطيّبة، كذلك يستحسن كلّما كان في جهة مصلحته في الدنيا والآخرة. وكذلك بالنسبة إلى قبح الشرّ وسوئه فإنّه كذلك يكون فطرياً.

وبتعبير آخر: يمكن القول بأنّ معرفة الخير والشرّ ممارسة ممزوجة بذات الإنسان وبحقيقته وبتكوينه الفطري، فالناس خلق يميل ذاتاً وفطرةً نحو الخير، وينفرون من الشرّ طبعاً وجبلّةً ؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير الآية الشريفة: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (سورة البلد : ١٠) قوله صلى الله عليه وآله: «يا أيّها الناس إنّهما نجدان: نجد خير ونجد شرّ، فما بال نجد الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير» (الاختصاص للشيخ المفيد رحمه الله: ص٣٤٣). فإنّ الناس يعرفون الخير والشرّ بفطرتهم، وإذا كان الأمر
🡐

←

كذلك فما بال الناس نجد الشرّ أحبّ إليهم من نجد الخير. ولذلك قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من لم يعرف الخير من الشرّ فهو بمنزلة البهيمة» (مستدرك نهج البلاغة ج١: ص٦٠). فالدعوة إلى مطلق الخير دعوة إلى المعروف، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة آل عمران:١٠٤). فالدعوة إلى المعروف فطرةً تكون الخير، ولذلك أنّ القرآن الكريم بنى أساس الأمر بالمعروف على الخير ودعوة الناس إليه، لأنّ الخير المطلق ومن دون أي قيد وشرط يحتوي على جميع معنى المعروف. فأحد مصاديق الخير هو المعروف. ومن هنا يعرف أنّ الخير هو العمل الذي يكون موافقاً للشرع الأقدس والدين الحنيف. وفي مقابله الشرّ هو ما يكون مخالفاً للدين والشريعة المقدّسة. قال الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (سورة النحل:٩٧). فالمعيار في الخير هو الإيمان والعمل الصالح، كما إذا كان عمله مقروناً بالتقوى لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (سورة المائدة:٢٧). ويتلخّص ذلك في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وطاعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والتولّي بولايته، حيث ورد في الحديث عن ابن عبّاس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي» (حلية الأولياء لأبي نعيم ج١: ص٨٦). فالخير كلّه مجتمعة في العمل الصالح ، والعمل الصالح مجتمعة في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وأوليائه المقربون صلوات الله

→

➔

عليهم أجمعين.

وأمّا الأمر الثاني وهو أنّه هل أنّ أبا بكر كان فيه خير أم لا؟ والجواب عن هذا السؤال يتضح بملاحظة قول أبي بكر نفسه ، حيث أنّه قال على رؤوس الأشهاد يوم بويع فيه للخلافة: أيّها الناس، إنّي قد وليتكم، ولست بخيركم فبايعوا خيركم (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص١٨٣). من الواضح لدى الخبير أنّ إقرار العقلاء على أنفسهم نافذ. فظاهر هذا الكلام إمّا يدلّ على الإقرار بعدم وجود مطلق الخير فيه، لأنّه نفي الخير عن نفسه على نحو الإطلاق. وإمّا يدلّ على كونه كاذباً في قوله. والنتيجة عدم وجود الخير فيه على كلا التقديرين، لأنّه إن كان صادقاً في قوله، فهو إقرار على نفسه بعدم وجود الخير فيه على الإطلاق. وإن كان كاذباً فلا يوجد فيه الخير لقول النبيﷺ في الحديث أنّه قال: «ومن أعظم الخطايا اللسان الكذب» (بحار الأنوار ج٢١: ص٢١١). فإنّ معنى قولهﷺ أعظم الخطايا أي عدم وجود الخير فيه على نحو الإطلاق. فعلى كلا التقديرين ليس فيه خير.

وأمّا الأمر الثالث وهو أنّه هل أنّ الناس اختاروا أبا بكر أم كانت حادثة السقيفة مؤامرة ضدّ أهل البيتعليهم السلام؟ لا شكّ ولا شبهة في أنّ القرآن الكريم قد أخبر عن هذه المؤامرة بقوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٤٥). فإنّ فيها الإخبار عمّا ستقع بعد وفاة رسول اللهﷺ، وقد حذرت الآية المسملين عن وقوع الانقلاب والارتداد بعد رسول اللهﷺ، ولكن المسلمين لم يتحذّروا عن المؤامرة الخطيرة التي حدثت بعد وفاة رسول اللهﷺ، كما نبأ بذلك رسول اللهﷺ من خلال الأحاديث الكثيرة. وقد رواها كبار علماء أهل السنّة، منها: قولهﷺ لأصحابه: «ستنقلبون من

➔

➔

بعدي، وستأخذون بسنن اليهود والنصارى» (انظر السنن الكبرى للبيهقي ج٧: ص١٨). وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد أنّ النبيصلى الله عليه وآله قال: «لتتّبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو سلكوا حجر ضبّ لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!» (صحيح البخاري ج٤: ص١٤٤، كتاب بدء الخلق، باب ما ذكر عن بني إسرائيل). وقال المباركفوري في تحفة الأحوذيوفي شرح هذا الحديث: أنّه وفي حديث أبي سعيد عند البخاري: «لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتّى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم» قلنا: يا رسول الله اليهود والنصاري؟ قال: «فمن؟!». ورواه الحاكم عن ابن عبّاس وفي آخره «وحتّى لو أنّ أحدكم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه»، قال المناوي: إسناده صحيح والسنّة لغة الطريقة حسنة كانت أو سيّئة، والمراد هنا طريقة أهل الهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل. وقال النووي: المراد الموافقة في المعاصي والمخالفات... (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج٦: ص٣٤٠). فمن الواضح أنّ الانقلاب والارتداد الذي حصل للأمّة بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله كان بخروجهم عن الإسلام، إذ معنى اتّباع سنن اليهود والنصارى هو تحريف عن الإسلام بإحداث البدع التي سنّها أتباع اليهود والنصارى في الإسلام. وهذا ما أكّد عليه علماء أهل السنّة. ومن هنا يعرف أنّ أساس هذا الانحراف من خلفاء الجور كما ورد في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أنّه قال: «وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به، فأمات سنّة مأخوذة، وأحيى بدعة متروكة، وإنّي سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنّم فيدور

➔

فإنّه من البهتان البيّن لما تقدّم نقله من السنن وغيرها التي دلّت على عدم وجود خير فيه[1]

➔

فيها كما تدور الرحى ثمّ يرتبط في قعرها» (نهج البلاغة: الخطبة رقم١٦٣). فتبيّن من خلال هذه المباحث كذب ابن تيمية في المقام حيث أنّ غصب الخلافة من خلفاء الجور كان سبباً لضلالة الأمّة وانحرافها فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ الروايات الدالّة على عدم وجود الخير في أبي بكر كثيرة، وهي تنقسم إلى قسمين: قسم منها مشتمل على اعتراف أبي بكر بعدم وجود الخير فيه. وقسم آخر مشتمل على مطاعنه الدالّة على عدم وجود الخير فيه. أمّا اعترافه بعدم الخير فيه، فمنها: ما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بسنده عن الحسن البصري أنّه قال: إنّ أبا بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: "... ألا وإنّي قد ولّيت عليكم ولست بأخيركم..." (انظر السنن الكبرى للبيهقي ج٦: ص٣٥٣). ومنها: ما أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في كتابه المصنف بسنده عن معمّر قال: وحدّثني بعض أهل المدينة، قال: خطبنا أبو بكر قال: يا أيّها الناس، إنّي قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني... وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني (المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج١١: ص٣٣٦). ومنها: ما أخرجه المحبّ الطبري في الرياض النضرة بسنده عن أنس بن مالك قال: لمّا بويع أبو بكر في السقيفة وكان من الغد جلس أبو بكر على المنبر... ثمّ قال: أمّا بعد، أيّها الناس فإنّي ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني (الرياض النضرة ج١: ص٢٤٠)، ومثله ما رواه الطبري في تاريخه ج٢: ص٤٥٠، وما رواه ابن كثير في البداية والنهاية ج٥: ص٢٦٩، وما رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٧٧، وغيرهم. وقال اليعقوبي في تاريخه: وصعد أبو

➔

←

بكر المنبر عند ولايته الأمر، فجلس دون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله بمرقاة، ثمّ حمد الله وأثنى عليه وقال: إنّي ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن استقمت فاتّبعوني، وإن زغت فقوموني! لا أقول إنّي أفضلكم فضلاً (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). إلى غير ذلك من الروايات الدالّة على اعتراف أبي بكر بعدم وجود الخير فيه.

وأمّا الروايات الواردة في مطاعنه المشتملة على عدم وجود الخير فيه، فمنها: فرار أبي بكر عن ساحة القتال وهربه عن الزحف يوم خيبر فقد الحاكم النيسابوي في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي ليلى عن علي عليه السلام أنّه قال: «يا أبا ليلى، أما كنت معنا بخيبر؟» قال: بلى، والله كنت معكم، قال: «فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالناس وانهزم حتّى رجع» (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٢٧). وأخرج ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان علي عليه السلام يخرج في الشتاء في إزار ورداء ثوبين خفيفين، وفي الصيف في القباء المحشو والثوب الثقيل، فقال الناس لعبد الرحمن: لو قلت لأبيك فإنّه يسهر معه، فسألت أبي فقلت: إنّ الناس قد رأوا من أمير المؤمنين شيئاً استنكروه، قال: وما ذاك؟ قال: يخرج في الحرّ الشديد في القباء، المحشو والثوب الثقيل ولا يبالي ذلك، ويخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين والملاءتين لا يبالي ذلك ولا يتّقي برداً، فهل سمعت في ذلك شيئاً؟ فقد أمروني أن أسألك أن تسأله إذا سمرت عنده، فسمر عنده فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ الناس قد تفقدوا منك شيئاً، قال: «وما هو؟» قال: تخرج في الحرّ الشديد في القباء المحشو والثوب الثقيل، وتخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وفي الملاءتين لا تبالي ذلك ولا تتّقي برداً، قال: «وما كنت معنا يا أبا ليلى بخيبر؟» قال: قلت: بلى، والله قد كنت معكم، قال: «فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر فسار بالناس فانهزم حتّى رجع إليه،

←

وهم عالمون بحاله زمن الرسولﷺ من حيث نزول رتبته حتّى عن ابن العاص[1]، وعرفوه حقّ المعرفة بإشارته على الرسولﷺ بردّ غلمان قريش

➔

وبعث عمر فانهزم بالناس حتّى انتهى إليه، فقال رسول اللهﷺ: لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله له، ليس بفرّار، فأرسل إليّ فدعاني، فأتيته وأنا أرمد لا أبصر شيئاً، فتفل في عيني وقال: اللّهم اكفه الحرّ والبرد»، قال: «فما آذاني بعد حرّ ولا برد» (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٤٩٧).

وإلى غير ذلك من الروايات، ولا شكّ في حرمة الفرار من الزحف قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ* وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة الأنفال: ١٥-١٦). فإنّ الآية الآيتين صريحتين في النهي عن الفرار من الحرب والانسحاب عن القتال أمام الكفّار، ويعدّ ذلك من كبائر الذنوب وموجب لغضب ربّ العالمين. ومن الواضح أنّ من غضب الله عليه ليس فيه إلاّ الشرّ، ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن تولّي من غضب الله عليه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (سورة المجادلة:١٣)، وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة المجادلة:١٤). وهناك مطاعن كثيرة في أبي بكر أخرجها كبار علماء أهل السنّة في كتبهم المعتبرة، وهي ممّا تدلّ على عدم وجود الخير في أبي بكر وأنّه لا يليق بمقام الخلافة والإمامة وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) هذه العبارة إشارة إلى النصوص الصحيحة عند أهل السنّة الدالّة على تقدّم عمرو

➔

➔

ابن العاص على أبي بكر، فقد أخرج المسعودي في كتابه تنبيه الأشراف قضية سريّة عمرو بن العاص التي كانت تسمّى بغزوة ذات السلاسل، وقد بعثه النبيﷺ في جماعة من الصحابة إلى بلاد بلي وعذرة وبني القين الذين كانوا من أرحام عمرو بن العاص، وكانت منطقة هؤلاء وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أيّام، فلقيه جموع الروم ومنتصرة العرب، فاستمدّ النبيﷺ فأمدّه بسريّة فيها أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الجرّاح، وكان لعمرو في هذه السريّة أفعال أنكرت عليه الصحابة، منها صلاته بالناس جنباً ومنعه إيقاد النار مع حاجتهم إليها لشدّة الغزو وكثرة الجراح وغير ذلك (تنبيه الأشراف: ص٢٣١). وأخرج ابن الجوزي في المنتظم هذا الخبر وفيه: إنّ رسول اللهﷺ دعا عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً، فسار الليل وكمن النهار، فلمّا قرب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كبيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول اللهﷺ يستمدّه، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجرّاح في مائتين وعقد له لواء، وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر، فأراد أبو عبيدة أن يؤمّ الناس فقال عمرو: إنّما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، فأطاعه أبو بكر وعمر وأبوعبيدة وغيرهم من الصحابة... (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٣: ص٢٢١). فأبو بكر وعمر كانا تحت أمر عمرو ابن العاص كما أنّ أبي عبيدة الجرّاح كان تحت أمره وهم قد صلّوا خلف عمرو ابن العاص. وكان عمرو بن العاص قد صلّى بهم جماعة وهو في حالة الجنابة (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١١٣ كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل). فهذه النصوص الواردة في كتب أهل السنّة، وهي تدلّ على تقدّم ابن العاص على أبي بكر، فكيف يقول ابن تيميّة بأنّ عمر بن الخطّاب لم يتقدّم على أبي بكر لكونه خيراً منه؟!! فإنّ

🡐

وعبيدهم المنهزمين منهم، فغضبﷺ من قوله الباطل حسبما مضى نقل ذلك[(١)]. وبعصيانه للرسولﷺ في عدم قتله للرجل الذي عجب من حسن صلاته[(٢)]،

➔

النصوص المعتبرة عند أهل السنّة تدلّ على أنّ عمرو بن العاص الذي هو أقل شأناً من من عمر عند أهل السنة فهو مقدّم على أبي بكر واقتدى به أبو بكر وهو في حال الجنابة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده يونس ابن ميسرة بن حلبس عن عبد الله بن بسر: أنّ رسول اللهﷺ استأذن أبا بكر وعمر في أمر، فقال: أشيرا علي، فقالا: الله ورسوله أعلم، فقال: ادعوا معاوية، فقال أبو بكر وعمر: أما كان في رسول اللهﷺ ورجلين من رجال قريش ما يتقنون أمرهم حتّى يبعث رسول اللهﷺ إلى غلام من غلمان قريش؟ فقال: ادعوا لي معاوية، فلمّا وقف بين يديه، قال رسول اللهﷺ: أحضروه أمركم وأشهدوه أمركم فإنّه قويّ أمين (تاريخ مدينة دمشق ج٥٩: ص٨٦)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص٣٥٦ وغيره. وهل بعد هذا الحديث يمكن لأحد أن يدّعي الخير في أبي بكر وعمر بعد اعتراضهما على النبيﷺ بحيث غضب رسول اللهﷺ...

ومن الواضح أنّ من أغضب رسول اللهﷺ مأواه جهنم، فقد قال الله تعالى: ﴿**فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمَصيرُ**﴾ (سورة الأنفال:١٦). وهل أنّ الذي غضب الله عليه يكون فيه الخير؟!!

(٢) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري أنّ أبا بكر جاء إلى رسول اللهﷺ فقال: يا رسول الله إنّي مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشّع حسن الهيئة يصلّي، فقال له النبيﷺ: «اذهب إليه

➔

➔

فاقتله»، قال: فذهب إليه أبو بكر، فلمّا رآه على تلك الحال كره أن يقتله، فرجع إلى رسول اللهﷺ، قال: فقال النبيﷺ لعمر: «اذهب فاقتله»، فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر، قال: فكره أن يقتله، فرجع فقال: يا رسول الله، إنّي رايته يصلّي متخشّعاً فكرهت أن أقتله، قالﷺ: «يا علي، اذهب فاقتله»، قال: فذهب علي فلم يره، فرجع علي فقال: «يا رسول الله، إنّه لم يره»، قال: فقال النبيﷺ: «إنّ هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثمّ لا يعودون فيه حتّى يعود السهم في فوقه، فاقتلوهم هم شرّ البرية (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٥). وصاحب القصّة هو ذو الثدية رأس الفتنة يوم النهروان قتله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبؑ قال الثعالبي في ثمار القلوب: ذو الثدية شيخ الخوارج وكبيرهم الذي علمهم الضلال، وكان النبيﷺ أمر بقتله وهو في الصلاة فكع عنه أبو بكر وعمر، فلمّا قصده عليؑ لم يره، فقال له النبيﷺ: «أما إنّك لو قتلته لكان أوّل فتنة وآخرها»، ولمّا كان يوم النهروان وجد بين القتلى، فقال عليؑ: «ائتوني بيده المخدجة»، فأتي بها فأمر بنصبها (ثمار القلوب: ص٢٣٣). فبأي وجه شرعي جاز لأبي بكر وعمر مخالفة أمر رسول اللهﷺ؟ أليست الشريعة هي الشريعة المحمديّة وصاحبها هو الذي أمر بقتل الرجل؟ وهو بواسع علمه كان يعلم ما يفعله المنافق من الرياء، فكان النبيﷺ يعرفه حقّ المعرفة من أنّه من المنافقين. فكان النبيﷺ يعلم أنّه سيدخل في فتنة الخوارج. فأراد النبيﷺ قمع ذلك الجرثومة الخبيثة بقتله. كما أرادﷺ أن يبيّن حقيقة النفاق في أصحابه. ليعرفوا من هو الخير بين أصحابه ومن هو أفضلهم. فهذا الحديث صريح في عدم وجود الخير في أبي بكر وعمر، فكيف يقول ابن تيميّة بأنّ عمر لم يتقدم على أبي بكر لخيريّة لأبي بكر؟!!

روى ذلك أحمد في مسنده[١]. وبهربه عن الزحف يوم خيبر[٢].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٥

(٢) لقد ذكر المؤرّخون وأرباب السير والمجاميع الروائيّة من أهل السنّة قصة هزيمة أبي بكر وعمر عن ساحة الحرب في غزوة خيبر، وقد أخرج ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي عليه السلام قال: «... فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر فسار بالناس فانهزم حتّى رجع إليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتّى انتهى إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله له، ليس بفرّار، فأرسل إليّ فدعاني"، فأتيته وأنا أرمد لا أبصر شيئاً، فتفل في عيني، وقال: "اللّهم اكفه الحرّ والبرد"»، قال: «فما آذاني بعد حرّ ولا برد» (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٤٩٧). وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن ابن عبّاس عن علي عليه السلام قال: «... فإنّ النبي صلى الله عليه وآله دعا أبا بكر فعقد له لواءً، ثمّ بعثه فسار بالناس فانهزم حتّى إذا بلغ ورجع، فدعا عمر فعقد له لواءً فسار ثمّ رجع منهزماً بالناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله له ليس بفرّار"، فأرسل فأتيته وأنا لا أبصر شيئاً، فتفل في عيني، فقال: "اللّهم اكفه ألم الحرّ والبرد، فما آذاني حرّ ولا برد بعد"» (مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٤). وإلى غير ذلك من الروايات، فإنّ هزيمة أبي بكر وعمر في يومين متتالين دليل على عدم وجود الخير فيهما، لأنّ الفرار من المعركة في الإسلام، من أكبر الكبائر قال الله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ * وَمَن يُوَلِّهِم يَومَئِذ دُبُرَهُ إلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَال أَو مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَة فَقَد بَاءَ بِغَضَب مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئسَ ٱلمَصيرُ**﴾ (سورة الأنفال: ١٥-١٦). فتشير الآية إلى أنّ عدد المسلمين مهما كان في القلّة. وبالرغم من أن العدو يكون قوّياً وعددهم أكثر. فلا ينبغي للمسلمين الفرار ←

وبتخلّفه عن جيش أسامة[1]،

➔

من ساحة الحرب. لأنّ الفرار عن ساحة الحرب يعدّ في الإسلام من كبائر الذنوب، وبعد هذه النصوص صريحة من القرآن والروايات كيف يمكن أن يدّعي أحد بوجود الخير في أبي بكر وعمر مع علمهم بفرارهم يوم خيبر؟!! فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ من الأحداث التي حدثت قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله تجهيز الجيش لغزو الروم، وقد أمّر رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم أسامة بن زيد بن حارثة، وعمره ثمانية عشر عاماً، وقد عبأ صلى الله عليه وآله في هذه السرية وجوه المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وغيرهم من كبار الصحابة المشهورين، فطعن قوم في تأمير أسامة، وقالوا: كيف يؤمّر علينا شاباً لا نبات بعارضيه، وقد طعنوا من قبل في تأمير أبيه، وقد قالوا في ذلك وأكثروا النقد، حتّى غضب صلى الله عليه وآله غضباً شديداً ممّا سمع من طعنهم وانتقادهم، فخرج معصّب الرأس محموماً، يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطّان في الأرض من شدّة ما به من لغوب، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أيّها الناس، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إنّه كان خليقاً بالإمارة، وإنّ ابنه من بعده لخليق بها» (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص٢٤٩). ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلّف عنه» (انظر سيرة ابن هشام ج٤: ص١٠٦٤). وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمارته فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة...» (صحيح البخاري ج٥: ص١٤٥ كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وآله)، ورواه مسلم في صحيحه ج٧: ص١٣١ كتاب الفضائل، باب فضائل

🡐

إلى غير ذلك[١].

➔

زيد، والترمذي في سننه ج٥: ص٣٤١ وغيرهم. وقد صرّح علماء أهل السنّة والجماعة بأنّ الطعن في تأمير النبيﷺ إيذاء له وأنّه مشمول لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧). قال القرطبي: قال علمائنا: والطعن في تأمير أسامة بن زيد أذيّة لهﷺ روى الصحيح عن ابن عمر أنّه قال: بعث رسول اللهﷺ بعثاً أمّر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمارته... (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٤: ص٢٣٨). وقال ابن حيّان القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...**﴾ المقصود من الآية الطعن في تأمير أسامة بن زيد: إنّ إيذائهﷺ وإيذاء الله والرسول فعل ما نهى الله ورسوله عنه من الكفر والمعاصي، وإنكار النبوّة ومخالفة الشرع، وما يصيبون به الرسولﷺ من أنواع الأذى... (تفسير البحر المحيط ج٧: ص ٢٣٩). ومقتضى هذا الاستدلال أنّ أبا بكر وعمر قد تمرّدا عن أمر رسول اللهﷺ بتخلّفهما عن جيش أسامة الذي كان أميراً عليهما بأمر الرسولﷺ، فتخلّفا عن جيشه صار سبباً لإيذاء الرسولﷺ، وقد شملهما اللعن من رسول اللهﷺ ومن شمله لعن الرسولﷺ فهو مشمول لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧). ومقتضى هذه الآية الكريمة أنّ من شمله اللعن من الله فهو مشمول لقوله تعالى ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا**﴾ (سورة النساء:٥٢)، وإذا كان الأمر كذلك فهل من شمله هذه الآية يكون فيه الخير؟!!

(١) فإنّ الروايات الكثيرة تدلّ على عدم وجود الخير في أبي بكر ، وهي تنقسم إلى

➔

➔

قسمين: قسم منها مشتمل على اعتراف أبي بكر بعدم وجود الخير فيه، وقسم آخر مشتمل على مطاعنه الدالّة على سلب الخيرمنه. أمّا اعترافه بعدم الخير فيه، فمنها: ما تمنّاها أبو بكر قبل وفاته، وهو اعتراف بعدم وجود الخير فيه، فقد أخرج الطبراني بسنده عن عبد الرحمن بن عوف، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفّي فيه، فسلّمت عليه وسألته: كيف أصبحت؟ فاستوى جالساً فقلت: أصبحت بحمد الله بارئاً، فقال: أمّا إنّي على ما ترى وجع، وجعلتم لي شغلاً مع وجعي جعلت لكم عهداً من بعدي... ثمّ قال: أمّا إنّي لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ وددت أنّي فعلتهنّ، وثلاث وددت أنّي سألت رسول الله ﷺ عنهنّ، فأمّا الثلاث اللاتي وددت أنّي لم أفعلهنّ فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أغلق علي الحرب، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر فكان أمير وكنت وزيراً، ووددت أنّي حيث كنت وجّهت خالد بن الوليد إلى أهل الردّة أقمت بذي القصّة، فإن ظفر المسلمون ظفروا وإلاّ كنت ردءاً أو مدداً، وأمّا اللاتي وددت أنّي فعلتها فوددت أنّي يوم أتيت بالأشعث أسيراً ضربت عنقه، فإنّه يخيّل إليّ أنّه يكون شرّ إلاّ طار إليه، ووددت أنّي يوم أتيت بالفجأة السلمي لم أكن أحرقه وقتلته سريحاً أو أطلقته نجيحاً، ووددت أنّي حيث وجّهت خالد بن الوليد إلى الشام وجّهت عمر إلى العراق، فأكون قد بسطت يدي يميني وشمالي في سبيل الله عزّ وجلّ، وأمّا الثلاث اللاتي وددت أنّي سألت رسول الله ﷺ عنهنّ فوددت أنّي كنت سألته فيمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أهله، ووددت أنّي كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر سبب؟ ووددت أنّي سألته عن العمّة وبنت الأخ، فإنّ في نفسي منهما حاجة (المعجم الكبير للطبراني ج١: ص٦٢). فهذه الرواية واضحة

➔

➔

الدالّة أنّ ما تمنّاها أبوبكر قبل وفاته دليل على عدم وجود الخير فيه، إذ لو كان فيه الخير لما تمنّى هذه الأمور. وهناك روايات أخرى تدلّ على اعترافه بعدم وجود الخير فيه، وسنذكرها ان شاء الله تعالى في محلّه.

وأمّا الروايات الواردة في مطاعنه ممّا تدلّ على عدم وجود الخير ففي أبي بكر فهي أيضاً كثيرة، منها: قتله المسلمين الأبرياء صبراً وسبي النساء المسلمات واستباحة الفروج والأموال، وتعطيل الحدود الإلهيّة، فقد أطبق المؤرّخون على أنّ مالك ابن نويرة قدم على النبيﷺ فيمن قدم من العرب، وأسلم وأسلم بنو يربوع بإسلامه، وولاّه رسول اللهﷺ على صدقات قومه ثقة به (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥: ص٦٦، والاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١٣٦٢، والإصابة لابن حجر ج٢: ص٣٥٧). وكان رجلاً سريّاً نبيلاً يردف الملوك، وكان فارساً، شاعراً، مطاعاً في قومه، وكان فيه خيلاء وتقدّم، وكان ذا لمّة كبيرة (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥: ص٦٦، والإصابة لابن حجر ج٢: ص٣٥٧). وأمّا ملخّص قصّته، أنّه قال ابن الأثير في أسد الغابة: مالك بن نويرة بن حمزة بن شدّاد بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع التميمي اليربوعي أخو متمّم بن نويرة قدم على النبيﷺ وأسلم واستعمله رسول اللهﷺ على بعض صدقات بني تميم، فلمّا توفّي النبيﷺ وارتدّت العرب وظهرت سجاح وادّعت النبوّة صالحها إلاّ أنّه لم تظهر عنه ردّة، وأقام بالبطاح، فلمّا فرغ خالد من بني أسد وغطفان سار إلى مالك وقدم البطاح فلم يجد به أحد، كان مالك قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع، فلمّا قدم خالد البطاح بثّ سراياه فأتى بمالك بن نويرة ونفر من قومه، فاختلفت السريّة فيهم وكان فيهم أبو قتادة وكان فيمن شهد أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم في ليلة باردة وأمر خالد فنادى: أدفئوا أسراكم، وهي في لغة كنانة القتل، فقتلوهم، فسمع خالد الواعية،

🡠

➔

فخرج وقد قتلوا، فتزوّج خالد امرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأوّل فأخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكاً وقدم خالد على أبي بكر، فقال له عمر: يا عدوّ الله، قتلت امرءً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته؟ لأرجمنّك، وقيل: إنّ المسلمين لمّا غشوا مالكاً وأصحابه ليلاً أخذوا السلاح، فقالوا: نحن المسلمون، فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون، فقالوا لهم: ضعوا السلاح وصلّوا، وكان خالد يعتذر في قتله أنّ مالكاً قال ما أخال صاحبكم إلاّ قال كذا، فقال: أوما تعده لك صاحباً فقتله؟ فقدم متمّم على أبي بكر يطلب بدم أخيه وأن يرد عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر بردّ السبي، وودى مالكاً من بيت المال، فهذا جميعه ذكره الطبري وغيره من الأئمّة ويدلّ على أنّه لم يرتدّ، وقد ذكروا في الصحابة أبعد من هذا، فتركهم هذا عجب، وقد اختلف في ردّته، وعمر يقول لخالد: قتلت امرءً مسلماً، وأبو قتادة يشهد أنّهم أذّنوا وصلّوا، وأبو بكر يرد السبي ويعطي دية مالك من بيت المال، فهذا جميعه يدلّ على أنّه مسلم (أسد الغابة ج٤: ص٢٩٥). إذن ليس بغريب على أبي بكر وحكومته أن يقتل المسلمين الأبرياء ويهتك حرمتهم ويسبي نسائهم وذرّيّتهم. فإنّ المؤرّخون ذكروا بأنّ أبا بكر بعث بخالد بن الوليد فأحرق قبيلة بني سليم (انظر الرياض النضرة ج١: ص١٢٩). وبعثه إلى اليمامة وبني تميم وقتلهم غدراً بعد ما كتفهم وضرب أعناقهم صبراً، وقتل مالك بن نويرة الصحابي الجليل الذي ولاّه رسول الله صلى الله عليه وآله على صدقات قومه ثقة به، ودخل بزوجته في ليلة قتل زوجها، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

وما ذنب مالك وقومه إلاّ أنّهم لمّا سمعوا بما حدث من أحداث السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وما وقع من إبعاد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وظلم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام حتّى ماتت غاضبة على أبي بكر وعمر ومن

🡐

←

ظلمها من الصحابة. لكلّ ذلك امتنع مالك وقومه من إعطاء الزكاة للسلطة الجائرة، فكان الحكم الصادر من الخليفة وأنصاره القتل وسبي نسائهم وذرّيّتهم وانتهاك حرماتهم وإخماد أنفاسهم حتّى لا يتفشّى في العرب رأي للمعارضة أو المناقشة في أمر الخلافة. وهل لنا أن نسأل أهل السنّة أليس أنّ رسول اللهﷺ حرّم قتال المسلمين بمجرّد قولهم لا إله إلا الله؟!! (انظر صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة) وهل أنّ في الإسلام الحكم بارتداد مانعي الزكاة؟!! وهل أنّ مانعي الزكاة يحكم بقتله وسبي نسائه وذراريه؟!! فكيف أمر أبو بكر خالد بن الوليد بذلك؟!! ولمّا وصل خالد وجماعته بفنائهم، وما فعل من الإجرام بأمر أبي بكر حتّى وصل الأمر إلى أنّ أبا بكر نفسه أبطل دعواه الكاذبة ضدّ هؤلاء المظلومين، فدفع ديتهم من بيت مال المسلمين، واعتذر عن قتلهم كما في تاريخ ابن الأثير (انظر الكامل في التاريخ ج٢: ص٣٥٩). فأهل السنّة كيف يبرّرون أفعال أبي بكر مع أنّهم لم يجدوا أي مبرّر لشناعة ما ارتكبه.

وثانياً: لو كانت الزكاة حقّ المال فغاية ما في الباب أنّ الحاكم في هذه الحالة يبيح ماله، بأن يأخذ الزكاة منه بالقوّة من دون أن يقتله ويسفك دمه. والسنّة النبويّة كانت واضحة في هذه الجهة، لأنّ ثعلبة الأنصاري امتنع عن إعطاء الزكاة، وقصّته كانت معروفة، فقد أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنّه قال لرسول اللهﷺ: ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول اللهﷺ: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدّي شكره، خير من كثير لا تطيقه»، قال: ثمّ قال مرّة أخرى، فقال: «أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت»، قال: والذي بعثك بالحقّ، لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطينّ كلّ ذي حقّ حقّه، فقال رسول اللهﷺ: «اللّهم ارزق ثعلبة مالاً»، قال: فاتّخذ غنماً،

←

➔

فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل واديا من أدويتها، حتّى جعل يصلّي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثمّ نمت وكثرت، فتنحى حتّى ترك الصلوات إلاّ الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود حتّى ترك الجمعة. فطفق يتلقّى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار، فقال رسول اللهﷺ: «ما فعل ثعلبة؟» فقالوا: يا رسول الله، اتّخذ غنماً فضاقت عليه المدينة، فأخبروه بأمره، فقال: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»، قال: وأنزل الله: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا...**﴾ الآية. ونزلت عليه فرائض الصدقة، فبعث رسول اللهﷺ رجلين على الصدقة، رجلاً من جهينة ورجلاً من سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما: «مرّا بثعلبة، وبفلان رجل من بني سليم، فخذا صدقاتهما»، فخرجا حتّى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرءاه كتاب رسول اللهﷺ، فقال: ما هذه إلاّ جزية، ما هذه إلاّ أخت الجزية، ما أدري ما هذا؟ انطلقا حتّى تفرّغا ثمّ عودوا إليّ، فانطلقا، وسمع بهما السلمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله، فعزلها للصدقة ثمّ استقبلهم بها، فلمّا رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ هذا منك، قال: بلى، فخذوه فإنّ نفسي بذلك طيّبة، وإنّما هي لي فأخذوها منه، فلمّا فرغا من صدقاتهما رجعا حتّى مرّا بثعلبة فقال: أروني كتابكما! فنظر فيه فقال: ما هذه إلاّ أخت الجزية، انطلقا حتّى أرى رأيي، فانطلقا حتّى أتيا النبيﷺ، فلمّا رآهما قال: «يا ويح ثعلبة!» قبل أن يكلّمهما، ودعا للسلمي بالبركة، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِه لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ...**﴾ إلى قوله: ﴿**...وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ وعند رسول اللهﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج حتّى أتاه، فقال: ويحك يا

←

وأمّا حال سيرته بعد إمارته فقد تقدّم بيان غالب مشاقاته لله ورسولهﷺ فيها[1]،

➔

ثعلبة، قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتّى أتى النبيﷺ، فسأله أن يقبل منه التراب، فقال له رسول اللهﷺ: «هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني»، فلمّا أبى أن يقبض رسول اللهﷺ، رجع إلى منزله، وقبض رسول اللهﷺ ولم يقبل منه شيئاً، ثمّ أتى أبا بكر حين استخلف، فقال: قد علمت منزلتي من رسول اللهﷺ وموضعي من الأنصار، فاقبل صدقتي، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول اللهﷺ وأنا أقبلها؟ فقبض أبو بكر ولم يقبضها، فلمّا ولي عمر أتاه فقال: اقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها رسول اللهﷺ ولا أبو بكر، وأنا لا أقبلها منك، فقبض ولم يقبلها، ثم ولي عثمان، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبلها رسول اللهﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر وأنا لا أقبلها منك، فلم يقبلها منه، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان (تفسير الطبري ج١٠: ص٢٤١). فإذا كانت قضية منع الإعطاء الزكاة بهذا الوضوح فلماذا أمر أبو بكر خالد بن الوليد وجلاوزته وأن يستحلّ دماء المسلمي كمالك بن نويرة وقومه وأموالهم وهتك نساءهم، وقد ارتكبوا أشنع الإجرام. وهل بعد ذلك يمكن لأحد أن يقول كان في أبي بكر خير؟!!

وهناك روايات كثيرة من طرق كبار علماء أهل السنّة في مطاعن أبي بكر وهي تدلّ على عدم وجود الخير فيه، ولو أردنا أن نذكر جميعها لطال بنا المقام.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الأنفال : ١٣)، فإنّ الشقاق بمعنى الإنفصال وهي كناية عن العداء، وحيث أنّ العداء بين الطرفين موجب للانفصال والانشقاق، فأطلق عليه كلمة "شاقّوا" لينطبق المعنى على أعداء الله ورسولهﷺ.

🡐

➔

وأيضاً فيه النقطة للانتباه على أنّ من يحارب الله ورسولهﷺ فهو دائماً في حال الانفصال عن الله ورسولهﷺ. والجدير بالملاحظة أنّ بداية الآية الكريمة طرحت مسألة العداء لله ورسولهﷺ، إلاّ أنّ الحديث في ذيل الآية اقتصر عن العداء لله سبحانه فقطّ، وهو إشارة إلى أنّ العداء لرسول اللهﷺ عداء لله أيضاً. وبعبارة أوضح أنّ حقيقة العداء لله ورسولهﷺ هي مخالفة أوامر الله ورسولهﷺ والتمّرد عن أوامرهما. ولا يخفى على الخبير أنّ ما فعله أبوبكر من غصب الخلافة يعدّ من أعظم المخالفة لله ولرسولهﷺ، لأنّ مرجع فعله هذا إلى الردّ الصريح للنصوص القرآنيّة والسنّة النبويّة الشريفة، فغصب الخلافة جريمة عظمى ليس فوقها جريمة، حيث أنّ نتيجة ما فعله أبو بكر ضلالة الأمّة، فتكون مخالفته لله ورسولهﷺ من أعظم المخالفات والتمرّدات. حيث إنّ أبا بكر منع الأمة عن الحياة الطيبة التي جعلها الله تعالى ورسولهﷺ للأمة الإسلامية التي لو كانت تحت طاعة أئمة أهل بيتعليهم السلام ﴿**لَأَكَلُوا من فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم**﴾ (سورة المائدة:٦٦). وقد ورد في الحديث عن ابن عبّاس، عن رسول اللهﷺ قال: «من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي» (حلية الأولياء لأبي نعيم ج١: ص٨٦). كما يدلّ على المقام حديث الثقلين المتّفق عليه بين جميع المسلمين، وقد رواه كبار علماء الإسلام وصحّحوه في كتبهم ونقلوه في صحاحهم ومسانيدهم، فأخرجه كبار علماء أهل السنّة والجماعة وأرباب الصحاح والمسانيد منهم في كتبهم، فأخرجه مسلم بن الحجّاج في صحيحه ج٧: ص١٢٣ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالبعليه السلام، وأحمد بن حنبل في

🡐

فهل يصير من هذه حاله أفضل وأحسن ممّن يدور الحقّ معه حيث يدور؟!!![1]

➔

مسنده ج٤: ص٣٦٧، والنسائي في سننه ج٢: ص١٤٨، وفي كتابه فضائل الصحابة: ص١٥، والدارمي في سننه ج٢: ص٤٣٢، وأبي داود السجستاني في سننه ج٢: ص٢٢٤، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٩، والبيهقي في سننه الكبرى ج٧: ص٣٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٣، وابن أبي شيبة في المصنف ج٧: ص١٧٦، والطبراني في المعجم الأوسط ج٣: ص٣٧٤، وغيرهم. والحديث فيه دلالة واضحة على وجوب التمسّك بالعترة الطاهرة عليهم السلام كما فيه الدلالة على وجوب التمسّك بالقرآن الكريم ونهى عن التقدّم عليهم والمخالفة لهم، وأخبر صلى الله عليه وآله بأنّ عترته الطاهرة عدل للقرآن الكريم، وأنّهم أعلم الناس بعده صلى الله عليه وآله، وأكّد على أنّ من تمسّك بهم لن يضلّ أبداً ومن لم يتمسّك بهم فمصيره إلى الضلال. فأبو بكر تمرّد على رسول الله صلى الله عليه وآله بغصب الخلافة وبمخالفته العملية لهذه النصّوص وغيّرها عن المصير الذي رسمه الله للأمّة، وصار سبباً لضلالة الأمّة وخسرانهم. كما أنّه تمرّد عن نصّ الغدير الذي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد هنّأ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بإمرة المسلمين، كما جاء في مصادر أهل السنّة. وقد عقد العلامة الأميني رحمه الله باباً في كتابه الغدير لذكر الروايات التي فيها تهنئة أبي بكر لمولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسمّاه باب تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بإمرة المسلمين (لاحظ كتاب الغدير ج١: ص٢٧٠). وسنذكر الأحاديث في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث المعروف الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة

➔

➔
وأهل السنّة في المجاميع الحديثيّة والتفسيريّة والتاريخيّة المعتبرة عندهم، فرواه الترمذي في سننه بسنده عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله عليّاً، اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» (انظر سنن الترمذي ج٥: ص٢٩٧ ح٣٧٩٨)، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص١٢٤، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص٤١٩ ح٥٥٠، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦: ص٩٥، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج١٠: ص٢٧٠، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨، وغيرهم.

ثمّ ذكر بعض علماء أهل السنّة في شرح الحديث ما يوضح معناه أكثر وضوحاً، وإليك ما جاء في كلماتهم: قال الشوكاني: «رحم الله عليّاً» ابن أبي طالب «اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار» ومن ثمّ كان أقضى الصحابة وأفاد ندب شكر المحسن والاعتراف له في الملأ والمحافل والمجامع وليس ذلك تنقيصاً لقدر الشاكر بل تعظيماً له لظهور اتّصافه بالإنصاف والمكافأة بالجميل (فيض القدير ج٤: ص٢٥). وقال الفخر الرازي الحجّة الخامسة من المباحث في "بسم الله الرحمن الرحيم": روى البيهقي في السنن الكبير عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر في الصلاة بـ"بسم الله الرحمن الرحيم"، ثمّ إنّ الشيخ البيهقي روى الجهر عن عمر بن الخطّاب، وابن عبّاس، وابن عمر، وابن الزبير، وأمّا أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وآله: «اللّهم أدر الحقّ مع علي حيث دار» (تفسيرالفخر الرازي ج١: ص٢٠٥). وإلى غير ذلك من كلماتهم في شرح الحديث. فمعنى الحديث واضح عند أهل السنّة والجماعة، وكان معنى الحديث وجوب الاقتداء بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فكيف يدّعي ابن تيمية الخير في أبي بكر مع أنّ
➔

﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[(١)].

ورابعها: ما زعمه من قول عمر بمحضر الصحابة: أنّ أبا بكر خيرهم وسيّدهم، ولم ينكر عليه رجل منهم، فإنّه من عجيب المفتريات وجلي الناقضات وشنيعها[(٢)]؛

➔

الأدلّة المعتبرة عند جميع أهل السنّة تدلّ على عدم وجود الخير فيه؟!!

(١) سورة يونس:٥٩، فإنّ السؤال في الآية الكريمة متوجه إلى أهل البدعة في الدين فيقول لهم الله تبارك وتعالى إنّ ما فعلتم البدعة في الدين له صورتين لا ثالث لهما: إمّا أن يكون بإذن الله، أو أنّكم تفترون على الله تقولون: بأنّه يكون بإذن الله، ولكن لما كان الاحتمال الأوّل منتفياً، فلم يبق إلاّ الثاني. ولذلك تضيف الآية: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (سورة يونس:٦٠). فالذين يستغلّون الفرص لمحاربة الله ورسوله صلى الله عليه وآله بالافتراء على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله، فهم في أشدّ العذاب، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (سورة الزمر:٣٢). فإنّ العناد والتمرّد على الله وكتمان الحقيقة وتكذيب الرسل نتيجته العذاب الإلهي بما كانوا يفترون ويكذبون على الله ورسوله صلى الله عليه وآله. فبدل أنّ هؤلاء يستغلّوا هذه الفرصة الإلهيّة ويشكروا الله على ما أنعم عليهم من نعمة الإيمان والفوز بالسعادة كانوا يحاربون الله ورسوله صلى الله عليه وآله ويفترون على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فهؤلاء مأواهم جهنّم وبئس المصير.

(٢) وتوضيح المقام أنّه لا بدّ أن يعرف أولاً معنى الخير والشرّ كي يتّضح مقصود ابن تيميّة من الخير في المقام. من أنّ مقصوده من الخير هل يكون حقيقة الخير على ما

➔

➔

جاء في الكتاب والسنّة، أو مقصوده من الخير كلّ ما يرغب إليه الإنسان من المال والمنافع الشخصيّة وغير ذلك؟ فإن كان مقصوده الأوّل فلا بدّ من الرجوع إلى ذلك. وإن كان مقصوده من الخير كلّ ما يرغب إليه الناس ولو كان حقيقته في الشرع الأقدس شرّاً، فإنّه مناقض لما قصده في المقام، حيث أنّ المستفاد من الآيات والروايات أنّ الخير ليس مطلق المرغوب فيه على كلّ حال، بل الخير هو ما فيه الصلاح في الدنيا والآخرة، وقد جاء عنوان الخير في عدّة آيات منها قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة آل عمران:١٠٤)، فإنّ الخير في الآية بمعنى الحقّ، حيث أنّ الآية تدعوا إلى الحقّ ومكافحة الفساد، لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما – في الحقيقة – بمثابة غطاء وقائي اجتماعي لحماية الأمّة وصيانتهم، إذ تقول الآية: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾. وذلك لأنّ فقدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفسح المجال للعوامل المعاديّة للوحدة الاجتماعيّة بأن تنخرها من الداخل، وتأتي على كلّ جذورها لدمار الأمّة. فالآية تتضمّن دستوراً أكيداً للأمّة الإسلاميّة بأن تقوم بهاتين الفريضتين دائماً، وأن تكون أمّة آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر أبداً، لأنّ فلاحها مرهونة بذلك حيث يقول تعالى: ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾. ومنها: قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة البقرة:١٨٤). فإنّ الصوم – وإن كان على الظاهر نوعاً من التضييق والتحديد – ولكن نفعه على الصعيد المادي والمعنوي خير وصلاح للإنسان في الدنيا والآخرة، لأنّ الصوم في الدنيا سبب للصحّة في البدن، ومدرسة للتقوى في العمل، والتقوى سبب لنجاة الإنسان في الدنيا والآخرة. ومنها قوله تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ**

➔

➔

التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة:١٩٧). هذه الآية أمرت بحمل الزاد. وإنّ خيرها التقوى. وقيل: إنّ جماعة من أهل اليمن كانوا يحجّون دون أن يصحبوا معهم زاداً للطريق، قائلين: نحن ضيوف الله وطعامنا عليه. وهذه الفقرة من الآية أمرت بحمل الزاد، لأنّ الله سبحانه هيّأ للجميع طعامهم بالطريق الطبيعيّة، والآية تشير في الوقت نفسه إلى مسألة معنويّة هي زاد التقوى، إذ هناك حاجة إلى زاد من نوع آخر هو التقوى. فالعبارة تنطوي على توعين من الزاد الماديّة والمعنويّة. ولكن خير الزاد بالنسبة إلى الحجّ الزاد المعنوي الذي به تفتّح الأبصار على ما في ساحة الحجّ. مما مرّ في تاريخ الرسل والأنبياء عليهم السلام، وبمشاهد تضحية إبراهيم عليه السلام بطل التوحيد، وبمظاهر عظمة الله سبحانه ممّا لا يوجد في مكان آخر، فلا بدّ للحاجّ أن يستلهم من هذه الساحة زاداً يعينه على مواصلة مسيرته نحو الله فيما بقي من عمره. ولذلك قال تعالى في آخر الآية: **﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾**، فالحديث موجّه إلى أولي الألباب والعقول والتركيز عليهم بانتهاج التقوى، لأنّهم هم القادرون على التزوّد كما ينبغي من العطاء التربوي لمناسك الحجّ، والآخرون لا ينالون منها سوى المظاهر والقشور. فالشاهد أنّ معنى الخير هو صلاح الدنيا والآخرة. وهناك آيات كثيرة جاء فيها عنوان الخير، كما أنّ عنوان الخير في الروايات أيضاً يكون كذلك، منها: ما رواه ابن أبي شيبة في كتابه المصنف بسنده عن سعيد المقبري أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «خير الناس من يرجى خيره ويؤمن شرّه، وشرّ الناس من لا يرجى خيره ولا يؤمن شرّه» (المصنف لابن أبي شيبة ج٨: ص١٤٤)، ورواه ابن عبد البر في الاستذكار ج٨: ص٢٧٧. فإنّ رجاء الخير هو ما كان يفعله في جهة صلاح الدنيا والآخرة. ومنها ما رواه العلاّمة المجلسي قدس سره بسنده عن جعفر ابن محمّد عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن جدّه عليه السلام، عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

➔

➔

طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يا علي، أوصيك بوصية فاحفظها فلا تزال بخير ما حفظت وصيّتي. يا علي من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه أعقبه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً يجدّ طعمه. يا علي من لم يحسن وصيّته عند موته كان نقصاً في مروّته، ولم يملك الشفاعة. يا علي أفضل الجهاد من أصبح لا يهمّ بظلم أحد. يا علي من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار. يا علي شرّ الناس من أكرمه الناس اتّقاء شرّه؛ يا علي شرّ الناس من باع آخرته بدنياه، وشرّ من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره» (بحار الأنوار ج٧٤: ص٤٦). ومنها: ما رواه المتّقي الهندي في كنز العمّال بسنده عن خالد بن الوليد قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: إنّي سائلك عمّا في الدنيا والآخرة، فقال له: سل عمّا بدا لك، قال: يا نبي الله! أحبّ أن أكون أعلم الناس، قال: «اتّق الله تكن أعلم الناس»، فقال: أحبّ أن أكون أغنى الناس، قال صلى الله عليه وآله: «كن قنعاً تكن أغنى الناس»، قال: أحبّ أن أكون خير الناس، فقال: «خير الناس من ينفع الناس، فكن نافعاً لهم»، فقال: أحبّ أن أكون أعدل الناس، قال صلى الله عليه وآله: «أحبّ للناس ما تحبّ لنفسك تكن أعدل الناس»، قال: أحبّ أن أكون أخصّ الناس إلى الله تعالى، قال: «أكثر ذكر الله تكن أخصّ العباد إلى الله تعالى»، قال: أحبّ أن أكون من المحسنين، قال: «اعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يرك»، قال: أحبّ أن يكمل إيماني، قال: «حسّن خلقك يكمل إيمانك»، فقال: أحبّ أن أكون من المطيعين، قال: «أدّ فرائض الله تكن مطيعاً»، فقال: أحبّ أن ألقى الله نقيّاً من الذنوب، قال: «اغتسل من الجنابة متطهّراً تلقى الله يوم القيامة وما عليك ذنب»، قال: أحبّ أن أحشر يوم القيامة في النور، قال: «لا تظلم أحداً تحشر يوم القيامة في النور»، قال: أحبّ أن يرحمني ربّي، قال: «ارحم نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله»، قال: أحبّ أن تقلّ ذنوبي، قال: «استغفر الله تقلّ ذنوبك»، قال:

←

➔

أحبّ أن أكون أكرم الناس، قال: «لا تشكونّ الله إلى الخلق تكن أكرم الناس»، فقال: أحبّ أن يوسّع عليّ في الرزق، قال: «دم على الطهارة يوسّع عليك في الرزق»، قال: أحبّ أن أكون من أحبّاء الله ورسوله، قال: «أحبّ ما أحبّ الله ورسوله وأبغض ما أبغض الله ورسوله»، قال: أحبّ أن أكون آمناً من سخط الله، قال: «لا تغضب على أحد تأمن من غضب الله وسخطه»، قال: أحب أن تستجاب دعوتي، قال: «اجتنب الحرام تستجب دعوتك»، قال: أحبّ لا يفضحني الله على رؤس الأشهاد، قال: «احفظ فرجك كيلا تفتضح على رؤس الأشهاد»، قال: أحبّ أن يستر الله على عيوبي، قال: «استر عيوب إخوانك يستر الله عيوبك»، قال: ما الذي يمحو عني الخطايا؟ قال: «الدموع والخضوع والأمراض»، قال: أيّ حسنة أفضل عند الله؟ قال: «حسن الخلق والتواضع والصبر على البلية والرضا بالقضاء»، قال: أيّ سيئة أعظم عند الله؟ قال: «سوء الخلق والشحّ المطاع»، قال: ما الذي يسكن غضب الرحمن؟ قال: «إخفاء الصدقة وصلة الرحم»، قال: ما الذي يطفئ نار جهنّم؟ قال: «الصوم» (كنز العمّال ج١٦: ص١٢٧). وإلى غير ذلك من الروايات فالخير هو ما يتجمع فيه الصلاح في الدنيا والآخرة. ولذلك قال العلاّمة المجلسيقُدِّسَ سِرُّهُ في معنى الخير: والخير والشرّ يطلقان على الطاعة والمعصية وعلى أسبابهما ودواعيهما، وعلى المخلوقات النافعة كالحبوب والثمار والحيوانات المأكولة والضارّة كالسموم والحيّات والعقارب، وعلى النعم والبلايا (مرآة العقول ج٢: ص١٧١). وذلك لأنّ الأحكام الشرعيّة مبنيّة على المصالح والمفاسد الواقعيّة، فمعنى قوله: الخير هو الطاعة، أي ما فيه المصلحة، لأنّ المعيار في الخير هو الإيمان والعمل الصالح، كما إذا كان عمله مقروناً بالتقوى لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (سورة المائدة:٢٧). ويتلخّص ذلك في طاعة الله ورسولهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وطاعة

➔

➔

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والتولّي بولايته، حيث ورد في الحديث عن ابن عبّاس، عن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدي، فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي» (حلية الأولياء لأبي نعيم ج١: ص٨٦). فعندئذٍ يكون العمل الصالح جامعاً لشرائط الخير.

وبعد وضوح معنى الخير نأتي إلى ما زعمه ابن تيميّة من أنّ عمر قال بمحضر الصحابة: أنّ أبا بكر خيرهم وسيّدهم، ولم ينكر عليه رجل منهم، فكيف يمكن الجمع بين هذا القول وما جاء في الشرع الأقدس من الآيات والروايات التي ورد فيها معنى الخير؟وعلى فرض التسليم كيف يمكنه أن يجمع بين ما جاء في كتبهم من معنى الخير وما اعترف به أبا بكر على نفسه فإنّه قد أخرج كبار علماء أهل السنّة عن أبي بكر في خطبته المعروفة، يوم بويع فيه للخلافة، أنّه قال: أيّها الناس إنّي لست بخيركم فبايعوا خيركم... (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص١٨٣). فظاهر هذا الكلام إمّا يدلّ على الإقرار بعدم وجود مطلق الخير فيه، وإمّا يدلّ على كونه كاذباً في قوله، والنتيجة عدم وجود الخير فيه على كلا الحالتين، لأنّه لو كان صادقاً في قوله فهو اعتراف منه، واعتراف العقلاء على أنفسهم نافذ. وإن كان كاذباً فيسقط عن العدالة ومن شرائط الخلافة العدالة. وأيضاً ما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بسنده عن الحسن البصري أنّه قال: إنّ أبا بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: "... ألا وإنّي قد وليت عليكم ولست بأخيركم..." (انظر السنن الكبرى للبيهقي ج٦: ص٣٥٣). وما أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في كتابه المصنف بسنده عن معمّر قال: وحدّثني بعض أهل المدينة، قال: خطبنا أبو بكر قال: يا أيّها الناس،

➔

إنّه قد ثبت لديهم بالسنن الصحيحة التي تقدّمت تأخّر ابن أبي قحافة عن ابن العاص[1]

➔

إنّي قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني... وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني (المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج١١: ص٣٣٦). وما أخرجه المحبّ الطبري في الرياض النضرة بسنده عن أنس بن مالك قال: لمّا بويع أبو بكر في السقيفة وكان من الغد جلس أبو بكر على المنبر... ثمّ قال: أمّا بعد، أيّها الناس، فإنّي ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني (الرياض النضرة ج١: ص٢٤٠)، ومثله ما رواه الطبري في تاريخه ج٢: ص٤٥٠، وما رواه ابن كثير في البداية والنهاية ج٥: ص٢٦٩، وما رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٧٧، وغيرهم. وقال اليعقوبي في تاريخه: وصعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر، فجلس دون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله بمرقاة، ثمّ حمد الله وأثنى عليه وقال: إنّي وليت عليكم ولست بخيركم، فإن استقمت فاتّبعوني، وإن زغت فقوموني! لا أقول إنّي أفضلكم فضلاً (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧). إلى غير ذلك من الروايات الدالّة على اعتراف أبي بكر بعدم وجود الخير فيه، واعتراف العقلاء على أنفسهم نافذ. فكيف يمكن الجمع بين هذا الاعتراف وما زعم ابن تيميّة من أنّ عمر قال بمحضر الصحابة: أنّ أبا بكر خيرهم وسيّدهم، ولم ينكر عليه رجل منهم؟!!! أليس هذا جمع بين المتناقضين؟!!!

(١) لقد صرّح أرباب التاريخ والسير والحديث من أهل السنّة والجماعة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سريّة إلى بلاد بُلي وعذرة وبني القين وولّى عليهم عمرو بن العاص وذلك من أجل تأليف قلوبهم إلى الإسلام والإيمان، لأنّ قبيلة قضاعة كانت لهم قرابة مع عمرو بن العاص، فولاّه رسول الله صلى الله عليه وآله على الجيش في غزوة ذات

➔

→

السلاسل. وفيهم أبو بكر وعمر وجماعة من الصحابة، قال رافع بن أبي رافع الطائي: قد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً فأمّر عليهم عمرو بن العاص وفيهم أبو بكر وعمر وأمرهم أن يستنفروا من مرّوا به، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر وعمر... (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٥: ص٢٢)، ورواه الجوهري في كتابه السقيفة: ص٦٧. وقال الذهبي: غزوة ذات السلاسل، قيل: إنّه ماء بأرض جذام، وقال ابن لهيعة: حدّثنا أبو الأسود عن عروة، ورواه موسى ابن عقبة، واللفظ له، قالا: غزوة ذات السلاسل من مشارف الشام في بلي وسعد الله ومن يليهم من قضاعة... قال ابن عقبة: فخاف عمرو من جانبه الذي هو به فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يستمدّه، فندب رسول الله صلى الله عليه وآله المهاجرين، فانتدب فيهم أبو بكر وعمر وجماعة، وأمّر عليهم أبا عبيدة فأمدّ بهم عمراً... (تاريخ الإسلام للذهبي ج٢: ص٥١٣). فالأحاديث صريحة في أنّ أبا بكر وعمر كانا من الجنود الذين كانوا تحت إمارة عمرو بن العاص، وأنّهما كانا يصلّيان خلف أمير جيشهم، لاسيّما أنّ النصوص ظاهرة في أنّهما صلّيا خلف عمرو بن العاص وكان جنباً! فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن العاص قال: لمّا بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله عام ذات السلاسل قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت من أن أهلك، ثمّ صلّيت بأصحابي صلاة الصبح، قال: فلمّا قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وآله ذكرت ذلك، فقال: يا عمرو صلّيت بأصحابك وأنت جُنب؟! (انظر مسند أحمد ابن حنبل ج٤: ص٢٠٣). وقد أخرج هذا الحديث كبار علماء أهل السنّة وصار مورداً للبحث والنقاش عند فقهائهم، حيث أنّ الحديث صحيح عندهم ، وقد تحيّر فقهائهم في أنّ ابا بكر وعمر كيف اقتديا بإمام جنب؟! فهل يجوز هذا الأمر مع كونه خلافاً للضرورة الفقهيّة؟!! وإذا كان أمر كذلك لا بدّ أن يذكر في الكتب

←

وغيرهم[(١)]

➔

الفقهية. وإذا يكن جائزاً فيكون أحد المطاعن فيهما، فوقعوا بين المحذورين ولم يصلوا إلى حلّ في هذه المسألة. ولمن أراد التحقيق فليراجع كتبهم في هذا المجال.

وعلى أيّ تقدير فإنّ الحديث صريح في أنّ أبا بكر وعمر كانا تحت إمارة عمرو ابن العاص في هذه الغزوة والرواية صريحة بأنّ عمرو بن العاص قد صلّى بهم جماعةً وهو جُنب. فإذا كان الرجلان قد صلّيا خلف عمرو بن العاص، فمعناه أنّ عمرو ابن العاص كان مقدّماً عليهما، لأنّ أهل السنّة يعتقدون بأنّ أحد جهات التقدّم هو التقدّم في صلاة الجماعة كما يدّعون ذلك في أبي بكر. فكيف زعم ابن تيمية تقدم أبي بكر فيما نسبه إلى عمر مع وجود هذه النصوص الصحيحة عندهم أليس هذا من المفتريات الواضحة؟!!

(١) لقد ذكر مصادر أهل السنّة من التاريخ والحديث جملة من الحوادث التي فيها ما يدلّ على تقدّم عدّة من الصحابة على أبي بكر منها: غزوة ذات السلاسل، التي وقعت في سنة الثامنة من الهجرة، وقد أخرج ذلك البخاري في صحيحه في كتاب المغازي في حديث: ... وكانت الغزوة في منطقة وادي القرى وهي تتضمّن بلاد بلي وعُذرة وبني القين (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١١٣ كتاب المغازي باب غزوة ذات السلاسل). وأخرج الصالحي الشامي أنّ جمعاً من قضاعة وغيرهم تجمّعوا وأرادوا أن يهجموا على المدينة فاجتمعوا أطراف المدينة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص بعد إسلامه بسنة وعقد له لواء وبعثه في سراة المهاجرين والأنصار في ثلاثمائة... (انظر سبيل الهدى والرشاد ج٦: ص١٦٧). وأخرج ابن عساكر أنّ النبي صلى الله عليه وآله بعث عمرو بن العاص في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار

➔

➔

وأمره أن يستعين بمن مرّ به من العرب وإنّ بلاد بلي وعذرة، وبني القين كانوا من أرحام عمرو بن العاص، لأنّ أم العاص بن الوائل بلويّة، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتألّفهم بعمرو... (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٢٢). فسار عمرو بن العاص، لمّا قرب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يستمدّه، فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وآله أبا عبيدة بن الجرّاح في مائتين، وعقد له لواء، وأرسل معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر، وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فلحق بعمرو، فأراد أبو عبيدة أن يؤمّ الناس، فقال عمرو: إنّما قدّمت عليّ مدداً وأنا الأمير، فأطاع أبوعبيدة، وكان عمرو يصلّي بالناس... (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص١٣١). وأضاف ابن الجوزي أنّ عمرو بن العاص أجنب في ليلة وصلّى بأصحابه صلاة الصبح وهو جنب... (انظر المنتظم لابن الجوزي ج٣: ص١٢١). وأيضاً أجمعت المصادر السنيّة على أنّ أبا بكر كان في سريّة أسامة بن زيد عندما أمره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن يجمع الصحابة ويتهيّأ لغزو الروم، فكان أبو بكر من جملة الصحابة الذين عبّأهم رسول الله صلى الله عليه وآله في جيش أسامة وتحت رايته مع أعيان المهاجرين ووجوه الأنصار. قال ابن حجر: كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي صلى الله عليه وآله بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي صلى الله عليه وآله، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامة فقال: «سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش، وأغر صباحاً على أبنى وحرّق عليهم وأسرع المسير تسبق الخبر، فإن ظفّرك الله بهم فأقل اللبث فيهم». فبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه في اليوم الثالث، فعقد لأسامة لواء بيده، فأخذه أسامة ودفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف، وكان مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح وسعد بن أبي وقّاص وسعيد

➔

➔

وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم... (فتح الباري ج٨: ص١١٥). وقال الذهبي: فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلاّ انتدب في تلك الغزوة وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة... فطعن الناس في إمارته، فقال رسول الله ﷺ: «إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان من أحبّ الناس إليّ، وإنّ ابنه هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده» (ثم قال الذهبي): هذا متّفق على صحّته (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج٢: ص٧١٤). وروى ابن سعد بسنده عن نافع عن ابن عمر قال: إنّ النبي ﷺ بعث سريّة فيهم أبوبكر وعمر واستعمل عليهم أسامة بن زيد، فكان الناس طعنوا فيه أي في صغره، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إنّ الناس طعنوا في إمارة أسامة وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله، وإنّهما لخليقان لها، وإنّه لمن أحبّ الناس إليّ. ألا فأوصيكم بأسامة خيراً...» (الطبقات لابن سعد ج٢: ص٢٤٩). وروى مثله ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق وزاد فيه: «وإنّي لأرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيراً». قال: ومرض رسول الله ﷺ فجعل يقول في مرضه «أنفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة» (تاريخ مدينة دمشق ج٨: ص٦٢). وفي رواية قال ﷺ: «لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة» (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٣). وبالجملة فإنّ الأخبار والروايات والنصوص الواردة في كتب أهل السنّة تدلّ على أنّ كثيراً من الصحابة قد قدمهم رسول الله ﷺ على أبي بكر في الحروب والغزوات. وأنّ أبا بكر قد صلّى خلفهم، كأبي عبيدة ، وعمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل ، وأسامة بن زيد وغيرهم، فكيف يمكن أن يكون المأموم إماماً؟ وبأي دليل جاز له أن يتقدّم على من قدّمه رسول الله ﷺ عليه؟!

وتقدّم علي عليه السلام على عامّة الصحابة بالفضل[1]، فكيف يتصوّر صيرورة ابن

(١) وتوضيح المقام أنّ الروايات الكثيرة التي سمعها الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وآله في فضائل مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأفضليّته أهل بيته المعصومين عليهم السلام على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مما رواها كبار علماء أهل السنّة، وتدلّ على تقدمّ مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على أبي بكر وعمر وعثمان وجميع الصحابة، وهي كثيرة جدّاً لا يمكن استقصائها، ونحن نذكر هنا بعض الروايات التي رواها عمر بن الخطّاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأفضليته على جميع الصحابة، ليعرف الباحث بطلان ما ادعاه ابن تيمية. وإليك نماذج من تلك الأحاديث، منها: ما رواه جمال الدين الموصلي الحنفي المشهور بابن حسنويه بسنده عن أنس بن مالك، قال: لمّا كان يوم المؤاخاة وآخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، وعلي عليه السلام واقف يراه ويعلم مكانه لم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف علي عليه السلام باكي العين قال صلى الله عليه وآله: «يا بلال، اذهب فائتني به»، فمضى بلال وأتى علياً وقد دخل منزله، فرأته فاطمة عليها السلام فقالت: «ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟» قال عليه السلام: «يا فاطمة، آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعلم مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد»، قالت عليها السلام: «لا يحزنك، لعلّك إنما أخّرك لنفسه»، فطرق بلال الباب وقال: يا علي، أجب رسول الله صلى الله عليه وآله، فأتى علي إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما يبكيك، يا أمير المؤمنين؟» فقال علي عليه السلام: «آخيت بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف تعرف مكاني لم تؤاخ بيني وبين أحد»، فقال صلى الله عليه وآله: «يا علي، إنّما أخّرتك لنفسي كما أمرني ربّي، قم يا أبا الحسن»، فأخذ بيده ورقى المنبر وقال: «اللّهم إنّ هذا منّي وأنا منه، ألا إنّه بمنزلة هارون من موسى، أيّها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى، قال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن
←

➔

كنت وليّه فعلي وليّه، اللّهم إنّي قد بلغت ما أمرتني به». ثمّ نزل وقد سرّ علي عليه السلام، فجعل الناس يبايعونه وعمر بن الخطّاب يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولانا ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، امرأة من يعاديك طالق طلقة (انظر احقاق الحقّ ج٦: ص٤٦٨ نقلاً عن كتاب بحر المناقب لابن حسنويه: ص٤٢).
ومنها: ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن سويد بن غفلة عن عمر بن الخطّاب: أنّه رأى رجلاً يسبّ علياً عليه السلام فقال عمر: إنّي أظنّك منافقاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما علي منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي» (انظر تاريخ بغداد ج٧: ص٤٦٢ في ترجمة الحسن بن يزيد بن معاوية أبوعلي الجصّاص).
ومنها: ما أخرجه الخطيب الخوارزمي بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره» فبات المسلمون كلّهم يستشرفون لذلك، فلمّا أصبح قال صلى الله عليه وآله: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا: أرمد العين، قال صلى الله عليه وآله: «آتوني به»، فلم أتاه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ادن منّي»، فدنا منه، فتفل في عينيه ومسحهما بيده، فقام علي بن أبي طالب عليه السلام بين يديه وكأنّه لم يرمد، وأعطاه الراية، فقتل مرحب وأخذ مدينة خيبر (انظر المناقب للخوارزمي: ص١٧٠ ح٢٠٣). ومنها: ما أخرجه القندوزي الحنفي بسنده عن عمر ابن الخطّاب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لو اجتمع الناس على حبّ علي ابن أبي طالب لما خلق الله النار» (ينابيع المودّة ج٢: ص٢٩٠). ومنها: ما أخرجه ابن عساكر الدمشقي عن طريقين وروى غيره بطرق مختلفة: أتى عمر بن الخطّاب – في عهده – رجلان سألاه عن طلاق الأمة –كم عدده للبينونة؟– فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال عمر: أيّها الأصلع ما ترى في

🡐

➔

طلاق الأمة؟ فرفع رأسه إليه ثمّ أومأ إليه بالسبابة والوسطى. فقال له عمر: تطليقـان، فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أومأ إليك، فقال لهما عمر: ما تدريان مـن هـذا؟ قالا: لا، قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله لـسمعته وهـو يقول: «لو أنّ السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفّة ميزان ووضع إيمان علـي فـي كفّـة ميـزان لـرجح إيمـان علـي عليه السلام» (انظـر تـاريخ مدينـة دمـشق ج٤٢: ص٢٤٠). ومنها: ما أخرجه القندوزي الحنفي بسنده عـن عمـر بـن الخطّـاب، قـال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «لو كان البحر مداداً، والرياض أقلاماً، والإنـس كتّاباً، والجن حسّاباً، ما أحصوا فـضائلك يـا أبـا الحـسن» (انظـر ينـابيع المـودة ج٢: ص٢٨٥). ومنها: ما أخرجه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عبّاس، قال: مـشيت وعمر بن الخطّاب في بعض أزقة المدينة فقال لـي: يـا ابـن عبّـاس، أظـنّ أنّ القـوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم، فقلـت: والله! مـا استـصغره الله إذ اختـاره لسورة براءة – مع عزل أبي بكر – يبلغها أهل مكّة، فقال لي: الـصواب تقـول!! والله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: «من أحبّك أحبّني، ومـن أحبّنـي أحبّ الله، ومـن أحـبّ الله أدخلـه الجنّـة مـدلاً (تـاريخ مدينـة دمـشق ج١٤: ص٤). ومنها: ما أخرجه محمّد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطّـاب، قـال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «من أحبّك يا علي كـان مـع النبيّين فـي درجـتهم يـوم القيامـة، ومـن مـات يبغـضك فـلا يبـالي مـات يهوديّـاً أو نصرانيّاً» (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٨٥). ومنها: ما أخرجـه القنـدوزي الحنفـي بـسنده عـن عمـر بـن الخطّـاب، قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله لمّـا عقـد المؤاخـاة بـين أصحابه: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي ووصيي فـي أمّتـي،

➔

➔

ووارث علمي، وقاضي ديني، له منّي ما لي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني» (انظر ينابيع المودة ج٢: ص٢٨٢). ومنها: ما أخرجه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن إبراهيم بن سعيد الجوهري وصي المأمون العبّاسي قال: حدّثني المأمون قال: حدّثني أبي هارون الرشيد خامس قال: حدّثني المهديّ ثالث الخلفاء العباسيّين قال: حدّثني المنصور ثاني الخلفاء العبّاسيّين عن أبيه، عن جدّه، عن عبد الله بن العبّاس، قال: سمعت عمر بن الخطّاب وعنده جماعة، فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أمّا علي فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه ثلاث خصال، لوددت أن لي واحدة منهنّ فكان أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب النبي صلى الله عليه وآله بيده على منكب علي فقال له: «يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٨٦). ومنها: ما أخرجه محمّد بن محمد الدرگزيني في كتابه نزل السائرين في أحاديث سيّد المرسلين بسنده عن عمر بن الخطّاب قال: «كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب بيده على منكب علي عليه السلام فقال: «يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى يا علي، إنّما أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإذا أتاك هؤلاء القوم فسلّموا إليك هذا الأمر فاقبله منهم، فان لم يأتوك فلا تأتهم» (انظر احقاق الحقّ ج١٧: ص٧٩ نقلاً عن السيّد محمّد بن محمد الدرگزيني في كتابه نزل السائرين). ومنها ما أخرجه الخطيب البغدادي وابن عساكر الدمشقي بسندهما عن عمر بن الخطّاب، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «أنا خاتم الأنبياء، وأنت خاتم الأولياء» (انظر تاريخ بغداد ج١٠: ص٣٦٥، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٤: ص٢٥٤).

🡐

➔

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن ابن عمر قال: لمّا طعن عمر وأمر بالشورى فقال: ما عسى أن يقولوا في علي عليه السلام؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يا علي، يدك في يدي تدخل معي الجنّة يوم القيامة حيث أدخل» (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٢٨). ومنها: ما أخرجه ابن أبي الحديد من الحوار الذي دار بين ابن عبّاس وبين عمر بن الخطّاب بما يمت بأمر الخلافة والإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله... وملخّص الحوار أنّه قال ابن عبّاس: دخلت على عمر في أوّل خلافته، فقال عمر: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلّفت ابن عمّك... إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟ قلت: خلّفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن، قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه فقال: صدق، قال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله ذرو من قول (في إعلان خلافة علي عليه السلام)، لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، ولقد كان النبي صلى الله عليه وآله يربع في أمره وقتاً ما (أي كان يترقّب الفرصة لذلك)، ولقد أراد أن يصرّح باسمه علي عليه السلام فمنعته من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام (وذلك بقوله: إنّ الرجل ليهجر) لا وربّ هذه البنية (أي خلافة علي) لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو ولّيها (علي) لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص٢٠). وإلى غير ذلك ممّا ورد عن عمر بن الخطّاب في أفضلية مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامته، وإذا كان الأمر كذلك كيف يمكن لابن تيمية وأهل السنّة أن يدعوا بأنّ عمر قال: لا أتقدّم على أبي بكر لكونه الأفضل!! بعد نقله لهذه الروايات في أفضليّة مولانا أمير المؤمنين علي ابن

🡐

قحافة أفضل من عامّتهم وخيرهم وسيّدهم؟!! ولو فرض صحّة ما زعمه لثبت التناقض البين بين قوله في المقامين وبين قوله على المنبر بمحضر الصحابة كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، ولم ينكر عليه صحابي[1].

➔

أبي طالب عليه السلام وإمامته مباشرةً عن رسول الله صلى الله عليه وآله فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح، أنّ ما زعمه ابن تيميّة من أنّ عمر بن الخطّاب قال: لا أتقدّم على أبي بكر لكونه الأفضل، لا يجتمع مع ما قاله عمر بن الخطّاب نفسه في محضر الصحابة وفي جمعهم: من أنّ "بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه" (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلي من الزنا إذا أحصنت). وقال ابن الأثير في تفسير ذلك: أراد بالفلتة الفجأة... والفلتة كلّ شيء فعل من غير رؤية (انظر النهاية في غريب الحديث ج٣: ص٤٦٧). وقال المحبّ الطبري: الفلتة: ما وقع عاجلاً من غير تروّ ولا تدبير في الأمر ولا احتيال فيه، وكذلك كانت بيعة أبي بكر، كأنّهم استعجلوا خوف الفتنة، وإنّما قال عمر ذلك لأنّ مثلها من الوقائع العظيمة التي ينبغي للعقلاء التروّي في عقدها لعظم المتعلّق بها، فلا تبرم فلتة من غير اجتماع أهل العقد والحلّ من كلّ قاص ودان، لتطيّب الأنفس، ولا تحمّل من لم يدّع إليها نفسه على المخالفة والمنازعة وإرادة الفتنة، ولا سيّما أشراف الناس وسادات العرب، فلمّا وقعت بيعة أبي بكر على خلاف ذلك قال عمر ما قال، ثمّ إنّ الله وقى شرّها، فإنّ المعهود في وقوع مثلها في الوجود كثرة الفتن، ووقوع العداوة والإحن، فلذلك قال عمر: وقى الله شرّها (الرياض النضرة ج١: ص٢٣٧). فإذا كانت بيعة أبي بكر فلتة، وأنّها كانت شرّاً وقى الله المسلمين شرّها... كيف يمكن يكون الشرّ خيراً؟!!! فإنّ حقيقة الشرّ

➔

فإنّ الرجل المعلوم تقدّمه بالفضل عليهم وهو أحبّهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وخيرهم وسيّدهم وإمامته لديهم ثابتة يتقرّبونها كيف تكون بيعته فلتة؟!!! فقوله في بيعته: "فلتة" دليل إمّا عدم لياقته لها[1]، وإمّا على كون بيعة ذلّة

➔

الذي وقى الله هذه الأمّة منه هو الاختلاف والنزاع كما صرح هو ظاهر الحديث وتصريح كبار علماء أهل السنّة. وهذه الحقيقة لا تنقلب عمّا هي عليها. وإذا كان الأمر كذلك كيف يجمع ابن تيميّة بين قول عمر هذا وقوله: بأنّ عمر بايعه لأنّه كان يراه أفضل؟!! فهذا جمع بين المتناقضين، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّ قول عمر: بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلي من الزنا إذا أحصنت) يدلّ على أنّ بيعة أبا بكر وقعت بلا تدبير ولا تروّ، أي: وقعت من غير مشورة أهل الحلّ والعقد. وهذا يدلّ على أنّ أبا بكر لم يكن أفضل من غيره، لأنّه لو كان أفضل من غيره لكان على عمر أن يعتب على الصحابة الذين خالفوا بيعة أبي بكر في السقيفة، ويقول لهم: لماذا خالفتم بيعة أبي بكر الذي هو أفضل الصحابة؟!! ولكن لم يقل ذلك، بل وصف بيعته بالفلتة التي معناه على حين الغفلة. وهذا الوصف مشعر بأنّ أبا بكر لم يكن أفضل صحابة النبي صلى الله عليه وآله، إذ لو كان أفضل الناس ما كان حاجة إلى البيعة في حال الغفلة، بل كان على الصحابة أن يبايعوا ما هو الأفضل بينهم. إذ لو كانت أفضليّته معلومة عندهم لذكروها من خلال الروايات والأحاديث التي رووها فيه، فكان عليهم أن يحتجّوا بها. ولكن الباحث لو راجع جميع الكتب الروائية والتاريخية، لا يجد فيها روايةً واحدة في السقيفة وغيرها، وفيها احتجاج الصحابة بها على أفضليّة أبي بكر، وهذا ما يعني أنّه لم يرد في فضله رواية واحده. ومن هنا يعرف أنّ ما ورد في

➔

عظيمة مستلزمة لصدور الشرّ من جهتها، وقد عرفت وجه ذلك[1].

➔

بعض كتب أهل السنّة من فضل في حقّه اختلاق من بني أميّة وعلماء السوء الذين كانوا تحت حماية حكام الجور يرتزقون بجعل الأحاديث المكذوبة. وأيضاً لو كان أفضليّته صحيحاً عند عمر بن الخطّاب لما كان يقول: أنّ بيعته كانت فلتة، أي: أنّها وقعت بلا تروّ وتدبير. حيث أنّ التروي والتدبير توجبان الوصول إلى البيعة الأفضل، حيث أنّ مقتضى العقل الرجوع إلى الأفضل. فإذا تحقّقت بيعة أبي بكر بلا التروّي بتصريح عمر بن الخطاب معناه عدم وجود دليل للاحتجاج على أفضليّة أبي بكر عندهم، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه بناءً على ما ورد في صحيح البخاري عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: بيعة أبي بكر كانت فلتة (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلي من الزنا إذا أحصنت)ـ فبناءً على معنى الفلتة حسب ما جاء في كتبهم وشرح الكلمة، إمّا أن تكون بيعتهم له على حين غفلة، كما تقدّمت الإشارة إليه، أو أنّها كانت بمعنى الذلّة، أي: أنّ بيعة أبي بكر ألبست المسلمين لباس الذلّة والخفّة للمسلمين. وذلك من حيث أنّ بيعته لم تكن عن مشورة، بل كانت عن استعجال خاص، بحيث صارت سبباً لذلة المسلمين وخفتهم، لأنّ في هذا النوع من البيعة إهانة للمسلمين، إذ كانت بلا رعاية لآراء المسلمين. ولذلك قال عمر ابن الخطّاب: وقى الله شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلي من الزنا إذا أحصنت). إذ لو كان فيها ما يوجب رفع رأس المسلمين، لكان يذكره عمر بن الخطّاب في هذا المجال. وحيث قال: وقى الله شرّها، معناه أنّ البيعة كانت شرّاً، أو تحقّقت في ظروف كانت تلك الظروف سبباً لوقوع شرّاً. وعلى كلّ حال فإنّ البيعة كانت شراً، وأنّ ظاهر قول

🡐

فبان التناقض البيّن وثبت البهتان فيما رووه في الصحيحين، والسنّي يستدل بالبهتان المعلوم على خصمه[1].

وخامسها: ما نقله من الخبر عن عائشة[2]، فإنّه من عجيب غشّه للغفلة،

←

عمر نصّ في عدم وقوع البيعة عن المشورة، ومعناه أنّه على كلّ حال يكون شرّاً، وإذا كانت بيعته شرّاً حسب ما قاله عمر بن الخطّاب فما بال ابن تيمية يقول: أنّ عمر بايعه لأنّه كان يراه أفضل؟!! فعلى جميع الباحثين أن يلاحظوا الرواية بالدقّة، ويفكّروا فيها حسب القرائن الموجودة فيها، فلاحظ.

(١) وخلاصة الكلام أنّ ما زعمه ابن تيمية من أنّ عمر بن الخطّاب لم يتقدّم على أبي بكر لكونه أفضل منه، لا يجتمع ما قاله عمر بن الخطّاب في جمع الصحابة: أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. وكيف لابن تيميّة أن يستدلّ بالمتناقضين على خصمه؟!!!

ولا يخفى للباحث ما في الحديث من أنّ عمر بن الخطاب نفسه اعتذر عما وقع في السقيفة من المسارعة إلى بيعة أبي بكر، وعدم رعاية المشاورة مع المسلمين، حيث قال: وإنّا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإمّا بايعناهم على ما لا نرضى، وإمّا نخالفهم فيكون فساد...

وبعد هذه الروايات وما فيها من الدلالة على عدم أفضلية أبي بكر عند عمر، كيف جاز لابن تيميّة أن يدعي بأنّ عمر كان يرى أنّ أبا بكر أفضل منه؟!! مع أنّ الجمع بينه وبين ما ورد في رواياتهم جمع بين المتناقضين؟!!!

(٢) لقد استدلّ ابن تيميّة على مدّعاه بما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة أنّها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه: ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتّى

←

←

أكتب كتاباً، فإنّي أخاف أن يتمنّى متمنّ ويقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر (صحيح مسلم ج٧: ص١١٠ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر). ولا يخفى أنّ الاستدلال بهذا الحديث باطل من الجهات العديدة. أوّلاً: أنّ الاحتجاج بهذا الحديث على الشيعة غير صحيح، لأنّه لا يكون حجّة عندهم؛ لأنّ أهل السنّة تعتقد بعدالة جميع الصحابة وتقديسهم مع ما ورد في حقّهم من الطعن، وهذا جمع بين المتناقضين، فلا يمكن الاعتماد على قولهم في تصحيح الأخبار. وثانياً: لو كان هذا الحديث معتبراً لماذا لم يحتجّ به أبوبكر في السقيفة؟ فيعرف أنّ هذا الحديث من الأحاديث المجعولة في حكومة الأمويين. وثالثاً: لا يخفى على أحد أنّ النبيصلى الله عليه وآله قد عقد في أواخر أيام حياته الشريفة وأيّام مرضه لواءً لأسامة بن زيد وأمر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم أن يلتحقوا بجيش أسامة وقالصلى الله عليه وآله: «أنفذوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة» (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص٢٣). وقال ابن حجر: كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبيصلى الله عليه وآله بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبيصلى الله عليه وآله، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامة فقال: «سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش وأغر صباحاً على أبني وحرّق عليهم وأسرع المسير تسبق الخبر، فإن ظفّرك الله بهم فأقل اللبث فيهم». فبدأ برسول اللهصلى الله عليه وآله وجعه في اليوم الثالث، فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة ودفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف، وكان مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح وسعد بن أبي وقّاص وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم... (فتح الباري ج٨: ص١١٥). وقال الذهبي: فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلاّ انتدب في تلك الغزوة وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة...

→

للغفلة، لعلمه بأنّ عائشة قد تبانت هي وحفصة على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، فافتريتا عليه حتّى نزل في حقّهما: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾[1].

➔

فطعن الناس في إمارته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان من أحبّ الناس إليّ، وإنّ ابنه هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده» (ثم قال الذهبي): هذا متّفق على صحّته (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج٢: ص ٧١٤). وروى ابن سعد بسنده عن نافع عن ابن عمر قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله بعث سريّة فيهم أبو بكر وعمر، واستعمل عليهم أسامة بن زيد. فكان الناس طعنوا فيه أي في صغره، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إنّ الناس طعنوا في إمارة أسامة وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله، وإنّهما لخليقان لها وإنّه لمن أحبّ الناس إليّ، ألا فأوصيكم بأسامة خيراً...» (الطبقات لابن سعد ج٢: ص٢٤٩). وروى مثله ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق وزاد فيه: وإنّي لأرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيراً، قال: ومرض رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يقول في مرضه «أنفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة» (تاريخ مدينة دمشق ج٨: ص٦٢). وعليه كيف يتصوّر صدور هذا الخبر من النبي صلى الله عليه وآله في حقّ أبي بكر مع أنّ الرجل كان ممّن تمّرد عن أمر النبي صلى الله عليه وآله وتخلّف عن جيش أسامة، وبذلك شمله لعن النبي صلى الله عليه وآله؟!! فيعرف من جميع ذلك أنّ الحديث لا يكون معتبراً من جهة الدلالة وإن كان صحيحاً عند أهل السنّة من جهة السند.

(١) سورة التحريم:٤، لقد اتّفق المفسّرون والمحدّثون والمؤرّخون على أنّ المقصود بالمرأتين في قوله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾، هما عائشة بنت

➔

←

أبي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطّاب، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عبّاس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبيﷺ اللتين قال الله لهما: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾، حتّى حجّ وحججت معه، وعدل وعدلت معه بإداوة فتبرز، ثمّ جاء فسكبت على يديه منها فتوضّأ، فقلت له: من المرأتان من أزواج النبيﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾؟ قال: واعجبا لك يا ابن عبّاس، هما عائشة وحفصة (صحيح البخاري ج٦: ص١٤٨ كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها). وما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عبد الله ابن عبّاس: حدّثني عمر بن الخطّاب، قال: لمّا اعتزل نبي اللهﷺ نساءه، قال: دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى، ويقولون: طلّق رسول اللهﷺ نساءه وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر: فقلت: لأعلمنّ ذلك اليوم، قال: فدخلت على عائشة، فقلت: يا بنت أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول اللهﷺ؟ فقالت: ما لي وما لك يا ابن الخطّاب؟ عليك بعيبتك، قال: فدخلت على حفصة بنت عمر، فقلت لها: يا حفصة، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول اللهﷺ؟ والله لقد علمت أنّ رسول اللهﷺ لا يحبّك، ولولا أنا لطلّقك رسول اللهﷺ، فبكت أشدّ البكاء، فقلت لها: أين رسول اللهﷺ؟ قالت: هو في خزانته في المشربة...، قال: ودخلت عليه حين دخلت، وأنا أرى في وجههﷺ الغضب، فقلت: يا رسول الله، ما يشقّ عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهنّ فإنّ الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل... والمؤمنون معك، وقلّما تكلّمت – وأحمد الله – بكلام إلاّ رجوت أن يكون الله يصدّق قولي الذي أقول، ونزلت هذه الآية آية التخيير: ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ**

→

←

﴿سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (صحيح مسلم ج٤: ص١٨٨ كتاب الطلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء). وما أخرجه مسلم ايضا في صحيحه بسنده عن سمّاك أبي زميل: حدّثني عبد الله بن عبّاس حدّثني عمر بن الخطّاب قال: لمّا اعتزل نبي الله ﷺ نساءه، قال: دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلّق رسول الله ﷺ نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر: فقلت: لأعلمنّ ذلك اليوم، قال: فدخلت على عائشة فقلت: يا بنت أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ؟ فقالت: مالي ومالك يا ابن الخطّاب؟ عليك بعيبتك، قال: فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها: يا حفصة، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ؟ والله لقد علمت أنّ رسول الله ﷺ لا يحبّك، ولولا أنا لطلّقك رسول الله ﷺ، فبكت أشدّ البكاء... (صحيح مسلم ج٤: ص١٨٨ كتاب الطلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء). وقد صرّح جمع كثير من مفسّري أهل السنّة في تفسير الآية الكريمة أنّ عائشة وحفصة اتفقتا على إيذاء النبي ﷺ، قال ابن الجوزي في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾، أي: أخبر حفصة بإفشائها السرّ ﴿قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا﴾، أي: من أخبرك بأنّي أفشيت سرّك؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾، ثمّ خاطب عائشة وحفصة ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾، أي: من التعاون على رسول الله ﷺ بالإيذاء ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، قال ابن عبّاس: زاغت، وأثمت (زاد المسير ج٨: ص٥٢). وقال القرطبي في تفسيره: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾، أي تتظاهرا وتتعاونا على النبي ﷺ بالمعصية والايذاء (تفسير القرطبي ج١٨: ص١٨٩). وقال في موضع آخر يصرّح هكذا: ...وهذا الهجر غايته عند العلماء شهر كما فعل النبي ﷺ، حين أسرّ إلى حفصة، فأفشته إلى عائشة وتظاهرتا عليه (تفسير القرطبي ج٥: ص١٧٢). وقال الواحدي النيسابوي في تفسيره: قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى

←

➔
اللَّهِ يعني عائشة وحفصة، **﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾** عدلت وزاغت عن الحقّ... **﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾** أي: تتعاونا على أذى رسول الله صلى الله عليه وآله (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي النيسابوري ج٢: ص١١١٢). وقال السمعاني في تفسيره: وقوله تعالى: **﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾** هذا خطاب لعائشة وحفصة، ومعناه: إن تتوبا فقد فعلتما ما عليكما التوبة في ذلك... وقوله: **﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾** أي: مالت قلوبكما عن الصواب... وقوله: **﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾** ثبت أنّ ابن عبّاس سأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وآله أي: توافقتا على فعل ما يشتدّ عليه ويؤذيه غيره عليه، فقال: هما حفصة وعائشة... (تفسير السمعاني ج٥: ص٤٧٤). وقال البغوي في تفسيره: **﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾** أي من التعاون على النبي صلى الله عليه وآله بالإيذاء، يخاطب عائشة وحفصة **﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾** أي زاغت ومالت عن الحقّ واستوجبتما التوبة... أخبرنا عبد الواحد المليحي: أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمّد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب الزهري أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور: أنا عبد الله بن عبّاس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطّاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وآله اللتين قال الله تعالى لهما: **﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾** حتّى حجّ فحججت معه، وعدل وعدلت معه بإداوة، فتبرز ثمّ جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضّأ، فقلت له: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وآله اللتان قال الله عز وجل لهما **﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾**؟ فقال: واعجبا لك يا ابن عبّاس، هما عائشة وحفصة... فاعتزل النبي صلى الله عليه وآله نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة... ثمّ قال: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾** إلى تمام الآيتين... حدّثنا عبد الله بن عبّاس: حدّثني عمر بن الخطّاب
➔

ولم يخبر سبحانه بتوبتهما ولم يخبر رسولهﷺ بها[1]. فبأيّ وجه شرعي

➔

قال: لمّا اعتزل النبيﷺ نساءه وذكر الحديث، وقال: دخلت عليه فقلت: يا رسول الله، ما يشقّ عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتهنّ فإنّ الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل... والمؤمنون معك... ونزلت هذه الآية ﴿**عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ**﴾. قوله: ﴿**وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ**﴾ أي تتظاهر أو تتعاونا على أذى النبيﷺ (تفسير البغوي ج٤: ص٣٦٤). وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم ممّا يدلّ على عائشة وحفصة كانتا تؤذيان رسول اللهﷺ، ومن آذى رسول اللهﷺ فقد شمله قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهيناً**﴾ (سورة الأحزاب:٥٧). وبعد وضوح أنّ المقصود بالمرأتين في الآية هما عائشة وحفصة، والآية فيها صراحة على أنّهما افتريا على رسول اللهﷺ كيف يمكن لعاقل أن يصدق قولهما في رسول اللهﷺ؟!! فأقل ما تقتضي الآية القول بفسقهما. والله تبارك وتعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (سورة الحجرات: ٦). فهذه الآية الكريمة بضميمة قوله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾، تدلّ على أنّه لا ينبغي لمسلم أن يصدق عائشة في قولها فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ التوبة من الأمور الحادثة، والأصل في الأمور الحادثة العدم إلاّ أن يقوم الدليل على تحققه في الخارج. وفي المقام أنّ الأمر يكون كذلك، حيث أنّ التوبة من الأمور الحادثة، فلو أنّ عائشة وحفصة كانتا نادمتين ممّا فعلتا من افترائهما على رسول اللهﷺ كما هو مقتضي الآية والروايات المفسّرة لها، لأخبر

🡐

يروون عن مثلها في صحاحهم وغيرها؟[١] ولِمَ ثبت عندهم توبتها من الكذب؟!!![٢] مضافاً إلى ما دلّلنا عليه سابقاً من وجوه عديدة من كذب ما

←

الله سبحانه عن ندامتهما في الآية، وإلاّ يلزم تأخير البيان عن وقت الحاجة وهو قبيح على الباري تعالى. وحيث لم يخبر سبحانه بتوبتهما ولم يخبر رسولهﷺ بها، يعرف بأنّهما لم تتوبا إلى الله ، بل وصغت قلوبهما إلى الكذب والافتراء على رسول اللهﷺ، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه بعد عدم قيام الدليل على توبة عائشة وحفصة كيف جاز لأهل السنّة أن يروون الحديث منهما في كتبهم، بل وفي أصحّ كتبهم بعد القرآن أليس أنّ الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (سورة الحجرات: ٦). فإنّ أقلّ ما يمكن أن يقال في حقّ من افترى على رسول اللهﷺ فسق المفتري، وهذا من الأمور المسلّمة لدى العلماء. فإنّ الآية الكريمة تدلّ بالصراحة على فسق كذّاب. وعليه بعد ثبوت هذه الأدلّة بأي وجه شرعي يستدل ابن تيميّة برواياتها؟!!!

(٢) وتوضيح المقام أنّ الباحث الخبير يعلم أنّ التوبة من الأمور الحادثة، كما أنّ قضية تظاهر عائشة وحفصة على النبيّﷺ وتعاونهما على المعصية وإيذاء النبيﷺ من الأمور الحادثة التي نزلت بشأنها قوله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ (سورة التحريم:٤). وصريح الروايات المفسرة ذكرت بأن المقصود بالمرأتين التين تظاهرتا وتعاونتا على رسول اللهﷺ بالمعصية والإيذاء على النبيﷺ هما عائشة وحفصة ولم يرد في الروايات توبتهما من الافتراء على رسول اللهﷺ ومع عدم ذكر التوبة فيها يعرف بأنّهما لم تتوبا، لأنّ التوبة من الأمور الحادثة المسبوقة بالعدم، ولا بدّ من إثبات تحقّقها في الخارج، وحيث أنّ

→

رووه من النصوص في حقّ الثلاثة ممّا يشير إلى إمامتهم وإلى وجود شيء من الفضل[1]،

➔

الله تبارك وتعالى لم يخبر عن بتوبتهما وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخبربها، فإنّ القول بتوبتهما افتراء على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ (سورة يونس:٥٩)، مضافاً إلى أنّ الله تبارك وتعالى أمرنا بالبحث والتبيّن عن إخبار الفاسق في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (سورة الحجرات: ٦)، فالآية تدلّ على لزوم التبيّن عن خبر الفاسق، فينبغي على كلّ مسلم أن لا يصدق عائشة في قولها وكذلك حفصة. فالقرآن والروايات يدلاّن على عدم تصديق عائشة فلاحظ.

(١) لقد أوقفنا القارئ الكريم على شيء من الغلو الفاحش في كلّ من الخلفاء الثلاثة في ما مضى، وذكرنا أنّ كلّ ما ورد في حقّهم من الفضائل المكذوبة والمزعومة إنّما هي من مرمعات الحديث لا يساعدها المعروف من نفسيّاتهم وملكاتهم، ولا يتّفق معها ما سجّل لهم التاريخ من أفعال وتروك، اذ لو تأمّل الباحث فيها يجد بوضوح أيدي الخيانة التي وضَعَتْ تلك الأخبار الكثيرة، حيث أنّها غير مبتنية على أسس رصينة، لكونها أساطير وقصص خرافيّة وأوهام وترهات مسطّرة بلا أي تعقّل وتدبّر، فدونك شيئاً ممّا عزوه إلى الروايات من فضائل الثلاثة. وهناك في مقابلها روايات رواها كبار علماء أهل السنّة في مطاعنهم، ممّا فيها من الطامات والجنايات والأحداث والشنايع والفظائع التي فعلها الخلفاء الثلاثة، وإنّما كانت وصمات سوّدت صحيفة التاريخ وأبقت على الأمّة عارها إلى منصرم الدنيا لا تنسى قطّ بمرّ الأعصار والدهور.

←

➔

فإنّ الباحث لو تأمّل في كتب القوم وما ورد فيها من الأخبار والروايات في باب الفضائل يجد أنّ كلّ فضيلة ورد في حقّ مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المرويّة عن لسان النبي الصادق صلى الله عليه وآله افتعلوا مثلها في خلفائهم أو غيرهم من الصحابة زوراً وبهتاناً على رسول الله صلى الله عليه وآله، ليلبسوا الأمر على العوام وما بحكم العوام. وقد يندهش القارئ من تلك أحاديث الموضوعة والمكذوبة التي وضعتها الأيادي المرتزقة أيام بني أُميّة وبني العبّاس. وإليك ما ذكره ابن أبي الحديد في هذا المجال، قال: قد روي أن أبا جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: «يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيّانا وتظاهرهم علينا وما لقى شيعتنا ومحبّونا من الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر إنّا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا، ثمّ تداولتها قريش واحد بعد واحد حتّى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود حتّى قتل، فبويع الحسن عليه السلام ابنه وعوهد ثمّ غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق، حتّى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاليل أمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حقّ قليل، ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثمّ غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم، وقتلوه ثمّ لم نزل - أهل البيت - نستذلّ ونستضام ونقصي ونمتهنّ ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمّال السوء في كلّ بلدة فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا

🡐

➔

بكلّ بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظنّة وتهمة، حتّى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شيعة علي عليه السلام، وحتّى صار الرجل الذي يذكر بالخير -ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً- يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١: ص٤٣). وقال: روى أبو الحسن علي بن محمّد بن أبي سيف المدايني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سميّة وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم أيّام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم واكرموهم، واكتبوا لي بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لمّا كان يبعثه إليهم معاوية من

←

➔
الصلات والكساء والحباء والقطّائع ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجئ أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلاّ كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حيناً. ثمّ كتب إلى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبى تراب إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتّى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتاتيب، فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتّى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتّهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة، حتّى إنّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدّثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القرّاء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظّوا بذلك عند ولاتهم ويقرّبوا مجالسهم
➔

←

ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنّون أنّها حقّ ولو علموا أنّها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلاّ وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض، ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام وولي عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة وولي عليهم الحجّاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه وموالاة من يدّعي من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغضّ من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنان له حتّى إنّ إنساناً وقف للحجّاج –ويقال أنه جدّ الأصمعي عبد الملك بن قريب– فصاح به: أيّها الأمير، إنّ أهلي عقّوني فسمّوني علياً، وإنّي فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجّاج وقال: للطف ما توسّلت به قد ولّيتك موضع كذا (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١: ص٤٤). وقال: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بنى أميّة تقرّبا إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنوف بني هاشم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١: ص٤٦). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون في كتبهم، والمستفاد منها أنّ النّاس في عهد بني أميّة كانوا يتسابقون في وضع الحديث بأمر من معاوية الذي أراد أن يرفع قدر أبي بكر وعمر مقابل فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد جاءت أحاديث هزيلة ومضحكة ومتناقضة في أصحّ كتبهم من فضائل مكذوبة لخلفائهم، ولو أردنا أن نذكر ما ورد

←

بل دلّلنا على صدور الفساد والشرّ والمبتدعات والمناكير في خير أمّة منهم[1]،

➔

في نقضها لطال بنا المقام. والمهمّ أنّ خبر عائشة في المقام من قبيل هذه الروايات المكذوبة، التي وردت في نقضها الآية المباركة المتقدّمة ذكرها والروايات الواردة في تفسيرها فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ الباحث لو درس التأريخ والسيرة والحديث والتفسير وغيرها دراسة علميّة موضوعيّة بقصد التمحيص يجد أنّ ما واجهه المسلمون من المصائب والنوازل التي حلّت للإسلام والمسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من الفساد والشرّ والمبتدعات والمناكير كلّها ثمرات السقيفة والخلافة الجائرة التي مهّدت للأمّة الإنقلاب والرجوع إلى الجاهلية الأولى. فكان أبو بكر لا يبالي من المخالفة الصريحة للكتاب والسنّة، وأنّ بغيته الوصول إلى السلطة فلم يمنعه من ذلك مانع. وبعد ارتكاب المخالفة كيف كان يصبغها بالصبغة الدينيّة، أمر آخر من البدعة في الدين. وحيث أنّ سلطته كانت مستندة بالعنف والإرهاب فلم يتجرأ أحد أن يقف بوجهه ويعارض سياسته المبتنيّة على الإرهاب والعنف والقبلية الجاهلية المدعومة من قبل بطون قريش التي سادنت وأيدت السلطة الجائرة ليفتح لهم المجال في الحكومة الجائرة. فكانوا يقابلون كل حركة ضد الخلافة الجائرة بالعنف وأشدّ العقوبات وبإسقاطهم من جميع حقوق الإنسانية، والمخازي التي كانوا يستندون إليها باسم الدين والسلطة الجائرة، وكانوا يسمّونها خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله. وفي نفس الوقت الذي كانت الخلافة الجائرة تستعمل أنواع الحيل لتقوية السلطة من جمع الأعوان والأنصار بالتطميع والتهديد والفتك والإرغام ذريعة لحفظ نظام السلطة الجائرة وإن بلغ ما بلغ من الجناية على الأمّة ولو بالهجوم علي بيت أخي

➔

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّه ووزيره الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيت الرسالة عليهم السلام ممّن نزلت فيهم الآيات وأيّدت طهارتهم وتزكيتهم من آية المباهلة وآية التطهير وآية الولاية و... إلى ما يزيد على ثلاثمائة آية، ومن أوصى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال فيهم: «إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وقوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»، وقوله: «رضا فاطمة رضاي وغضبها غضبي». وجميع الصحابة على الأخص أبو بكر وعمر كانوا يعلمون حرمة ذلك البيت العظيم علم اليقين، وقد أحرقوا باب بيتهم بمن فيها من الأنوار الطاهرة عليهم السلام ظام السلطة الجائرة وإن بلغ ما بلغ من الجناية على الأمة ليفتح لهم المجال في الحكومة الجائرة. ووصل بهم الأمر حتى أنّ أبا بكر وعمر خشيا اللحقيقة الخير التناقض، حيث أنّ إنقلاب الأمر عليهما بعد ما فعلا العنف والإرهاب ضد أهل بيت الوحي عليهم السلام فذهبا ليسترضيا فاطمة عليها السلام، وقد أخرج ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة أنّه قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه فأدخلهما عليها، فلمّا قعد عندها حوّلت وجهها إلى الحائط فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنكّ لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقكّ وميراثك من رسول الله؟ فقالت: «أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟» قالا: نعم، فقالت: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول ″رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني″؟» قالا:

➔

➔

نعم، سمعناه من رسول الله، قالت: «فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه»، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول «والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أصلّيها»، ثمّ خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي... (انظر الإمامة والسياسة ج١: ص١٧). وهكذا استمروا في مخالفة الله ورسولهﷺ حتّى شملهم قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾ (سورة الكهف: ١٠٣-١٠٦). وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا**﴾ الروايات الدالّة على أنّ المراد بهم أهل البدعة في الدين، منها: ما رواه إبراهيم بن محمّد الثقفي في كتاب الغارات بسنده عن أصبغ بن نباته عن أمير المؤمنينعليه السلام قال: «هم الكفرة الذين ابتدعوا في الدين وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً» (انظر الغارات ج١: ص١٨٠). وكلّ ذلك قرينة واضحة على أنّ سياسة خلافة السقيفة كانت مبتنية على العنف والإرهاب الجاهلي التي تكفّلها بطون قريش الحاقدة على النبيﷺ وأهل بيتهعليهم السلام للوصول الى القدرة والرئاسة بأي وسيلة حصل. ولو أردنا أن نكشف الغطاء عن بعض ما فعلها السطة الجائرة من الأفعال الإجرامية التي سجّلها عليهم صحاح أهل السنّة ومسانيدهم وكتبهم المعتبرة لطال بنا المقام، وسنذكرها في محلّه ان شاء الله تعالى.

وبسببهم عرفت مخالفة بيعتهم لرضا الله ورسولهﷺ[1].

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى أنّ البيعة المشروعة هي البيعة التي تكون فيها رضا الله ورسولهﷺ أي: تكون البيعة في طاعة الله ورسولهﷺ لا في طاعة حكّام الجور، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ (سورة النساء:٨٠). فإنّ الآية تدلّ على أنّ موضع النبيﷺ من الناس وحسناتهم وسيّئاتهم موضع من كان عمله طاعة لله ورسولهﷺ وفي الحقيقة أنّ طاعة الرسولﷺ طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ...**﴾ أي لا انفصال بين الطاعتين، وذلك لأنّ النبيﷺ لا يخطو أيّة خطوة خلافاً لإرادة الله... فكلّ ما يصدر من النبيﷺ من فعل وقول وتقرير إنّما يطابق إرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته. ثمّ تبيّن الآية بأنّ النّبيﷺ ليس مسؤول عن الذين يتجاهلون ويخالفون أوامره، كما أنّه ليس مكلّفاً بإرغام هؤلاء على ترك العصيان، بل أنّ مسؤوليتهﷺ هي الدعوة للرسالة الإلهيّة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الضالّين والغافلين، فتقول الآية: ﴿**وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾، أي: أنّ الذين خالفوا أوامر الله ورسولهﷺ إنّما ترجع نتيجة سوء أعمالهم بهم. فالذين بايعوا أبا بكر في السقيفة إنّما ترجع نتيجة عملهم إليهم، فهم خرجوا عن طاعة الله ورسولهﷺ وسيرون نتيجة عملهم في الآخرة، كما وجدوا آثار السيّئة من عملهم في الدنيا، حيث أنّهم حرّموا أنفسهم عن رضى الله ورسولهﷺ وسعادتهم بالفوز المترتب على طاعة الله ورسولهﷺ كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ (سورة النور:٥٢). فإنّ التسليم أمام حكم الله، سبب لاستحقاق المؤمن الفوز بالسعادة والنجاة من العذاب والهلاك. ومن هنا يعرف معنى قول الإمام الحسينعليه السلام حيث قال: «رضا الله رضانا أهل البيتعليهم السلام...» (بحار الأنوار ج٤٤:

←

←

ص٣٦٧)، ومن أجل وضوح الأمر في المقام نسلط الضوء على ما قاله مولانا الإمام الحسين عليه السلام فنقول: أنّ العلماء يقولون: هذه الجملة لها معنيان:

الأول: أنّ رضا الإمام الحسين عليه السلام طريقٌ إلى رضا الله، وكاشفٌ عن رضا الله، فالعلاقة بين رضا الإمام الحسين عليه السلام ورضا الله عزّ وجلّ علاقة الكاشفيّة، مظهرة لرضا الله عزّ وجلّ.

و الثاني: أنّ العلاقة هي علاقة العينيّة أي: أنّ رضا الإمام الحسين عليه السلام هو رضا الله، وليس هناك شيئان أحدهما رضا الإمام الحسين عليه السلام والآخر رضا الله، بل رضا الإمام الحسين عليه السلام هو رضا الله. ولا توجد اثنينيّة، ولا انفكاك وانفصال، ومعناه أنّ من لم يرض عليه أهل البيت عليهم السلام فهو في الواقع لم يرض الله عنه. وهذا مثل قوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعةٌ منّي، يرضى الله لرضاها، ويغضب الله لغضبها» (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٢٢: ص٤٠١). فمعناه أنّ نفس رضا فاطمة عليها السلام رضا الله عزّ وجلّ. فبيعة السقيفة كانت مخالفة واضحة لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله، لأنّ بتلك البيعة رفض الصحابة عن رضى الله ورسوله صلى الله عليه وآله في سبيل رضا أصحاب السقيفة. ومن كان كذلك فقد استحقّ على فعله ما يستحقّ من لم يرض الله عنه، فهم كمن قال تعالى في حقّهم: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ (سورة النساء: ٦٠). هذه الآية تكملة للآية السابقة عليها وهي التي كانت تدعو المؤمنين إلى طاعة الله والرسول صلى الله عليه وآله وأولي الأمر، والتحاكم إلى الكتاب والسنّة، وهذه الآية تنهى عن التحاكم إلى الطاغوت واتّباع أمره وحكمه، فيعرف أنّ رضى الله في طاعة الله وعدم رضاه في التمّرد فلاحظ.

المحتويات

هذا الكتاب

تناول هذا الكتاب الفكر الديني بالبحث العلمي والاصولي وبدراسة معمقة مدعومة بقوة الاستدلال ومتانة المنطق في توثيق الواقع وتثبيت عقيدة الحق والدفاع عنها بالحوار الهادف ومناظرة الآخر، والإجابة عما يثيره المعاند من شبهات بحيث لايتطرق إلى تلك العقيدة الشامخة شبهة ولايحوم حولها وصمة ريب باسلوب يلائم جميع الأذواق والمستويات للباحثين عن الحق والحقيقة، والراغبين في الخلاص من مطبات الضياع ودهاليز الضلال، علنا نوفّق في رفد المكتبة الاسلامية بما يزيدها غنىً وزهاءً.



بالتعاون مع



